القسم الأوّل

من

كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب

وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب

لعلّامة دهره، وفريد عصره،

الشيخ أبى العبّاس أحمد بن محمّد المقرى

رحمه اللّه،

المجلّد الأوّل،

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم ٭

يقول العبد الفقير، الذليل المضطرّ الحقير" من هو من صالح العمل a) عرى، احمد ابن محمد الشهير بالمَقّرى، المغربى المالكى الأَشْعَرى" اصلح الله حاله، وجعل فى مرضاته حلّه وترحاله، ومحا بغيث الطاعة والرضوان امْحاله، وانجح ببلوغ آماله انتحاءه وانتحاله" احمد مَنْ عرّف من حُلَى الامصار وعُلَى الاعيان، على تداوُل الاعصار وتطاوُل الاحيان، ما فيه ذكرى لأُولى الابصار وارْشاد الى معرفة الدَيّان" واعتبار باخبار راعَ وصفُها او راقَ ٭ وشرّف مَنْ صرف المطامحَ والمطامع، الى تفصيل ما افاد لسانُ الدين من كَلِم جوامع، وتحصيل الذى اجاد من حِكَم بوالغَ سُحُبُ بلاغتها هوامع، واقتناء ذخائر المهتدين التى تشنّفتْ بدُرَرها اللوامع، الآذانُ والمسامع" من كلّ منحطّ عن رتبة البراعة او راقٍ ٭ حتى توّج الخطيبُ المجيد رؤسَ المنابر بفرائد الكلام، وحلّى الكاتبُ الاديب المجيد صدورَ المزابر من فوائد الاعلام، وكحل الحكيمُ الطبيب الاريب المُفيد من اثمد المحابر بمراود الاقلام" عيونَ اوراقٍ ٭

واشهد ان لا اله الا الله وحده الذى ابتدأ الخلقَ من غير مثال وبَرَا، وقسم العباد. الى حاضر وباد. وظاهر وخامل. وقاصر وكامل. تُشير اليه بالانامل. ايدى الكُبَرا، وأبْدَى فى اختلاف ذواتهم وأعْراضهم. وتباين ادواتهم وأغْراضهم. وتغايُر السنتهم. وامكنتهم وازمنتهم. والوانهم. واكوانهم. ومناصبهم. ومناسبهم. عبرا، وجعل الدنيا لمن أُتيح صغرًا او كبَرا، او لبس منهم مُسوحا او حبَرا، او اخلد الى الارض او صعد منبرا، جسْرًا الى الآخرة ومَعْبَرا، وحكم وهو الفاعلُ المختارَ على الجميع بالموت فكان لمبتداهم خَبَرا" فيا له من داءٍ أعْيَا كلّ مُعالجٍ او راقٍ ٭ فسبحانه من اله انفرد بوجوب القِدَم والبقا. واختصّ بفضله من شاء فارتقى. وعمّ تعّ ذوى السعادة والشقا. بالحدوث والفَنا، واذاق من فراق الدنيا. كلّ من فيها بلا ثُنْيا. فمن وفّق فنفى عن جفنه وَسَنا. او خذل فجرّ فى ميدان الاغترار رَسَنا. وزيّن له عياذًا بالله سوءُ عمله فرآه حَسَنا b). طعم شَعُوبَ المرّ الجَنَى، فلم يُغْنِ منه عن ذوى الغِنَى والغَنا. واهل السَنَى

a) La. O. الاعمال. b) Voyez le *Korân*, sour. 35, vs. 9.

والسَنا · من استظهروا به من ارباب الصوارم والقَنَا ، واصحابِ النظم والنثر · والجِدال والفخر · والمدح والثنا ؛؛ فاولئك القوا السلاحَ مُذْعِنين · مستبصرين موقِنين · اذ جاء الحقُّ وزهق الباطلُ وولّى الامترا ، وهؤلاء تركوا الاصطلاح مُعْلِنين · عالمين انهم لم يكونوا فى التمويه مُحْسنين · وكيف لا وقد اضمحلَّ الغرورُ والاجترا ، وذهب والله الزُورُ والافترا ، وبُدّل مذقُ الاطْرا ؛؛ بصَدق الاطْراق ؛؛ واشكره جلَّ وعلا على ان علّم بالقلم ، ما لم نعلم ، ونبّه بـآثـاره · الدالّة علىٰ اقتداره · الى سلوك الطريق الأَقْوَم ، الواضح المُعْلَم ، وارشد مَنْ اشرق فكرُه وأَضا · الى التفويض لاحكام القضا · ومَنْ ذا يردّ ما أَمْضَى · او ينقض ما أَبْرَم ، والتسليم على كل حال أَسْلَمُ ، وامر جلّ اسمُه بالتدبّر فى انباء من مضى · والنظرِ فى عواقب احوال الذين زال امرُهم وانقضى · من صنوف الأُمَم ، وبّخ من دجا قلبُه بالاعْراض عن ذلك وأَظْلَم ؛؛ وشتّانَ ما بين اللاهى والمتذكّر ، والساهى والمتفكّر ؛؛ والناجى والهالك المتحيّر ، والداجى الحالك والمُشْرِق النيّر ؛؛ وما يستوى الظلُّ والحرور ، والحزنُ والسرور ، والظلماتُ والنور ؛؛ ذو البهجة والاشْراق ؛؛ واصلى ازكى الصلاة والسلام · هديّةً لحضرة سيّد الانام · ولَبِنة[a] التمام · مَنْ زُوِيَتْ له من الارض المغاربُ والمشارق ، وتمّ به نظامُ انبياء الله ورُسُله العظام · وازاح نورُه الضلالَ والظلام · حتى اضاءتْ بوسمه المساجدُ وازدانتْ باسمه المَهارق ، والقى الموفّقُ الموافق لدعوته بيَدِ الاستسلام · وذلك شانُ ذوى العقول الراجحة والاحلام · غيرَ خائفٍ من عتب ولا مترقّب لمَلام · فامن من الطوارئ والطوارق ، وتمّتْ كلمةُ الاسلام · الذى اتّضح برهانُه لذى بصر وبصيرة لا يحتاج الى زيادة اعلام · وعَلَتْ سيوفُ توحيد الملك العَلّام · من المُعاند المُفارِق المَفارقَ ؛؛ وخضبتْها بحِنّاء النجيع الرَقْراق ؛؛ النبىّ الأُمّىّ الامين · الداعى جميعَ العالَمين · الى سلوك منهاج · ما له من هاجٍ · ذى اضواء شوارق ، سيّد الرُسْل الغُرّ الميامين · ملجأ الامّة جعلنا الله ممّن نجا بالملجأ اليه آمين · الذى أُنزل عليه القرآن · هُدًى للناس وبيّناتٍ من الهُدَى والفرقان[b] · وانشقّ له الزبرقان · ونبع الماء من بين اصابعه زيادةً فى الايقان · وسلّمتْ عليه الاحجار · وانقادتْ لامره الاشجار · متفيّئةً ظلالَه الشريفة وخطّتْ فى الأرض اسطرًا مُبْدَعةَ الاتْقان · الى غير ذلك من معجزاته الخوارق ، فهو صاحب الدعوة الجامعة · والبراهين اللأمعة · والادلّة التى سَقَت الشجرةَ

---

a) Ce mot me paraît altéré; la voyelle se trouve dans le man. S. Le man. O. porte ولنبة, La. ولبنة sans points diacritiques. b) Voyez le *Korān*, s. 2, vs. 181.

الطيّبة غيوثُها النافعة · الصيّبةُ الهامية الهامعة · الصادقة البوارق ، فأثْمَرت النجاةَ والفوز والفلاح واورقتْ بالهدى احسنَ ايراق ،، أَسْنَى رسولٍ بُعث الى الارض واعظمهم جلالةً ، واكثرهم تابعًا فى الطول منهاً والعوض ولِمَ لا وقد ظهر به الحقُّ لمن أمَّه مسترشدًا وجَلَا له ، وأَسْمَى من جاء بتبيين السنّة والفرض واعمُّهم دلالةً ، مُنْقِذ البرايا فى الدنيا ويوم العَرْض الآخذُ بحجزهم عن النار والضلالة ، الداعى الى تقديم الخير وحسن القرض الحريصُ على هداية الخلق · المبلغ لهم احكامَ الحقّ · من غير ضجرٍ ولا ملالة ، ذو الفضل العظيم الذى لم يختلف فيه من اهل العقول اثنان · والمجد الصميم الثابت الاصول الباسق الافنان · المنتقى من مَحْتِد مَعَدّ بن عَدْنان · المنتخَب من خير عنصر واطهرِ سُلالة ،، شفيعنا وملاذنا ، وعِصْمتنا ومعاذنا ،، وثمالُنا ، الذى نجحتْ به آمالُنا ، وزَكَتْ اقوالُنا واعمالُنا ،، ووسيلتنا الكُبْرَى ، وعُمْدتنا العظمى فى الأُولَى والأُخْرَى ، وكنزنا الذى اعددناه لازاحة الغموم[a] ذُخْرا ،، وغيثنا ، وغوثنا ،، وسيّدنا ونبيّنا ومولانا محمد الطيّب المنابتٍ والأَعْراق ،، صلّى الله وسلّم عليه · ووجَّه وفود التعظيم اليه · من مفرد فى جماله صار لجميع الانبياء تماما ، وفَذّ فى كماله تقدَّم فى حضرة التقديس · التى أُسّستْ على التشريف اعظمَ تاسيس · بالمُرْسَلين اماما ، وصَدْرٍ تحلَّى بجميل[b] الاوصاف · كالوفاء والعفاف · والصدق والانْصاف · فزكا فى اعماله · وبلّغ الراجِىَ منتهَى آماله · ولم يُخْلِف وعدًا ولم يُخْفِر ذماماً ، وسيّدٍ كُسِىَ حُلَلَ العصمة · من كل مُخالَفة وذنب ووصمة · فلم يصرف لغير طاعة مولاه · الذى أَوْلاه من التفضيل ما اولاه · اهتبالًا واهتماما ،، وعلى آله وعترته ، الفائزين بأُثْرته ، انصار الدين · والمهاجرين المهتدين · واشياعه وذرّيّته الطالعين نجومًا فى سماء شهرته ، وأَتْباعهم القائمين بحقوق نصرته ،، اربـاب العقل الرصين ، الفاتحين بسيوف دعوته ابوابَ العقل الحصين ، حتى بلغتْ احكامُ ملّته · واعلامُ بعثته · مَنْ بالاندلس والصِين ،، فضلًا عن الشام والعراق ،، ورضى الله عن علماء امّته المصنّفين فى جميع الفنون ، وعظماء سنّته الموفين للطُلّاب بالآراب والمحقّقين لهم الظنونَ ، وحكماء شرعته المتبصّرين بحدوث مَنْ مرّتْ عليه الايامُ والشهور · وكرّتْ عليه الآناء والدهور · والاعوامُ والسِنونَ ، المتدبّرين فى عواقب من كان بهذه البسيطة من السُكّان · المتذكّرين على قدر الامْكان · بمن طحنتْه رَحَى

---

a) La. O. الهموم. b) S. La. O. بجميع.

انمَنُون»» من املاك العصور الخالية، ومُلّاك القصور العالية، وذوى الاحوال التى هى بسلوك الاختلاف حالية»» من بصير وأَعْمَى، وفقير وذى نُعْمَى»» ومختال تردَّى بكبريائه، ومحتال على ما بايدى الناس بسُمْعته وريائه»» وعاقل احسَنَ العمل، وغافل افتتن بالامل»» وكارع فى حياض الشريعة، وراتع برياض الآداب المريعة، وذى ورع سدَّ عمّا رابَه الذريعةَ، واخى طمع فى ان يُدْرِك آرابه من الدنيا الوشيكة الزوال السريعة»» ومقتبس من نبراس الرواية، وملتبس بادناس الغواية»» وشاعر هامَ فى كل وادٍ، وقال ما لم يفعل فكان للغاوين من الرُّوّاد»» وجاهل عمَّر الخراب، وخُدع بالسراب، عن اعذب الشراب، ومحقّق علم انه اذا جاءَ القَدَرُ. عَمِىَ البصرُ. ممّن كان احذَرَ من غُراب، وموفّق تيقّن ان غير الله فانٍ وكلّ الذى فوق التراب تراب»» ومن متخلّق متجرّد تصوَّف، ومتعلّق متفرّد تشوّق الى ما فيه رِضَى الربّ وتشوَّف، وناهٍ ذكَّر بايام الله ووعظ وخوَّف، ولاهٍ اغترَّ بالباطل. فهو بالحقّ مُماطل. وطالَما اخَّره وسوَّف، وابعَدَ الانتجاع. ثم اوى من باطنه الى بيتٍ قعيدتُه لَكَاعِ. نفسٌ أَمّارةٌ بعد ما طوَّف[a]»» ومن مادحٍ نظم الآلاءَ نظمَ اللآل، وكادحٍ طمس لالاءَ العزّ بظلمة ذلّ السُؤال، فجعل القصائد. مصايد. والرسائل. وسائل. والمقطَّعاتِ. مرقَّعاتٍ. فآل امرُه الى ما آل»» ومن مُخْبِر بما سمع ورأَى، حين اغترب عن مكانه ونأَى، او اقام فى اوطانه فبلغ ما قدر ووأَى»» ومن مجازف لا يفرق بين الغثّ والسمين والإمْرار والاحْلا، وعارف ثقة امين. نظم دُرَّ الصدق الثمين. فى أَسْلاك الكتابة والإمْلا»» وعاشقٍ خَنْساءُ فكره ذاتُ الصِدار من الشجون والشِعار، تبكى على صَخْرِ قلبٍ المحبوب. وتذكره كلّما طلعتْ شمس او كان للصَبَا هبوب. فتاتى بما يُطْفِئُ وقود الجوى المشبوب. من بحار الأَشْعار، ولَيْلَى شوقِه العقيفة عن العار، ترفل فى ثوب من التصبُّر مُعار، وقَيْسُ توقه من ثوب السُلوّ عارٍ»» قد تولّه واشتاق خصوصًا عند انتشاق[b] البشام والعرار، وقلق لما ارق فلم يقرّ به قرار، فاعتراه. ما براه. وأَلِفَ البكاءَ بحكم الاضطرار، ولبس ثيابَ النحول والاصفرار، وأُسر لما هُزمتْ جيوشُ صبره وازمعت الفرار»» فتحيَّر بما شجاه. وسأل النجاة. من اسر الفراق»»

---

a) Allusion au vers du poète satirique *al-Ḫotaiyah* الحُطَيْئة :

اطوّف ما اطوّف ثم آوِى   الى بيتٍ قعيدتُه لَكَاعِ

Voyez *l'Alfiyyah* d'Ibn Mālik, édit. Dieterici, p. ٣٨٠.   *b*) O. استنشاق.

سبحانَ مَنْ قسم الحظو ظَ فلا عتابَ ولا ملامَهْ اعشى واعمى a ثم ذو
بصر وزرقاء اليمامَهْ ومسدّد او جائر او حائر يشكو ظُلامَهْ
لولا استقامةُ من هدا ه لَمَا تبيّنت العلامَهْ ومُجاور الغَرَر المُخيـ
ـف له البشارةُ بالسلامَهْ واخو الحجَى فى سائر الانفاس مرتقب حمامَهْ
وكما مضى مَنْ قبله يمضى ولم يَقْضِ التزامَهْ والجاهل المغترّ من
لم يجعل التقوى اغتنامَهْ فَلْيرفض العصيانَ من يخشى من الله انتقامَهْ
وَلْيعتبرْ بسواه من لصلاحه صرف اهتمامَهْ فالعيش فى الدنيا الدنـ
ـيّة غير مرجوّ الادامَهْ مَنْ ارضعتْه ثديَها فى سرعةٍ تُبْدى فطامَهْ
من عزّ جانبُه بها تنوى على الفور اهتضامَهْ واذا نظرتَ فأين من
منعتْه او منحتْ مرامَهْ ومَنِ الذى وهبتْه وصلا ثم لم يَخْشَ انصرامَهْ
ومن الذى مدّتْ له حبلا فلم يَخَفِ انفصامَهْ كم واحد غرّتْه اذ
سرّتْه مخفيةَ الدمامَهْ قعدتْ به من حيث لم يعلم فلم يملك قيامَهْ
اين الذين قلوبهم كانت بها ذات استهامَهْ اين الذين تفيّأُوا
ظلّ السيادة والزعامَهْ اين الملوك ذوو الريا سة والسياسة والصرامَهْ
وبنو أُميّة حين جمّع عصرهم لهم فيامَهْ وتمكّنوا ممّن يحا
ول نقضَ ما شاؤوا انبرامَهْ وتعشّقوا لما بدا لهم محيّا الارض شامَهْ
حتى تقلّص ظلّهم واراهم الدهرُ اخترامَهْ اين الخلائف من بنى
العبّاس b والبرّ القسامَهْ اين الرشيد واهله وبنوه اصحاب الشهامَهْ
ووزيره يحيى وجعفرُ ابنه الراوى احتشامَهْ والفضل مُدْنى من يقو
ل لمن يلوم على الندى مَهْ ام اين عنترة الشجا ع وذو الجدى c كعب بن مامَهْ
والزاعمون بجهلهم ان القبور صَدًى وهامَهْ والمكثرون من المجو
ن اذا شكا الفكرُ اغتمامَهْ اين الغريض ومَعْبَد او اشعبُ d وابو دُلامَهْ
اين الأُلى هاموا بسُعْدَى او بُثَيْنة او أُمامَهْ وبكوا لفرط جواهم
والليل قد ارخى ظلامَهْ وتتبّعوا آثارَ من عشقوا بنجد او تهامَهْ
وتعلّلوا والشوق يغلب بالاراكة والبشامَهْ أَضْنَى النوى قيسا فقا

---

a) La. O. اعمى واعشى. b) C'est ainsi qu'on lit dans La. Les autres man. portent بنى عباس.
c) La. O. الندى. d) Voyez le *Kitābo 'l-aghānī*, édit. Kosegarten, p. 13, 14 et 19 de la préface.

سَى لاعجًا اغرى غرامَهْ وغوى هوى غَيْلانَ مذ ابدى بمَيّته هُيامَهْ
ايـن الاكـاسـر والقَيـا صرة المجلّون القمامَهْ اين الذى الهَرمان من
بنيانه الحاكى اعتزامَهْ ام ايـن غُمْـدان وسَيْـفٌ والوفود به أَمامَهْ
ايـن الخورنق والسَّديـر ومَنْ شفى بهما أُوامَهْ ومداين الاسكندر الـ
ـلاتى لها اعلى دعامَهْ اين الحصون ومن يصو ن بها من الأَعْدا حطامَهْ
ايـن المراكب والمـوا كب والعصائب والعمامَهْ اين العساكر والدسا
كر والندامَى فى المُدامَهْ وسُقاتها المتلاعبو ن بلُبّ من اعطوه جامَهْ
من كل اهيَفَ يزدرى بالغصن ان يهززْ قوامَهْ ذى غـرّة لالاؤهـا
يمحو عن النادى ظلامَهْ فالشمس فى ازراره والبدر فى يده قُلامَهْ
يُصْمى القلوبَ اذا رمى عن قوس حاجبه سهامَهْ ويروق حسنًا ان رنا
ويفوق آرآمًا بـرامَهْ أَنّى لها ثغر حلا ذوقا لمن رام التثامَهْ
أَنّى لها وجه يشبّ بقلب مُبْصره ضرامَهْ استغفر اللهَ [a] لَلَغْـ
ـو لا يرى الشرعُ اعتيامَهْ بل اين ارباب العلو م أُولو التصدُّر والامامَهْ
وذوو[b] الوزارة والحجا بة والكتابة والعلامَهْ كأَئِمّة سكنوا بانـ
ـدلس فلم يشكوا سَآمَهْ هى جنّة الدنيا التى قد اذكرتْ دار المقامَهْ
لا سيّما غرناطة الغرّاء رائقة الوسامَهْ وهى التى دُعيتْ دمشـ
ـق وحسبُها هذا فخامَهْ لنزول اهليها بها اذ اظهر الكفرُ انهزامَهْ
وأَتَتْ جيوشُ الشام من باب نفى الفتحُ انبهامَهْ فسَلَوْا بها عن جلّق
اذ اشبهتْها فى الضخامَهْ وبدا لهم وجهُ المُنَى واراهم الثغرُ ابتسامَهْ
وتبوّؤها حضرةً تُبْرى من المُضْنَى سقامَهْ بروائها وبمائها
وهوائها النائى الوخامَهْ ورياضها المهتزّة الاعطاف من شدو الحمامَهْ
وبمرجها النضر الذى قد زيّن اللهُ ارتسامَهْ وقصورها الزُّهْر التى
يابَى بها الحسنُ انقسامَهْ يا ليت شعرى اين من امضى بها الملك احتكامَهْ
وأُتيح فى حمرائها عزًّا به زان اتّسامَهْ ايـن الوزير ابن الخطيـ
ـب بها فما أَحْلَى كلامَهْ فلكم ابان العدلَ فى ارجائها وبها اقامَهْ

---

a) Al-Makkarī a péché ici contre la mesure, car la dernière syllabe dans ٱللهَ est brève, tandis que la mesure demande une syllabe longue. *b*) G. La. وذوى , S. O. وذو.

ولكم اجار عِدًى وكم   اجرى ندى وَالَى انسجامَهْ   راعتْ صروفُ الدهر دو
لتَه وما راعتْ ذمامَهْ   حتى ثوى اثرَ النوى   فى حفرة نثرتْ نظامَهْ
مَنْ زارها فى ارض فا   سٍ اذهبتْ شجوًا منامَهْ   ان نبّهتْه لكل شمـ
ـل شتّت الموتُ التيأمَهْ   هذا لسان الدين اسـ   ـكتَه واسكنه رِجامَهْ
ومحا عبارته فمن   حيّاه لم يردُدْ سلامَهْ   فكأنّه ما امسك
القلم المُطاع ولا حسامَهْ   وكانه لم يَعْلُ متـ   ـنَ مطهّم بارَى النعامَهْ
وكانه لم يرقَ غا   ربَ الاعْتزاز ولا سنامَهْ   وكانه لم يجلُ وجـ
ـها حاز من بِشْر تمامَهْ   وكانه ما جال فى   امر ولا نهى وسامَهْ
وكانه ما نال من   ملكٍ حباه ولا احترامَهْ   وكانه لم يُلْقِ فى
يده لتدبير زمامَهْ   مذ فارَقَ الدنيا وقـ   ـوّض عن منازلها خيامَهْ
امسى بقبر مفردًا   والتُرْب قد جمعتْ عِظامَهْ   من بعد تثنية الوزا
رة جاده صوبُ الغمامَهْ   لم يبقَ الّا ذكره   كالزهر مفترّ الكمامَهْ
والعمر مثل الضيف او   كالطيف ليس له اقامَهْ   والموت حتمٌ ثم بعـ
ـد الموت اهوال القيامَهْ   والناس مجزيّون عن   اعمال ميل واستقامَهْ
فذوو السعادة يضحكو   ن وغيرهم يبكى ندامَهْ   .والله يفعل فيهم
ما شاءَ ذلًّا او كرامَهْ   ويشفع المختار فيـ   ـهم حين يبعثه مقامَهْ
وعليه خير صلاته   مع صحبه تتلو سلامَهْ   والتابعين ومن بدا
برقُ الرشاد له فشامَهْ   ما فاز بالرضوان عبـ   ـد كانت الحُسْنَى ختامَهْ

والله سبحانه المسئول فى الفوز والنجاة. كرمًا منه وحلما، فبيَدِه الخير لا اله الا هو العلىّ الكبير. العليم الخبير. الذى احاط بكل شىء علما" فلا يعزب عنه مثقالُ ذَرّة [a] من مخلوقاته على الشمول والاستغراق "، اما بعد حمد الله مالك المُلْك، والصلاة على رسوله المُنْجِى من الهُلْك، والرضى عن آله وصحبه الذين تجلّتْ بانوارهم الظُلَمُ الحُلْك، وعن العلماء الاعلام. الخائضين بحارَ الكلام. المستوين من البلاغة على الفُلْك" فيقول العبد الحقير. المذنب الذى هو الى رحمة ربّه الغنىّ فقير [b]. المقصّر المتبرّئ من الحول والقوّة. المتمسّك باذيال الخدمة للسنّة والنبوّة. وذلك بفضل الله امان

a) Cette phrase est empruntée au *Korān*, sour. 10, vs. 62. Les man. La. et O. ajoutent فى الارض ولا فى السماء après ذرة. b) G. رحمة الله فقيم, S. رحمة الغنى فقير.

وبراءة، الضعيف الفانى. الخطّاء الجانى. مَنْ هو من لباس التقوى عرى. احمد بن محمد بن احمد[a] الشهير بالمَقّرى. المغربى المالكى[b] الاشعرى. التلمْسانى المولد والمنشا والقراءة، نزيلُ فاس الباهرة. ثم مصر القاهرة. اصلح الله احوالَه الباطنة والظاهرة. وجعلهُ من ذوى الاوصاف الزاكية[c] والخلال الطاهرة. وسدّد فى كل قصد أنْحاءه وآراءه، ووفّقه بمنّه وكرمه للاعمال الصالحة. والطاعات الناجحة الراجحة. والمتاجر المغبوطة الرابحة. والمساعى الغادية بالخير الرائحة. ووقاه ما بين يديه ووراءه، وكفاه مكرَ الكائد وافتراءه، وجدالَ الحاسد المستاسد ومراءه، وجعل فيما يُرْضيه سومَه وشراءه،، آمين انه لمّا قضى الملك الذى ليس لعبيده فى احكامه تعقّب او رَدٌّ، ولا محيد عمّا شاءه سواء كره ذلك المرء او وَدَّ،، برحلتى عن بلادى، ونقلتى عن محلّ طرافى وتلادى،، بقطر المغرب الاقصى، الذى تمّتْ محاسنُه لولا ان سَماسِرةَ الفتَن سامتْ بضائعَ امنه نَقْصا، وطما به بحرُ الاهوال فاستعملتْ شُعَراء العَيْث فى كاملِ رونقه من الزحاف اضْمارًا وقَطْعا ووَقْصا،،

قطر كانّ نسيمه نفحاتُ كافور ومسك
وكانّ زهر رياضه دُرٌّ هوى من نظم سلك

وذلك[d] اواخر رمضان من عام ٢٧ بعد الالف، تاركًا المنصب والاهل والوطن والالْف،،

بلد طاب لى به الانسُ حينا وصفا العودُ فيه والابْداء
فسقتْ عهدَه العهادُ وروّتْ منه تلك النوادىَ الأنْداء

وما عسى أن اذكر فى اقليم، تعيّن لحُجّة فضله التسليم،،

اضواؤه طبقُ المُنَى وهواؤه يشتاقه الولهانُ فى الاسحارِ
والطبع معتدل فقُلْ ما شئتَه فى الظلّ والازهار والانهارِ

محلّ فتح الكمائم، ومسقط الراس وقطع التمائم،،

به كان الشباب اللّدْنُ غضّا ودهرى كلّه زمن الربيع
ففرّق بيننا زمن خؤون له شغفٌ بتفريق الجميع

لم أنْسَ تلك النواسم، التى ايامُها للعمر مواسم، وثغورها بالسرور بواسم، فصرتُ أُشير

---

a) Les mots بن احمد manquent dans La. et O. b) S. La. O. المالكى المغربى. c) La. O. الزكيّة. d) Les man. S. et La. ajoutent فى.

البها وقد زُمّتْ للرحيل القُلُص الرواسم «

ولنا بهاتيك الديار مواسم   كانت تُقام لطيبها الاسواقُ
فأبانَنا عنها الزمانُ بسرعة   وغدتْ تُعلّلنا بها الاشواقُ

وانشد قول غَيْلان

أمنزلَتَىْ مَيّ [a] سلام عليكما   هل الازمن اللاتى مَضَيْنَ رواجعُ

واتمثّل فى تلك الحدائق التى حمائمُها سواجع ، بقول مَنْ جفونُه من الهوى غير هواجع «

تشدو بعيدان الرياض حمائمٌ   شدوَ القيان عَزَفْنَ بالاعواد
مال النسيمُ بقُضْبها فتمايلتْ   مهتزّةَ الاعطاف والاجياد
هٰذى تُودّع تلك توديعَ التى   قد آذنتْ منها بوشك بعاد
واستعبرتْ لفراقها [b] عينُ الندى   فابتلّ ميزرُ عطفها الميّاد

وأُحدّق النظر الى روض ، لانسان العين من فراقه فى نهر الدموع سَبْحٌ وخوض «

روض به اشياء ليست فى سواه تؤلّف   فمن الهَزار ترنّم
ومن القضيب تقطّف   ومن النسيم تلطّف   ومن الغدير تعطّف

والتفتُ كالمستريب ، والحىُّ اذذاك قريب ، وحديث العهد ليس بمنكر ولا غريب «

أهذا ولمّا تَمْض للبين ساعةٌ   فكيف اذا [c] مرّتْ عليه شهورُ

والآثار لائحة ، والشمال غادية باذكى رائحة «

ارى آثارَهم فاذوب شوقا   واسكب من تذكّرهم دموعى
واسألُ مَنْ قضى بفراق حبّى   يمُنُّ علىّ منهم بالرجوع [d]

والنفس متعلّقة ببعض الانس ، والمشاهد الحميدة لم تُمْسَ «

تلك العهود بشدّها مختومة   عندى كما هى عقدُها لم يُحْلَل

غير ان الرحيل ، عن الربع غير المُحيل ، فُصلَ به بين الشائق والمشوق وحيلَ «

وقفنا بربع الحبّ والحبُّ راحلُ   نحاول رُجْعاه لنا ونحاولُ
والقتْ دموعُ العين فيه مسايلا   لها عن عبارات الغرام دلائلُ

---

a) Les man. portent منى. V. Mehren, *Die Rhetorik der Araber*, p. 126. b) La. O. لبعادها. c) La. O. وقد. d) Ces deux vers se trouvent, avec des variantes, dans plusieurs endroits des *Mille et une Nuits*. Voyez l'édit. de Macnaghten, tom. I, p. 112, 117, tom. IV, p. 103, 305.

وبالسفح منها كم سقيتُ لبانها ... فميّلتُه والسفح لـلـبـان مـائـلُ
اذا نسمة الاحباب منها تنسّمتْ ... تطيب بها اسحارُنا والاصائلُ
٥ تُثير شجونى ساجعاتُ غصونها ... فمنها على الحالَيْن هاجتْ بلابلُ
مرابع أُلّافى مراتع لذّتى ... مطالع اقمارى بها والمنازلُ

فحيّاها الله من منازل ذات اقمار سائرة فيها، ومنازهَ لا يحصى الواصفُ محاسنَها وامداحَ اهلها ولا يستوفيها"

حلّوا عقودَ اصطبارى عند ما رحلوا ... وفى الخمائل حلّوا مثل امطار a
انّ المنازل قد كانت منازهَ اذ ... باتوا b بها وهى اوطانى واوطارى

ورعى الله مَنْ بان، وشاق حتى الرندَ والبانَ"

بانوا لعينىَّ اقمارًا تُقلّهم ... لُدْنُ الغصون فلمّا آنسوا بانُوا
عهودهم لَسْتُ انساها وكيف وقد ... رثى لبَيْنىَ عنها الرندُ والبانُ

وفى مثل هذا الموطن تذوب القلوبُ الرِقاق، كما قال حائز قصب السبق بالاستحقاق، الاديب الاندلسى الشهير بابن الزقاق c"

وقفتُ على الربوع ولى حنينٌ ... لساكنهنّ ليس الى الربوعِ
ولو انّى حننتُ الى مغانى ... احبّاء حننتُ على ضلوعى

وكما قال بعض من له فى هذه الفجاج مَسير،

دخولك من باب الهوى انْ اردتّه ... يسيرٌ ولاكنّ الخروج d عسيرُ

واين مَنْ له صفاة لا يطمع الدهرُ القوىّ فى نَحْتها، وجنّات دنيويّة لا تجرى انهارُ الفراق من تَحْتها"

فسقى رضيعَ النبت من ذاك الحمَى ... نَحْىٌّ e تدور على الرُبَى كاساتُه
سفح سفحتُ عليه دمعى فى ثرى ... كالمسك ضاع من الفَتاة فُتاتُه

ولم أَزَلْ بعد انفصالى عن الغرب بقصد الشرق، واتّصافى اثرَ ذلك الجمع بالفرق"

احنّ اذا خلوتُ الى زمان ... تقضّى لى بأَفْنِيَة الربوعِ
واذكر طيبَ ايام تولّتْ ... لنا فتفيض من اسف دموعى

---

a) **La. O.** اقمار. *b*) **La. O.** كانوا. *c*) **S.** بابن الرقاق. *d*) **La. O.** الفراق. *e*) **Telle est la leçon du man. S.; G. porte** محىّ, **P.** مُحَيًّا, **La.** بحيا, **O.** مجرا.

واتوق وقد اتّسع من البعد الخَرْق، وخصوصًا اذا شدا صادحٌ او اومض برق» الى ديار، لا يعدوها اختيار»

وأَرْبُع احباب اذا ما ذكرتُها بكيتُ وقد يُبْكيك ما انت ذاكرُ
بطاح وادواح يروقك حسنُها بكل خليج نمنمتْه الازاهرُ
فما هو الّا فضّة فى زبرجد تساقط فيه اللولوُ المتناثرُ
بحيث الصبا والترب والماءُ والهوا عبير وكافور وراح وعاطرُ
وما جنّة الدنيا سوى ما وصفتُه وما ضمّ منه الحسنَ نجدٌ وحاجرُ
بلادى التى اهلى بها واحبّتى وقلبى وروحى a والمُنَى والخواطرُ
تُذكّرنى انجادُها ووهادُها عهودًا مضتْ لى وهى خُضْرٌ نواضرُ
اذا العيش صافٍ والزمان مساعد فلا العيش مملول ولا الدهر جائرُ
بحيث ليالينا كغصّ b شبابنا وايامُنا سلك ونحن جواهرُ
ليالى كانتْ للشبيبة دولة بها مالكُ اللذّات ناهٍ وآمرُ
سلام على تلك العهود فانّها موارد افراح تَلَتْها مصادرُ

واتذكّر تلك الايام، التى مرّتْ كالاحلام، فاتمثّل بقول بعض الاكابر الاعلام»

يا ديارَ السرور لا زال يبكى فيك ان يضحك الرياضُ غمامُ c
ربَّ عيش صحبتُه فيك غَضّ وعيونُ الفراق عنّا نيامُ
فى ليال كانّهنّ امانٍ فى زمان كانّه احلامُ
وكانّ الاوقات فيه كؤوس دائرات وأُنْسُهنّ مُدامُ
زمن مُسْعِد وإلف وَصُول ومُنًى تستلذُّها الاوهامُ

وبقول الحائك الامّى، عندما يكثر شجوى وغمّى»

لم أَنْسَ ايامًا مضتْ ولياليًا سلفتْ وعيشًا بالصريم تصرّمَا
اذ نحن لا نخشى الرقيب ولم نَخَفْ صرفَ الزمان ولا نُطيع اللُّوَّمَا
والعيش غضٌّ والحواسد نُوَّم عنّا وعينُ البين قد كحلتْ عَمَى
فى روضة ابدتْ ثغورُ زهورها لمّا بكى فيها الغمامُ تبسّمَا

---

a) La. O. وقلبى وروحى. b) C'est ainsi qu'on lit dans le man. La.; G. et P. portent كبعض , S. et O. لبعض. c) La. O. الغمام.

مدّ الربيعُ على الخمائل نَوْره ... فيها فاصبح كالخيام مخيَّما
تبدو الاقاحى مثل ثغر اشنب ... اضحى المحبُّ به كئيبا مُغْرَما
وعيون نرجسها كأَعْيُن غادة ... ترنو فترمى باللواحظ أَسْهُما
وكذلك المنثورُ منثور بها ... لمّا رأى وردَ الغصون منظَّما
والطير تصدح فى فروع فنونها ... سحرًا فتوقظ بالهديل النُّوَّما

وامِيل، الى بلاد محيّاها جميل»

كساها الحَيَا بُرْدَ الشباب فانّها ... بلاد بها عقّ الشبابُ تمائمى
ذكرتُ بها عهد الصبى فكانّما ... قدحتُ بنار الشوق بين الحيازم
ليالِىَ لا أَلْوِى على رُشْد ناصحٍ ... عنانى ولا أَثْنيه عن غىّ لائم
انال سُهادى من عيون نواعس ... واجنى مُرادى من غصون نواعم
وليل لنا بالسُّدّ بين معاطف ... من النهر تنساب انسيابَ الاراقم
تمُّ البينا ثم عنّا كانّها ... حواسد تمشى بيننا بالنمائم
وبتْنا ولا واشٍ نخاف كانّما ... حللنا مكانَ السرّ من صدر كاتم

واعفو الى قصور ذات بهجَةْ، وصروح تُوضِح معالمُها للرائد نَهْجَةْ»

ورياض تختال منها غصون ... فى برود من زهرها وعقود
فكانّ الادواح فيها غوانٍ ... تتبارَى زهوًا بحسن القدود
وكان الاطيار فيها قِيان ... تتغنّى فى كل عُود بعُود
وكان الانهار فى حومة الرو ... ض سيوف تُسَلّ تحت بنود

واصبو الى بطاح وادواح، تُروِّح النفوسَ والارواح»

سقيا لها من بطاح خَزٍّ ... ودوح زهر بها مُطِلّ
اذ لا ترى غير وجه شمس ... اطلّ فيه عذارُ ظِلّ

وانهارٍ جارية، وازهار نواسمُها سارية» وأَرْبُع وملاعب، تُزيح عن مُبْصِرها المتاعب»

تلك المنازل والملا ... عب لا اراها الله مَحْلَا
اوطنتُها زمنَ الصبا ... وجعلتُ فيها لى محلّا
حيث التفتُّ رأيت ما ... ءً سائحا ورأيت ظلّا
والنهر يفصل بين زهـ ... ـر الروض فى الشطّين فصلا
كبساط وشى جرّدتْ ... ايدى القيون عليه نصلا

والى منازل، يستقرّ حسنُها الرائق الجادّ والهازل، ويشفى منظرُها عليلا، ويكفى مخبرُها للمستفهم دليلا»

وجنان الفتُها حين غنّتْ   حولها الوُرْق بكرةً واصيلا
نهرها مسرعًا جرى وتمشّتْ   فى رُباها الصبا قليلا قليلا

واتمثّل ان ذكرتُ حال وداعى، بقول الشاعر الاديب الوَدّاعى»

الغرب خير وعند ساكنه   امانةٌ اوجبتْ تقدُّمَهُ
فالشرق من نيّرَيْه عندهم   يُودِع ديناره ودرهمَهُ

وبقول غيره، اشارةً لفضل الغرب وخيره»

أَشْتاق للغرب واصبو الى   معاهد فيه وعصر الصبا
يا صاحبَىْ نجواىَ والليل قد   ارخى جلابيب الدُجَى واختبى
لا تعجبا من ناظر ساهر   بات يُراعى انجما غُيَّبا
القلب فى آثارها طائر   لمّا رآها تقصد المغربا

واهيم كلّما حللتُ من غير ارضى بمكان، وقد صيّر السائقُ جدَّ السير معمولاً لمَا انْفَكّ كما جعله خَبَرًا لكَانَ، بقول قاضى القُضاة العالم الكبير الشمس ابن خلّكان»

اىُّ ليل على المحبّ اطالَهْ   سائقُ الظُعْن يومَ زمَّ جمالَهْ
يزجر العيسَ طاويًا يقطع المَهْـ   ـمَهَ عسفًا سهولَه ورمالَهْ
ايُّها السائقُ المُجدّ ترفّقْ   بالمطايا فقد سَئمْنَ الرِحالَهْ
وأَنِخْها هُنَيْهَةً a وأَرِحْها   اذ براها السُرَى وفرطُ الكلالَهْ
لا تُطلْ سيرَها العنيف فقد بـ   ـرّح بالصَبّ فى سُراها الاطالَهْ
وأَرْثِ للنازح الذى انْ رأَى ربـ   ـعا ثوى فيه نادبا أَطْلالَهْ
يسأَل الربعَ عن ظباءٍ المصلّى   ما على الربع لو اجاب سؤالَهْ
ومُحالٌ من المُحيل جواب   غير ان الوقوف فيه عُلالَهْ
هذه سنّة المحبّين يبكو   ن على كل منزل لا مَحالَهْ
يا ديارَ الاحباب لا زالت الاعـ   ـيُنُ فى ترب ساحتيك مُذالَهْ
وتمشّى النسيم وهو عليل   فى مغانيك ساحبا اذيالَهْ

a) O. هنيهة.

اين عيش مضى لنا فيك ما اسـرع عنّا ذهابه وزواله
حيث وجه الزمان a طلْق نضير والتدانى غصونه ميّاله
ولنا فيك طيبُ اوقات أُنْس ليتنا فى المنام نلقى مثاله

واردّد قوله الذى سحر الالباب، مناديا من له من الاحباب«

احبابَنا لو لقيتم فى اقامتكم من الصبابة ما لاقيتُ فى الظَعَنِ
لاصبح البحرُ من انفاسكم يبسا والبرُّ من ادمعى ينشقُّ بالسُّفُنِ

وقوله وما تغيّرتُ عن ذاك الوداد ولا حالتْ بىَ الحالُ فى عهدى وميثاقى
دَرْسى غرامى بكم دهرى اكرّره وقد تفقّهتُ فى وجدى واشواقى

وقول الماجد بن شمس الخلافة، معلمًا انه لا يريد بدل معهده وخلافه«

يا زمانَ الهوى عليك سلامُ وعلىَّ السُلوُّ عنك حرامُ
اىُّ عيش قطعتُه فيك لو ذا م وهل يُرتجى لظلّ دوامُ
كنتَ حلما والعيش فيك خيالا وسريعا ما تنقضى الاحلامُ
لهفَ نفسى على ليالٍ تقضّتْ سلبتْنى برودَها الايامُ
٥ فطمتْنى الاقدارُ عنها وليدًا وشديد على الوليد الفطامُ
لا تَلُمْنى على البكاء عليها مَنْ بكى شجوَه فليس يُلامُ

وقول ابى طاهر الخطيب الموصلى

حَيِّ نَجْدًا عنّى ومن حلَّ نجدًا أَرْبُعًا هجْنَ لى غراما ووجدًا
وأَقْرِ عنّى السلامَ آرآمَ ذاك الشعب والاجرع الخصيب المُفَدّا b
وأَبْكِ عنّى حتى تُرَنِّح بالوجـد اراكا به وبانا ورندا
فلكم وقفة ظللتُ c على الضا ل بدمع اذاع سرّى وأَبْدَى
٥ وعلى البان كم من البين اذريـتُ لآلى للدمع مَثْنًى ووحدا
آه وا لهفتى على طيب عيش كنتُ قطّعتُه وصالا ووُدّا
حيث عُود الشباب غضٌّ نضير ويد المكرمات بالجود تَنْدَى
والخليل الوَدُود ينعم اسْعا فا وصرف الزمان يزداد بُعْدًا
والليالى مساعدات على الوصـل وعين الرقيب اذذاك رَمْدا

a) La. O. الشباب. b) G. S. et P. portent الفردا. c) G. O. P. ظللت, La. اطلت.

كم بها من لبانة لى واوطا ... رٍ تقضّتْ وجازت الحدَّ جدّا[a]
فاستعاد الزمانُ ما كان اعطى ... خلسةً لى ببخله واستردّا

وقول بعضهم

سلام على تلك المعاهد انّها ... شريعة وِرْدى او مهبُّ شمالى
ليالىَ لم نحذر حزونَ قطيعة ... ولم نَمْش الّا فى سهول وصال
فقد صرتُ أَرْضَى من نواحى جنابها ... بخُلَّب برق او بطيف خيال

وقول الجُرْجانى

للمحبّين من حذار الفراق ... عبراتٌ تجول بين المآقى
فاذا ما استقلّت العيسُ للبيـ ... ـن وسارتْ حُداتُها بالرفاق
استهلّتْ على الخدود انحدارا ... كانحدار الجُمان فى الاتّساق
كم محبّ يرى التجلُّد دينا ... فهو يخفى من الهوى ما يُلاقى
ازدهاه النوى فأعرب بالوجـ ... ـد لسانٌ عن دمعه المُهَراق
وانحدار الدموع فى موقف البيـ ... ـن على الخدّ آيةُ العُشّاق
هَوِّنِ الخطبَ لستَ اولَ صبّ ... فضحتْه الدموعُ يومَ الفراق

وقول الخطيب الحَصْكَفى الشافعى

ساروا واكبادنا جَرْحَى واعيُنُنا ... قَرْحَى وانفسنا سَكْرَى من القلق
تشكو بواطنُنا من بعدهم حرقا ... لكن ظواهرنا تشكو من الغرق
كانّهم فوق اكوار المطىّ وقد ... سارتْ مقطّرةً فى حالك الغسق
دراريُّ الزُهْر فى الابراج زاهرة ... تسير فى الفلك الجارى على نسق
يا مُوحِشى الدار مذ بانوا كما انستْ ... بقربهم لا خَلَتْ من صيّبٍ غدق
انْ غبْتُمُ لم تغيبوا عن ضمائرنا ... وان حضرتم حملناكم على الحدق

وما احسن قولَ بعضهم فى هذا المعنى، الذى كرّرْنا ذكره وبه أَمْعنا،،

سلام على اهل الوداد وعهدهم ... اذ الانس روض والسرور فنونُ
رحلنا فشرّقْنا وراحوا فغرّبوا ... ففاضتْ لروعات الفراق عيونُ

وكم انشدتُّ وليالى النوى عاتمة، قول الاندلسى ابن خاتمة،،

---

a) Les manuscrits portent حدا.

ايامنا بالحمى ما كان احلاك   كم بتّ ارعاه اجلالًا وارعاك
لا تنكرى وقفتى ذلًّا بمغناك   يا دارُ لولا احبّاءى ولولاك
لَمَا وقفتُ وقوفَ الهائم الباكى
فهل لهم عطفة من بعد دلّهم   تالله ما تسمح الدنيا بمثلهم
آهًا لقلبى على تبديد شملهم   ما كان احلاك يا ايامَ وصلهم
ويا ليالى الرضى ما كان أضواك
يا بدرَ تمّ تناءتْ عنه أربُعنا   ولم تزلْ تحتويه الدهرَ اضلعُنا
ما للنوى بضروب البين يوجعُنا   اذا تذكّرتُ دهرا كان يجمعُنا
تفطّرتْ كبدى شوقا لمرآك
احبابَ انفسنا كم ذا النوى وكم   ويا معاهدَ نجوانا بذى سَلَم
تالله ما شُبْتُ دمعا للاسى بدم   ولا لثمتُ تراب الارض من كرم
الّا مُراعاةَ خلّ ظلّ يرعاك
عَلّ التعلّلَ يُدْنى منهم وعَسَى   فيعمر القربُ ما بالبين قد درسا
كم ذا انادى بربع بالنوى طمسا   يا قلبُ صبرًا فانّ الصبر عاد اسَى
ويا منازل سَلْمَى اين سلماك

وقول بعض من اشتدّ به الهُيام، فخاطب جيرتَه مادحا ليالى القرب وذامًّا تقلّب الايام،،

ايام انسىَ قد كانتْ بقربكم   بيضًا فحين نأيتم اصبحتْ سُودَا
ذممتُ عيشىَ مذ فارقتُ ارضكم   من بعد ما كان مغبوطا ومحسودَا

وقول صاحب مصارع العُشّاق، وقد شاقه فى الهوى ما شاق [a]،،

بانوا فادمع مقلتى   وجدًا عليهم تستهلّ   وحدَا بهم حادى الفرا
ق عن المنازل فاستقلّوا   قُلْ للذين ترحّلوا   عن ناظرى والقلب حُلّوا
ما ضرّهم لو انهلوا   من ماء وصلهم وعلّوا

وقوله حين زحزحتْه يد الفراق، عن اوطان العراق،،

قد قلتُ والعبرات تسفحها على الخدّ المآقى   حين انحدرتُ الى الجزيـ
ـرة وانقطعتُ عن العراق   وتخبّطتْ ايدى الرفا   ق مهامه البيد الرقاق

a) Ces vers se trouvent aussi chez *Ibn-Khallikān*; voyez l'édit. de Wüstenfeld, n°. 134.

يا بوس مَنْ سلَّ الزمـا نُ عليه سيفا للفراقِ

وقوله ايضا يا منزل الحيّ بذات النقا سقاك دمع مذ نـأَوا ما رَقا
هـل سلوةٌ هيهات لا سلوة قد بلغ السيلُ الزُبَى a وارتقى
وانت يا يومَ النوى عاجلا اقالة منك الله يومَ اللقا

وقولى موطّيًا للثالث، وقد تغيّر لى فيمن تغيّر حادث،،

لم أنْسَ معهدنا والشملُ مجتمع والعيش غضٌّ وروض الانس معْطارُ
فها انا بعد بُعْد عنه فى قلق وقد نَبَتْ بى ارجاء واقطارُ
تمضى الليالى واشواقى مجدّدة وما انقضتْ لى من الاحباب اوطارُ

وكلّما مررتُ بمرأًى يروق، لمعتْ لى من ناحية المغنى بالمنى بروق، فتذكّرتُ قول بعض من له على غير من يهوى طروق،،

ما نظرتْ عينى سواك منظرا مستحسَنا الّا عرضتَ دونَهُ
وما تمنّيتُ لقاء غائب الّا سألتُ الله ان تكونَهُ

وربّما رُمْتُ انتحاءى مذهبَ السلوّ وانتحالى، خلالَ احوال اقامتى وارتحالى، فلم ينتقل عن تلك الصفات حالى، وأنّى وجيدى بقلائد الثبات حالى،،

والشوق اعظم ان يُحيط بوصفه قلمٌ وان يطوى عليه كتابُ
والله ما انا مُنْصف انْ كان لى عيش يطيب وجيرتى غيابُ

وكيف ولآماقى صبٌّ، ولأَتْواقى c زيادة اذا سرى النسيم او هبّ،،

شربتُ حميّا البين صرْفًا وطالما جلوتُ محيّا الوصل وهو وسيمُ
فميعادُ دمعى أن تنوح حمامةٌ وميقاتُ شوقى ان يهبّ نسيمُ

فان لاح سنا بارقٍ شاقَنى، او ترنّم شادٍ حدا بى الى الهُيام وساقَنى، او رنا ظبىٌ فلاة راعَنى وراقَنى،،

وانّى لَيُصْبِينى سنا كل بارق وكل حمام فى الاراك ينوحُ
وأَرْتاع من ظبى الفلاة اذا رنا وارتاح للتذكار وهو سَنوحُ
ولم يك ذاك الامر من حيث ذاته ولكن لمعنًى فى الحبيب يلوحُ

ولا استطيع الاعْرابَ عن امرى العجيب، لما بى من النوى المذهل والجوى المدهش

---

a) Les manuscrits portent الربى. b) S. La. O. ازال, P. اذال. c) La. O. ولاشواقى.

والوجيب،،

ولا تسألوا عمّا أُجنّ فليس لى — لسان يؤدّى ما الغرام يقولُ
يطارحنى البرقُ الاحاديثَ كلّما — اضاء كانّ البرق منه رسولُ
وما بالُ خَفّاق النسيم يُميلنى — هل الريح راحٌ والشمال شَمولُ

ان دموع شُؤونى عند الذكرى لا تَرْقا، وجفونى ليس لها عن الارق مَرْقى، وشجونى تنمو ان صدحتْ بفَنَنها وَرْقا،،

ربَّ ورقاء فى الدياجى تُنادى — إلْفَها فى غصونها الميّادَهْ
فتُثير الهوى بلحن عجيب — يشهد السمعُ انّها عوّادَهْ
كلّما رجّعتْ توجّعتُ حزنا — فكانّا فى وجدنا نَتَبادَهْ

فيا لها من ذات طوق، مُثيرة لكامن شوق، جالبة له من يمين وشمال وفوق،،

ذكّرتْنى الورقاء ايامَ انس — سالفات فبتُّ أُذْرِى a الدموعا
ووصلتُ السُهاد شوقا لحِبّى — وغراما وقد هجرتُ الهجوعا
كيف يخلو قلبى من الذكر يوما — وعلى حبّهم حنيتُ الضلوعا
كلّما أُولِعَ العَذولُ بعَتْبى — فى هواهم يزداد قلبى وَلوعا

وربّما اتخيّل قولَ من قال انها بالحزن باكية، وعلى فقد الالْف نائحة، فانشد قول خليل، وهو بالحبّ مدنف عليل،،

وربَّ حمامة فى الدوح باتتْ — تُجيد النوح فنّا بعد فنّ
أُقاسمها الهوى مَهْمى اجتمعنا — فمنها النوح والعبرات منّى

ولا غروَ ان ظهر سرٌّ بائح، فباكٍ مثلى من الشجو نائح،،

فرجعتُ بعد فراق ايام الهوى — أَصِفُ الصبابة للمحبّ المُولَعِ
دامى الجفون اذا الحمامة غرّدتْ — من فوق خُوط البانة المترعرعِ
اسقى الديار وقد تباعد اهلُها — عنها عزالىَّ الدموع الهُمّعِ
ونواعب الاطلال ليس يُجيبنى — ما بينهنّ سوى الصدى بتوجُّعِ
5 وهواتف فوق الغصون يجيبنى — منهنّ تغريد الحمام السُجّعِ
ناحتْ على عَذَب الفروع وإلْفُها — منها بمرأًى فوقها وبمسمعِ

a) G. S. اجرى.

ما فارقتْ الفا كما فارقتُه كَلّا ولا أَجْرَتْ سواكبَ ادمعِ

على اوان، عيونُ سعوده رَوانٍ، وزمان، معمور بامانى وامان، وآمال دوانٍ، وتهانئَ ما بين بكر وعوان،، وفى عذر مَنْ طال ليله فاضطرب فيه لَولوعه، وسكن جواه بجوانحه وضلوعه،،

ان طال ليلى بعدهم فلطوله عذرٌ وذاك لما أُقاسى منهمُ
لم تَسْرِ فيه نجومُه لكنّها وقفتْ لتسمع ما أُحدّث عنهمُ

فأَرقى، الزائد فى حرقى،، اظهر المكنونَ وابان، ووجدى بمن نأَى وبان، لم يُجْدِ فيه تعلّل برند وبان،،

تنبّهى يا عذباتِ الرندِ كم ذا الكرى هبَّ نسيمُ نجدِ
فَلَسْتِ مثلى فى جوى او ارق[a] وحرقة من فرقة او صَدِّ
عوفيتِ ممّا حلَّ بى من جيرة فى الغرب لم يرثوا لفرط وجدى
أُعلّل القلبَ ببان عنهم وهل ينوب غُصُنٌ عن قَدِّ
بانوا فلا مغنى السرور بعدهم مغنى ولا عهد الرضى بعهدِ
آهًا من البُعْد ومن لم يَدْرِهِ لم يُشْجِه تأَوُّهى للبُعْدِ

وفى شغل من ابكتْه الربوعُ والطلول، وذهبتْ برعةٌ من زمانه بين الترحّل والحلول، فركب من الاخطار الصعبَ والذَّلول، وحافَظَ على العهود ولم يسلك سبيلَ الغادر المَلول،،

سقاها الحَيا من أَرْبُعٍ وطلولِ حكتْ دنفى من بعدهم ونحولى
ضمنتُ لها اجفانَ عين قريحة من الدمع مِدْرارِ الشُؤون هَمولِ

ومن الغريب، الذى ينكره غيرُ الاريب،، ان الحادى انْ سرَّ القلبَ بكشف رَيْن، فقد تسبّب فى اجتماع امرَيْن، متنافيَيْن متنافرَيْن،،

ترنّم حادٍ بالصريم فشاقنى الى ذكر من باتتْ ضلوعى تضمُّهُ
فسرَّ وساءَ النفسَ شجوا فربّما كلفتُ به من حيث صرتُ اذمُّهُ

وارتحلتُ حين مللتُ من طول السُرَى، مضمّنًا ذكرَ ما اروم له تيسّرا، وقد اكثر الرفاقُ، عند روية ما لم يالفوه من الآفاق، تلهُّفا وتحسُّرا،،

a) G. S. P. اوراق.

قلتُ لمّا طال النوى عن بلادى   ولاهل الهوى [a] جوًى وعويلُ
هل ارى للفراق آخرَ عهد   انّ عمر الفراق عمرٌ طويلُ

ثم قلتُ مضمّنًا

لائمى فى ذكر احباب نأوا   لا تَلُمْ مَنْ اضعف الشوقُ قُواهْ
انّ يوما جامعا شملى بهم   ذاك عيدى ليس لى عيدٌ سواهْ

ثم قلتُ مضمّنا ايضا

لك الله من صَبٍّ اضرَّ به النوى   وليس له غير اللقاء طبيبُ
وانّ صباحا نلتقى بمسائه   صباحٌ الى قلبى المشوق حبيبُ

ثم عُدتُّ الى التصبُّر، بعد امْعان النظر والتدبُّر،،

وانّى لَأَدْرِى انّ فى الصبر راحةً   ولكنّ انْفاقى على الصبر من عمرى
فلا تُطْفِ نار الشوق بالشوق طالبًا   سلوًّا فانّ الجمر يُسْعَر بالجمرِ

ثم سلكتُ نهجَ التفويض والتسليم، منشدًا قول ابن قُطْرال المغربى فى مقام النصح والتعليم، ووجّهتُ القصد الى سُكّان الصميم بذلك التكليم،،

انّ ايام الرضى معدودة   والرضى اجملُ شىء بالعَبِيدْ
لا تظنّوا لِىَ عنكم [b] سلوة   ما على شوقى اليكم من مَزِيدْ
راجعوا انفسكم تستيقنوا   انّكم فى الوقت اقصى ما أُرِيدْ
انّ يوما اجمع الله بكم   فيه شملى ذاك عندى يومُ عيدْ

وقول بعض من ندم على البعد عن المعاهد، وامّل العودَ والعودُ احمدُ الى المشاهد،، وغفر للدهر ذَنْبَه انْ عاد، وتلهّف ان لم يعامله بغير الابْعاد،،

لئن عاد جمعُ الشمل فى ذلك الحمَى   غفرتُ لدهرى كلَّ ذنب تقدّمَا
وانْ لم يَعُدْ منّيتُ نفسى بعوده   وما ذا عسى تُجْدِى الامانى وقلّما
يُحَقّ لقلبى ان يذوب صبابةً   وللعين ان تُجْرِى مدامعَها دمَا
على زمن ماضٍ بهم قد قطعتُه   لبستُ به ثوب المسرّات [c] مُعْلَمَا

وقول آخر يخاطب احبابه، ويذكر فواصل بحر النوى الطويل واسبابه،،

أُعيذكم من لوعتى وشجونى   ونارِ جوى تُذْكَى بماء شؤونى

---

a) La. O. النوى.   b) La. O. عنكم لى.   c) S. La. المسرة.

وبرح اسى لم يُبْقِ فىّ بقيّةً   سوى حركات تارةً وسكونِ
ارى القلب أَضْحى بعد طارقة الاسى   اسيرَ صبابات رهينَ شجونِ
وكيف سبيل القرب منكم ودونكم   رمالُ زَرُودٍ والاجارعُ دونى
سَلُوا مضجعى هل قرّ من بعد بُعْدكم   وهل عرفتْ طعمَ الرُقاد جفونى
سهرنا بنَعْمان ونِمْتم ببابل   فيا لعيون ما وفتْ لعيونى

وفى بعض الاحيان، اتسلّى بقول بعض الاندلسيّين الاعيان،،

لا تكترثْ بفراق اوطان الصبى   فعسى تنال بغيرهنّ سعودًا
فالدرُّ يُنظم عند فقد بحاره   بجميل اجياد الحسان عقودًا

وقول غيره

فعسى الليالى ان تمنّ بنظمنا   عقدًا كما كُنّا عليه واكملا
فلربّما نُثر الجمانُ تعمُّدا   ليُعاد احسنَ فى النظام واجملا

وارغب لمن اطال ذيول الغربة ان يُقلّصها، واطلب ممّن اجال النفوس فى سيول الكربة ان يُخلّصها،،

فنلتقى وعوادى الدهر غافلةٌ   عمّا نروم وعقْدُ البين محلولُ
والدار آنسة والشمل مجتمع   والطير صادحة والروض مطلولُ

واضرع اليه سبحانه فى تيسير العود الى اوطانى، ومعهدى الذى مطايا العزّ اوطانى،، وأَنْ يُلحقنى بذلك الافق الذى خيرُه موفور، وحقُّ من فيه معروف لا منكر ولا مكفور،،

اذا ظفرتُ من الدنيا بقربهم   فكلُّ ذنب جناه الدهرُ مغفورُ

وكانّى بعاتب يقول ما هذا التطويل، فاقول له جوابى قولُ ابن ابى الاصبع الذى عليه التعويل،،

اكثرتَ عذلى كانّى كنتُ اولَ من   بكى على مسكن او حنّ للسَكَنِ
لا تَلْحَ انّ من الايمان عند ذوى   الايمان منّا حنين النفس للوطنِ

على انّنى اقول اللهمّ يَسِّرْ لى ما فيه الخيرةُ لىّ بالمشارق او بالمغارب، وجُدْ لى من فضلك حيث حللتُ بجميع ما فيه رضاك من المآرب، بجاه نبيّنا وشفيعنا المبعوث رحمةً للاحمر والاسود والاعاجم والاعارب، عليه افضل صلاة وازكى سلام. وعلى آله واصحابه الاعلام. والتابعين لهم باحسان ما ذرّ شارقٌ وتعاقب طالع وغارب،، ثمّ جدّ بنا السيرُ فى البرّ اياما، ونأَينا عن الاوطان التى اطنبنا فى الحديث حُبًّا لها وهُياما،

وكُنَّا عن تفاعيل وصلها نياما،، الى ان ركبنا البحر، وحللنا منه بين السَّحْر والنحر،، وشاهدنا من اهواله، وتَنافى احواله،، ما لا يعبَّر عنه، ولا يُبلغ له كُنْهُ،،

البحر صعبُ المرام جدًّا   لا جُعلتْ حاجتى اليهِ

أَليس ماءً ونحن طين   فما عسى صبرُنا عليهِ *a*

فكم استقبلتْنا امواجه بوجوه بواسر، وطارتْ الينا من شراعه عقبانٌ كواسر،، قد ازعجتْها اكفُّ الريح من وكرها، كما نبَّهت اللُّجَجَ من سكرها، فلم تُبْقِ شيئًا من قوتها ومكرها،، فسمعنا للحبال صفيرا، وللرياح دويًّا عظيما وزفيرا، وتيقَّنَّا انَّا لا نَجِدُ من ذلك الّا فضلَ الله مُجيرا وخفيرا،، واذا مَسَّكم الضُرُّ فى البحر ضَلَّ مَنْ تَدْعُون الّا اِيَّاه *b*، وايسْنا من الحياة، لصوت تلك العواصف والمياه، فلا حيَّا الله ذلك الهولَ المزعجَ ولا بيَّاه،، والموج يصفق لسماع اصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب، فكانّه من كاس الجنون يشرب او شَرِب، فيتبعَّد ويقترب،، وفرقة تلتطم وتصطفق، وتختلف ولا تكاد تتّفق،، فتخال الجوّ ياخذ بنواصيها، وتجذبها ايديه من قواصيها،، حتى كاد سطح الارض يُكْشَف من خِلالها، وعَنان السحب يُخْطَف فى استقلالها، وقد اشرفت النفوسُ على التَلَف من خوفها واعتلالها، وآذنت الاحوالُ بعد انتظامها باختلالها،، وساءت الظنون، وتراءتْ فى صورها المَنُون،، والشراع، فى قِراع،، مع جيوش الامواج، التى أُمدَّتْ منها الافواجُ بالافواج، ونحن قُعُود، كدُود على عُود، ما بين فُرادَى وازواج،، وقد نَبَتْ بنا من القلق امكنتُنا، وخرستْ من الفَرَق السنتُنا،، وتوهّمنا انه ليس فى الوجود، اغوار ولا نجود،، الا السماء والماء وذلك السفين، ومَنْ فى قبر جوفه دفين،، مع ترقُّب هجوم العدوّ، فى الرواح والغدوّ،، لاجتيازه على عدّة من بلاد الحرب، دمَّر الله من فيها واذهب بفتحها عن المسلمين الكرب،، لا سيّما مالطة الملعونة، التى يتحقّق من خُلّص من معرّتها انه أُمدَّ بتاييد الٰهىّ ومعونة،، فقد اعترضتْ *c* فى لهوات البحر الشامى شَجًى، وقلَّ مَنْ ركبه فاتلَتْ من كيدها ونجا،، فزادنا ذلك الحذرُ الذى لم يُبْقِ ولم يَذَرْ،، على ما وصفناه من هول البحر قلقا، واجرينا اذذاك فى ميدان الالقاء باليد الى التهلكة طلقا، وتشتَّت افكارنا فِرَقا، وذُبْنا اسى وندما وفَرَقا،، اذ البحر وحدَه لا كمىّ يقارعه، ولا قوىّ يصارعه، ولا شكل يضارعه،، ولا يومن على حال،

a) Voyez *The Travels of Ibn Jubair*, édit. Wright, p. ٣١٩. *b*) Voyez le *Korān*, sour. 17, vs. 69. *c*) Le man. G. porte وقد تعرضت.

ولا يفرق بين عاطل ولا حالٍ، ولا بين اعزل وشاكى، ومتباكٍ[a] وباكى،

ثلاثة ليس لها امانُ البحر والسلطان والزمانُ

فكيف وقد انضمّ اليه خوف العدوّ الغادر الخائن، والكافر الحائن، الى ان قضى الله بالنجاة وكلّما اراد فهو الكائن، وان نهى عنه واخطأً المائن،، فراينا البرّ وكانّا قبلُ لم نَرَه، وشُفيتْ به اعيننا من المَرَه،، وحصل بعد الشدّة الفرج، وشَمْمنا من السّلامة اطيبَ الارج،، فيا لها من نعمة كشفتْ عن وجهها النقاب، يَقلُّ شكرًا لها صومُ الاحقاب، وعتقُ الرقاب،، جعلنا الله بآياته معتبرين، وعلى طاعته مصطبرين،، ولم تَخْلُ فى البرّ من مُعاناة خطوب، ومُداراة وجوه للمتاعب ذات تجهّم وقطوب،، فكم جُبْنا منه مهامه فيحا، ومسحنا بالخُطى منها اثيرا وصفيحا،، وغلينا الفجاج، وقرأنا من الطُرُق خطوطا ذات استقامة واعْوجاج، وقلوب الرفقة من الفرقة فى اضطراب وارتجاج، وربّما عميتْ على المجتهد الادلّةُ التى يحصل بها على المذهب الاحتجاج،، فترى الانفاس تعثر فى زفرة الاشواق، والاجسام قد زُرّتْ عليها من التعب الاطواق،، هذا والليل بصفحة البدر مرتاب، وقد شُدّتْ رحالٌ واقتاب، وزُمّتْ ركاب،، ورُفعتْ احداج، وفُريتْ من الدَعَة بمُدْية النَصَب أوْداج، وتساوى فى السير نهار مُشْرِق وليل مقمر او داجٍ،، وأُديم التاويب والاسْآد، وحملُ الغربة قد اثقل وآد،، ثمّ وصلنا بعد خوض بحارٍ، يدهش فيها الفكرُ ويحار،، وجَوْب فيافٍ[b] مجاهل، يضلُّ فيها القطا عن المناهل،، الى مصر المحروسة فشُفينا برويتها من الاوجاع، وشاهدنا كثيرا من محاسنها التى تعجز عن وصفها القوافى والاسجاع،، وتمثّلنا فى بدائعها التى لا نستوفيها، بقول ابن ناهض فيها[c]،،

شاطئُ مصر جنّة ما مثلُها من[d] بلد لا سيّما مذ زُخرفتْ
بنيلها المطّرد وللرياح فوقه سوابغٌ من زَرَد
مسرودة ما مسّها داؤودها بمبْرَد سائلة وَهْو بها
يُرْعِد عارى الجسد والفُلْك كالافلاك بيـن حادر ومُصْعد

وبقول آخر

انظُرْ الى النيل الذى ظهرتْ به آياتُ ربّى
فكانّه فى فيضه دمعى وفى الخفقان قلبى

وبقول ابى المكارم بن الخطير المعروف بابن مماتى فى جزيرتها

---

a) Les man. portent ومتباكى. b) S. La. O. فيافى. c) Voyez *Ibn-Batoutah*, édit. Defrémery et Sanguinetti, tom. I, p. 69. d) Les man. portent فى.

جـزيـرةَ مـصـر لا عَـدَتْـكِ مسـرّةٌ　　ولا زالت اللذّاتُ فيكِ اتّصـالهَـا
فكم فيكِ من شمس على غصن قـامة　　يُميت ويحيـى [a] هجرُها ووصالهَـا
مغـانيكِ فوق النيـل اضحتْ هوادجًا　　ومختلفـاتُ الموج فيكِ جبـالهَـا [b]
ومـن اعـاجـب الاشيـاء انـكِ جـنّـة　　ترقُّ [c] على اهـل الضلال ظلالهَـا

ولعلّه اراد باهل الضلال اليهودَ والنصارى المستولين انذاك على الدولة وتذكّرتُ فى مصر قول القاضى الفاضل [d]

باللّه قُلْ للنيـل عنّى انّنى　　لم أَشْفِ من مـاء الفرات غليلَا
وسَلِ الفؤاد فانّه لى شاهدٌ　　ان كـان طرفى بـالبكاء بخيلَا
يا قلبِ كم خلّفتَ ثَمَّ بُثَيْنَةً　　واظنُّ صبرَكَ ان يكون جَميلَا

وقول احمد بن فضل اللّه [e] العمرى

لمصر فـضـلٌ بـاهــر　　بعيشها الرغد النَضِرْ
فى سفح روض يلتقى　　ماءُ الحياة والخَضِرْ

وقول آخر　كانّ النيـل ذو فهم ولبّ　　لـمـا يبدو لعين النـاس منهُ
فيأتى حينَ [f] حاجتهم اليه　　ويمضى حين يستغنون عنهُ

وقول آخر　ولله مجرى النيل منه اذا الصَبـا　　ارتْنا به من مرّهـا [g] عسكرا مَجْرًا
بـشـطٍّ يـهـزُّ السمهريّـةَ ذُبّـلا　　ومـوج يـهـزُّ البيضَ هنـديّةً تبْرَا
اذا مدّ حاكَى الوردَ لونًا وان صَفَا　　حكى مـاءَه لونـا ولم يَحْكهِ مُرَّا

وقول آخر　واهًّـا لهـذا النيـل اىُّ عجيبة　　بكْرٍ بمثـل حديثهـا لا يُسْمَعُ
يُلقى الثرى فى الماء وهو مسلّم　　حتّى اذا مـا مـال عـاد يودِّعُ
مستقبـل مثـل الهـلال فـدهرَه　　ابدًا يزيـد كمـا يزيـد ويرجعُ

وقول ابن النقيب　الصبُّ من بعدهم مفرد　　ودمعـه النيـل وتعليقُهُ
وخدُّه لمّا بكـاهم دمًـا　　مقياسه والدمع تخليقُهُ

وقول الصَفَدى

سقيا لمصر وما حَوَتْ　　من أُنْسهـا وأُنـاسِهَـا　　ومحـاسن فـى مَقْسهـا

---

a) G. P. تميت وتحيى.　b) G. خيبالها, S. جبالها.　c) La. O. تمد.　d) Voyez *Ibn-Khallikān*, édit. Wüstenfeld, n°. 384.　e) Le mot الله manque dans La. et O.　f) La. O. عند.　g) C'est ainsi qu'on lit dans La. Les autres man. portent دبرها.

تبدو وفى مقياسها   ومسرّة كاساتها   تُجْلى على أَكْياسها
وسطور قُرْط خطّها   البارى على قرطاسها ه ودُمَى كنائسها ولا
تُنْسَى ظباء كناسها   ولطافة بجلالة   تبدو على جُلّاسها
ونواسم كلّ المُنَى   للنفس فى انفاسها   ومراكب لعبتْ بها
الامواجُ فى وسواسها

وبقول ابن جابر الاندلسى

ما زلتُ أُسند من محاسن ارضها   خبرا صحيحا ليس بالمقطوعِ
كم مُرْسَل من نيلها ومسلسَل   ومدبّج من هَضْبها المرفوعِ

وقول ابرهيم بن عبدون

والنيل بين الجانبَيْن كانّما   صدئتْ بصفحته صفيحةُ صيقل
ياتيك من كُدْر الزواخر مدّه   بممسّك من مائه ومصندَل
فكانّ ضوء البدر فى تمويجه   برقٌ تموّج فى سحاب مُسْبل
وكانّ نور السُرْج من جنباته   زُهْرُ الكواكب تحت ليل أَلْيَل
مثل الرياض مفتّقا انوارُه   تبدو لعين مشبّه وممثّل

وقول ابن الصاحب   فرح الانامُ بنيلهم   اذ صار احمر كالشقيق
وتبرّكوا بشروقه   فكانّه وادى العقيق

وقوله a   احمرّ للنيل خدٌّ   حتى غدا كالشقيق
وقد ترنّمتُ فيه   اذ صار وادى العقيق

ثمّ شمّرتُ عن ساعد العزم بعد الاقامة بمصر مدّةً قليلة، الى المُهمّ الاعظم والمَقْصد الاكبر الذى هو سرُّ المطالب الجليلة،، وهو روية الحرَمَيْن الشريفين، والعلَمَيْن المُنيفين،، زادهما الله تنويهًا، وبلّغ النفوسَ ببركة من شرّفنا به مآرِبَ لم تزل تَنْويها،، فسافرتُ فى البحر الى الحجاز، راجيًا من الله سبحانه فى الاجر الانتجاز،، الى ان بلغتُ جُدّة، بعد مكابدة b خطوب اتّخذتُ لها من الصبر عُدّة،، فحين حصل القُرْب، واكتحلت العين باثمد تلك التُرْب،، ترنّمتُ بقول من قال، محرّضا على الوخد والإرْقال

a) La. O. وقول اخر. b) La. et O. ajoutent ici و اهوال.

بدا لك الحقُّ فاقطعْ ظهرَ بيداء … واهجُرْ مقالةَ احباب واعداء
واقصدْ على عزمةٍ ارضَ الحجاز تَجِدْ … بُعْدًا عن السخط فى نزل الاودّاء
وقُلْ اذا نلتَ من امّ القُرى اربا … وهو الوصول باسْرار وابْداء
يا مكّة الله قد مكّنتِ لى حرما … مؤمّنا لستُ اشكو فيه من داء
فمذ رأى النازحُ المسكين مسكنَه … فى قطرك الرحب لم يُنْكَبْ بأَرْداء
شوقُ الفؤاد الى مغناك متّصل … شوقَ الرياض الى طلّ وأَنْداء

ثم انشدتُّ عند ما بدتْ اعلامُ البيت الحرام، قول بعض من غلب عليه الشوقُ والغرام، وقد بلغ من امانيّه المُوجِبة بشائرَه وتهانئَه المرامَ،،

وافَى الحجيجُ الى البيت العتيق وقد … سجا الدُجى فرأَوا نورا به بزغا
عجُّوا عجيجا وقالوا اللهُ اكبرُ ما … للجوّ موتلقًا a) بالنور قد صُبِغا
قال الدليل ألا هاتوا بشارتكم … فمَنْ نوى كعبةَ الرحمن قد بلغا
نادَوْا على العيس بالاشواق وانتحبوا … وحنَّ كل فؤاد نحوها وصَغا
وكل مَنْ ثَمَّ فعلًا نال محمدةً … فى مكّة وأمّحَى b) ما قد جنى وبَغا

ولما وقع بصرى على البيت الشريف كدتُّ اغيب عن الوجود، واستشعرتُ قول العارف بالله الشبْلىّ لما وفد الى حضرة الجُود،،

قلتُ للقلب اذ تراءى لعينى … رسمُ دار لهم فهاج اشتياقى
هذه دارهم وانت محبّ … ما احتباسُ الدموع فى الآماق
والمغانى للصبّ فيها معانٍ … فهى تُدْعَى مصارعَ العُشّاق
حُلَّ عقدَ الدموع واحلُلْ رُباها … واهْجُر الصبرَ وأرْعَ حقَّ الفراق

ثم اكملتُ العُمْرة، ودعوتُ الله ان اكون ممّن عمّر بطاعة ربّه عُمْره،، وذلك اوائل القعدة من عام ١٠٢٨ من الهجرة السنيّة، واقمتُ هنالك منتظرًا وقتَ c) الحجّ الشريف. ومتفيّئًا ذلك الظلّ الوريف. ومقتطفًا ثمار القرب الجنيّة،، الى ان جاء الاوان، فاحرمتُ بالحج من غير تَوانٍ،، وحين احللتُ ممّا به احرمتُ، نويتُ الاقامة هنالك وابرمتُ،، فحال من دون ذلك حائل، وكنتُ حريًّا بان انشد قول القائل،،

هذى اباطح مكّة حولى وما … جمعتْ مشاعرُها من الحرمات

---

a) S. تلقاءنا. b) S. وانمحى, La. O. P. ومحى. c) La. اوقات, O. ايام.

ادعو بهـا لبّيك تلبية آمرئٍ　　　يرجو الخلاص بها من الازمات a
نلتُ المُنى بمنى لو انّى لم أخَفْ　　　بالخَيْف من ذنب احال سماتى
وعرفتُ فى عَرَفات انّى ناشق　　　للعفو عَرْفا عاطر النسمات

وانا اتمثّل فى المطاف، اذ حقّتْ بى الالطاف، الدانية القطاف،، بقول من ربعُه بالتقوى مشيد، البغدادى الشهير بابن رَشيد،،

على ربعهم لله بيتٌ مبارك　　　اليه قلوب الناس تَهْوى وتَهْواهُ
يطوف به الجانى فيُغْفَر ذنبُه　　　ويسقط عنه جُرْمُه وخطاياهُ
وكم لذّة او فرحة لطوافه　　　فلله ما أَحْلَى الطواف وأَهْناهُ

ثمّ قصدنا بعد قضاء تلك الاوطار، طَيْبَةَ الشريفة التى لها الفضل على الاقطار، واستشعرتُ قول من انشد وطيرُ عزمه عن اوكاره قد طار،،

حمدتُّ مَرادى اذ بلغتُ مُرادى　　　بأُمّ القرى مستمسكا بعمادى
ومذ رويتُ من ماء زَمْزَمَ غُلّتى　　　فلستُ بمحتاجٍ لماء ثماد

فلله سبحانه الحمد على نِعَمه التى جلّتْ، ومِنَنه التى نزلتْ بها النفوسُ مواطنَ التشريف وحلّتْ،،

من يَهْده الرحمنُ خيرَ هداية　　　يحلُلْ بمكّة كى يُتاحَ المقصدَا
واذا قضى من حجّة الغرض انثنى　　　يشفى بروية طيبة داءَ الصَدَا

وكان حظّى فى هذه الحال، تذكُّر قول بعض الوَشّاحين b من الاندلسيّين الذين كان لهم ارتحال، الى المعاهد الطاهرة. والمشاهد الزاهرة. التى تُشَدّ لها الرحال،،

يا من لعُبْدانه c افتقارُ　　　الى اياد له جسامْ
فضلُك مُدْنٍ لخيرِ مُدْنِ　　　حلّ بها سيّدُ الانامْ

لم يَهْفُ قلبى لحبّ لَيْلَى　　　ولا سُعاد ولا الرَبابْ
لاقَى شجونا ونال وَيْلا　　　مَنْ هام فى ذلك الجنابْ
بل مال منّى الفؤادُ مَيْلا　　　لمن له الحبُّ لا يُعابْ

قلبىَ والله مستطارُ　　　مذ حلّ فى بيته الحرامْ

---

a) La. O. الزلات. b) C'est ainsi qu'on lit dans le man. O.; G. et P. portent الوالشاحيين (sic), S. الواشحيين, La. الوشاحيين. c) La. O. لعبد له.

فى الحجْر والركن خيرِ رُكْنِ — وزمزم الخير والمقامْ
ذابتْ قلوبُ المطىّ عشقَا — وركْبها واستوى المُرادْ
الى حبيب القلوب حقًّا — الحىّ والمَيْت والجمادْ
الى الذى ليس فيه يَشْقَى — من حبّه داخل الفؤادْ

شكوا وقد طالت السفارُ — هُمْ ومطاياهم السقامْ
فهى قِسِىٌّ من التثنّى — والقوم من فوقها سهامْ

ولستُ من سكرتى مُفيقَا — حتى ارى حجرةَ الرسولْ
فان يُسهّلْ لىَ الطريقَا — فذاك اقصى مُنًى وسُولْ
حتى ترى عينىَ العقيقَا — ويفرح القلبُ بالوصولْ

كم قلتُ والصبر مستعارُ — للركب ان غادروا المنامْ
ونسمةُ الشوق حرّكتْنى — وزادنى الوجدُ والغرامْ

قُوموا فقد طال ذا الجلوسْ — وبادروا زورةَ الحبيبْ
تاقتْ الى طيبة النفوسْ — لا عيشَ من دونها يطيبْ
لا حبّذا دونها العروسْ — والماء والشادن الربيبْ

وحبّذا الرمل والقفارُ — والعُرْب فى تلكم الخيامْ
وامُّ غَيْلانَ ظلّلتْنى — والايك والاثل والثُمامْ

يا طيبة حُزْت كلّ طيب — بسيّد فيك ذى حلولْ
نداء مستضعَف [a] غريب — فى غير امداحه يقولْ
وهو من السامع المجيب — لمدحه يسأل القبولْ

انت الغنّى لى فلا افتقارُ — وانت عزّى فلا أُضامْ
مستمسك منك حسنُ ظنّى — بعروة ما لها انفصامْ

بسيّد العالمين اجمَعْ — باحمد المجتبَى الرسولْ

---

a) S. مستعطف.

ومن هو الشافع المشفَّعْ　　فى موقف المحشر المَهولْ
اذ لا كلام هناك يُسْمَعْ　　للغير والناس فى الذهولْ

اذا السماء لها انفطارُ　　والشُهْب منثورة النظامْ
كذا الجبال انثنتْ كعهْنٍ　　سريعة المرّ كالغمامْ

يا اوّل الرُسْل فى الفضيلَهْ　　وان تأخَّرتَ فى الزمَنْ
شفاعةً نلتَ مع وسيلَهْ　　فمن يُضاهى عُلاك مَنْ
عَلَتْ بك الرتبةُ الجليلَهْ　　وطبتَ فى السرّ والعَلَنْ

فانت من خيرهم خيارُ　　فمن يضاهيك فى المقامْ
والرُسْل نالتْ بك التمنّى　　وانت بدرٌ لهم تمامْ

الوجد قد قرّ فى فؤادى　　فما لصبر به قرارْ
ولاعجى صاعدٌ اتّقاد[a]　　ودمعُ عينى له انهمارْ
وها انا جيتُ من بلادى　　لطيبة أبْتغى الجوارْ

فحبّذا تلكم الديارُ　　والمصطفى مسكةُ الختامْ
عليه ازكى الصلاة منّى　　وصحبه الغُرّ والسلامْ

وقول ابى جعفر الرُعَيْنى الغرناطى رحه تع وهو من التشريع، احد انواع البديع،،

يا راحلا يبغى زيارةَ طيبة　　نلتَ المُنى بزيارة الاخيار[b]
حتّى العقيقَ اذا وصلتَ وصِفْ لنا　　وادى منّى يا طيّبَ الاخبار
واذا وقفتَ لدى المعرَّف داعيا　　زال العَنا وظفرتَ بالاوطار

ولما منّ الله علينا بالحلول فى المشاهد التى قام الدينُ بها وظهر، والمعاهد التى بان الحقُّ فيها واشتهر، والمواطن التى هزم الله حزبَ الشيطان فيها وقهر،، ونُصرت النبوّةُ وعضدتْ، وقطعتْ غصونُ الكفر وخضدتْ، ورُصّتْ قواعدُ التوحيد ونضّدتْ،، وقرّت العيون، وقضيت الديون،، انشد لسانُ الحال، قول بعض من جيدُه بمحاسن طيبة حالٍ،،

---

a) Telle est la leçon des man. P. et La. Le man. O. porte صاعدا تقادى, G. صاعد انفاد, S. صاعدا بقادى. b) La. O. المختار.

يا من به طيبةٌ طابتْ حُلَى وعُلَى   ومن بتشريفه قد شُرِّف العربُ
يا احمد المصطفى قد جيتُ من بلد   قاصٍ ولى خَلَدٌ قاسٍ ولى اربُ
وقد دَهَتْنى ذنوبٌ قلتُ ان عظمتْ   لله منها وطْهُ المرتجى الهربُ

ونسينا بمشاهدة ذلك الجناب ما كُنَّا فيه، وسبق الدمعُ الذى لا يعارض الفرحَ ولا ينافيه،،

ايّها المُغْرَم المشوق هنيئًا   ما انالوك من لذيذ التلاقى
قُلْ لعينيك تهملان سرورا   طالَما اسعداك يومَ الفراق
واْجْمَع الوجد والسرور ابتهاجًا a   وجميعَ الاشجان والاشواقِ
وَأْمُرِ العينَ ان تفيض انهمالاً   وتوالى بدمعها المُهَراق
هذه دارُهم وانت محبٌّ   ما بقاءُ الدموع فى الآماق

ومِلْنا عن الاكوار، وثملنا من عَرْف تلك الانجاد والاغوار، وتملّيْنا من هاتيك الانوار، وتحلّيْنا بحُلَى الاخيار، وكيف لا وطيبة مركز الزوّار b ،،

اذا لم تَطِبْ فى طيبة عند طيّب   به طيبة طابتْ فاين تطيبُ
وان لم يُجَبْ فى ارضها ربُّنا الدعا   ففى اىّ ارض للدعاء يجيبُ
ايا ساكنى اكناف طيبة كلُّكم   الى القلب من اجل الحبيب حبيبُ

وما احسن قول عالم الاندلس المالكى اللبيب، عبد الملك السُلَمى المشهور بابن حبيب،،

لله درُّ عصابة صاحبتُها   نحو المدينة تقطع الفلوات
ومهامهٍ قد جُبْتُها ومفاوز   ما زلتُ اذكرها بطول حياتى
حتى اتينا القبر قبرَ محمد   خصَّ الاله محمدا بصلات
خير البريّة والنبىّ المصطفى   هادى الورى لطرائق لنَجّات c
لمّا وقفتُ بقربه لسلامه   جادتْ دموعى واكفَ العبرات
ورأيتُ حجرته وموضعه الذى   قد كان يدعو فيه فى الخلوات
مع روضة قد قال فيها انها   مشتقّة من روضة الجنّات
وبمنزل الانصار وسط قبابهم   بيت الهداية كاشف الغمرات
وبطيبة طابوا ونالوا رحمةً   معنى الكتاب ومُحْكَمَ الآيات
وبقبر حمزةَ والصحابة حوله   فاضتْ دموع العين منهمرات

a) La. O. ابتهالا. b) C'est ainsi qu'on lit dans O.; La. porte للزوار, G. الازوار, S. et P. الادوار. c) G. La. الجنات.

سقيا لتلك معاهدًا شاهدتُّها وشهدتُّها بالخطو واللحظات
لا زلتُ زوّارًا لقبر نبيّنا ومدينة زهراء بالبركات
صلّى الاله على النبىّ المصطفى هادى البريّة كاشف الكربات
وعلى ضجيعَيْه السلام مردّد ما لاح نورُ الحقّ فى الظلمات

وقول كمال الدين ناظر قُوص

أَنِخْ هذه والحمدُ لله يَثْرِبُ فبُشْراك قد نلتَ الذى كنت تطلبُ
فعَفّرْ بهذا الترب وجهك انه احقُّ به من كل طيب واطيبُ
وقَبّلْ ربوعا حولها قد تشرّفتْ بمن جاورتْ والشىء بالشىء يُحْبَبُ
وسَكّنْ فؤادًا لم تزل باشتياقه اليها على جمر الغَضَا تتقلّبُ [a]
وكَفْكِفْ دموعا طالَما قد سفحتَها وبَرِّدْ جوى نيرانُه تتلهّبُ

وقول الرُّعَيْنى الغرناطى

هذه روضة الرسول فدَعْنى ابذل الدمع فى الصعيد السعيد
لا تَلُمْنى على انسكاب دموعى انما صُنْتُها لهذا الصعيد

ولما سلّمتُ على سيّد الانام، عليه من الله ازكى الصلاة وافضل السلام،، ذُبْتُ حياءً وخجلا [b]، لما انا عليه من ارتكاب ما يقتضى وَجَلاً [c]، غير انّى توسّلتُ بجاهه صلّعم فى ان اكون ممّن وضح له وجهُ الصفح وجَلاّ،،

اليك افرُّ من زَلَلِى فرارَ الخائف الوَجِلِ وكان مزار قبرك بالـ
ـمدينة منتهَى املى فوفّى الله ما طمحتْ له نفسى بلا خَلَلِ
فخُذْ بيدَىْ غريق فى بحار القول والعمل وهَبْ لى منك عارفةً
تُعرّف ما تنكّر لى فتهدينى الى رشدى وتمنعنى من الزلل
وتحملنى على سَنَن يؤمّننى من الوَجَل فانت دليلُ من عميتْ
عليه مسالكُ السُبُل وانّك شافع بَرٌّ ومَوْئلنا من الوهل
وانّك خيرُ مبتعث وانّك خاتم الرُسُل فيا ازكى الورى شرفا
وشافيَهم من العلَل ويا أَنْدَى الانام يدًا واكرمَ ناصر ووَلِى
نداءَ مقصّر وَجِل بثوب الفقر مشتمل على جدواك معتمد

a) La. O. يزل et يتقلب. b) G. S. P. وحجلا. c) G. et P. portent الخجل, variante qui se trouve aussi sur la marge du man. S.

فـأَنْقِذْنـى من الوجَـلِ وأَلْحِقْنـى بـجـنّـات لـدى درجـاتهـا الأُوَلِ
بـصـدّيـق وفـاروق وعـثمن الرضـى وعَلِى فـانـت مـلاذُ معتصم
وانـت عـمـادُ متّكـلِ عليك صلاة ربّـك جـلّ فى الغدوات والأُصُلِ

ومذ شممنا من ارج تلك الارجاء الذاكية، واستضانا بسُرُج تلك الاضواء الزاكية،، ظهر من الشوق ما كان بَطَن، ولم يخطر ببالنا سَكَنٌ ولا وطن، ويا سعادةَ من اقام بتلك البقاع الشريفة وقَطَن،،

مـرَّ الـنـسـيـمُ بربعهم فتلـذَّذا حتـى كـانّ النشر صـار لـه غِـذا
فصحى وصحَّ وصاح لا اشكو أَذى قُلْ للصبا ما ذا حملْتِ من الشَذى
أَمَسِسْتِ طيبـا ام علاكِ عبيرُ

يـا ايّها الحادى الذى من وسمهِ قـصـدُ الحبيب وان يُلِـمَّ بـرسـمهِ
هٰـذى مـنـازلـه فزَمْزِمْ بـاسـمهِ بـأَبى الـذى لـم تَـذْوِ زهرةُ جسمهِ
لكنّـه غـصُّ الجـمـال نضيرُ

لله شوق قـد تـجـاوزَ حـدَّهُ أَوْفـى على الصبر المشيـد فـهـدَّهُ
يـا نـاشق الكافور لا تتعدَّهُ طُـوبَـى لمشتـاق يـعـفّـر خـدَّهُ
فـى روضة الهـادى اليه يشيرُ

فهنـاك يبذل فـى التوسُّـل وُسْعَهُ ويُصبِحُ نـحـو خطيب طيبة سمعَهُ
ويُريق فوق حَصَى المصلّى دمعَهُ ويـرى مـعـالـم مـن يُحِبُّ وربـعَـهُ
ومحمد للعـالـمـين بـشـيـرُ

صلّى عـلـيـه الله خير صـلاتـهِ وحـبـا معـالِيَه جـزيـلَ[a] صِـلاتهِ
ما حنَّ ذو الاشواق فـى حـالاته واتـى مـغـانـيَـه عـلـى عِـلّاتـهِ
فأُتيح حسنَ الختم وهو قريرُ

ووقفنـا ببـاب طلب الآمـال خاشعين، وتوسّلنا الى الله بذلك المقام العلىّ خاضعين، وغبطنا قوما سكنوا هنالك فكانوا لخدودهم متى شاءوا على تلك الاعتاب واضعين،،

أَكْرِمْ بعبد نحو طيبة مسندى[b] متوسّل مستشفع مسترشـدِ
يُفلى الفـلاة لهـا بعـزم ايّـدِ وافَى الى قبر النبىّ محمدِ

a) G. S. جليل. b) P. مسدى (sic), S. O. سيدى, La. ينتدى. Je crois qu'on doit lire ينتهى ou peut-être يستدى.

ولربعه الأسْمَى يروح ويغتدى
ازجاه صادقُ حبّه المتمكّنِ   وحداه سائقُ عزمه المتعيّنِ
فحكى لدى شجوٍ حمامَ a) الأغْصُنِ   هزجًا يردّد فيه صوتَ ملحّنِ
ويمدّ للاطراب صوتَ المنشد
ويقول جيتُ بعزمة نزّاعة   ونهضتُ والدنيا تمرّ كساعة
لمحلّ احمد قائلا باذاعة   هذا النبىّ المرتجى لشفاعة
يومَ القيمة بين ذاك المشهد
هذا الرءوف بجاره ونزيله   هذا سراج الله فى تنزيله
هذا الذى لا ريبَ فى تفضيله   هذا حبيب الله وابن خليله
هذا ابن بانى البيت اوّل مسجد
هذا الذى اصطفت النبوّةُ خيمَهُ   هذا الذى اعتام الهُدَى تقديمَهُ
هذا الذى نُسْقَى غدًا تسنيمَهُ   هذا الذى جبريل كان خديمَهُ
فى حضرة التشريف ازكى مَصْعَد
هذا الذى شهد الوجودُ بخصّه   بمزيّة التفضيل من مختصّه
وابانه من وحيه فى نصّه   هذا الذى ارتفع البُراقُ بشخصه
فى ليلة الاسْراء اشرف مهتدى
هذا الذى غَدَت الطلولُ حديقةً   بجواره وبدتْ تروق انيقةَ
هذا المكمَّل خلْقةً وخليقةَ   هذا الذى سمع النداء حقيقةَ
ودنا ولم يك قبل ذاك بمبْعَد
فهناك كم رُسْل به تتوسّلُ   وعلى حماه لدى المعاد تعوّلُ
يا ارحمَ الرُحَماء انت المَوْئِل   يا خاتم الأرْسال انت الاوّلُ
فترَقَّ فى اعلى المكارم واصْعَد
الله رفّع فى سُراه منارَهُ   وابان فى السبع العُلَى انوارَهُ
فقفتْ ملائكةُ السما آثارَهُ   واراه جنّته هناك ونارَهُ
فمؤيَّد ومخلَّد لمخلَّد

---

a) G. S. P. الحمام.

كم ذاد من جُلَّى وجلّى ظلمةً   وامتنّ بالرُحْمَى ومتّن حرمةً
لمّا دجا افقُ الضلالة دهمةً   بعث الاله به ليرحم امّةً
لولاه كانت بالضلالة ترتدى

حاز الشفوقَ فكل خلق دونَهُ   فالغيث يسأل ان يسيل يمينَهُ
والشمس تستهدى الشروقَ جبينَهُ   والله فضّله واظهر دينَهُ
ووفى لنا فيه بصدق الموعد

نُطْقى يغادى ذكره ويراوحُ   وبه ينافحa مسكةً وينافحُ
تُعْيِى اللسانَ محامدٌ وممادحُ   طُوبَى لمن قد عاش وهو يكافحُ
عنه يناضل باللسان وباليد

هو صفوة العرب الأُلَى احسابُهُمْ   اسيافُهم قُرِنَتْ بها اسبابُهُمْ
فهم لُباب المجد وهو لبابُهُمْ   من آل بيت لم تزل انسابُهُمْ
تُنْبِى لهم عن طيب عنصر مولد

شرفُ النبوّة قد رسا فى اهلِهَا   وسما على الزُهْر العُلَى بمحلّهَا
سابق السوابقُ للفخار برُسْلِهَا   نطق الكتابُ كما علمتَ بفضلِهَا
وقضى به نصُّ الحديث المُسْنَدِ

فوق السماك توطّأتْ وتوطّدَتْ   وتفرّدتْ بالمصطفى وتوحّدَتْ
فهى الخلاصة صُفِيتْ فتجرّدَتْ   من مَعْدن فيه الرسالة قد بَدَتْ
من عصر آدمنا لعصر محمد

طالوا فلم يُبْقُوا لمجد مصعدًا   صالوا ففى أَيْمانهم حتفُ العدَى
سالوا فهم لعُفاتهم غيث النَدَىb   اهل السقاية والرفادة والجدَىc
والكعبة البيت الحرام المقصد

المُطْعمون وقد طوى المَهَا الطَوَى   الناهضون اذا الصريخ لهم نَوَىd
العاطفون اذا الطريق بهم ثَوَى   اهل السدانة والحجابة واللّوَا
اهل المقام وزمزم والمسجد

المُصْلِحون اذا الجموع تخادعَتْ   المُنْجِحون اذا المساعى دافعَتْ

a) S. porte يناثج, O. ينافخ. Je propose de lire يناقح ou يفاوح.   b) G. S. الجدى.
c) G. S. والندى.   d) La. O. لوى.

الدافعون اذا الاعادى قارعَتْ   الموثرون اذا السِنُونَ تتابعَتْ
وَفْدَ الحجيج بنيل كل تفقُّد
لا يقرب الخطبُ الماسّ منيعَهُمْ   لا يطرق الكربُ المخيف قريعَهُمْ
والله شرَّف بالنبىّ جميعَهُمْ   من نال رتبتهم وحاز صنيعَهُمْ
نال الشفوفَ وحاز معنى السودد
حلّوا من الطود الاشمّ بمنعة   فى خير معتصَم واسمى[a] رفعة
فهم بمنّة امنه فى هجعة   الله خصّهمُ[b] باشرف بقعة
محجوجة محفوفة بالأسْعُد
لمّا انتيتُ لرامة أصلُ السُرَى   من بعد قصدى مكة امَّ القُرَى
انشدتُّ جهرًا فيه انثر جوهرا   واليكها يا خيرَ من وطئَ الثرَى
عذراء تُزْرِى بالعذارى الخُرَّد
كل الحسان لحسنها قد أُدْهِشَا   ما مثلها فى تِرْبها شاد نَشَا
سفرتْ بعزم ما اجدَّ واطيشَا   نشأَتْ بطىّ القلب وارْتوت الحَشَا
زهراء مَنْ يَرَها يُهِلّ ويسجد
امّتْك تَشْأَى فى مداها الالسُنَا   وتُرِى اجادتَها المُجيدَ المحسِنَا
تغدو ولا تثنى العنانَ عن الثَنَا   واتتْك تمرح كالقضيب اذا انثَنَى
مترنّحًا بين الغصون المُيَّد
قد اعملتْ فى المدح ثاقبَ ذهنهَا   ترجو الحلول لدى قرارة امنهَا
وعسى اذا عذبتْ[c] بتربة عَدْنها   يجلو لك الاحْسان بارعَ حسنهَا
والحسن يجلوها وان لم تُنْشَدٍ
مدحى لخير العالمين عقيدتى   ومطيّتى بل طيبتى ونشيدتى
ونتيجتى وهُدَى اليقين مفيدتى   ولئن مدحتُ محمدا بقصيدتى
فلقد مدحتُ قصيدتى بمحمد
يا خير خلق الله دعوةَ جائرٍ   يشكو اليك صروفَ دهرٍ جائرٍ
والله يعلم فى هواك سرائرى   وهو الذى ارجو لعفو جرائرى

a) **La. O.** واحمى. *b*) **C'est ainsi qu'on lit dans S. Les autres man. portent** خصصهم.
c) **G.** عدبت. **Je crois qu'on doit lire** عدنت.

متوسّلا بجنابك المتأطّد

لولا حقوق عُيّنتْ بمغاربِ لمكثتُّ عندك كى تُتاح مآربى

ويكون فى الزرقاء عذب مشاربى حتى احلّى من ثراك ترائبى

وانال دفنا فى بقيع الغرْقَد

وعليك من ربّ حباك صلاتُهُ وسلامه وهباته وصلاتُهُ

ما امَّ بابَك من هَدَتْه فلاتُه لعلاك حتى زُحزحتْ علّاتُهُ

فأُتيح حسن الختم دون تردُّد

ثم ودّعتُه صلّعم والقلب من فراقه سقيم، ووقعتُ من البعد عن تلك المعاهد فى المقعد المقيم، وانا ارجو ان يكون شكلُ منطقى غير عقيم، وان أُحشر فى زمرة مَنْ سلك الصراطَ المستقيم،،

يا شفيع العُصاة انت رجاءى كيف يخشى الرجاءُ عندك خيبَهْ

واذا كنتَ حاضرا بفؤادى غيبةُ الجسم عنك ليستْ بغيبَهْ

ليس بالعيش فى البلاد انتفاعٌ اطيبُ العيش ما يكون بطيبَهْ

ثم عدتُّ الى مصر، وقد زال عنّى ببركته صلّعم الاضْر،، وذلك فى محرَّم سنة ١٠٢٩ ثم قصدتُّ زيارة بيت المقدس فى شهر ربيع من هذا العام، وقد شملتْنى بفضل الله جوائزُ الانْعام،، وتذكّرتُ عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة، قول حافظ الحُفّاظ ابن حُجْرٍ العَسْقَلانى رحمه وهو ممّا زادنى فى هذه الزيارة رغبةً،،

الى البيت المقدَّس جيتُ ارجو جِنانَ الخلد نُزْلًا من كريمِ

قطعنا فى مسافته عِقابا وما بعد العقاب سوى النعيمِ

فلما دخلتُ المسجد الاقصى، وابصرتُ بدائعه التى لا تُستقصى،، بهرنى جمالُه الذى تجلّى الله به عليه، وسألتُ عن محلّ المعراج الشريف فارشدتُّ اليه، وشاهدتُّ محلّا أَمَّ فيه صلّعم الرسلَ الكرام الهُداة، وكان حقّى ان انشد هنالك ما قاله بعض الموفّقين وهو ممّا ينبغى ان يزمزم به الحُداة،،

ان كنتَ تسأل اين قد رُ محمد بين الانامْ فأَصِخْ الى آياته

تَظْفَرْ بريّك فى الأُوامْ أَكْرِمْ بعبد سلّمتْ تقديمه الرسلُ الكرامْ

فى حضرة للقُدْس[a] وا فاها بعزم واحترامْ ه صفّوا وصلّوا خلفه

a) S. التقديس.

انّ الجماعة بالامامْ   للشُهب نور بيّنٍ   والفضل للقمر التمامْ
سلْك النبوّة باهر   وباحمد خُتم النظامْ   هذا الكتاب دلالة
تبقى الى يوم القيامْ   شهدتْ له من بعد عجـز الْسُنُ اللُدّ الخصامْ
خير الورى واجلّ آ   يات له خير الكلامْ   فعليه من ربّ الورى
ازكى صلاة مع سلامْ

وربّما يقول من يَقف على سرد هذه الامداح النبويّة، الى متى وهذا الميدان تَكلّ فيه فرسانُ البديهة والرويّة،، فانشده فى الجواب، قول من امّ نهج الصواب،،

لأُديمنّ مديح المصطفى   فعْلَ من فى الله قوّى طمعَهْ
فعسى أُنْعَمُ فى الدنيا به   وعسى يحشرنى الله معَهْ

واذا كان القريض فى بعض الاحيان كذبا صراحا، والموفّق مَنْ تركه والحالةُ هذه رغبةً عنه وله اطّراحا،، فخيره ما كان حقًّا وهو مدح الله ورسوله، وبذلك يحصل للعبد منتهى سُولِه،،

ليس كل القريض يقبله السمـ   ـعُ وتُصْغى لذكره الافهامُ
ان بعض القريض ما كان هزلًا[a]   ليس شيئًا وبعضه احكامُ
واجلّ الكلام ما كان فى مد   ح شفيع الورى عليه السلامُ
طيّب العَرْف دائم الذكر لا تا   تى الليالى عليه والايامُ
مثل زهر قد شُقّ عنه كمام   او كمسك قد فُضّ عنه ختامُ
ليس تُحْصَى صفاتُ احمد بالعـ   ـدّ كما لم تُحِطْ به الاوهامُ
ولَوَ انّ البحار حِبْر وما فى   الارض من كل نابت اقلامُ
فطويل المديح فيه قصير   وحسام ماضٍ لديه كهامُ
ولسان البليغ للعىّ يُنْمَى   وكذا صيّب الفصيح جهامُ
كيف يُحْصَى مديح مولى عليه   الله اثنى وذكره مستدامُ
وله المعجزات والآىُ تبدو   لا يغطّى وجوهَهنّ لثامُ
فمن المعجزات ان سار ليلا   وجميع الانام فيه ينامُ
راكبا للبُراق حتى اتى القُدْ   سَ وفيه رُسْل الاله الكرامُ

---

a) O. هزءًا, G. P. هزاء. Ce vers manque dans S.

فاستووْا خلفه صفوفا وقالوا   صَلِّ يا احمدٌ فانت الامامُ
فعليه من ربّه صلوات   زاكيات مع صحبه وسلامُ

ثمّ رجعتُ الى القاهرة، وكرّرتُ منها الذهاب الى البقاع الطاهرة،، فدخلتُ لهذا التاريخ الذى هو عام ١٠٣٧ مكةَ خمسَ مرّات، وحصلتْ لى بالمجاورة فيها المسرّات،، وامليتُ فيها على قصد التبرُّك دروسا عديدة، والله يجعل ايام العمر بالعود اليها مديدة، ووفدتُّ على طيبة المعظّمة ميمّما مناهجها السديدة،، سبعَ مرار، واطفأتُ بالعود اليها ما بالاكباد الحرار،، واستضأتُ بتلك الانوار، والّفتُ بحضرته صلّعم بعضَ ما منّ الله به علىّ فى ذلك الجوار،، وامليتُ الحديث النبوىّ بمرأًى منه عليه الصلاة والسلام ومسمع، ونلتُ بذلك وغيره ولله المنّة ما لم يكن لى فيه مطمح ولا مطمع،، ثمّ أُبْتُ [a] الى مصر مفوّضا لله فى جميع الامور، ملازما خدمةَ العلم الشريف بالأَزْهَر المعمور،، وكان عودى من الحجّة الخامسة بصفر سنة ١٠٣٧ للهجرة فتحرّكتْ همّتى فى اوائل رجب هذه السنة للعود للبيت المقدّس، وتجديد العهد بالمحلّ الذى هو على التقوى مؤسّس،، فوصلتُ لاواسط رجب، واقمتُ فيه نحو ٢٥ يوما بدا لى فيها بفضل[b] الله وجهُ الرشد وما احتجب،، والقيتُ عدّة دروس بالاقصى والصخرة المنيفة، وزرتُ مقام الخليل ومن معه من الانبياء ذوى المقامات الشريفة،، وكنتُ حقيقا بأن انشد قول ابن مطروح، فى ذلك المقام الذى فضله معروف وامره مشروح،،

خليلَ الله قد جئناك نرجو   شفاعتك التى ليستْ تُرَدُّ
أَنِلْنا دعوةً واشفَعْ تشفَّعْ   الى من لا يخيب لديه قصدُ
وقُلْ يا ربِّ اضياف ووَفْدٌ   لهم بمحمّد صلةٌ وعهدُ
اتوا يستغفرونك من ذنوب   عظام لا تُعَدّ ولا تُحَدُّ
اذا وُزِنتْ بيَذْبُلَ او شَمَامِ   رجحْن ودونها رَضْوَى وأُحْدُ
ولكن لا يضيق العفوُ عنهم   وكيف يضيق وهو لهم مُعَدُّ
وقد سألوا رضاك على لسانى   الهى ما اخيب وما أُرَدُّ
فيا مولاهم عطفًا عليهم   فهم جمع اتوك وانت فردُ

ثم استوعبتُ اكثر تلك المزارات المباركة كمزار موسى الكليم، على نبيّنا وعليه

a) G. S. اتيت. b) La. O. بحمد.

وعلى سائر المرسلين. والانبياء اجمعين. افضل الصلاة والتسليم،، ثمّ حدث لى منتصَف شعبان، عزمٌ على الرحلة الى المدينة التى ظهر فضلُها وبان،، دمَشْق الشام، ذات الحسن والبهاء والحياء والاحتشام،، والاواح المتنوّعة، والارواح المتضوّعة،، حيث المشاهد المكرَّمة، والمعاهد المحترمة،، والغُوطة الغنّاء والحديقة، والمكارم التى يُبارى فيها المرءُ شانيَه وصديقَه،، والاظلال[a] الوريفة والافنان الوريقة، والزهر الذى تخاله مَبْسما والندى ريقَه،، والقضبان المُلْد، التى تُشوّق رائيها لجنّة الخُلْد،،

بحيث الروض وَضّاح الثنايا انيقُ الحسن مصقول الاديم

وهى المدينة المستولية على الطباع، المعمورة البقاع بالفضل والرباع،،

تزيد على مرّ الزمان طلاوةً دمشقُ التى راقتْ بحُلْو المشارب
لها فى اقاليم البلاد مشارقٌ منزّهة اقمارُها عن مغارب

ودخلتُها اواخر شعبان المذكور، وحمدتُ الرحلة اليها جعلها الله من السعى المشكور،،

وجدتُ بها ما يملأ العينَ قرّةً ويُسْلِى عن الاوطان كلَّ غريبِ

وشاهدتُ بعض مغانيها الحسنة، ومبانيها المستحسَنة،،

نزلنا بها ننوى المقام ثلاثةً فطابتْ لنا حتى اقمنا بها شهرًا

ورايناها من محاسنها ما لا يستوفيه من تأنّق فى الخطاب، واطال فى الوصف واطاب، وان ملأً من البلاغة الوطاب،، كما قلتُ[b]

محاسن الشام أَجْلَى من ان تُسامَ بحدّ لولا حمى الشرع قُلْنا
ولم تَقِفْ عند حدّ كانّها معجزات مقرونة بالتحدّى

فالجامع الجامع للبدائع يبهر الفِكَر، والغوطة المنوطة بالحسن تسحر الالبابَ لا سيّما اذا حيّاها النسيم وابتكر،،

احبُّ الحمى من اجل من سكن الحمى حديثٌ حديث فى الهوى وقديمُ

فلله مرآها الجميل الجليل، وبيوتها التى لم تخرج عن عُروض الخليل، ومخبرها الذى هو على فضلها وفضل اهلها ادلُّ الدليل، ومنظرها الذى ينقلب البصرُ عن بهجته وهو كليل،،

والروض قد راق العيونَ بحُلّة قد حاكها بسحابه آذارُ
وعلى غصون الدوح خُضْرُ غلائل والزهر فى اكمامه أَزْرارُ

---

a) La. O. والظلال. b) Ces deux mots manquent dans La. O. et P.

فكم لها من حسن ظاهر وكامن، كما قلتُ موطِّيًا للبيت الثامن،،

امّا دمشق فحضرة a لعبتْ بألْباب الخلائقْ هى بهجة الدنيا التى منها بديع الحسن فائقْ لله منها الصالحيّة فاخرتْ بذوى الحقائقْ والغوطة الغنّاء حيّيتْ b بالورود وبالشقائقْ ه والنهر صافٍ والنسيم اللّدْن للاشواق سائقْ والطير بالعيدان أَبْدَتْ فى الغِنا احلى الطرائقْ ولآلئُ الازهار حلّتْ جيدَ غصن فهو رائقْ ومراود الامطار قد كحلتْ بها حَدَقُ الحدائقْ لا زال مغناها مصو نًا آمنا كلَّ البوائقْ

وكما قلتُ مرتجلا ايضا مضمّنا الرابعَ والخامس

دمشق راقتْ رُواءً وبهجةً وغضارَهْ
فيها نسيم عليل صحّ فوافتْ بشارَهْ
وغوطة كعروس تُزْهَى باعجب شارَهْ
يا حسنها من رياض مثل النُضار نضارَهْ
ه كالزهر زَهْرًا وعنها عَرْف العبير عبارَهْ
والجامع الفرد منها اعلى الالهُ منارَهْ
وحاصل القول فيها لمن اراد اختصارَهْ
تذكيرُها من رآها عَدْنًا وحسبى اشارَهْ
دامتْ تفوق سواها إنالةً وإنارَهْ

وكما ارتجلتُ فيها ايضًا

قال لى ما تقول فى الشام حِبْر كلّما لاح بارقُ الحسن شامَهْ
قلتُ ما ذا اقول فى وصف قطر هو فى وجنة المحاسن شامَهْ

وقلتُ ايضا

قال لى صفْ دمشق مولًى رئيس جمّل الله خلقَه واحتشامَهْ
قلتُ كلَّ اللسانُ فى وصف قطر هو فى وجنة البسيطة شامَهْ

وقلتُ

واذا وصفتَ محاسن الدنيا فلا تَبْدَأْ بغير دمشق فيها اوّلَا
بلد اذا ارسلتَ طرفك نحوه لم تلقَ الّا جنّةً او جَدْوَلَا
ذا وصفُ بعض صفاته وهى التى تُعْيِى البليغَ وان اجاد وطوّلَا

والغاية فى هذا الباب، من الوصف لبعض محاسنها الفاتنة الالباب،، قول ابى الوحش سبع c بن خلف الاسدى، يَصِف ارضها المُشْرِقة. ورياضها المورقة. ونسيمها العليل.

---

a) La. O. جنة. *b*) O. حُفَّتْ. *c*) Les man. portent سبعى. Al-Makkarī s'est trompé ici sur le nom du poète, car d'après la *Kharīdah* (man. de Paris, n°. 1414), ces vers sont de فتيان بن على. Ibn-Batoutah (éd. Defrémery et Sanguinetti, tom. I, p. 193) les attribue aussi à سبع بن خلف ۞

وزهرها البلبل. النّدى a،،

سقى دمشقَ الشام غيثٌ ممرع b | من مستهلّ ديمة دُفاقها
مدينة ليس يُضاهَى حسنُها | فى سائر الدنيا ولا آفاقها c
تَوَدُّ زَوْراءُ العراق انّها | *تُعْزَى اليها لا الى عراقها d
فأرضها مثل السماء بهجةً | وزَهْرها كالزُهْر فى اشْراقها
نسيم ريّا روضها متى سرى | فكّ اخا الهموم من وثاقها
قد ربع الربيعُ فى ربوعها | وسيقت الدنيا الى اسواقها
لا تَسْأم العيونُ والانوفُ من | رويتها يومًا ولا استنشاقها e

وقول شمس الدين الاسدى الطيبى

اذا ذُكرتْ بقاعُ الارض يوما | فقُلْ سقيا لجِلّق ثم رَعْيا
وقُلْ فى وصفها لا فى سواها | بها ما شئتَ من دين ودُنْيا

وكانّ لسان الدين ذا الوزارتين ابن الخطيب، عناها بقوله المُصيب،،

بلد تحفّ به الرياضُ كانّه | وجه جميل والرياض عذارُهُ
وكانّما واديه معْصَمُ غادةٍ | ومن الجسور المُحْكَمات سوارُهُ

وكنتُ قبل رحلتى اليها، ووفادتى f عليها،، كثيرًا ما اسمع عن اهلها زاد الله فى ارتقائهم، ما يُشوّقنى الى رويتهم ولقائهم، ويُشْغفنى على البُعْد اريجُ الادبِ الفائق من تلقائهم،، حتى لقيتُ بمكّة المعظّمة، اوحدَ كبرائها الذين فرائدُهم بلبّة الدهر منظّمة،، عين الاعيان، وصدر ارباب التفسير بها والبيان،، صاحب القلم الذى طبّق الكُلَى والمفاصل، والفتاوى التى حكمُها بين الحقّ والباطل فاصل، والتآليف التى وصفُها بالاجادة من باب تحصيل الحاصل،، وارث العلم عن غير كلالة، ذو الحَسَب المُشْرق بدرُه فى سماء الجلالة، صاحب المعارف التى زانتْ خلالَه، وساحب اذيال العوارف التى ابانتْ على فضله دلالةً،، مفتى السلطان g على مذهب الامام النعمن،، مولانا الشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الاسلام عماد الدين، لا زال سالكا سبيل المهتدين،، فكان

---

a) Ce dernier mot manque dans La. et O. b) Le man. de la *Kharīdah* porte سقى دمشق الله غيثا محسبا. c) Ce vers manque dans la *Kharīdah*. d) Le man. de la *Kharīdah* porte منها ولا تعزى الى عراقها. e) G. S. P. انتشاقها. f) G. S. والوفادة. g) On lit sur la marge du man. S. الآن من اولاده كانوا مفتيين فى دمشق الشام سنة ١١٣٧.

جمّل الله به عصرا واوانا، لقصيّة هذا القياس عنوانا،، فلما حللتُ بدارهم، ورايتُ ما اذهلنى من سبقهم للفضل وبدارهم،، صدّق الخُبْرُ الخَبَرَ، وتمثّلتُ فيهم بقول بعض من غبر،،

المَنّ بنا اوصافُهم فامتلا الفضا عبيرا واضحى نورُه متألّقا

وقد كان هذا من سماع حديثهم بلاغًا فصحّ النقلُ اذ حصل اللقا

وقابلونى اسماهم الله بالاحتفال والاحتفا، وعرّفنى بديعُ برّهم فنّ الاكتفا،،

غمرتْنى المكارمُ الغُرّ منهم وتوالتْ علىّ منها فنونُ

شرطُ احسانهم تحقّق عندى ليت شعرى الجزاء كيف يكونُ

وقابلونى بالقبول مُغْضين عن جهلى،

وما زال بى احسانُهم وجميلُهم وبرُّهم حتى حسبتُهم اهلى

بل الأَوْلَى ان اتمثّل فيهم بما هو ابلغ من هذا المقولُ فى آل المهلّب، وهو قول بعض من نزل بقوم يرقُ قصدهم غير خُلّب، فى زمن به تقلّب،،

ولمّا نزلنا فى ظلال بيوتهم امنّا ونلنا الخصبَ فى زمن مَحْلِ

ولو لم يزدْ احسانُهم وجميلُهم على البرّ من اهلى حسبتُهم اهلى

لا سيّما المولى الذى امداحُه تُحلّى اجيادَ الطروس العاطلة، وسماحُه يخجل[a] انواء الغيوث الهاطلة،، صدر الاكابر الاعاظم، الحائز قصب السبق فى ميدان الاجادة بشهادة كل ناثر وناظم،، الصديق الذى بودّه أُغتبط، والصَدوق الذى باسباب عهده أُرتبط،، الاوحد الذى ضربت البراعةُ رواقَها بناديه، والماجد الذى لم يزل بديعُ البلاغة من كَثَب يناديه،، السرىّ الحائز[b] من الخلال ما ابان تفضيلَه، اللوذعىّ الذى لم تزل اوصافُه تحكم له بالسودد وتقضى له،، والحقُّ ابلج لا يحتاج الى زيادة براهين، الاجلّ المولى احمد أَفَنْدى بن شاهين،، لا زالت العزّةُ مقيمةً بواديه، ولا برحتْ حضرتُه جامعةً لبواطن الفخر وبواديه، والسعدُ يراوح مقامَه ويغاديه، والمجد يترنّم بذكره حاديه،، فكم له اسماه الله ولغيره من اعيان دمشق لدىّ من أَياد، يعجز عن الابانة عنها لو اراد وصفَها قُسّ اياد،، ولو تعرّضتُ لاسمائهم وحُلاهم، ادام الله تعالى سعودهم[c] وعُلاهم،، لَضاق عن ذلك هذا النطاقُ، وكان من شبه التكليف بما لا يُطاق،، فليت شعرى باىّ اسلوب، أُودّى بعض حقّهم المطلوب،، ام باىّ لسان، أُثْنى على مزاياهم

a) S. وسماحته تخجل. b) La. الذى حاز. c) La. O. سوددهم.

الحسان،، وما عسى ان اقول فى قوم نسقوا الفضائل وِلاءً، وتعاطوا اكوابَ المحامد[a] مِلاءً، وسحبوا من المجد مطارف ومُلاءً، وحازوا المكارم . وبذُّوا المُوادِدَ والمُصارِم . سودَدًا وعَلاءً،،

فما رياض زهر الربيع . اذا بدتْ فى وشيها البديع
ضاحكةً عن شنب الاقاحِ عند سفور طلعة الصباحِ
غنّى بها مطوّق الحمام وصافحتْها راحةُ الغمام
وباكرتْها نسمةٌ من الصَبَا فاصبحتْ كانّها عهد الصبا
نضارةً ورونقا وبهجَهْ تُفْدَى بكل ناظر ومهجَهْ
اطيَبُ من ثنائهم عبيرًا بين الورى وسَلْ[b] به خبيرًا
دامتْ معاليهم على طول الزمَنْ يُرْوَى حديثُ الفضل عنها عن حسَنْ
وثابتٍ وقُرّة وسعد وأُسعفوا بنيل كل وعد

فهم الذين نوّهوا بقدرى الخامل، وظنّوا مع نقصى ان بحر معرفتى وافر كامل،، حسبما اقتضاه طبعُهم العالى،

فلو شريتُ بعمرى ساعةً ذهبتْ من عيشتى معهم ما كان بالغالى

فمتعيّنٌ حقّهم لا يُتْرَكْ، وحبُّهم لا يخالط بغيره ولا يُشْرَكْ، وان اطلتُ الوصف فالغاية فى ذلك لا تُدْرَكْ،،

يزداد فى مسمعى ترداد ذكرهم طيبًا ويحسن فى عينى مكرّرُهُ .

واذا كان المديح الصادق لا يزيدهم رفعةَ قدر، فهم كما قال الاعرابىّ الذى ضلّتْ ناقتُه فى مدح البدر[c]،، والبليغ وذو الحَصَر فى ذلك سِيّانِ، والحقّ ابلج . والباطل لجلج . وليس الخَبَر كالعيان،،

هَبِ الروضَ لا يُثْنِى على الغيث نشرُه أَتحسبه تُخْفَى مآثرُه الحُسْنَى

وقد تذكّرتُ بلادى النائية، بذلك المرأَى الشامىّ الذى يبهر رائيَه،، فما شئتَ من انهار ذات انسجام، أُتْرِعَ بها من جريال الانس جام،، وازهار متوّجة للادواح، مروّحة

---

a) La. porte المحاسن. b) La. O. فاسال. c) On lit sur la marge du man. O. يشير الى قوله

ما ذا اقول وقولى فيك ذو حَصَر وقد كفيتَنى التفصيلَ والجُمَلَا
ان قلتُ لا زلتَ مرفوعا فانت كذا او قلتُ زانك ربّى فهو قد فَعَلَا

للنفوس بعاطر الارواح،، وحدائق تُغْشى a انوارُها الاحداق، وعيانها للخَبَر عنها مِصْداق واىّ مصداق،،

فهى التى ضحك البهارُ صباحَها   وبكتْ عشيّتَها عيونُ النرجس
واخضرَّ جانبُ نهرها فكانّه   سيف يُسَلُّ وغمدُه من سندس

وجنان، افنانُها فى الحسن ذوات افتنان،،

صافحتْها الرياحُ فاعتنق السَرْ   وُ ومالتْ طِوالُه للقصار
لائـذٌ بعضُه ببعض كقوم   فى عتاب مكرّر واعتذار

وبطاح راق سناها، وكمل حسنُها وتناهَى،، كما قلتُ مضمّنًا فى ذلك المَنْحَى، لقول بعض من قال فى البلاغة منًّا ومنحا،،

دمشقُ لا يُقاس بها سواها   ويمتنع القياسُ مع النصوص
حُلاها راقت الابصارَ حسنا   على حكم العموم او الخصوص
بساط زمرّد نُثرتْ عليه   من الياقوت الوانُ الفصوص

ولله درُّ القائل، فى وصف تلك الفضائل b،،

ان تكنْ جنّةُ الخلود بارض   فدمشق ولا تكون c سواهَا
او تكنْ فى السماء فهى عليها   قد امدّتْ هواءها وهواهَا
بلد طيّب وربٌّ غفور   فاغتنمْها عشيّةً او ضُحاهَا

وعند رويتى لتلك الاقطار، الجليلة الاوصاف العظيمة الاخطار، تفاءلتُ بالعود الى اوطان لى بها اوطار، اذ التشابُهُ بينهما قريب فى الانهار والازهار ذات العَرْف المعطار، وزادتْ هذه بالتقديس الذى همعتْ عليها منه الامطار،، وتمثّلتُ بقول الاصفهانى، وان غيّرتُ منه يسيرًا لما اسفرتْ وجوهُ التهانى،،

لمّا وردتُّ الصالحيّةَ حيث مجتمَع الرفاق   وشممتُ من ارض الشآ
م نسيمَ انفاس العراق   ايقنتُ لى ولمن احبُّ بجمع شمل واتّفاق
وضحكتُ من فرح اللقا   ء كما بكيتُ من الفراق   لم يبقَ لى الّا تجـ
ـشُّم ازمن السفر البواقى   حتى يطول حديثُنا   بصفات ما كُنّا نُلاقى

وكنتُ قبل حلولى بالبقاع الشاميّة مُولَعا بالوطن لا سواه، فصار القلب بعد ذلك

a) C'est ainsi qu'on lit dans P. Les autres man. portent تغشى. b) Voyez *Ibn-Batoutah*, édit. Defrémery et Sanguinetti, tom. I, p. 190. c) Les man. portent يكون.

مقسّما بهواه،،

ولى بالحمى اهل وبالشعب جيرة   وفى حاجر خِلٌّ وفى المنحنَى صَحْبُ
تقسّم ذا القلبُ المتيّم بينهم   سألتُكم بالله هل يُقْسَم القلبُ

فيا لك من صَبٍّ مُراعٍ للذمام، منقاد لشوقه فى زمام،، يتخيّل له انه سمع صوت قِيان بقول الاوّل

الى الله اشكو بالمدينة حاجةً   وبالشام[a] اخرى كيف يلتقيان

وفرد تعدّدتْ جموعُه، ووَشَتْ بما اكتَنّتْ ضلوعُه دموعُه،، فانشد وقد تحيّر، ما بدّل فيه من عظم ما به وغيّر،،

كتمتُ شان الهوى يومَ النوى فوشى   بسرّه من جفونى اىُّ نَمّامِ
كانتْ لياليَّ بيضًا فى دُنوّهم   فلا تَسَلْ بعدهم عن حال ايّامى
ضنيتُ وجدًا بهم والناس يحسب بى   سقما فأَبْهَمَ حالى عند لُوّامى
وليس اصلُ ضَنَى جسمى النحيل سوى   فرط اشتياقى لاهل الغرب والشامِ

وحصل التحيُّر، حيث لم يُمْكن الجمعُ ولا الخلوُّ عند التخيُّر،، كما قال ابن دَقيق العيد، فى مثل هذا الغرض البعيد،،

اذا كنتُ فى نجد وطيبِ نعيمه   تذكّرتُ اهلى باللوى فمُتحسِّرِ
وان كنتُ فيهم زدتُّ شوقا[b] ولوعةً   الى ساكنى نجد وعيلَ تصبُّرى
فقد طال ما بين الفريقَيْن موقفى   فمن لى بنجد بين اهلى ومَعْشَرى

وبالجملة فالاعتراف بالحقّ فريضة، ومحاسن الشام واهله طويلة عريضة، ورياضه بالمفاخر والكمالات اريضة، وهو مقرُّ الاولياء والانبيا. ولا يجهل فضلَه الّا الاغمارُ الاغبيا· الذين قلوبُهم مريضة،،

أنّى يرى الشمسَ خُفّاش يلاحظها   والشمس تبهر ابصارَ الخفافيش

ولله درُّ من قال فى مثل هذا من الارضياء،

وهَبْنى قلتُ انّ الصبح ليلٌ   أَيَعْمَى الناظرون عن الضياء

وقال آخر فيمَنْ عن الحقّ ينفر،

اذا لم يكن للمرء عينٌ بصيرة   فلا غروَ ان يرتاب والصبح مُسْفِرُ

---

a) La. O. وبالشعب.   b) La. وجدا.

وحسبُ الفاضل اللبيب، ان يروى قول البدر بن حبيب،،

عَرِّجْ اذا ما شِمْتَ برقَ الشَّآمْ   وحَيِّ اهلَ الحىّ وأَقْرِ السلامْ
وانزلْ بـاقليم جزيل الحِبَى   بـارك فيـه الـلـه ربُّ الانـامْ
العزُّ والنصر لديه ومـا   لعروة الاسلام عنه انفصامْ
من اولياء الله كم قد حوى   ركنًا بمرآه يطيب المقامْ
وهو مقرُّ الانبيـاء الأُلَى   والاصفيـاء الاتقيـاء الكرامْ
كم من شهيد فى حماه وكم   من عالم فردٍ وكم من امامْ

ولذلك اعتنت الجهابذةُ بتخليد اخباره فى الدواوين، وابتنت الاساتذةُ بيوتَ افتخاره المُنيفة الاواوين، وتناقلت انباءه البديعة السنُ الراوين، وهامتْ باماكنه المريعة. هُداة الشريعة. فضلًا عن الشعراء الغاوين، ومع ذلك فهم فى التعبير عن عجائبه غير متساوين، أَوَلَا يُرَى انهم ياتون من مقولهم. على قدر رايهم وعقولهم. ولم يبلغ جمع منهم ما كانوا له ناوين،،

على قدرك الصهباء تُوليك نشوةً   بها سىءُ اعداءٍ وسُرَّ صِحابُ
ولو انها تُعْطِيك منها بقدرها   لضاقتْ بك الاكوانُ وهى رِحابُ

وكنا فى خِلال الاقامة بدمشق المحوطة، واثناء التأمُّل فى محاسن الجامع والمنازل والقصور والغوطة، كثيرًا ما ننظم فى سلك المذاكرة دُرَرَ الاخبار الملقوطة، ونتفيّأُ من ظلال التبيان. مع اولئك الاعيان. فى مجالس مغبوطة، نتجاذب فيها اهدابَ الآداب. ونشرب من سلسال الاسترسال ونتهادى لُبابَ الالباب. ونمدُّ بساطَ الانبساط ونسدل أَطْنابَ الاطْناب. ونقضى اوطارَ الاقطار ونستدعى اعلامَ الاعلام. فينجرُّ بناa الكلامُ. والحديثُ شجون. وبالتفنُّن يبلغ المستفيدون ما يرجون. الى ذكر البلاد الاندلسيّة. ووَصْف رياضها السندسيّة. التى هى بالحسن منوطة، وقضاياها الموجَّهة التى لا يستوفيها المنطقُ مع انها ضروريّة ومُمْكِنة ومشروطة، والفِطَرُ السليمة. والافهام المستقيمة. بتسليم براهينها قاضيةٌ لا سيّما ان كانت بالانْصاف مربوطة،، فصرتُ أُورِدُ من بدائع بُلغائها ما يجرى على لسانى، من الفيض الرحمانى. واسرد من كلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب السَّلْمانى. صبَّ الله عليه شآبيبَ رُحْماه وبلَّغه من رضوانه الامانى،،

a) Telle est la leçon des man. O. et P. (le *tachdīd* est ajouté dans ce dernier). G. porte فيتنجر بنا , S. فتخبر بنا (*sic*), La. فتحرينا. Peut-être doit-on lire فيخرّ بنا ou فيجرّنا.

ما تُثيره المُناسَبةُ وتقتضيه، وتميل اليه الطباعُ السليمة وترتضيه،، من النظم الجَزْل، فى الجِدّ والهَزْل، والانْشاء الذى يُدْهِش به ذاكرُه الالبابَ ان شاء ويصرفه فى فنون البلاغة حالَي الوِّلاية والعَزْل،، اذ هو اعنى لسان الدين فارسُ النظم والنثر فى ذلك العصر، والمنفرد بالسبق فى تلك الميادين باداة الحصر[a] وكيف لا ونظمه لم تستولِ على مثله ايدى الهصر، ونثره يُزْرِى صورتَه بالخَرِيدة ودُمْيَة القَصْر،، فلما تكرَّر ذلك غيرَ مرّة على اسماعهم، لهجوا به دون غيره حتى صار كانه كلمةُ اجماعهم، وعلق بقلوبهم. واضحى منتهى مطلوبهم. ومنيةَ آمالهم واطماعهم،، وصاروا يقطفون بيد الرغبة فنونَه، ويعترفون ببراعته ويستحسنونه،، ويستنشقون من ازهاره كلَّ ذاك، فطلب المولى احمد الشاهينى اذذاك،، وهو الماجد المذكور، ذو السعى المشكور،، ان اتصدّى للتعريف بلسان الدين فى مصنّف يُعْرِب عن بعض احواله وانبائه، وبدائعه وصنائعه ووقائعه مع ملوك عصره وعلمائه وادبائه،، ومفاخره التى قلّدها جيدَ الزمان ولَبّتَه، ومآثره التى أرّج بها مَسْرَى الشمال وهَبّتَه،، وبعض ما له من النثار والنظام، والمؤلّفات الكبار العظام،، الرائقة للابصار، الفائقة على كلام كثير من اهل الامصار،، السائرة مسيرَ القمر والشمس، المعقودة عليها الخناصرُ[b] بل الخَمْس،، كى ما يكونَ ذلك لهذه الاغراض مُشيعا، ويخلعَ على مطالعه بهذه البلاد المشرقيّة من اغراضه البديعة ومنازعه وَشيعا،، فاجبتُه اسمى الله قدره الكبير، وادام عَرْف فضائله المُزْرِى بالعنبر والعبير،، بأنّ هذا الغرض غير سَهْل، ولستُ علم الله له بأَهْل،، من جهات عديدة، اوّلها قصورى عن تحمّل تلك الاعباء الشديدة، اذ لا يوفى بهذا الغرض الا الماهر بطُرُق المعارف السديدة،، وثانيها عدمُ تيسّر الكُتُب المستعان بها على هذا المرام لانى خلّفتُها بالمغرب، واكثرها فى المشرق كعنقاء مُغْرِب،، وثالثها شغلُ الخاطر باشجان الغربة، الجالبة للفكر غالبَ الكربة،، وتقسّم البال، بين شغل عائق وبلبال،، وأنّى يُطيق، سلوكَ هذا المَضيق،، من اكتحلتْ جفونُه بالسُهاد، ونَبَتْ جنوبُه عن المهاد،، وسدّد نحوه الاسفُ سهمَه. وشغل بالَه ووهمَه،، وبثّ فى قلبه تبريحا، وعناءً لم يَجِدْ منه الا ان يلطف الله تسريحا،، فما شام بارقةَ امل الا فى النادر، ولا ورد منهلَ صفاءٍ الا وكدّره مكرُ غادر، وقد كثر الجفاء. وبَرِحَ بلا شكّ الخفاء. واستوخمت

a) Je dois avouer que je n'ai pas saisi le sens de ces derniers mots. b) La. O. المعقود عليها بالخناصر ✡

الموارِدُ والمصادر، والقلب مكلوم٠ واللبُّ [a] غير ملوم٠ اذا كان على تلفيق ما يليق غيرَ قادر،، ولا مونسَ الا شاكى دهر بلسان صريح، او باكى قاصمة ظهر بجفن قريح، او مُناضل فى معترك العجز طريح، او فاضل دُفن من الخمول فى ضريح،، اذ رمَتْه سهامُ الاوهام الصوائب، وعضّتْ منه ابْهامَ الايهام [b] بنابها النَّوَى والنوائبُ، فقلوبه من تقلّبات احواله ذوائب، وكم شابتْ من امثاله بصروف الدهر واهواله ذوائب،،

على انّها الايام قد صِرْنَ [c] كلُّها   عجائبَ حتى ليس فيها عجائبُ

* وادمغ احجارِها [d]، تسلط فُجّارَها،، فكم من عدوّ منهم فى ثياب صديق، وحَسُود لنظره الى نعَم الله على عباده تحديق،، لا تخدعه المُداراة، ولا تردعه المُماراة، يتتبّع [e] العثرات، ويقنّع بألم البثرات،، ويتبسّم، وقلبه من الغلّ يتقسّم،، ويتودّد، ومكايده تتجدّد فتتعدّد،،

لا تَرُمْ من مُماذق الودّ خيرا   فبعيد من السَراب الشرابُ
رونق كالحباب يعلو على الما   ء ولكن تحت الحَباب الحُبابُ
عظمتْ فى النفاق أَلْسِنَةُ القو   م وفى الالسن العِذاب العَذابُ

والصديق الصدوق فى هذا الزمن قليل، وقد الّف بعضُ العلماء شفاء الغليل، فى ذمّ الصاحب والخليل،، وهو غير محمول على الاطّلاق، وان قال بعض من رهنُه من ابناء عصره ذو اغلاق،،

مثل العدَا بسلاحكا   ابناء دهرك فالْقَهم
لا تغترِرْ بتبسُّم   فالسيف يقتل ضاحكا

وداء الحسد أَعْيَا الاوّلَ والآخر، وقد عظم الامرُ فى هذا الاوان وكثر المُزْرِى والساخر،، مع ان اسواق الدفاتر كاسدة، وأَمْزِجة المحابر فاسدة،،

والدهر دهر الجاهليـــن وامرُ اهل العلم فاترْ
لا سُوقَ اكسَدُ فيه من   سوق المحابر والدفاترْ

فالمنسوب للعلم فى ذا الزمن زَمِن، وهو بان ينشد قول الاول قَمِن،،

لاقٍ ومبيض بارقة اشيمُ   ومرعى الفضل عندهم هشيمُ

وليت شعرى على مَ يُحْسَد مَنْ ابدل الاغترابُ شارتَه، واضعف الاضطرابُ اشارتَه،،

---

a) La. O. وذو اللب.   b) G. O. P. الابهام , S. الانهام.   c) La. et O. portent اضحين au lieu de قد صرن.   d) Ces mots sont certainement altérés; La. et O. portent وادمع , S. وادمغ. J'ai ajouté au mot فجارها les voyelles qui se trouvent dans le man. O.   e) La. ويتبع.

واهلّ بالدموع انواءه، وقلّل اضواءه، وكثّر علله وادواءه، وغيّر عند التأمّل رُواءه،، وثنى عن المأمول عنانَه، وارهف بالخمول سنانَه، حتى قدح الذكرُ حنانَه، وملأ الفكرُ جاشَه وجنانَه،، فهو فى ميدان النزوح مستبق، ومن راحة التعب مصطبح ومغتبق،،

له أَنّةُ المشتاق فى كل ساعة   تمرّ وما للشاكلات من الحُزْنِ
ومن مُرْسَلات الدمع واقعةُ الاسى   ومن عاديات البين قارعةُ السِّنّ

تُثير الذكرى منه كوامنَ الشجون، وتُدير عليه جامَ الهُيام ولو كان بين الصَفا والحَجُون،،

وتحت ضلوع المستهام كآبةٌ   يخاف على الاحشاء منها التفطُّرا
ولو انّ احشاءً تبوح بما حَوَتْ   لتمتلئنّ الارض كُتْبًا وأَسْطُرا

وشتّانَ ما بين الاقتراب والاغتراب، والسكون· فى الوكون· والنبوّ عنها والاضطراب،، فكذلك تَسْهُلُ غالبًا فيه الاغراضُ والمآرب، وهذا تتعقّر فيه a المقاصدُ وتتكدّر المشارب،،

وما انا عن تحصيل دنيا بعاجز   ولكن ارى تحصيلَها بالدنيّة
وان طاوعتْنى رقّةُ الحال مرّةً   أَبَتْ فعلَها اخلاقُ نفس ابيّة

وكما قلتُ، عند ما صرتُ الى الاغتراب وأُلْتُ،،

تركتُ رسومَ عزّى فى بلادى   وصرتُ بمصر منسىَّ الرسوم
ورُضْتُ النفسَ بالتجريد زهدا   وقلتُ لها عن العَلْياء صُومى
مخافةَ ان أُرى بالحرص ممّن   يكون زمانه احد الخصوم

وكما قال بعض الاكابر، من اهل الزمان الغابر،،

لا عارَ ان عطلتْ يداىَ من الغنَا   كم سابق فى الخيل غير محجَّل
صان اللئيمُ وصُنْتُ وجهى ماله   دونى فلم يبذلْ ولم اتبذَّل
ابكى لهمّ صافنى متأوّبًا   انّ الدموع قِرَى الهموم النُزَّل
لا تُنْكروا شيبا الـمّ بمفرقى   عجِلًا كانّ سناه سلّةُ مُنْصُل
فلقد دُفعتُ الى الهموم تَنُوبُنى   منها ثلاثُ شدائدٍ جُمّعْنَ لى
اسفٌ على ماضى الزمان وحيرةٌ   فى الحال منه ووحشةُ المستقبل
ما انْ وصلتُ الى زمان آخر   الّا بكيتُ على الزمان الاوّل
لله عهدٌ بالحمى لم أَنْسَه   ايامَ أَعْصى فى الصبابة عُذَّلى

---

a) C'est ainsi que j'ai cru devoir lire. G. et P. portent كذلك تتعقرم , S. كذلك يتقعرم , La. تتعرم فيه , O. تَغْتَفِرُ فيه.

ويرحم الله ابن قلاقس الاسكندرى، اذ قال فى معنى التمنّى المَصْدَرى،،

لعلّ زمانى بالعُذَيْب يعودُ　　فيقرب قربٌ او يصدّ صدودُ
وأُبْصِر كثبانا وهنّ روادف　　عليهنّ اغصان وهنّ قدودُ
واقطف وردَ الخدّ وهو مضرّج　　واجنى اقاحَ الثغر وهو بَرُودُ
وأُدْنى ذراعى للعناق ذريعةً　　فتنهى عن الافْراط فيه نهودُ
ويسرى الىّ البدرُ وهو ممنّع　　ويغدو الىّ الظّبىُ وهو شَرُودُ
ونكرع فى شكوى الفراق كانّنا　　فوارطُ هيمٌ راقهنّ ورودُ
واكبر مقدارَ الهوى عن كبيرة　　واحمى عفافى دونه واذودُ

وفرق ما بين الجوهر والعَرَض، والصحّة البيّنة والمَرَض،، والدرّ والحَصَى، والحسام والعَصَى،، والرجوعُ الى التفويض للاقدار، فى امور هذه الدار، الكثيرة الاكدار،، هو المطلوب، والمرجوّ من الله سبحانه جبرُ القلوب،،

يا ربِّ نَفّسْ همومى　　واكشفْ كروبى جميعًا
فقد رجوتُ كريما　　وقد دعوتُ سميعًا

ولم يجعل لى المذكورُ حفظه الله فسحةً ولا مندوحة، بعد هذه الاعذار المحمودة فى الصدق الممدوحة،، ولسانُ حالى وقالى، يُثْبِتان عجزى عن اداء هذا الحقّ بشهادة من هو وادٌّ وقالىّ،، اذ من كان بصفة، غير متمكّنة ممّا تكون به متّصفة،، واتّسم بنعوت مختلفة، وارتسم فى غير ذوى الاحوال الموتلفة،، كيف يُحير فى التصنيف جوابا، او ينتحى من التاليف صوابا،، ومَنْ جفنُه هام هامل، وقصورُه عامٌّ شامل، كيف يقبض بالانامل، على ماء البحر الوافر الكامل،، ومَنْ لبس من العىّ مُلاة، لا يعبّر عمّن طبّق مفاصلَ الكلام وكُلاه، وقصّرت ألْسُنُ البلغاء عن عُلاه، وزانتْ صدورَ الدواوين حُلاه،، وجمع خلالا حسانا، وكان للدين لسانا،، وزاحمتْ مفاخرُه بالمناكب الكواكب، وازدانتْ بمرآه النوادى والمواكب،، ونفحات الازهار من آدابه، ونسمات الاسحار عطر اذياله واهدابه،، والشَحْر a من كتابته، والسحر من كنايته،، وروّح النسيم من تعريضه، والنثرة من نثره والشِعْرَى من شعره وقريضه،، وحُلَلُ المجد لباسُه، وانوار العلم اقتباسُه،،

a) G. P. والشحر , S. La. والسحر.

له ذهن يغوص ببحر علم a   فياتى منه بالدرّ النظيم
معانيه الرياض لاجل هذا   سَرَتْ الفاظُه مثل النسيم

ومُباهيه النجوم، ومُضاهيه الغيث السَجُوم،، الى آباء يحسدهم البدرُ والشمس، واباء لو كان للمشرفىّ ما تحيّقه لَمْسٌ،، وشرف لا مدّعى ومنتحَل، وهمّة لو نالها البدرُ لاستجدى b له زُحَل،، ويراعة أُرهفَتْ سنانُ قلمه، وبراعة سارتْ امراؤها تحت عَلَمه،، فكم فتح بفكره اقفالَها، ووسم بذهنه الثاقب اغفالَها،، وسبك معانيها فى قالَب قلبه ابريزا، ورقم ببيانُ لسانه، بردَ احسانه، بلفظه البديع تطريزا، فرُفع فى ميدان الاجادة لواؤه، واتيح من انهار البراعة العذبة اْرواؤه، ونال سبقا وتبريزا،،

وما زمنُ الشباب وانت تجرى   مع الاحباب فى لهو وطيب
ووصلٌ من حبيب بعد هجر   بأَحْلَى من كلام ابن الخطيب

فقصائده ارخصتْ جواهرَ البحور، المنظومةَ قلائدَ اللبّات والنحور، من حسان العقائل الحُور،،   معانٍ والفاظٌ تنظَّمُ منهما   عقودُ لآلى فى نحور الشمائل
وزهرُ كلام كالحدائق نسجُه   غنينا به عن حسن زهر الخمائل

وكلماته غدتْ للابداع اقليدا، وجمعتْ طريفا من البلاغة وتليدا،،

كَسَوْنَ عَبيدًا ثيابَ العَبيد   واضحى لَبيدٌ بهنّ بَليدا

ومقطّعاته الذّ فى الاسماع، من مطرب السَماع،، وأَبْهَى فى الاحداق والنواظر، من الحدائق ذوات الاغصان المُلْد النواضر،، يعترف بفضلها من انتحل الانْصافَ دينا، وانتخل الاوصاف فاختار العدلَ منها خَدينا،،

رقيقات المقاطع مُحْكَمات   لو انّ الشعر يُلْبَس لارْتُدينا

ورسائله كنُقَط العروس اللائحة فى البياض، او كوشى الربيع او قُطَع الرياض،، برزتْ اغصانُها الحالية وتبرّجتْ، وتصوّعتْ افنانُها العالية وتأرّجتْ،، وقد البسها القَطْرُ زهرا، وفجر خلالَها نهرا،، فأَخذتْ زخرفَها وازّيَنَتْ c، ولاحتْ محاسنُها غير محتجبة وتبيّنتْ،، فبهرتْ من لها قابل، استغفر الله لا بَلْ،،

هى الحديقة الّا انّ صيّبها   صوبُ النُهَى وجناها زهرةُ الكَلِم

وقوافيه، ربشتْ بها قوادمُ الاتقان وخوافيه،، نبالٌ مُجاريها يستدثر الحَصَر، وباع

a) La. بكل علم , O. بكل بحر. b) G. P. O. لاستحدى. c) Ces mots sont empruntés au *Korān*, sour. 10, vs. 25.

مُباريها يستشعر القصَر،،

خطُّها روضة والفاظُها الاز هار يضحكن والمعانى ثمارُ

تُبْدى لمُبْصرها وتُرى، ما قال ابو عُبادةَ البُحْتُرى،،

وكلام كانّه الزهر الصا فى له رونق الربيع الجديد

مُشْرِق فى جوانب السمع ما يُخْـ ـلقه عودُه على المستعيد

ومعانٍ لو فصلتْها القوافى هجّنتْ شعرَ جَرْوَل ولَبيد[a]

حُزْنَ مستعمَلَ الكلام اختيارا وتجنّبْنَ ظلمةَ التعقيد

بل هى اجلُّ ممّا وُصف عند التحقيق، وامْعانِ النظر الصحيح والتدقيق،،

اين زهر الرياض وهو اذا ما طال عهدًا بالغيث عاد هشيمًا

من قواف كانّها الانجم الزُهْـ ـر سناها زان الظلامَ[b] البهيمَا

وناهيك بمن اطلعتْه العلومُ على جلائلها ودقائقها، وأَرَتْه الفهومُ ما شاء من يانعات حدائقها، وحَبّتْه[c] الحكَمُ الرياضيّة بازهارها وشقائقها،، وارضعتْه الوزارةُ من ثُديّها، وحلّتْ به الامارةُ صدرَ نَديّها، وجعلتْه المرجوعَ اليه فى تمييز جيّد الامور ورَديّها، فغرس فى ارض الرياسة من نخل السياسة احسنَ وَديّها،، واعلى علم العدل واغمد سيف الانتقام، ودفع تَبّينَ الفتنة الذى فغر فاه للالتقام،، والعهد اذذاك قريب، فى وطن الاندلس الغريب،، باختلال الحال، وتوالى الامْحال،، والتَجَرّى على قتل الملوك، والتَحَرّى لقطع الطُرُق ومَنْع السلوك،، حيث اهواءُ المارقين ذات اشتراق، وضلوعُ الصادقين فى قلق واحتراق،، وايدى الاحَن باطشة، وسيوف المحَن الى الدماء عاطشة،، وعرشُ الحماية مثلول، وصارمُ الكفاية مفلول، ونطاقُ الرعاية محلول، ودَمُ الوقاية مطلول، وجَيْبُ النصيحة مملول،، والتنّور السلطانى بنار اختلاف الكلمة ملتهب، والعدوُّ ينتهز الفرصةَ ويسلب الانفسَ والاموال وينتهب،، وليس له فى غير قطع شأفة المسلمين ابتغا، وان عقد المهادنةَ فى بعض الاحيان فهو يُسِرّ حَسْوًا فى ارتغا،، وكلابُ الباطل فى دماء اهل الحقّ والغة، ولله سبحانه وتعالى فى خلقه ارادةٌ نافذة وحكمةٌ بالغة،، فرقع لسانُ الدين ثوبَ الاندلس ورفاه، وارغم رحمه الكفرَ الذى فغر فاه،، وشمّر عن

a) J'ai corrigé cet hémistiche d'après le man. 1483 de la bibl. impér. de Paris. Les man. La. et O. d'al-Makkarī portent قول au lieu de شعر. Dans G. et S. le texte est altéré de cette manière: لهجت (S. هيجت) ما لجرول من نشيد. b) S. قد زان ليلا بهيما. c) G. P. وحيّته.

ساعد اجتهاده، وحضّ باللسان وباليد على دفاعه وجهاده،، حتى لاحتْ للنصر بوارق، وامنتْ بالحزم الطوارئ والطوارق،، ثم ضرب الدهرُ ضَرَبانَه، واحرق الحاسدَ بنار احقاده وانصر بانَه، واظهر ما فى قلبه على لسان الدين وأَبانَه، ونقض تدبيرَه، وقلقل ثَبيرَه، ورَضْواه وأَبانَه،، وتقرّب الوُشاةُ، وهم ممّن كان يخدمه ويغشاه، الى سلطانه، الذى كان عزّة اوطانه، الذى كان يامنه ولا يخشاه،، حتى فسد عليه ضميرُه، وتكدّر ومن يسمعْ يخلْ نميرُه،، فاحسّ بظاهر التغيُّر، وصار فى الباطن من اهل التحيُّر،، واجال قداح ارائه، والتفتَ الى جهة العدوة[a] من ورائه،، ففرّ مشمّرا عن ذيله، فى لُمّة من خيله،، الى اسد العَرين، سلطان بنى مَرين،، وكان اذذاك بتِلمْسان، وهو من اهل العلم والعدل والاحسان،، فاهتزّ لمقدمه، ولقيه بخاصّته وخدمه،، واكرم مثواه، وجعله صاحبَ نجواه،، ثم ادرك السلطانَ الحمام، وكسف بدرُه وقتَ التمام،، فرجع لسان الدين الى فاس، واستنشق بها اطيب الانفاس،، وكثرتْ بعد ذلك الاهوال، وتغيّرتْ بسببه بين رؤساء العدوة والاندلس الاحوال،، فما نجا من مكر العِدَى ولا سَلِم، وآل امرُه من الاغتيال، وما نفع الاحتيالُ، الى ما عُلم،، على يدى بعض اعدائه، الذين كانوا يتربّصون الدوائرَ لأرْدائه، فاصبح كأمْس الذاهب، وصارتْ امواله وضياعه عُرْضةً للناهب، وغصّ بذلك من كان من اودّائه، واخذ الله ثارَه، من بعض من حرّك عليه المكرَ واثارَه، وتسبّب فى هلاكه، حتى انتثرتْ جواهرُ اسلاكه، ومات بدائه،، فالعيون الى هذا الوقت على لسان الدين باكية، ونفوسُ الاكابر وغيرهم ممّا فُعل به شاكية، والالسنةُ والاقلام، لمقاماته فى الاسلام، حاكية،، فمن كان بهذه السمات واكثرَ منها موصوفا، لا يقدر مثلى على تحبير التعبير عنه ويُخْشَى ان تكون فكرتُه كخرقاءَ نقضتْ قُطنا او صُوفا،، ثمّ انّى لما تكرّر علىّ فى هذا الغرض الالحاح، ولم تُقْبَلْ اعذارى التى زندُها شَحاح، عزمتُ على الاجابة لما للمذكور علىّ من الحقوق، وكيف أُقابل برّه حفظه الله بالعقوق، وهو الذى يروى من احاديث الفضل الحسانَ والصحاح،، فوعدتُه بالشروع فى المطلب عند الوصول الى القاهرة المُعزّيّة، وازمعتُ السير عن دمشق المعروفة المزيّة، والبَسَنى السفرُ منها من الخِلَع زيَّه،، ورحلنا عن تلك الارجاء المتألّقة، والقلوب بها وبمن فيها متعلّقة،،

---

a) Les man. portent العدو.

حللنــا ديــارا للغرام سَرَتْ بهــا اليـنا صبا نجدٍ بطيب نسيمِ
وبان رَدَى الاشجان لمّا تجاذبتْ اكفُّ المُنَى فيها رداءَ نعيمِ
فما أَنْشَبَتْنا العيسُ أَنْ قذفتْ بنا الى فرقةٍ والعهدُ غيرُ قديمِ
فــان نكُ ودّعنــا الديــارَ واهلَهـا فما عهدُ نجدٍ عندنا بذميمِ

فخرج معنا اسماه الله مع جملة من الاعيان الى داريّا، المضاهيةِ لدارينَ فى ريّاها وحبّذا ريّا،، فالفيناها

ريّــا من الانــداء طــيّبةً لها القدرُ الجليلْ تُهْــدى لنــا ارجــاؤهـــا
ارجًا من الزهر البليلْ وبها الغصون تمــايلتْ مَيْلَ الخليل على الخليلْ

ووصلنا عند الظهيرة، وسرحنا العيونَ فى بدائعها[a] الشهيرة،،

منزل كــالربيــع حلّتْ عليـه حالياتُ السحاب عقدَ النطاقِ
يُمْتِع العينَ من طرائف حُسْنٍ تتجــافَى بهــا عن الاِطْـراقِ

وقِلْنا بها، لما نزلنا بجنابها،،

وبِتْنــا والسرورُ لنــا نديم ومــاءُ عيونه الصافى مُدامُ
يسامره النسيمُ اذا تغنّتْ حمــائمُه ويسقيه الغمــامُ

فيا لكِ من ليلة أَرْبَتْ فى طيب النفح، على ليلة الشريف الرِضَى بالسفح،،

ونــحــن فــى روضــة مفوّفــة قد وُشِيتْ بالغمــائم الوُكُفِ
نُغْفِى على زهرهـا فيُوقِظنـا وهنًــا هديرُ الحمــائم الهُتُفِ
ودوحها من نداه فى وُشُحٍ ومن لآلى الازهــار فى شُنُفِ
والغصن من فوقه حمــامتُه كــانّهــا همزةٌ على أَلِفِ

وما اقرب قولَ الوزير ابن عمّار، من وصف ذلك المِضْمار، الجامع للاقمار،،

يــا ليلةً بِتْنــا بهــا فــى ظلّ اكنــاف النعيمِ
من فوق اكمام الريا ض وتحت اذيــال النسيمِ

ونــاهيك بمحلٍّ قرب من دمشق الغرّا، فخلعتْ عليه حُلَلَ الحُبور والسَرّا،، وامدّتْه بضيــائهـا، واودعتْه برقَ حياهــا ومــاءَ حيــائهــا،، فصــار نــاضرَ الدوحــات، عاطرَ الغدوات والروحــات،، مونقَ الانفــاس والنفحــات، مُشْرِقَ الاسرّة والصفحــات،، هذا والقلوب من

---

a) La. O. محاسنها. b) La. O. خلع.

الفراق فى قلق، ولسان الحال ينشد

وبى علاقةُ وجدٍ ليس يعلمها   الّا الذى خلق الانسانَ من عَلَق [a]

ويحثّ على انتهاز فرصة اللقاء ان هى غنيمة، ويذكّر بقول من قال واكفُّ الدهر مُوقظةٌ ومُنيمة،،

تَمَتَّعْ بالرُقاد على شمال   فسوف يطول نومُك باليمين

ومَتِّعْ من يُحِبُّك باجتماع   فانت من الفراق على يقين

ثم حضر بعد تلك الليلة موقفُ الوداع، والكلُّ ما بين واجم وباكٍ وداعٍ، فتمثّلتُ بقول من قلبُه لفراق الاحباب فى انصداع،،

ودّعتُهم ودموعى   على الخدود غِزارُ   فاستكثروا دَمْعَ عينى   لمّا استقلّوا وساروا

وقول آخر

يا وحشةً من جيرة قد نأَوا   عُلُوُّ قدرى فى الهوى انحطّا

حَكَتْ دموعى البحرَ من بعدهم   لمّا رأَتْ منزلَهم شطّا

وحُقّ لى ان اتمثّل فى ذلك بقول العزازى [b]

لا تَسَلْنى عمّا جناه الفراقُ   حمّلتْنى يداه ما لا يُطاقُ

اين صبرى أَمْ كيف أَمْلكُ دمعى   والمطايا بالظاعنين تُساقُ

قِفْ معى نَنْدُب الطلولَ فهاذى   سُنّةٌ قبلُ سَنّها العُشّاقُ

وأَعِدْ لى ذكرَ الغُوَيْر فكم ما   ل بعطفى نسيمُه الخَفّاقُ

فى سبيل الغرام ما فعلتْ بالـ   ـعاشقين القدودُ والاحداقُ

يومَ ولّتْ طلائعُ الصبر منّا   ثم شنّتْ غاراتِها الاشواقُ

وبقول غيره

كُنّا جميعا والدارُ تجمعنا   مثلَ حروف الجميع ملتصقَهْ

واليومَ صار الوداعُ يجعلنا   مثلَ حروف الوداع مفترقَهْ

وقول آخر

حين همَّ الحبيبُ بالتوديعِ   عيّرونى انّى سفحتُ [c] دموعى

لم يذوقوا طعمَ الفراق ولا ما   احرقتْ لوعةُ الاسى من ضلوعى

كيف لا اسفح [d] الدموعَ على ربـ   ـع حوى خيرَ ساكنٍ وجموعِ

هَبْكَ انّى كتمتُ حالى أَتُخْفَى   زفراتُ المتيَّم المصدوعِ

انّما يُعرف الغرامُ بمن لا   ح عليه الغرامُ بين الربوعِ

وقول من قال

---

a) Voyez le *Korān*, sour. 96, vs. 2. b) C'est ainsi qu'on lit dans le man. O.; S. et P. portent الغرازى, La. الفرازى, G. الفزارى. c) La. O. سفكت. d) La. O. اسفك.

اقول له عند توديعه — وكلٌّ بعبرته مُبْلِسُ
لئنْ قعدتْ عنك اجسادُنا — لقد سافرتْ معك الانفسُ

وقول الصابى

ولمّا حضرتُ لتوديعه — وطرفُ النوى نحونا أَشْوَسُ
عكستُ له بيتَ شعر مضى — يليق به الحالُ ان يُعْكَسُ
لئنْ سافرتْ عنك اجسادُنا — فقد قعدتْ معك الانفسُ

وقول المهذّب بن اسعد الموصلى

دَعْنى وما شاء التفرّقُ والأُسَى — واقصدْ بلومك من يطيعك او يَعِى
لا قلبَ لى فأَعِى الملامَ فانّنى — اودعتُه بالامس عند مودّعى
هل يعلم المتحمّلون لنجعة — انّ المنازل أَخْصَبَتْ من ادمعى
كم غادروا حَرِضًا وكم لوداعهم — بين الجوانح من غرام مُودَعِ
والسقم آيةُ ما أُجِنُّ من الجوى — والدمع بيّنة على ما أَدَّعى

وقول الكمال التَنُوخى

كم ليلة قد بتُّها ارعى السُهَى — جَزَعًا لفرقتهم بمقلة أَرْمَد
قضّيتُها ما بين نوم نافر — وزفير مهجور وقلب المُكْمَد
لم أَنْسَ ايامَ السرور وطيبَها — بين الصرير وبين برقة ثَمْهَد
والروض قد ابدى بدائعَ نَوْره — من ازرق ومفضّض ومورّد
والماء يبدو كالصوارم ساريًا — فيُعيده مرُّ الصبا كالمبْرَد
والطير بين مسجّع ومرجّع — ومغرّد ومعدّد ومردّد

وقول القاضى بهاء الدين السنْجارى a

أَحْبابَنا ما لى على بعده b المدى — جَلَدٌ ومَنْ بعد النوى يتجلّدُ
لله اوقاتُ الوصال ومنظر — نَضِرٌ وغصنُ الوصل غضٌّ املَدُ
أَنّى يُطيق اخو الهوى كتمانَه — والخدُّ بالدمع المصون مخدّدُ
ما بعد مفترَق الركاب تصبُّر — عمّن أُحبّ فهل خليل يُسْعَدُ
يا سعدُ ساعِدْ بالبكاء اخا هوى — يومَ الوداع بكى عليه الحُسّدُ

---

a) La. O, السخاوى. *b*) O. لى وقد بَعُد.

وقول ابن الاثير لم أَنْسَ ليلةَ ودَّعوا صبًّا وساروا بالحمولِ
والدمع من فرط الاسى يجرى فيعثر بالذيولِ a

وقول الأَرَّجانى ولمّا وقفنا للوداع عشيّةً وطرفى وقلبى هامعٌ وخَفُوقُ
بكيتُ فاضحكتُ الوُشاةَ شماتةً كانّى سحاب والوشاة بروقُ

وقول بعضهم لمّا حَدَا الحادى بترحالهم هيّج اشواقى واشجانى
فراح يثنى القلبَ عن غيرهم فهو لهم حادٍ ولى ثانى

وقول الصَفَدى لمّا اعتنقْنا لوداع النوى وكدتُّ من حَرّ الجوى احرقُ
رايتُ قلبى سار قُدّامَهم وادمعى تجرى ولا تلحقُ

وقوله تذكّرتُ عيشا مرَّ حُلْوًا بكم فهل لايّامنا تلك الذواهب واهبُ
وما انصرفتْ آمالُ نفسى لغيركم ولا انا عن هٰذى الرغائب غائبُ
سأَصْبِر كُرْهًا فى الهوى غيرَ طائع لعلّ زمانى بالحبائب آئبُ

وقول ابن نُبَاتة b فى كنف الله وفى حفظه مَسْراك والعودُ بعزم صريحْ c
لو جاز ان تَسْلُكَ اجفانَنا كُنّا فرشنا كلّ جفن قريحْ
لكنّها بالبُعْد معتلّة وانت لا تسلك الّا الصحيحْ

وقول الحافظ ابى الحسن على بن الفضل d
عجبتُ لنفسى بعدهم ما بقاؤها ولم أُحْظَ من لقياهم بمُرادى
لعمرُك ما فارقتُهم منذ ودّعوا ولكنّما فارقتُ طيب رُقادى
وقد منعوا منّى زيارةَ طيفهم وكيف يزور الطيفُ حلْفَ سُهادِ
وأَعْجَبُ ما فى الامر شوقى اليهم وهم فى سوادَىْ ناظرى وفؤادى

وقوله رعى الله ايامَ المُقام بروضة تروح علينا بالسرور وتغتدى
كانّ الشقيق الغضّ بين بطاحها نجومُ عقيق فى سماء زبرجدِ

وقول القاضى الرشيد الأُسْوانى

---

a) La. et O. ajoutent ici: وقول ابن نباتة السعدى
ولمّا وقفنا للوداع عشيّةً ولم يبقَ الّا شامتٌ وغَيُورُ
وقفنا فمن باك يُكفكف دمعَه وملتزم قلبًا يكاد يطيرُ

b) La. et O. ajoutent المصرى. c) La. O. نجيح. d) S. P. المفضل.

رحلوا فلا خَلَتِ المنازلُ منهمُ   ونأَوْا فلا سَلَتِ الجوانحُ عنهمُ
وسَرَوْا وقد كتموا الغداةَ مسيرَهم   وضياءُ نور الشمس ما لا يُكْتَمُ
وتبدّلوا ارضَ العقيق عن الحمى   روّتْ جفونى اىَّ ارض يمّموا
نزلوا العُذَيْبَ وانّما هو مهجتى   رحلوا وفى قلب المتيّم خيّموا
ما ضرّهم لو ودّعوا من اودعوا   نارَ الغرام وسلّموا من اسلموا
هم فى الحشى ان اعرقوا او ايمنوا   او اشأموا او انجدوا او أتْهَموا[a]

وقول الشاعر ابى طاهر الاصفهانى المعروف بالوَثّابى[b]

اشاعوا فقالوا وقفةٌ ووداعُ   وزُمّتْ مطايا للرحيل سِراعُ
فقلتُ وداعٌ لا أُطيق عيانَه   كفانى من البين المُشتّ سماعُ
ولم يملك الكتمانَ قلبٌ ملكتُه   وعند النوى سرٌّ الكَتُوم مُذاعُ

وقول ابى المجد قاضى ماردين

رعى الله ربعا انتم فيه اهلُه   وجاد عليه هاطل وهَتُونُ
ولا زال مخضرّ الجوانب مُتْرَعَ   الحياض وفيه للنعيم فنونُ
لئنْ قدّر الله اللقاء واينعتْ   غصونُ التَدانى فالبعادُ يهونُ
وان حكمتْ ايدى الزمان[c] بعُسْرة   فكم قُضيتْ للمُعْسِرين ديونُ

وقول آخر   غِبْتم فما لى فى التصبّر مطمع   عَظُمَ الجوى واشتدّت الاشواقُ
لا الدار بعدكم كما كانتْ ولا   ذاك البهاءُ بها ولا الاشْراقُ
اشتاقكم وكذا المحبُّ اذا نأى   عنه احبّةُ قلبه يشتاقُ

وقول ابى الحسن الهمدانى

ويومَ تولّت الاظعانُ عنّا   وقوّض حاضرٌ وازنَّ[d] بادى
مددتُّ الى الوداع يدًا واخرى   جسستُ[e] بها الحياةَ على فؤادى

وقول ابن الصائغ

---

a) Telle est la leçon des man. La. et O; G. et S. portent:

هم فى الحشى ان انجدوا او اعرقوا   او ايمنوا او اتهموا او اشاموا

b) La. O. بالوثانى. c) La. O. الفراق. d) Le man. O. porte أَرَنَّ avec toutes les voyelles. Peut-être doit-on lire وازقّ. e) O. حسست, G. حبست. Ces deux vers manquent dans S.

قد اودعوا القلبَ لمّا ودّعوا حرقًا   فظلّ فى الليل مثلَ النجم حَيْرانًا
راودتُه يستعير الصبرَ بعدهم   فقال انّى استعرتُ اليومَ نيرانًا

وقول الصدر بن الادمى مكتفيًا

يومُ توديعى لأَحْبابى غدًا   ذكرُ مَيٍّ شاغلى عن كلّ شَىْ
فرَنَتْ نحوى وقالتْ يا ترى   انت حىٌّ فى هوانا قلتُ مَىْ

وقول غيره   ولى فؤاد مذ نأَى شخصُهم   ظلّ كئيبا مدنفا موجعَا
ومقلة مَهْمَا تذكّرتُهم   تذرف دمعا اربعًا اربعَا
وليس لى من حيلة كلّما   لجّتْ بى الاشواقُ الّا الدُعَا
اسأَل من ألّف ما بيننا   وقدّر الفرقةَ ان يجمعَا

وقول الرُعَيْنى الغرناطى

محاسن رَبْع قد محاهنّ ما جرى   من الدمع لمّا قيل قد رحل الركبُ
تناقص حالى مذ شجانى فراقُهم   فمن اضلعى نارٌ ومن ادمعى سكبُ

وقول الزَمَخْشَرى a   لم يُبْكنى الّا حديثُ فراقهم   لمّا أَسَرَّ به الىَّ مودّعى
هو ذلك الدرُّ الذى اودعتمُ   فى مسمعى اجريتُه من مدمعى

وقول الزُغَارى   قد بعْتُهم قلبىَ يومَ بينهم   بنظرة التوديع وهو يحترقْ
ولم أَجِدْ من بعدها لردّه b   وجهًا وكان الردُّ لولم تفترقْ

وقول بعض الاندلسيّيين

ساروا فودّعهم طرفى واودعهم   قلبى فما بعدوا عنّى ولا قربُوا
هم الشموس ففى عينى اذا طلعوا   فى القادمين وفى قلبى اذا غربُوا

وقلتُ انا مضمّنًا بديهةً   لا كان يوم فراق   ساق الشجونَ الينَا
وكم اذلّ نفوسا   يا من يعزّ علينَا

وقلتُ ايضا مضمّنًا

سلا احبّتَه مَنْ لم يَذُبْ c كمدًا   يومَ الوداع وان اجرى الدموعَ دمًا
يا من يعزّ علينا أَنْ نفارقهم   من بعدكم هُدَّ ركنُ الصبر وانهدمَا
وإنْ نأَى الجسمُ كُرْهًا عن منازلكم   فالقلبُ ثاوٍ بها لم يصحب القدمَا

---

a) Voyez Ibn-Khallikān, édit. Wüstenfeld, nº. 721, et les *Mille et une Nuits*, édit. Macnaghten, tom. IV, p. 59. b) La. O. وكان الوجه قبل. c) La. O. يذق.

وما نَسينا عهودا للهوى كرمتْ   نَعَمْ قرعنا عليها سِنَّنا ندمَا
وأَظْلَمَتْ بالنوى ارجاء مَقْصِدِنا   وصار وجدانُ الْفٍ غيركم عدمَا

وقلتُ ايضا مضمّنًا

لم أَنْسَ بالشام أُنْسًا شِمْتُ بارقَه   جادتْ معاهدَه انواء نَيْسانِ
لهفى لعيش قضينا فى مشاهدهاa   ما بين حُسْنٍ من الدنيا واحْسانِ

وقلتُ كذلك

يا جيرةً بانوا وابقوا حسرةً   تجرى دموعى بعدهم وَفْقَ القضا
كم قلتُ اذ ودّعتُهم والانسُ لا   يُنْسَى وعهدُ ودادهم لن يُرْفَضا
يا موقفَ التوديع انّ مدامعى   فُضّتْ وفاضتْ فى ثرى ذاك الفَضا

وكم تفاءلتُ بقول الاوّل، مع علمى بان على الله المعوّلb،،

اذا رايتَ الوداعَ فاصبِرْ   ولا يُهِمَّنَّكَ البعادُ
وانتظِرِ العودَ عن قريب   لانّ قَلْبَ الوداعِ عادُو

وضاقتْ بى الرِحاب، حينَc مفارقة اعيانd الصحاب، وكاثرتْ دموعى من بينهم السحابَ، وزندُ التذكّر يقدح الاسفَ فيهيج الانتحاب،، وقد تمثّلنا اذذاك والجوانح من الجوى فى التهاب، وذخائرُ الصبر ذات انتهاب، بقول بعض من مزق البُعْدُ منه الاهابَ،،

ولمّا نزلنا منزلا طلّه الندى   انيقا وبستانا من النَوْر حاليًاe
اجدّ لنا طيبُ المكان وحسنُه   مُنًى فتمنَّيْنا فكانوا الامانيَا
وقد طُفْتُ فى شرق البلاد وغربها   وسيّرتُ خيلى بينها وركابيَا
فلم أَرَ منها مثلَ بغداد منزلا   ولم ار فيها مثل دجْلَةَ واديَا
ولا مثل اهليها ارقّ شمائلا   واعذبَ الفاظا وأَحْلَى معانيَا

وبقول من تاسّف على مغانى التَدانى، وهو ابو الحجّاج الاندلسى الدانى،،

أَبَى اللهُ الّا ان افارقَ منزلا   يطالعنى وجهُ المُنَى فيه سافرًا
كانّ على الايام حين غشيتُه   يمينا فلم احلُلْه الّا مُسافرًا

وتخيّلْنا انّ اقامتنا بدمشق وقاها الله كلّ صَرْف، ما كانت الا خطرةَ طيفٍ مُلِمّ او لمحةَ طَرْف،،

---

a) La. O. معاهدها. b) Voyez les *Mille et une Nuits*, édit. Macnaghten, tom. IV, p. 60. c) La. O. عند. d) La. et O. ajoutent ici و الاحباب. e) Ce vers ne se trouve que dans le man. O.

وقفنا ساعةً ثم ارتحلنا　　وما يُغْنِى المشوقَ وقوفُ ساعَهْ
كانّ الشمل لم يكُ ذا اجتماعٍ　　اذا ما شتّتَ البينُ اجتماعَهْ [a]

وطالما علّلتُ النفسَ بالعود اليها ثم الى بقاعى، منشدًا قولَ الاديب الشهير بابن الفُقّاعى،،

متى عاينتْ عيناىَ اعلامَ حاجرٍ　　جعلتُ مواطى العيس فوق محاجرى
وان لاح من ارض العواصم بارقٌ　　رجعتُ باحشاءٍ صوادٍ صوادرِ
سقى الله هاتيك المواطنَ والرُبَى　　مواطرَ اجفانٍ هوامٍ هوامرِ
وحيّى الحيا من ساكنى الحىّ اوجهًا　　سفرنَ بانوارٍ زواهٍ زواهرِ
بحيث زمانُ الوصل غضٌّ وروضه　　اريض بازهارٍ بواهٍ بواهرِ
وحيث جفونُ الحاسدين غضيضة　　رمقنَ بآماقٍ سواهٍ سواهرِ

ثم حاولتُ خاطرى الكليل، فيما يشفى بعض الغليل،، فقال على طريق التضمين، وقد غلب عليه الشوق والتخمين،،

بأبى من اودعوا مذ ودّعوا　　قلبىَ الشوقَ وللعيس ذميلْ
جيرةٌ غُرٌّ كرام خيرة　　كلُّ شىء منهم يبدو جميلْ
وعلى الجملة ما لى غيرهم　　لو ارادوا ان يميلوا او يميلْ

ثم قلتُ وقد سدّد الثناءَ الى نبلَه، موطّيًا للبيت الثالث كما فى الابيات قبلَه،،

يا دمشقا حيّاك غيثٌ غزير　　ووقاك الاله ممّا يضيرُ
حسنُك الفرد والبدائع جمعٌ　　مثناه فيه فعزّ النظيرُ
اين ايامُنا بظلّك والشمل جميع والعيش غضٌّ نضيرُ

ثم اكثرتُ الالتفاتَ عن اليمين وعن الشمال، وقد شبّهتُ البيداءَ والشوقَ ببَدَل الكُلّ والاشتمال، وتنسّمتُ من نواحى تلك الارجاء اريجَ الشمال، وضمّنتُ فى المعنى قول بعض من تعنّى [b] الحبُّ عطفَه وامال،،

تنسّمتُ ارواحا سَرَتْ من ديار مَنْ　　بهم كان جمعُ الشمل لمحةَ حالمِ
وجاوبتُ من يلحى على ذاك جاهلًا　　بقول لبيب بالعواقب عالمِ
وما أَنْشَقُ الارواحَ الا لانّها　　تمرُّ على تلك الرُبَى والمعالمِ

وما احسن قولَ آخر

---

a) Voyez Ibn-Khallikān, édit. Wüstenfeld, n°. 459.　b) La. ثنى.

سَرَتْ من نواحى الشام لى نسمةُ الصبا   وقد اصبحتْ حَسْرَى من السير ظالعَهْ a
ومن عَرَقٍ مبلولةَ الجيب بالندى   ومن تَعَبٍ انفاسُها متتابعَهْ

وقلتُ انا   حمدتُّ وحقِّ الله للشام رحلةً   اتاحتْ لعينىَّ اجتلاءَ محيّاهُ
وبعد التناءى صرتُ أَرْتاح للصبا   لانّ الصبا تسرى بعاطرِ ريّاهُ
فلله عهد قد اتاح بجِلّقٍ   سرورًا فحيّاها الالهُ وحيّاهُ

واستحضرتُ عند جدّ السير، قولَ صفوان بن ادريس المُرْسىّ ذكره الله بالخير،
اين ايامُنا اللواتى تقضّتْ   اذ زجرنا للوصل ايمنَ طيرِ
ثم قولَ غيره ممّن حنّ وأَنّ، وقلق قلبُه وما اطمأَنّ،،
احنّ الى مشاهد أُنْس الْفى   وعهدى من زيارته قريبُ
وكنتُ اظنّ قربَ العهد يُطْفى   لهيبَ الشوق فازداد اللهيبُ
وربّما تجلّدتُّ مغالطا، متعلّلا بقول من كان لالْفه مخالطا،،
حضرتَ فكنتَ فى بصرى مقيما   وغِبْتَ فكنتَ فى وسط الفؤادِ
وما شطّتْ بنا دارٌ ولكن   نُقِلْتَ من السواد الى السوادِ
وقول غيره   وكُنْ كما شيتَ من قرب ومن بُعُدٍ   فالقلب يرعاك انْ لم يَرْعَك البصرُ
وبقول الوَداعى   يا عاذلى فى وحدتى بعدهم   وانّ ربعى ما به من جليسْ
وكيف يشكو وحدةً من له   دمعٌ حميم وانينٌ انيسْ
ثم ردّدتُّ هذه الطريقة، بقول بعض من لم يُبْلِغه السُلوُّ ريقَه،،
لا رعى الله عزمةً ضمنتْ لى   سلوةَ القلب والتصبُّرَ عنهمْ
ما وَفَتْ غيرَ ساعة ثم عادتْ   مثلَ قلبى تقول لا بُدَّ منهمْ
وبقول ابن آجرّوم، فى مثل هذا الغرض المروم،،
يا غائبا كان أُنْسى رهنَ طلعته   كيف اصطبارى وقد كابدتُّ بينَهما
دعواىَ أنّك فى قلبى يعارضها   شوقى اليك فكيف الجمعُ بينَهما
ثم جدّ بى السيرُ الى مصر واستمرّ، فتذكّرتُ قول الصفدى وقد اشتدّ بالرمل الحَرّ،،
اقول وحرُّ الرمل قد زاد وقدُه   وما لى الى شَمّ النسيم سبيلُ
اظنّ نسيمَ الجوّ قد مات وانقضى   فعهدى به فى الشام وهو عليلُ

a) G. S. P. ظالعة, La. خالصة.

وقول ابن الخيّاط قصدتُّ مصرا من رُبى جِلّق بهمّة تجرى بتجريبى
فلم أَرَ الطرّةَ حتى جرت دموعُ عينى بالمَزْيَريب

وحين وصلت مصر لم أَنْسَ عهدَ الشام المرعىّ، وانشدتُّ قول الشهاب الحنبلى الزُرَعى،،

أَحِبّتَنا واللهِ مذ غِبْتُ عنكم سهادى سميرى والمدامع مِدْرارُ
ووالله ما اخترتُ الفراقَ وانّه برغْمى ولى فى ذلك الامر أَعْذارُ
اذا شامَ برقَ الشام طرفى تتابعتْ سحائبُ جفنى والفؤادُ به نارُ
أَلا ليت شعرى هل يعودنّ شملُنا جميعا وتحوينا ربوعٌ واقطارُ

وقول ابن عُنَيْن a دمشقَ بنا شوقٌ اليك مبرّح وان لجّ واشٍ او الحّ عَذولُ
بلاد بها الحصباءُ دُرٌّ وتُرْبها عبير وانفاس الرياح شَمُولُ
تسلسل فيها ماؤها وهو مُطْلَق وصحّ نسيمُ الروض وهو عليلُ

وقول آخر نفسى الفداءُ لأُنْس كنتُ اعهده وطيبِ عيش تقضّى كلّه كرمُ
وجيرةٍ كان لى الفٌ بوصلهم والانس افضلُ ما بالوصل يُغتنمُ
بالشام خلّفتُهم ثم انصرفتُ الى سواهم فاعترانى بعدهم ندمُ b
كانوا نعيمَ فؤادى والحياةَ له والآنَ كلُّ وجود بعدهم عدمُ

فانْ انشد لسانُ الحال، فيما اقتضاه معنى البُعْد عنها والارتحال،،

يا غائبا قد كنتُ أَحْسِبُ قلبَه بسوى دمشق واهلها لا يعلقُ
انْ كان صدّك نيلُ مصر عنهم لا غروَ فهو لنا العدوُّ الازرقُ

اتيتُ فى جوابه، بقول بعض من برّح الجوى به،،

لله دهرٌ جمعنا شملَ لذّته بالشام اعذبُ من امن على فَرَقِ
مرّتْ لياليه والايامُ فى خُلَس كانّما سلبتْه كفُّ مسترقِ
ما كان احسنَها لولا تنقُّلها من النعيم الى ذاك من الحرقِ
رقّ العَذولُ لحالى بعدها ورثى لى فى الجوى والنوى والشجو والارقِ

وبالجملة فتلك الايام من مواسم العمر محسوبة، والسعود الى طوالعها منسوبة،،

وكانتْ فى دمشق لنا ليالٍ سرقناهنّ من ريب الزمانِ
جعلناهنّ تاريخَ الليالى وعنوانَ المسرّة والامانى

a) On trouve les mêmes vers chez Ibn-Batoutah, édit. Defrémery et Sanguinetti, tom. I, p. 191. b) La. O. الم.

وهى مغانى التهانىُّ التى ما نَسِيناها٭ وامانىُّ زمانى التى نعمتُ بطُورِ سيناها٠ عليها وعلى وطنى مقصورة، والقلبُ فى المعنى مُقيم بهما وان كان فى غيرهما بالصورة، والاشواقُ اليهما قضاياها موجَّهةٌ وان كانت غير محصورة،،

وللهِ عهدٌ قد تقضَّى فان يَعُدْ فانّى على الايام اعفو واصفحُ
بقلبىَ من ذكراه ما ليس ينقضى ومن بُرَحاء الشوق ما ليس يَبْرَحُ
اذا مسحتْ كفّى الدموعَ تستُّرًا بَدَتْ زفرةٌ بين الجوانح تُقْدَحُ
فان جمعتْ شملى الليالى بعدهم تجمَّع غَيْلانٌ ومَىٌّ وصَيْدَحُ
على انّها الايامُ جدَّ مُزاحُها ورُبَّ مُجِدٍّ فى الاذى وهو يمزحُ

وكثيرًا ما يلهج اللسانُ بقولِ من قال

وما تَفْضُل الاوقاتُ أُخْرَى لِذاتِها ولكنّ اوقات الحسان حسانُ

ويردّد، قول من شوقُه متجدّد،،

سقى معهدَ الاحباب نافعُ صيّبٍ من المزن عن مغناه ليس يَرِيمُ
وان لم اكُنْ من ساكنيه فانّه يحلُّ به خِلٌّ علىَّ كريمُ

وينشد من يلوم، قولَ من فى حشاه وَلَهٌ وفى قلبه كلوم،،

قد اصبح آخِرُ الهوى اوّلَهُ فالعاذلُ فى هواك ما لى ولَهُ
باللهِ عليك خَلِّ ما أوّلَهُ وارحَمْ دَنِفًا لدى حشاه وَلَهُ a

وقد امتدَّ بنا الكلامُ، وربّما يجعله اللاحى ذريعةً لزيادة الملام،، فَلْنَرْجِعْ الى ما كُنّا بصَدَده، من اجابة المولى الشاهينىّ امدّه الله بمَدَده،، فنقولُ، مستمدًّا من واهب العقول،، انّى شرعتُ بعد الاستقرار بمصر فى المطلوب، وكتبتُ منه نبذةً يستحسنها من المحبّين الاسماعُ والقلوب، وسلكتُ فى ترتيبه احسنَ اسلوب، وعرضتُ فى سُوقه كلَّ نفيس غريب من الغرب الى الشرق مجلوب،، تستحسن الابصارُ ما عليه احتوَى، وتعرف الافكار انه غير مجتوًى، ثم وقف بى مركبُ العزم عن التمام واستوَى،، فأخّرتُه تاخيرَ الغريم، لدَيْن الكريم،، وصدّتْنى أعْراض، عن تكميل ما يشتمل عليه من أغْراض،، واضربتُ برهةً عمّا له من مَنْحًى، لاختلاف احوال الدهر نفعًا ودفعا ومنعا ومَنْحا،، ومرقتْ عن هَدَف الاصابة نِبال، وطرقتْ فى سَدَف ليالى الكتابة امورٌ لم تكنْ تخطر

a) Ces vers appartiennent au mètre دو بيت.

ببال،، فجاءتْنى من المولى المذكور آنِفًا، رسالةٌ دلّتْ على انه لم يكن عن انتجاز الوعد متجانفا، فعُدتُّ لقضاء الوطر مستقبلًا وللجملة مستانفا،، وحَدَا بى خطابُه الجسيم للانْمام وساقنى، وراقَنى كتابُه الكريم لتلك الايام وشاقَنى،، وذكّرنى تلك الليالى التىّ لم أَنْسَها، وحرّكنى لهاتيك المعاهد التى لم أَزَلْ اذكر أُنْسَها،،

الالْفُ لا يصبر عن الْفه   الّا كما يطرف بالعَيْنِ
وقد صبرنا عنهم مدّةً   ما هكذا شان المحبَّيْنِ

فيا له من كتاب أَعْرَبَ عن ودّ صميم، وذكّر بعهد غير ذميم، وودّ طيّب العَرْف والشميم، يخجل ابن المعتزّ لبلاغته وابن المعزّ تميم،،

ولم تَرَ عيناىَ من قبله   كتابا حوى بعضَ ما قد حَوَى
كانّ المباسم ميماته   ولاماته الصُدْغ لمّا التَوَى
وأعيُنُه بعيون الحسان   تُغازلنا عند ذكر الهَوَى
كتاب ذكرنا بألْفاظه   عهودا زَكَتْ بالحمى واللّوَى

فكانّه الروض المطّرِدُ الانهار، والدوح المدبّج الازهار،،

ومنامهa روضا يدبّج وشيُه   اذا جاد من تلك الايادى غمائمُ
به أَلفاتٌ كالغصون وقد علا   عليها من الهَمْز المُطلّ حمائمُ

وقد سُقيَتْ بانهار البراعةb السلسالة، حدائقُ حلّتْ بها غانيةُ تلك الرسالة،، لتَشْفىَ صَبَّها بالزيارة، وتُشرّف بدُنوّها ديارَه،،

زارت الصبَّ فى ليالٍ من البُعْـــد فلمّا دَنَتْ رأى الصبحَ يَلْمَحْ
قلّدتْ بالعقيان جيدَ بيانٍ   ليس فيه للفتح من بعدُ مَطْمَحْ

فشَفَت النفسَ من آلامها، وأَحْيَتْ ميتَ الهوى مذ حيّتْ بعذب كلامها،،

كلام كالجواهر حين يبدو   وكالندّ المعنبَر اذ يفوحُ
له فى ظاهر الالفاظ جسم   ولكنّ المعانى فيه روحُ

فصيّرتُ ذلك الكتاب سميرا، ووردتُّ من السرور مَشْرَعا نميرا، وتمثّلتُ بقول بعض من اخلص فى الودّ ضميرا،،

يا مفردا اهدى الىّ كتابُه   جُمَلًا يحار الذهنُ فى اثنائها

---

a) Ce mot est altéré. S. porte ومسامه, P. ومياهه, O. وامياهه, La. ومنا به. *b*) La. O. البلاغة ☆

كـالـدرّ أُشْـرِقَ فـى سموط عقوده　　والـزهـرِ والانـوار غـبَّ سمـائـهـا
فـافـادنى جَـذَلًا وبـالـى كـاسـدٌ　　واجـار نفسى من جوى برجائها
وحسبتُ ايامَ الشباب *a* رجعنَ لى　　فلبستُ حَلْى جمـالـهـا وبهـائها
٥ لا يعدَم الاخـوانُ منك محـاسـنًـا　　كلُّ المفـاخرِ *b* قطرةٌ من مـائهَا

فأَكْرِمْ به من كتاب جاء من السرىّ العلىّ، والماجد الأَخ الولىّ،،

فضضتُ ختـامَه فتبيّنتْ لى　　معـانـيـه عن الخبر الجلىّ
وكان الذّ فى عينى وأَنْدَى　　على كبدى من الزهر الجنىّ
وضُمّنَ صـدرُه مـا لـم تضمّنْ　　صـدورُ الغـانـيـات من الحُلىّ

وأَعْرَبَ عن اعتماد متماد، ووداد مزداد،، واطـاب حين اطال، وادّى دَيْنَ الفصاحة دون مطال،، واشتمل من فصول العبارة على احسن من الحَدَق المِراض، واتى من اصول البراعة ببراهين ابن شاهين التى لا خُلْفَ فيهـا ولا اعتراض *c*،، ورَوينا من غيث انامله الهَتُون، ورَوَيْنا عنه مسندَ احمد حسنَ الاسانيد والمتون،، وحثّنا على العود والرجوع، وكان أَجْدَى من الماء الزُلال لذى ظماء والمشتهَى من الطعام لذى سغب وجُوع،،

وأَشْهَى فى القلوب من الامانى　　وأَحْلَى فى العيون من الهجوعِ

وجلا بنوره ظلامَ استيحاشى، وحشر التّى اشتاتَ المسرّات دون ان يُحاشى،، ووجدنى فى مُكابَدة شغوب، وأَشْغـال أَشْرَبَت القلبَ الكسلَ واللغوبَ،، وحيّرت الخواطر، وصيّرت سُحُبَ الاقلام غير مواطر،، فزحزح عنّى الغمومَ وسلّانى، واولانى شكرًا لله صنيعُه من المسرّات ما اولانى،،

حديثه او حديث عنه يُطْرِبُنى　　هـذا اذا غـاب او هـذا اذا حضرَا
كلاهمـا حَسَنٌ عندى أُسَـرُّ به　　لكنّ احـلاهمـا مـا وافَـقَ النظرَا *d*

وضمّنتْ فيه لمّـا ورد مع جملة كُتُب مِن تلك النـاحية، وانوار اهلهـا ذوى الفضائل الشهيرة· اظهر من شمس الظهيرة· فى السماء الصاحية،،

---

a) La. O. الوصال. *b*) La. O. المحاسن. *c*) G. S. P. اقتراض. *d*) Les man. La. et O. ajoutent ici : وقال آخر

لستُ مستانسًا بشىء اذا غبْـــــتَ سوى ذكرك الذى لا يغيبُ
انـت دون الـجُـلّاس وان كنـــــتَ بعـيـدا فـالانس منـك قريبُ

Il manque un mot après الجلاس dans les deux man.

قلتُ لمّا اتتْ من الشام كُتْبُ ... من أَجِـلَّاءِ نورُهم متألّق
مرحبًـا مرحبًـا واهـلًا وسهلًا ... بعيون رأتْ محاسنَ جِلّقْ

وقلتُ ايضا ... قلت لما وافتْ من الشام كتب ... والليـالى تُتيح قـربـا وبُعْدَا
مرحـبـا مـرحـبـا واهلا وسـهـلا ... بعيون رات محاسن سُعْدَى

وكان من فصول الكتاب الوارد، من المولى الشاهينى الذى اقتنص بفضله كلَّ شارد،، ما نصّه وممّا استخلص قلبى من يدى تَرَحِى، وجدّد سرورى ونبّه فَرَحِى،، حديث الكتاب وما حديث الكتاب، حديثٌ نسخ بحلاوته مرارةَ العتاب، وأَنْسانى حرارةَ المُصاب، فى الانسال والاعقاب،، وقَضَى به من حقّ لسان الدين، دَيْنَه الذى تبرّع به غريمٌ ملىءٌ من البلاغة وهو غير مَدِين،، حتى كانّى يا سيّدى بهذه البُشْرَى، احرزتُ سِوارَىْ كِسْرَى،، وكانّ فى مسمعى كلَّ حرف اليها منسوب، قميصُ يوسف فى اجفان يعقوب،، وحتى كدتُّ اهجر اهلى وبيتى، وأُسرج لاستقبال هذه البشرى أَشْهَبى وكُمَيْتى،، وحتى انّنى حاربتُ نومى وقومى، وعزمتُ على ان ارحل ناقتى فى وقتى ويومى،، وانّ ذلك التغليس والتهجير، فى جنب ما بُشّرْتُ به لَحقير، وان موقعها لدى هذا العبد الحقير لَخطير،، وقد كنتُ سألتُ شيخى حين ورد دمشقَ الشام، واشتمَّ منها العرارَ والبشام،، وشرّفنى، فعرّفنى،، وشاهدنى، فعاهدنى،، على ان يُجْرِىَ ما دارَ بيننا لدى المجاورة من المسامرة والمحاورة،، فى ديباجة ذلك الكتاب، الذى فتن العقولَ خبرُه وسحر الالباب،، وما قصدتُّ الا ان يجرى اسمى على قلمه، ويرقم رسمى فى مَطَاوِى تحريره ورقمه،، ويكون ذكرى مختلطا بذكره، كما انّ سرّى مرتبط فى المحبّة بسرّه،، فرايتُ شيخى لم يتصدَّ فى اثناء هذه البشرى، لما يُفهمنى بالذكرى، لأَنتظر النجاحَ فى الاخرى،، ولم يُساعدْنى على ذلك الملتمَس، وحبس عنانَ القلم فاحتبس،، فانكسرتْ سَوْرةُ سرورى بفتورى، وتبيّن لنفسى عن بلوغ ذلك الامل تخلُّفى وقصورى،، انتهى، ثم قال بعد كلام لم نذكره لعدم تعلُّقه بهذا الغرض ما صورتُه وحسبتُ ان سيّدى، وحاشاه، نسى من ليس ينساه،، وظننتُ به الظنون، لامور تكون او لا تكون،، وهل يَكْرَهُ شيخى ان يهدى الدنيا فى طَبَق، ثم الاخرى على ذلك النسق،، ولا شكّ انّ خطّه هو الروضة الغنّاء لا بل جنّة المأْوَى، فطُوبَى لنفسى انْ جنيتُ ثمرتَه طُوبَى،، ولَعَمْرُ شيخى انّى بذلك لَجدير، وانّى كنتُ املك به الخورنقَ والسَّدير،، انتهى ما يتعلّق بالمطلوب من ذلك الرقيم، الذى شكلُ منطقه

غير عقيم، سلك الله بى وبمن وجّهه الصراطَ المستقيم،، واتى فى المكتوب بانواع من البلاغة، ممّا تركتُ ذكرَه هنا لعدم تعلّقه بهذا الامر الخاصّ الذى ييسّر لكاره الادب مساغه،، وختمه بقصيدة a من نظمه يستنجز فيها ذلك الوعد، واشهد انه قد حاز فيها قصب السبق والمجد،، وما قلتُ الّا بالذى علمتْ سَعْدُ وهذه صورتُها

يا سيّدا أَفْديه بالاكثر — من اصغر العالَم والاكبر
ويا وحيدا قلّ قولى له — عُطارِد انت مع المُشْتَرِى
ويا مجيدا ليس عندى له — الّا مقال المادح المُكْثِرِ
اقسمتُ بالبيت العتيق الذى — حجّتْ اليه الناسُ والمَشْعَرِ
ما للعُلَى والعلم الّا ابو — العبّاس شيخى احمد المَقَّرِى
ذاك الذى آثَرَنى منه بالعلم الذى للغير لم يوثِرِ
وخصّنى منه باشياء لم — يَفُزْ بها غيرى ولم يعثرِ
فرّحتَ عبدا ذا وفاء له — معترفا بالرّقّ لا امترى
فيا ابا العبّاس يا من غدا — اعظمَ فى نفسىَ من معشرى
ومن اذا ما غاب عن ناظرى — كان سميرَ القلب للمحضرِ
هات أَفِدْنى سيّدى عن عُلَى — المولى لسان الدين ذاك السَرِى
ذاك الوحيد الفذّ فى عصره — بل اوحد الأَدْهُرِ والأَعْصُرِ
ذاك الذى اخبرنى سيّدى — عنه مزايا بعدُ لم تُحْصَرِ
ذاك الذى العَيُّوق لا يعتلى — الى معاليه ولا يجترى
ما قد وعدتَّ العبدَ فى جمعه — من خبر عن فضله مُسْفِرِ
بخطّك الوَضّاح وهو الذى — مَخْبَرُه يُرْبِى على المنظرِ
والشىء لا يُرْجَى اذا ما غدا — منظرُه يربى على المخبرِ
نقش على طرس بياض كما — لاحتْ عيونُ الرَشَا الاحورِ
وأَسْطُر قد سُلسلتْ مثل ما — لاح عذارُ الشادن المُقْمِرِ
ونزهة الانفس معنى غدا — ما بينها ينساب كالكَوْثَرِ
عذب رقيق مثل ظبى غدا — يلوح طاوِى الكشح او جوذرِ

a) La. et O. ajoutent نفيسة.

آثار اقلامك وهى التى | أغْنَتْ عن الابيض والاسمر
يراعُك الجامع راوٍ غدا | يروى اللَغى عن لفظك الجوهرى
ينثر مسكا تارةً ناظما | وينظم الجوهرَ بالعنبر
هذا ابن شاهين الفتى احمد | عن ذكرك المأنوس لم يفتر
فاجعَلْ له ذكرا كريما به | يزدان مغبوطا الى المحشر
واذكُرْ بُوَيْتاتى وكلَّ الذى | كتبتُه نحوك فى دفترى
انت جدير بمديحى فكُنْ | ذاكرَ عبد بالوفا اجدر
وهاكها سيّارةً أعْنَقَتْ | على جواد كان للبُحْتُرى
طِرْف كريم سابق صافن | مطهّم ذى ادب اوفر
ورِثْتُه منه ولكنّما | من شاعر وافى الى أشْعَر
ما للفتى الطائى شوطُ امْرِئٍ | يصطاد نسر الجوّ بالمنسر
واسلمْ لعبد لا يرى سيّدا | سوى الذى فى ثوبك الاطهر
فى كرم العنصر فردا غدا | طبعُك فاشكُرْ كرمَ العنصر
ما حنّ مشتاق اخو صبوة | الى خليل فى الهوى مُفْكِر

انتهت، فلمّا وصلنى هذا الخطاب، الذى ملأً من الفصاحة الوطاب، *وحلا فى عينى وقلبى وطاب a،، تحرّكتْ دواعى الوجد، لذلك المجد، الذى وَلِعْتُ به وَلُوعَ ابن الدُمَيْنة بصبا نَجْد،، وأثار من الهُيام والأُوار، ما يزيد على ما حصل للفرزدق لمّا فارَق النَوار، وتضاعف الشوقُ الى تلك الانجاد والاغوار، منشدًا قول الاول لعلّ أَبى المِغْوارُ، وتذكّرتُ والذكرى شجونٌ واطوار، تلك الاضواء والانوارَ، المُشْرِقة بقُطْرٍ أزْهَرَ بالمحاسن. وجرى نهرُه غير آسن. فلم يُذَمّ فيه الجوار،،

وانّ اصطبارى عن معاهد جِلّق | غريب فما أَجْفَى الفراقَ وأَجْفانى
سقى الله ارضا لو ظفرتُ بتُرْبها b | كحلتُ به c من شدّة الشوق أَجْفانى

وحصل التصميم، على التكميل للتاليف والتتميم، رَعْيًا لهذا الولىّ الحميم، افاض الله عليه غيثَ البرّ العميم،، وابقى ظلَّ عزّه ممدودا، وخلّى سودده مودودا، وانالـه من الخيرات ما ليس محصورا ولا معدودا،، وجمعنى واياه، واطلع لى بِشْرَ محيّاه،

a) Ces mots manquent dans G. S. et P. b) G. S. بقربها. c) G. S. بها.

وانشقنى عَرْفَ اجتماعه وريّاه،، وكيف لا استديم أَمَدَ بُقْياه، وأَعتقد البشائرَ فى لُقْياه، واسقى غروسَ الودّ بسُقْياه،، وهو الصدر الذى اصفى لى الوداد، والركن الذى لى بثبوته اعتماد واعتداد،،

فعليه من مُصْفى هواه تحيّةٌ   كالمسك لمّا فُضّ عنه ختامُ
تترى *a* بساحته السنيّة ما دعتْ   فوق الغصون هديلَهنّ حمامُ

ودامتْ فضائلُه ظاهرةً كالشمس، محروسةً بالسبع المثانى معوَّذة بالخمس،،

ولا انفكّ ما يرجوه اقربَ من غدٍ   ولا زال ما يخشاه ابعدَ من أَمْسِ

وبقى من العناية فى حرم امين آمين، ولما حصل لى كمال الاغتباط، بما دلّ على صحّة حال الارتباط، نشرتُ بساطَ الانبساط، وحدثتْ لى قوّةُ النشاط،، وانقشعتْ عنّى سحائبُ الكسل وانجابتْ، وناديتُ فكرتى فلبّتْ مع ضعفها واجابتْ،، فاقتدحتُ من القريحة زندا كان شحاحا، وجمعتُ من مقيّداتى حسانا وصحاحا،، وكنتُ كتبتُ شطرَه، وملأتُ بما تيسّر هامشَه وسطرَه،، ورقمتُ من انباء لسان الدين ابن الخطيب حُلَلًا لا تُخْلِق جدّتَها الأَعْصُرُ، وسلكتُ من التعريف به رحّة مهامهَ تكلّ فيها واسعاتُ الخُطَى وتَقْصُر، فحدث لى بعد ذلك عزمٌ على زيادة ذكر الاندلس جملةً ومَنْ كان يعضد بها الاسلامَ وينصر، وبعض مفاخرها الباسقة ومآثر اهلها المتناسقة لانّ كلّ ذلك لا يستوفيه القلمُ ولا يحصر،، وجيتُ من النظم والنثر بنبذة تُوضح للطالب سُبْلَه، وتُظهر علمه ونُبْلَه،، وتُتْرع محاسنَه من راح المذاكرة واناءه *b*، حتى يرى ايناره *c* هذا المصنّف وادناءه،، وكنتُ فى المغرب وظلالُ الشباب ضافية، وسماء الافكار من قَزَع الاكدار صافية،، معتنيًا بالفحص عن انباء الاندلس، واخبار اهلها التى تنشرح لها الصدورُ والانفس،، وما لهم من السبق فى ميدان العلوم، والتقدّم فى جهاد العدوّ الظَّلُوم،، ومحاسن بلادهم، ومواطن جدالهم وجلادهم،، حتى اقتنيتُ منها ذخائرَ، يرغب فيها الافاضلُ الاخائر،، وانتقيتُ جواهرَ، فرائدُها للعقول بواهر، واقتطفتُ ازاهرَ،

---

a) Ce mot me paraît altéré. Le man. P. porte تنزى , S. دمرى sans points diacritiques.
b) G. porte واناؤه ; O. sur la marge وانائه. *c*) P. انيار. On doit lire peut-être ايناس. Le man. La. porte وادباوه (*sic*) التصيف انبا هذا التاليف انبا يرى ; O. يرى أُنبـاء هذا التصنيف وادناوئه (*sic*) ☆

انجمُها فى افق المُحاضَرة زواهر، وحصَّلتُ فوائدَ بواطن وظواهر، طالَما كانت اعينُ الالبّاء لنيلها سواهر،، وجمعتُ من ذلك كَلمًا عالية لو خاطب بها الداعى صُمَّ الجلامد لانبجس حجرُها، وحِكَمًا غالية لو عامَلَ بها الايامَ ربح مَتْجَرُها، وأَسْجاعا تهتزُّ لها الاعطاف، ومواعظَ يعمل بمقتصاها من حقّتْ به الالطاف،، وقوافىَ موفورةَ القوادم والخوافى،، يُثْنِىْ عليها مَنْ سلم من الغباوة والصَمَم، ويعترف ببراعتها من لا يعتريه اللَمَم،، وطالَما اعرض الجاهلُ الغُمْرُ بوجهه عن مثلها واشاح، وأَنْصَتَ لها الحبْرُ انْصاتَ السوار لجرس الحُلىّ ونغم الوشاح،، وفَرِحَ انْ ظفر بشىءٍ منها فرحَ الصائد بالقنيص، والسارى العارى ذى البطن الخميص، بالزاد والقميص،، وتركتُ الجميعَ بالمغرب، ولم أَستصحبْ معى منه ما يُبِين عن المقصود ويُعْرِب،، الّا نَزْرًا يسيرا عَلِقَ بحفظى، وحلّيتُ بجواهره جيدَ لفظى، وبعضَ اوراق سَعدَه فى جواب السؤال بها حظّى،، ولو حضرنى الآنَ ما خلّفتُه، ممّا جمعتُ فى ذلك الغرض والّفتُه،، لَقَرّتْ به عيونٌ وسُرّتْ أَلْباب، اذ هو والله الغايةُ فى هذا الباب،، ولكنّ المرءَ ابنُ وقته وساعته، وكل يُنْفق على قدرِ وُسْعه واستطاعته،، وعذرُ مثلى بادٍ، للمُنْصفين من العباد،، ان قصّرتُ فيما تبصّرتُ،، او تخلّفتُ، فى الذى تكلّفتُ،، او اضعتُ تحريرَ ما وضعتُ، والتقمتُ ثدى التقصير ورضعتُ،، او اطعتُ داعىَ التَوانى فتأخّرتُ عمّنْ سبق وانقطعتُ، انْ أُرِيدُ الّا الاصْلاحَ ما استطعتُ a،، ومن كانت بضاعتُه مُزْجاة، فهو عن الانصاف بمَنْجاةٍ،، اذ اتى بالمقدورِ، وتبرّأً من الدعوى فى الورود والصدور،، وعين الرضى عن كل عيب كليلة، والسلامة من الملامة متعذّرة او قليلة، وقد قال امامُنا مالك صاحب المناقب الجليلة، كلُّ كلام يوخذ منه ويُرَدّ الّا كلام صاحبٍ هذا القبر صلّعم ازكى صلاة وسلام. وشفى بجاهه من الآلام. قلوبَنا العليلة، وجعلَنا ممّن كان اتّباع سُنّته رائدَه ودليلَه،، آمين، والحمد لله الذى يسّر لى هذا القدر، مع ضيق الصدر،، وقلّة بضاعتى، وكثرة اضاعتى،، فانّ حمده جلّ جلالُه تتضوّع به المطالبُ طيبا، وتُقْضَى ببركته المآربُ فيَرْقَى صاحبُها على منبر القبول خطيبا، وتعذب به المشاربُ، فتُنْبِت فى ارض القرطاس. من زاكى الغراس. ما يروق منظرا نضيرا ويُورِق غصنا رطيبا،، وقد اتيتُ من المقال، بما يُقِرّ ان شاء الله عينَ وامق ويرغم انفَ قالٍ،، وان كنتُ

a) Voyez le *Korān*, sour. 11, vs. 90.

ممّن هو فى ثوب العىّ رافل، وعن نسبته للقصور غيرُ غافل،، وممّن جعل النفسَ هدفا، وصيّر مكانَ الدرّ صدفا،، اذ لسان الدين بن الخطيب امام هذه الفنون، المحقّق لذوى الآمال الظنونَ، المستخرج من بحر البلاغة دُرَّها المكنون،، وله اليَدُ الطُولَى فى العلوم على اختلاف اجناسها، والالفاظُ الرائقة التى تُزيح وحشةَ الانفس بايناسها،،

ناهيك من فرد اغرَّ ممدَّحٍ   رحبِ الذَرَى حُرِّ الكلام ممجّدٍ[a]
يهر الانامَ رياسةً وسياسةً   وجلالةً فى المنتمى والقعدد[b]
واتى بكل بديعة فى نوعها   لم تُختَرع وغريبةٍ لم تُعهد
ما شيتَ من شعر ارقّ من الصبا   وكتابة ازهى من الزهر النَدى
وبديع قرطاس توشّح متنُه   بمُنَمْنَم من رقمه ومنجّد
بَهِجٍ كانّ الحسن حلّ اديمه   فكساه رَيْعانُ الشباب الأَغْيَد
وكانّما سال العذارُ عليه او   خطّتْه ايدى الغانيات باثمد
يختال بين موصَّل ومفصَّل   ومطرَّز ومنظَّم ومنضّد
كالبُرْد فى توشيعه والسلك فى   ترصيعه والوشى نُمّق باليَد
قد قيّد الابصار والافكار من   الفاظه بمثقّف ومقيّد
ما فيه مَغْرِزُ اصبع الّا وفيه نتيجة لمفرّع ومولّد
ولكل جزء حكمةٌ او مُلْحة   او بدعة لمرسّل ومقصّد
أَوَليس مثلى قاصرا عن وصفه   والحقُّ نور واضح للمهتدى

وكما قلتُ وقد عجزتُ عن اداء الواجب وحاولتُ المسنون، وفضلُ الله على من يشاء من عباده ليس بممنوع ولا ممنون،،

ليت شعرى اىّ العبارات توفى   واجبَ ابن الخطيب ممّا أَرُومُ
وانا عاجز عن البعض منها   لقصورى وما العَيِىُّ ملومُ
وهو يُدْعَى لسانَ الدين وناهيك افتخارا به تتمُّ الرسومُ
فبأَىّ الحُلَى أُحلّى على من   نال فضلا رَوتْه عُرْبٌ ورُومُ
وعلى الغرض ما الذى أَنتحى منه لدى الوصف ان يُخَصّ العمومُ
أَبحِفْظٍ قد ارتوى من مَعين   لصواب عليه كلٌّ يحومُ

---

a) G. P. La. O. محسد.   b) La. O. والمقصد.

أَمْ لفهم يستخرج الدرَّ غوصا   من بحار يخشى بها من يعومْ
ام لفكر مؤلّف فى فنونٍ   عدّةٍ ما به تُداوَى الكلومْ
ام لنظم كانّه جوهر السلك   علا قدرُه على من يسومُ
تتباهَى به الصدورُ حُليًّا   وتروق العيونَ منه نجومُ
ام لنثر وافَى بسحر بيان   فهو كالروح والمعانى جسومْ
وأَظَلَّتْه للبديع سماءٌ   تتلالَى فى جانبَيْها العلومْ
فاستزادت منه النفوسُ رشادا   واستزانت منه النُهَى والحلومْ
ام لخطّ منمنَم فاقَ حسنا   مثل وشى تلوح منه الرقومْ
او كزهر فى بهجة ورُواءٍ   واريج به تُزاح الغمومْ
والغصون الاقلام والطرس روض   ناضر والمداد غيث سَجُومْ
تلك ستٌّ اعجزنَ وصفى فأَنَّى   بسواها ممّا يحلّ اقومُ

ولم يكن جمعى عَلِمَ الله هذا التاليفَ لرِفْد استهديه، او غرض نائل استجديه، بل لحقّ ودّ أُوَدّيه، ودَيْن وعد اقدّمه وأُبديه، ووقوفٍ عند حدّ لا يجوز تَعَدّيه، وتلبيةِ داعٍ احبّيه[a] واغدّيه.

انّ من يرجو نوالا وندى   من بنى الدنيا لَذُو حظّ غبينْ
فلقد كان على غير الهُدَى   من يسوّيهم بربّ العالمينْ
ويرجّى منهم الرزقَ وهل   خالقُ الكلّ فقير او ضنينْ
أَنتخلّى قصدَ ربّ مالكٍ   ونرى للخلق جهلا قاصدينْ
ما لنا من مُخْلِص ناتى به   غير جاه المصطفى الهادى الامينْ
سيّد الخلق العماد المرتجَى   للمُلمّات شفيع المُذنبينْ
فعليه صلوات تنتحى   حضرةً حلّ بها فى كلّ حينْ
والرضى من بعدُ عن اربعة   هم بحقّ امراء المومنينْ
فيَميِنًا أَنّ من يهواهمُ   لَيكوننّ منَ أَصْحاب اليمينْ
وسط جنّات تُحيّيه بها   آنساتٌ قاصرات الطرف عينْ
بنقوارير لُجَيْن شُرْبُه   واباريق وكاس من معينْ

a) S. La. O. اجيبه.

والذى شرّفهم بمنحنا   حُبّهم والكونَ معهم اجمعينْ

فدونك ايّها الناظر فى هذا الكتاب، المتجافى عن مذهب النقد والعتاب،، كلمات سوانح، اختُلستْ مع اشتغال الجوانح، وتَصادّ الامور الموانع والموانح،، والفاظًا بوارح، اقتُنصتْ بين اشغال الجوارح، وطُرَفًا أَسْمَتُ الطَّرْفَ فى مرعاها وكانت هُمَّلا غير سوارح،، وتُحَفًا يحصل بها لناظره الامْتاع، ولا يَعُدّها من سَقَط المتاع المبتاع، ويلهج بها المرتاحُ ويتأنّس a المستوحشُ المرتاع،، وبعد ان خمنتُ اتمامَ هذا التصنيف، وامعنتُ النظر فيما يحصل به التقريظُ لمسامعه والتشنيف،، قسمتُه قسمَيْن، وكلّ منهما مستقلّ بالمطلوب فيصحّ ان يسمّيا باسمَيْن،،

القسم الاوّل

فيما يتعلّق بالاندلس من الاخبار المُتْرَعة الاكواب، والانباء المنتحية صوبَ الصواب، الرافلة من الافادة فى سوابغ الاثواب، وفيه بحسب القصد والاقتصار، وتَحَرّى التوسّط فى بعض المواضع دون الاختصار، ثمانية b ابواب،،

الباب الاول فى وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها، واعتدال مزاجها ووفور خيرها وكمالها واستوائها، واشتمالها على كثير من c المحاسن واحتوائها، وكرم نباتها، الذى سقتْه سماء البركات من جنباتها، بنافع انوائها، وذكر بعض مآثرها المجلوّة الصور، وتعداد كثير ممّا لها من البلدان والكور، المستمدّة من اضوائها،،

الباب الثانى فى القاء بلد الاندلس للمسلمين بالقياد، وفتحها على يدى موسى بن نُصَيْر ومولاه طارق بن زِياد، وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد، ومحطّ رحل الارتياد والارتياد، وما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه ازدياد، ونبا وصل اليه اعتيامٌ وتقرّر بمثله اعتياد،،

الباب الثالث فى سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العزّ السامى العماد، والقهر للعَدُوّ، فى الرواح والغُدُوّ، والتحرّك والهُدُوّ d، البالغ غايةَ الآماد، واعمال اهلها للجهاد، بالجدّ والاجتهاد، فى الجبال والوِهاد، الاسنّة e المُشْرَعة والسيوفَ المستلّة من الأغماد،،

---

a) La. O. ويستانس. b) S. La. O. من الابواب. c) La. et O. ajoutent و المنافع. d) G. الهدو, S. La. O. P. للهدو. e) C'est ainsi qu'on lit dans S. Les autres man. portent بالاسنة.

الباب الرابع فى ذكر قُرْطُبَة التى كانت الخلافةُ بمصرها للأَعْداء قاهرة، وجامعها الأُمَوِىّ ذى البدائع الباهية الباهرة، والالماع بحضرتَى الملك الزَهْراء الناصريّة والعامريّة الزاهرة، ووَصْف جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة، وما يجرُّ اليه شجونُ الحديث من امور تقضى بحسن ايرادها القرائحُ الوَقّادة والافكارُ الماهرة ،،

الباب الخامس فى التعريف ببعض من رحل من الاندلسيّين الى بلاد المشرق الذاكية العرار والبشام، ومدح جماعة من اولئك الاعلام، ذوى الالباب الراجحة والاحلام، لشامة وجنة الارض دمشق الشام، وما اقتضته المُناسَبةُ من كلام اعيانها . وارباب بيانها . ذوى السودد والاحتشام، ومُخاطَباتهم للمؤلّف الفقير حين حلّها عامَ ١٠٣٧ وشاهَدَ برقَ فضلها المُبين وشامَ ،،

الباب السادس فى ذكر بعض الوافدين على الاندلس من اهل المشرق، المهتدين فى قصدهم اليها بنور الهداية المُضىء المُشْرِق، والاكابر الذين حلّوا منها بحلولهم فيها الجيدَ والمفرِق، وافتخروا بروية قطرها المونق على المُشْئم والمُعْرِق ،،

الباب السابع فى نبذة ممّا منّ الله به على اهل الاندلس من توقُّد الاذهان، وبَذْلهم فى اكتساب المعارف والمعالى ما عزّ او هانَ، وحَوْزهم فى ميدان البراعة . من قصب البراعة . خَصْلَ الرِهان، وجملة من أَجْوِبَتهم . الدالّة على لوذعيّتهم . واوصافهم المؤذنة بأَلْمَعِيّتهم . وغير ذلك من احوالهم . التى لها على فضلهم . اوضَحُ برهان ،،

الباب الثامن فى ذكر تغلُّب العدوّ الكافر على الجزيرة بعد صَرْفه وجوهَ الكيد اليها، وتضريبه بين ملوكها ورؤسائها *a* بمكره . واستعماله فى امرها حيَلَ فكره . حتى استولى دمّره الله عليها، ومحا منها التوحيدَ واسمَه . وكتب على مشاهدها ومعاهدها وَسْمَه . وقرّر مذهبَ التثليث . والرأىَ الخبيث . لدَيْها، واستغاثة من بها بالنظم والنثر . اهلَ ذلك العصر . من سائر الاقطار . حين تعذّرتْ بحصارها . مع قلّة حُماتها وأَنْصارها . المآربُ *b* والاوطار ؛ وجاءها الاعداء من خلفها ومن بين يدَيْها، اعاد الله اليها كلمةَ الاسلام . واقام فيها شريعةَ سيّد الانام . عليه افضل الصلاة والسلام . ورفع يدَ الكفر عنها وعمّا حوالَيْها، آمين ،،

---

a) La. O. وكبرائها. *b*) La. O. الاراب.

ولم أُخِلّ بابا فى هذا القسم من كلام لسان الدين بن الخطيب وان قَلّ، مع ان القسم الثانى بذلك كما ستَقِفُ عليه قد استقَلّ، وهذا آخر ما تعلّق بالقسم الاوّل، وعلى الله سبحانه المتّكَلُ والمعوَّل ٭

القسم الثانى

فى التعريف بلسان الدين بن الخطيب، وذكر انبائه التى يروق سماعُها ويتأرّج نفحُها ويطيب، وما يناسبها من احوال العلماء الافراد. والاعلام الذين اقتضى ذكرَهم شجونُ الكلام والاستطراد. وفيه ايضا من الابواب ثمانية. مُوصلة الى جنّات ادب قطوفُها دانية. وكلّ غصن منها رطيب ٭

الباب الاول فى اوّليّة لسان الدين وذكر اسلافه، الذين ورث عنهم المجدَ وارتضع دَرّ أَخْلافه، وما يناسب ذلك ممّا لا يذهب المصنّف الى خلافه ٭

الباب الثانى فى نشأته وتَرَقّيه ووزارته وسعادته. ومُساعَدة الدهر له ثم قَلْبه له ظهرَ المِجَنّ على عادته. فى مُصافاته ومُنافاته، وارتباكه. فى شباكه. وما لقى من احَن الحاسد. ذى المذهب الفاسد. ومِحَن الكائد المستاسد. وآفاته، وذكر قصوره وأمواله. وغير ذلك من احواله. فى تقلّباته عند ما قابَلَه الزمانُ باهواله. فى بدئه واعادته الى وفاته ٭

الباب الثالث فى ذكر مشايخه الجِلّة، هُدَاة الناس ونجوم المِلّة، وما يتّصل بذلك من الاخبار الشافية للعلّة، والمواعظ المُنْجية من الاهواء المُضِلّة، والمُناسبات الواضحة البراهين والأَدلّة ٭

الباب الرابع فى مُخاطَبات الملوك والاكابر الموجَّهة الى حضرته العليّة، وثناء غير واحد من اهل عصره عليه. وصَرْف القاصدين وجوهَ التاميل اليه. واجتلائهم انوارَ رياسته الجليّة ٭

الباب الخامس فى إيراد جملة من نثره الذى عبق اريجُ البلاغة من نفحاته، ونظمه الذى تألّق نورُ البراعة من لمحاته وصفحاته، وما يتّصل به من بعض ازجاله وموشّحاته، ومُناسَبات رائقة من فنون الادب ومصطلَحاته ٭

الباب السادس فى مصنَّفاته فى الفنون، ومؤلَّفاته المحقّقة للواقف عليها الآمالَ والظنونَ، وما كمّل منها او اخترمتْه دون اتْمامه المَنُون ٭

الباب السابع فى ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه المستدلّين به على المنهاج، المتلقّين انواعَ العلوم منه والمقتبسين انوارَ الفهوم من سراجه الوَهّاج ؛؛

الباب الثامن فى ذكر اولاده الراقلين فى حُلَل الجلالة، المرقّين a اوصافه وخلاله، الوارثين العلمَ والحلم والرياسة والمجد من غير كلالة، ووصيّته لهم الجامعة لآداب الدين والدنيا. المشتملة على النصائح الكافية. والحِكَم الشافية. من كل مرض بلا ثُنْيَا. المُنْقِذة من انواع الضلالة، وما يتبع ذلك من المُناسَبات القويّة. والامداح النبويّة. التى لها على حسن الختام اظهرُ دلالة ؛؛

وقد كنتُ اوّلًا سمّيتُه بعَرْف الطيب، فى التعريف بالوزير ابن الخطيب،، ثم وسمتُه حين الحقتُ اخبارَ الاندلس به بنفح الطيب، من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،، وله بالشام تعلّق من وجوه عديدة، هادية متأمّلة الى الطُرُق السديدة، اوّلها انّ الداعى لتاليفه اهلُ الشام ابقى الله مآثرَهم وجعلها على مرّ الزمان مديدة، والثانى انّ الفاتحين للاندلس هم اهلُ الشام ذوو الشوكة الحديدة، ثالثها انّ غالب اهل الاندلس من عرب الشام الذين اتّخذوا بالاندلس وطنا مستانفا وحضرة جديدة b، ورابعها انّ غَرْناطة نزل بها اهلُ دمشق وسمّوْها باسمها لشبهها بها فى القصر والنهر. والدوح والزهر. والغوطة الفيحاء وهذه مُناسَبة قويّة العُرَى شديدة c،، هذا وانّى اسأل من وقف عليه، ان ينظر بعين الاغضاء اليه،، كما اطلب ممّن كان السببَ فى تصنيفه، والداعيَ الى تاليفه وترصيفه،، استنادًا لركن الثقة، واعتمادًا على الودّ والمقة،، ان يصفح عمّا فيه من قصور ويسمَح، ويلاحظه بعين الرضى الكليلة ويلمَح،، اذ ركبتُ شكلَ منطقه والاشجانُ غالبة، وقضيّة الغربة. مُوجبة للكربة. ولبعض الآمال سالبة،، وهو وان لم يُوف بكلّ الغرض، فلا يخلو من فائدة وقد يُستدَلّ على الجوهر بالعَرَض،، فان الّيتُ المفترَض وذاك المرامُ الذى ارتضيه، ويُوجب الودُّ ويقتضيه،، والّا فحسبى ان بذلتُ به جهدى، وانفقتُ من وُجْدى، على قدر ما عندى،، وقد توهّمتُ انّى لم أُسْبَقْ الى مثله فى بابه، اذ لم أَقِفْ له على نظير اتّصل باسبابه،، ورجوتُ ان يكون هديّةً مستملَحة مستعذَبة، وطُرْفةً مقبولة مستغرَبة،،

---

a) G. المرتقين, La. O. المترقين. b) La. et O. ajoutent والنجدة. c) La. O. سعيدة.

هديّتى تقصر عن همّتى وهمّتى اكثر من مالى
وخالص الودّ ومحض الاخا اكثر ما يُهديه أمثالى

واوردتُّ فيه من نظم وانْشا، ما يكفى المقتصرَ عليه ان شا،، ومن اخبار ملوك ورؤسا، وطبقات من أحْسَنَ او أسا،، ما فيه اعتبار للمتأمّل، وادّكار للراحل المتحمّل، وزينة للذاكر المتجمّل،، وتنكيتٌ على اهل البطر، وتبكيتٌ لمن خرج من دنياه ولم يقض من الطاعة الوطر،،

ارى اولادَ آدم ابطرتْهم حظوظُهم من الدنيا الدنيّهْ
فلِمْ بطروا واوّلهم مَنِىٌّ اذا نُسِبوا وآخرهم منيّهْ

وفيه ايقاظ لمثلى من سِنَة الغفلة، وحثٌّ على عدم الاغترار بالمُهْلة،، وتنبيه للابس بُرْد الشباب القشيب، انه لا بُدَّ من حادث الموت قبلَ او بعد المشيب،،

لله دَرُّ الشيب من واعظ وناصح منهاجُه واضحُ
كلُّ آمْرِئٍ يُعْجِبه شانُه وحادثُ الدهر له فاضحُ

فكم باكٍ على عصر الشباب، وشاكٍ لفراق عهد الصبا والاحباب، أنْساه طارقُ الزمان سُلَيْمَى والرَبَاب،،

مضى عصرُ الشباب كلمح برق وعصرُ الشيب بالاكدار شيبًا
وما اعددتُّ قبل الموت زادا ليوم يجعل الولدانَ شيبًا

وما احسن قولَ بعض الاعلام

مضى ما مضى من حُلْوِ عيش ومُرّه كأن لم يكنْ الّا كأضْغاث أحْلامِ

وقول من ارشد سفيهًا

انّما هذه الحياة متاع فالجَهُول الجهول من يصطفيهَا
ما مضى فاتَ والمؤمَّل غيبٌ ولك الساعةُ التى انت فيهَا

وفى معناه لغيره

دنياك شيئانِ فانظُرْ ما ذانِكَ الشيئانِ
ما فاتَ منها فحُلْم وما بقى فأمانى

وما احكم قولَ ابن حِطّان، مع وقوعه من البدعة فى اشطان[a]،،

ياسف المرءُ على ما فاتَه من لبانات اذا لم يَقْضِها
وتراه ضاحكا مستبشرا بالتى امضى كأن لم يُمْضِها
انّها عندى كأحْلام الكَرَى لَقريبٌ بعضُها من بعضِها

---

a) Voyez Ibn-Khallikān, édit. Wüstenfeld, n°. 179.

ولغيره   والله لو كانت الدنيا باجمعها   تبقى علينا ويأتى رزقها رَغَدَا
ما كان من حقّ حُرٍّ ان يذلّ لها   فكيف وهى متاع يضمحلّ غَدَا

ولآخر   لا حظّ فى الدنيا لمستبصر   يلمحها بالفكرة الباصرَهْ
ان كدّرتْ مشربَه ملّها   وان صفتْ كدّرت الآخرَهْ

ويُعْجبنى قول الوزير ابن المغربى
انّى ابثّك من حديثى والحديث له شجونْ   فارقتَ موضع مرقدى
ليلا ففارقنى السكونْ   قُلْ لى فاوّلَ ليلة   للقبر كيف ترى اكونْ

وقول ماميه [a]   تأمّلْ فى الوجود بعين فكر   ترَ الدنيا الدنيّة كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى   ويبقى وجهُ ربّك ذى الجلال

وقول بعض العارفين   استعدّى يا نفس للموت واسْعَىْ   لنجاة فالحازم المستعدُّ
قد تبيّنتُ انّه ليس للحىّ خلودٌ وما من الموت بُدُّ
انّما انت مستعيرةٌ ما سو   ف تردّينَ والعوارى تُرَدُّ
انت تَسْهينَ والحوادث لا تسهو وتَلْهينَ والمنايا تَجِدُّ
اىُّ ملك فى الارض او اىُّ حظّ   لامْرِئٍ حظُّه من الارض لَحْدُ
لا تُرَجّى البقاء فى معدن المو   ت ودارٍ حتوفُها لك وِرْدُ
كيف يرجو امْرُؤٌ لذاذةَ ايّا   م عليه الانفاسُ فيها تُعَدُّ

واسأَل من بلّغ السائلين ما يرجون، ان يصفح عن زلّاتى ويسامحنى فيما اوردتُّه فى هذا الكتاب من الهزل والمجون، الذى جرّت المناسبةُ اليه والحديثُ شجون، وما القصد منه الّا ترويح قلوب الذين يسوقون عيسَ الأَسْمار ويُزْجُون،، وفيما اوردتُّ من المواعظ والنصائح، وحكايات الاولياء الذين طيبُ زهرِ مناقبهم فائح، والتوسّل بمحاسن الامداح النبويّة ان يستر بفضله سبحانه القبائحَ،، ويُرينا وجهَ القبول بلا اكتتام، ويمنحنا الزُلْفَى وحسنَ الختام،،   ومن يتوسّلْ بالنبىّ محمد   شفيع البرايا السيّد السَنَد الأَسْنَى
فذاك جدير ان يُكفّرَ ذَنْبُه   ويُمْنَحَ نيلَ القصد والختمَ بالحُسْنَى

وهذا اوانُ الشروع، فى الاصول من هذا الكتاب والفروع، وعلى الله اعتمد، ومن معونته استمدّ،،

a) S. et P. portent مَامَيْه, La. et O. مَاميه.

القسم الاوّل

فيما يتعلّق بالاندلس من الاخبار المُتْرَعة الاكواب، والانباء المنتحية صوبَ الصواب، الرافلة من الافادة فى سوابغ الاثواب، وفيه بحسب القصد والاقتصار، وتَحَرّى التوسُّط فى بعض المواضع دون الاختصار، ثمانية ابواب،

الباب الاوّل

فى وصف جزيرة الاندلس وحسن هوائها، واعتدال مزاجها ووفور خيراتها واستوائها، واشتمالها على كثير من المحاسن واحتوائها، وكرم بقعتها التى سقتْها سماء البركات بنافع انوائها، وذكر بعض مآثرها[a] المجلوّة الصور، وتعداد كثير ممّا لها من البلدان والكور، المستمدّة من اضوائها،

فاقول محاسن الاندلس لا تُستوفى بعبارة، ومُجارى فضلها لا يشقّ غباره، وأنّى تُجارَى وهى الحائزة قصبَ السبق، فى اقطار الغرب والشرق، قال ابن سعيد انما سُمّيت بالاندلس[b] بن طوبال بن يافث بن نوح لانه نزلها كما ان اخاه سبت بن يافث نزل العدوةَ المقابلة لها واليه تُنْسَب سَبْتة قال واهل الاندلس يحافظون على قوام اللسان العربى لانهم امّا عرب او متعرّبون انتهى، وقال ابن غالب انه اندلس بن يافث والله اعلم، وقال الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه تع فى بعض كلام له اجرى فيه ذكر البلاد الاندلسيّة اعادها الله للاسلام، ببركة المصطفى عليه من الله افضل الصلاة وازكى السلام، ما نصّه خصّ الله بلاد الاندلس من الربع وغدق السقى ولذاذة الاقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحّر العمران وجودة اللباس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحّة الهواء وابيضاض الوان الانسان ونُبْل الاذهان وقبول الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الادراك واحكام التمدّن

a) La. O. منافعها. b) S. La. O. بالاندلس.

والاعتمار، بما حَرِمَه الكثيرَ من الاقطار،، ممّا سواه انتهى، قال ابو عامر السُلَمى فى كتابه المسمّى بدُرَر القلائد، وغُرَر الفوائد،، الاندلس من الاقليم الشامى وهو خير الاقاليم واعدلها هواءً وترابا واعذبها ماءً واطيبها هواءً وحيوانا ونباتا وهو اوسط الاقاليم وخير الامور اوسطُها انتهى، قال ابو عُبَيْد البكرى الاندلس شامية فى طيبها وهوائها يمانية فى اعتدالها واستوائها هندية فى عطرها وذكائها أَهْوازيّة فى عظم جبايتها صينيّة فى جواهر معادنها عَدَنيّة فى منافع سواحلها فيها آثار عظيمة لليونانيين اهل الحكمة وحاملى الفَلْسَفة وكان من ملوكهم الذين اثّروا الآثار بالاندلس هِرّقلس وله الاثر فى الصنم بجزيرة قادس وصنم جِلّيقية والاثر فى مدينة طَرّكونة الذى لا نظيرَ له، قال المسعودى بلاد الاندلس تكون مسيرةُ عمائرِها ومدنها نحو شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحوٌ من ٤٠ مدينة انتهى باختصار، ونحوه لابن اليَسَع ان قال طولها من اربونة *a* الى أُشْبُونة وهو قطعُ ٦٠ يوما للفارس المُجِدّ وانتُقد بامرَيْن احدُهما انه يقتضى ان اربونة داخلة فى جزيرة الاندلس والصحيح انها خارجة عنها والثانى ان قوله ٦٠ يوما للفارس المجدّ اغْياءٌ وإفْراط وقد قال جماعة انها شهر ونصف، قال ابن سعيد وهذا يقرب اذا لم يكن للفارس المجدّ والصحيح ما نصّ عليه الشريفُ من انها مسيرة شهر وكذا قال الحجارى وقد سالتُ المسافرين المحقّقين عن ذلك فعملوا حسابا بالمراحل الجيّدة أَفْضَى الى نحو شهر بنيّف قليل قال الحجارى فى موضع من كتابه ان طول الاندلس من الحاجز الى اشبونة الف ميل ونيف انتهى، وبالجملة فالمراد التقريب من غير مُشاححة كما قاله ابن سعيد واطال فى ذلك ثم قال بعد كلام ومسافةُ الحاجز الذى بين بحر الزقاق والبحر المحيط ٤٠ ميلا وهذا عرض الاندلس عند راسها من جهة الشرق ولقلّته سُمّيت جزيرةً والّا فليست بجزيرة على الحقيقة لاتّصال هذا القدر بالارض الكبيرة وعرض جزيرة الاندلس فى موسطتها عند طُلَيْطُلة ١٢ يوما واتّفقوا على ان جزيرة الاندلس مثلّثة الشكل واختلفوا فى الركن الذى فى الشرق والجنوب فى حيّز اربونة فمّن قال انه فى اربونة وان هذه المدينة تقابلها مدينةُ بُرْذيل التى فى الركن الشرقى الشمالى احمدُ بن محمد الرازى وابن حيّان وفى كلام غيرهما انه فى جهة اربونة وحقّق الامرَ الشريفُ وهو اعرَفُ بتلك

a) Les man. portent ici, comme presque toujours, أربونة.

الجهة لتردّده فى الاسفار برًّا وبحرًا اليها وتفرُّغه لهذا الفنّ، قال ابن سعيد وسالتُ جماعة من علماء هذا الشان فاخبرونى ان الصحيح ما ذهب اليه الشريف وان اربونة وبَرْشَلُونة غير داخلتَيْن فى ارض الاندلس وان الركن المُوفى على بحر الزقاق بالمشرق بين برشلونة وطرّكونة فى موضع يعرف بوادى زنلقاطو[a] وهناك الحاجز الذى يفصل بين الاندلس والارض الكبيرة ذات الالّسن الكثيرة وفى هذا المكان جبل البُرْت الفاصل فى الحاجز المذكور وفيه الابواب التى فتحها ملك اليونانيين بالحديد والنار والخلّ ولم يكن للاندلس من الارض الكبيرة قبل ذلك طريق فى البرّ وذكر الشريف ان هذه الابواب يقع فى مقابلتها فى بحر الزقاق البحرُ الذى بين جزيرتَىْ مَيُورقة ومَنُورقة وقد اخبر بذلك جمهورُ المسافرين لتلك الناحية ومسافةُ هذا الجبل الحاجز بين الركن الجنوبى الى الركن الشمالى ٤٠ ميلا قال وشمال الركن المذكور عند مدينة برذيل وهى من مدن الافرنجة مُطلّة على البحر المحيط فى شمالىّ الاندلس قال وينقهقر البرُّ بعد تميُّز هذا الركن الى الشمال فى بلاد الافرنجة ولهم به جزائر كثيرة وذكر ان الركن الثانى عند شَنْت[b] ياقُوه من ساحل الجلالقة فى شمال الاندلس الغربى حيث تبتدئ جزيرةُ برطانية الكبيرة فيتصوّر هنالك بحر داخل بين ارضين من الناس مَنْ يجعله بحرا منفردا خارجا من البحر المحيط لطوله الى الركن المتقدّم الذكر عند مدينة برذيل وذكر الشريف ان عند شنت ياقوه فى هذا الركن المذكور على جبل بمجمع البحرين صنما مطلّا مشبهًا بصنم قادس والركن الثالث بمقربة من جبل الاغر[c] حيث صنم قادس والجبل المذكور يدخل من غربه مع جنوبه بحرُ الزقاق من البحر المحيط مارًّا مع ساحل الاندلس الجنوبى الى جبل البرت المذكور انتهى والكلام فى مثل هذا طويل الذيل، قال الشيخ احمد بن محمد بن موسى الرازى بلد الاندلس هو آخر الاقليم الرابع الى المغرب وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة طيّب التربة خصب الجناب، منبجس بالانهار[d] الغِزار والعيون العِذاب،،

---

a) S. زنلقطو, La. O. زنلقطوا. Je crois qu'on doit lire ربلقاطو (*Rubricatus*, *Llobregat*).
b) P. شانت, La. O. يانت, G. بابت, S. بلمادة (*sic*). *c*) C'est ainsi qu'on doit lire (*Trafalgar* = طرف الاغر); comparez Ibn-Haukal, man. de Leyde, p. 63: المكان المعروف باشبرتال الاغر الجبل الاندلس من عدوة ويحاذيه — وهو جبل عالٍ. G. La. O. الاغن, S. P. الاعن.
d) S. et La. portent الانهار.

قليل الهوامّ ذوات السموم، معتدل الهواء والجوّ والنسيم،، ربيعُه وخريفه، ومشتاه ومصيفه،،
على قدر من الاعتدال، وسطة من الحال،، لا يتولّد فى احدها فصل a يتولّد منه فى
ما يتلوه انتقاص تتّصل فواكهُه اكثرَ الازمنة وتدوم متلاحقةً غير مفقودة امّا الساحل
منه ونواحيه فتبادر b بباكوره وامّا الثغر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء فتتأخّر c
بالكثير من ثمره فمادّة الخيرات بالبلد متمادية فى كل الاحيان وفواكهه على الجملة
غيرُ معدومة فى كل اوان وله خواصّ فى كرم النبات يُوافق فى بعضها ارضَ الهند
المخصوصة بجواهر الانبات منها ان المحلب وهو المقدّم فى الافاويه والمفضّل فى انواع
الاشنان لا ينبت بشىء من الارض الا بالهند والاندلس وللاندلس المدن الحصينة
والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة ولها البرّ والبحر والسهل والوعر وشكلها
مثلّث وهى معتمدة على ثلاثة اركان الاول هو الموضع الذى فيه صنم قادس المشهور
بالاندلس ومنه مخرج البحر المتوسّط الشامى الآخذ بقبلىّ الاندلس والركن الثانى
هو بشرقىّ الاندلس بين مدينة نربونة d ومدينة برذيل ممّا بايدى الفرنجة اليومَ بازاء
جزيرتَىْ ميورقة ومنورقة بمجاورة من البحرين البحرِ المحيط والبحرِ المتوسّط وبينهما
البرُّ الذى يعرف بالابواب وهو المدخل الى بلد الاندلس من الارض الكبيرة على بلد
افرنجة ومسافته بين البحرين مسيرةُ يومين ومدينة نربونة e تقابل البحرَ المحيط
والركن الثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيّز جلّيقية حيث الجبل المُوفى
على البحر وفيه f الصنم العالى المشبه بصنم قادس وهو الطالع على بلد برطانية قال
والاندلس اندلسان فى اختلاف هبوب رياحها ومواقع امطارها وجَرَيان انهارها اندلس
غربىّ واندلس شرقىّ فالغربى منها ما جرتْ اوديتُه الى البحر المحيط الغربى ويُمْطَر g
بالرياح الغربيّة ومبتدأُ هذا الحوز من ناحية المشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف
الى بلد شَنْتَمريّة طالعًا الى أَغْريطة h المجاورة لطليطلة مائلًا الى الغرب ومجاورًا للبحر
المتوسّط الموازى لقَرْطاجَنّة الخلفاء i التى من بلد لُورقة والحوز الشرقىّ المعروف
بالاندلس الاقصى ومجرى اوديته الى الشرق وامطاره بالريح الشرقيّة وهو من حدّ جبل
البشكنش هابطًا مع وادى أبرُه الى بلد شنتمريّة * ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط

---

a) Telle est la leçon du man. P. Les autres man. portent فصل. *b*) Les man. portent فيبادر. *c*) G. P. La. O. فيتاخر. *d*) Les man. portent بريونة. *e*) Même remarque. *f*) Les man. portent وفيها. *g*) Les man. portent وتمطر. *h*) G. P. اغريطة. *i*) G. P. O. الحلفا.

وفى القبلة منه البحر الغربى a الذى منه يجرى البحرُ المتوسط الخارج الى بلد الشام وهو البحر المسمّى ببحر تيران ومعناه الذى يشقّ دائرةَ الارض ويسمّى البحر الكبير انتهى، قال ابو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النَظّام بلد الاندلس عند علماء اهله اندلسانِ فالاندلس الشرقى منه ما صبّتْ اوديتُه الى البحر الرومى المتوسّط المتصاعد من اسفل ارض الاندلس الى المشرق وذلك ما بين جزيرة تُدْمير الى سرقسطة والاندلس الغربى ما صبّتْ اوديتُه الى البحر الكبير المعروف بالمحيط اسفلَ ذلك الحدّ الى ساحل المغرب فالشرقىّ منهما يُمْطَر بالريح الشرقيّة ويَصْلُح عليها والغربى يمطر بالريح الغربيّة وبها صلاحُه وجباله هابطة الى الغرب جبلًا بعد جبل وانما قسمتْه الاوائلُ جزئَيْن لاختلافهما فى حال امطارهما وذلك انه مهما استحكمت الريحُ الغربيّة كثر مطرُ الاندلس الغربى وقحط الاندلس الشرقى ومتى استحكمت الريحُ الشرقيّة مُطرَ الاندلس الشرقى وقحط الغربى واوديةُ هذا القسم تجرى من الشرق الى الغرب بين هذه الجبال وجبال الاندلس الشرقى b تمتدّ الى الشرق جبلًا بعد جبل تقطع من الجوف الى القبلة والاوديةُ التى تخرج من تلك الجبال يقطع بعضُها الى القبلة وبعضها الى الشرق وتنصبُّ كلها الى البحر المتوسّط للاندلس القاطع الى الشام وهو البحر الرومى وما كان من بلاد جوفىّ الاندلس من بلاد جلّيقية وما يليها فانّ اوديته تنصبّ الى البحر الكبير المحيط بناحية الجوف وصفة الاندلس شكل مركّن على مثال الشكل المثلّث ركنُها الواحد فيما بين الجنوب والمغرب حيث اجتماع البحرين عند صنم قادس وركنُها الثانى فى بلد جلّيقية حيث الصنم المشبه صنمَ قادس مقابلَ جزيرة برطانية وركنُها الثالث بين مدينة نربونة c ومدينة برذيل من بلد الفرنجة بحيث يقرب البحرُ المحيط من البحر الشامى المتوسّط فيكاد ان يجتمعا فى ذلك الموضع فيصير بلد الاندلس جزيرةً بينهما فى الحقيقة لولا انه يبقى بينهما برزخٌ برّيّة صحراء وعمارة مسافةَ مسيرة يوم للراكب منه المدخلُ الى الارض الكبيرة التى يقال لها الابواب ومن قِبَله يتّصل بلدُ الاندلس بتلك البلاد المعروفة بالارض الكبيرة ذات الالسنة d المختلفة قال واوّل مَنْ سكن الاندلس على قديم الايام فيما نقلتْه الاخباريّون من بعد عهد الطوفان على ما يذكره علماء عجمها قومٌ يُعْرَفون

a) Ce passage est évidemment altéré. *b*) Les man. portent الغربى. *c*) Les man. portent بربونة. *d*) S. La. الالسن.

بالاندلش معجمة الشين بهم سُمّى المكانُ فعُرّب فيما بعدُ بالسين غير المعجمة كانوا الذين عمروها وتناسلوا فيها وتداولوا ملكَها دهرا على دين التمجّس والاهمال والافساد فى الارض ثم اخذهم الله بذنوبهم فحبس المطر عنهم ووالَى القحطَ عليهم واعطش بلادهم حتى نضبت مياهُها وغارتْ عيونُها ويبست انهارُها وبادت اشجارُها فهلك اكثرهم وفرّ مَنْ قدر على الفرار منهم فأَقْفَرَت الاندلسُ منهم وبقيت خاليةً فيما يزعمون مائةَ سنة وذلك من حدّ بلد الفرنجة الى حدّ بحر الغرب الاخضر وكان عدّةُ ما عمرتْها هذه الامّةُ البائدة مائة عام وبضع عشرة سنة ثم ابتعث الله بعمارتها الأَفارقةَ فدخل اليها بعد اقْفارها تلك المدّةَ الطويلة قومٌ منهم اجلاهم ملكُ افريقية تخفّفا منهم لامْحال توالى على اهل مملكته وتردّد عليهم حتى كاد يُفْنيهم فحمل منهم خلقا فى السفن مع قائد من قِبَله يدعى ابطريقس فأَرْسَوْا بريف الاندلس الغربى واحتلّوا بجزيرة قادس فاصابوا الاندلس قد مُطرت وأَخْصَبت فجرت انهارُها وانفجرت عيونُها وحييت اشجارُها فنزلوا الاندلس مغتبطين وسكنوها معتمرين وتوالدوا فيها فكثروا واستوسعوا فى عمارة الارض ما بين الساحل الذى ارسوا فيه بغربيّها الى بلد الافرنجة من شرقيّها ونصبوا من انفسهم ملوكا عليهم ضبطوا امرهم وتوالوا على اقامة دولتهم وهم مع ذلك على ديانة مَنْ قبلهم من الجاهلية وكانت دارُ مملكتهم طالقة الخراب اليومَ من ارض اشبيلية اخترعها ملوكُهم وسكنوها فاتّسق ملكُهم بالاندلس ١٥٧ عاما الى ان اهلكهم الله تع ونسخهم بعجم رُومة بعد ان ملك من هؤلاء الافارقة فى مدّتهم تلك ١١ ملكا ثم صار ملكُ الاندلس بعدهم الى عجم رومة وملكهم اشبان بن طيطش وباسمه سُمّيت الاندلس اشبانية وذكر بعضُهم ان اسمه اصبهان فأُحيلَ بلسان العجم وقيل بل كان مولده باصبهان فغلب اسمُها عليه وهو الذى بنى اشْبيلية وكان اشبانية اسما خالصا لبلد اشبيلية الذى كان ينزله اشبان هذا ثم غلبَ الاسمُ بعده على الاندلس كله فالعجم الى الآن يسمّونه اشبانية لآثار اشبان هذا فيه وكان احدَ الملوك الذين ملكوا اقطار الدنيا فيما زعموا وكان غزا الافارقة عند ما سلّطه الله عليهم فى جموعه ففضّ عساكرهم واثخن فيهم ونزل عليهم بقاعدتهم طالقة وقد تحصّنوا فيها منه فابتنى عليهم مدينةَ اشبيلية اليومَ واتّصل حصرُه وقتاله لهم حتى فتحها الله عليهم وغلبهم a) واستوتْ له مملكةُ

a) G. وعليه, P. وعليهم.

الاندلس بأسْرها ودان له مَنْ فيها فهدم مدينة طالقة ونقل رخامها وآلاتها الى مدينة اشبيلية فاستتمّ بناءها واتّخذها دارَ مملكته واستغلظ سلطانه فى الارض وكثرت جموعُه فعلا وعظم عتوّه ثم غزا ايليا من اشبيلية بعد سنتين من ملكه خرج اليها فى السُفُن فغنمها وهدمها وقتل فيها من اليهود مائة الف واسترقّ مائة الف وانتقل رخام ايليا وآلاتها الى الاندلس وقهر الاعداء واشتدّ سلطانه انتهى، وذكر بعض المؤرّخين ان الغرائب التى أُصيبت فى مغانم الاندلس ايامَ فتحها كمائدة سليمن عم التى الفاها طارقُ بن زياد بكنيسة طليطلة وقليلة *a* الدرّ التى الفاها موسى بن نصير بكنيسة ماردة وغيرها من طرائف الذخائر انما كانت ممّا صار لصاحب الاندلس من غنيمة بيت المقدس اذ حضر فتحَها مع بُخْتنصّر وكان اسم ذلك الملك بريان وفى سهمه وقع ذلك ومثلُه ممّا كانت الجنُّ تاتى به نبىَّ الله سليمن على نبيّنا وعليه وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام انتهى، وقال غير واحد من المؤرّخين كان اهل الغرب الاقصى يضرّون باهل الاندلس لاتّصال الارض ويَلْقون منهم الجهدَ الجهيد فى كل وقت الى ان اجتاز بهم الاسكندرُ فشكوا حالَهم اليه فاحضر المهندسين وحضر الى الزقاق فامر المهندسين بوزن سطح الماء من المحيط والبحر الشامى فوجدوا المحيط يعلو البحرَ الشامى بشىء يسير فامر برفع البلاد التى على ساحل البحر الشامى ونقلها من الحضيض الى الاعلى ثم امر بحفرِ ما بين طَنْجة وبلاد الاندلس من الارض فحُفرت حتى ظهرت الجبالُ السفليّة وبنى عليها رصيفا بالحجر والجيّار بناءً مُحْكَما وجعل طولَه ١٢ ميلا وهى المسافة التى كانت بين البحرين وبنى رصيفا آخر يقابله من ناحية طنجة وجعل بين الرصيفين سعةَ ٦ اميال فلما كمل الرصيفان حفر من جهة البحر الاعظم واطلق فَمَ الماء بين الرصيفين فدخل فى البحر الشامى ثم فاض ماؤه فاغرق مُدُنا كثيرة واهلك أُمَما عظيمة كانت على الشطّيْن وطغا الماءُ على الرصيفين ١١ قامةً فامّا الرصيف الذى يلى بلادَ الاندلس فانه يظهر فى بعض الاوقات اذا نقص الماءُ ظهورا بيّنا مستقيما على خطّ واحد واهل الجزيرتين يسمّونه القنطرة وامّا الرصيف من جهة العدوة فان الماءَ حمله فى صدره واحتفر ما خلفه من الارض ١٢ ميلا وعلى طرفه من جهة المغرب قصرُ الجواز وسَبْتة وطَنْجة وعلى طرفه من الناحية الاخرى جبلُ طارق

a) J'ignore ce que signifie ici le mot قليلة. L. porte قليدة.

ابن زياد وجزيرة طَرِيف وغيرهما والجزيرة الخضراء وبين سبتة والجزيرة الخضراء عرض البحر انتهى ملخّصا وقد تكرّر بعضه مع ما جلبناه والعذر بيّنٌ لارتباط الكلام بعضه ببعض، وقال ابن سعيد ذكر الشريف ان لا حظّ لارض الاندلس فى الاقليم الثالث قال ويمرّ بجزيرة الاندلس من الاقاليم الرابعُ على ساحلها الجنوبى وما قارَبَه من قرطبة واشبيلية ومُرْسية وبَلَنْسية ثم يمرّ على جزيرة صقلّية وعلى ما فى سَمْتها من الجزائر والشمس مدبّرة له والاقليم الخامس يمرّ على طليطلة وسَرَقُسْطة وما فى سمتهما الى بلاد أرْغُون التى فى جنوبها برشلونة ثم يمرّ على رومية وبلادها ويشقّ بحرَ البنادقة ثم يمرّ على القسطنطينية ومدبّرته الزُهَرة والسادس يمرّ على ساحل الاندلس الشمالى الذى على البحر المحيط وما قارَبَه وبعض البلاد الداخلة فى قَشْطالة وبُرْتُقال وما فى سمتها وعلى بلاد بُرْجان والصقالبة والرُوس ومدبّره عطارد ويمرّ الاقليم السابع فى البحر المحيط الذى فى شمال الاندلس الى جزيرة انقلطرة a وغيرها من الجزائر وما فى سمتها من بلاد الصقالبة وبرجان قال البَيْهَقى وفيه تقع جزيرة تُولى وجزيرتا اجبال والنساء وبعض بلاد الروس الداخلة فى الشمال والبُلْغار ومدبّره القمر انتهى، وقال بعض العلماء ان النصارى حُرِموا جنّةَ الآخرة فاعطاهم الله جنّةَ الدنيا بستانا متّصلا من البحر المحيط بالاندلس الى خليج القسطنطينية وعندهم عمومُ شاه بلّوط والبندق والجوز والفستق وغير ذلك ممّا يكون اكثرَ وامكنَ فى الاقاليم الباردة والتمر عندهم معدوم وكذا الموز وقصب السكّر وربّما يكون شىء من ذلك فى الساحل لان هواء البحر يَدْفَى انتهى، قال ابن حيّان فى المقتبس ذكر رُواةُ العجم ان الخضر عم وقف باشبان المذكور وهو يحرث الارض بفدان b له ايامَ حراثته فقال له يا اشبان، انك لَذُو شان، وسوف يُحْظيك زمان، ويُعْليك سلطان،، فاذا انت غلبتَ على ايليا فارفُقْ بذرّيّة الانبياء فقال له اشبان أساخِرٌ بى c رحمك الله أنّى يكون هذا منّى وانا ضعيف ممتهن حقير فقير ليس مثلى ينال السلطان فقال له قد قدّر ذلك فيك مَنْ قدّر فى عصاك اليابسة ما تراه فنظر اشبان الى عصاه فاذا بها قد اورقت فريعَ لما رأى من الآية وذهب الخضرُ عنه وقد وقع الكلامُ بخَلَده ووقرت فى نفسه الثقةُ بكونه d فترك الامتهان من وقته وداخَلَ الناسَ وصحب اهلَ الباس منهم وسما به جَدُّه فارتقى

a) Les man. portent انقطرة. b) Les man. portent بفدن. c) Le mot بى ne se trouve que dans le man. La. d) S. ajoute صحيحا.

فى طلب السلطان حتى ادرك منه عظيما وكان منه ما كان ثم اتى عليه ما اتى على القرون قبله وكان ملكه كلّه ٢٠ سنة وتمادى ملكُ الاشبانيّين بعده الى ان ملك منهم الاندلسَ ٥٥ ملكا ثم دخل على هؤلاء الاشبانيين[a] من عجم رومة امّةٌ يُدْعَون البشتولقات وملكهم طلويش[b] بن بيطه وذلك زمنَ بعث المسيح بن مريم عمّ اتوا الاندلسَ من قِبَل رومة وكانوا يملكون افرنجة معها ويبعثون عُمّالَهم عليها فاتّخذوا دارَ مملكتهم بالاندلس مدينة ماردة واستولوا على مملكة الاندلس واتّصل ملكُهم لها مدّةً الى ان ملك منهم ٢٧ ملكا ثم دخل على هؤلاء البشتولقات امّةُ القوط مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس واقتطعوها من يومئذ عن صاحب رومة وتفرّدوا بسلطانهم واتّخذوا مدينة طليطلة دارَ مملكتهم واقرّوا بها سرير ملكهم فبقى باشبيلية عَلَمُ الاشبانيّين ورياسة اوّليّتهم وقد كان عيسى المسيح عمّ بعث الحواريّين فى الارض يدعون الخلق الى ديانته فاختلف الناسُ عليهم وقتلوا بعضهم واستجاب لهم كثير منهم كان من اسرعهم اجابةً لمن جاءه من هؤلاء الحواريّين خشندش ملك القوط فتنصّر ودعا قومه الى النصرانية وكان من صميم اعاظمهم وخيرِ مَنْ تنصّر من ملوكهم اجمعوا على انه لم يك فيهم اعدل منه حكما ولا ارشد رأيًا ولا احسن سيرةً ولا اجود تدبيرا فكان الذى اصّل النصرانيةَ فى ملمكته ومضى اهلُها على سنّته الى اليوم وحكموا بها والانجيلاتُ فى المصاحف الاربعة التى يختلفون فيها من انتساخه وجمعه وتثقيفه فتناسقتْ ملوك القوط بالاندلس بعده الى ان غلبتْهم العربُ عليها واظهر الله دينَ الاسلام على جميع الاديان فوقع فى تواريخ العجم القديمة ان عدّة ملوك هؤلاء القوط بالاندلس من عهد اتاناوينوس الذى ملك فى السنة الخامسة من مملكة فلبش القيصرى لمضىّ اربعمائة وسبع من تاريخ الصفر المشهور عند العجم الى عهد لُذْريق آخرهم الذى ملك فى السنة التاسعة والاربعين وسبعمائة من تاريخ الصفر وهو الذى دخلت عليه العربُ فازالت دولةَ القوط ٣٦ ملكا وأَنّ مدّة ايام ملكهم بالاندلس ٣٤٢ سنة انتهى، وقال جماعة ان القوط غير البشتولقات وان البشتولقات من عجم رومة وانهم جعلوا دارَ ملكهم ماردةَ * واتّصل ملكهم[c] الى ان ملك منهم ٢٧ ملكا ثم دخل عليهم القوطُ واتّخذوا طليطلة دارَ مملكة ثم ذكر تنصُّر ملكهم خشندش مثل ما تقدّم

a) Au lieu de ce mot, qui manque dans La. et O., les trois autres man. portent الاشبان.
b) S. La. طلويش , O. طوبش. c) Ces mots ne se trouvent que dans le man. P.

ثم ذكر ان عدد ملوك القوط ٣٦ ملكا وذكر الرازى ان القوط من ولد ياجوج بن
يافث بن نوح وقيل غير ذلك انتهى، وقال الرازى فى موضع آخر نحو ما تقدّم وزيادة
ونصّه ان الاندلس فى آخر الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة التى هى رُبْع معمور الدنيا
فهى موسطة من البلدان كريمة البقعة بطبع الخلقة طيّبة التربة مُخْصبة القاعة منبجسة
العيون الثرار منفجرة بالانهار a الغزار قليلة الهوامّ ذوات السموم معتدلة الهواء اكثرَ
الازمان لا يزيد قيظُها b زيادةً مُنْكَرة تضرّ بالابدان وكذا سائرُ فصولها فى اعمّ سنينها
تاتى c على قدر من الاعتدال وتوسّط من الحال وفواكهها تتّصل طولَ الزمان فلا تكاد
تُعْدَم لان الساحل ونواحيه تبادر بباكورها d كما ان الثغر وجهاته والجبال التى
يخصّها بردُ الهواء وكثافةُ الجوّ تستاخر بما فيها من ذلك حتى يكاد طرفَا فاكهتها
يلتقيان فمادّة الخيرات فيها متّصلة كلّ اوان ومن بحرها بجهة الغرب يخرج العنبر
الجيّد المقدّم على اجناسه فى الطيب والصبر على النار وبها شجر المحلب المعدود
فى الافاويه المقدّم فى انواع الاشنان كثيرٌ واسع وقد زعموا انه لا يكون الا بالهند وبها
فقط ولها خواصّ نباتيّة يكثر تعدادُها انتهى، وقد ذكر غيره تفصيلَ بعض ذلك فقال
يوجد فى ناحية دلاية من اقليم البشرة عودُ الالنجوج لا يفوقه e العودُ الهندى ذكاءً
وعطرَ رائحة وقد سيقَ منه الى خَيْران الصقلبى صاحب المريّة اصل كان منبتُه بين
احجار هنالك وباكشُونُبة جبل كثيرًا ما يتضوّع ريحُه ريح العود الذكىّ اذا ارسلت
فيه النار وببحر شَذُونة يوجد العنبر الطيّب الغربى وفى جبل مُنْت لَيُون المحلب
ويوجد بالاندلس القُسْط الطيّب والسنبل الطيّب والجنطيانة تُحمل من الاندلس الى
جميع الآفاق وهو عَقّار رفيع والمُرّ الطيّب بقاعة ايّوب واطيب كَهْرُبَا الارض بشذونة درهمٌ
منها يعدل دراهمَ من المجلوبة واطيب القرمز قرمزُ الاندلس واكثر ما يكون بنواحى
اشبيلية ولَبْلة وشذونة وبَلَنْسية ومن الاندلس يحمل الى الآفاق وبناحية لُورقة من عمل
تُدْمير يكون حجر اللازورد الجيّد وقد يوجد فى غيرها وعلى مقربة من حصن لورقة f
من عمل قرطبة معدن البلّور وقد يوجد بجبل شحيران g وهو شرقىّ بيره h وحجر
البيجادى i يوجد بناحية مدينة الاشبونة فى جبل هنالك يتلألأ فيه ليلًا كالسُرُج

---

a) La. O. الانهار. b) O. قيضها, La. قبضها, G. S. P. فيضها. c) La. O. ياتى. d) Les man. portent بيبادر بباكوره. e) Les man. portent بيفوته. f) O. حضرة لورقة, La. حضرة الورقة. g) S. سحيران. h) La. O. ببيره, S. هره. i) Les man. portent النجادى; voyez le Dictionnaire persan de M. Vullers, aux mots بيجاد et بيجاده.

والياقوت الاحمر يوجد بناحية حصن مُنْت مَيُور من كورة مالقة الّا انه دقيق جدًّا لا يصلح للاستعمال لصغره ويوجد حجر يُشْبِه الياقوتَ الاحمر بناحية بَجّانة فى خندق يعرف بقرية ناشرة اشكالًا مختلفة كانه مصبوغ حسن اللون صَبُور على النار وحجر المغناطيس الجاذب للحديد يوجد فى كورة تدمير وحجر الشاذنة بجبال قرطبة كثير ويستعمل فى ذلك a التذاهيب وحجر اليهودى فى ناحية حصن البُونْت وهو انفعُ شىءٍ للحصاة وحجر المرقشيثا b الذهبيّة فى جبال أُبَّذة لا نظير لها فى الدنيا ومن الاندلس تُحمل الى جميع الآفاق لفضلها والمغنيسيا c بالاندلس كثير وكذلك حجر الطلق ويوجد حجر اللولو بمدينة برشلونة الّا انه جامد اللون ويوجد المرجان بساحل بيرة من عمل المريّة d اقلُّ ماه لُقط منه فى اقلّ من شهر نحو ٨٠ رُبْعا ومعدن الذهب بنهر لاردة يُجمع منه كثير ويُجمع ايضا فى ساحل الاشبونة ومعادن الفضّة فى الاندلس كثيرة فى كورة تدمير وجبال حمّة بجّانة وباقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضّة جليل وباكشونبة معدن القصدير لا نظيرَ له يُشْبِه الفضّةَ وله معادن بناحية افرنجة ولَيُون ومعدن الزيبق فى جبل البرانس ومن هنالك يُتجهَّز به الى الآفاق ومعادن الكبريت الاحمر والاصفر بالاندلس كثيرة ومعدن التوتيا الطّيّبة بساحل البيرة بقرية تسمّى بَطَرْنة وهى ازكى توتيا واقواها فى صبغ النحاس وبجبال قرطبة توتيا وليست كالبطرنيّة ومعدن الكحل المشبه بالاصفهانى بناحية مدينة طُرْطُوشة يُحمل منها الى جميع البلاد ومعادن الشبوب والحديد والنحاس بالاندلس اكثر من ان تُحْصَى وما ذكرتُ هنا وان تكرّر بعضُه مع ما سبق او ياتى فهو لجمع النظائر وما لم نذكره اكثر والله اعلم، ومن خواصّ طليطلة ان حنطتها لا تتغيّر ولا تتسوّس على طول السنين يتوارَثها الخلفُ عن السلف وزعفران طليطلة هو الذى يعمّ البلادَ ويتجهّز به الرفاقُ الى الآفاق وكذلك الصبغ السمائى انتهى، وقال المسعودى فى مروج الذهب بعد كلام ما نصّه والعنبر كثير ببحر الاندلس يجهّز الى مصر وغيرها ويُحمل الى قرطبة من ساحل لها يقال له شَنْتَرين وشذونة تبلغ الاوقيةُ منه e بالاندلس ثلاثة مثاقيل ذهبا والاوقية بالبغدادى وتُباع بمصر اوقيتُه بعشرة دنانير f وهو عنبر جيّد ويُمْكِن

a) Ce mot me paraît altéré. b) G. P. La. المرقيشيا, S. المرقيشا. c) S. والمغنيسا. d) Ces deux mots manquent dans La. et O., et le premier manque aussi dans S. e) G. S. P. O. منها. f) La. O. بعشرين دينارا.

ان يكون هذا العنبر الواقع الى بحر الروم ضربته الامواجُ من بحر الاندلس الى هذا البحر لاتّصال الماء وبالاندلس معدن عظيم للفضّة ومعدن للزيبق ليس بالجيّد يجهّز الى سائر الاسلام والكفر وكذلك يُحمل من بلاد الاندلس الزعفران وعروق الزنجبيل واصول الطيب خمسةُ اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تُحمل من ارض الهند وما اتّصل بها الا الزعفران والعنبر انتهى وهو وان تكرّر مع ما ذكرتُه عن غيره فلا يخلو من فائدة والله تعَ اعلم، وذكر البعض ان فى بعض بلاد الاندلس جميع المعادن الكائنات[a] عن النيّرات السبعة وهى الرصاص من زُحَل والقزدير[b] الابيض من المشترى والحديد من قسم المرّيخ والذهب من قسم الشمس والنحاس من الزُهَرة والزيبق من عطارد والفضّة من القمر، وذكر الكاتب ابرهيم بن القاسم القَرَوى المعروف بالرقيق بلد الاندلس فقال اهله اصحاب جهاد متّصل يحاربون من اهل الشرك المحيطين بهم امّةً يُدْعَون الجلالقةَ يُتاخِمون حوزهم ما بين غرب الى شرق قوم لهم شدّة ولهم جمال وحسنُ وجوه فاكثر رقيقهم الموصوفين بالجمال والفراهة منهم ليس بينهم وبينهم دربٌ فالحرب متّصلة بينهم ما لم تقع هدنةٌ ويحاربون بالافق الشرقىّ امّةً يقال لهم الفرنجة هم اشدُّ عليهم من جميع مَنْ يحاربونه من عدوّهم اذ كانوا خلقا عظيما فى بلاد كثيرة واسعة جليلة متّصلة العمارة آهلة تُدْعَى الارض الكبيرة هم اكثر عددا من الجليقيّين واشدُّ باسا واحدُّ شوكةً واعظم أَمْدادا وهذه الامّة يحاربون امّةَ الصقالبة المتّصلين بارضهم لمخالفتهم اياهم فى الديانة فيَسْبُونهم ويبيعون رقيقَهم بارض الاندلس فلهم هنالك كثرة وتخصيبهم للفرنجة يهودُ ذمّتهم الذين بارضهم وفى ثغر المسلمين المتّصل بهم فيُحمل خصيانهم من هنالك الى سائر البلاد وقد تعلّم الخصاءَ قوم من المسلمين هنالك فصاروا يخصون ويستحلّون المثلةَ، قال ابن سعيد ومخرج بحر الروم المتصاعد الى الشام هو بساحل الاندلس الغربى بمكان يقال له الخضراء ما بين طنجة من أرض المغرب وبين الاندلس فيكون مقدارُ عرضه هناك زعموا ١٨ ميلا وهذا عرض[c] جزيرة طريف الى قصر مَصْمُودة بالقرب من سبتة وهناك كانت القنطرة التى يزعم الناس ان الاسكندر بناها ليعبر عليها من برّ الاندلس الى برّ العدوة ويعرف هذا الموضع بالزقاق وهو صعب المجاز لانه مجمع البحرين لا تزال الامواجُ تتطاوَل فيه

a) G. P. O. الكائنات. b) La. O. والقصدير. c) On doit peut-être ajouter les mots ما بين.

والماء يدور وطول هذا الزقاق الذى عرضه ١٨ ميلا مضاعَفُ ذلك الى ميناء سبتة ومن هنالك ياخذ البحرُ فى الاتّساع الى ثمانمائة ميل وازيدَ ومنتهاه مدينة صُور من الشام وفيه عدد عظيم من الجزائر قال بعضهم انها ٢٨ جزيرة منها صقلّية وجزيرة مالطة وغيرهما انتهى وبعضه بالمعنى، وقال غيره عند وصف بحر الزقاق قربَ سبتة ما صورته ثم يتّسع كلّما امتدّ حتى يصير الى ما لا ذرعَ له ولا نهايةَ، وقال بعضهم وكان مبلغ خراج الاندلس الذى كان يؤدَّى الى ملوك بنى اميّة قديمًا ثلاثمائة الف دينار *a* اندلسيّة كلَّ سنة قوانينَ وعلى كل مدينة من مداينهم مالٌ معلوم فكانوا يُعْطُون جندَهم ورجالَهم الثُلُثَ من ذلك مائةَ الف دينار وينفقون فى امورهم ونوائبهم ومُؤَن اهليهم مائةَ الف دينار ويدَّخرون لحادث ايامهم مائة الف دينار انتهى، وذكر غيره ان الجباية كانت بالاندلس ايامَ عبد الرحمن الاوسط الف الف دينار فى السنة وكانت قبلُ لا تزيد على ستمائة الف حكاه ابن سعيد وقال ان الاندلس مسيرة شهر مدن وعمائر، وقال قاضى القُضاة ابن خلدون الحَضْرَمى فى تاريخه الكبير ما صورتُه كان هذا القطر الاندلسى من العدوة الشماليّة من عدوتَى البحر الرومى وبالجانب الغربى منها يسمَّى عند العجم اندلوش وتسكنه أُمَمٌ من افرنجة المغرب اشدُّهم واكثرهم الجلالقة وكان القوط قد تملّكوه وغلبوا على اهله لمئين من السنين قبل الاسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيّين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على ان ينصرف القوط الى الاندلس فساروا *b* اليها وملكوها ولما اخذ الروم واللطينيّون بملّة النصرانية حملوا مَنْ وراءهم بالمغرب من امم الفرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم وربّما تنقّلوا ما بينها وبين قرطبة واشبيلية وماردة واقاموا كذلك نحوًا من ٤٠٠ سنة الى ان جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمَّى لذريق وهو سمةٌ لملوكهم كما ان *c* جرجير *d* سمةُ ملوك صقلّية انتهى، ومن اشهر بلاد الاندلس غَرْناطة وقيل ان الصواب أَغَرْناطة بالهمز ومعناه بلغتهم الرمّانة وكفاها شرفًا ولادةُ لسان الدين بها وقال الشَقُنْدى امّا غرناطة فانها دمشق بلاد الاندلس، ومسرح الابصار ومطمح الانفس،، ولم تَخْلُ من اشراف

---

a) Les man. ajoutent ici le mot دراهم. *b*) C'est ainsi qu'on lit dans les man. L. et P. d'Ibn-Khaldoun ; les man. d'al-Makkarī portent فصاروا. *c*) C'est ainsi qu'on lit dans les deux man. d'Ibn-Khaldoun ; ceux d'al-Makkarī portent كما هو. *d*) رجير *Ruggiero?*

اماثل، وعلماء اكابر وشعراء افاضل،، انتهى، ولولم يكن لها الا ما خصّها الله به من المرج الطويل العريض ونهر شنّيل لَكفاها، وفى بعض كلام لسان الدين ما صورتُه وما لمصر تفخر بنيلها، والفٌ منه فى شنّيلها،، يعنى ان الشين عند اهل المغرب عددُها الف فقولنا شنيل اذا اعتبرنا عددَ شينه كان الف نيل انتهى، وفيها قيل

غرناطةٌ ما لها نظير … ما مصر ما الشام ما العراقُ
ما هى الّا العروس تُجْلَى … وتلك بالجملة[a] الصداقُ

وتسمّى كورة البِيرة التى منها غرناطة دمشقَ لانّ جند دمشق نزلوها عند الفتح وقيل انما سُمّيت بذلك لشبهها بدمشق فى غزارة الانهار وكثرة الاشجار حكاه صاحب مناهج الفكر قال ولما استولى الفرنج على مُعْظَم بلاد الاندلس انتقل اهلُها اليها فصارت المصرَ المقصود، والمعقل الذى تنضوى اليه العساكر والجنود،، ويشقُّها نهر عليه قناطر يُجاز عليها وفى قبليّها جبل شُلَيْر وهو جبل لا يفارقه الثلجُ صيفا ولا شتاء وفيه سائرُ النبات الهندى لكن ليس فيه خصائصه انتهى، ومن اعمال غرناطة قطر نُوشة وبها معدن للفضّة جيّد ومنها اعنى لوشة اصل لسان الدين بن الخطيب وهذا القطر ضخم ينضاف اليه من الحصون والقرى كثير وقاعدته لوشة بينها وبين غرناطة مرحلة وهى ذات انهار واشجار وهى على نهر غرناطة الشهير بشنّيل، ومن اعمال غرناطة الكبار عمل باغة والعامّة يقولون بَيْغة واذا نسبوا اليه قالوا بيغىّ وقاعدته باغة طيّبة الزرع كثيرة الثمار غزيرة المياه ويجود فيها الزعفران، ومن اعمال غرناطة وادى آش ويقال وادى الأَشات وهى مدينة جليلة قد احدقت بها البساتينُ والانهار وقد خصّ الله اهلها بالادب وحبّ الشعر وفيها يقول ابو الحسن[b] بن نزار[c]

وادى الاشات يهيج وَجْدى كلّما … أُذْكِرْتُ ما قضّتْ[d] بك النعماء
لله ظلّك والهجير مسلّط … قد برّدتْ لفحاتِه[e] الانداء
والشمس ترغب ان تفوز بلحظة … منه فتطرف[f] طرفَها الافياء
والنهر يبسم بالحباب كأنّه … سلخ نضتْه حيّةٌ رقشاء
فلذاك تحْذَره الغصونُ فَمَيْلُها … ابدًا على جنباته ايماء

ومن اعمال وادى آش حصن جِلْيانة وهو كبير يضاهى المدنَ وبه التفّاح الجليانى الذى

---

a) Telle est la leçon du man. S.; les autres man. portent من جملة.   b) G. ابو الحسين.
c) S. بن تراب.   d) La. O. افضت.   e) S. La. نفحاته.   f) Les man. portent فتطرق.

خصّ الله به ذلك الموضعَ يجمع عظمَ الحَجْم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء وبين الحصن المذكور ووادى آش ١٢ ميلا، ومن غرائب الاندلس ان به شجرتَيْن من شجر القسطل عظيمتين جدًّا احداهما بسند وادى آش والاخرى ببشرة غرناطة فى جوف كل واحدة منهما حائك ينسج الثياب وهذا امر مشهور قاله ابو عبد الله بن جُزَىّ وغيره، وكانت البيرة هى المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجى مدينة غرناطة وقصبتها واسوارها انتقل الناسُ اليها ثم زاد فى عمارتها ابنه باديس بعده، وذكر غير واحد ان فى كورة سرقسطة الملح الاندرانى الابيض الصافى الاملس الخالص وليس فى الاندلس موضع فيه مثل هذا الملح قال وسرقسطة بناها قيصر ملك رومة الذى تؤرَّخ من مدّته مدّةُ الصفر قبل مولد المسيح على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام وتفسير اسمها قصر السيّد لانه اختار ذلك المكانَ بالاندلس وقيل ان موسى بن نصير شرب من ماء نهر جلّق بسرقسطة فاستعذبه وحكم انه لم يشرب بالاندلس اعذبَ منه وسأل عن اسمه فقيل جلّق ونظر الى ما عليه من البساتين فشبّهها بغوطة جلّق الشام وقيل انها من بناء الاسكندر والله اعلم، وبمدينة بَرْجَة وهى من اعمال المريّة معدن الرصاص وهى على واد مبهج يعرف بوادى عَذْراء وهو محدق بالاشجار وتسمّى برجة بهجة لبهجة منظرها وفيها يقول ابو الفضل بن شرف القيروانى

رياض تعشّقها سندس ... توشّتْ معاطفُها بالزَهَرْ
مدامعُها فوق خدّىْ رُبًا ... لها نظرة فتنتْ مَنْ نَظَرْ
وكل مكان بها جنّة ... وكل طريق اليها سَقَرْ

وفيها ايضا قوله

حُطَّ الرحالَ ببَرْجَهْ ... وارتَدْ لنفسك بهجَهْ
فى قلعة كسلاح ... ودوحة مثل لُجّهْ
فحصنُها لك امنٌ ... وحسنُها[a] لك فرجَهْ
كل البلاد سواها ... كعُمْرة وهى حجّهْ

وبمالَقة التين الذى يُضرب المثلُ بحسنه ويُجلب حتى للهند والصين وقيل انه ليس فى الدنيا مثله وفيه يقول ابو الحجاج يوسف بن الشيخ البَلَوى المالقى حسبما انشده غير واحد منهم ابن سعيد

a) La. O. وروضها.

مـالقةٌ حييتَ يـا تيـنَهـا   الفُلْكُ من أَجْلِكَ يـاتيـنَـهـا

نهى طبيبى عنكِ *a* فى علّتى   ما لطبيبى عن حياتى نَهى

وذيّل عليه الامام الخطيب ابو محمد *b* عبد الوهّاب المنشى بقوله

وحِمْصُ لا تَنْسَ لـهـا تيـنَـهـا   واذكُرْ مـع التين زيـاتينَـهـا

وفى بعض النُسَخ   ولا تنس تين اشبيلية *c*   واذكُرْ مع الزيت *d* زياتينَها

وهو نحو الاول لان حمص هى اشبيلية لنزول اهل حمص من المشرق بها حسبما سنذكره ونسب ابنُ جُزَىّ فى ترتيبه لرحلة ابن بَطُوطة البيتين الاولين للخطيب ابى محمد عبد الوهّاب المالقى *e* والتذييلَ لقاضى الجماعة ابى عبد الله بن عبد الملك والله اعلم، قال ابن بطوطة وبمالقة يُصنع الفخّار المذهّب العجيب ويُجلب منها الى اقاصى *f* البلاد ومسجدها كبير الساحة شهير البركة وصحنه لا نظيرَ له فى الحسن وفيه اشجار النارنج البديعة *g* انتهى، وقال قبله ان مالقة احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان جامعة بين مرافق البرّ والبحر كثيرة الخيرات والفواكه ورايتُ *h* العنبَ يُباع فى اسواقها بحساب ٨ ارطال بدرهم صغير ورمّانها المرسىّ الياقوتى لا نظيرَ له فى الدنيا واما التين واللوز فيُجلبان منها ومن احوازها الى بلاد المشرق والمغرب انتهى، وبكورة اشبونة المتّصلة بشَنْتَرين معدن التبر وفيها عسل يُجعل فى كيس كتّان فلا يكون له رطوبة كانه سكّر ويوجد فى ريفها العنبر الذى لا يُشْبهه الا الشحْرىّ، ومن اشهر مدن الاندلس مدينة قرطبة اعادها الله للاسلام وبها الجامع المشهور والقنطرة المعروفة بالجسر وقد ذكر ابن حيّان انه بُنى على امر عمر بن عبد العزيز رضه ونصّه وقام فيها بامره على النهر الاعظم بدار مملكتها قرطبة الجسرُ الاكبر الذى ما يُعرف فى الدنيا مثله انتهى، وفيها يقول بعض علماء الاندلس

بـاربع فاقتِ الامصارَ قرطبةٌ   منهنّ قنطرةُ الوادى وجـامعُها

هاتان ثنتان والزهراءُ ثالثة   والعلم اعظم شىء وهـو رابعُها

---

a) C'est ainsi qu'on lit dans les man. de Paris d'Ibn-Batoutah. Les man. d'al-Makkarī portent عنه. *b*) Le mot محمد manque dans La. et O. *c*) Cet hémistiche se lit ainsi dans tous les man.; L. اشبلية. *d*) L. O. التين. *e*) Dans les man. d'Ibn-Batoutah on trouve ابو عبد الوهاب بن على المالقى. *f*) Les man. d'Ibn-Bat. portent اقصى. *g*) C'est ainsi qu'on lit dans les man. La. et O. Les autres man. d'al-Makkarī, de même que ceux d'Ibn-Bat., portent البعيدة. *h*) La copulative manque dans les man. d'al-Makkarī.

قال الحجارى فى المُسْهِب كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبّة الاسلام، ومجتمَع اعلام الانام، بها استقرّ سريرُ الخلافة المروانيّة، وفيها تمحّصت خلاصةُ القبائل المعدّيّة واليمانية، واليها كانت الرحلةُ فى الرواية اذ كانت مركز الكرما، ومعدن العلما، وهى من الاندلس بمنزلة الراس من الجسد، *والزور من الاسد*a، ونهرها من احسن الانهار، مكتنف بديباج المروج ومطرّز بالازهار، تصدح فى جنباته الاطيار، وتنعر النواعير ويبسم النُوّار، وقُرْطاها الزاهرة والزهرا، حاضرتا الملك وأُفُقا النعماء والسَرّا، وان كان قد أَخْنَى عليها الزمانُ، وغيّر بهجةَ اوجهها الحسان، فتلك عادتُه وسَل الخورنقَ والسَدير وغمدان، وقد اعذر بانذاره اذ لم يزل ينادى بصروفه لا امانَ لا امان، وقد قال الشاعر

وما زِلْتُ اسمع ان الملوّ ... ك تبنى على قدر أَخْطارها

انتهى، وقال السلطان يعقوب المنصور بن السلطان يوسف بن السلطان عبد المومن ابن على لاحد رؤَساء اجنادها ما تقول فى قرطبة فخاطبه على ما يقتضيه كلامُ عامّة الاندلس بقوله جوفُها شَمّام، وغربيُّها قُمام، وقبلتُها مُدام، والجنّة هى والسلام، يعنى بالشمام جبال الورد ويعنى بالقمام ما يوكل اشارةً الى مَحْرث الكَنْبانيَة ويعنى بالمدام النهر، ولما قال والده السلطان يوسف بن عبد المومن لابى عمران موسى بن سعيد العنسى ما عندك فى قرطبة قال له ما كان لى ان اتكلّم حتى اسمع مذهبَ امير المومنين فيها فقال السلطان انّ ملوك بنى اميّة حين اتّخذوها حضرةً مملكتهم لَعلى بصيرة الديار المنفسحة الكثيرة والشوارع المتّسعة والمبانى الضخمة المشيّدة والنهر الجارى والهواء المعتدل والخارج الناضر والمحرث العظيم والشعرىb الكافية والتوسّط بين شرق الاندلس وغربها قال فقلتُ ما ابقى لى اميرُ المومنين ما اقول، قال ابن سعيد ولاهلها رياسة ووقار لا تزال سِمَةُ العلم والملك متوارثةً فيهم الا ان عامّتها اكثرُ الناس فضولًا واشدُّهم تشغيبا ويُضرب بهم المثلُ ما بين اهل الاندلس فى القيام على الملوك والتشنيع على الوُلاة وقلّة الرضى بامورهم حتى ان السيّد ابا يحيى اخا السلطان يعقوب المنصور قيل له لما انفصل عن ولايتها كيف وجدتّ اهل قرطبة فقال مثل الجمل ان خفّفْتَ عنه الحملَ صاح وان اثقلتَه به صاح ما ندرى اين رضاهم

a) Ces mots manquent ici dans tous les man.; mais ils se trouvent au commencement du quatrième livre, où ce même passage est encore une fois cité. b) Au lieu de الشعراء. La même forme se retrouve plus loin.

فتقصده ولا اين سخطهم فتتجنّبه a وما سلّط الله عليهم حجّاجَ الفتنة حتى كان عامّتُها شرًّا من عامّة العراق وان العزل عنها لما قاسيتُ من اهلها عندى ولايةٌ وأنّى ان كُلِّفتُ العودَ اليها لَقائلٌ لا يُلْدَغ المومن من جُحْر مرّتَيْن انتهى، وقال ابو الفضل التيفاشى جرتْ مناظرةٌ بين يدى ملك المغرب المنصور يعقوب بين الفقيه ابى الوليد ابن رُشْد والرئيس ابى بكر بن زُهْر فقال ابن رشد لابن زهر فى تفضيل قرطبة ما ادرى ما تقول غير انه اذا مات عالمٌ باشبيلية فأُريد بيعُ كُتُبه حُملتْ الى قرطبة حتى تُباع فيها وان مات مُطْرِب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية قال وقرطبة اكثر بلاد الله كُتُبًا انتهى، وحكى الامام ابن بشكوال عن الشيخ ابى بكر بن سعادة انه دخل مدينةَ طليطلة مع اخيه على الشيخ الاستاذ ابى بكر المخزومى قال فسألَنا من اين فقُلْنا من قرطبة فقال متى عهدُكما بها فقلنا الآنَ وصلنا منها فقال اُقْرُبَا الىّ أَشَمّ نسيمَ قرطبة فقربنا منه فشمّ راسى وقبّله وقال لى اكتبْ

أَقرطبةُ الغرّاء هل لىَ اوبةٌ ... اليك وهل يدنو لنا ذلك العهدْ
سقى الجانبَ الغربىّ منك غمامةٌ ... وقعقع فى ساحات دوحاتك b الرعدْ
لياليكِ اسحارٌ وارضكِ روضةٌ ... وتربُكِ فى استنشاقها عنبر وَرْدْ

وكتب الرئيس الكاتب ابو بكر بن القُبْطُرْنة للعالم ابى الحسين بن سراج بقوله

يا سيّدى وابى هوى وجلالةً ... ورسولَ ودّى انْ طلبتَ رسولًا
عَرِّجْ بقرطبة اذا بلّغتَها ... بابى الحسين وناده تَمْويلًا
واذا سعدتّ بنظرة من وجهه ... فاُهْدِ c السلامَ لكفّه تقبيلًا
واذكُرْ له شوقى وشكرى مُجْمَلًا ... ولو استطعتُ شرحتُه تفصيلًا
بتحيّةٍ تُهْدَى اليه كأنّما ... جرّتْ على زهر الرياض ذيولًا

وفى باب اليهود بقرطبة يقول ابو عامر بن شُهَيْد

لقد اطلعوا عند باب اليهو ... د بدرًا أَبَى الحسنُ ان يكسفَا
تراه اليهودُ على بابها ... اميرًا فتحسبه يوسفَا

واستقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا باب الهُدَى، وسنذكر قرطبة والزهراء والزاهرة ومساجدها فى الباب المنفرد بها ان شاء الله تع وكذلك القنطرة، ومن اعظم مدن

---

a) S. P. فتجتنبه. b) La. O. دوحتك, S. درجاتك. c) C'est ainsi qu'on lit dans les man. du *Kalāyid;* ceux d'al-Makkarī portent اهد.

الاندلس اشبيلية قال الشَقُنْدى من محاسنها اعتدال الهواء وحسن المبانى ونهرها الاعظم الذى يصعد المدُّ فيه ٧٢ ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفر

شقَّ النسيمُ عليه جيبَ قميصه *a* فانساب من شطَّيْه يطلب ثارَهُ

فتضاحكتْ وُرْقُ الحمام بدوحها هُزْءًا فضمَّ من الحياء ازارَهُ *b*

وقيل لاحد مَنْ راى مصر والشام ايُّهما رايتَ احسنَ أَهاذانِ ام اشبيلية فقال بعد تفضيل اشبيلية شَرَفُها غابة بلا اسد ونهرُها نيل بلا تمساح انتهى، ويقال ان الذى بنى اشبيلية اسمُه يوليش *c* وانه اول مَنْ سمّى قيصر وانه لما دخل الاندلس أُعجب بساحاتها وطيب ارضها وجبلها المعروف بالشرف فردم على النهر الاعظم مكانا واقام فيه المدينةَ واحدق عليها باسوار من صخر صلد وبنى فى وسط المدينة قصبتين بديعتَى الشان تعرفان بالاخوَيْن وجعلها امَّ قواعد الاندلس واشتقّ لها اسما من رومية ومن اسمه فسمّاها رومية يوليش انتهى وقد تقدّم شئ من هذا، وكان الاوّلون من ملوك الاعاجم يتداوَلون بسكناهم اربعةً من بلاد الاندلس اشبيلية وقرطبة وقَرْمونة وطليطلة ويقسمون ازمانهم على الكينونة بها، واما شرف اشبيلية فهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فرسخ فى فرسخ طولا وعرضا لا تكاد تشمّس فيه بقعةٌ لالتفاف زيتونه، واعلَمْ ان اشبيلية لها كور جليلة ومدن كثيرة وحصون شريفة وهى من الكور المجنَّدة نزلها جندُ حمص ولواؤهم فى المَيْمَنة بعد لواء جند دمشق وانتهتْ جبايةُ *d* اشبيلية ايامَ الحكم بن هشام الى *e* ٣٥ الف دينار ومائة دينار وفى اقليم طالقة من اقاليم اشبيلية وُجدتْ صورةُ جارية من مرمر معها صبىٌّ وكان حيّة تريده لم يُسْمَعْ فى الاخبار ولا رُءِىَ فى الآثار صورة ابدع منها جُعلتْ فى بعض الحمامات وتعشّقها جماعةٌ من العوامّ، وفى كورة ماردة حصن شنت أَقْرُج *f* فى غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البتّة لا نسر ولا غيره، ومن عجائب الاندلس البلاط الاوسط من مسجد جامع اقليش فان طول كل جائزة منه مائة شبر واحد عشر شبرا وهى مربّعة منحوتة مستوية الاطراف، وقال بعض من وصف اشبيلية انها مدينة عامرة على ضفّة النهر الكبير المعروف بنهر قرطبة وعليه جسر مربوط بالسُفُن وبها اسواق قائمة وتجارات رابحة واهلها ذو اموال عظيمة واكثر

a) G. P. La. قميصها ; mais dans le VII[e] livre G. et P. portent aussi قميصه. *b*) G. P. S. ازرارة ; mais dans le VII[e] livre G. et P. portent aussi ازاره. *c*) G. P. La. O. تولبس , تولبس , S. بولبس. *d*) G. porte اقاليم au lieu de جباية. *e*) J'ai ajouté ce mot, qui manque dans les man. *f*) G. La. O. اقرج. C'est sans doute *Santa Cruz*, au nord-est de Mérida.

متاجرهم الزيت وهو يشتمل على كثير من اقليم الشرف واقليم الشرف على تلّ عالٍ من تراب احمر مسافته ٤٠ ميلا فى مثلها يمشى بها السائرُ فى ظلّ الزيتون والتين ولها فيما ذكر بعض الناس قرى كثيرة وكل قرية عامرة بالاسواق والديار الحسنة والحمامات وغيرها من المرافق، وقال صاحب مناهج الفكر عند ذكر اشبيلية وهذه المدينة من احسن مدن الدنيا وباهلها يُضرب المثلُ فى الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعةَ بعد الساعة ويُعينهم على ذلك واديها القَرِج وناديها البَهِج وهذا الوادى ياتيها من قرطبة ويجزره(a) فى كل يوم ولها جبل الشرف وهو تراب احمر طولُه من الشمال الى الجنوب ٤٠ ميلا وعرضه من المشرق الى المغرب ١٢ ميلا يشتمل على ٢٢٠ قرية قد التحفت باشجار الزيتون واشتملت انتهى، ولكورة باجة من الكور الغربيّة التى كانت من اعمال اشبيلية ايامَ بنى عَبّاد خاصّيةٌ فى دباغة الاديم وصناعة الكتّان وفيها معدن فضّة وبها وُلد المعتمد بن عبّاد وهى متّصلة بكورة ماردة، ولجبل طارق حَوْزُ قصب السبق بنسبته الى طارق مولى موسى بن نصير اذ كان اولَ ما حلّ به مع المسلمين من بلاد الاندلس عند الفتح ولذا يشتهر(b) بجبل الفتح وهو مقابل الجزيرة الخضراء وقد تجوّن(c) البحر هنالك مستديرًا(d) حتى صار مكانُ هذا الجبل كالناظر للجزيرة الخضراء وفيه يقول مطرّف شاعر غرناطة

وأقْوَد قد أَلْقَى على البحر مَتْنَه   فاصبح عن قُود الجبال بمَعْزِلِ
يعرّض نحو الأُفْق وجهًا كأنّما   تُراقب عيناه كواكبَ مَنْزِلِ

واذا اقبل عليه المسافرون من جهة سبتة فى البحر بان كانه سَرْجٌ قال ابو الحسن على بن موسى بن سعيد اقبلتُ عليه مرّةً مع والدى فنظرنا اليه على تلك الصفة فقال والدى أَجِزْ

انظُرْ الى جبل الفتح راكبا متنَ لُجّ

فقلتُ

وقد تفتّح كالافنان(e) فى شكل سرج

واما جزيرة طَريف فليست بجزيرة وانما سُمّيت بذلك الجزيرةُ التى امامها فى البحر مثل الجزيرة الخضراء وطريفُ المنسوب(f) اليه بربرىّ من موالى موسى بن نصير ويقال

---

a) G. P. S. ويحرز. b) C'est ainsi qu'on lit dans S. Les autres man. portent يشهر. c) S. يجوز, La. تجوز. — Doit-on lire تجوّف, comme on trouve dans L.? d) S. مستدبرا. e) Ce mot est altéré ; peut-être doit-on lire كالدّنان. Les vers appartiennent au mètre المجتث. f) Les man portent المنسوبة.

ان موسى بعثه قبل طارق فى ٤٠٠ رجل فنزل بهذه الجزيرة فى رمضان سنة ٩١ وبعده دخل طارق فالله اعلم، ومن اعظم كور الاندلس كورة طليطلة وهى من موسطة الاندلس وكانت دارَ مملكة بنى ذى النُّون من ملوك الطوائف وكان ابتداء ملكهم صدرَ المائة الخامسة وسمّاها قيصر بلسانه بزليطه وتاويلُ ذلك انت فارح a فعرّبتْها العربُ وقالت طليطلة وكانوا يسمّونها وجهاتِها فى دولة بنى اميّة بالثغر الأدْنَى ويسمّون سرقسطة وجهاتها بالثغر الاعلى وتسمّى طليطلة مدينةَ الاملاك لانها فيما يقال ملَكَها ٧٢ ملكا b ودخلها سليمن ابن داءود عليهما السلام وعيسى بن مريم وذو القرنين وفيها وجد طارق مائدة سليمن وكانت من ذخائر اشبان ملك الروم الذى بنى اشبيلية اخذها من بيت المقدس كما مرَّ وقُوّمت هذه المائدة عند الوليد بن عبد الملك بمائة الف دينار وقيل انها كانت من زمرّد اخضر ويقال انها الآنَ برومة فالله اعلم بذلك ووجد طارق بطليطلة ذخائر عظيمة منها ١٧٠ تاجا من الدرّ والياقوت والاحجار النفيسة وايوان ممتلئٌ من اوانى الذهب والفضّة وهو كبير حتى قيل ان الخيل تلعب فيه فرسانُها برماحهم لوسعه وقد قيل ان اوانى المائدة من الذهب وصحافها من اليشم والجزع وذكروا فيها غير هذا ممّا لا يكاد يصدّقه الناظرُ فيه فالله اعلم وبطليطلة بساتين محدقة، وانهار مخترقة،، ورياض وجنّات وفواكه حسان، مختلفة الطعوم والالوان،، ولها من جميع جهاتها اقاليم رفيعة، ورساتيق مريعة، وضياع بديعة، وقلاع منيعة،، وبالجملة فمحاسنها كثيرة ولعلّنا نُلمّ ببعض منتزهاتها فيما ياتى من هذا الكتاب ان شاء الله تعَ وطليطلة قاعدة ملك القوطيّين وهى مُطِلّة على نهر تاجُه وعليه كانت القنطرة التى يعجز الواصفون عن وصفها وكانت على قوس واحد تكنفه فرختان c من كل جانب وطول القنطرة ٣٠٠ باع وعرضها ٨٠ باعا وخُرّبت ايامَ الامير محمد لما عصى عليه اهلُها فغزاهم واحتال فى هدمها وفى ذلك يقول الحكيم d عبّاس بن فِرْناس

أَضْحَتْ طليطلة معطَّلةً   من اهلها فى قبضة الصقرِ
تُركتْ بلا اهلٍ تؤهّلها   مهجورةَ الاكناف كالقبرِ
ما كان يُبْقِى الله قنطرةً   نُصبتْ لحمل كتائب الكفرِ

وسياتى بعض اخبار طليطلة، ومن مشهور مدن الاندلس المريّة وهى على ساحل البحر

---

a) G. P. فازح ou فارخ , O. فارج. b) G. S. P. لسانا. c) P. فرضتان. d) La. O. الامير.

ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خَيْران بناها عبد الرحمن الناصر وعظمت فى دولة المنصور بن أبى عامر وولّى عليها مولاه خيران فنُسبت القلعةُ اليه وبها من صنعة الديباج ما تفوق به سائرَ البلاد وفيها دار الصناعة وتشتمل كورتُها على معدن الحديد والرخام ومن ابوابها بابُ العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر، وقال بعضهم كان بالمريّة لنسج طرز الحرير ۸۰۰ نول وللحُلَل النفيسة والديباج الفاخر الف نول وللاسقلاطون كذلك وللثياب الجرجانيّة كذلك وللاصفهانى مثل ذلك وللعَتّابى والمعاجر المدهشة والستور المكلّلة ويُصْنَع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف وفاكهة المريّة يقصر عنها الوصفُ حسنا وساحلها افضل السواحل وبها قصور الملوك القديمة الغريبة العجيبة وقد ألّف فيها ابو جعفر بن خاتمة تاريخا حافلا سمّاه بمزيّة المريّة، على غيرها من البلاد الاندلسيّة»، فى مجلّد ضخم تركتُه من جملة كُتُبى بالمغرب والله المسئول فى جمع الشمل فله الامر من قبلُ ومن بعدُ، ووادى المريّة طولُه ۴۰ ميلا فى مثلها كلُّها بساتين بهجة وجنّات نضرة وانهار مطّردة وطيور مغرّدة، قال بعضهم ولم يكن فى بلاد الاندلس اكثر مالا من اهل المريّة ولا اعظم متاجر وذخائر وكان بها من الحمامات والفنادق نحو الالف وهى بين الجبلَيْن بينهما خندق معمور وعلى الجبل الواحد قصبتُها المشهورة بالحصانة[a] وعلى الآخر ربضُها والسور محيط بالمدينة والربض وغربيُّها ربض لها آخر يسمّى ربَض الحوض ذو فنادق وحمامات وخنادق وضياعات[b] وقد استدار بها من كل جهة حصون مرتفعة واحجار اوليّة وكانّما غُرْبِلتْ ارضُها من التراب ولها مدن وضياع عامرة متّصلة الانهار انتهى، وقال ابن اليَسَع عند ذكره مدينة شَنْتره ان من خواصّها ان القمح والشعير يُزْرَعان فيها ويُحْصَدان عند مضىّ ۴۰ يوما من زراعتهما[c] وان التفّاح فيها دورُ كل واحدة ۳ اشبار واكثر قال لى ابو عبد الله الباكورى وكان ثقةً ابصرتُ عند المعتمد ابن عبّاد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفّاح ما يُقِلّ الحاملُ على راسه غيرها دورُ كل واحدة ٥ اشبار وذكر الرجل ان المعتاد عندهم اقلُّ من هذا فاذا ارادوا ان يجىء بهذا العظم[d] قطعوا اصلها وابقوا منه عشرًا او اقلَّ وجعلوا تحتها دعامات من الخشب انتهى، وبحصن شنش على مرحلة من المريّة التُوت الكثير وفيها

a) G. S. P. بالحصانة. *b*) G. S. P. وضاعات. *c*) Les man. portent زراعته. *d*) La. et O. ajoutent وهذا القدر.

الحرير والقرمز ª ويعرف واديها بوادى طَبَرْنَش، وبغربىّ مالقة عمل سُهَيْل وهو عمل عظيم كثير الضياع وفيه جبل سهيل لا يُرَى نجم سهيل بالاندلس الا منه، ومن كور الاندلس الشرقيّة تُدْمير وتسمّى مصر لكثرة شبهها بها لان لها ارضا يسيح عليها نهر فى وقت مخصوص من السنة ثم ينصب عنها فتُزَرع كما تزرع ارض مصر وصارت القصبة بعد تدمير مُرْسِية وتسمّى البستانَ لكثرة جنّاتها المحيطة بها ولها نهر يصبّ فى قبليّها، واعلم ان جزيرة الاندلس اعادها الله مشتملة على موسطة وشرق وغرب فالموسطة فيها من القواعد الممصّرة التى كل مدينة منها مملكة مستقلّة لها اعمال ضخام واقطار متّسعة قرطبة وطليطلة وجَيّان وغرناطة والمريّة ومالقة فمن اعمال قرطبة اسْتجة وبُلْكُونة وقَبْرة ورُنْدة وغافق والمدوّر واسْطبّة وبَيّانة والبُسانة والقُصَيْر وغيرها ᵇ ومن اعمال طليطلة وادى الحجارة وقلعة رَبَاح وطَلَمَنْكة وغيرها ومن اعمال جيّان أُبَّذة وبَيّاسة وقسطلّة وغيرها ومن اعمال غرناطة وادى آش والمنكّب ولُوشة وغيرها ومن اعمال المريّة أَنْدَرَش وغيرها ومن اعمال مالقة بَلّش والحامّة وغيرهما ᵇ وبيلش من الفواكه ما بمالقة وبالحامّة ᶜ العينُ الحارّة على ضفّة واديها واما شرق الاندلس ففيه من القواعد مُرْسِية وبَلَنْسِية ودانية والسَّهْلة والثغر الاعلى فمن اعمال مرسية أُوريُولة وأَلقَنْت ولُورقة وغير ذلك ومن اعمال بلنسية شاطبة ويُضرب بحسنها المثلُ ويُعمل بها الوَرَقُ الذى لا نظيرَ له وجزيرة شُقَر وغير ذلك واما دانية فهى شهيرة ولها اعمال واما السهلة فانها متوسّطة بين بلنسية وسَرَقُسْطة ولذا عدّها بعضُهم من كورة الثغر الاعلى ولها مدن وحصون ومن اعمال الثغر الاعلى سرقسطة وهى أمّ ذلك الثغر وكورة لاردة وقلعة رباح ᵈ وتسمّى بالبيضاء وكورة تُطيلة ومدينتها طَرَسُونة وكورة وَشْقة ومدينتها تمريط وكورة مدينة سالم وكورة قلعة ايّوب ومدينتها مُلْيانة وكورة بربطانية ᵉ وكورة باروشة واما غرب الاندلس ففيه اشْبيلية ومادرة وأُشْبُونة وشِلْب فمن اعمال اشبيلية شَريش والخضراء ولَبْلة وغيرها ومن اعمال ماردة بَطَلْيَوْس وبابُرة وغيرهما ᶠ ومن اعمال اشبونة شَنْتَرِين وغيرها ومن اعمال شلب شنتمرية وغيرها واما الجُزُر البحريّة بالاندلس فمنها جزيرة قادس وهى من اعمال اشبيلية وقال ابن سعيد انها من كورة شريش ولا منافاةَ لان شريشا من عمل اشبيلية كما مرّ قال وبيد صنم قادس مفتاح ولما ثار بقادس ابنُ اخت القائد ابى عبد الله

a) G. S. et P. portent الحرير القرير. b) Les man. portent وغيرها. c) G. P. S. وبالجمة, O. وبالجملة. d) G. S. ربياح. e) Les man. portent برطانية. f) Les man. portent وغيرها.

ابن ميمون وهو على بن عيسى قائد البحر بها ظنّ ان تحت الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيئًا انتهى، وهى اعنى جزيرة قادس فى البحر المحيط وفى المحيط الجزائر الخالدات السبع وهى غربىّ مدينة سَلَا تلوح للناظر فى اليوم الصاحى الخالى الجوّ من الأَبْخرة الغليظة وفيها ٧ اصنام على امثال a الآدميّين تُشير أَلَّا عبورَ ولا مسلكَ وراءها وفيه بجهة الشمال جزائر السعادات وفيها من المدن والقرى ما لا يُحْصَى ومنها يخرج قوم يقال لهم المجوس على دين النصارى اولُها جزيرة برطانية وهى بوسط البحر المحيط باقصى شمال الاندلس ولا جبال فيها ولا عيون وانما يشربون من ماء المطر ويزرعون عليه، وقال ابن سعيد وفيه جزيرة شَلْطيش b وهى آهلة وفيها مدينة وبحرها كثير السمك ومنها يُحْمَل مملّحا الى اشبيلية وهى من كورة لبلة مضافة الى عمل أَونَبة انتهى، وقال بعضهم لما اجرى ذكر قَرْطاجَنّة من بلاد الاندلس ان الزرع فى بعض اقطارها يكتفى بمطرة واحدة وبها اقواس من الحجارة المُقَرْبَصة وفيها من التصاوير والتماثيل واشكال الناس وصور الحيوانات ما يحيّر البصر والبصيرة ومن اعجب بنائها الدواميس وهى ٢٤ على صفّ واحد من حجارة مقربصة طولُ كل داموس ١٣٠ خطوة فى عرض ٦٠ خطوة وارتفاع كل واحد اطول من مائتى ذراع بين كل داموس وداموس انقاب مُحْكَمة تتّصل فيها المياهُ من بعضها الى بعض فى العلوّ الشاهق بهندسة عجيبة واحْكام بديع انتهى، قلت اظنّ هذا غلط فان قرطاجنة التى بهذه الصفة قرطاجنة افريقيةٍ لا قرطاجنة الاندلس والله اعلم، وقال صاحب مناهج الفكر عند ما ذكر قرطاجنة وهى على البحر الرومى مدينة قديمة بقيت منها آثار لها فحصٌ طولُه ٦ ايام وعرضه يومان معمور بالقرى انتهى، وذكر قبل ذلك فى لورقة ان بناحيتها يوجد حجر اللازورد وفى البحر الشامى الخارج من المحيط جزيرتا c مَيُورقة ومَنُورقة وبينهما ٥٠ ميلا وجزيرة ميورقة مسافةُ يوم بها مدينة حسنة وتدخلها ساقية جارية على الدوام وفيها يقول ابن اللَبّانة

بلدٌ اعارتْه الحمامةُ طوقَها ... وكساه حُلّةَ ريشه الطاوُوسُ

فكأنّما d الانهار فيه مُدامةٌ ... وكأنّ ساحاتِ الديار كُؤوسُ

وقال يخاطب ملكَها ذلك الوقتَ

وعمرتَ بالاحسان ارضَ ميورقةٍ ... وبنيتَ ما لم يَبْنِه الاسكندرُ

a) La. O. مثال. b) Les man. portent شليطش. c) Les man. portent جزيرتى. d) La. O. وكانما ☆

وجزيرةٌ يابسة واستقصاء ما يتعلّق بهذا الفصل يطول ولو تُتُبِّعَ لكان تاليفا مستقلّا،
وما احسن قولَ ابن خَفَاجة

انّ للجنّة بالاندلس مجتلَى حسن وريّا نَفَسِ
فسَنَا صحوتها*a* من شَنَب ودجا ليلتها من لَعَسِ
فاذا ما هبّت الريحُ صَبًا صِحْتُ وا شَوْقى الى الاندلس *b*

وقال بعضهم فى طليطلة

زادتْ طليطلة على ما حدّثوا بلد عليه نضرة ونعيمُ
الله زيّنه فوشّح خَضْرَه*c* نهرَ المجرّة والغصون نجومُ

ولا حَرَجَ ان اوردنا هنا ما خاطب به اديب الاندلس ابو بَحْر صفوان بن ادريس الاميرَ عبد الرحمن بن السلطان يوسف بن عبد المومن بن على فانه مناسبٌ ونصّه مولاىَ امتع الله ببقائك الزمانَ وابناءه، كما ضمّ على حبّك احناءهم واحناءه،، ووصل لك ما شيتَ من المنّ والامان، كما نظم قلائدَ فخرك على لبّة الدهر نظمَ الجمان،، فانّك الملك الهُمام، والقمر التمام،، ايامُك غُرَرٌ وحجول، وفرند بهائها فى صفحات الدهر يجول،، البستَ الرعيّةَ برودَ التامين، فتنافستْ فيك من نفيس ثمين، وتلقّتْ دعوات خلدك لها باليمين،، فكم للناس، من امن بك وايناس،، وللايام، من لوعة فيك وهُيام،، وللاقطار، من لبانات لديك واوطار،، وللبلاد، من قراع *d* على تملّكك لها وجلاد،، يتمنّون شخصك الكريم على الله ويقترحون، ويغتبقون فى رياض ذكرك العاطر بمُدام حبّك ويصطبحون، كلُّ حزْب بما لديهم فَرِحُون *e*،، محبّةً من الله ألْقاها لك حتى على الجماد، ونصرًا موزّرا تنطق به السنةُ السيوف على افواه الاغماد،، من أسرّ سريرة البسه الله رداءها، ومَنْ طوى حُسْنَ نيّة ختم الله له بالجميل اعادتَها وابداءها،، ومَنْ قدّم صالحا فلا بُدّ ان يُوازيَه، ومَنْ يفعل الخير لا يعدم جوازيَه،، ولما تخاصمتْ فيك من الاندلس الامصار، وطال بها الوقوفُ على حبّك والاقتصار،، كلّها يُفْصح قولا، ويقول انا احقُّ وأَوْلَى،، ويُصيخ الى اجابة دعوته ويُصْغى، ويتلو اذا بُشّر بك ذلك ما كنّا نَبْغى،، تنمّرتْ حمصُ غيظا، وكادت تفيظ فيظا،، وقالت ما لهم يزيدون وينقصون،

---

a) Cette leçon se trouve dans le *Dīwān* d'Ibn-Khafādjah. Les man. d'al-Makkarī portent ici صبحها et plus bas صبحتها. *b*) Le man. du *Dīwān* porte اندلس. *c*) G. P. حضره, S. O. حضره. *d*) G. P. et S. ajoutent لها. *e*) Voyez le *Korān*, sour. 23, vs. 55.

ويطمعون ويخرصون، انْ يتّبِعون الّا الظنّ وانْ هُمْ الّا يَخْرُصون[a]،، لى السهم الأسَدّ، والساعد الأَشَدّ، والنهر الذى يتعاقَب عليه الجَزْرُ والمَدّ،، انا مصر الاندلس والنيل نهرى، وسماء التأنُّس والنجوم زهرى،، انْ تجارَيْتم فى ذلك الشرف، فحَسْبى ان افيض فى ذكر الشَرَف،، وان تبجّحْتم باشرف اللبوس، فاىّ ازار اشتملتموه كشَنْتَبُوس،، لى ما شيتَ من ابنية رحاب، وروض يستغنى بنضرته عن السحاب،، قد ملأَتْ زهراتى وهادًا ونجادا، وتوشّح سيفُ نهرى بحدائقى نجادا،، فانا اولاكم بسيّدنا الهُمام واحقّ، الآنَ حَصْحَصَ الحقّ[b]،، فنظرتْها قرطبة شَزْرا، وقالت لقد كثّرتِ نَزْرا، وبذرتِ[c] فى الصخر الاصمّ بَزْرا،، كلام العِدَى ضربٌ من الهذيان، وأَنّى للايضاح والبيان،، متى استحال المستقبَحُ مستحسَنا، ومَنْ اودع اجفانَ المهجور وسنا، أَفَمَنْ زُيّن له سُوءُ عمله فرآه حَسَنا[d]،، يا عجبا للمراكز تُقدَّم على الاسنّة، وللاثفار تُفضَّل على الاعنّة،، ان ادَّعَيْتم سبقا، فما عند الله خيرٌ وأَبْقَى[e]،، لى البيت المطهَّر الشريف، والاسم الذى ضرب عليه رواقه التعريف،، فى بقيعى محلّ الرجال الافاضل، فليَرْغَمْ انفُ المُناضل،، وفى جامعى مشاهدُ ليلة القدر، فحسبى من نباهة القدر،، فما لاحد ان يستاثِرَ علىّ بهذا السيّد الاعلى، ولا ارتضى له ان يوطّئَ غير ترابى نعلا،، فأَقِرّوا لى بالأُبوّة، وانقادوا الىّ[f] على حكم البُنوّة، ولا تكونوا كالتى نقضتْ غزلها بعد قوّة،، وكُفّوا عن تَبارِيكم، ذلكم خيرٌ لكم عند بارِيكم[g]،، فقالت اغرناطة لى المعقل الذى يمتنع ساكنُه من النجوم، ولا تجرى الا تحته جيادُ الغيم السَجُوم،، فلا يلحقنى من مُعاند ضَرَرٌ ولا حَيْف، ولا يهتدى الىّ خيالٌ طارق ولا طَيْف،، فاستسلموا قولا وفعلا، فقد أَفْلَحَ اليومَ من استَعْلَى[h]،، لى بطاحٌ تقلّدت من جداولها أَسْلاكا، واطّلعت كواكبُ زهرها فعادت أَفْلاكا،، ومياهٌ تسيل على اعطافى كادمع العُشّاق، وبَرْدُ نسيم يردّ ذماءَ المستجير بالانتشاق[i]،، فحسنى لا يُطْمَع فيه ولا يحتال، فدَعُونى فكلّ ذات ذيل تختال،، فانا أَوْلَى بهذا السيّد الاعدل، وما له بى من عِوَض ولا بَدَل،، ولِمَ لا يعطف علىّ عنانَ مجده ويثنى، وان انشد يوما فايّاىَ يعنى،،

بلاد بها عقّ الشبابُ تمائمى   واول ارض مسّ جلدى ترابُها

a) Voyez le *Korān*, s. 6, vs. 116. b) Voyez le *Korān*, s. 12, vs. 51. c) G. وبددت, P. La. وبدت. d) Voyez le *Korān*, s. 35, vs. 9. e) Voyez le *Korān*, s. 28, vs. 60. f) Ce mot ne se trouve que dans le man. La. g) Voyez le *Korān*, s. 2, vs. 51. h) Voyez le *Korān*, s. 20, vs. 67. i) La. O. بالاستنشاق.

فما لكم تَعْتَزُون لفخرى وتنتمون، وتتأخّرون فى ميدانى وتتقدّمون، تَبَرّءوا التى ممّا تزعمون، ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون[a]،، فقالت مالقة أَتتركونى بينكم هَمَلا، ولم تُعْطُونى فى سيّدنا أملا،، ولِمَ ولى البحر العجّاج، والسُبُل الفجاج،، والجنّات الاثيرة، والفاكهة الكثيرة،، لدىَّ من البهجة ما تستغنى بها الحمامُ عن الهديل، ولا تجنح الانفسُ الرِقاقُ الحواشى الى تعويض عنه ولا تبديل،، فما لى لا اعطى فى ناديكم كلاما، ولا انشر فى جيش فخاركم اعلاما،، فكانّ الامصار نظرتْها ازدرا، فلم تَرَ لحديثها فى ميدان الذكر إجْرا،، لانها موطن لا يُحْلَى منه بِطائل، ونظّ البلاد تاوّلتْ فيها قولَ القائل،،

اذا نطق السفيهُ فلا تُجِبْه ❊ فخيرٌ من اجابته[b] السكوتُ

فقالت مرسية أَأَمامى تتعاطَوْن الفخر، وبحضرة الدرّ تنفقون الصخر،، ان عُدّت المفاخرُ، فلى منها الاول والآخر،، اين اوشالكم من بحرى، وخَرَزُكم من لولو نحرى، وجعجعتُكم من نفثات سِحْرى،، فلى الروض النضير، والمرأَى الذى ما له نظير،، وزنقاتى التى صار مثلُها فى الآفاق، وتبرقع وجهُ جمالها بغرّة الاصْفاق،، فمن دوحات، كم فيها من بُكَر وروحات،، ومن ارجاء، اليها تمدّ ايدى الرجاء،، فابناءى فيها[c] فى الجنّة الدنيويّة مودوعون، يتنعّمون بما ياخذون ويَدّعون، ولهم فيها ما تشتهى انفسُهم ولهم فيها ما يدّعون،، فانقادوا لامرى، وحاذِروا اصطلاء جمرى،، وخَلّوْا بينى وبين سيّدنا ابى زيد، والّا ضربتُكم ضربَ زيد،، فانا اولاكم بهذا الملك المستاثر بالتعظيم، وما يُلقّاها الّا ذو حظّ عظيم[d]،، فقالت بلنسية فيمَ الجدالُ والقراع، وعلى مَ الاستهام والاقتراع،، والى مَ التعريض والتصريح، وتحت الرغوة اللبن الصريح،، انا احوزه من دونكم، فأَخْمِدوا نارَىْ تحرُّككم وهدونكم،، فلى المحاسن الشامخة الاعلام، والجنّاتُ التى تُلْقِى اليها الآفاقُ يد الاستسلام، وبُرصافتى وجسرى أُعارض مدينةَ السلام، فأَجْمِعوا على الانقياد لى والسلام،، والّا فعضّوا بنانا واقْرعوا سِنّا، فانا حيث لا تدركون وأَنّا، ومولانا لا يُهْلِكنا بما فعل السفهاء منّا،، فعند ذلك ارتمتْ جمرةُ تُدْمير بالشَرَار، واستدّت[e] اسهمها لنحور الشِرار،، فقالت عِشْ رجبا، ترى عجبا،، أَبعد العصيان والعقوق، تتهيّاين لرُتَب ذوى الحقوق،، هذه سماء الفخر فمن ضمّك ان تعرجى، ليس بعُشّك فادْرجى،،

a) Voyez le *Korān*, s. 9, vs. 41. b) La. O. فاحسن ما يجاوبه. c) Les man. portent فيه. d) Voyez le *Korān*, s. 41, vs. 35. e) Les man. portent واشتدت.

لك الوصب والخبل، الآن وقد عصيت من قبل،، اينّها الصانعة الفاعلة، مَنْ اداك أن تضربى وما انت ناعلة،، ما الذى يُجْديك الروض والزهر، ام ما يفيدك الجدول والنهر، وهل يصلح العطّارُ ما افسد الدهر،، هل انت الّا محطُّ رحل النفاق، ومنزل ما لسوق الخصب فيه من نَفاق،، ذَرَاك لا يكتحل الطرف فيه بهجوع، وقراك لا يسمن ولا يُغْنى من جُوع،، فالى مَ تبرز الاماء فى منصّة العقائل، ولكن انْكرى قول القائل،،

بلنسيةً بينى عن القلب سلوةً ... فانّك روض لا احنّ لزهرك

وكيف يحبُّ المرء دارًا تقسّمتْ ... على صارمَىْ جوع وفتنة مُشْرِك

بَيْدَ انّى اسأل الله ان يُوقِدَ من توفيقك ما خمد، ويُسيل من تسديدك ما جمد، ولا يُطيل عليك فى الجهالة الامد،، وايّاه نسأل سبحانه ان يردّ سيّدنا ومولانا الى افضل عوائده، ويجعل مصائب اعدائه من فوائده،، ويمكّن حسامه من رقاب المشغّبين، ويُبْقيه وجيهًا فى الدنيا والآخرة ومن المقرّبين،، ويَصلَ له تاييدا وتاييدا، ويمهّد له الايام حتى تكون الأَحْرار لعبيده عبيدا،، ويمدّ على الدنيا بساطَ سعده، ويَهَبَه ملكا لا ينبغى لاحد من بعده،،

آمين آمين لا أَرْضَى بواحدة ... حتى أُضيف اليها الفَ آمينا

ثم السلام الذى يتأنّق عبقا ونشرا، ويتألّق رونقا وبشرا،، على حضرتهم العليّة، ومطالع انوارهم الجليّة،، ورحمة الله تع وبركاته انتهى، ولمّا الَمّ الرّحالةُ ابن بطوطة فى رحلته بدخوله لبلاد الاندلس اعادها الله قال فوصلتُ الى بلاد الاندلس حرسها الله تع حيث الاجر موفور للساكن، والثواب مذخور للمقيم والظاعن،، الى ان قال عند ذكره غرناطة ما نصّه قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجُها لا نظير له فى الدنيا وهو مسيرة ٤٠ ميلا يخترقه نهر شنّيل المشهور وسواه من الانهار الكثيرة والبساتين والجنّات والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة ومن عجيب مواضعها عينُ الدمع وهو جبل فيه الرياضات والبساتين لا مثل له بسواها انتهى، وقال الشقندى غرناطة دمشق بلاد الاندلس، ومسرح الابصار ومطمح الانفس،، ولم تَخْلُ من اشراف اماثل، وعلماء اكابر وشعراء افاضل،، ولولم يكن بها الا ما خصّها الله به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر كنزهون القلعيّة والركونيّة وغيرهما وناهيك بهما فى الظرف والادب انتهى، ولبعضهم يتشوّق الى غرناطة فيما ذكر بعض المؤرّخين والصواب ان الابيات قيلت فى قرطبة كما مرّ

أُغرناطة الغرّاء عل لِىَ اوبةٌ الابيات a

وقال ابن مالك الرُعَيْنى

رعى الله بالحمراء عيشا قطعتَه ذهبتَ به للانس والليل قد ذَهَبْ
ترى الارض منها فضّة واذا اكتستْ بشمس الضحى عادتْ سبيكتُها ذَهَبْ

وهو القائل

لا تظنّوا b انّ شوقى خمدَا بعدكم او انّ دمعى جمدَا
كيف أَسْلُو عن اناس مثلهم قلّ ان تبصر عينى احدَا

وغرناطة من احسن بلاد الاندلس وتسمّى بدمشق الاندلس لانها اشبه شىء بها ويشقّها نهر حدره ويُطِلّ عليها الجبل المسمّى بشُلَيْر الذى لا يزال الثلجُ عنه شتاء وصيفا ويجمد عليه حتى يصير كالحجر الصلد وفى اعلاه الازاهر الكثيرة واجناسُ الافاويه الرفيعة ونزل بها اهل دمشق لما جاءوا الى الاندلس لاجل الشبه المذكور وقُرى غرناطة فيما ذكر بعض المتأخّرين ۲۷۰ قرية، وقال ابن جُزَىّ مرتّبُ رحلة ابن بطوطة بعد ذكره كلامه ما نصّه لولا خشيتُ c ان أُنْسَبَ الى العصبيّة لَأَطَلْتُ d القول فى وصف غرناطة فقد وجدتُ مكانه ولكن ما اشتهر كاشتهارها لا معنى لاطالة القول فيه e ولله درُّ شيخنا ابى بكر بن f محمد بن شبرين g السبتى نزيل غرناطةٍ حيث يقول

رعى الله من غرناطة متبوّءًا يَسُرّ حزينا او يجير طريدَا
تبرَّأ h منها صاحبى عند ما راى مسارحها بالثلج عُدْنَ جليدَا
هى الثغر صان الله من أَهلَتْ به وما خيرُ ثغرٍ لا يكون بَرُودَا

انتهى، وقال ابن سعيد عند ما اجرى ذكر قرية نارجة وهى قرية كبيرة تُضاهى المدنَ قد احدقت بها البساتين، ولها نهر يفتن الناظرين،، وهى من اعمال مالقة انه اجتاز مرّةً عليها مع والده ابى عمران موسى وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم وقد ضربوا فى بطن الوادى بين مقطّعاته خيمًا وبعضهم يشرب وبعضهم يغنّى ويطرب وسألوا بِمَ يُعْرَف ذلك الموضع فقالوا الطِراز فقال والدى اسمٌ طابَقَ مسمّاه، ولفظ وافَقَ معناه،، وقد وجدتُّ مكانَ القول ذا سعة فان وجدتَّ لسانا قائلا فقُلْ ثم قال أَجِزْ

---

a) Mêmes vers que plus haut, p. ۹۸. Variantes: vs. 2. غمائم , ساحات روضتك ; vs. 3. وارضك. جنة b) La. O. تقولوا. c) C'est ainsi qu'on lit dans les man. d'Ibn-Batoutah (I-B.); ceux d'al-Makkarī portent خشية. d) I-B. لاطنبت. e) I-B. للاطالة فيه. f) Le mot بن manque dans le man. 910 d'Ibn-Batoutah. g) O. سبرين. Le man. 910 d'Ibn-Batoutah porte بشير بن. h) Les man. d'al-Makkarī portent تبرم.

بنـــارجةٍ a حيث الطراز المنمنَمُ   فقلتُ أَقِمْ فوق نهر ثغرُه يتبسَّمُ
فقال وسمعك نحو الهاتفات فانّها   فقلت لِما ابصرتْ من بهجة تترنَّمُ
فقال ايا جنّة الفردوس لستُ بآدم   فقلت فلا يك حظّى من جناك التندُّمُ
فقال يعزُّ علينا ان نزورك مثل ما   فقلت يزور خيال من سُلَيْمَى مسلِّمُ
فقال فلو انّنى أُعْطَى الخيارَ لَمَا عدتْ   فقلت محلّك لى عينٌ بمرآك تنعَمُ
فقال بحيث الصبا والطلّ من نفثاتها b   فقلت وقتْ لَسْعَ روض فيه للنهر أَرْقَمُ
فقال فوا اسفى ان لم تكن لِىَ عودةٌ   فقلت فكن مالكًا انّى عليك مُتَمِّمُ
فقال فأَحْسِبُ هذا آخر العهد بيننا   فقلت وقد يلحظ الرحمنُ شوقى فيرحمُ
فقال سلام سلام لا يزال مردَّدا   فقلت عليك ولا زالتْ بك السُحْبُ تسجمُ

انتهى، وقال ابن سعيد ان كورة بلنسية من شرق الاندلس تُنْبِت الزعفران وتُعْرَف بمدينة التراب وبها كمّثرى يسمّى الازرة c فى قدر حبّة العنب قد جمع مع حلاوة الطعم d ذكاء الرائحة اذا دخل دارا عُرف بريحه ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الاندلس وبها منازه ومسارح ومن ابدعها واشهرها الرُصافة ومنية ابن ابى عامر وقال الشرف ابو جعفر بن مَسْعَدة الغرناطى من ابيات فيها

هى الفردوس فى الدنيا جمالا   لساكنها مَكارِهُها e البعوضُ

وقال بعضهم فيها

ضاقتْ بلنسية بى   وذاد f عنّى غموضى
رَقْصُ البراغيث فيها   على غناء البعوضِ

وفيها لابن الزقّاق g البلنسى

بلنسية اذا فكّرتُ فيها   وفى آياتها اسنى البلادِ
واعظم شاهدى منها عليها   وانّ جمالها للعين بادى
كساها ربُّها ديباجَ حسنٍ   له عَلَمانِ من بحر ووادى

---

a) C'est ainsi qu'il faut lire avec L.; G. S. La. O. بنارنجة. b) C'est ainsi qu'on lit dans le man. O. Les autres man. portent والطل من تفثاتها. c) G. O. الازرة, La. الاتره ou الانره. C'est S. qui porte الازره, mais peut-être doit-on lire الازرل, car M. Calderon, à Madrid, que nous avons consulté sur ce mot, croit que c'est *azerola*. C'est un fruit, dit-il, qui ressemble à une poire, et l'arbre qui le porte ressemble aussi beaucoup au poirier. d) G. S. المطعم. e) On trouve cette leçon dans le man. A. du *Kalāyid*. Les man. d'al-Makkarī portent وكارهها. f) Cette leçon se trouve dans le vii[e] livre; ici G. S. La. O. portent وزاد, L. وزال. g) G. P. S. الرقاق ✿

وقال ابن سعيد ايضا انشدنى والدى قال انشدنى مروان بن عبد الله بن عبد العزيز ملك بلنسية لنفسه بمرّاكش قوله

كانّ بلنسية كاعبٌ　　　وملبسُها سندس اخضرُ
اذا جئتَها سترتْ نفسها　　　بأَكْمامها فهى لا تظهرُ

وامّا قول ابى عبد الله بن عياش　　　بلنسية بيْنى　　　البيتين وقد سبقا فقال ابن سعيد ان ذلك حيث صارت ثغرا يُصابحها العدوُّ ويُماسيها انتهى، وقال ابو الحسن ابن حريق يجاوب ابن عياش

بلنسية قرارةُ كل حسنٍ　　　حديثٌ صحّ فى شرق وغرب
فانْ قالوا محلُّ غلاء سعْرٍ　　　ومسقطُ ديمتَىْ طعن وضرب
فقُلْ هى جنّة حُفّتْ رُباها　　　بمكروهَيْن من جُوع وحرب

وقال الرُصافى فى رصافتها

ولا كالرصافة من منزل　　　سقتْه السحائبُ صوبَ الوَلِى
احنُّ اليها ومَنْ لى بها　　　واين السَرِىُّ من المَوْصِل

قال ابن سعيد وبرصافة بلنسية مناظر وبساتين ومياه ولا نعلم فى الاندلس ما يسمّى بهذا الاسم الا هذه ورصافة قرطبة انتهى، ومن اعمال بلنسية قرية المَنْصَف التى منها الفقيه الزاهد ابو عبد الله المنصفى a وقبره كان بسبتة يُزار رحمه تع ومن نظمه

قالت لىَ النفسُ اتاك الرَدَى　　　وانت فى بحر الخطايا مُقيمْ
فما ادّخرتَ الزاد قلتُ اقصرى　　　هل يُحْمَل الزاد لدار الكريمْ

ومن عمل بلنسية قرية بَطَرْنة التى كانت فيها الوقيعة المشهورة للنصارى على المسلمين وفيها يقول ابو اسحق بن معلى b الطَرَسُونى

لبسوا الحديدَ الى الوغى ولبستم　　　حُلَلَ الحرير عليكم أَلْوانَا
ما كان أَقْبَحَهم وأَحْسَنَكم بها　　　لولم يكن ببطرنة ما كانَا

ومن عمل بلنسية متّيطة c التى نُسب اليها جماعةٌ من العلماء والادباء، ومن عمل بلنسية مدينة أُنْدة التى فى جبلها معدن الحديد واما رُنْدة بالراء فهى فى متوسّط الاندلس ولها حصن يعرف بأُنْدة ايضا، وفى اشبيلية اعادها الله من المتفرّجات

a) G. P. et S. ajoutent القائل. b) Les man. G. et P. portent يعلى, mais la leçon معلى se trouve aussi chez Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 229 r.). c) Le *tachdīd* se trouve dans L.

والمنتزهات كثير ومن ذلك مدينة طريانة فانها من مدن اشبيلية ومنتزهاتها وكذلك قَبْطَل فقد ذكر ابن سعيد جزيرة قبطل فى المتفرّجات، وقال ابو عمران موسى بن سعيد فى جوابه لابى يحيى صاحب سبتة لما استوزره مستنصرُ بنى عبد المومن وكتب الى المذكور يُرْغبه فى النقلة عن الاندلس الى مرّاكش ما نصّه وامّا ما ذكر سيّدى من التخيير بين ترك الاندلس وبين الوصول الى حضرة مرّاكش فكفى الفهم العالى من الاشارة قول القائل

والعزّ محمود وملتمَس والذّل ما نيلَ a فى الوطن

فاذا نلتُ بك السماء فى تلك الحضرة فعلى مَنْ أَسُود فيها ومن ذا أُضاهى بها

لا رقتْ بى همّةٌ ان لم اكن فيك قد امّلتُ فوق الامل

وبعد هذا فكيف افارق الاندلس وقد علم سيّدى انها جنّة الدنيا بما حباها الله به من اعتدال الهواء وعذوبة المياه وكثافة الافياء وان الانسان لا يبرح فيها بين قرّة عين وقرار نفس هى الارض لا وِرْدٌ لديها مكدّر ولا ظلّ مقصور ولا روض مُجْدِبُ افق صقيل، وبساط مدبّج وماء سائح وطائر مترنّم بليل،، وكيف يعدل الاديبُ عن ارض على هذه الصفة فيا سموءل الوفا، ويا حاتم السماح ويا جذيمة الصفا،، كَمِّلْ لمن امّلك النعمةَ بتركه فى موطنه، غيرَ مكدّر لخاطره بالتحرّك من معدنه،، ملتفتًا الى قول القائل

وسوّلتْ لىَ نفسى ان افارقها والماءُ فى المزن أَصْفَى منه فى الغُدُر

فان اغناه اهتمام مؤمّله من ارتياد المَرَاد، وبلّغه دون ان يشدّ قتبا ولا ان يُنْضِىَ عيسًا غايةَ المُراد،، انشد ناجح المرغوب، بالغ المطلوب،،

وليس الذى يتّبع الوبلَ رائدًا كمَنْ جاءه فى داره رائدُ الوبل

وربَّ قائل اذا سمع هذا التبسّط على الامانى ما له تشطّط، وعدل عن سبيل التأدّب وتبسّط،، ولا جواب عندى الا قول القائل

فهذه خطّة ما زِلْتُ ارقبها فاليوم ابسط آمالى واحتكمُ

وما لى لا انشد ما قاله المتنبّى فى سيف الدولة

ومن كنتَ بحرًا له يا علــــىّ لم يقبل الدرّ الا كبارا

---

a) La. O. كان.

انتهى المقصود منه، وقال الحجارى ان مدينة شريش بنتُ اشبيلية وواديها ابن واديها وما أَشْبَهَ سعدًا بسعيد وهى مدينة جليلة ضخمة الاسواق لاهلها هِمَمٌ وظرف فى اللباس واظْهار الرفاهية وتخلُّق بالآداب ولا تكاد ترى فيها الا عاشقا ومعشوقا ولها من الفواكه ما يعمّ ويَفْضُل وممّا اختُصّت به احسانُ الصنعة فى المجبَّنات وطيبُ جبنها يُعين على ذلك ويقول اهل الاندلس مَنْ دخل شريش ولا ياكل بها المجبَّنات فهو محروم انتهى[a]، وفى شلْب يقول الفاضل الكاتب ابو عمر[b] بن مالك بن سيدمير

أَشجاك النسيمُ حين يهبُّ ... ام سَنَى البرق اذ يخبّ ويَخْبُو

ام هَتُوف على الاراكة تشدو ... ام هَتُون من الغمامة سَكْبُ

كلُّ هاذاك للصبابة داعٍ ... اىُّ صبٍّ دموعُه لا تُصَبُّ

انا لولا النسيم والبرق والوُرْ ... قُ وصوبُ الغمام ما كنتُ أَصْبُو

ذكّرتْنى شلبًا وهيهات منّى ... بعد ما استحكم التباعُدُ شلبُ

وتسمّى اعمال شلب كورة اكْشُونُبة[c] وهى متّصلة بكورة اشبونة وهى اعنى اكشونبة[d] قاعدة جليلة لها مدن ومعاقل ودارُ ملكها قاعدةُ شلب وبينها وبين قرطبة ٧ ايام ولما صارت لبنى عبد المومن ملوك مرّاكش اضافوها الى كورة اشبيلية وتفتخر شلبُ بكون ذى الوزارتين ابن عَمّار منها سامحه الله ومنها القائد ابو مروان عبد الملك ابن بَدْران وربّما قيل ابن بدرون الاديب المشهور شارح قصيدة ابن عبدون التى اولها

الدهر يَفْجَع بعد العين بالأَثَرِ ... فما البكاء على الأَشْباح والصُوَرِ

وهذا الشرح شهير بهذه البلاد المشرقيّة ومن نظم ابن بدرون المذكور قوله

العشق لذّته التعنيق والقُبَلُ ... كما منغّصه التثريب والعَذَلُ

يا ليت شعرِىَ هل يُقْضَى وصالُكم ... لولا المُنَى لم يكن ذا العمر يتّصلُ

ومنها نحوىُّ زمانه وعلّامته ابو محمد عبد الله بن السِيد البطليوسى فانّ شلبا بيضتُه، ومنها كانت حركتُه ونهضتُه،، كما فى الذخيرة وهو القائل

اذا سألونىَ عن حالتى ... وحاولتُ عذرا فلم يُمْكِنِ

اقول بخَيْرٍ ولكنّه ... كلام يدور على الالسُنِ

a) La. et O. ajoutent ici: والمجبنات نوع من القطائف يضاف لها الجبن فى عجينها وتُقْلَى بالزيت الطيّب ، . b) G. et P. portent ابو عمرو. c) Les man. portent اشكونبة.
d) Même remarque.

وربُّك يعلم ما فى الصدور ويعلم خائنةَ الاعيُن

وقال الوزير ابو عمرو[a] بن الفلّاس[b] يمدح بطليوس

بَطَلْيَوْس لا انساك ما اتّصل البُعْدُ فلله غور فى جنابك او نجدُ

ولله دوحات تحفّك بينها[c] تفجّر واديها كما شُقّق البُرْدُ

وبنو الفلّاس[d] من اعيان بطليوس وابو عمرو المذكور اشهرهم وهو من رجال الذخيرة والمسهب رحمه، وفى شاطبة يقول بعضهم

نعْمَ مُلْقَى الرحل شاطبة لفَتًى طالتْ به الرِحَلُ

بلدة اوقاتُها سَحَر وصبا فى ذيله بَلَلُ

ونسيم عَرْفُه أَرِج ورياض غصنُها ثَمِلُ

ووجوه كلُّها غُرَر وكلام كلُّه مَثَلُ

وفى بَرْجة يقول بعضهم

اذا جيتَ برجةَ مستوفزا فخُذْ فى المُقام وخَلّ السَفَرْ

فكلُّ مكان بها جنّة وكل طريق اليها سَقَرْ

وقد تقدّم هذان البيتان، واعلم انه لولم يكن للاندلس من الفضل سوى كونها ملاعبَ الجياد للجهاد لكان كافيا ويرحم الله لسان الدين بن الخطيب حيث كتب على لسان سلطانه الى بعض العلماء العاملين ما فيه اشارة لبعض ذلك ما نصّه من امير المسلمين فلان الى الشيخ كذا ابن الشيخ كذا وصل الله له سعادةً تجذبه، وعنايةً اليه تقرّبه، وقبولا منه يدعوه الى خير ما عند الله وينديه،، سلام كريم عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد حمد الله المرشد المثيب، السميع المجيب، معوّد اللطف الخفىّ والصنع العجيب، المتكفّل بانجاز وعد النصر العزيز والفتح القريب، والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد رسوله ذى القدر الرفيع، والعزّ المنيع، والجناب الرحيب، الذى به نرجو ظهور عَبَدة الله على عبدة الصليب، ونستظهر منه على العدوّ بالحبيب، ونعدّه عُدّتنا لليوم العصيب، والرضى عن آله وصحبه الذين فازوا من مشاهدته باوفى النصيب، ورموا الى هَدَف مرضاته بالسهم المُصيب،، فانّا كتبناه اليكم كتب الله لكم عملا صالحا يختم الجهادُ صحائفَ برّه، وتتمحّص لان تكون كلمة الله هى العليا

---

a) S. La. عمر. b) O. الغلامس. c) L. بالهنا. d) O. الغلامس.

جوامع امره، وجعلكم ممن تهنّى فى الارض التى فتح فيها ابواب الجنّة حصّة عمره،،
من حمراء غرناطة حرسها الله تع ولطف الله هامى السحاب، وصنعه رائق الجناب،
والله يصل لنا ولكم ما عوّده من صلة لطفه عند انبتات الاسباب،، والى هذا ايّها الولىّ
الذى هو بركة المغرب المُشار اليه بالبنان، وواحده فى رفعة الشان، الموثر بما
عند الله على الزخرف الفتّان، المتقلّل من المتاع الفانِ، المستشرف الى مقام العرفان،
من درج الاسلام والايمان والاحسان،، فانّنا لما نوثره من برّكم الذى نعدّه من الامر
الاكيد، ونُضمره من ودّكم الذى محلّه محلّ الكنز العتيد، ونلتمسه من دعائكم
التماسَ العُدّة والعديد،، لا نزال نسأل عن احوالكم التى ترقّتْ فى اطوار السعادة،
ووصلتْ جنابَ الحقّ بهجر العادة، وألْقتْ الى يد التسليم لله والتوكّل عليه بالمقادة،،
فنُسَرّ بما هيّأ الله لكم من القبول، وبلّغكم من المامول، والهَمَكم من الكَلَف بالقرب
اليه والوصول، والفوز بما لديه والحصول،، وعند ما ردّ الله علينا ملكنا الردّ الجميل،
وانالنا فضله الجزيل، وكان لعثارنا المُقيل،، خاطبناكم بذلك لمكانكم من ودادنا،
ومحلّكم من حسن اعتقادنا، ووجّهنا الى وجهة دعائكم وجهَ اعتدادنا،، والله ينفعنا
بجميل الظنّ فى دينكم المتين، وفضلكم المبين، ويجمع الشملَ بكم فى الجهاد عن
الدين،، وتعرّفنا الآن ممن له بانبائكم اعتنا، وعلى جلالكم حمد وثنا، ولجناب ودّكم
اعتزاء واقتنا،، بتجاوُل عزمكم بين حجّ مبرور ترغبون من اجره فى ازدياد، وتجدّدون
العهد منه بالبيف اعتياد،، وبين رباط فى سبيل الله وجهاد، وتوثير مهاد، بين رُبَى
اثيرة عند الله ووهاد،، يُحْشَر يومَ القيٰمة شهداؤها مع الذين انعم الله عليهم من
النبيّين والصديقين، فرحين بما اتاهم الله من فضله والله اصدق الصادقين،، حيث
لا غارة لغير عدوّ الاسلام تتّقى، ألا لابتغاء ما لدى الله ترتقى،، حيث رحمة الله قد
فُتحتْ ابوابُها، وحُورُ الجنان قد زُيّنتْ اترابُها،، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح،
وفازوا بجزيل المنح،، وخلّدوا الآثار، وارغموا الكفّار، واقالوا العثار، واخذوا الثار،
وامنوا من لفح جهنّم بما علا على وجوههم من ذلك الغبار،، فكتبنا اليكم هذا نقوّى
بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمَيْن، ونُهيب بكم الى احدى الحسنَيَيْن، والصبح
غير خاف على ذى عينَيْن، والفضل ظاهر لاحدى المنزلتَيْن،، فانّكم اذا حججتم
اعدتّم فرضا ادّيتموه، وفضلا ارتديتموه،، فائدتُه عليكم مقصورة، وقضيّته فيكم محصورة،،
واذا اقمتم الجهادَ جلبتم الى حسناتكم عملا غريبا، واستانفتم سعيا من الله قريبا،،

وتعدّت المنفعة الى الوف من النفوس، المستشعرة لبساس البوس،، ولو كان الجهاد بحيث يُخْفَى عليكم فضلُه لَأَطْنَبْنا، واعنّة الاستدلال ارسلنا،، هذا لو قدمتم على هذا الوطن وفضلُكم غفل من الاشتهار، ومَنْ به لا يوجب لكم ترفيعَ المقدار، فكيف وفضلكم اشهر من محيّا النهار، ولقاؤكم اشهى الآمال وآثَرُ الاوطار،، فان قوى عزمُكم والله يقوّيه، ويُعيننا من برّكم على ما نَنْويه،، فالبلاد بلادكم، وما فيها طريفكم وتلادكم، وكهولها اخوانكم وأَحْداثها اولادكم،، ونرجو ان تجدوا لذكركم الله فى رُباها حلاوةً زائدة، ولا تعدموا من روح الله فيها فائدة،، وتتكيّف نفسُكم فيها تكيّفات تقصر عنها خلواتُ السلوك، الى ملك الملوك،، حتى تغتبطوا بفضل الله الذى يُوليكم، وتروا اثر رحمته a فيكم، وتخلّفوا فخرَة هذا الانقطاع الى الله فى قبيلكم وبنيكم، وتختموا العمر الطيّب بالجهاد الذى يُعْليكم، ومن الله يُدْنيكم،، فنبيُّكم العربىّ صلوات الله وسلامه عليه نبىّ الملاحم، ومُعْمل الصوارم، وبجهاد الفرنج ختم عملُ جهاده والاعمال بالخواتم،، هذا على بعد بلادهم من بلاده، وانتم احقّ الناس باقتفاء جهاده، والاستباق الى آماده،، هذا ما عندنا حثثناكم عليه، وندبناكم اليه، وانتم فى إيثار هذا الجوار، ومُقارَضة ما عندنا بقدومكم على بلادنا من الاستبشار، بحسب b ما يخلق عنكم مَنْ بيده مقادةُ الاختيار، وتصريفُ الليل والنهار، وتقليب القلوب واجالةُ الافكار، واذا تعارضت الحظوظُ فما عند الله خيرٌ للأَبْرار c، والدار الآخرة دار القرار، وخير الاعمال عملٌ اوصل الى الجنّة وباعد من النار،، ولْتعلموا ان نفوس اهل الكشف والاطّلاع، بهذه الارجاء والاصقاع،، قد اتّفقت اخبارُها، واتّحدت اسرارُها،، على البشارة بفتح قرب اوانُه، واظلّ زمانُه،، فنرجو من الله ان تكونوا ممن يحضر مدّعاه، ويكرم فيه مسعاه، ويسلف فيه العملَ الذى يشكره الله ويرعاه،، والسلام الكريم يخصّكم ورحمة الله وبركاته انتهى، ولمّا دخل الاندلس امير المسلمين على بن امير المسلمين يوسف ابن تاشفين اللَّمْتونى ملك المغرب والاندلس وامعن النظرَ فيها وتأمّل وصفها وحالها قال انها تُشْبه عقابا مخالبُه طليطلة وصدرُه قلعة رباح وراسُه جيّان ومنقارُه غرناطة وجناحُه الايمن باسط الى المغرب وجناحُه الايسر باسط الى المشرق فى خبر طويل لم يحضرْنى الآن اذ تركتُه مع كتبى بالمغرب جمعنى الله بها على احسن الاحوال، ومع كون

a) La. O. نعمته. b) La. O. فضل. c) Voyez le *Korān*, sour. 3, vs. 197.

اهل الاندلس سُبّاقَ حلبة الجهاد، مُهْطعين الى داعيه من الجبال والوهاد، فكان لهم فى التَرَف والنعيم والمجون ومداراة الشعراء خوفَ الهجاء محلٌّ وثير المهاد،، وسياتى فى الباب السابع من هذا القسم من ذلك وغيره ما يشفى ويكفى ولكن سنح لى ان اذكر هنا حكايةَ ابى بكر المخزومى الهجّاء المشهور الذى قال فيه لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة *a* انه كان اعمى شديد القحّة والشرّة *b* معروفا بالهجاء مسلّطا على الأَعْراض سريع الجواب ذكىَّ الذهن فَطنا للمعاريض سابقا فى ميدان الهجاء فاذا مدح ضعف شعرُه انتهى، والحكاية هى ما حكاه ابو الحسن بن سعيد فى الطالع السعيد اذ قال حكايةً عن ابيه فيما اظنّ قدم المذكورُ يعنى المخزومى على غرناطة ايامَ ولاية ابى بكر بن سعيد ونزل قريبا منّى وكنتُ اسمع به انه نار صاعقة *c* يرسلها الله على من يشاء من عباده ثم رايتُ ان ابدأه بالتانيس والاحسان فاستدعيتُه بهذه الابيات

يـا ثـانيا للمَعَرّى   فى حسن نظم ونثرِ   وفـرط ظـرف ونُـبْـل
وغَوْص فهم وفكـرِ   صِلْ ثم واصِلْ حفيًّا   بـكـلّ شـكـر وبـرّ *d*
وليس الا حديث   كـمـا وَهَى عقدُ درّ   ه وشــادن يـتـغـنّـى
على ربـــاب وزمرِ   ومـــا يـســامـح فيه   الغفورُ من كاس خمرِ
وبيننا عهدُ حلف   ليـاسرٍ *e* حلف كفرِ   فقُمْ نُجـدّدْه *f* عهدا
بطيب شكر ويسر *g*   والـكـاسُ مثل رضـاعِ   ومن كمثلك يـدرى *h*

ووجّه لـه الوزير ابن سعيد عبدا صغيرا قـاده فلمـا استقرّ به المجلسُ وافعمتْه روائح النَدّ والعود والازهار، وهزّت عطفَه نغماتُ *i* الاوتار،، قال

دارُ السعيدىّ ذى ام دارُ رضوانِ   ما تشتهى النفسُ فيها حاضرٌ دانى
سقتْ اباريقَها للندّ سُحْبُ ندى   تُـحْـدَى بـرعـد لاوتـار والـحـانِ
والبرق من كل دَنّ ساكبٌ مطرا   يحيـا به مَيْتُ افـكـار واشجـانِ
هذا النعيم الذى كُنّا نُحدَّثه   ولا ســبـيـــلَ لـــه الّا بــآذانِ

---

a) Man. de M. de Gayangos (Ga.), fol. 104 r. *b*) Ga. سديد القحة (كذا) والشره. Les man. d'al-Makkarī portent شديد الشر. *c*) C'est ainsi qu'on lit dans S. Les autres man. portent به بنار صاعقة. *d*) S. P. La. O. بر وشكر. *e*) Voyez sur ابو عمار ياسر al-Nawawī, éd. Wüstenfeld, p. ۴۸۹ et ۹۳۰; Ga. porte وبيننا عقد حلف لبان شرك وكفر. *f*) Les man. d'al-Makkarī portent نعم فجدده. *g*) Ga. وسكر. *h*) J'ai écrit ce vers, que je ne comprends pas, comme je l'ai trouvé dans les man. *i*) Ce mot manque dans les man. d'al-Makkarī.

فقال ابو بكر بن سعيد * والى الآن لا سبيل له الّا بآذان a فقال حتىّ يبعث الله ولدَ زنى كلّما انشدتُّ هذه الابياتَ قال انّ قائلها اعمى فقال امّا انا فما انطق بحرف * فى ذلك b فقال مَنْ صمت نجا وكانت نزهون بنت القلاعى حاضرةً فقالت وتراك c يا استاذ * قديم النعمة بمجمر ندّ وغناء وشراب d فتعجب من تأتّيه وتُشبّهه بنعيم الجنّة وتقول ما كان يُعلم الّا بالسماع ولا يُبلغ اليه بالعيان لكن من يجيء من حصن المدوّر وينشأ بين تيوس وبقر من اين له معرفةٌ بمجالس النعيم فلما استوفتْ كلامها تنحنح الاعمى فقالت له ذبحةً e فقال مَنْ هذه الفاعلة f فقالت عجوز مقامَ امّك فقال كذبتِ ما هذا صوتُ عجوز انما هذه نغمةُ قحبة محترقة تشمّ روائح هَنها على فرسخ فقال له ابو بكر يا استاذ هذه نزهون بنت القلاعىّ الشاعرة الاديبة فقال سمعتُ بها لا اسمعها الله الا خيرا ولا اراها الا ايرا فقالت يا شيخ سَوْء قد تناقضت فى كلامك g واىّ خير للمرأة مثل ما ذكرتَ ففكر ساعةً ثم قال

على وجه نزهون من الحسن مسحةٌ h — وان كان قد امسى من الضوء i عاريَا
قواصد نزهون توارك غيرها — ومن قصد j البحرَ k استقلّ السواقيَا

فاعملتْ فكرها * ثم قالت l

قُلْ للوضيع مقالا — يُتْلَى الى حين يُحْشَرْ
من المدوّر أُنشيـ — ـتَ والخرا منه اعطَرْ
حيث البداوة امستْ — فى مشيها m تتبختَرْ
لذاك امسيتَ صبًّا — بكل شىء مدوّرْ
خُلقتَ اعمى ولكن — تهيم فى كل اعوَرْ
جازيتُ شعرا بشعر — فقُلْ لعمرى مَنَ اشْعَرْ
ان كنتُ فى الخلق انثى — فانّ شعرى مذكَّرْ

فقال لها اسمعى

أَلا قُلْ لنزهونة ما لها — تجرُّ من التيه اذيالَها
ولو ابصرتْ فيشةً شمّرتْ — كما عوّدتْنى سربالَها

فحلف ابو بكر بن سعيد أَلّا يزيد احدهما على الآخر فى هجوه كلمةً فقال المخزومى اكون هجّاء الاندلس واكفّ عنها دون شىء فقال انا اشترى منك عِرْضَها فاطلُبْ

a) Ga. لا سبيل له الآن الا باذان. b) Ces deux mots manquent dans les man. d'al-Makkarī. c) Les man. d'al-Makkarī, excepté L., portent وتراك. d) Ga. قديم النعمة بند وغناء وطيب شراب. e) Les man. portent ذبحه. f) Les man. d'al-Makkarī portent الفاضلة. g) Les mots قد et فى كلامك manquent dans les man. d'al-Makkarī. h) Ga. قسمة. i) Ga. اضحى من الصون. j) La. O. ورد. k) La. الحسن. l) Ga. وقالت فيه. m) Ga. اهلها.

فقال بالعبد الذى ارسلته فقادنى الى منزلك فانّه ليّن اليدa رقيق الملمسb فقال ابو بكر * لولا كونه صغيراc كنتُ ابلّغك به مُرادَك وأَهَبُه لك * ففهم قصده وقالd اصبر عليه حتى يكبر ولو كان كبيرا ما آثرتَنى به على نفسك فضحك ابو بكر وقال * انْ لم تَهْجُ نظما هجوتَ نثراe فقال ايّها الوزير لا تبديل لخلق الله وانفصل المخزومى بالعبد بعد ما اصلح الوزير بينه وبين نزهون انتهى، وفى كتاب الدرّ المنضّد، فى وفيات اعيان امّة محمد،، تاليف الامير صارم الدين ابرهيم بن دقماق قال ابو القاسم ابن خلف كان يعنى المخزومى المذكور حيًّا بعد الاربعين وخمسمائة انتهى، ونقلتُ من كتاب قطب السرور لابن الرقيق المغربى ما ملخّصه وممن ادركتُه وعاشرتُه عبد الوهّاب بن حسين بن جعفر الحاجب وذكرتُه هنا لانه ملحق بالامراء المتقدّمين غير خارج منهم ولا مقصّر عنهم بل كان واحدَ عصره فى الغناء الرائق والادب الرائع والشعر الرقيق، واللفظ الانيق،، ورقّة الطبع واصابة النادر والتشبيه المُصيب والبديهة التى لا يُلْحَق فيها مع شرف النفس وعلوّ الهمّة وكان قد قطع عمره، وافنى دهره،، فى اللهو واللعب، والفكاهة والطرب،، وكان اعلمَ الناس بضرب العود واختلاف طرائقه وصنعة اللحون وكثيرًا ما يقول المعانى اللطيفة فى الابيات الحسنة ويصوغ عليها الالحانَ المطربة، البديعة المعجبة،، اختراعا منه وحذقا وكانت له فى ذلك قريحة وطبع وكان اذا لم يَزُرْه احد من اخوانه احضر مائدتَه وشرابه عشرةً من اهل بيته منهم ولده وعبد الله ابن اخيه وبعض غلمانه وكلّهم يغنّى فيُجيد فلا يزالون يغنّون بين يديه حتى يطرب فيدعو بالعود ويغنّى لنفسه ولهم وكان بشارة الزامرُ الذى يزمر عليه من حُذّاق زَمَرَة المشرق وكان بعيد الهمّة سمحًا بما يَجِدُ تغلّ عليه ضياعُه كلّ عام اموالا جليلة فلا تحول السنةُ حتى يُنْفِدَf جميعَ ذلك ويستسلف غيره فكان لا يطرأ من المشرق مغنٍّ الا سأل من يقصد بهذا الشان فيُدَلّ عليه فمن وصله منهم استقبله بصنوف البرّ والاكرام وكساه وخلطه بنفسه ولم يَدَعْه الى احد من الناس فلا يزال معه فى صبوح وغبوق وهو مجدّد له كلّ يوم كرامةً حتى ياخذ جميعَ ما معه من صوت مطرب او حكاية نادرة وجلس يوما وقد زاره رجلان من اخوانه وحضر قرباؤه فطعموا وشربوا واخذوا فى الغناء فارتجّ المجلسُ اذ دخل عليه بعض غلمانه

a) Ga. القد. *b*) Les man. d'al-Makkarī portent المشى. *c*) Ga. لولا انه صغير. *d*) Ga. ففطن لقصده فقال. *e*) Ga. قد هجوت نثرا وان لم تهج نظما. *f*) O. ينفق.

فقال بالباب رجلٌ غريب عليه ثياب السفر ذكر انه ضيف فامر بادخاله فاذا رجل اسمر سناطٌ رثُّ الهيئة فسلّم عليه قال اين بلدُ الرجل قال البصرةُ فرحّب به وامره بالجلوس فجلس مع الغلمان فى صُفّة وأُتىَ بطعام فاكل وسُقى اقداحا ودار الغناء فى المجلس حتى انتهى الى آخرهم فلما سكتوا اندفع يغنّى بصوت ندىّ وطبع حسن

أَلا يا دارُ ما الهجرُ　　لسُكّانيكِ a من شانى
سُقيتِ الغيثَ من دار　　وان هيَّجتِ اشجانى
ولو شيتِ لَمَا استسقَيْــتِ غيثا غير اجفانى
بنفسى حلَّ اهلوكِ　　وان بانوا بسلوانى
وما الدهر بمامون　　على تشتيتِ خُلّانى

فطرب عبد الوهّاب وصاح وتبيّن الحذق فى اشارته والطيبَ فى طبعه وقال يا غلام خُذْ بيده الى الحمّام وعَجِّلْ علىَّ به فأُدْخل الحمّام ونُظّف ثم دعا عبد الوهّاب بخلعة من ثيابه فأُلقيت عليه ورفعه فاجلسه عن يساره واقبل عليه وبسطه فغنّى له

قُومى امْزجى التبر باللُّجَيْنِ　　واحتملى الرطلَ باليدَيْنِ
واغتنمى غفلةَ الليالى　　فربّما ايقظتْ لحَيْنِ
فقد لعمرى اقرَّ منّا　　هلالُ شوّالَ كلَّ عَيْنِ
ذات الخلاخيل ابصرتْه　　كنصف خلخالها اللُّجَيْنى

فطرب وشرب واستزاده فغنّاه

مَنْ لى على رغم الحَسُود بقهوة　　بكرٍ ربيبة حانة عذراء
موج من الذهب المُذاب تضمّه　　كاس كقشر الدرّة البيضاء
والنجم فى افق السماء كأنّه　　عين تُخالس غفلةَ الرُقَباء

فشرب عبد الوهّاب ثم قال زِدْنى فغنّاه

وانت الذى اشرقتَ عينى بمائها　　وعلّمتَها بالهجر ان تهجر الغُمْضَا
واغريتَها بالدمع حتى جفونها　　لَينكر من فقد الكرَى بعضُها بَعْضَا

فمرَّ يوم من احسن الايام واطيبها ووصله واحسن اليه ولم يزل عنده مقرَّبا مكرَّما وكان خليعا ماجنا مشتهرا بالنبيذ فخلّاه وما احبَّ ثم وصف له الاندلس وطيبها وكثرة

---

a) Les man. portent لسكانكِ.

خمورها فمضى اليها ومات بها وعلى نحو هذه الحال كان يفعل بكل طارئ يطرأ عليه من المشرق ولو ذكرتهم لطال الكتاب انتهى، وغرضى من ايراد هذه الحكاية هنا كونه وصف للمشرقى الاندلس وطيبها وذلك امر لا يُشَكّ فيه ولا يرتاب، والله المسؤول فى حسن المتاب،، ورايتُ فى بعض كتب تاريخ الاندلس فى ترجمة السلطان باديس الصنهاجى صاحب غرناطة ما نصّه وهو الذى اكمل ترتيب قصبة مالقة وكان أفرس الناس وأنبلهم ذا مروءة ونجدة وقصره بغرناطة ليس ببلاد الاسلام والكفر مثله فيما قيل انتهى، وهذا القصر هو الذى عناه لسان الدين بن الخطيب فى قصيدته السينية المذكورة فى الباب الخامس من القسم الثانى من هذا الكتاب فلتراجعْ ثمّة، وذكر غير واحد من المحدّثين والمؤرّخين ان مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبانُ من قِبَل نفسه واذا ادخله احد لم يتحرّك ونظيرُ هذا المعنى فى بعض الحيوانات بالنسبة الى بعض البلاد كثير وذلك برَصَد او طلسم وقد استطرد علماء اصول الدين ذلك عند ما تكلّموا على السِحْر حسبما قُرّر فى محلّه والله اعلم هكذا رايتُ فى كلام بعض علماء المشرق والذى رايتُه لبعض مؤرّخى المغرب فى سرقسطة انها لا تدخلها عقرب ولا حيّة الا ماتت من ساعتها ويُوتَى بالحيّات والعقارب اليها حيّةً فبنفس ما تدخل الى جوف البلد تموت قال ولا يتسوّس فيها شىء من الطعام ولا يعفن ويوجد فيها القمح من مائة سنة والعنب المعلّق من ٩ اعوام والتين والخوخ وحبّ الملوك والتفّاح والاجّاص اليابسة من ٤ اعوام والفول والحمّص من ٢٠ سنة ولا يسوس فيها خشب ولا ثوب صوفًا كان او حريرا او كتّانا وليس فى بلاد الاندلس اكثر فاكهةً منها ولا اطيب طعما ولا اكبر جرما والبساتين محدقة بها من كل ناحية ٨ اميال ولها اعمال كثيرة مدنٌ وحصون وقرى مسافةَ ٤٠ ميلا وهى تضاهى مدنَ العراق فى كثرة الاشجار والانهار وبالجملة فامرُها عظيم وقد اسلفنا ذكرها، واعلم ان بارض الاندلس من الخصب والنضرة وعجائب الصنائع وغرائب الدنيا ما لا يوجد مجموعه غالبًا فى غيرها فمن ذلك ما ذكره الحجارى فى المسهب ان السمّور الذى يُعمل من وبره الفراء الرفيعة يوجد فى البحر المحيط بالاندلس من جهة جزيرة برطانية ويُجلب الى سرقسطة ويُصنع بها ولمّا ذكر ابن غالب وبر السمور الذى يُصنع بقرطبة قال هذا السمور المذكور هنا لم اتحقّقْ ما هو ولا ما عنى به انْ كان هو نباتا عندهم او وبر الدابّة المعروفة فان كانت الدابّة المعروفة فهى دابّةٌ تكون فى البحر وتخرج الى البرّ وعندها قوّة ميز وقال حامد بن

سَمْحُون الطبيب صاحب كتاب الادوية المفردة هو حيوان يكون فى بحر الروم ولا يحتاج منه الا خُصَاه فيخرج الحيوان من البحر فى البرّ فيوجد وتقطع خصاه ويُطْلَق فربّما عرض للقنّاصين مرّةً ثـانية فاذا احسّ بهم وخشى أَلّا يفوتهم استلقى على ظهره وفرج بين فخذَيْه ليرى موضع خصيَتَيْه خاليًا فاذا رآه القنّاصون كـذلك تركوه قـال ابن غالب ويسمى هذا الحيوان ايضا الجُنْدبـادَسْتَر والدواء الذى يُصنع من خصيَتَيْه من الادوية الرفيعة ومنافعه كثيرة وخاصّيته فى العِلَل الباردة وهو حارٌ يابس فى الدرجة الرابعة، والقنليه a حيوان ادقّ من الارنب واطيب فى الطعم واحسن وبرا وكثيرًا ما يلبس فراءها ويستعملها اهل الاندلس من المسلمين والنصارى ولا توجد فى برّ البربر الّا ما جُلب منها الى سبتة فنشأ فى جوانبها قـال ابن سعيد وقد جُلبتْ فى هذه المدّة الى تُونس حضرة افريقية، ويكون بالاندلس من الغزال والايّل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك ممّا يوجد فى غيرها كثير وامّا الاسد فلا يوجد فيها البتّةَ ولا الفيل والزرافة وغير ذلك مما يكون فى اقاليم الحرارة ولها سَبُع يعرف بـاللُب b اكبر بقليل من الذيب فى نهاية من القحَة وقد يفترس الرجلَ اذا كان جائعا وبغال الاندلس فارهة وخيلها ضخمة الاجسام حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح والعَدْوُ فى خيل البرّ الجنوبى ولها من الطيور الجوارح وغيرها مـا يكثر ذكره ويطول وكذا حيوان البحر ودوابّ بحرها المحيط فى نهاية من الطول والعرض قـال ابن سعيد عاينتُ من ذلك العجبَ والمسافرون فى البحر يخافون منها لئلّا تقلب المراكبَ فيقطعون الكلام ولها نفخ بالماء من فيها يقوم فى الجوّ ذا ارتفاع مفرط، وقال ابن سعيد قال المسعودى فى مروج الذهب فى الاندلس من انواع الافاويه ٢٥ صنفا منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة وقصب الذريرة وغير ذلك وذكر ابن غـالب ان المسعودى قـال اصولُ الطيب ٥ اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها من ارض الهند الا الزعفران والعنبر فانهما موجودان فى ارض الاندلس ويوجد العنبر فى ارض الشحْر قـال ابن سعيد وقد تكلّموا فى اصل العنبر فذكر بعضهم انه عيون تنبع فى قعر البحر يصير منها ما تبلعه الـدوابُّ وتقذفه قـال الحجـارى ومنهم من قال انه نبـات فى قعر البحر وقد تقدّم قول الرازى ان المحلب وهو المقدّم فى الافـاويه والمفضّل فى انواع الاشنـان لا

a) Le lapin, en italien *coniglio*. Voyez *Gesenii Thesaur. ling. Hebr.*, p. 1467 *b*. b) Le loup, en espagnol *lobo*.

يوجد فى شىء من الارض الا بالهند والاندلس ، قال ابن سعيد وفى الاندلس مواضع ذكروا ان النار اذا أُطلقتْ فيها فاحتْ بروائح العود وما اشبَهَه وفى جبل شُلَيْر افاويه هندية قال وامّا الثمار واصناف الفواكه فالاندلس اسعدُ بلاد الله بكثرتها ويوجد فى سواحلها قصب السكّر والموز المعدومان فى الاقاليم البـاردة ولا يعدم منها الّا التمر ولها من انواع الفواكه ما يعدم فى غيرها او يَقِلّ كالتين القوطى والتينَ الشعرى باشبيلية قال ابن سعيد وهذان صنفان لم ترَ عينى ولم أَذُقْ لهما منذ خرجتُ من الاندلس ما يَفْضُلهما وكذلك التين المالقى والزبيب المنكّبى والزبيب العسلى والرمّان السَفَرى a والخوخ والجوز واللوز وغير ذلك مما يطول ذكره ، وقد ذكر ابن سعيد ايضا ان الارض الشماليّة المغربيّة فيها المعادن السبعة وانها فى الاندلس التى هى بعضُ تلك الارض واعظمُ معدن للذهب بالاندلس فى جهة شنت ياقُوه قاعدة الجلالقة على البحر المحيط وفى جهة قرطبة الفضّة والزيبق والنحاس فى شمال الاندلس كثير والصفر الذى يكاد يُشْبِه الذهبَ وغير ذلك من المعادن المتفرّقة فى اماكنها والعين التى يخرج منها الزاج فى لَبْلَة b مشهورةٌ وهو كثير مفضَّل فى البلاد منسوب وبجبل طليطلة جبل الطفل الذى يجهَّز الى البلاد ويفضَّل على كل طفل بالمشرق والمغرب وبالاندلس عدّةُ مقاطع للرخام ، وذكر الرازى ان بجبل قرطبة مقاطع للرخام الابيض الناصع والخمرى وفى ناشرة c مقطع عجيب للعُمُد وبباغة من مملكة غرناطة مقاطع للرخام كثيرة غريبة موشّاة فى حمرة وصفرة وغير ذلك من المقاطع التى بالاندلس من الرخام الحالك والمجزّع ، وحَصَى المريّة يُحمل الى البلاد فانه كالدرّ فى رونقه وله الوان عجيبة ومن عادتهم ان يَضَعوه فى كيزان الماء ، وفى الاندلس من الامنان التى تنزل من السماء القرمز الذى ينزل على شجر البلّوط فيجمعه الناسُ من الشعرى ويصبغون به فيخرج منه اللونُ الاحمر الذى لا تفوقه حمرةٌ ، قال ابن سعيد والى مصنوعات الاندلس ينتهى التفضيل وللمتعصّبين لها فى ذلك كلام كثير فقد اختُصّت المريّة ومالقة ومرسية بالوشى d المذهّب الذى يتعجّب من حسن صنعته اهلُ المشرق اذا راوا منه شيـًا وفى تنتالة e من عمل مرسية تعمل البُسُط التى يُغالَى فى ثمنها بالمشرق ويُصنع فى غرناطة وبَسْطة من ثياب اللباس المحرَّرة الصنفُ الذى يعرف بالملبَّد المختَّم

a) En espagnol *zafari*. b) Les man. portent لبلة. c) S. فاشرة, G. P. قاشرة. d) La. O. بالموشى. e) S. نبيالة ou بنبيالة.

ذو الالوان العجيبة ويصنع فى مرسية من الاسرّة المرصّعة والحُصُر الفتّانة الصنعة وآلات الصفر والحديد من السكاكين والامقاص المذهّبة وغير ذلك من آلات العروس والجُنْدىّ مما يبهر العقل ومنها تجهّز هذه الاصناف الى بلاد افريقية وغيرها ويُصنع بها وبالمريّة وبمالقة الزجاجُ الغريب العجيب وفخّار مزجّج مذهّب ويصنع بالاندلس نوع من المفصّص المعروف فى المشرق بالفسيفسا ونوع يُبْسَط به قاعاتُ ديارهم يعرف بالزليجى *a* يُشْبِه المفصّص وهو ذو الوان عجيبة يقيمونه مقامَ الرخام الملوّن الذى يصرفه اهل المشرق فى زخرفة بيوتهم كالشاذروان وما يجرى مجراه، وامّا آلات الحرب من التراس والرماح والسروج والأَلْجُم والدروع والمغافر فاكثر هِمَم اهل الاندلس فيما حكى ابن سعيد كانت مصروفةً الى هذا الشان ويُصنع منها فى بلاد الكفر ما يبهر العقول قال والسيوف البرذليّات مشهورة بالجودة وبرذيل آخر بلاد الاندلس من جهة الشمال والمشرق والفولاذ الذى باشبيلية اليه النهايةُ وفى اشبيلية من دقائق الصنائع ما يطول ذكره، وقد افرد ابن غالب فى فرجة *b* الانفس، للآثار الاوليّة التى بالاندلس،، من كتابه مكانا فقال منها ما كان من جلبهم الماءَ من البحر المالح الى الارحىّ التى بطرّكونة على وزن لطيف وتدبير مُحْكَم حتى طحنتْ به وذلك من اعجب ما صُنع ومن ذلك ما صنعه الاول ايضا من جلب الماء فى البحر المحيط الى جزيرة قادس من العين التى فى اقليم الاصنام جلبوه فى جوف البحر فى الصخر المجوّف ذكرًا فى انثى وشقّوا به الجبال فاذا وصلوا به الى المواضع المنخفضة بنوا له قناطر على حنايا فاذا جاوزها واتّصل بالارض المعتدلة رجعوا الى البنيان المذكور فاذا صادف سبخةً بُنى له رصيف وأُجْرِىَ عليه هكذا الى ان انتهى به الى البحر ثم دُخل به فى البحر واخرج فى جزيرة قادس والبنيان الذى دخل عليه الماءُ فى البحر ظاهر بيّن قال ابن سعيد الى وقتنا هذا ومنها الرصيف المشهور بالاندلس، قال فى بعض اخبار رومية انه لما ولى يوليش المعروف بجاشر *c* وابتدأ بتذريع الارض وتكسيرها كان ابتداؤه بذلك من مدينة رومية الى المشرق منها والى المغرب والى الشمال والى الجنوب ثم بدأ بفرش المبلّطة واقبل بها على وسط دائرة الارض الى ان بلغ بها ارض الاندلس وركزها شرقىّ قرطبة

a) En espagnol *azulejo*. La. porte الزليجى, G. et S. الزلنجى, mais la véritable leçon ne saurait être douteuse, et elle se trouve dans P. *b*) G. P. فرحة. *c*) Cette leçon se trouve dans le man. O. Les autres man. portent بحاشر.

ببابها المتطامن المعروف بباب عبد الجبّار ثم ابتدأها من باب القنطرة قبليّ قرطبة الى شَقُنْدة الى اسْتجة الى قَرْمونة الى البحر واقام على كل ميل ساريةً قد نقش عليها اسمه من مدينة رومية وذُكر انه اراد تسقيفها فى بعض الاماكن راحةً للمخاطرين من وهج الصيف وهول الشتاء ثم توقّع ان يكون ذلك فسادا فى الارض وتغييرا للطُرق عند انتشار اللصوص واهل الشرّ فيها فى المواضع المنقطعة النائية عن العمران فتركها على ما هى عليه وذكر فى هذه الآثار صنم قادس الذى ليس له نظير الا الصنم الذى بطرف جلّيقية وذكر قنطرة طليطلة وقنطرة السيف وقنطرة ماردة وملعب مُرْبيطَر، قال ابن سعيد وفى الاندلس عجائب منها الشجرة التى لولا كثرة ذكر العامّة لها بالاندلس ما ذكرتُها فان خبرها عندهم شائع متواتر وقد رايتُ من يشهد بخبرتها ورويتها وهم جمّ غفير وهى شجرة زيتون تصنع الورقَ والنَوْر والثمر من يوم واحد معلوم عندهم من ايام السنة الشمسيّة، ومن العجائب الساريةُ التى بغرب الاندلس ما يزعم الجمهور ان اهل ذلك المكان اذا احبّوا المطر اقاموها فيمطر الله جهتهم، ومنها صنم قادس طولَ ما كان قائما كان يمنع الريح ان تهبّ فى البحر المحيط فلا تستطيع المراكبُ الكبار على الجرى فيه فلما هُدم فى اول دولة بنى عبد المومن صارت السفنُ تجرى فيه، وبكورة قَبْرة مغارة ذكرها الرازى وحكى انه يقال انها باب من ابواب الريح لا يُدْرَك لها قعرٌ، وذكر الرازى ان فى جهة قلعة ورد جبلا فيه شقّ فى صخرة داخلَ كهف فيه فاسُ حديد متعلّق من الشقّ الذى فى الصخرة تراه العيونُ وتلمسه اليدُ ومن رام اخراجَه لم يُطِقْ ذلك واذا دفعتْه *a* اليدُ ارتفع وغاب فى شقّ الصخرة ثم يعود الى حالته، وامّا ما اورده ابن بشكوال من الاحاديث والآثار فى شان فضل الاندلس والمغرب فقد ذكرها ابن سعيد فى كتابه المغرب ولم اذكرْها انا والله اعلم بحقيقة امرها وكذلك ما ذكر ابن بشكوال من ان فتح القسطنطينية يكون من الاندلس قال وذكره سَيْف عن عثمن بن عفّان رضّه والله اعلم بصحّة ذلك ولعلّ المراد بالقسطنطينية رومية وربّما اعلم قال سيف وذلك ان عثمن ندب جيشا من القيروان الى الاندلس وكتب لهم امّا بعد فان فتح القسطنطينية انما يكون من قِبَل الاندلس فانّكم ان فتحتموها كنتم الشركاء فى الاجر والسلام انتهى

a) S. La. O. رفعتْه.

قلت عُهْدةُ هذه الامور على ناقلها وانا برئ من عهدتها وان ذكرها ابن بشكوال وصاحب المغرب وغير واحد فانها عندى لا اصلَ لها واىّ وقت بعث عثمن الى الاندلس مع ان فتحها بالاتّفاق انما كان زمانَ الوليد وانما ذكرتُ هذا للتنبيه عليه لا غيرُ والله اعلم، قال ابن سعيد وميزان وصف الاندلس انها جزيرة قد احدقت بها البحارُ فاكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة فمتى سافرتَ من مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع والصحارى فيها معدومة وممّا اختُصّت به ان قراها فى نهاية من الجمال لتصنّع اهلها فى اوضاعها وتبييضها لئلّا تنبو العيونُ عنها فهى كما قال الوزير ابن الحمارة

لاحتْ قُراها بين خضرة ايكها كالدرّ بين زبرجد مكنونِ

ولقد تعجّبتُ لما دخلتُ الديار المصريّة من اوضاع قراها التى تكدر العين بسوادها وبضيق الصدر بضيق اوضاعها وفى الاندلس جهات تقرب فيها المدينةُ العظيمة الممصّرة من مثلها والمثال فى ذلك انك اذا توجّهتَ من اشبيلية فعلى مسيرة يوم وبعض آخر مدينةُ شريش وهى فى نهاية من الحضارة a والنضارة ثم تليها الجزيرةُ الخضراء كذلك ثم مالقة وهذا كثير فى الاندلس ولهذا كثرت مدنُها واكثرها مسوّر من اجل الاستعداد للعدوّ فيحصل لها بذلك التشييد والتزيين ومن b حصونها ما يبقى فى محاصرة c العدوّ ما ينيف على ٢٠ سنة لامتناع معاقلها ودُرْبة اهلها على الحرب واعتيادهم لمحاربة d العدوّ بالطعن والضرب وكثرة ما تُخْزَن e الغَلّةُ فى مطاميرها فمنها ما يطول صبرُه عليها نحوًا f من مائة سنة قال ابن سعيد ولذلك ادامها الله من وقت الفتح الى الآن وان كان العدوّ قد نقصها من اطرافها وشارَكَ فى اوساطها ففى البقيّة متعة عظيمة فأرض بقى فيها مثلُ اشبيلية وغرناطة ومالقة والمريّة وما ينضاف الى هذه الحواضر العظيمة الممصّرة الرجاء فيها قوىّ بحول الله وقوّته انتهى، قلت قد خاب ذلك الرجا، وصارت تلك الارجاء للكفر مُفْرَجا، ونسأل الله الذى جعل للهمّ فرجا، وللضيق مخرجا، ان يعيد اليها كلمة الاسلام حتى يستنشق اهلُه منه فيها ارجا،، آمين، ومن غرائب الاندلس البيلتان g اللتان بطليطلة صنعهما عبد الرحمن لما سمع

---

a) Les man. portent الخضارة. *b*) Les man. portent وفى. *c*) G. P. La. O. محاربة. *d*) G. P. La. O. لمجاورة. *e*) O. تتخزن, G. تتحزن. La. تنحزن. *f*) La. O. اكثر. *g*) Voyez sur le mot بيلة mon glossaire sur Ibn-Djobair, p. 18.

بخبر الطلسم الذى بمدينة ارين[a] من ارض الهند وقد ذكره المسعودى وانه يدور باصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس فصنع هو هاتين البيلتين خارجَ طليطلة فى بيت مجوَّف فى جوف النهر الاعظم فى الموضع المعروف بباب الدبّاغين ومن عجبهما انهما تمتلئان وتنحسران[b] مع زيادة القمر ونقصانه وذلك ان اولَ الهلال يخرج فيهما يسيرُ ماء فاذا اصبح كان فيهما[c] سُبْعهما من الماء فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصفُ سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر ٧ ايام وسبعةُ ليال فيكون فيهما نصفهما ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع فى اليوم والليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر فاذا كان فى ليلة خمس عشرة[d] واخذ القمرُ فى النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع حتى يتمّ القمرُ ٢١ يوما فينقص منهما نصفهما ولا يزال كذلك ينقص فى كل يوم وليلة نصف سبع فاذا كان ٢٩ من الشهر لا يبقى فيهما شىء من الماء واذا تكلّف احد حين تنقصان[e] ان يملأهما وجلب لهما الماء ابتلعتا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما الا ما كان فيهما فى تلك الساعة وكذا لو تكلّف عند امتلائهما افراغَهما ولم يُبْقِ فيهما[f] شيئًا ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملأهما فى الحين وهما اعجب من طلسم الهند لان ذلك فى نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار واما هاتان فليستا[g] فى مكان الاعتدال ولم تزالا فى بيت واحد حتى ملك النصارى دمّرهم الله طليطلة فاراد الفنش ان يعلم حركاتهما فامر ان تقلع الواحدةُ منهما لينظر من اين ياتى اليهما[h] الماء وكيف الحركة فيهما[i] فقلعت فبطلت حركتُها[j] وذلك سنة ٥٢٨ وقيل ان سبب فسادهما حُنَيْن اليهودى الذى جلب حمام الاندلس كلها الى طليطلة فى يوم واحد وذلك سنة ٥٢٧ وهو الذى اعلم الفنشَ ان ولده سيدخل قرطبة ويملكها فاراد ان يكشف حركة البيلتين فقال له ايها الملك انا اقلعهما واردُّهما احسنَ ممّا كانتا وذلك انّى اجعلهما تمتلئان بالنهار وتنحسران فى الليل فلما قلعتا[k] لم يقدر على ردّهما[l] وقيل انه قلع واحدةً ليسرق منها الصنعة فبطلت ولم تزل الاخرى تعطى حركتها والله اعلم

a) Lisez أُزِّيْن. b) Les man. portent يمتليان وينحسران. c) Faut-il ajouter ربع ? d) Les man. portent خمسة عشر. e) Les man. portent ينقصان. f) Les man. portent منهما. g) Les man. portent هذان فليسا. h) S. La. O. اليهما. i) S. La. O. فيهما. j) La. O. حركتهما. k) Les man. portent قلعت. l) G. P. S. La. ردها.

بحقيقة الحال، وقال بعضهم فى اشبيلية انها قاعدة بلاد الاندلس وحاضرتها ومدينة الادب واللهو والطرب وهى على ضفّة النهر الكبير عظيمة الشان طيّبة المكان لها البرّ المديد والبحر الساكن والوادى العظيم وهى قريبة من البحر المحيط الى ان قال ولولم يكن لها من الشرف الا موضع الشَرَف المقابل لها المُطلّ عليها المشهور بالزيتون الكثير الممتدّ فراسخ فى فراسخ لكفاها a وبها منارة فى جامعها بناها يعقوب المنصور ليس فى بلاد الاسلام اعظم بناء منها وعسل الشرف يبقى حينا ولا يترمّل ولا يتبدّل وكذلك الزيت والتين، وقال ابن مفلح ان اشبيلية عروس بلاد الاندلس لان تاجها الشرف وفى عنقها سمط النهر الاعظم وليس فى الارض اتمّ حسنا من هذا النهر يضاهى دجلةَ والفرات والنيل تسير القواربُ فيه للنزهة والصيد تحت ظلال الثمار وتغريد الاطيار ۲۴ ميلا ويتعاطى الناسُ السُرُج من جانبَيْه ۱۰ فراسخ فى عمائر متّصلة ومنازه مرتفعة وابراج مشيّدة وفيه من انواع السمك ما لا يحصى وبالجملة فهى قد حازت البرّ والبحر والزرع والضرع وكثرة الثمار من كل جنس وقصب السكّر ويجمع فيها b القرمز الذى هو اجلّ من اللكّ الهندى وزيتونها يخزن تحت الارض اكثرَ من ۳۰ سنة ثم يُعتصر فيخرج منه اكثر مما يخرج منه وهو طرىّ انتهى ملخّصا، ولمّا ذكر ابن اليَسَع الاندلس قال لا يتزوّد فيها احد ماء حيث سلك لكثرة انهارها وعيونها وربّما لقى المسافرُ فيها فى اليوم الواحد ۴ مداين ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى وهى بطاح خُضْر وقصور بيض انتهى، قال ابن سعيد وانا اقول كلاما فيه كفايةٌ منذ خرجتُ من جزيرة الاندلس وطُفْتُ فى برّ العدوة ورايتُ مدنها العظيمة كمرّاكش وفاس وسَلَا وسبتة ثم طفتُ فى افريقية وما جاورها من المغرب الاوسط فرايتُ بجاية وتونس ثم دخلتُ الديار المصريّة فرايتُ الاسكندرية والقاهرة والفسطاط ثم دخلتُ الشام فرايتُ دمشق وحَلَبًا وما بينهما لم أَرَ ما يُشْبِه رونقَ الاندلس فى مياهها واشجارها الا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام وفى حماة مسحةٌ اندلسيّة ولم ار ما يشبهها فى حسن المبانى والتشييد والتصنيع الا ما شُيّد بمرّاكش فى دولة بنى عبد المومن وبعض اماكن فى تونس وان كان الغالبُ على تونس البناء بالحجارة كالاسكندرية ولكن الاسكندرية افسَحُ شوارعَ وابسط وابدع ومبانى حلب داخلة فيما يُستحسن

---

a) J'ai ajouté ce mot, qui manque dans tous les man. *b*) Les man. portent منها.

لانها من حجارة صلبة وفى وضعها وترتيبها اتقانٌ انتهى، واحسن ما جاء من النظم فى الاندلس قول ابن سفر المَرينى والاحسان له عادة[a]

فى ارض اندلس تلتذّ نعماء ... ولا يفارق فيها القلبَ سَرّاء
وليس فى غيرها بالعيش منتفعٌ ... ولا تقوم بحقّ الانس صهباء
واين يُعْدَل عن ارض تحضّ بها ... على المُدامة امواهٌ وافياء
وكيف لا تُبْهج الابصارَ رويتُها ... وكلُّ روض بها فى الوشى صنعاء
انهارها فضّة والمسك تربتُها ... والخزّ روضتها والدرّ حصباء
وللهواء بها لطف يرقّ به ... من لا يرقّ وتبدو منه اهواء
ليس النسيم الذى يهفو بها سحرًا ... ولا انتثارُ لآلى الطلّ انداء
وانّما ارج الندّ استشاره[a] بها ... فى ماء ورد فطابتْ منه ارجاء
واين يبلغ منها ما أُصنّفه ... وكيف يحوى الذى حازته احْصاء
قد مُيّزتْ من جهات الارض حين بدتْ ... فريدةً وتولّى مَيْزَها السّماء
دارتْ عليها نطاقًا أَبْحُرٌ خفقتْ ... وجدًا بها اذ تبدّتْ وهى حسناء
لذاك يبسم فيها الزهرُ من طرب ... والطير تشدو وللاغصان اصْغاء
فيها خلعتُ عِذارى ما بها عِوَضٌ ... فهى الرياض وكل الارض صحراء

ولله درّ ابن خفاجة حيث يقول

انّ للجنّة بالاندلس الابيات[b]

وقد تقدّمت هذه الابيات قال ابن سعيد قال ابن خفاجة هذا وهو بالمغرب الاقصى فى برّ العدوة ومنزله فى شرق الاندلس بجزيرة شُقْر، وقال ابن سعيد فى المُغْرب ما نصّه قواعد من كتاب الشُهْب الثاقبة، فى الانْصاف بين المشارقة والمغاربة،، اول ما نقدّم الكلام على قاعدة السلطنة فنقول انها مَعَ ما بايدى عُبّاد الصليب منها اعظمُ سلطنة كثرت ممالكُها وتشعّبتْ فى وجوه الاستظهار للسلطان اعانتُها ونَدَعُ كلامنا فى هذا الشان وننقل ما قاله ابن حَوْقَل النَصيبى[c] فى كتابه لما دخلها فى مدّة خلافة بنى مروان بها فى المائة الرابعة وذلك انه لما وصفها قال وامّا جزيرة الاندلس فجزيرة كبيرة طولها دون الشهر فى عرض نيف وعشرين مرحلة تغلب عليها المياهُ الجارية

a) S. La. O. استثار. *b*) Mêmes vers que plus haut, p. ١٠٥. Variantes: vs. 1. مجتلى مراى, vs. 2. ودجا ظلمتها. *c*) Man. d'Oxford, Hunt. 538, p. 85 (H.); man. de Leyde, p. 38 (Leyd.).

والشجر والثمر والرخص والسعة فى الاحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر الى اسباب التملّك الغاشية * فيها ولما هى به من اسباب رغد[a] العيش وسعته وكثرته يملك ذلك منهم مهينُهم[b] وارباب صنائعهم[c] لقلّة مونتهم وصلاح معاشهم وبلادهم ثم اخذ فى عظم سلطانها ووصف وفور جباياته، وعظم مرافقه وقال فى اثناء ذلك وممّا يُدَلّ بالقليل منه على كثيره ان سكّة دار ضربه على الدراهم والدنانير دخلها[d] فى كل سنة مائتا الف دينار * وصرف الدينار ١٧ درهما[e] هذا الى صدقات البلد وجباياته وخراجاته وأعْشاره وضماناته[f] والاموال المرسومة على المراكب الواردة والصادرة *وغير ذلك[g]، وذكر ابن بشكوال ان جباية الاندلس بلغت فى مدّة عبد الرحمن الناصر خمسة آلاف الف دينار واربعمائة الف وثمانين الفا ثم من السوق والمستخلَص سبعمائة الف وخمسة وستّون الف دينار، ثم قال ابن حوقل ومن اعاجب ما فى هذه الجزيرة بقاؤها على من هى فى يده مع صِغَر احلام اهلها وضَعَة نفوسهم ونقص عقولهم وبُعْدهم من الباس والشجاعة والفروسيّة والبسالة ولقاء الرجال ومراس الانجاد والابطال * مع علم امير المومنين بمحلّها[h] فى نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعَمها ولذّاتها، قال على بن سعيد مكمّل هذا الكتاب لم أَرَ بُدًّا من اثْبات هذا الفصل وان كان على اهل بلدى فيه من الظلم والتعصّب ما لا يُخْفَى ولسانُ الحال فى الردّ أَنْطَقُ من لسان البلاغة وليت شعرى اذ سلب اهل هذه الجزيرة العقولَ والآراءَ والهِمَمَ والشجاعةَ فمَنَ الذين دبّروها بآرائهم وعقولهم مع مراصدة اعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيف ومَنَ الذين حموها ببسالتهم من الامم المتّصلة بهم فى داخلها وخارجها نحو ٣ اشهر على كلمة واحدة فى نصرة الصليب وانّى لَأَعْجَبُ منه اذ كان فى زمان قد دلفتْ فيه عُبّادُ الصليب الى الشام والجزيرة وعاثوا كلَّ العيث فى بلاد الاسلام حيث الجمهور والقبّة العظمى حتى انهم دخلوا مدينة حلب *وما ادراك[i] وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متّصلة بها من كل جهة الى غير ذلك ممّا هو مسطور فى التواريخ ومن اعظم ذلك واشدّه انهم كانوا

---

a) H. et Leyd. فى اكثرهم ولما هم به من رغد. *b*) H. et Leyd. مهنهم. *c*) H. et Leyd. ضياعهم. *d*) H. et Leyd. ضريبتها. *e*) Au lieu de ces mots on lit dans H. et Leyd. تكون عن صرف سبعة عشر بدينار ثلثة الاف الف درهم واربع مائة الف درهم. *f*) H. et Leyd. ajoutent ومراصده. *g*) Au lieu de ces mots on lit dans H. et Leyd. والجوالى والرسوم على بيوع الاسواق. *h*) H. et Leyd. (H. محلها) بمحلها السلام عليهم موالينا وعلم. *i*) Ces deux mots me semblent altérés.

يتغلّبون على الحصن من حصون الاسلام التى يتمكّنون بها من بسائط بلادهم فيَسْبون ويأسرون فلا تجتمع هِمَمُ الملوك المجاورة على حَسْم الداء فى ذلك وقد يستعين به بعضُهم على بعض فيتمكّن من ذلك الداء الذى لا يطبّ وقد كانت جزيرة الاندلس فى ذلك الزمان بالضدّ من البلاد التى ترك وراء ظهره وذلك موجود فى تاريخ ابن حيّان وغيره وانما كانت الفتنةُ بعد ذلك والأَعْلامُ بيّنة والطريقُ واضح فلنرجعْ الى ما نحن بسبيله، كانت سلطنةُ الاندلس فى صدر الفتح على ما تقدّم من اختلاف الوُلاة عليها من سلاطين افريقية واختلافُ الوُلاة داعٍ الى الاضطراب وعدم تأثّل الاحوال وترتيب[a] الضخامة فى الدولة ولما صارت الاندلس لبنى اميّة وتوارثوا ممالكها وانقاد اليهم كلُّ ابىّ فيها واطاعهم كلُّ عصىّ عظمت الدولةُ بالاندلس وكبرت الهممُ وترتّبت الاحوالُ وترتبت القواعد وكانوا صدرًا من دولتهم يخطبون لانفسهم بأَبْناء الخلائف ثم خطبوا لانفسهم بالخلافة وملكوا من برّ العدوة ما ضخمت به دولتُهم وكانت قواعدُهم اظْهار الهيبة وتمكُّن الناموس من قلوب العالَم ومراعاة احوال الشرع فى كل الامور وتعظيم العلماء والعمل باقوالهم واحْضارهم فى مجالسهم واستشارتهم ولهم حكايات فى تاريخ ابن حيّان منها ما هو مذكور من توجُّه الحكم على خليفتهم او على ابنه او احد حاشيته المختصّين وانهم كانوا فى نهاية من الانقياد للحقّ لهم او عليهم وبذلك انضبط لهم امرُ الجزيرة ولما خرقوا هذا الناموس كان اول ما تهتّك امرهم ثم اضمحلّ وكانت القابُ الأُوَل منهم الامراء ابناء الخلائف ثم الخلفاء امراء المومنين الى ان وقعت الفتنةُ بحسد بعضهم لبعض وابتغاء الخلافة من غير وجهها الذى رُتّبت عليه فاستبدّتْ ملوكُ الممالك الاندلسية ببلادها وسُمّوا بملوك الطوائف واستبدّوا وكان فيهم مَنْ خطب للخلفاء المروانيين وان لم تبقَ لهم خلافة ومنهم من خطب للخلفاء العبّاسيين المجمّع على امامتهم وصار ملوك الطوائف يتباهَوْن فى احوال الملك حتى فى الالقاب فآل امرُهم الى ان تلقّبوا بنعوت الخلفاء وترقّعوا الى طبقات السلطنة العظمى وذلك بما فى جزيرتهم من اسباب الترفة والضخامة التى تتوزّع على ملوك شتى فتكفيهم وتنهض بهم للمباهاة ولأَجل توثّبهم على النعوت العبّاسية قال ابن رشيق القيروانى

ممّا يزهّدنى فى ارض اندلس تلقيبُ معتضد فيها ومعتمد

a) G. P. S. وتربية.

القابُ مملكة فى غير موضعها   كالهرّ يحكى انتفاخا صولةَ الاسد

وكان عبّاد بن محمد بن عبّاد قد تلقّب بالمعتضد واقتفى سيرةَ المعتضد العباسى امير المومنين وتلقّب ابنُه محمد بن عبّاد بالمعتمد وكانت لبنى عبّاد مملكةُ اشبيلية ثم انضاف اليها غيرها وكان خلفاء بنى امية يظهرون للناس فى الاحيان على ابّهة الخلافة وقانون لهم فى ذلك معروف الى ان كانت الفتنةُ فازدرت العيونُ ذلك الناموسَ واستخفّتْ به وقد كان بنو حَمُّود من ولد ادريس العَلَوىّ الذين توثّبوا على الخلافة فى اثناء الدولة المروانية بالاندلس يتعاظمون وياخذون انفسهم بما ياخذها خلفاء بنى العبّاس وكانوا اذا حصرهم منشدٌ لمدح او من يحتاج الى الكلام بين ايديهم يتكلّم من وراء حجاب والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقول له الخليفة ولما حصر ابن مقانا الاشبونى أَمام حاجب ادريس بن يحيى الحمّودى الذى خُطب له بالخلافة فى مالقة فانشده قصيدته المشهورة النونيّة التى منها قوله

وكانّ الشمس لما اشرقتْ   فانثنتْ عنها عيونُ الناظرينْ
وجهُ ادريس بن يحيى بن علـــىّ بن حمّود امير المومنينْ

وبلغ فيها الى قوله

انظرونا نقتبسْ من نوركم   انّه من نور ربّ العالمينْ

رفع الخليفةُ الستر بنفسه وقال انظرْ كيف شئتَ وانبسط مع الشاعر واحسن اليه ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسّطون للخاصّة وكثير من العامّة ويُظْهِرون^a^ مداراةَ الجند وعوامّ البلاد وكان اكثرهم يحاضر العلماء والادباء ويحبُّ ان يشهر عنه ذلك عند مُباريه فى الرياسة ومذ وقعت الفتنةُ بالاندلس اعتاد اهلُ الممالك المتفرّقة الاستبدادَ عن امام الجماعة وصار^b^ كل جهة مملكة مستقلّة يتوارث اعيانُها الرياسةَ كما يتوارث ملوكُها الملكَ ومرنوا على ذلك فصعب ضبطُهم الى نظام واحد وتمكّن العدوُّ منهم بالتفرّق وعداوة بعضهم لبعض بقبيح المنافسة والطمع الى ان انقادوا الى عبد المومن وبنيه وتلك القواعد فى رءوسهم كامنة والثوّار فى المعاقل تثور^d^ وتروم الكرّةَ الى ان ثار ابن هُود وتلقّب بالمتوكّل ووجد قلوبا منحرفة عن دولة برّ العدوة مهيّأةً للاستبداد فملكها بأيسر محاولة مع الجهل المفرط وضعف الراى وكان^c^ مع العامّة كانه صاحب

---

a) Ce mot manque dans G. et P.   b) G. P. S. لمداراة.   c) La. O. وكان فى.
d) Cette leçon se trouve dans L.; La. دمور (تثور), G. P. O. تترو, S. قترو.

شَعْوَذة يمشي في الاسواق ويضحك في وجوههم ويبادرهم بالسؤال وجاء للناس منه ما لم يعتادوه من سلطان فاعجب ذلك سفهاء الناس وعامّتهم العمياء وكان كما قيل

امورٌ يضحك السفهاء منها ويبكى a من عواقبها الحليمُ b

فآل ذلك الى تلف القواعد العظيمة وتملّك الامصار الجليلة وخروجها من يد الاسلام والضابطُ فيما يقال في شان اهل الاندلس في السلطان انهم اذا وجدوا فارسا يبرع الفرسانَ او جوادا يبرع الاجوادَ تهافتوا في نصرته ونصبوه ملكا من غير تدبير في عاقبة آل الامرُ الى ما يؤول اليه وبعد ان يكون الملك في مملكة قد تُوُورثَتْ وتُدُووِلَتْ ويكون في تلك المملكة قائدٌ من قُوّادها قد شهرت عنه وقائعُ في العدوّ وظهر منه كرمُ نفس للاجناد ومراعاةٌ قدّموه ملكا في حصن من الحصون ورفضوا عيالهم واولادهم ان كان لهم ذلك بكرسيّ الملك ولم يزالوا في جهاد وتلاف انفس حتى يظفر صاحبُهم بطلبته واهلُ المشرق أَصْوَبُ رايا منهم في مراعاة نظام الملك والمحافظة على نصابه لئلّا يدخل الخَلَلُ الذي يقضي باختلال القواعد وفساد الترتيب c وحلّ الاوضاع ونحن نمثّل في ذلك بما شاهدناه لما كانت هذه الفتنةُ الأخيرة بالاندلس تمخّضتْ عن رجل من حصن يقال له أَرْجُونة ويعرف الرجل بابن الاحمر كان يُكْثر مغاورةَ العدوّ من حصنه وظهرتْ له مخايلُ وشواهد على الشجاعة الى ان سار اسمه في الاندلس وآل ذلك الى ان قدّمه اهلُ حصنه على انفسهم ثم نهض فملك قرطبة العظمى وملك اشبيلية وقتل ملكها الباجيّ وملك جيّان احصنَ بلد بالاندلس واجلّه قدرًا في الامتناع وملك غرناطة ومالقة وسمّوه بامير المسلمين فهو الآن المُشار اليه بالاندلس والمعتمَد عليه، وامّا قاعدة الوزارة بالاندلس فانها كانت في مدّة بني اميّة مشتركة في جماعة يعيّنهم صاحبُ الدولة للاعانة والمشاورة ويخصّهم بالمجالسة ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير فيسمّيه بالحاجب وكانت هذه المراتب لضبطها عندهم كالمتوارثة في البيوت المعلومة لذلك الى ان كانت ملوكُ الطوائف فكان الملك منهم لعظَم اسم الحاجب في الدولة المروانية وأنّه كان نائبا عن خليفتهم يسمّى بالحاجب ويرى ان هذه السمَةَ اعظمُ ما تُنُوفِسَ فيه وظُفِر به وهي موجودة في امداح شعرائهم وتواريخهم وصار اسمُ الوزارة عامًّا لكل من يجالس الملوكَ ويُختصّ بهم وصار الوزير

---

a) La. O. ويخشى. *b*) La. O. اللبيب. *c*) Les man. portent التربية.

الذى ينوب عن الملك يُعرف بذى الوزارتين واكثرَ ما يكون فاضلا فى علم الادب وقد لا يكون كذلك بل عالما بامور الملك خاصّةً، وامّا الكتابة فهى على ضربَيْن اعلاهما كاتب الرسائل وله حظٌّ فى القلوب والعيون عند اهل الاندلس واشرفُ اسمائه الكاتب وبهذه السمة يخطّطه من يعظّمه فى رسالة واهل الاندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظةً فان كان ناقصا عن درجات الكمال لم ينفعْه جاهُه ولا مكانُه من سلطانه عن تسلُّط الالسن فى المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه والكاتبُ الآخر كاتب الزمام هكذا يعرفونْ كاتبَ الجهْبذة ولا يكون بالاندلس وبرّ العدوة لا نصرانيّا ولا يهوديّا البتّة اذ هذا الشغل نبيهٌ يحتاج الى صاحبه عظماء الناس ووجوههم وصاحبُ الاشغال الخراجيّة فى الاندلس اعظم من الوزير واكثر أتْباعا واصحابا وأَجْدَى منفعةً فاليه تميل الاعناقُ ونحوه تمدّ الاكفُّ والاعمال مضبوطة بالشهود والنُظّار ومع هذا ان تأثّلت حالتُه واغترّ بكثرة البناء والاكتساب نُكِبَ وصُودِرَ وهذا راجع الى تقلُّب الاحوال وكيفيّة السلطان، وامّا خطّة القضاء بالاندلس فهى اعظم الخُطَط عند الخاصّة والعامّة لتعلُّقها بامور الدين وكون السلطان لو توجّه عليه حكمٌ حضر بين يدى القاضى هذا وصفُها فى زمان بنى اميّة ومن سلك مسلكَهم ولا سبيل ان يتسمَّى بهذه السمة الا من هو والٍ للحكم الشرعىّ فى مدينة جليلة وان كانت صغيرةً فلا يُطلق على حاكمها الا مسدّدٌ خاصّةً وقاضى القُضاة يقال له قاضى القضاة وقاضى الجماعة، وامّا خطّة الشُرْطة بالاندلس فانها مضبوطة الى الآن معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبُها فى السُن العامّة بصاحب المدينة وصاحب الليل واذا كان عظيم القدر عند السلطان كان له القتلُ لمن يَجِبُ عليه دون استيذان للسلطان وذلك قليل ولا يكون الا فى حضرة السلطان الاعظم وهو الذى يحدُّ على الزنا وشُرْب الخمر وكثير من الامور الشرعيّة راجع اليه قد صارت تلك عادة تقرّر عليها رضى القاضى وكان خطّة القاضى اوقر وأتْقَى عندهم من ذلك، وامّا خطّة الاحتساب فانها عندهم موضوعة فى اهل العلم والفطن وكان صاحبها قاضيا a والعادة فيه ان يمشى بنفسه راكبا على الاسواق واعوانُه معه وميزانه الذى يَزِنُ به الخبز فى يد b احد الاعوان لان الخبز عندهم معلوم الاوزان للرُبْع من الدرهم رغيف على

a) Les man. portent قاض. b) G. P. S. ميزان.

وزن معلوم وكذلك للثمن وفى ذلك من المصلحة ان يرسل المبتاعُ الصبىَّ الصغير او الجارية الرعناء فيستويان فيما ياتيانه به من السوق مع الحاذق فى معرفة الاوزان وكذلك اللحم يكون عليه ورقة بسعره ولا يجسر الجزّار ان يبيع بدون ما حدّ له المحتسبُ فى الورقة ولا تكاد تخفى خيانتُه فان المحتسب يدسّ^a عليه صبيًّا او جارية يبتاع احدُهما منه ثم يختبر المحتسبُ فان وجد نقصا قاس على ذلك حالَه مع الناس فلا تسألْ عمّا يلقى وان كثر ذلك منه ولم يَتُبْ بعد الضرب والتجريس فى الاسواق نُفى من البلد ولهم فى اوضاع الاحتساب قوانين يتدارسونها كما تتدارس احكامُ الفقه لانها عندهم تدخل فى جميع المبتاعات وتتفرّع الى ما يطول ذكره، وامّا خطّة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب اصحابَ أرْباع فى المشرق فانهم يعرفون فى الاندلس بالدرابين لان بلاد الاندلس لها دُروب باغلاق تُغْلَق بعد العتمة ولكل زقاق بائتٌ فيه له سراج معلّق وكلب يسهر وسلاح مُعَدّة وذلك لشطارة عامّتها وكثرة شرّهم واغيائهم فى امور التلصّص الى ان يظهروا على المَبانى المشيّدة ويفتحوا الاغلاق الصعبة ويقتلوا صاحب الدار خوفَ ان يقرّ عليهم او يطالبهم بعد ذلك ولا تكاد فى الاندلس تخلو من سماع دارُ فلان دُخلت البارحةَ وفلانٌ ذبحه اللصوصُ على فراشه وهذا يرجع التكثيرُ منه والتقليل الى شدّة الوالى ولينه ومع افْراطه فى الشدّة وكون سيفه يقطر دمًا فان ذلك لا يُعدم وقد آل الحالُ عندهم الى ان قتلوا على عنقود سرقه شخصٌ من كرم وما اشبه ذلك فلم ينتهِ اللصوصُ، وامّا قواعد اهل الاندلس فى ديانتهم فانها تختلف بحسب الاوقات والنظر الى السلاطين ولكن الاغلب عندهم اقامةُ الحدود وانْكار التهاوُن بتعطيلها وقيام العامّة فى ذلك وانكاره ان تهاون فيه اصحابُ السلطان وقد يَلِجُ السلطانُ فى شىء من ذلك ولا ينكره فيدخلون عليه قصرَه المشيَّد ولا يَعْبَأُون بخيله ورَجْله حتى يخرجوه من بلدهم وهذا كثير فى اخبارهم واما الرجم بالحجر للقُضاة والوُلاة للاعمال اذا لم يعدلوا فكلّ يوم وطريقةُ الفقر على مذهب اهل الشرق فى الدَرْوزة التى تكسل عن الكدّ^b وتُحْوِج الوجوهَ للطلب فى الاسواق فمستقبَحةٌ عندهم الى نهاية واذا راوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبّوه واهانوه فضلًا عن ان يتصدّقوا عليه فلا تَجِدُ بالاندلس سائلا الا ان

a) Les man. portent يغرس. b) G. La. الكدر.

يكون صاحبَ عذر، وامّا حال اهل الاندلس فى فنون العلم فتحقيقُ الانصاف فى شانهم فى هذا الباب انهم احرَصُ الناس على التميّز فالجاهل الذى لم يوفّقْه الله للعلم يجهد ان يتميّز بصنعة ويَرْبأُ بنفسه ان يُرى فارغًا عالةً على الناس لان هذا عندهم فى نهاية القبح والعالم عندهم معظَّم من الخاصّة والعامّة يُشار اليه ويُحال عليه وينتبِّه a قدرُه وذكرُه عند الناس ويُكرَّم فى جوار او ابتياع حاجة وما اشبه ذلك ومع هذا فليس لاهل الاندلس مدارسُ تُعينهم على طلب العلم بل يقرءون جميعَ العلوم فى المساجد بأُجْرة فهم يقرءون لان يعلّموا لا لان ياخذوا جاريًا فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على ان يترك الشغل الذى يستفيد منه ويُنْفق من عنده حتى يعلم وكل العلوم لها عندهم حظّ واعتناء الا الفَلْسَفة والتنجيم فان لهما حظًّا عظيما عند خواصّهم ولا يتظاهر بهما خوفَ العامّة فانه كلّما قيل فلانٌ يقرأ الفلسفة او يشتغل بالتنجيم اطلقت عليه العامّةُ اسمَ زنديق وقيّدت عليه انفاسه فان زلّ فى شبهة رجموه بالحجارة او حرقوه قبل ان يَصل امرُه للسلطان او يقتله السلطان تقرّبًا لقلوب العامّة وكثيرًا ما يامر ملوكهم باحراق كُتُب هذا الشان اذا وُجدت وبذلك تقرّب المنصور بن ابى عامر لقلوبهم اولَ نهوضه وان كان غيرِ خالٍ من الاشتغال بذلك فى الباطن على ما ذكره الحجارى والله اعلم وقراءةُ القرآن بالسبع وروايةُ الحديث عندهم رفيعة وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم الا مذهب مالك وخواصُّهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ملوكهم ذوى الهِمَم فى العلوم وسمةُ الفقيه عندهم جليلة حتى ان الملثّمين كانوا يسمّون الامير العظيم منهم الذى يريدون تنويهه بالفقيه وهى الآن بالمغرب بمنزلة القاضى بالمشرق وقد يقولون للكاتب والنحوىّ فقيه لانها عندهم ارفَعُ السمات وعلمُ الاصول عندهم متوسّط الحال والنحوُ عندهم فى نهاية من علوّ الطبقة حتى انهم فى هذا العصر فيه كاصحاب عصر الخليل وسيبويه لا يزداد مع هرم الزمان الا جدّةً وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكلّ عالم فى اىّ علم لا يكون متمكّنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائقُ فليس عندهم بمستحقّ للتمييز ولا سالم من الازدراء مع ان كلام اهل الاندلس الشائع فى الخواصّ والعوامّ كثيرُ الانحراف عمّا

---

a) S. وينتبه, G. وينبه.

تقتضيه اوضاعُ العربيّة حتى لو ان شخصا من العربِ سمع كلامَ الشَلَوْبينىّ ابى على المُشار اليه بعلم النحو فى عصرنا الذى غرّبت تصانيفُه وشرّقت وهو يُقْرِئُ درسَه لَضحك بمِلْءِ فيه من شدّة التحريف الذى فى لسانه والخاصّ منهم اذا تكلّم بالاعْراب واخذ يجرى على قانون النحو استثقلوه واستبردوه ولكن ذلك مُراعًى عندهم فى القرآت والمحاطَبات فى الرسائل وعلمُ الادب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات انبَلُ علم عندهم وبه يُتقرّب من مجالس ملوكهم واعلامهم ومن لا يكون فيه ادب من علمائهم فهو غُفْلٌ مستثقَل والشعر عندهم له حظّ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهةٌ ولهم عليهم وظائفُ والمُجيدون منهم ينشدون فى مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ويُوقَع لهم بالصِلات على اقدارهم الا ان يختلّ الوقتُ ويغلب الجهلُ فى حينٍ مّا ولكن هذا الغالبُ واذا كان الشخص بالاندلس نحويًّا او شاعرا فانه يعظم فى نفسه لا محالةَ ويستخف *a* ويُظْهِر العُجْبَ عادةً قد جُبلوا عليها، وامّا زىّ اهل الاندلس فالغالب عليهم تركُ العمائم لا سيّما فى شرقِ الاندلس فان اهل غربها لا تكاد ترى فيها قاضيا ولا فقيها مُشارا اليه الا وهو بعمامة وقد تسامحوا بشرقها فى ذلك ولقد رايتُ عزيز بن خطّاب اكبرَ عالم بمُرْسية حضرة السلطان فى ذلك الاوان واليه الاشارةُ وقد خُطب له بالملك فى تلك الجهة وهو حاسرُ الراس وشيبُه قد غلب على سواد شعره وامّا الاجناد وسائر الناس فقليل منهم مَنْ تراه بعمّة فى شرق منها او فى غرب وابن هُود الذى هو ملك الاندلس فى عصرنا رايتُه فى جميع احواله ببلاد الاندلس وهو دون عمامة وكذلك ابن الاحمر الذى مُعْظَم الاندلس الآن فى يده وكثيرًا ما يتزيّا سلاطينُهم واجنادهم بزىّ النصارى المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم وأَقْبِيَتُهم من الاشكرلاط وغيره كاقبيتهم وكذلك اعلامهم وسروجهم ومحاربتهم بالتراس والرماح الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس ولا قسىّ العرب بل يعدّون قسىّ الافرنج للمحاصَرات فى البلاد او تكون للرجّالة عند المصافقة *b* للحرب وقليلًا ما تصبر الخيلُ عليهم او تُمْهلهم لان يُوتروها ولا تَجد فى خواصّ الاندلس واكثر عوامّهم من يمشى دون طيلسان الا انه يَضَعُه على راسه منهم الا الاشياخ المعظَّمون وغفائرُ الصوف كثيرًا ما يلبسونها حُمْرًا وخُضْرًا والصُفْرُ مخصوصة باليهود ولا سبيل الى يهودىّ ان

---

a) S. O. ويستخف. *b*) Cette leçon se trouve dans le man. P. Les autres portent المصافقة.

يتعمّم البتّةَ والذؤابة لا يُرْخيها الا ᵃالعالم ولا يصرفونها بين الاكتاف وانما يسدلونها من تحت الاذن اليُسْرَى وهذه الاوضاع التى بالمشرق فى العمائم لا يعرفها اهل الاندلس وان راوا فى راس مشرقىّ داخلᵇ الى بلادهم شكلا منها اظهروا التعجُّب والاستطراف ولا ياخذون انفسهم بتعليمها لانهم لم يعتادوا ولا يستحسنواᶜ غير اوضاعهم وكذلك فى تفصيل الثياب واهل الاندلس اشدُّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك ممّا يتعلّق به وفيهم من لا يكون عنده الا ما يقوته يومَه فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعةً على حالة تنبو العينُ عنها وهم اهل احتياط وتدبير فى المعاش وحفظ لما فى ايديهم خوفَ ذُلّ السؤال فلذلك قد يُنْسَبون للبخل ولهم مروّات على عادة بلادهم لو فطن لها حاتمٌ لفضّل دقائقَها على عظائمه ولقد اجتزتُ مع والدى على قرية من قراها وقد نال منّا البردُ والمطر اشدَّ النيل فأوينا اليها وكُنّا على حال ترقُّب من السلطان وخلوّ من الرفاهية فنزلنا فى بيت شيخ من اهلها من غير معرفة متقدّمة فقال لنا ان كان عندكم بما اشترى لكم فحمًا تسخنون به فانّى امضى فى حوائجكم واجعل عيالى يقومون بشانكم فاعطيناه ما اشترى به فحما فاضرم نارا فجاء ابن له صغير ليصطلى فضربه فقال له والدى لمَ ضربتَه فقال يتعلّم استغنامَ مال الناس والضجر للبرد من الصغَر ثم لما جاء النومُ قال لابنه أَعْطِ هذا الشابَّ كساءك الغليظة يزيدها على ثيابه فدفع كساءه الىّ ولما قُمْنا عند الصباح وجدتُّ الصبىَّ منتبهًا ويده فى الكساء فقلتُ ذلك لوالدى فقال هذه مروّات اهل الاندلس وهذا احتياطهم اعطاك الكساء وفضّلك على نفسه ثم افكر فى انك غريب لا يعرف هل انت ثقة او لصّ فلم يَطِبْ له منام حتى ياخذ كساءه خوفا من انفصالك بها وهو نائم وعلى هذا الشىء الحقير قِس الشىء الجليل، انتهى كلام ابن سعيد فى المغرب باختصار يسير ولله درّه فانه ابدع فى هذا الكتاب ما شاء وقسمه الى اقسام منها كتاب وشى الطرس، فى حُلَى جزيرة الاندلس،، وهو ينقسم الى ٤ كُتُب الكتابُ الاول كتابᵈ العرس، فى حلى غرب الاندلس،، الكتاب الثانى كتاب الشفاه اللُّعْس، فى حلى موسطة الاندلس،، الكتاب الثالث كتاب الانس، فى حلى شرق الاندلس،، الكتاب الرابع كتاب لحظات المُرِيب،

a) G. دخل. b) Telle est la leçon de tous les man. c) La. et O. ajoutent حلى.

فى ذكر ما حماه من الاندلس عُبّاد الصليب،، والقسم الثانى كتاب الالحان المسلّية فى حلى جزيرة صقلّية،، وهو ايضا ذو انواع والقسم الثالث كتاب الغاية الاخيرة فى حلى الارض الكبيرة،، وهو ايضا ذو اقسام وصوّر رحمه اجزاء الاندلس فى كتاب وشى الطرس وقال ايضا ان كلّا من شرق الاندلس وغربها ووسطها يقرب فى قدر المساحة بعضه من بعض وليس فيها جزء يجاوز طوله ١٠ ايام ليصدّق التثليث فى القسمة وهذا دون ما بقى بايدى النصارى وقدم رحمه كتابَ العرس فى حلى غرب الاندلس،، لكون قرطبة قطب الخلافة المروانية واشبيلية التى ما فى الاندلس اجملُ منها فيه وقسمه الى ٧ كُتُب كلّ كتاب منها يحتوى على مملكة منحازة عن الاخرى الكتاب الاول كتاب الحُلّة المذهّبة فى حلى مملكة قرطبة،، الكتاب الثانى كتاب الذهبيّة الاصيليّة فى حلى المملكة الاشبيليّة،، الكتاب الثالث كتاب خُدَع المماللقة فى حلى مملكة مالقة،، الكتاب الرابع كتاب الفردوس فى حلى مملكة بَطَلْيَوْس،، الكتاب الخامس كتاب الخلْب فى حلى مملكة شلْب،، الكتاب السادس كتاب الديباجة فى حلى مملكة باجة،، الكتاب السابع كتاب الرياض المصونة فى حلى مملكة أُشْبُونة،، وقد ذكر رحمه فى كل قسم ما يليق به وصوّر اجزاءه على ما ينبغى فالله يجازيه خيرا والكلام فى الاندلس طويل عريض وقال بعض المؤرّخين طول الاندلس ٣٠ يوما وعرضها ٩ ايام ويشقّها ٤٠ نهرا كبارا وبها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يُحْصَى وبها ٨٠ مدينة من القواعد الكبار وازيد من ٣٠٠ من المتوسّطة وبها من الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثرةً حتى قيل ان عدد القرى التى على نهر اشبيلية اثنا عشر الف قرية وليس فى معمور الارض صُقْعٌ يجد المسافرُ فيه ٣ مدن واربعا من يومه الا بالاندلس ومن بركتها ان المسافر لا يسير فيها فرسخَيْن دون ماء اصلًا وحيثما سار من الاقطار يجد الحوانيت فى الفلوات والشعارىa والاودية ورءوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الاطعمة وذكر صاحب الجغرافيا ان جزيرة الاندلس مسيرة ٤٠ يوما طولا فى ١٨ يوما عرضا وهو مخالف لما سبق وقال ابن سيدة اخذت الاندلسُ فى عرض الاقليمَيْن الخامس والسادس من البحر الشامى فى الجنوب الى البحر المحيط فى الشمال وبها من الجبال ٨٧ جبلا انتهى ولبعضهم

a) La. O. والصحارى.

لله اندلس وما جمعتْ بهاه   من كلّ ما ضمّتْ لها الاهواء
فكانّما تلك الديار كواكب   وكانّما تلك البقاع سماء
وبكلّ قطر جَدْوَل فى جنّة   ولعتْ به الافياء والانداء

وقال غيره   فى ارض اندلس تلتذّ نعماءة الابيات

وقال آخر   حبّذا اندلس من بلد   لم تزل تُنْتَج لى كلّ سرورْ
طائر شادٍ وظلّ وارف   ومياه سائحات وقصورْ

وقال آخر

يا حسنَ اندلس وما جمعتْ لنا   فيها من الاوطار والاوطانِ
تلك الجزيرة لستُ انسى حسنَها   بتعاقُب الاحيان والازمانِ
نسج الربيعُ نباتَها من سندس   موشّية ببدائع الالوانِ
وغدا النسيمُ بها عليلا هائما   بربوعها وتلاطمَ البحرانِ
يا حسنَها والطلُّ ينثر فوقها   دُرَرًا خلالَ الورد والريحانِ
وسواعد الانهار قد مدّتْ الى   ندمائها بشقائق النعمانِ
وتجاوبتْ فيها شوادى طيرها   والتفّت الاغصانُ بالاغصانِ
ما زُرْتُها الا وحيّانى بها   حَدَقُ البهار وانملُ السوسانِ
من بعدها ما اعجبتْنى بلدةٌ   مع ما حللتُ به من البلدانِ

وحكى بعضهم ان بالجامع من مدينة اقليش بلاط فيه جوائز منشورة مربّعة مستوية الاطراف طولُ الجائزة منها مائة شبر واحد عشر شبرا وفى الاندلس جبلٌ مَنْ شرب من مائه كثر عليه الاحتلامُ من غير ارادة ولا تفكُّر وفيها غير ذلك ممّا يطول ذكره والله اعلم، ولنمسكِ العنانَ فى هذا الباب فان بحر الاندلس طويل مديد، وربّما كرّرنا الكلامَ لارتباط بعضه ببعض او لنقل صاحبه المرويّ عنه او لاختلافٍ مّا او غير ذلك من غرض سديد ؛؛

---

a) La. O. لنا. *b*) On trouve ici dans G. P. et S. les six premiers et les deux derniers vers du poème d'Ibn-Safar, que l'on a déjà rencontré plus haut, p. ١٣٩. Variantes: vs. 2. بحق الماء ; vs. 3. افياء وانداء , ارض تحت ; vs. 4. وكل ارض ; vs. 13. لها عوض. Après le second vers, on lit dans les trois man. celui-ci:

واين يعدل عن ارض تحضّ بها   على الشهادة ازواج وابناء

qui n'est qu'une autre rédaction du 3ème.

الباب الثاني

فى القاء بلد الاندلس للمسلمين بالقياد، وفتحها على يد موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد، وصيرورتها ميدانا لسبق الجياد، ومحطّ رحل الارتياء والارتياد، وما يتبع ذلك من خبر حصل بازديانه ازدياد، ونبا وصل اليه اعتيام وتقرّر بمثله اعتياد،

اعلم انه لما قضى الله سبحانه بتحقيق قول رسوله صلّعم زُويت لى مشارقُ الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امّتى ما زُوى لى منها وقع الخلافُ بين لذريق ملك القوط وبين ملك سبتة التى[a] على مجاز الزقاق فكان ما يُذكر من فتح الاندلس على يد طارق وطريف ومولاهما الامير موسى بن نصير رحم الله الجميع، وذكر الحجارى وابن حيّان وغيرهما ان اول من دخل جزيرة الاندلس من المسلمين برسم الجهاد طريف البربرىّ مولى موسى بن نصير الذى يُنسب اليه جزيرة طريف التى على المجاز غزاها بمعونة صاحب سبتة يليان[b] النصرانى لحقده على لذريق صاحب الاندلس وكان فى مائة فارس واربعمائة راجل جاز البحر فى ٤ مراكب فى شهر رمضان سنة ٩١ وانصرف بغنيمة جليلة فعقد موسى بن نصير صاحب المغرب لمولاه طارق بن زياد على الاندلس ووجّهه مع يليان صاحب سبتة انتهى وسياتى فى امر طريف وغيره ما يخالف هذا السياق وهى اقوال، وقال ابن حيّان ان اول اسباب فتح الاندلس كان ان ولّى الوليدُ ابن عبد الملك موسى بن نصير مولى عمّه عبد العزيز على افريقية وما خلفها سنة ٨٨ فخرج فى نفر قليل من المطّوِعة فلما ورد مصر اخرج معه من جندها بعثا وفعل ذلك فى افريقية وجعل على مقدّمته مولاه طارقا فلم يزل يقاتل البربر ويفتح مداينهم حتى بلغ مدينة طَنْجة وهى قصبة بلادهم وامّ مداينهم فحصرها حتى فتحها واسلم اهلُها ولم تكن فُتحت قبله وقيل بل فتحت ثم استُغلقت، وذكر ابن حيان ايضا استصعابَ سبتة على موسى بتدبير صاحبها الداهية الشجاع يليان النصرانى وانه فى اثناء ذلك وقع بينه وبين لذريق صاحب الاندلس ثم سرد ما ياتى ذكره، وقال لسان الدين

---

a) Les man. portent الذى. b) G. S. L. جليان.

ابن الخطيب رحمه وحديث الفتح، وما منّ الله على الاسلام من المنح،، واخبار ما افاء الله من الخير، على موسى بن نصير،، وكتب من جهاد، لطارق بن زياد،، مملول قُصّاص واوراق، وحديث افول واشراق، وارعاد وابراق،، وعظم امتشاش، وآلة معلّقة فى دكّان قَشّاش،، انتهى، وقال فى المُغرِب طارق بن زياد من افريقية وقال ابن بشكوال انه طارق بن عمرو فتح جزيرة الاندلس ودوّخها واليه يُنسب جبل طارق الذى يعرفه العامّةُ بجبل الفتح فى قبلة الجزيرة الخضراء ورحل مع سيّده بعد فتح الاندلس الى الشام وانقطع خبره انتهى، وقال ايضا ان طارقا كان حسن الكلام ينظم ما يجوز كتبه واما المعارف السلطانيّة فيكفيه ولايةُ سلطنة الاندلس وما فتح فيها من البلاد الى ان وصل سيّده موسى بن نصير، ومن تاريخ ابن بشكوال احتلّ طارق بالجبل المنسوب اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٩٢ فى ١٢ الفا غير ١٢ رجلا من البربر ولم يكن معهم a من العرب الّا شىء يسير وانه لما ركب البحر راى وهو نائم النبىّ صلّعم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلّدوا السيوف وتنكّبوا القسىّ فيقول له رسول الله صلّعم يا طارق تقدّمْ لشانك ونظر اليه والى اصحابه قد دخلوا الاندلس قدّامه فهبّ من نومه مستبشرا وبشّر اصحابه وثابتْ نفسه ببشراه ولم يشكّ فى الظفر فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شانًّا للغارة واصاب عجوزا من اهل الجزيرة فقالت له فى بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدّثهم عن امير يدخل الى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نَعْته انه ضخم الهامة فانت كذلك ومنه b ان فى كتفه الايسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فانت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة فى كتفه على ما ذكرتْ فاستبشر بذلك ومن معه، ومن تاريخ ابن حيان لما حرّض يليانُ النصرانى صاحبُ سبتة للامر الذى وقع بينه وبين صاحب الاندلس موسى بن نصير على غزو الاندلس جهّز لها مولاه طارقا المذكور فى ٧ آلاف من المسلمين جُلّهم البربر فى ٤ سفن وحطّ بجبل طارق المنسوب اليه يوم السبت فى شعبان سنة ٩٢ ولم تزل المراكب تعود حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل قال ووقع على لذريق صاحب الاندلس الخبرُ وان يليان السبب فيه وكان يومئذ غازيا فى جهة البشكنش فبادر فى جموعه وهم نحو مائة الف ذوى عدد وعُدّة وكتب

---

a) O. معه, G. S. L. فيهم. b) Les man. portent ومنها.

طارق الى موسى بانه قد زحف اليه لذريق بما لا طاقة له به وكان عمل من السفن عدّة فجهّز له فيها ٥ آلاف من المسلمين فكمّلوا بمن تقدّم ١٢ الفا ومعهم يليان صاحب سبتة فى حشده يدلّهم على العورات ويتجسّس لهم الاخبار واقبل نحوهم لذريق ومعه خيار العجم واملاكها وفرسانها وقلوبهم عليه فتلاقوا فيما بينهم وقالوا ان هذا الخبيث غلب على سلطاننا وليس من بيت الملك وانما كان من أتْباعنا فلَسْنا نعدم من سيرته خبالا واضطرابا وهؤلاء القوم الذين طرقوا لا حاجة لهم فى ايطان بلدنا وانما مُرادهم ان يملؤوا ايديهم من الغنائم ويخرجوا عنّا فهلمّ فلننهزمْ بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم فلعلّهم يكفوننا امره فاذا هم انصرفوا عنّا اقعدنا فى ملكنا من يستحقّه فاجمعوا على ذلك انتهى، وقال ابن خلدون بعد ذكره ان القوطيّين كان لهم ملك الاندلس وان ملكهم لعهد الفتح يسمّى لذريق ما نصّه وكانت لهم خطوة وراء البحر فى هذه العدوة الجنوبيّة خطَوْها من فرضة المجاز بطنجة ومن زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البرابرة بذلك القطر * الذى هو[a] اليوم جبال غُمارة. يسمى يليان فكان يدين بطاعتهم وبملّتهم وموسى بن نصير امير المغرب[b] اذذاك عامل على افريقية من قِبَل الوليد بن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد اغزى لذلك العهد عساكرَ المسلمين بلادَ المغرب الاقصى ودوّخ اقطاره واثخن فى جبال[c] طنجة هذه حتى وصل[d] خليج الزقاق واستنزل يليان لطاعة الاسلام وخلّف مولاه طارق بن زياد الليثى واليا بطنجة وكان يليان ينقم على لذريق ملك القوط لعهده بالاندلس فعلةً فعلها كما[e] زعموا بابنته الناشئة فى داره على عادتهم فى بنات بطارقتهم فغضب لذلك واجاز الى لذريق واخذ ابنته منه ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلّهم على غرّة[f] فيهم امكنتْ طارقا فيها الفرصةُ فانتهزها لوقته واجاز البحر سنة ٩٢ من الهجرة باذن اميره موسى بن نصير فى نحو ٣٠٠ من العرب واحتشد معهم من البربر زهاء ١٠ آلاف فصيّرهم عسكرين احدُهما على نفسه ونزل به جبل الفتح فسمّى جبل طارق به والآخَرُ على طريف بن مالك النَخَعى ونزل بمكان مدينة طريف فسمّى

a) Les man. L. et P. d'Ibn-Khaldoun portent التى هى. *b*) C'est ainsi qu'on lit dans les man. d'Ibn-Kh.; S. الغرب, G. L. La. O. العرب. *c*) La. O. بلاد. *d*) S. ajoute الى. *e*) Le mot كما manque dans les man. d'al-Makk. et dans le man. L. d'Ibn-Kh. Dans l'autre man. d'Ibn-Kh. les mots كما زعموا se trouvent placés après فى داره. *f*) Les man. d'al-Makkarī portent عورة.

به وادارُوا الاسوار على انفسهم للتحصّن وبلغ الخبرُ الى لذريق فنهض اليهم يجرّ امم الاعاجم واهل ملّة النصرانية فى زهاء ٤٠ الفا وزحفوا اليه فالتقوا بفحص شريش فهزمه الله ونفّلهم اموال اهل الكفر ورقابهم وكتب طارق الى موسى بن نصير بالفتح وبالغنائم فحرّكتْه الغيرةُ وكتب الى طارق يتوعّده ان توغّل بغير اذنه ويامره ان لا يتجاوز مكانه حتى يلحق[a] به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج ومعه حبيب ابن ابى عبيدة[b] الفهرى ونهض من القيروان سنة ٩٣ من الهجرة فى عسكر ضخم من وجوه العرب والموالى[c] وعرفاء البربر ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فاجاز الى الاندلس وتلقّاه طارق فانقاد واتّبع واتمّ موسى الفتح وتوغّل فى الاندلس الى برشلونة فى جهة المشرق واربونة فى الجوف وصنم قادس فى المغرب ودوّخ اقطارها وجمع غنائمها واجمع ان ياتى المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه ودروب الاندلس ويخوض اليه ما بينهما من امم الاعاجم النصرانيّة مجاهدا فيهم مستلحما لهم الى ان يلحق بدار الخلافة ونمى الخبرُ الى الوليد فاشتدّ قلقُه بمكان المسلمين من دار الحرب وراى ان ما همّ به موسى غَرَر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف واسرّ الى سفيره ان يرجع بالمسلمين * ان لم يرجع[d] وكتب له بذلك عهده ففتّ ذلك فى عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد ان انزل الرابطة والحامية بثغورها واستعمل[e] ابنه عبد العزيز لسدّها وجهاد عدوّها وانزله بقرطبة فاتّخذها دار امارة واحتلّ موسى بالقيروان سنة ٩٥ وارتحل الى المشرق سنة ٦ بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على العَجَل والظهر يقال ان من جملتها ٣٠ الف راس من السبى وولّى على افريقية ابنه عبد الله وقدم على سليمن بن عبد الملك فسخطه ونكبه وثارت عساكر الاندلس بابنه عبد العزيز باغْراء سليمن فقتلوه لسنتين من ولايته وكان خيرا فاضلا وافتتح فى ولايته مداين كثيرة وولى من بعده ايوب ابن حبيب اللخمى وهو ابن اخت موسى بن نصير فولى[f] عليها ٦ اشهر ثم تتابعت

---

a) G. S. L. يلتحق. *b*) Ce nom est altéré dans tous les man. d'al-Makk. que j'ai pu consulter. G. حبيب بن سعبدة, L. بن سعيدة, La. O. بن مَنِدة (*sic*), S. بن بيدة, P. بن بندة. *c*) L. La. O. الموالى, G. لموالى. Le mot manque dans S. *d*) Au lieu de ces mots, le man. L. d'Ibn-Kh. porte او يرجع هو. *e*) Al-M. وانزل. *f*) La. O. تولى.

وُلاة العرب على الاندلس تارةً من قِبَل الخليفة وتارةً a من قبل عامله على القيروان واثخنوا فى امم الكفر وافتتحوا برشلونة من جهة الشرق وحصون قشتالة وبسائطها من جهة الجوف وانقرضت امم القوط وأَرزَ b الجلالقة ومن بقى من امم العجم الى جبال قشتالة واربونة وافواه الدروب فتحصّنوا بها واجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من دروب الجزيرة حتى احتلّوا البسائط وراءها وتوغّلوا فى بلاد الافرنجة وعصف ريح الاسلام بامم الكفر من كل جهة وربّما كان بين جنود الاندلس من العرب اختلاف وتنازُع اوجد للعدوّ بعضَ الكرّة فرجع الافرنج ما كانوا غلبوهم عليه من بلاد برشلونة لعهد ٨٠ سنة من لدن فتحها واستمرّ الامر على ذلك وكان محمد بن يزيد عامل افريقية لسليمن بن عبد الملك لما بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير بعث الى الاندلس الحُرّ بن عبد الرحمن بن عثمن الثقفى فقدم الاندلس وعزل ايوب ابن حبيب وولى سنتين وثمانية اشهر ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الاندلس السَمْح بن مالك الخولانى على راس المائة من الهجرة وامره ان يخمّس ارض الاندلس فخمّسها وبنى قنطرة قرطبة واستُشهد غازيا بارض الفرنجة سنة ١٠٢ فقدّم اهل الاندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى الى ان قدم عَنْبَسة بن سُحَيْم الكلبى من قبَل يزيد بن ابى مسلم عامل افريقية فقدمها c فى صفر سنة ١٠٣ فاستقام امر الاندلس وغزا الفرنجة وتوغّل فى بلادهم واستشهد سنة ١٠٧ لاربع سنين واربعة اشهر ثم تتابعت وُلاة الاندلس من قِبَل امراء افريقية فكان اولهم يحيى بن سلمة الكلبى انفذه بِشْر بن صفوان الكلبى والى افريقية لما استدعى منه اهل الاندلس واليا بعد مقتل عنبسة فقدمها آخر سنة ٧ واقام فى ولايتها سنتين ونصفا ولم يغزُ * ثم قدم d اليها عثمن بن ابى نَسْعة الخثعمى e واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السُلَمى صاحب افريقية وعزله لخمسة اشهر بحُذَيْفة بن الاحوص f القيسى فوافاها سنة ١٠ وعُزل قريبًا يقال لسنة من ولايته واختُلف هل تقدّمه عثمن او هو تقدّم عثمن ثم ولى بعده الهيثم بن عُبيد الكلابى من قبل عبيدة بن عبد الرحمن ايضا قدم فى المحرّم سنة ١١ وغزا ارض منوسة g فافتتحها وتوفى سنة ١١٣ لسنتين من ولايته وقدم بعده محمد بن عبد الله

---

a) Ibn-Kh. فتارة. *b*) La. واوى , O. واورر (*sic*). *c*) Ibn-Kh. قدمها. *d*) G. S. L. O. وقدم , La. وقد قدم. *e*) Al-M. اللخمى. *f*) Ibn-Kh. L. P., al-M. S. O. الاخوص. *g*) Voyez le *Bayāno 'l-moghrib*, t. II, p. ٢٧. Les man. d'Ibn-Kh. et d'al-M. portent مقوشة.

الاشجعى فولى شهرين ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى من قبل عبيد الله بن الحَبْحاب صاحب افريقية فدخلها سنة ١٣ وغزا الافرنجة وكانت له فيهم وقائع وأُصيب عسكره فى رمضان سنة ١٤ فى موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عُرفت الغزوة وكانت ولايته سنة وثمانية اشهر ثم ولى عبد الملك بن قَطَن الفهرى وقدم فى رمضان سنة ١٤ فولى سنتين وقال الواقدى ٤ سنين وكان ظَلُوما جائرا فى حكومته وغزا ارض البشكنش سنة ١١٥ فاوقع بهم وغنم ثم عُزل فى رمضان سنة ١٩ وولى عُقْبة ابن الحجّاج السَلُولى من قبل عبيد الله بن الحبحاب * فقدم سنة ١٧ a واقام ٥ سنين محمودَ السيرة مجاهدا مظفَّرا حتى بلغ سكنى المسلمين اربونة وصار رباطهم على نهر رودنه b ثم وثب عليه عبد الملك بن قطن الفهرى فى c سنة ٢١ فخلعه وقتله ويقال اخرجه من الاندلس وولى مكانه الى ان دخل بَلْج بن بِشْر باهل الشام سنة ٢٤ فغلب عليه وولى الاندلس سنةً او نحوها وقال الرازى ثار اهل الاندلس باميرهم عقبة فى صفر سنة ٢٣ فى خلافة هشام بن عبد الملك وولّوا عليهم عبد الملك بن قطن ولايته الثانية فكانت ولاية عقبة ٩ اعوام واربعة اشهر وتوفّى بقَرْقَشونة فى صفر سنة ٢٣ واستقام الامر لعبد الملك ثم دخل بلج بن بشر القُشَيْرى بجند *الشام ناجيا من وقعة كُلْثوم بن عياض مع البربر بملوية d فثار على عبد الملك وقتله وهو ابن ٩٠ سنة واستوسق e له الامرُ بعد مقتل عبد الملك وانحاز الفهريّون الى جانب فامتنعوا عليه وكاشفوه واجتمع اليهم f مَنْ انكر فعلته بابنى قطن وقام بامرهم قطن واميّة ابنا عبد الملك بن قطن والتقوا فكانت الدائرة على الفهريّين وهلك بلج من الجراح التى نالتْه فى حربهم وذلك سنة ٢٤ لسنة او نحوها من امارته ثم ولى ثعلبة بن سلامة الجذامى g غلب على امارة الاندلس بعد مهلك بلج وانحاز عنه الفهريّون فلم يطيعوه وولى سنتين اظهر فيهما h العدل ودانت له الاندلس ١٠ اشهر الى ان مالت به العصبيّة فى يمانيته i ففسد امره وهاجت الفتنة وقدم ابو الخطّار حُسام بن ضِرار الكلبى من قبل حنظلة بن صفوان عامل افريقية ركب اليها البحر من تونس سنة ٢٥ فدان له

---

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-M., qui portent aussi فاقام au lieu de واقام.
b) Ibn-Kh., al-M. ردونة. c) Ce mot ne se trouve pas dans les man. d'al-M. d) Ibn-Kh. P. بملوتة, L. بمكونة ; al-M. L. بلوية. e) La. O. واستوثق. f) Ibn-Kh. P., al-M. S. La. O. عليهم. g) Lisez العاملى. h) Al-M. فيها. i) Ibn-Kh. P. فى اليمنية.

اهل الاندلس واقبل اليه ثعلبة وابن ابى نسعة وابنا عبد الملك فلقيهم واحسن اليهم واستقام امره وكان شجاعا كريما ذا راى وحزم وكثر اهلُ الشام عنده ولم تحملْهم قرطبة ففرّقهم فى البلاد وانزل اهل دمشق الْبيرة لشبهها بها وسمّاها دمشق وانزل اهل حمص اشبيلية وسماها حمص واهل قِنَّسْرِينٍ جيّان وسماها قنسرين واهل الاردنّ رَيّة وهى*a* مالقة وسماها الاردنّ واهل فِلَسْطين شَذُونة وهى شَرِيش وسماها فلسطين واهل مصر تُدْمِير وسماها مصر وقفل ثعلبة الى المشرق ولحق بمروان بن محمد وحضر حروبه وكان ابو الخطّار اعرابيّا عصبيّا افرط عند ولايته فى التعصّب لقومه من اليمانية وتحامل على المضريّة واسخط قيسا وامر فى بعض الايام بالصُمَيْل بن حاتم كبير القيسيّة وكان من طوالع*b* بلج وهو الصميل بن حاتم بن شَمِر بن ذى الجَوْشَن وراس على المضريّة فاقيم من مجلسه وتقنّع*c* فقال له بعض الحجّاب*d* وهو خارج من القصر أَقِمْ عمامتك يا ابا الجوشن فقال له ان كان لى قوم فسيُقيمونها فسار الصميل بن حاتم * زعيمهم يومئذ*e* وألب عليه قومه واستعان*f* بالمنحرفين عنه من اليمانية فخلع ابا الخطّار سنة ١٢٨ لاربع سنين وتسعة اشهر من ولايته وقدم مكانَه ثوابة بن سلامة الجُذامى وهاجت الحرب المشهورة وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية فكتب الى ثوابة بعهده على الاندلس منسلخَ رجب سنة ١٢٩ فضبط الاندلس وقام بامره الصُمَيْل واجتمع عليه الفريقان وهلك لسنة*g* من ولايته ووقع الخلاف بافريقية والتاث امرُ بنى اميّة بالمشرق وشُغلوا عن قاصية الثغور*h* بكثرة الخوارج وعظم امر المسودّة فبقى اهل الاندلس فَوْضَى ونصبوا للاحكام خاصّةً عبد الرحمن بن كثير ثم اتّفق جند الاندلس على اقتسام الامارة بين المضريّة واليمانية وادالتها بين الجندين سنةً لكل دولة وقدّم المضريّة على انفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سنة ١٢٩ واستتمّ سنة ولايته بقرطبة دار الامارة ثم وافتْه اليمانيةُ لميعاد ادالتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واتّفاقهم فبيّتهم يوسف بمكان نزولهم فى*i* شَقُنْدة من*j* قرى قرطبة بممالأة من الصميل بن حاتم والقيسيّة وسائر المضريّة فاستلحموهم وثار ابو الخطّار فقاتله

a) Le mot هى manque dans les man. d'al-M. *b*) La. طلائع. *c*) Ibn-Kh., al-M. G. وتعتع. *d*) La. O. الخدام. *e*) La. O. اميرهم يومئذ وزعيمهم. *f*) La. O. واستغاث. *g*) Ibn-Kh. لسنتين. *h*) Ibn-Kh. P. المغرب. *i*) Les man. portent من. *j*) Ibn-Kh. L., al-M. G. S. L. P. La. فى.

الصميل وهزمه وقتله سنة ٢٩ واستبدّ يوسف بما وراء البحر من عدوة الاندلس وغلب اليمنيّة على امرهم فاستكانوا لغلبه a وتربّصوا الدوائر الى ان جاء عبد الرحمن الداخل وكان يوسف ولّى الصميلَ سرقسطة فلما ظهر امر المسودّة بالمشرق ثارة الحُبَاب الزُهْرى بالاندلس داعيا لهم وحاصر الصميل بسرقسطة واستمدّ يوسف فلم يُمِدّه رجاء هلاكه لما كان يغصّ به وامدّته القيسيّة فافرج عنه الحُبَاب وفارق الصميل سرقسطة فملكها الحباب وولّى يوسف الصميلَ على طليطلة الى ان كان من عبد الرحمن الداخل ما كان انتهى كلام ولىّ الدين بن خلدون ببعض اختصار، وقال بعض المؤرّخين c ان عبد الله بن مروان اخا عبد الملك كان واليا على مصر وافريقية فبعث اليه ابن اخيه الوليد الخليفة يامره بارسال موسى بن نصير الى افريقية وذلك سنة ٨٧ d للهجرة فامتثل امره فى ذلك، وقال الحُميدى فى جذوة المقتبس ان موسى بن نصير وُلّى افريقية والمغرب سنة ٧٩ e فقدمها ومعه جماعة من الجند فبلغه ان باطراف البلاد من هو خارج عن الطاعة فوجّه ولده عبد الله فاتاه بمائة الف راس من السبايا ثم ولده مروان الى جهة اخرى فاتاه بمائة الف راس وقال الليث بن سعد بلغ الخُمْس ٦٠ الف راس وقال الصَدَفى لم يُسمع فى الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد اكثر مدن افريقية خاليةً لاختلاف ايدى البربر عليها وكانت البلاد فى قحط شديد فامر الناس بالصوم والصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين اولادها فوقع البكاء والصراخ والضجيج واقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له ألّا تدعو لامير المومنين فقال هذا مقام لا يُدْعَى فيه لغير الله تعّ فسُقوا حتى رووا ثم خرج موسى غازيا وتتبّع البربر وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى سبيا عظيما وسار حتى انتهى الى السُوس الادنى لا يدافعه احد فلما راى بقية البربر ما نزل بهم استامنوا وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولّى عليهم واليا واستعمل على طنجة واعمالها مولاه طارق بن زياد البربرى ويقال انه من الصَدِف وترك عنده ١٩ الفا من البربر بالاسلحة والعُدّة الكاملة وكانوا قد اسلموا وحسن اسلامُهم وترك موسى عندهم خلقا يسيرا من

---

a) Ibn-Kh, al-M. La. O. الغلبة. *b*) Al-M. وثار. *c*) Voyez Ibn-Khallikān, éd. Wüstenfeld, n°. 758. *d*) Ibn-Khall. ٨٩. *e*) J'ai corrigé la date d'après le man. d'Oxford d'al-Homaidī. Ibn-Khall. et al-M. ٧٧.

العرب ليعلّموا البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية ولم يبقَ بالبلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم ولما استقرّت له القواعد كتب الى طارق وهو بطنجة يامره بغزو بلاد الاندلس فغزاها فى ١٢ الفا من البربر خلا ١٢ رجلا وصعد على الجبل المنسوب اليه يوم الاثنين خامس رجب سنة ٩٢ وذُكر عن طارق انه كان نائما فى المركب وقتَ التعدية فراى النبىّ صلّعم وامره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد هكذا ذكر ابن بشكوال وقيل ان موسى ندم على تأخُّره وعلم ان طارقا ان فتح شيئا نُسب الفتح اليه دونه فاخذ فى جمع العساكر وولّى على القيروان ابنه عبد الله وتبع طارقا فلم يدركه الا بعد الفتح، وقال بعض العلماء ان موسى بن نصير كان عاقلا شجاعا كريما تقيًّا لله تعَ ولم يُهزم له قط جيش وكان والده نصير على حرس *a* معاوية ومنزلته لديه مكينة ولما خرج معوية لصفّين لم يخرج معه فقال له ما منعك من الخروج معى ولى عندك يدٌ لم تكافئنى عليها فقال لم يُمْكنّى ان اشكرك بكفرِ من هو أَوْلَى بشكرى منك فقال من هو فقال الله عز وجل فاطرق مليًّا ثم قال استغفر الله ورضى عنه، رجع الى حديث طارق قال بعض المؤرّخين كان لذريق ملك الاندلس استخلف عليها شخصا يقال له تُدْمير واليه تُنسب تدمير بالاندلس فلما نزل طارق من الجبل كتب تدمير الى لذريق انه قد نزل بارضنا قوم لا ندرى أَمِن السماء هم ام من الارض فلما بلغ لذريق ذلك وكان قصد بعض الجهات البعيدة لغزو له فى بعض اعدائه فرجع عن مقصده فى ٧٠ الف فارس ومعه العَجَل تحمل الاموال والمتاع وهو على سريره بين دابّتين وعليه مظلّة مكلّلة بالدرّ والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوُّه قام فى اصحابه فحمد الله واثنى عليه بما هو اهلُه ثم حثّ المسلمين على الجهاد ورغّبهم ثم قال ايّها الناس اين المفرُّ البحرُ من ورائكم والعدوُّ امامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم فى هذه الجزيرة أَضْيَعُ من الايتام فى مادبة *b* اللئام وقد استقبلكم عدوّكم بجيشه واسلحتُه واقواتُه موفورة وانتم لا وَزَرَ لكم الا سيوفكم ولا اقوات الا ما تستخلصونه من ايدى عدوّكم وان امتدّت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهب ريحكم وتعوّضت القلوبُ من رعبها منكم الجرأةَ عليكم فادْفعوا عن انفسكم خذلانَ هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية فقد

a) C'est ainsi qu'on lit chez Ibn-Khall.; les man. d'al-M. portent جيوش. *b*) O. مائدة, La. بادية.

القتْ به اليكم مدينتُه الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكنٌ ان سمحتم بانفسكم للموتa وانّى لم احذّرْكم امرًا انا عنه بنجوة ولا حملتُكم على خُطّة أَرْخَصُ متاع فيها النفوس *ابرأ منها بنفسيb واعلموا انكم ان صبرتم على الاشقّ قليلا، استمتعتم بالأَرْفَه الالذّ طويلا،، فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسى فما حظّكم فيه باوفرc من حظّى وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرةُ من الحُور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات فى الدرّ والمرجان، والحُلَل المنسوجة بالعقيان، المقصورات فى قصور الملوك ذوى التيجان،، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المومنين من الابطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا، ثقةً منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان،، ليكون حظُّه منكم ثواب الله على اعْلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصةً لكم من دونه ومن دون المومنين سواكم والله تعالى ولىّ انْجادكم على ما يكون لكم ذكرا فى الدارَيْن واعلموا انّى اول مجيب الى ما دعوتُكم اليه وانّى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معى فان هلكتُ بعده فقد كفيتُكم امره ولم يعْوِزْكم بطل عاقل تسندون اموركم اليه وان هلكتُ قبل وصولى اليه فاخْلُفونى فى عزيمتى هذه واحْملوا بانفسكم عليه واكتفوا المهمّd من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون، فلما فرغ من تحريض اصحابه على الصبر فى قتال لذريق واصحابه وما وعدهم من الخير الجزيل انبسطت نفوسهم وتحقّقت آمالهم وهبّتْ رياح النصر عليهم وقالوا له قد قطعنا الآمال ممّا يخالف ما عزمتَ عليه فاحضرْ اليه فانّنا معك وبين يديك فركب واصحابُه فباتوا ليلتَهم فى حرس الى الصباحe فلما اصبح الفريقان تكتّبوا وعبّئوا جيوشهم وحمل لذريق وهو على سريره وقد حُمل على راسه رواق ديباج يظلّله وهو مقبل فى غابة من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح واقبل طارق على اصحابه عليهم الزرد ومنf فوق رءوسهم العمائم البيض وبايديهم القسىّ العربيّة وقد تقلّدوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لذريق حلف وقال ان هذه الصور هى التى رايناها ببيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم الرعب فلما راى طارق لذريق

---

a) Les man. d'al-M. portent لانفسكم بالموت.   b) Ibn-Khall. ابدا فيها بنفسى, al-M. ابدا بنفسى.   c) G. L. La. O. باوفى.   d) G. S. L. P. الهم.   e) G. S. L. O. الصبح.   f) La copulative manque dans les man. d'al-M.

قال هذا طاغية القوم فحمل وحمل اصحابه معه فتفرّقت المقاتلة من بين يدى لذريق فخلص اليه طارق فضربه بالسيف على راسه فقتله على سريره فلما راى اصحابه *مصرع ملكهم a اقتحم الجيشان b وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة العدوّ على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا ولما سمع موسى بن نصير بما حصل من النصرة لطارق عبر الى c الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له يا طارق انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك باكثر من ان يبيحك d الاندلس فاستبحه هنيئًا مريًّا فقال له طارق ايّها الامير والله لا ارجع عن قصدى هذا ما لم انته الى البحر المحيط اخوض فيه بفرسى يعنى البحر الشمالىّ الذى تحت بنات نعش ولم يزل طارق يفتح وموسى معه الى ان بلغ الى جلّيقية وهى على e ساحل البحر المحيط انتهى، وقال الحافظ الحميدى فى كتاب جذوة المقتبس ان موسى ابن نصير نقم على مولاه طارق اذ غزا بغير اذنه f وهمّ بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فاطلقه وخرج معه الى الشام انتهى، وقول لذريق ان هذه الصور هى التى رآها فى بيت الحكمة الخ اشار به الى بيت حكمة اليونان وكان من خبره فيما حكى بعض علماء التاريخ ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكم كانوا يسكنون بلاد المشرق قبل عهد الاسكندر فلما ظهرت الفُرْس واستولت على البلاد وزاحمت اليونانَ على ما كان بايديهم من الممالك انتقل اليونان الى جزيرة الاندلس لكونها طرفا فى آخر العمارة ولم يكن لها ذكر اذذاك ولا ملكها احد من الملوك المعتبَرة ولم تك عامرة وكان اول من عمر فيها واختطّها اندلس بن يافث بن نوح عمّ فسمّيت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كان الصورة المعمورة منها عندهم على شكل طائر راسه المشرق والجنوب والشمال رجلاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه وكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى اخسّ اجزاء الطير وكانت اليونان لا ترى فناء الامم بالحروب لما فيه من الاضرار g والاشتغال عن العلوم التى كان امرها عندهم اهمّ الامور فلذلك انحازوا من بين يدى الفُرْس الى الاندلس فلما صاروا اليها اقبلوا على عمارتها فشقّوا الانهار وبنوا

---

a) Cette leçon se trouve chez Ibn-Khall.; G. S. L. La. مصرع اصحابهم , O. مصرعه. *b*) O. الجمعان. *c*) Ce mot manque dans les man. d'al-M. *d*) C'est ainsi qu'on lit chez Ibn-Khall.; les man. d'al-M. portent يمنحك. *e*) Ce mot manque dans les man. d'al-M. *f*) Ibn-Khall. ajoute وسجنه. *g*) La. O. الاضطرار.

المعاقل وغرسوا الجنّات a والكروم وشيّدوا الامصار وملـٔوها حرثا ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما راى بهجتها ان الطائر الذى صُوّرت العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاؤوسا معظمُ جماله فى ذنبه وحكى ان الرشيد هٰرون رحمه لما حضر بين يديه بعض اهل المغرب قال الرشيد يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذنبه المغرب فقال الرجل صدقوا يا امير المومنين وانه طاؤوس فضحك الامام الرشيد وتعجّب من سرعة جواب الرجل وانتصاره لقطره، رجع قال فاغتبط اليونان بالاندلس اتمّ اغتباط واتّخذوا دار الحكمة والملك بها طليطلة لانها اوسط البلاد وكان اهمّ الامور عندهم تحصينها عمّن يتّصل به خبرها من الامم فنظروا فاذا هو انه لا يحسدهم على رغد العيش الا ارباب الشظف والشقاء والتعب وهم يومئذ طائفتان العرب والبربر فخافوهم على جزيرتهم العامرة فعزموا ان يتّخذوا لهذين الجنسين من الناس طلسما فرصدوا لذلك ارصادا ولما كان البربر بالقرب منهم وليس بينهم b سوى تعدية البحر ويَرِدُ عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا منهم نفورا وكثره c تحذُّرهم من نسب او مجاورة حتى ثبت ذلك فى طبائعهم d وصار بغضهم مركّبا فى غرائزهم فلما علم البربر عداوة اهل الاندلس وبغضهم لهم ابغضوهم وحسدوهم فلم تجدْ اندلسيّا الا مبغضا بربريّا وبالعكس الا ان البربر أَحْوَجُ الى اهل الاندلس لوجود بعض الاشياء عندهم وفقدها ببلد البربر وكان بنواحى غرب الاندلس ملك يونانى بجزيرة يقال لها قادس وكانت له ابنة فى غاية الجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت الاندلس كثيرة الملوك لكل بلدة او بلدتين ملك فخطبوها وخشى ابوها ان زوّجها من واحد اسْخاطَ الباقين فتحيّر واحضر ابنته وكانت الحكمة مركّبة فى طباع القوم ذكورهم واناثهم ولذا قيل ان الحكمة نزلت من السماء على ثلثة اعضاء من اهل الارض ادمغة اليونان وايدى اهل الصين والسنة العرب فقال لها يا بُنيّة انّى اصبحتُ على حيرة فى امرك ممّن يخطبك من الملوك وما ارضيتُ واحدا الا اسخطتُّ الباقين فقالت له اجْعل الامر الىّ تتخلّصْ فقال وما تقترحين فقالت ان يكون ملكا حكيما فقال نعْمَ ما اخترته لنفسك فكتب فى أَجْوِبَة الملوك الخُطّاب انها اختارت من الازواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الجواب سكت من لم يكن حكيما وكان فى الملوك الخاطبين حكيمان

a) La. O. الجنان. b) J'ai ajouté ce mot d'après le texte publié d'Ibn-Khall. c) G. L. La. O. واكثر. d) La. O. طباعهم.

فكتب كل واحد منهما انا الملك الحكيم فلما وقف على كتابَيْهما قال لها يا بنيّة بقى الامر على اشْكاله وهذان ملكان حكيمان ايّهما ارضيتُ اسخطتُّ الآخر فقالت ساقترح على كلٍّ واحد منهما امرا ياتى به فايّهما سبق الى الفراغ ممّا التمستُ كنتُ زوجته قال وما الذى تقترحين عليهما قالت انّا ساكنون بهذه الجزيرة ومحتاجون الى رحى a تدور بها وانّى مقترحة على احدهما ادارتها بالماء العذب الجارى اليها من ذلك البرّ ومقترحة على الآخر ان يتّخذ لى طُلسما يحصّن به جزيرة الاندلس من البربر فاستظرف ابوها ذلك وكتب الى الملكين بما قالت ابنتُه فاجاباه الى ذلك وتقاسماه على ما اختارا وشرع كل واحد منهما ما أُسند اليه من ذلك فاما صاحب الرحى فانه عمد الى اشكال اتّخذها من الحجارة نضّد بعضها الى بعض فى البحر المالح الذى بين جزيرة الاندلسْ والبرّ الكبير فى الموضع المعروف بزقاق سبتة وسدّد الفُرَج التى بين الحجارة بما اقتضتْه حكمتُه واوصل تلك الحجارة من البرّ الى الجزيرة وآثاره باقية الى اليوم فى الزقاق الذى بين سبتة والجزيرة الخضراء واكثر اهل الاندلس يزعمون ان هذا اثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها ليعبر عليها الناس من سبتة الى الجزيرة والله أعلم ايُّ القولين اصحّ غير ان الشائع الى الآن عند الناس هو الثانى فلما تمّ تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب الماء العذب من جبل عالٍ فى البرّ الكبير وسلّطه من ساقية مُحْكَمة وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية واما صاحب الطلسم فانه ابطأً عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير انه عمل امره واحكمه وابتنى بنيانا مربّعا من حجر ابيض على ساحل البحر فى رمل عالج حفر اساسه الى ان جعله تحت الارض بمقدار ارتفاعه فوق الارض ليثبت فلما انتهى البناء المربّع الى حيث اختار صوّر من النحاس الاحمر والحديد المصفّى المخلوطَيْن باحكم الخلط صورةَ رجل بربرى وله لحية وفى راسه ذؤابة من شعر جعد قائمة فى راسه لجعودتها وهو متأبّط بصورة كساء قد جمع طرَفَيْه على يده اليُسْرَى بالطف تصوير واحكمه وفى رجله نعل وهو قائم من راس البناء على مستهدف b بمقدار رجليه فقط وهو شاهق فى الهواء طوله نيف عن ٦٠ او ٧٠ ذراعا وهو محدود c الاعلى الى ان ينتهى الى ما سعتُه قدر الذراع وقد مدّ يده اليُمْنَى بمفتاح قفل قابضا d عليه مشيرا

a) G. S. L. O. ارحى. b) La. المستهدف, G. S. L. P. مستقذف, Ibn-Khall. مستدق. c) L. La. محدودب. d) Les man. portent قابض.

الى البحر كانه يقول لا عبورَ وكان من تاثير هذا الطلسم فى البحر الذى تجاهه انه لم يُرَ قط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينةٌ بربر حتى *a* سقط المفتاح من يده وكان الملكان اللذان عملا الرحى والطلسم يتسابقان الى فراغ العمل اذ بالسبق يستحقّ زواج المرأة وكان صاحب الرحى فرغ اولا لكنّه اخفى امره عن صاحب الطلسم *حتى لا يعلم *b* فيبطّل الطلسم لتحظى المرأةُ بالرحى والطلسم فلما علم باليوم الذى يفرغ صاحب الطلسم فى آخره اجرى الماء فى الجزيرة من اوله وادار الرحى واشتهر ذلك فاتّصل الخبر بصاحب الطلسم وهو فى اعلى القبّة يصقل وجهه وكان الطلسم مذهّبا فلما تحقّق انه مسبوق ضعفت نفسُه فسقط من اعلى البناء ميّتا وحصل صاحب الرحى على المرأة والرحى والطلسم وكان من تقدّم من ملوك اليونان يخشى على الاندلس من البربر للسبب الذى قدّمنا ذكره فاتّفقوا وجعلوا الطلسمات فى اوقات اختاروا ارصادها واوعدوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه فى بيت بطليطلة وركّبوا على ذلك * البيت بابا واقفلوه وتقدّموا الى كل من ملك منهم بعد صاحبه ان يُلْقِىَ على ذلك *c* الباب قفلا تاكيدا لحفظ ذلك البيت فاستمرّ امرهم على ذلك ولما حان وقت انقراض دولة من كان بالاندلس ودخول العرب والبربر اليها وذلك بعد مضىّ ٢٦ ملكا من ملوكهم من تاريخ عمل الطلسمات بطليطلة وكان لذريق المذكور آنفًا هو تمام السابع والعشرين من ملوكهم فلما اقتعد اريكة الملك قال لوزرائه وخواصّ دولته واهل الراى منهم قد وقع فى نفسى من امر هذا البيت الذى عليه ٢٦ قفلا شىءٌ واريد ان افتحه لانظر ما فيه لانه لم يُعمل عبثا فقالوا ايّها الملك صدقتَ انه لم يُصْنَع *d* عبثا ولم يقفل سُدًى والراى والمصلحة ان تلقى انت ايضا عليه قفلا اسوةً بمن تقدّمك من الملوك وكان آباؤك واجدادك لم يُهْملوا هذا فلا تهملْه وسرْ سيرهم فقال لهم ان نفسى تنازعنى الى فتحه ولا بدّ لى منه فقالوا له ان كنتَ تظنّ ان فيه مالا فقدّرْه ونحن نجمع لك من اموالنا نظيره ولا تُحْدِثْ علينا بفتحه حادثا لا نعرف عاقبته فاصرّ على ذلك وكان رجلا مهيبا فلم يقدروا على مراجعته وامر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلّقا فلما فتح الباب

---

a) C'est ce qu'on lit chez Ibn-Khall.; les man. d'al-M. portent الا. *b*) La. لئلا يترك عمله. *c*) Ces mots, que j'ai ajoutés d'après Ibn-Khall., manquent dans tous les man. d'al-M. *d*) S. La. يعمل.

لم ير فى البيت شيئًا الا مائدة عظيمة من ذهب وفضّة مكلّلة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمن بن داءود عليهما السلام ورأى فى البيت ذلك التابوت وعليه قفل ومفتاحه معلّق ففتحه فلم يجد فيه سوى رَقّ وفى جوانب a التابوت صور فرسان مصوّرة باصباغ مُحْكَمَة التصوير على اشكال العرب وعليهم الفراء وهم معمّمون على ذوائب جعد ومن تحتهم الخيل العربيّة وهم متقلّدون السيوف المحلّاة معتقلون الرماح فامر بنشر ذلك الرقّ فاذا فيه متى فُتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القومُ الذين صورهم فى التابوت الى جزيرة الاندلس وذهب ملكُ من فيها من ايديهم ودرست حكمتُهم فلما سمع لذريق ما فى الرقّ ندم على ما فعل وتحقّق انقراض دولتهم فلم يلبث الا قليلا حتى سمع ان جيشا وصل من المشرق جهّزه ملك العرب ليفتتح بلاد الاندلس انتهى فهذا هو بيت الحكمة الذى اشار اليه لذريق والله اعلم بحقيقة الامر فى ذلك كله على ان فى هذا السياق مخالفة لما سنذكره عن بعض ثقات مؤرّخى الاندلس وغيرهم فى شان المائدة وغيرها وما ذكره فى هذه القصّة من جلب الماء من برّ العدوة الخ فيه بُعْدٌ عندى لان بلاد الاندلس اكثر بلاد الله مياها وانهارا فأنّى تحتاج الى جلب الماء b من العدوة الاخرى الا ان يقال ان المرأة ارادت تعجيز الرجل بذلك او اختبارَ حكمته حتى يفعل هذا الامر الغريب وعلمُ الله من وراء ذلك كله وفوق كل * ذى علم c عليم، ومنتهى العلم الى الله الحكيم،، وقال ابن حيّان فى المقتبس ذكروا ان لذريق لم يكن من ابناء الملوك ولا بصحيح النسب فى القوط وانه انما نال الملك من طريق الغصب والتسوّر عند ما مات اغْطشة الملك الذى كان قبله وكان اثيرا لديه مكينا فاستصغر اولاده لمكانه واستمالهٔ طائفة من الرجال مالوا معه فانتزع الملك من اولاد اغطشة واستبقاهم فكانوا هم الذين دبّروا عليه فيما ذُكر عند ما لقى رجال العرب المقتحمين عليه بالاندلس من تلقاء بحر الزقاق وعليهم طارق بن زياد مولى موسى بن نصير طماعةً منهم فى ان يُودِىَ ويخلص اليهم ملكُ ابيهم فالتقوا بموضع يُدعى وادى لكةٌ من ارض الجزيرة الخضراء من ساحل الاندلس القبلىّ مكان عبورهم وذلك لسبع خلون من ربيع الاول سنة ٩٢ من الهجرة فانهزم القوط اعظمَ هزيمة وقُتل ملكهم لذريق وغلبت العرب على الاندلس فصارت

---

a) La. O. جانب. b) S. ajoute اليها. c) G. S. من ذوى العلم.

اقصى فتوحهم من ارض المغرب ومصداقَ موعد نبيّهم صلّعم الكفيل بفتح ما بين المشرق والمغربْ عليهم بوحى الله تعّ اليه انجزه لهم بفتح الاندلس ولله القوّة قال وقام بامر العرب بالاندلس منذ فُتحت الامراءُ المُرْسَلون منهم عليها من قِبَل ائمّة المسلمين بالمشرق طوالَ دولة بنى اميّة رضّهم الى ان طرأ اليها فلُّهم عند غلبة بنى العباس عليهم وذلك عبد الرحمن بن معوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان فملكها واعاد اليها الدولة الامويّة التى اورثها عقبَه حقبةً فكانت عدّة هؤلاء الامراء من لدن اولهم طارق بن زياد الى آخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ٢٠ عاملا وعدّة سنيهم بالشمسىّ ٤٥ سنة وبالقمرىّ ٤٧ سنة غير اشهر انتهى، وقال فى موضع آخر نقلًا عن الرازى وافتتحت الاندلس فى ايام الوليد بن عبد الملك فكان فتحها من اعظم الفتوح الذاهبة بالصيت فى ظهور الملّة الحنيفيّة وكان عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه a متهمّما بها معْتنيا بشانها وقد خزلها[a] عن نظرِ والى افريقية وجرّد اليها عاملا من قِبَله اختاره لها دلالةً على معنيته بها ووقعت المقاسم فيها عن امره وبفضل رايه انتهى، وفى الكتاب الخزائنى وغيره سياقةُ فتح الاندلس على اتمّ الوجوه فلنذكرْ ملخّصه قالوا استعمل امير المومنين الوليد بن عبد الملك رحّه موسى بن نصير مولى عمّه عبد العزيز بن مروان ويقال بل هو بكرىّ وذلك ان اباه نصير اصله من علوج اصابهم خالد بن الوليد رضّه فى عين التمر فادّعوا انهم رُهُن وانهم من بكر بن وائل فصار نصير وصيفا لعبد العزيز بن مروان فاعتقه * فمن هذا[b] يُختلف فيه وقيل انه لخمىّ وعقد له على افريقية وما خلفها فى سنة ٨٨ فخرج الى ذلك الوجه فى نفر قليل من المطّوّعة فلما ورد مصر اخرج معه من جندها بعثا واتى افريقية عملَه فاخرج من اهلها معه ذوى القوّة والجلد وصيّر على مقدّمته طارق بن زياد فلم يزل يقاتل البربر ويفضّ جموعهم ويفتتح بلادهم ومداينهم حتى بلغ طنجة وهى قصبة ملك البربر وامّ مداينهم فحصرها حتى افتتحها وقيل انها لم تكن افتتحت قبله وقيل افتتحت ثم ارتُجعت فاسلم اهلها وخطّها قيروانا للمسلمين ثم ساروا الى مداين على شطّ البحر فيها عُمّال لصاحب الاندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها وراس تلك المداين سبتة وعليها علج يسمّى يليان قاتله موسى فالفاه فى نجدة وقوّة وعدّة فلم يُطقْه فرجع

---

a) La. ajoute شهها.   b) La. O. حولها.   c) La. O. غلذا.

الى مدينة طنجة فاقام بمن معه واخذ فى الغارات على ما حولهم والتضييق عليهم والسفن تختلف اليهم بالميرة والامداد من الاندلس من قِبَل ملكها غيطشة فهم يذبّون عن حريمهم ذبّا شديدا ويحمون بلادهم حمايةً تامّة الى ان هلك غيطشة ملك الاندلس وترك اولادا لم يَرْضَهم اهلُها للملك فاضطرب حبل اهل الاندلس ثم تراضوا بعلج من كبارهم يقال له لذريق مجرّب شجاع بطل ليس من بيت اهل الملك الا انه من قُوّادهم وفرسانهم فولّوه امرهم وكانت طليطلة *دار الملك بالاندلس*[a] حينئذ وكان بها بيت مغلق متحامى الفتح على الايام عليه عدّة من الاقفال يلزمه قوم من ثقات القوط قد وُكّلوا به لئلّا يفتح وقد عهد الاولُ فى ذلك الى الآخر فكلّما قعد منهم ملك اتاه اولئك الموكّلون بالبيت فاخذوا منه قفلا وصيّروه على ذلك الباب من غير ان يُزيلوا قفلَ من تقدّمه فلما قعد لذريق هذا وكان متهمّما يَقظا ذا فكر اتاه الحُرّاس يسألونه ان يقفل على الباب فقال لهم لا افعل او أَعْلَمَ ما فيه ولا بدّ لى من فتحه فقالوا له ايّها الملك انه لم يفعل هذا احد من قبلك وتناهوا عن فتحه فلم يلتفتْ اليهم ومشى الى البيت فاعظمت ذلك العجم وضرع اليه اكابرهم فى الكفّ فلم يفعل وظنّ انه بيت مال ففضّ الاقفال عنه ودخل فاصابه فارغا لا شىء فيه الا تابوتا عليه قفل فامر بفتحه يحسب ان مضمونه يُقْنعه نفاسةً فالفاه ايضا فارغا ليس فيه الا شقّة مُدْرَجة قد صُوّرت فيها صور العرب عليهم العمائم وتحتهم الخيول العراب متقلّدى السيوف متنكّبى القسىّ رافعى الرايات على الرماح وفى اعلاها اسطر مكتوبة بالعجميّة فقُرِئت فاذا فيها اذا كُسرت الاقفال عن هذا البيت وفتح هذا التابوت فظهر ما فيه من هذه الصور فانّ هذه الامّة المصوّرة فى هذه الشقّة تدخل الاندلس فتغلب عليها وتملكها فوجم لذريق وندم على ما فعل وعظم غمّه وغمّ العجم بذلك وامر بردّ الاقفال واقرار الحرّاس على حالهم واخذ فى تدبير ملكه وذهل عمّا أُنذر به وقد كان من سِير اكابر العجم بالاندلس وقوّادهم ان يبعثوا اولادهم الذين يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاط[b] الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا فى خدمته ويتأدّبوا بادبه وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا انكح بعضهم بعضا استيلافا لآبائهم وحمل صدقاتهم وتولّى تجهيز اناثهم الى ازواجهنّ فاتّفق ان فعل ذلك يليان عامل لذريق على سبتة وكانت يومئذ فى يد

---

a) La. O. دار ملك الاندلس. b) Les man. portent بلاد.

صاحب الأندلس واهلها على النصرانية ركب الطريقة بابنة له بارعة الجمال تكرم عليه فلما صارت عند لذريق وقعت عينُه عليها فاعجبتْه *واحبَّها حبّا a شديدا ولم يملك نفسه حتى استكرهها واقتضّها b فاحتالت حتى اعلمت اباها c بذلك سرًّا بمكاتبة خفيّة فاحفظه شانها جدًّا واشتدّت حميّتُه وقال ودينِ المسيح لأُزِيلنَّ d سلطانه ولاحفرنَّ تحت قدمَيْه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته السببَ فى فتح الاندلس بالذى سبق من قدر الله تعّ ثم ان يليان ركب بحر الزقاق من سبتة فى اصعب الاوقات فى ينير e قلبِ الشتاء فصار بالاندلس واقبل الى طليطلة نحو الملك لذريق فانكر عليه مجيئَه فى مثل ذلك الوقت وسأله عمّا لديه f ولِمَ جاء فى مثل وقته فذكر خيرا واعتلّ بذكر زوجته وشدّة شوقها الى روية بنتها التى عنده وتَمَنّيها لقاءها قبل الموت وإلْحاحها عليه فى احضارها وانه احبَّ اسْعافها ورجا بلوغَها امنيّتَها منه وسأل الملك اخراجها اليه وتعجيل اطلاقه للمبادرة بها ففعل واجاز الجارية وتوثّق منها فى الكتمان عليه وافضل على ابيها فانقلب عنه وذكروا انه لما ودّعه قال له لذريق اذا قدمتَ علينا فاستَفْرِهْ لنا من الشُذانقات التى لم تزل تُطْرِفنا بها فانها آثَرُ جوارحنا لدينا فقال له ايّها الملك وحقِّ المسيح لئن بقيتُ لأُدخِلنّ عليك شذانقاتٍ ما دخل عليك مثلها قط عرّض له بالذى اضمره من السعى فى ادخال رجال العرب عليه وهو لا يفطن فلم يتنهنَهْ يليان عند ما استقرّ بسبتة عمله ان تهيّأ للمسير نحو موسى بن نصير الامير فمضى نحوه بافريقية وكلّمه فى غزو الاندلس ووصف له حسنها وفضلها وما جمعتْ من اشتات g المنافع وانواع المرافق وطيب المزارع وكثرة الثمار وثرارة h المياه وعذوبتها وهوّن عليه مع ذلك حال رجالها ووصفهم بضعف الباس وقلّة الغنا فشوّق موسى الى ما هناك واخذ بالحزم فيما دعاه اليه يليان فعاقَدَه على الانحراف الى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفةَ اهل ملّته من الاندلس المشركين والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشنِّ الغارة فيها ففعل يليان ذلك وجمع جمعا من اهل عمله فدخل بهم فى مركبين وحلّ بساحل الجزيرة الخضراء فاغار وقتل وسبى وغنم واقام بها اياما

a) Ces mots manquent dans G. S. et L. b) L. La. وافتضها. c) S. والدها. d) La. et O. ajoutent ملكه و. e) *Enero*, Janvier. P. نبير, G. L. سير, O. صنير, La. ضبير; dans S. ce mot manque. f) La. et O. ajoutent وما جاء فيه. g) Telle est la leçon du man. La.; O. شتات, G. S. L. P. اسباب. h) La. وغزارة.

ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فآنسوا بيليان واطمأنّوا اليه وكان ذلك عقبَ سنة ٩٠ فكتب موسى بن نصير الى امير المومنين الوليد بن عبد الملك يخبره بالذى دعاه اليه يليان من امر الاندلس ويستاذنه فى اقتحامها فكتب اليه الوليد أن خُضْها بالسرايا حتى ترى وتختبر شانها ولا تغرِّرْ بالمسلمين فى بحر شديد الاهوال فراجعه بانه ليس ببحر زخّار وانما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه فكتب اليه وان كان فلا بدّ من*a* اختباره بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من البرابرة اسمُه طريف يكنى ابا زُرْعة فى ٤٠٠ رجل معهم مائة فرس *b* سار بهم فى ٤ مراكب فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التى هى اليومَ معبر سفائنهم ودار صناعتهم ويقال لها اليومَ جزيرة طريف لنزوله فيها فاقام بها اياما حتى تتامّ*c* اليه اصحابه ثم مضى حتى اغار على الجزيرة فاصاب سبيا لم يَرَ موسى ولا اصحابه مثله حسنا ومالا جسيما وامتعةً وذلك فى شهر رمضان سنة ٩١ فلما راى الناس ذلك تسرّعوا الى الدخول وقيل دخل طريف فى الف رجل فاصاب غنائم وسبيا ودخل بعده ابو زُرْعة شيخ من البرابرة وليس بطريف فى الف رجل منهم ايضا فاصابوا اهل الجزيرة قد تفرّقوا عنها فضرّموا عامّتها بالنار وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظّمة واصابوا سبيا يسيرا وقتلوا وانصرفوا سالمين وقال الرازى هو ابو زرعة طريف ابن مالك المَعافرى الاسمُ طِبْقُ الكنية قالوا ثم عاود يليان القدوم على موسى بن نصير محرّكا فى الاقتحام على اهل الاندلس وخبّره بما كان منه ومن طريف وابى زرعة وما نالوه من اهلها وباشروه من طيبها فحمد الله على ذلك واستجدّ عزما فى اقحام*d* المسلمين فيها فدعا مولى له كان على مقدّمته يسمّى طارق بن زياد بن عبد الله فارسيّا همذانيّا*e* وقيل انه ليس بمولى لموسى*f* وانما هو رجل من صَدِف وقيل مولى لهم وقد كان بعض عقبه بالاندلس ينكرون ولاء موسى انكارا شديدا وقيل انه بربرى من نفزة*g* فعقد له موسى وبعثه فى ٧ آلاف من المسلمين جُلُّهم البربر والموالى وليس فيهم عرب الا قليل ووجّه معه يليان فهيّأ له يليان المراكب فركب فى ٤ سفن لا صناعة له غيرها وحطّ بجبل طارق المنسوب اليه يوم سبت فى شعبان سنة

---

a) L. La. فلا بدّ عن , G. S. فلا تدعنّ. *b*) La. O. فارس. *c*) S. تنامى , La. O. التأم. *d*) La. O. اقتحام. *e*) Les man. portent همدانيا. *f*) La. O. لنصير. *g*) Les man. portent نفرة.

٩٢ فى شهر اغشت ثم صرف المراكب الى من خلّفه من اصحابه فركب من بقى
من الناس ولم تزل السفائن تختلف اليهم حتى توافى جميعهم عنده بالجبل وقيل
حلّ طارق بجبله يوم الاثنين لخمس خلون من رجب من السنة فى ١٢ الفا غير
١٦ رجلا من البرابر ولم يكن فيهم من العرب الا يسيرa اجازهم يليان الى ساحل
الاندلس فى مراكب التجار من حيث لم يُعلم بهم اولًا اولًا وركب اميرهم طارق
آخرهم قيل واصاب طارق عجوزا من اهل الجزيرة فقالت له فى بعض قولها انه كان
لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدّثهم عن امير يدخل الى بلدهم ويغلب عليه ويصف
من نعته انه ضخم الهامة فانت كذلك ومنهb ان فى كتفه الايسر شامة عليها شعر
فان كانت بك هذه العلامة فانت هو فكشف طارق ثوبه فاذا بالشامة فى كتفه
على ما ذكرته العجوز فاستبشر بذلك هو ومن معه وذُكر عن طارق انه كان نائما
فى المركب فراى فى منامه النبىّ صلّعم والخلفاء الاربعة اصحابه عليهم السلام يمشون
على الماء حتى مرّوا به فبشّره النبىّ صلّعم بالفتح وامره بالرفق بالمسلمين والوفاء
بالعهد وقيل انه لما ركب البحر غلبتْه عينُه فكأن يرى النبىّ صلّعم وحوله المهاجرون
والانصار قد تقلّدوا السيوف وتنكّبوا القسىّ فيقول له رسول الله صلّعم يا طارق تقدّمْ
لشانك ونظر اليه والى اصحابه قد دخلوا الاندلس قدّامه فهبّ من نومه مستبشرا
وبشّر اصحابه وثابت اليه ثقة ببشراه فقويتْ نفسه ولم يشكّ فى الظفر فخرج من
البلد واقتحم بسيط البلاد شانًّا للغارة قالوا ووقع الىc لذريق الملك خبرُ اقتحام
العرب ساحل الاندلس وتَوالى غاراتهم على بلد الجزيرة وان يليان السبب فيها وكان
يومئذ غائبا بارض بَنْبَلُونة فى غزاة له الى البشكنش لامر كان استصعب عليه بناحيتهم
فعظم عليه وفهم الامر الذى منه اتى واقبل مبادرا الفتق فى جموعه حتى احتلّ
بمدينة قرطبة من الموسطة ونزل القصر المدعوّ بها ببلاط لذريق المنسوب اليه وليس
لانه بناه واخترعه وهو من بناء من تقدّمه من الملوك اتّخذوه لمنزلهم فى قرطبة اذا
اتوها الا ان العرب لما غلبوا لذريق وهذا القصر من مواطنه نسبوه اليه اذ لم يعرفوا
من بناه ويزعم العجم ان الذى بناه ملك منهم كان ساكنا بحصن المدوّر اسفلَ
قرطبة وخرج يوما يتصيّد حتى انتهى الى مكان قرطبة وهى يومئذ خراب وكان فى

a) La. O. قليلا. b) Les man. portent ومنها. c) G. S. L. P. على.

موضع قصرها غيضة عُلّيْق ملتفّة أَشِبَة فارسل الملك بازيا له يكرم عليه على حَجَلة عنّتْ له من ناحية الكدية المنسوبة بعدُ الى ابى عبدة[a] فتخبّتْ[b] فى ذلك العلّيق ولجّ البازى فى الانقضاض عليها فركض الملك خلفه حتى وقف على مكانه بالحَرَجة فامر بقطعها لاستنقاذ بازيه ضنًّا منه به فقُطعت وبدا له تحتها اساس قصر عظيم راقه رصّه وقد كان ذا همّة فامر بالكشف عنه وتقصّى حدوده طولا وعرضا وتتبّع اسّه واصله فوجده مبنيّا من وجه الماء بصُمّ الحجارة فوق زرجون وُضع بينها وبين الماء باحكم صناعة فقال هذا اثر ملك كريم وانا اولى من جدّده فامر باعادته الى هيأته واتّخاذه منزلا من منازل راحاته فكان اذا طاف بعمله او مضى فى متصيّده[c] نزل فيه وصار السبب فى بناء قرطبة الى جنبه ونزول[d] الناس فيها[e] وتوارث الملوك قصرها من بعده ونزله لذريق فى زحفه الى العرب اياما والحشود من اعماله تتوافى اليه ثم مضى نحو كورة شَذُونة يبغى لقاءهم فى حشوده الكثيرة وقيل ان آخر ملوك الاندلس الذين تلتّهم العربُ غيطشة وانه هلك عن اولاد ثلثة صغار لم يصلحوا للملك فضبطت امّهم عليهم ملك والدهم بطليطلة وانحرف لذريق قائد الخيل لوالدهم فيمن تبعه عنهم فصار بقرطبة فلما اقتحم طارق الاندلس نفر اليه لذريق واستنفر اجناد اهل الاندلس وكتب الى اولاد غيطشة وقد ترعرعوا وركبوا الخيل واتّخذوا الرجال يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب ويحذّرهم من القعود عنه ويحضّهم على ان يكونوا على عدوّهم يدًا واحدة فلم يجدوا بدًّا وحشدوا وقدموا عليه بقرطبة فنزلوا اكناف قرية شقندة بعدوة نهرها قبالةَ القصر ولم يطمئنّوا الى الدخول على لذريق اخذًا بالحزم الى ان استتبّ جهاز لذريق وخرج فانضمّوا اليه ومضوا معه وهم مرصدون لمكروهه والاصحّ والله اعلم ما سبق ان ملك القوط اجتمع للذريق واختُلف فى اسمه فقيل رذريق بالراء اولّه وقيل باللام لذريق وهو الاشهر[f] قالوا وعسكر لذريق فى نحو مائة الف ذوى عدد وعُدّة فكتب طارق الى موسى يستمدّه ويعرّفه انه فتح الجزيرة الخضراء فرضةَ الاندلس وملك المجازَ اليها واستولى على اعمالها الى البحيرة وان لذريق زحف اليه بما لا قِبَلَ له به الا ان يشاء الله وكان موسى منذ وجّه طارقا لوجهه قد اخذ فى عمل

---

a) S. La. ابى عبيدة. b) Ce mot est peut-être altéré; La. فتحبت. c) O. فى مقصده, La. الى مقصده. d) La. O. ونزل. e) La. اقنيتها. f) Entre الاشهر et قالوا on trouve dans tous les man. les mots وقيل ان اصله من اصبهان ويسمى الاشبان والله اعلم (!).

السفن حتى صار عنده منها عدّة كثيرة فحمل الى طارق فيها ٥ آلاف من المسلمين مددا كمّلت به عدّةُ من معه ١٢ الفا اقوياء على المغانم حراصا على اللقاء ومعهم يليان المستامن اليهم فى رجاله واهل عمله يدلّهم على العورات ويتجسّس لهم الاخبار واقبل نحوهم لذريق فى جموع العجم وملوكها وفرسانها فتلاقوا فيما بينهم وقال بعضهم لبعض ان هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا وليس من اهله وانما كان من أتْباعنا فلَسْنا نعدم من سيرته خبالا فى امرنا وهؤلاء القوم الطارقون لا حاجةَ لهم فى استيطان بلدنا وانما مرادهم ان يملأوا ايديهم من الغنائم ثم يخرجون عنّا فهلمّ فلننهزمْ بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم لعلّهم يكفوننا اياه فاذا انصرفوا عنّا اقعدنا فى ملكنا من يستحقّه فاجمعوا على ذلك والقضاءُ يُبْرِم ما ارتأوْه وكان لذريق ولّى ميمنتَه احدَ ابنى غيطشة وميسرتَه الآخر فكانا راسَى الذين اداروا عليه الهزيمة وادّاهما الى ذلك طمعُ رجوع ملك والدهما اليهما وقيل لما تقابل a الجيشان اجمع b اولاد غيطشة على الغدر بلذريق وارسلوا الى طارق يعلمونه ان لذريق كان تابعا وخادما لابيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه وانهم غير تاركين حقّهم لديه ويسألونه الامان على ان يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وان يسلّم اليهم اذا ظفر c ضياعَ والدهم بالاندلس كلّها وكانت ٣ آلاف ضيعة نفائس مختارة وهى التى سمّيت * بعد ذلك d صفايا الملوك فاجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه فالتقى الفريقان من الغد فانحاز الاولاد الى طارق فكان ذلك اقوى اسباب الفتح وكان الالتقاء على وادى لكة من كورة شذونة فهزم الله الطاغية لذريق وجموعه ونصر المسلمين نصرا لا كفاء له ورمى لذريق نفسه فى وادى لكة وقد اثقلته السلاح e فلم يُعلم له خبر ولم يوجد وقيل نزل طارق بالمسلمين قريبا من عسكر لذريق منسلخَ شهر رمضان سنة ٩٢ فوجّه لذريق علجا من اصحابه وقد عرف نجدته ووثق بباسه ليُشْرِف على عسكر طارق فيحزر f عددهم ويعاين هيآتهم ومراكبهم فاقبل ذلك العلج حتى طلع على العسكر ثم شدّ فى وجوه من استشرفه من المسلمين فوثبوا اليه فولّى منصرفا راكضا وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق اتتْك الصور التى كشف لك عنها التابوت فخُذْ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت او اصابةَ ما تحت قدمَيْك قد حرقوا مراكبهم ايآسا لانفسهم من

a) G. S. L. تقاتل. b) La. اقبل. c) Dans La. les mots اذا ظفر sont placés après ضياع والدهم. d) La. بذلك. e) La. الجراح. f) Les man. portent فيحرز.

التعلّق بها وصفّوا فى السهل موطّنين انفسهم على الثبات اذ ليس لهم فى ارضنا مكانُ مهرب فرعب وتضاعف جزعه والتقى العسكران بالبحيرة واقتتلوا قتالا شديدا الى ان انهزمت ميمنة لذريق وميسرته انهزم بهما ابناه^a^ غيطشة وثبت القلبُ بعدهما قليلا وفيه لذريق فغدر اهله بشىء من قتال ثم انهزموا ولذريق امامهم فاستمرّت هزيمتهم وانذرع المسلمون القتل فيهم وخفى اثرُ لذريق فلا يُدْرَى امره الا ان المسلمين وجدوا فرسه الاشهب الذى فُقد وهو راكبه وعليه سرج له من ذهب مكلّل بالياقوت والزبرجد ووجدوا احد خُفَّيْه وكان من ذهب مكلّل بالدرّ والياقوت وقد ساخ الفرس فى طين وحمأة وغرق العلج فثبت احد خفّيْه فى الطين فأُخذ وخفى الآخر وغاب شخص العلج ولم يوجد حيّا ولا ميّتا والله اعلم بشانه وقال الرازى كانت الملاقاة يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان فاتّصلت الحرب بينهم الى يوم الاحد لخمس خلون من شوّال بعده تتمّةَ ٨ ايام ثم هزم الله المشركين فقُتل منهم خلق عظيم اقامت عظامُهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسةً لتلك الارض قالوا وحاز المسلمون من عسكرهم ما يجلّ قدرُه فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتم الذهب يجدونها فى اصابعهم ويعرفون من دونهم بخواتم الفضّة ويميّزون عبيدهم بخواتم النحاس فجمع طارق الفىء وخمّسه ثم اقتسمه اهله على ٩ آلاف من المسلمين سوى العبيد والاتباع وتسامع الناس من اهل برّ العدوة بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم^b^ فيها فاقبلوا نحوه من كل وجه وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا^c^ بطارق وارتفع اهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال ثم اقبل طارق حتى نزله باهل مدينة شذونة فامتنعوا عليه فشدّ الحصر عليهم حتى نهكهم واضرّهم فتهيّأ له فتحها عنوةً فحاز منها غنائم ثم مضى الى مَوْرُور^d^ ثم عطف الى قَرْمونة فمرّ بعينه المنسوبة اليه ثم مال على اشبيلية فصالحه اهلها على الجزية ثم نازل اهل استِجة وهم فى قوّة ومعهم فلُّ عسكر لذريق فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجِراح بالمسلمين ثم ان الله اظهر المسلمين عليهم فانكسروا ولم يلقَ المسلمون فيما بعدُ حربا مثلها واقاموا على الامتناع الى ان ظفر طارق بالعلج صاحبها وكان مغترّا سيّء التدبير فخرج الى النهر لبعض حاجاته وحدَه فصادف طارقا هناك قد اتى

---

a) La. اولاد. b) La. الغنائم. c) La. لحق. d) G. L. مدرور, S. مذرور, La. مدور.

لمثل ذلك وطارق لا يعرفه فوثب عليه طارق فى الماء فاخذه وجاء به الى العسكر فلما كاشفه اعترف له بانه امير المدينة فصالحه طارق على ما احبّ وضرب عليه الجزية وخلّى سبيله فوفى بما عاقد عليه وقذف الله الرعب فى قلوب الكفرة لما راوا طارقا يوغل فى البلاد وكانوا يحسبونه راغبا فى المغنم عاملا على القفول فسُقط فى ايديهم وتطايروا عن السهول الى المعاقل وصاعد ذوو القوّة منهم الى دار مملكتهم طليطلة قيل وكان من ارْهاب طارق لنصارى الاندلس وحيَلِه ان تقدّم الى اصحابه فى تفصيل لحوم القتلى بحضرة أَسْراهم وطبخها فى القدور يُرُونهم انهم كانوا ياكلونها فجعل من انطلق من الاسرى يحدّثون مَنْ وراءهم بذلك فتمتلئ منه قلوبهم رعبا ويجفلون فرارا قالوا وقال يليان لطارق قد فضضتّ جيوش القوم ورعبوا فاصْمُدْ لبيضتهم وهؤلاء ادلّاء من اصحابى مَهَرة ففرّقْ جيوشك معهم فى جهات البلاد واعمدْ انت الى طليطلة حيث مُعْظَمهم فاشغل القوم عن النظر فى امرهم والاجتماع a الى اولى رايهم ففرّق طارق جيوشه من استجة فبعث مُغيثا الرومى مولى الوليد بن عبد الملك الى قرطبة وكانت من اعظم مداينهم فى ٧٠٠ فارس لان المسلمين ركبوا جميعا خيل العجم ولم يبقَ فيهم راجل وفصلتْ عنهم الخيلُ وبعث جيشا آخر الى مالقة وآخر الى غرناطة مدينة البيرة وسار هو فى معظم الناس الى كورة جيّان يريد طليطلة وقد قيل ان الذى سار لقرطبة طارق بنفسه لا مغيث قالوا فكمنوا بعدوة نهر شقندة* فى غيضة b أَرْز شامخة وارسلت الادلّاء فامسكوا راعى غنم فسُئل عن قرطبة فقال رحل عنها عظماء اهلها الى طليطلة وبقى فيها اميرها فى ٤٠٠ فارس c من حُماتهم مع ضعفاء اهلها وسُئل عن سورها فاخبر انه حصين عالٍ فوق ارضها الا انه فيه ثغرة ووصفها d فلما اجنّهم الليل اقبلوا نحو المدينة ووطّأ الله لهم اسباب الفتح بان ارسل السماء برذاذ اخفى دقدقة حوافر الخيل واقبل المسلمون رويدًا حتى عبروا نهر قرطبة ليلا وقد اغفل حرسُ المدينة احتراس السور فلم يظهروا عليه ضيقًا بالذى نالهم من المطر والبرد فترجّل القوم حتى عبروا النهر وليس بين النهر والسور الا مقدار ٣٠ ذراعا وراموا التعلّق بالسور فلم يجدوا متعلّقا ورجعوا الى الراعى فى دلالتهم على الثغرة التى ذكرها فاراهم اياها فاذا بها غير متسهّلة التسنّم الا انه كانت فى اسفلها شجرة تين

a) S. الاجماع. b) La. تحت شجر. c) Ce mot manque dans G. S. et L. d) La. ajoute لهم.

مكّنت اثنائها من التعلّق بها فصعد رجل من اشدّاء المسلمين فى اعلاها ونزع مغيث عمامته فناوله طرفها واعان بعض الناس بعضا حتى كثروا على السور وركب مغيث ووقف من خارج وامر اصحابه المرتقين للسور بالهجوم على الحرس ففعلوا وقتلوا نفرا منهم وكسروا اقفال الباب وفتحوه فدخل مغيث ومن معه وملكوا المدينة عنوةً فصمد الى البلاط منزل الملك ومعه ادلّاؤه وقد بلغ الملك دخولهم المدينة فبادر بالفرار عن البلاط فى اصحابه وهم زهاء ٤٠٠ وخرج الى كنيسة بغربىّ المدينة وتحصّن بها وكان الماء ياتيها تحت الارض من عين فى سفح جبل ودافعوا عن انفسهم وملك مغيث المدينة وما حولها وقال من ذهب الى ان طارقا لم يحضر فتح قرطبة وان فاتحها مغيث انه كتب الى طارق بالفتح واقام على محاصرة العلج بالكنيسة ٣ اشهر حتى ضاق من ذلك وطال عليه فتقدّم الى اسود من عبيده اسمُه رباح وكان ذا باس ونجدة بالكمون فى جنان الى جانب الكنيسة ملتفّة الاشجار لعلّه ان يظفر له بعلج يَقِفُ به على خبر القوم ففعل ودعاه ضعفُ عقله الى ان صعد فى بعض تلك الاشجار وذلك فى ايام الثمر ليجتنى ما ياكله فبصر به اهل الكنيسة وشدّوا عليه فاخذوه وملكوه وهم فى ذلك هائبون له منكرون لخلْقه اذ لم يكونوا عاينوا اسود قبله فاجتمعوا عليه وكثر لغطهم وتعجّبهم من خلقه وحسبوا انه مصبوغ[a] او مطلىّ ببعض الاشياء التى تسوّد فجرّدوه وسط جماعتهم وادنوه الى القناة التى منها كان ياتيهم الماء واخذوا فى غسله وتدليكه بالحبال الخُرْش حتى أَدْمَوْه واعنتوه فاستغاثهم واشار الى ان الذى به خلقة من بارئهم عزّ وجهه ففهموا اشارته[b] وكفّوا عن غسله واشتدّ فزعُهم منه ومكث فى اسارهم ٧ ايام لا يتركون التجمّع عليه والنظر اليه الى ان يسّر الله له الخلاص ليلا ففرّ واتى الامير مغيثا فخبّره[c] بشانه وعرّفه بالذى اطّلع عليه من موضع الماء الذى ينتابونه ومن اىّ ناحية ياتيهم فامر اهل المعرفة بطلب تلك القناة فى الجهة التى اشار اليها الاسود حتى اصابوها فقطعوها عن جريتها الى الكنيسة وسدّوا منافذها فايقنوا بالهلاك حينئذ فدعاهم مغيث الى الاسلام او الجزية فأبوا عليه فاوقد النيران عليهم حتى احرقهم فسمّيت كنيسة الحَرْقَى والنصارى يعظّمها لصبر من كان فيها على دينهم مع شدّة البلاء غير ان العلج اميرهم رغب بنفسه عن بليّتهم عند

---

a) G. S. L. مصنوع. b) Au lieu de ce mot G. S. et L. portent عنه. c) S. فاخبره.

ايقـان الهلاك ففرّ عنهم وحدَه وقد استغفلهم ورام اللحـاق a بطليطلة فنمى خبره الى مُغيث فبادر الركض خلفه وحدَه فلحقه بقرب قرية تطليرة b هاربا وحدَه وتحته فرس اصفر ذريع الخطو وحرّك مغيث خلفه فالتفت العلج ودهش لما راى مغيثـا قد رهقه وزاد فى حثّ فرسه فقصر به فسقط عن الفرس واندقّت عنقه فقعد على ترسه مستاسرا قد هاضته السقطةُ فقبض عليه مغيث وسلبه سلاحَه وحبسه عنده ليقدم به على امير المومنين الوليد فلم يُوسَرْ من ملوك الاندلس غيره لان بعضهم استامن وبعضهم هرب الى جلّيقية وفى رواية ان مغيثا استنزل اهل الكنيسة بعد اسر ملكهم فضرب اعناقهم جميعا فمن اجل ذلك عرفت بكنيسة الأَسْرَى وان مغيثا جمع يهودَ قرطبة فضمّهم الى مدينتها استنامةً اليهم دون النصارى للعداوة بينهم وانه اختـار القصر لنفسه والمدينة لاصحابه واما من وجّه الى مالقة ففتحوها ولجأ علوجهـا الى جبال هنالك ممتنعة ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجّه الى البيرة فحاصروا مدينتها غرنـاطة فافتتحوها عنوةً وضمّوا اليهود الى قصبة غرناطة وصار ذلك لهم سنّة متّبعة فى كل بلد يفتحونه ان يضمّوا يهوده الى القصبة مع قطعة من المسلمين لحفظها ويمضى معظمُ النـاس لغيرها واذا لم يجدوا يهودا وفّروا عدد المسلمين المخلّفين لحفظ مـا فُتح ثم صنعوا عند فتح كورة رَيّة التى منهـا مـالقة مثل ذلك ومضى الجيش الى تُدْمير وتدمير اسم العلج صاحبها سمّيت به واسم قصبتها أُريولة ولها شان فى المنعة وكـان ملكها علجا داهية وقـاتلهم مصحياء c ثم استمرّت عليه الهزيمةُ فى فحصها فبلغ السيف فى اهلها مبلغا عظيمـا افنى اكثرهم ولجـأ العلج الى اريولة فى يسير من اصحـابه لا يُغْنون شيـًا فامر النساء بنشر الشعور، وحمل القصب والظهور على السور، فى زىّ القتـال، متشبّهـات بالرجـال،، وتصدّر قدّامهنّ فى بقيّة اصحابه يغالط المسلمين فى قوّته على الدفاع عن نفسه فكره المسلمون مراسّه لكثرة من عاينوه على السور وعرّضوا عليه الصلح فاظهر الميل اليه ونكّر زيّه فنزل اليهم بامان على انه رسول فصالحهم على اهل بلده ثم على نفسه وتوثّق منهم فلما تمّ له من ذلك ما اراد عرّفهم بنفسه واعتذر اليهم بالابقاء على قومه واخذهم بالوفاء بعهده وادخلهم المدينة فلم يجدوا فيها الا العيال والذرّيّة فندموا d على الذى اعطوه من الامان واسترجحوه فيمـا احتال به ومضوا e على الوفاء

a) La. اللحوق. b) طلبيرة? c) Ce mot me paraît altéré; il faut peut-être lire مصْحَما.
d) La. فابقوه. e) G. S. L. ومضت.

له وكان الوفاء عادتهم فسلمت كورة تدمير من معرّة المسلمين بتدبير تدمير وصارت كلها صلحا ليس فيها عنوة وكتبوا الى اميرهم طارق بالفتح وخلّفوا بقصبة البلد رجالا منهم ومضى المعظم الى اميرهم لفتح طليطلة قال ابن حيان وانتهى طارق الى طليطلة دار مملكة القوط فالفاها خاليةً قد فرّ اهلها عنها ولجأوا الى مدينة لها a خلف الجبل فضمّ اليهود الى طليطلة وخلّف بها رجالا من اصحابه ومضى b خلف من فرّ من اهل طليطلة فسلك الى وادى الحجارة ثم استقبل الجبلَ فقطعه من فجّ سُمّى به فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل وهى المنسوبة لسليمن بن داءود عليهما السلام وهى خضراء من زبرجدة حافاتها منها وارجلها وكان لها ٣٦٥ رجلا فاحرزها عنده ثم مضى الى المدينة التى تحصّنوا بها خلف الجبل فاصاب بها حليًا ومالا ورجع ولم يتجاوزْها الى طليطلة سنة ٩٣ وقيل انه لم يرجع بل اقتحم ارض جليقية واخترقها c حتى انتهى الى مدينة أَسْتُرْقة فدوّخ الجهة وانصرف الى طليطلة والله اعلم وقيل ان طارقا دخل الاندلس بغير امر مولاه موسى بن نصير والله تعـ اعلم قال بعضهم وكانت اقامته فى الفتوح وتدويخ البلاد الى ان وصل سيّدُه موسى بن نصير سنةً وكان ما سيذكر وانشد فى المُسْهِب وابن اليسع فى المُغْرِب لطارق من قصيدة قالها فى الفتح

ركبنا سفينًا بالمجاز مقيّرا ... عسى ان يكون الله منّا قد اشترى
نفوسا واموالا واهلا بجنّة ... اذا ما اشتهينا الشىء فيها تيسّرا
ولَسْنا نُبالى كيف سالتْ نفوسُنا ... اذا نحن ادركْنا الذى كان اجدرا

قال ابن سعيد وهذه الابيات مماd يُكتب e لمراعاة قائله ومكانته f لا لعلوّ طبقته انتهى،

واما اولاد غيطشة فانهم لما صاروا الى طارق بالامان وكانوا سببَ الفتح حسبما تقدّم قالوا لطارق انت امير نفسك ام فوقك امير فقال بل على راسى امير وفوق ذلك الامير امير عظيم فاستاذنوه باللحاق بموسى بن نصير بافريقية ليؤكّد سببهم به وسألوه الكتاب اليه بشانهم معه وما اعطاهم من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقّوْه فى انحداره الى الاندلس بالعرب g من بلاد البربر وعرّفوه بشانهم ووقف على ما خاطبه به طارق فى ذمّتهم وسابقتهم فانفذهم الى امير المومنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرّفه به طارق من جميل اثرهم فلما وصلوا الى الوليد اكرمهم وانفذ لهم عهدَ

a) G. S. L. بها. b) G. S. et L. ajoutent الى. c) La. وخرقها. d) La. انما. e) G. L. La. تكتب. f) S. وكاتبه , G. L. وكاينة. g) La. بالمغرب , P. بالقرب, S. من العرب.

طارق فى ضياع والدهم وعقد لكل واحد منهم سجلّا وجعل لهم ان لا يقوموا لداخل عليهم فقدموا الاندلس وحازوا ضياع والدهم جُمَعَ a واقتسموها على موافقة منهم فصار منها الكبيرهم أَلْمُنْد الف ضيعة فى غرب الاندلس سكن من اجلها اشبيلية مقتربًا منها وصار لأَرْطَباش الف ضيعة وهو تِلْوه فى السنّ وضياعه فى موسطة الاندلس فسكن من اجلها قرطبة وصار لثالثهم رُمْلُه b الف ضيعة فى شرقى الاندلس وجهة الثغر فسكن من اجلها مدينة طليطلة فكانوا على هذه الحال صدرَ الدولة العربيّة الى ان هلك المند كبيرهم وخلّف c ابنته سارة المعروفة بالقوطيّة وابنين صغيرين فبسط يده ارطباش على ضياعهم وضمّها الى ضياعه وذلك فى خلافة امير المومنين هشام بن عبد الملك فانشأت سارة بنت المند مركبا باشبيلية حصينا كامل العدّة وركبت فيه مع اخوَيْها الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بعَسْقَلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره بدمشق فانهتْ خبرها وتشكّتْ ظلامتها من عمّها * واستَعْدت عليه d واحتجّت بالعهد المنعقد لابيها واخوَيْه e على الخليفة الوليد بن عبد الملك فاوصلها هشام الى نفسه واعجبه صروها f وحزمها وكتب الى حنظلة بن صفوان عامله بافريقية بانْصافها من عمّها ارطباش وامضائها واخوَيْها g على سنّة الميراث فيما كان فى يد والدهم h ممّا قاسم فيه اخوَيْه فانفذ لها الكتاب بذلك الى عامله بالاندلس ابى الخطّار ابن عمّه فتمّ لها ذلك وانكحها الخليفةُ هشام من عيسى بن مُزاحم فابتنى بها بالشام ثم قدم بها الى الاندلس وقام لها فى دفاع عمّها ارطباش عن ضياعها فنال بها نعمة عظيمة ووُلد له منها ولداه ابرهيم واسحق فادركا الشرف المؤثّل والرياسة باشبيلية وشهرًا ونسلُهما بالنسبة الى امّهما سارة القوطيّة وكانت ايامَ وفادتها على الخليفة هشام رأت عنده حفيده عبد الرحمن بن معوية الداخل بعدُ الى الاندلس وعرفها فتوسّلت بذلك اليه لما ملك الاندلس ووفدت اليه فاعترف بذمامها واكرمها واذن لها فى الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة فيجدّد تكرمتها ولا يحجب عيالها منها وتوفّى زوجها عيسى فى السنة التى ملك فيها عبد الرحمن الاندلس فزوّجها عبدُ الرحمن

a) Les man. portent اجمع. *b*) Ou رُمْلُه, comme on lit dans le man. de Paris nº. 706. Les man. d'al-m. portent وُقْلَة. *c*) G. P. S. L. وتخلف. *d*) La. وتعدّيه عليها. *e*) Les man. portent واخوته. *f*) S. صروها, La. صروهما, P. صرمها. Ce mot est sans doute altéré. *g*) Les man. portent واخوتها. *h*) Les man. portent والدهما.

من عُمَيْر بن سعيد وكان لها ولابيها المند وعمّها ارطباش فى صدر الدولة العربيّة بالاندلس اخبار ملوكيّة فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لُبابة المالكى انه قصد ارطباش يوما الى منزله عشرةٌ من رؤساء رجال الشاميّين فيهم الصُمَيْل وابن الطُفَيْل وابو عبدة a وغيرهم فاجلسهم على الكراسى وبالغ فى تكريمهم ودخل على اثرهم ميمونٌ العابد جدّ بنى حزم وكان فى عداد الشاميّين الا انه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه فلما بصر به ارطباش قام اليه دونهم اعْظاما ورقّاه الى كرسيّه الذى كان يجلس عليه وكان مُلْبَسا صفائحَ الذهب وجذبه ليجلسه مكانَه فامتنع عليه ميمون وقعد على الارض فقعد ارطباش معه عليها واقبل عليه قبلهم فقال له يا سيدى ما الذى جاء بك الى مثلى فقال له ما تسمعه انّا قدمنا الى هذا البلد غُزاةً نحسب مُقامنا فيه لا يطول فلم نستعدّ للمقام ولا كثّرنا من العدّة ثم حدثت b بعدنا على موالينا وفى اجنادنا ما قد ايسنا معه من الرجوع الى اوطاننا وقد وسّع الله عليك فأُحبّ ان تدفع الىّ ضياعا من ضياعك اعتمرها بيدىّ واؤدّى اليك الحقّ عنها وآخذ الفضل لى طيبا اتعيّش منه فقال لا أَرْضَى لك بالمساهمة بل أَهَبُ لك هبةً مسوّغة ثم دعا بوكيل له فقال له سلّمْ اليه المَحْشَر الذى لنا على وادى شُوش بما لنا فيه من العبيد والدوابّ والبقر وغير ذلك وادفعْ اليه الضيعة التى بجيّان فتسلّم ميمون الضيعتين وورثهما ولده واليهم نُسبت قلعة حزم فشكره ميمون واثنى عليه وقام عنه وقد انف الصميل من قيامه اليه فاقبل على ارطباش وقال له كنتُ اظنّك ارجح وزنًا ادخل عليك وانا سيّد العرب بالاندلس فى اصحابى هؤلاء وهم سادة الموالى فلا تزيدنا من الكرامة على الاقْعاد على اعوادك هذه ويدخل هذا الصعلوك فتصير من اكرامه الى حيث صرتَ فقال له يا ابا جَوْشَن ان اهل دينك يخبروننا ان ادبهم لم يُرْهِفْك ولو كان لم تنكر علىّ ما فعلتُه انكم اكرمكم الله انما تُكْرَمون لدنياكم وسلطانكم وهذا انما اكرمتُه لله تع فقد روينا عن المسيح عم انه قال مَنْ اكرمه الله من عباده بالطاعة له وجبتْ كرامتُه على خلقه فكانّما أُلْقِمَ حجرا وكان الصميل امّيّا فلذلك عرّض به فقال له القوم دَعْنا من هذا c وانظُرْ فيما قصدنا له فحاجتُنا حاجة الرجل الذى قصدك فاكرمتَه فانظرْ فى شاننا فقال له انتم ملوك الناس وليس يُرْضيكم الا

a) S. وابو عبيدة. b) Les man. portent حدثت. c) La. ajoute كله.

الكثير وها انا اهب لكم مائة ضيعة تقتسمونها عشرا عشرا وكتب لهم بها وامر وكلاءه بتسليمها اليهم فكان القوم يرونها من اطيب املاكهم انتهى، قال ابن حيان وغيره ولما بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق بن زياد وما أُتيح له من الفتوح حسده وتهيّأ للمسير الى الاندلس فعسكر واقبل نحوها ومعه جماعة الناس واعلامهم وقيل انهم كانوا ١٨ الفا وقيل اكثر فكان دخوله الى الاندلس فى شهر رمضان سنة ٩٣ وتنكّب الجبلَ الذى حلّه طارق ودخل على الموضع المنسوب اليه المعروف الآن بجبل موسى فلما احتلّ الجزيرة الخضراء قال ما كنتُ لأَسْلُكَ انا *a* طريقَ طارق ولا اقفو اثره فقال له العلوج الادلّاء اصحاب يليان نحن نسلك بك طريقا هو اشرف من طريقه وندلّك على مداين هى اعظم خطرًا *b* واوسع غنما من مداينه لم تفتح بَعْدُ يفتحها الله عليك ان شاء الله تع فملئَ سرورا وكان شفوف طارق قد غمّه فساروا به فى جانب ساحل شذونة فافتتحها عنوةً والقوا بايديهم اليه ثم سار الى مدينة قرْمونة وليس بالاندلس احصن منها ولا ابعد على من يرومها بحصار او قتال فدخلها بحيلة توجّهت باصحاب يليان دخلوا اليهم كانّهم فلال وطرقهم موسى بخيله ليلا ففتحوا لهم الباب واوقعوا بالاحراس فمُلكت المدينة ومضى موسى الى اشبيلية جارتها فحاصرها وهى اعظم مداين الاندلس شانا واعجبها بنيانا واكثرها آثارا وكانت دار الملك *c* قبل القوطيين فلما غلب القوطيون على ملك الاندلس حوّلوا السلطان الى طليطلة وبقى رؤساء الدين فيها اعنى اشبيلية فامتنعت اشهرًا على موسى ثم فتحها الله عليه فهرب العلوج عنها الى مدينة باجة فضمّ موسى يهودها الى القصبة وخلّف بها رجالا ومضى من اشبيلية الى لَقَنْت *d* الى مدينة ماردة وكانت ايضا دار مملكة لبعض ملوك الاندلس فى سالف الدهر وهى ذات عزّ ومنعة وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر فائقة الوصف فحاصرها ايضا وكانت فى اهلها منعة شديدة وباس عظيم فنالوا من المسلمين دفعات وآذوهم وعمل موسى دبّابة دبّ المسلمون تحتها الى برج من ابراج سورها جعلوا ينقبونه فلما قلعوا الصخر افضوا الى العمل المدعوّ بلسان العجم الاشة ماشة *e* فنَبَتْ

a) Ce mot manque dans G. S. et L. *b*) G. S. L. P. خطبا ; La. هى اوسع خطرا واعظم خطبا الخ. *c*) S. المملكة. *d*) *Fuente de Cantos*. P. لقنت, G. S. L. La. القنت.
e) *Argamasa*, ciment. Pedro de Alcalá (*Vocabulario Español Arabigo*) traduit *argamasa* et *mazacote* par *laxamāx*.

عنه معاولُهم وعدّتهم وثار بهم العدوّ على غفلة فاستُشهد بايديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبّابة فسُمّى ذلك الموضع برج الشهداء ثم دعا القوم الى السلم فترسّل اليه فى تقريره قوم من اماثلهم اعطاهم الامان واحتال فى توهيمهم فى نفسه فدخلوا عليه اولَ يوم فاذا هو ابيض الراس واللحية كما نصل خضابه فلم يتّفق لهم معه امر وعاودوه قبل الفطر بيوم فاذا به قد قنّأ لحيته بالحنّاء فجاءت كضرام عرفج فعجبوا من ذلك وعاودوه يوم الفطر فاذا هو قد سوّد لحيته فازداد تعجّبهم منه وكانوا لا يعرفون الخضاب ولا استعماله فقالوا لقومهم انّا نقاتل انبياء يتخلّقون كيف شاءوا ويتصوّرون فى كل*a* صورة احبّوا كان ملكهم شيخا فقد صار شابًّا والراى ان نقاربه ونعطيه ما يسأله فما لنا به طاقة فاذعنوا عند ذلك واكملوا صلحهم مع موسى على ان اموال القَتْلَى يومَ الكمين واموال الهاربين الى جلّيقية واموال الكنائس وحُليّها للمسلمين ثم فتحوا له المدينة يوم الفطر سنة ٩٤ فملكها ثم ان عجم اشبيلية انتقضوا على المسلمين واجتمعوا من مدينتَىْ باجة ولَبْلة اليهم فاوقعوا بالمسلمين وقتلوا منهم نحو ٨٠ رجلا واتى فلُّهم الامير موسى وهو بماردة فلما ان فتحها وجّه ابنه عبد العزيز بن موسى فى جيش اليهم ففتح اشبيلية وقتل اهلها ونهض الى لبلة ففتحها واستقامت الامور فيماه هنالك وعلا الاسلام واقام عبد العزيز بن موسى باشبيلية وتوجّه الامير موسى من ماردة فى عقب شوّال من العام المؤرّخ يريد طليطلة وبلغ طارقا خبرُه فاستقبله فى وجوه الناس فلقيه فى موضع من كورة طَلَبِيرة وقيل ان موسى تقدّم من ماردة فدخل جلّيقية من فجّ نُسب اليه فخرقها حتى وافى طارق بن زياد صاحب مقدّمته بمدينة أَسْتُرْقة فغضّ منه علانيةً واظهر ما بنفسه عليه من حقد والله اعلم وقيل لما وقعت عينُه عليه نزل اليه اعْظاما له فقنّعه موسى بالسوط ووبّخه على استبداده عليه ومخالفته لرايه وساروا الى طليطلة فطالبه موسى باداء ما عنده من مال الفىء وذخائر الملوك واستعجله بالمائدة فاتاه بها وقد خلع من ارجلها رجلا وخبأًه عنده فسأله موسى عنه فقال لا علم لى به وكذا اصبتُها فامر موسى فجُعل لها رجل*c* من ذهب جاء بعيدَ الشبه من ارجلها فظهر عليه التعمّل ولم يقدر على احسن منه فاختلّ بها*b* وقال ابن القَرَضى موسى بن نصير صاحب فتح الاندلس لخمىّ يكنى ابا عبد الرحمن يروى عن

---

a) La. اى. *b*) Les man. portent فيها. *c*) S. La. رجلا.

تميم الداريّ وروى عنه يزيد بن مسروق اليَحْصُبى، وقيل غزا موسى بن نصير فى المحرّم سنة ٩٣ فاتى طنجة ثم عبر الى الاندلس فاذاخها لا ياتى على مدينة الا فتحها ونزل اهلها على حكمه ثم سار الى قرطبة ثم قفل عن الاندلس سنة ٩٤ فاتى افريقية وسار عنها سنة ٩٥ الى الشام يؤمّ الوليد بن عبد الملك يجرّ الدنيا بما احتمله من غنائم الاندلس من الاموال والامتعة يحملها على العَجَل والظهر ومعه ٣٠ الف راس من السبى فلم يلبث ان هلك الوليد وولى سليمن فنكب موسى نكبا اداه الى المَتْرَبة فهلك فى نكبته تلك بوادى القُرى سنة ٩٧، قال ابن حيان وهذه المائدة المنوّه باسمها المنسوبة الى سليمن النبىّ عمّ لم تكن له فيما يزعم رُواة العجم وانما اصلها ان العجم فى ايام ملكهم كان اهل الحسبة منهم اذا مات احدهم اوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسى واشباهها من الذهب والفضّة تحمل الشمامسةُ والقسوس فوقها مصاحف الاناجيل اذا أُبرزت فى ايام المناسك ويصفّونها على المذابح فى الاعياد للمباهاة بزينتها فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ فى هذه السبيل وتأنّقت الاملاك فى تفخيمها يزيد الآخر منهم فيها على الاول حتى برزت على جميع ما اتُّخذ من تلك الآلات وطار الذكر مطارَه عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصّعة بفاخر الدرّ والياقوت والزمرّد لم ترَ الاعين مثلها وبولغ فى تفخيمها من اجل دار المملكة وانه لا ينبغى ان تكون بموضع آلةُ جمال او متاعُ مباهاة الا دون ما يكون فيها وكانت توضع على مذبح كنيسة طليطلة فاصابها المسلمون هنالك وطار النبأُ الفخم عنها وقد كان طارق ظنّ بموسى اميره مثل الذى فعله من غيرته على ما تهيّأ له ومطالبته له بتسليم ما فى يده اليه فاستظهر بانتزاع رجل من ارجل هذه المائدة خبّأه عنده فكان من فلجه به على موسى عدوّه عند الخليفة اذ تنازعا عنده بعد الاثر فى جهادهما ما هو مشهور، وقال بعض المؤرّخين ان المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضّة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرّد وكلها مكلّلة بالجواهر انتهى، وما ذكره ابن حيان من ان الذى نكب موسى بن نصير هو سليمن بن عبد الملك صواب واما ما حكاه ابن خلّكان من ان المنكّب له الوليد فليس بصحيح والله اعلم، رجع الى كلام ابن حيان قالوا ثم ان موسى اصطلح مع طارق واظهر الرضى عنه واقرّه على مقدّمته على رسمه وامره بالتقدّم امامه فى اصحابه وسار موسى خلفه فى جيوشه فارتقى الى الثغر الاعلى

وافتتح سرقسطة واعمالها واوغل فى البلاد وطارق امامه لا يمرّان بموضع الا وفُتح عليهما وغنّمهما الله ما فيه وقد القى الله الرعب فى قلوب الكَفَرة فلم يعارضْهما احد الاّ بطلب الصلح a وموسى يجىء على اثر طارق فى ذلك كله ويكمل ابتداءه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله واطمأنّ b نفوس من اقام على سلمه ووطّأ لاقدام المسلمين فى الحلول به اقام لتمييز ذلك وقتا وامضى المسلمين الى افرنجة ففتحوا وغنموا وسلموا وعلوا واوغلوا حتى انتهوا الى وادى رودنه c فكان اقصى اثر العرب ومنتهى موطئهم من ارض العجم وقد دوّخت بعوث طارق وسراياه بلد افرنجة فملكت مدينتى برشلونة واربونة وصخرة أَبْنُيُون d وحصن لوذون على وادى رودنه e فبعدوا عن الساحل الذى منه دخلوا جدًّا وذُكر ان مسافة ما بين قرطبة واربونة من بلاد افرنجة ٣٠٠ فرسخ وخمسة وثلثون فرسخا وقيل ٣٠٠ فرسخ وخمسون فرسخا ولما اوغل المسلمون الى اربونة ارتاع لهم قارلُه ملك الافرنجة بالارض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم وخرج عليهم فى جمع عظيم فلما انتهى الى حصن لوذون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه واقبل حتى انتهى الى صخرة ابنيون f فلم يجدْ بها احدا وقد عسكر المسلمون قدّامه فيما بين الاجبل المجاورة لمدينة اربونة وهم بحال غرّة لا عيون لهم ولا طلائع فما شعروا حتى احاط بهم عدوّ الله قارلُه فاقتطعهم عن اللجا الى مدينة اربونة وواضعهم الحرب فقاتلوا قتالا شديدا استُشهد فيه جماعة منهم وحمل جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها فنازلهم بها اياما اصيب له فيها رجال وتعذّر عليه المُقام وخامره ذعرٌ وخوفُ مدد للمسلمين فزال عنهم راحلا الى بلده وقد نصب فى وجوه المسلمين حصونا على وادى رودنه شكّها بالرجال فصيّرها ثغرا بين بلده والمسلمين وذلك بالارض الكبيرة خلف الاندلس، وقال الحجارى فى المسهب ان موسى بن نصير نصره الله نصرا ما عليه مزيد واجفلت ملوكُ النصارى بين يديه حتى خرج على باب الاندلس الذى فى الجبل الحاجز بينها وبين الارض الكبيرة فاجتمعت الافرنج الى ملكها الاعظم قارلُه وهذه سمةٌ لملوكهم g فقالت له ما هذا

---

a) G. S. L. صلح. b) Telle est la leçon du man. P.; les autres portent وطامن. c) G. P. L. مرذونة, S. رزونة, La. رونة. d) G. L. انبيبون, S. انيبون, P. انيون, La. اينبيونه. e) Les man. portent ردونة. f) G. L. اينبيون, S. اينبيونه, P. انيون, La. اينون. g) G. L. La. لملكهم.

الخزى الباقى فى الاعقاب كُنّا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى اتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس *وعظيم ما a فيها من العدّة والعدد بجمعهم القليل وقلّة عدّتهم وكونهم لا دروع لهم فقال لهم ما معناه الرائ عندى ان لا تعترضوهم فى خرجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادره وهم فى اقبال امرهم ولهم نيّات تُغْنى عن كثرة العدد وقلوب تغنى عن حصانة الدروع ولكن أمْهِلوهم حتى تمتلئ ايديهم من الغنائم ويتّخذوا المساكن ويتنافسوا فى الرياسة ويستعين بعضهم *على بعض b فحينئذ تتمكّنون c منهم بايسر امر قال فكان والله كذلك بالفتنة التى طرأت بين الشاميّين والبلديّين والبربر والعرب والمضريّة واليمانية وصار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن يجاورهم من الاعداء انتهى، وقيل ان موسى بن نصير اخرج ابنه عبد الاعلى الى تدمير ففتحها والى غرناطة ومالقة وكورة ريّة ففتح الكل وقيل انه لما حاصر مالقة وكان ملكها ضعيف الراى قليل التحفّظ كان يخرج الى جنان له بجانب المدينة طلبا للراحة من غُمّة الحصار من غير نصب عين وتقديم طليعة وعرف عبد الاعلى بامره فاكمن له فى جنبات الجنّة التى كان ينتابها قوما من وجوه فرسانه ذوى راى وحزم ارصدوا له ليلا فظفروا به وملكوه فاخذ المسلمون المدينة عنوةً وملأوا ايديهم غنيمةً وقيل كانت نفسُ موسى بن نصير فى ذلك كله تنزعج الى دخول دار الكفر جليقية فبينما هو يعمل فى ذلك ويعدّ له اذ اتاه مُغيث الرومى رسول الوليد بن عبد الملك ومولاه يامره بالخروج عن الاندلس والاضْراب عن الوغول فيها وباخذه d بالقفول اليه فساءه ذلك وقطع به عن ارادته اذ لم يكن فى الاندلس بلد لم تدخله العرب الى وقته ذلك غير جليقية فكان شديد الحرص على اقتحامها فلاطَفَ موسى مغيثا رسول الخليفة وسأله انْظاره الى ان ينفذ عزمه فى الدخول اليها والمسير معه فى البلاد اياما ويكون شريكه فى الاجر والغنيمة ففعل ومشى معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن بازو e وحصن لُك فاقام هنالك وبثّ السرايا حتى بلغوا صخرة بلاى على البحر الاخضر فلم تبقَ كنيسة الا هُدمت ولا ناقوس الا كُسر وطاعت الاعاجم فلاذوا بالسلم وبذل f الجزية وسكنت العربُ المفاوز وكان العرب والبربر كلّما مرّ قوم منهم بموضع استحسنوه حطّوا به ونزلوه قاطنين فاتّسع نطاقُ الاسلام بارض

---

a) La. (sic) واعظم من. b) Les man. portent ببعض. c) P. نتمكن. d) G. P. L. La. وياخذه. e) Viseu, au sud-est d'Oporto. G. L. S. P. بنارو. f) La. وبذلوا.

الاندلس وخذل الشركُ وبينما موسى كذلك فى اشتداد الظهور وقوّة الامل ان قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى ابا نصر اردف به الوليد مغيثا لما استبطأ موسى فى القفول وكتب اليه يوبّخه ويامره بالخروج والزم رسولَه ازْعاجَه فانقلع a حينئذ من مدينة لك بجليقية وخرج على الفجّ المعروف بفجّ موسى ووافاه طارق فى الطريق منصرفا من الثغر الاعلى فاقفله مع نفسه ومضيا جميعًا ومعهما من الناس من اختار القفول واقام مَنْ آثَرَ السكنى فى مواضعهم التى كانوا قد اختطّوها واستوطنوها وقفل معهم الرسولان مغيث وابو نصر حتى احتلوا باشبيلية فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على امارة الاندلس واقرّه بمدينة اشبيلية لاتّصالها بالبحر نظرًا لقربه من مكان المجاز وركب موسى البحر الى المشرق بذى حجّة سنة b ٩٥ وطارق معه وكان مُقام طارق بالاندلس قبل دخول موسى سنةً وبعد دخوله سنتين واربعة اشهر وحمل موسى الغنائم والسبى وهو ٣٠ الف راس والمائدة منوّها بها ومعهما من الذخائر والجواهر ونفيس الأمْتعة ما لا يقدر قدره وهو مع ذلك متلهّف على الجهاد الذى فاتَه أَسِيفٌ c على ما لحقه من الازعاج وكان يؤمّل ان يخترق ما بقى عليه من بلد d افرنجة ويقتحم الارض الكبيرة حتى يتّصل بالناس الى الشام مؤمّلا ان يُتّخذ مخترقه بتلك الارض طريقا مَهْيَعا يسلكه اهل الاندلس فى مسيرهم ومجيئهم من المشرق واليه على البرّ لا يركبون بحرا وقيل انه اوغل فى ارض الفرنجة حتى انتهى الى مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فاصاب فيها صنما عظيما قائما كالسارية مكتوبا فيه بالنقر كتابة عربيّة قُرِئت فاذا هى يا بنى اسمعيل انتهيتم فارْجعوا فهاله ذلك وقال ما كُتب هذا e الا لمعنى كبير فشاوَرَ اصحابه فى الاعْراض عنه وجوازه الى ما وراءه فاختلفوا عليه فاخذ براى جمهورهم وانصرف بالناس وقد اشرفوا على قطع البلاد وتقصّى الغاية، وحكى f الرازى ان موسى خرج من افريقية الى الاندلس فى رجب سنة ٩٣ واستخلف على افريقية اسنّ ولده عبد الله بن موسى وكان موسى فى ١٠ آلاف قال وكان عبد الملك بن مروان هو الذى اغزى موسى المغربَ فى خلافته ففُتح له فى اهله البرابرة فتوح كبار حتى لقد بعث الى عبد الملك فى الخُمْس بعشرين الف سبيّة ثم اردفها بعشرين الفا اخرى كلُّ ذلك من البربر فعجب g عبد الملك يومئذ من كثرة ذلك،

a) G. L. فانخلع , La. فانقطع. b) Ce mot manque dans G. S. et L. c) La. اسف. d) La. بلاد. e) G. ذلك. f) S. وقال. g) S. فتعجب.

وزعم ابن حبيب انه دخل الاندلس رجل واحد من اصاغر الصحابة وهو المُنَيْذِر قال ودخلها من التابعين ٣ موسى الامير وعلى بن رباح اللخمىّ وحَيْوة بن رجاء التميمى [a] وقيل ان ثالثهم انما هو حَنَش بن عبد الله الصنعانى صَنْعاء الشام وانهم قفلوا عنها بقفول موسى واهل سرقسطة يزعمون ان حنشا مات عندهم ولم يقفل للمشرق وقبره لديهم مشهور يتبرّكون به ولا يختلفون فيه والله اعلم وقيل ان التابعين ٤ بابى عبد الرحمن الحُبُلى [b] الانصارى واسمه عبد الله بن يزيد والله اعلم وخمّسهم بعضهم بحيّان بن ابى جبلة مولى بنى عبد الدار وكان فى ديوان مصر فبعث به عمر بن عبد العزيز الى افريقية فى جماعة من الفقهاء ليفقّهوا اهلها وكان روى عن عمرو بن العاصى وابن عباس وابن عمر وحدّث عنه عبد الرحمن بن زياد بن انعم وغيره وغزا مع موسى حين افتتح الاندلس وانتهى معه الى حصن من حصون العدوّ يقال له قَرْقَشونة وقيل بل قفل الى افريقية فتوفّى بها بعد العشرين ومائة، وقال بعضهم ان بين قرقشونة هذه وبين برشلونة مسافة ٢٥ يوما وفيها الكنيسة المعظّمة عند الفرنج المسمّاة شنت مريّة، وحكى [c] ابن حيان ان فيها ٧ سوارى من فضّة خالصة لم يَرَ الراءون مثلها لا يحيط الانسان بذراعَيْه على واحدة منها مع طول مفرط، وحَنَش الصنعانى المذكور تابعىّ جليل كان مع على رضّه بالكوفة وقدم مصر بعد قتله فصار عداده فى المصريّين وكان فيمن قام مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فعفا عنه وكفى الاندلسَ شرفًا دخولُه لها، وعلى بن رباح بصرىّ تابعىّ يكنى ابا عبد الله وهو لخمىّ وُلد عامَ اليَرْمُوك سنة ١٥ قال ابن معين اهل مصر يقولونه بفتح العين واهل العراق يقولونه بضمّها وروى الليث عن ابنه موسى بن على وكانت لعلى بن * رباح عند [d] عبد العزيز بن مروان مكانةٌ وهو الذى زفّ ابنته امّ البنين لزوجها الوليد ثم عتب [e] عليه عبد العزيز فاغزاه افريقية، واما المُنَيْذِر الصحابى فلم ينسبه ابن حبيب وذكره ابن عبد البرّ فى الصحابة وقال انه المنيذر الافريقى وروى عنه ابو عبد الرحمن الحُبُلى [f] قال حدّثنا المنيذر الافريقى وكان سكن افريقية وكان صحب رسولَ الله صلّعم انه سمعه صلّعم يقول مَنْ قال رضيتُ بالله ربًّا وبالاسلام دينا وبمحمّد نبيًّا فانا

a) La. التيمى. b) L. P. الحبلى, La. الجيلى. c) S. وقال, La. وقد حكى. d) Ces mots manquent dans G. S. L. et P. e) G. L. عبث. f) G. L. P. الحبلى, La. الحيلى, S. الحملى (*sic*).

الزعيم له فلأُخذنّ بيده فلأُدخلنّه الجنّة ورواه عنه ابن عبد البرّ بسنده اليه وسياتى ان شاء الله تع فى حقّ المنيذر مزيد‌a، ولمّا قفل موسىٰ بن نصير الى المشرق واصحابَه سأل مغيثا ان يسلّم اليه العلج صاحبَ قرطبة الذى كان فى اساره فامتنع عليه وقال لا يؤدّيه للخليفة سواىَ وكان يدلّ بولائه من الوليد وهجم عليه موسى فانتزعه منه فقيل له ان سرْتَ به حيًّا معك ادّعاه مغيث والعلج لا ينكر قوله ولكن اضرِبْ عنقه ففعل فاضطغنها عليه مغيث وصار أَلْبًا مع طارق الساعى عليه واستخلف موسى على طنجة وما يليها من المغرب ابنه الآخر عبد الملك وقد كان كما مرّ استخلف بافريقية اكبر اولاده عبد الله فصار جميع المغرب والاندلس بيد اولاده وابنه عبد الله الذى خلّفه بافريقية هو الفاتح لجزيرة ميورقة وسار موسى فورد الشام واختلف الناس هل كان وروده قبل موت الوليد او بعده فمن يقول بالثانى قال قدم على سليمن حين استُخلف وكان منحرفا عنه فسبق اليه طارق ومغيث بالشكيّة منه ورمياه بالخيانة‌b واخبراه بما صنع بهما من خبر المائدة والعلج صاحب قرطبة وقالا له انه قد غلّ جوهرا عظيم القدر اصابه لم تَحْوِ الملوكُ من بعد فتح فارس مثله فلما وافى سليمنَ وجده ضغينا عليه فاغلظ له واستقبله بالتانيب والتوبيخ فاعتذر ببعض العذر وسأله عن المائدة فاحضرها فقال له زعم طارق انه الذى اصابها دونك قال لا وما رآها قط الا عندى فقال طارق فليسأَلْه امير المومنين عن الرجل التى تنقصها فسأله فقال هكذا اصبتُها وعوّضتُها رجلا صُغْتُها‌c لها فحوّل طارق يده الى قبائه فاخرج الرجل فعلم سليمن صدقه وكذب موسى فحقّق جميع ما رُمِىَ به عنده وعزله عن جميع اعماله واقصاه وحبسه وامر بتقصّى حسابه فاغرمه غرما عظيما كشفه فيه حتى اضطرّه الى ان سأل العرب معونته فيقال ان لَخْمًا حملتْ عنه فى أَعْطِيَتها ۹۰ الفا ذهبا وقيل حمّله سليمن غرم مائتى الف فادّى مائة الف وعجز فاستجار بيزيد بن المهلّب اثير سليمن فاستوهبه من سليمن فوهبه اياه الا انه عزل ابنه عبد الله عن افريقية، وقال الرازى ان الذى ازعج موسى عن الاندلس ابو نصر رسول الوليد فقبض على عنانه وثناه قافلا وقفل معه من احبّ المشرق وكان اكثر الناس قطنوا ببلاد الاندلس لطيبها فاقاموا فيها وذهب جماعة من اهل التاريخ الى ان موسى انما قدم على الوليد

---

a) La. ajoute ببيان. b) G. S. L. بالجناية. c) S. صنعتها.

وان سليمن ولىّ العهد لما سمع بقرب موسى بن نصير من دمشق وكان الوليد مريضا كتب اى سليمن الى موسى يامره بالتربّص رجاء ان يموت الوليد قبل قدوم موسى فيقدم موسى على سليمن فى اول خلافته بتلك الغنائم الكثيرة التى ما رُئَى ولا سمع مثلها فيعظم بذلك مقامُ سليمن عند الناس فأَبَى موسى من ذلك ومنعه دينُه منه واغذّ السير حتى قدم والوليد حىٌّ[a] فسلّم له الاخماس والمغانم والتُحَف والذخائر فلم يمكث الوليد الا يسيرا بعد قدوم موسى وتوفّى[b] واستُخلف سليمن فحقد عليه واهانه وامر باقامته فى الشمس حتى كاد يهلك واغرمه اموالا عظيمة ودسّ الى اهل الاندلس بقتل ابنه الذى استخلفه على الاندلس وهو عبد العزيز بن موسى وكان تولّى الاندلس بعد قفول ابيه عنها باستخلافه اياه كما سبق فضبط سلطانها وضمّ نشرها وسدّ ثغورها وافتتح فى ولايته مداين كثيرة ممّا كان[c] بقى على ابيه موسى منها وكان من خير الوُلاة الا ان مدّته لم تَطُلْ لوثوب الجند به وقتلهم اياه عقبَ سنة ٩٥ فى خلافة سليمن المُوقع بابيه موسى لاشياء نقموها عليه منها زعموا تزوّجه لزوجة لذريق المكنّاة امّ عاصم وكانت قد صالحت عن[b] نفسها واموالها وقتَ الفتح وباءت بالجزية واقامت على دينها فى ظلّ نعمتها الى ان نكحها الامير عبد العزيز فحظيت عنده ويقال انه سكن بها فى كنيسة باشبيلية وانها قالت له لمَ لا يسجد لك اهل مملكتك كما كان يسجد للذريق زوجها الاول اهل مملكته فقال ان[e] هذا حرام فى ديننا فلم تقنع منه بذلك وفهم لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك ممّا يزرى بقدره عندها فاتّخذ بابا صغيرا قبالة مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحنون وافهمها ان ذلك الفعل منهم تحيّة له فرضيت بذلك فنمى الخبرُ الى الجند مع ما انضمّ الى ذلك من دسيسة سليمن لهم فى قتله فقتلوه سامحه الله تعٰ، وذكر بعض المؤرّخين انهم وجدوا فى الحجر بعد ما تقدّم من الكتابة التى هى ارْجعوا يا بنى اسمعيل آلخ ما معناه وان سألتم[d] لمَ ترجعون فاعلموا انكم ترجعون ليضرب بعضُكم رقاب بعض انتهى،

قال ابن حيان وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزّال فى فتح الاندلس ارجوزة حسنة مطوّلة * فنظم فيها ذكر[e] السبب فى غزوها [f] وتفصيل الوقائع بين المسلمين واهلها وعداد الامراء عليها واسماءهم فاجاد وتقصّى وهى بايدى الناس موجودة انتهى،

---

a) La. ajoute ثقة. *b*) La. على. *c*) La. porte لها au lieu de ان. *d*) La. شككتم. *e*) La. ذكر فيها. *f*) La. ajoute نظما.

وقد عرفتَ بما سبق تفصيلَ ما اجمله ابن خلدون والروايات في فتح الاندلس مختلفة وقد ذكرنا نحن بحسب ما اقتضاه الوقت ما فيه كفاية وأشَرْنا الى بعض الاختلاف فى ذلك ولو بسطنا العبارة فى الفتح لكان وحدَه فى مجلّد او اكثر وعُلم مِمّا أَلْمَعْنا به من كلام ابن خلدون السابق ذكرُ الوُلاة للاندلس من لدن الفتح وهم من قِبَل بنى مروان بالمشرق المنفردين بامامة المسلمين اجمعين قبل تفرّقهم الى ان انقرضت[a] دولتهم العظيمة التى هى الف شهر فاقتطع الاندلسَ عن بنى العباس الدائلين على بنى مروان الناسخين لهم فلُّ المروانيّين عبد الرحمن بن معٰوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان واقتعدها دارَ مملكة مستقلّة لنفسه ولاعقابه وجمع بها شمل بنى اميّة ومواليهم واورثها بنيه حقبةً من الدهر بعد ان قاسَى فى ذلك خطوبا واجتمع عليه ثم على ذرّيّته من بعده اهلُ الاندلس اجمعون رضًا بهم دون بنى العباس بعد ان حاوَلَ بنو العباس ملكها بان ولّوا بعض رؤساء العرب وامروهم بالقيام على عبد الرحمن والدعاء للعباسيّين القاطعين جرثومة دولة بنى مروان فلم يتيسّر ذلك وظفر عبد الرحمن بمن نصب له الحرب فى ذلك وقتل منهم آلافا وذلك فى مدّة المنصور كما سياتى ان شاء الله تع عند ذكر عبد الرحمن الداخل فى موضع آخر وسنذكر قريبا وُلاة الاندلس من حين الفتح الى امارة الداخل وان سبق فى كلام ابن خلدون، وقال بعضهم كان ولادة موسى بن نصير فى خلافة عمر بن الخطاب رضه سنة ۱۹ من الهجرة النبويّة على صاحبها افضل الصلاة واجلّ السلام وعلى آله وصحبه اجمعين انتهى، وقال الحجارى فى المسهب يحكى ان موسى بن نصير القى بنفسه على يزيد ابن المهلّب بمكانه من امير المومنين سليمن بن عبد الملك وطلب منه ان يكلّمه فى ان يخفّف عنه فقال له يزيد اريد ان اسألك[b] فأَصْغِ الىّ قال سَلْ عمّا بدا لك فقال له لم ازل اسمع عنك انك من اعقل الناس واعرفهم بمكايد الحروب ومداراة الدنيا فقُلْ لى كيف حصلتَ فى يد هذا الرجل بعد ما ملكتَ الاندلس والقيتَ بينك وبين هؤلاء القوم البحر الزخّار وتيقّنتَ بُعْدَ المرام واستصعابه واستخلصتَ بلادا انت افترعتَها واستملكتَ رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرّك وحصل فى يدك من الذخائر والاموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرتَ به الامتناع به ما القيتَ عنقك فى يد من لا يرحمك

a) La. انقضت. b) La. اكلمك.

ثم انك علمت ان سليمن ولىّ عهد وانه المولى a بعد اخيه وقد اشرف اخوه على الهلاك لا محالةَ وبعد ذلك خالفتَه والقيتَ بيدك الى التهلكة واحقدتَّ مالكك ومملوكك قال يعنى سليمن وطارقا وما رضَى هذا الرجل عنك الا بعيد ولكن لا آلُو جهدًا فقال موسى يا ابن الكرام ليس هذا وقت تعديد أَّما سمعتَ اذا جاء الحين غُطّى العين،، فقال ما قصدتُّ بما قلتُ لك تعديدا ولا تبكيتا b وانما قصدتُّ تلقيح العقل وتنبيه الراى وان c ارى ما عندك فقال موسى اما رايتَ d الهدهد يرى الماء تحت الارض عن بُعْد ويقع فى الفخّ وهو بمرأًى عينه ثم كلّم فيه سليمنَ فكان من جوابه انه قد اشتمل راسه e بما تمكّن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكُّم فى الاموال والأَبْشار على ما لا يمحوه الا السيف ولكن قد وهبتُ لك دمه وانا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يردَّ ما غلَّ من مال الله قال وآلت حاله الى ان كان يطاف به ليسأل من احياء العرب ما يفتكّ به نفسه وفى تلك الحال مات وهو من افقر الناس واذلّهم بوادى القرى سائلا من كان نازلا به وقال احد غلمانه ممّن وفى له فى حال الفقر والخمول لقد * رايتُنا نطوف f مع الامير موسى بن نصير على احياء العرب فواحد يحبينا g وآخر يحتجب عنّا ولربّما دفع الينا على جهة الرحمة الدرهم والدرهمين فيفرح بذلك الامير ليدفعه h الى الموكّلين به فيخفّفون i عنه من العذاب ولقد رايتُنا ايامَ الفتوح العظام بالاندلس ناخذ السلوك من قصور النصارى فنفصل منها ما يكون فيها من الذهب والفضّة وغير ذلك ونرمى به ولا ناخذ الا الدرَّ الفاخر فسبحان الذى بيده العزّ والذلّ والغنى والفقر قال وكان له مولى قد وفى له وصبر عليه الى ان ضاق ذرعُه بامتداد الحال فعزم على ان يُسْلمه وهو بوادى القرى فى اسوء حال وشعر بذلك موسى فخضع للمولى المذكور وقال له يا فلان أَتسلمنى فى هذه الحالة فقال المولى من شدّة ما كان فيه من الضجر قد اسلمك خالقُك j ومالكك الذى هو ارحم الراحمين فدمعت عيناه وجعل k يرفعهما الى السماء خاضعا مُهَيْنما بشفتَيْه فما سفرت تلك الليلة الا عن قبض روحه رحمة الله عليه فقد كان له من الاثر ما يوجب ان يُترحّم عليه وان فِعْل سليمن به وبولده وكونه طرح راس ابنه عبد العزيز الذى تركه

---

a) G. S. الموالى. b) G. S. L. P. تنكيتنا. c) G. L. وانا. d) La. ترى. e) La. رايه. f) S. رايت ان اطوف. g) S. يجيبنا, La. يحبينا. h) G. L. ليدفع. i) G. L. P. فيخفون. j) La. ajoute ورازقك. k) La. وصار.

نائبا عنه بالاندلس وقد جئ به من اقصى المغرب بين يديه من وصمانه التى تُعَدّ عليه طولَ الدهر لا جَرَمَ ان الله لم يمتّعه بعده بملكه وشبابه، *وذكر ابن حيان[a] ان موسى كان عربيّا فصيحا وقد سبق من مراجعته يزيد بن المهلّب ما يدلّ على بلاغته ويكفى منها ما ذكره ابن حيان انه كتب الى الوليد بن عبد الملك فيما هاله من فتوح الاندلس وغنائمها انها ليست الفتوح ولكنّها الحشر، وقال الحجارى ان منازعة جرتْ بينه وبين عبد الله بن يزيد بن أُسيد بمحضر عبد الملك بن مروان الجأتْه الى ان قال شعرا منه

جاريتَ[b] غير سَئُومٍ[c] فى مطاولةٍ   لو نازع الحفلَ[d] لم يُنْزَعْ الى حَصَرِ

وتقدّم ما ذكره غير واحد كابن حيان ان موسى مولى عبد العزيز بن مروان وكذا[e] ذكر الحجارى انه تجهّز مع امّ البنين بنت عبد العزيز حين ابتنى بها الوليد بن عبد الملك فكانت تنمى[f] مكانته عند الوليد الى ان بلغ ما بلغ واشهرُ من كان فى صحبة موسى بن نصير من مواليه طارق المشهور بالفتوح العظيمة وطريف وقد جرى ذكرهما فى كتابنا هذا بما اقتضاه الاختصار، وقال ابن سعيد بعد ذكره الخلاف فى موسى هل هو لخميّ صريح او بالولاء او بربريّ او مولى لعبد العزيز بن مروان ما صورتُه وكان فى عقبه نباهة فى السلطنة ولى ابنُه عبد العزيز سلطنة الاندلس وعبد الملك سلطنة المغرب الاقصى وعبد الله سلطنة افريقية، *وذكر الحجارى[g] ان اصله من وادى القرى بالحجاز وانه خدم بنى مروان بدمشق وتنبّه شانه فصرفوه فى ممالكهم الى ان وُلّى افريقية وما وراءها من المغرب فى زمن الوليد بن عبد الملك فدوّخ اقاصى المغرب ودخل الاندلس من جبل موسى المنسوب اليه المجاور لسبتة ودوّخ بلاد الاندلس ثم اوفده الوليد الى الشام فوافق مرضَه ثم موته وخلافة اخيه سليمن فعذّبه واستصفى امواله وآل امرُه الى ان وجّهه الى قومه بوادى القرى لعلّهم يعطفون عليه ويؤدّون عنه فمات بها، وقد نصّ ابن بشكوال على انه مات بوادى القرى، امّا معارفه السلطانيّة فيكفيه[h] ولايةُ ما خلف مصر الى البحر المحيط بين

---

a) Il y a ici dans G. S. et P. une lacune que j'ai suppléée d'après La.; L. porte seulement وقال. b) S. جازيت, La. جارته. c) G. P. L. شيم, La. رسوم. d) G. P. L. الحقل, S. الجعل. e) G. L. ولذا. f) S. تمنى, G. L. نتمنى. g) J'ai suppléé ces mots d'après La. Dans G. S. et P. ils sont restés en blanc; L. porte seulement وقال. h) S. فكفته.

برّى البربر والاندلس واما الادبيّة فقد جاءت عنه بلاغة فى النثر والنظم تُدْخِله مع نزارتها فى اصحاب درّ الكلام، وذكر ابن بشكوال انه من التابعين الذين رووا الحديث وان روايته عن تميم الدارى وذكرُه فى كتب الائمّة من المصنّفين أَنْبَهُ واوعب a من ان يخصّص بذكره واحد منهم وهو غرّة التواريخ الاندلسيّة وذكره الى الآن جديد فى الْسن الخاصّة والعامّة من اهلها، وممّن مسهب الحجارى كان قد جمع رحمه من خلال الخير ما اعانه به الله سبحانه على ما بنى له من المجد المشيّد، والذكر الشهير المخلّد، الذى لا يُبْليه الليل والنهار، ولا يعفّى جديدَه بِلَى الاعصار، الا انه كان يغلب عليه ما لا يكاد رئيس يَسْلَم منه وهو الحقد والحسد والمنافسة لا يخلو من ذلك وانشد بعض الرؤساء   وليس رئيس القوم مَنْ يحمل الحقدا   فقلبه *الى بئس b وقال مَنْ يترك الحقدا ثم قال ان السيّد اذا ترك اضْمار الخير والشرّ والمجازاة عليهما اجتُرِئَ عليه ونُسب للضعف والغفلة وهل رايتَ صفقة اخسر من غفلة رئيس احقده غيرُه فنسى ذلك او تناساه وعدوّه لا يغفل عنه وحاسده لا ينفعه عنده الا الراحة منه وهو فى واد اخره c عنه ولله درّ القائل

ووضع الندى فى موضع السيف بالعُلَى d   مُضِرٌّ كوضع السيف فى موضع الندى

ولكن الأَصْوَب ان يكون الراى ميزانا لا يزن الوافى لناقص ولا يزن الناقص لوافٍ ويدبّر امره على ما يقتضيه الزمان ويقدّر فيه حسن العاقبة، ونصّ ابن بشكوال على ان موسى بن نصير مات بوادى القرى سنة ٩٧ واغزى الاندلس سنة ٩١ ودخلها سنة ٩٣ وقفل عنها الى الوليد ابن عبد الملك بالغنائم سنة ٩٤ وذكر ان ولايته على الاندلس بالمباشرة مذ دخلها الى حين خروجه منها سنة واحدة ومكث فيها مولاه طارق سنة * انتهى وقد تقدّم شىء من ذلك e، وذكر ابن بشكوال ايضا ان ابن حبيب قال عن ربيعة غلّ الناس كلّهم يومَ فتح الاندلس الا اربعة نفرٍ f فقط كانوا من التابعين حَنَش الصنعانى وابو عبد الرحمن الجُبُلى g وابن شماسة وعياض بن عقبة انتهى، قال ابن سعيد وممّن دخل الاندلس من غير هؤلاء الاربعة من التابعين على بن رباح اللخمى وموسى بن نصير فاتح الاندلس وحيان بن ابى جبلة القرشى مولاهم وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقى صاحب

---

a) S. واعظم. b) G. La. الرئيس. c) Ce mot me paraît altéré. d) L. بالعدى, La. للعدى. e) Ces mots manquent dans G. et L. f) La. انفس. g) G. L. P. الحبلى, La. الجيلى

الاندلس المذكور فى سلاطينها ومحمد بن اوس بن ثابت الانصارى وزيد بن قاصد[a] السَكْسَكى والمُغيرة بن ابى بُرْدة الكنانى وعبد الله بن المغيرة الكنانى وحَيْوة بن رجاء التميمى[b] وعبد الجبّار بن ابى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ومنصور بن خزامة[c] وعلى بن عثمن بن خطّاب، وذكر ابن حبيب ان عدّة من دخل الاندلس من التابعين سوى من لا يُعرف نحو ٢٠ رجلا، وفى كتاب ابن بشكوال انه دخل الاندلس من التابعين ٢٨ رجلا وهم اسّسوا قبلة المسجد الجامع بقرطبة، وسمى الحجارى فى المسهب هؤلاء المتقدّمين، وذكر ابن سعيد انه لم يتحقّق المواضع التى تختصّ بهؤلاء التابعين من بلاد الاندلس مع جزمه بانهم[d] دخلوا الاندلس وكانوا بها وسياتى ذكر التابعين الداخلين الاندلس بما هو اشمل من هذا وقد تقدّم غلولُ ماء[e] عدا التابعين من الغنائم، وقال الليث بن سعد بعد ذكره ان طارقا *اصاب بالاندلس مغانم كثيرة من الذهب والفضّة[f] ان كانت الطنفسة لَتوجد منسوجة بقضبان الذهب وتنظم السلسلة من الذهب باللولو والياقوت والزبرجد وكان البربر ربّما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى ياتوا بالفاس فيضربون به وسطها فياخذ احدهم نصفها والآخر النصف الآخر لنفسه ويسير معهم جماعة والناس مشتغلون بغير ذلك، وعن يحيى بن سعيد لما افتتحت الاندلس اصاب الناس فيها غنائم[g] فغلّوا منها غلولا كثيرا حملوه فى المراكب وركبوا البحر فسمعوا مناديا يقول اللهمّ غرّق بهم وتقلّدوا المصاحف فما نشبوا ان اصابتْهم ريح عاصف وضربت المراكب بعضُها بعضا حتى تكسّرت وغُرق بهم واهل مصر ينكرون ذلك ويقولون ان اهل الاندلس ليس هم الذين غرقوا وانما هم اهل سَرْدانية والله اعلم بحقيقة الحال، ورايتُ فى بعض كتب التواريخ انه وُجد فى طليطلة حين فتحت من الذخائر والاموال ما لا[h] يحصى فمن ذلك ١٧٠ تاجا من الذهب الاحمر مرصّعة بالدرّ واصناف الحجارة الثمينة ووجد فيها الف سيف ملوكىّ ووجد فيها من الدرّ واليواقيت اكيال ومن اوانى الذهب والفضّة ما لا يحيط به وصفٌ ومائدة سليمن وكانت فيما يُذكر زمرّدة خضراء وزعم بعض العجم انها لم تكن لسليمن وانما اصلها ان العجم ايامَ ملكهم كان اهل الحسبة فى

---

a) 'Abd-al-wāhid (éd. Dozy, p. ١.) le nomme يزيد بن قاصط. b) La. التيمى. c) G. S. P. حزامة. d) G. L. La. انهم. e) G. S. L. P. من. f) La. اصاب من المغانم بالاندلس من الذهب والفضة كثيرا. g) S. مغانم h) La. ajoute يخفى ولا.

دينهم اذا مات احد منهم اوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم مال له قدرٌ صاغوا منه الآلة من الموائد العجيبة والكراسى من الذهب والفضّة تحمل الشمامسةُ والقسوس فوقها الاناجيل فى ايام المناسك ويصفّونها فى الاعياد للمباهاة فكانت تلك المائدة بطليطلة ممـا صُنع فى هذا السبيل وبالغت a الملوك فى تحسينها يزيد الآخر منهم فيها على الاول حتى برزت على جميع ما اتُّخذ من تلك الآلات وطار الذكر بها كل مطار وكانت مصوغة من الذهب الخالص مرصّعة بفاخر الدرّ والياقوت والزبرجد وقيل انها من زبرجدة خضراء حافاتها وارجلها منها وكان b لها ٣٦٥ رجلا وكانت توضع فى كنيسة طليطلة فاصابها طارق انتهى، وقد ذكرنا فيما مرّ عن ابن حيان ما فيه نظيرُ هذا وذكرنا فيما مضى من امر المائدة وغيرها ما فيه بعض تخالُف وما ذلك الا لانّاء c ننقل كلام المؤرّخين وان خالف بعضُهم بعضا ومرادنـا تكثير الفائدة وبالجملة فالمائدة جليلة المقدار وان حصل الخلافُ فى * صفتها وجنسها d وعدد ارجلها وهى من اجلّ ما غُنم بالاندلس على كثرة ما حصل فيها من الغنائم المتنوّعة الاجناس التى ذكرها الى الآن شائع بين النـاس، واعلم انه لما استقرّ قَدَمُ اهل الاسلام بـالاندلس وتتامّ فتحها صرف اهل الشام وغيرهم من العرب هِمَمَهم الى الحلول بها فنزل بها من جراثيم العرب وساداتهم جمـاعة اورثوها اعقابَهم الى ان كان من امرهم مـا كان فاما العدنـانيّون فمنهم خِنْدِف ومنهم قُريش وامـا بنو هـاشم من قريش فقال ابن غـالب فى فرجة e الانفس بالاندلس منهم جماعة كلُّهم من ولد ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن على بن ابى طالب ومن هؤلاء بنو حَمُّود ملوك الاندلس بعد انتثار f سلك بنى اميّة وامـا بنو اميّة فمنهم خلفـاء الاندلس قال ابن سعيد ويعرفون هنالك الى الآن بالقرشيّين وانما عَمَّوْا نسبتهم الى اميّة فى الآخر لمـا انحرف النـاس عنهم وذكروا افعـالهم فى الحسين رضه وامـا بنو زُهْرة فهم g باشبيلية اعيان متميّزون واما المخزوميّون فمنهم ابو بكر المخزومى الاعمى الشـاعر المشهور من اهل حصن المدوّر ومنهم الوزير الفاضل فى النظم والنثر ابو بكر بن زيدون ووالده الذى هو اعظم منه ابو الوليد بن زيدون وزير معتضد بنى عبّاد قال ابن غالب وفى الاندلس من ينسب الى جُمَح والى بنى عبد الدار وكثير من قريش المعروفون بالفِهْريّين من بنى مُحارِب

a) La. وتانق. b) La. وكانت. c) La. اننا. d) La. جنسها ووصفها. e) L. S. P. فرحة. f) Les man. portent انتشار. g) L. فمنهم, La. فسلفهم.

ابن[a] فهر وهم من قريش الظواهر ومنهم عبد الملك بن قَطَن سلطان الاندلس ومن ولده بنو القاسم الامراء الفضلاء وبنو الجدّ الاعيان العلماء ومن بنى الحارث بن فهر يوسف ابن عبد الرحمن الفهرى سلطان الاندلس الذى غلبه عليها عبد الرحمن الاموى الداخل وجدُّ يوسف عقبة بن نافع الفهرى صاحب الفتوح بافريقية قال ابن حزم ولهم بالاندلس عدد وثروة واما المنتسبون الى عموم كنانة فكثير وجُلُّهم فى طليطلة واعمالها ولهم ينتسب الوَقَّشيّون الكنانيّون الاعيان الفضلاء الذين منهم القاضى ابو الوليد والوزير ابو جعفر ومنهم ابو الحسين بن جُبَيْر العالم صاحب الرحلة وقد ذكرناه فى محلّه واما هُذَيْل بن مُدْرِكة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ان منزلهم بجهة أُريولة من كورة تدمير واما تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر فذكر ابن غالب ايضا انهم خلق كثير بالاندلس ومنهم ابو الطاهر صاحب المقامات اللزوميّة واما ضَبّة بن ادّ بن طابخة فذكر انهم قليلون بالاندلس فهؤلاء خندف من العدنانيّة، واما قيس عيلان[b] بن مضر من العدنانيّة ففى الاندلس كثير منهم ينتسبون الى العموم ومنهم من ينتسب الى سُلَيْم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس كعبد الملك ابن حبيب السُلَمى الفقيه صاحب الامام مالك رضّه وكالقاضى ابى حفص بن عمر قاضى قرطبة ومن قيس من ينتسب الى هَوازِن بن منصور بن عكرمة قال ابن غالب وهم باشبيلية خلق كثير ومنهم من ينتسب الى بكر بن هوازن قال ابن غالب لهم منزل بجوفىّ بلنسية على ٣ اميال منها وباشبيلية وغيرها منهم[c] كثير ومنهم بنو حَزْم وهم بيت غير البيت الذى منه ابو محمد بن حزم الحافظ الظاهرىّ وهو فارسىّ الاصل ومنهم من ينتسب الى سعد بن بكر بن هوازن وذكر ابن غالب ان منهم بغرناطة كثيرا كبنى جُودى وقد راس بعض بنى جودى ومنهم من ينتسب الى سَلُول امراة نُسب اليها بنوها وابوهم مُرّة بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معوية بن بكر بن هوازن ومنهم من ينتسب الى نُمَيْر بن عامر بن صعصعة قال ابن غالب ومنهم بغرناطة كثير ومنهم من ينتسب الى قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ومنهم بَلْج بن بِشْر صاحب الاندلس وآله وبنو رَشيق ومنهم من ينتسب الى فَزارة بن ذُبْيان بن بَغيض

a) Les man. portent من. b) Les man. ajoutent بن الياس. c) La. ajoute خلق.

ابن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس عيلان ومنهم من ينتسب الى أَشْجَع بن ريث ابن غطفان ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الاشجعى سلطان الاندلس وفى ثقيف اختلاف فمنهم من قال انها قيسيّة وان ثقيفا هو قَسِىّ a بن منبّه بن بكر بن هوازن ومنهم بالاندلس جماعة واليهم ينتسب الحُرّ بن عبد الرحمن الثقفى صاحب الاندلس وقيل انها من بقايا ثَمُود انتهى قيس عيلان وجميع مضر، واما ربيعة بن نِزار فمنهم من ينتسب الى أَسَد بن ربيعة بن نزار قال فى فرجة b الانفس ان اقليم هؤلاء مشهور باسمهم بجوفىّ مدينة وادى آش انتهى والاشهر بالنسبة الى اسد ابدًا بنو اسد بن خُزَيْمة بن مدركة بن الياس بن مضر ومنهم من ينتسب الى مُحارِب بن عمرو بن وَديعة بن لُكَيْز c بن أَفْصَى * بن عبد القيس بن افصى d بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن اسد ابن ربيعة قال ابن غالب ومنهم بنو عَطِيّة اعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى النَمِر ابن قاسط بن هِنْب بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد كبنى عبد البرّ الذين منهم الحافظ ابو عمر بن عبد البرّ ومنهم من ينتسب الى تَغْلِب بن وائل بن قاسط ابن هنب كبنى حَمْديس e اعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى بكر بن وائل كالبكريّين اصحاب أَوْنبة وشَلْطِيش الذين منهم ابو عبيد البكرى صاحب التصانيف انتهت ربيعة، واما إياد بن نزار وقد يقال انه ابن معدّ والصحيح الاول فينتسب اليهم بنو زُهْر المشهورون باشبيلية وغيرهم انتهت العدنانيّة وهم الصريح من ولد اسمعيل عمّ واختُلف فى القحطانيّة هل هم من ولد اسمعيل او من ولد هُود على ما هو معروف وظاهر صنيع البُخارى الاول والاكثر على خلافه والقحطانية هم المعروفون باليمانية وكثيرًا ما يقع بينهم وبين المضريّة وسائر العدنانية الحروب بالاندلس كما كان يقع بالمشرق وهم الاكثر بالاندلس والملك فيهم ارسخ الا ما كان من خلفاء بنى اميّة فان القرشيّة قدّمتْهم على الفرقتين واسم الخلافة لهم بالمشرق وكان عرب الاندلس يتميّزون بالقبائل والعمائر والبطون والافخاذ الى ان قطع ذلك المنصورُ بن ابى عامر الداهية الذى ملك سلطنة الاندلس وقصد بذلك تشتيتهم وقطع التحامهم وتعصُّبهم فى الاعتزاء f وقدّم القُوّاد على الاجناد فيكون فى جند القائد الواحد فرقٌ من كل قبيل فانحسمت مادّة الفتن والاعتزاء g بالاندلس الا ما جاءت على غير هذه الجهة، قال ابن حزم

---

a) G. S. قيسى, L. La. قيس. b) G. L. La. فرحة. c) Les man. portent بكير. d) Ces mots manquent dans les man. e) G. S. P. La. حمدين. f) S. La. الاغترا. g) S. الاغترا.

جماع انساب اليمن من جذمَيْن كَهْلان وحِمْيَر ابنى *سبأ بن[a] يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل قحطان بن الهَمَيْسَع ابن * تيهَن بن نَبْت[b] بن اسمعيل وقيل قحطان بن هود بن عبد الله بن رباح بن حارف[c] بن عاد بن عوص[d] بن ارم بن سام والخلف فى ذلك مشهور فمنهم كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم الأَزْد بن الغَوْث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان واليهم ينسب محمد بن هانئ الشاعر المشهور الالْبِيرى وهو من بنى المهلّب ومن الازد من ينتسب الى غَسّان وهم بنو مازن بن الازد وغسّان ماء شربوا منه وذكر ابن غالب ان منهم بنى القليعى من اعيان غرناطة وكثير منهم بصالحة قرية على طريق مالقة ومن الازد من ينتسب الى الانصار على العموم وهم الجمُّ الغفير بالاندلس قال ابن سعيد والعجب انك تعدم هذا النسبَ بالمدينة وتجد منه بالاندلس فى اكثر بلدانها ما يشذّ[e] عن العدد كثرةً ولقد اخبرنى من سأل عن هذا النسب بالمدينة فلم يجدْ منه الا شيخا من الخَزْرَج وعجوزا من الأَوْس قال ابن غالب وكان جزء الانصار بناحية طليطلة وهم اكثر القبائل بالاندلس فى شرقها وغربها انتهى ومن الخزرج بالاندلس ابو بكر عُبَادة بن عبد الله بن ماء السماء من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلّعم وهو المشهور بالموشَّحات والى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الاحمر سلاطين غرناطة الذين كان لسان الدين بن الخطيب احد وزرائهم وعليهم انقرض ملك الاندلس من المسلمين واستولى العدوّ على الجزيرة جميعًا كما يُذكر ومن اهل الاندلس من ينتسب الى الاوس اخى الخزرج ومنهم من ينتسب الى غافق بن عَكّ بن عُدْثان بن هزّان بن الازد وقد يقال عكّ ابن عدنان بالنون فيكون اخا معدّ بن عدنان وليس بصحيح قال ابن غالب من غافق ابو عبد الله بن ابى الخصال الكاتب واكثر جهات شَقُورة ينتسبون الى غافق ومن كهلان من ينتسب الى هَمْدان وهو * أَوْسَلة بن ربيعة بن الخيار[f] بن مالك بن زيد بن كهلان ومنزل همدان مشهور على ستة اميال من غرناطة ومنهم اصحاب غرناطة بنو أَضْحَى ومن كهلان من ينتسب الى مَذْحج ومذحِج اسم اكمة حمراء باليمن

---

a) Ces mots manquent dans les man. b) La. بهتان بن ثابت. c) L. خارف, S. حارق, La. حارو. d) Les man. portent عموص. e) P. بشتذ, S. يسند (*sic*). f) Les man. portent اوسلة بن مالك بن زيد بن اوسلة بن الخيار الخ.

وقيل اسم امّ مالك وطىّء ابنى[a] أُدَد بن زيد[b] بن كهلان قال ابن غالب بنو سراج
الاعيان من اهل قرطبة ينتسبون الى مذحج ومنزل طىّء بقبلىّ مُرْسية ومنهم من
ينتسب الى مُراد بن مالك بن ادد وحصن مراد بين اشبيلية وقرطبة مشهور قال ابن
غالب واعرف بمراد منهم خلقا كثيرا ومنهم من ينتسب الى عَنْس بن مالك بن ادد
ومنهم بنو سعيد مصنّفو كتاب المُغْرِب وقلعة بنى سعيد مشهورة فى مملكة غرناطة ومن
مذحج من ينتسب الى زُبَيْد قال ابن غالب وهو منبّه بن سعد العَشيرة بن مالك
ابن ادد ومن كهلان من ينتسب الى مُرّة بن ادد بن زيد[c] بن كهلان قال ابن غالب
منهم بنو المنتصر العلماء من اهل غرناطة ومنهم من ينتسب الى عاملة وهى امراة من
قُضاعة ولدت للحارث بن عَدِىّ بن الحارث بن مرّة بن ادد فنُسب[d] ولدها منه اليها
قال ابن غالب منهم بنو سماك القُضاة من اهل غرناطة وقوم زعموا ان عاملة هو ابن
سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل هم من قُضاعة ومن كهلان خَوْلان بن
عمرو * بن مالك[e] بن الحارث بن مرّة وقلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء
واشبيلية ومنهم بنو عبد السلام اعيان غرناطة ومنهم من ينتسب الى المَعافر بن يَعْفُر
ابن مالك بن الحارث بن مرّة منهم المنصور بن ابى عامر صاحب الاندلس ومنهم من
ينتسب الى لَخْم بن عَدِىّ بن الحارث بن مرّة منهم بنو عبّاد اصحاب اشبيلية وغيرها
وهم من ولد النعمن بن المنذر صاحب الحيرة ومنهم بنو الباجى اعيان اشبيلية وبنو
وافد[f] الاعيان ومنهم من ينتسب الى جُذام مثل ثُوابة بن سَلامة صاحب الاندلس
وبنى هُود ملوك شرق الاندلس ومنهم المتوكّل بن هود الذى صحّت له سلطنة
الاندلس بعد الموحدين ومنهم بنو مَرْدَنيش اصحاب شرق الاندلس قال ابن غالب
وكان لجذام جزءٌ من قلعة رباح واسم جذام عمرو[g] واسم لخم مالك وهما ابنا عدىّ
ومن كهلان من ينتسب الى كِنْدة وهو ثور بن عُفَيْر بن عدىّ * بن الحارث[h] بن مرّة
ابن ادد ومنهم يوسف بن هُرون الرَمادى الشاعر ومنهم من ينتسب الى تُجيب وهى
امراة أَشْرَس * بن شبيب[i] بن السَكُون بن اشرس بن كندة ومن كهلان من ينتسب
الى خَثْعَم بن أَنْمار بن أَراش بن عمرو بن الغَوْث بن نبت بن مالك بن زيد بن

---

a) Les man. portent بن. *b*) On doit ajouter بن يشجب بن عريب بن زيد. *c*) Même remarque. *d*) S. فينسب. *e*) Ces mots manquent dans les man. *f*) G. L. واقد, S. ... وا (*sic*). *g*) Les man. portent عامر. *h*) Ces mots manquent dans les man. *i*) Même remarque.

كهلان منهم عثمن بن ابى نِسْعة سلطان الاندلس وقد قيل انمار بن نزار بن معدّ بن عدنان انتهت كهلان، واما حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمنهم من ينتسب الى ذى رُعَيْن قال ابن غالب وذو رعين هو ولد عمرو بن حمير فى بعض الاقوال وقيل هو من ولد سهل بن عمرو بن قيس بن معوية بن جُشَم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث * بن جيدان[a] بن قطن بن * عوف بن[b] عريب بن زهير بن ايمن ابن الهَمَيْسَع بن حمير قال ومنهم ابو عبد الله بن الخيّاط الاعمى الشاعر قال الحازمى فى كتاب النسب واسم ذى رعين يَريم[c] بن زيد بن سهل ووصل النسب ومنهم من ينتسب الى ذى أَصْبَح قال ابن حزم هو ذو اصبح بن مالك بن زيد من ولد سبأ الاصغر بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ووصل النسب وذكر الحازمى ان ذا اصبح من كهلان واخبر ان منهم مالك بن أَنَس الامام والمشهور انهم من حمير والاصبحيّون من اعيان قرطبة ومنهم من ينتسب الى يَحْصُب قال ابن حزم انه اخو ذى اصبح وهم كثير بقلعة بنى سعيد وقد تعرف من اجلهم فى التواريخ الاندلسيّة بقلعة يحصب ومنهم من ينتسب الى هوازن بن عوف بن عبد شمس بن وائل بن الغوث قال ابن غالب ومنزلهم بشرف اشبيلية والهَوْزَنيّون من اعيان اشبيلية ومنهم من ينتسب الى قُضاعة بن مالك بن حمير وقد قيل انه قضاعة بن معدّ بن عدنان وليس بمرضىّ ومن قضاعة من ينتسب الى مَهْرة كالوزير ابى بكر بن عمّار الذى وثب على ملك مرسية وهو مهرة بن حَيْدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنهم من ينتسب الى خُشَيْن ابن نَمِر بن وَبَرة بن تَغْلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قضاعة ومنهم من ينتسب الى تَنُوخ قال ابن غالب وهو ابن مالك بن فهم بن نمر بن وبرة بن تغلب قال الحازمى تنوخ هو مالك بن فهم بن تَيْم الله بن اسد بن وبرة ومنهم من ينتسب الى بَلِىّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنهم البَلَويّون باشبيلية ومنهم من ينتسب الى جُهَيْنة بن سُود بن أَسْلُم[d] بن الحاف بن قضاعة قال ابن غالب وبقرطبة منهم جماعة ومنهم من ينتسب الى كَلْب بن وبرة بن تغلب بن حُلْوان كبنى ابى عبدة الذين منهم بنو جَهْوَر ملوك قرطبة ووزراؤها ومنهم من ينتسب الى عُذْرة بن سعد

---

a) Ces mots manquent dans les man. *b*) Même remarque. *c*) Les man. portent عُرَيم. *d*) Les man. ajoutent بن عمرو.

هُذَيْم بن زيد *بن ليث[a] بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة ومنهم اعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة ومن اهل الاندلس من ينتسب الى حَضْرَمَوْت منهم الحَضْرَمِيّون بمرسية وغرناطة واشبيلية وبطليوس وقرطبة قال ابن غالب وهم كثير بالاندلس وفيه خلاف قيل ان حضرموت هو ابن قحطان وقيل هو حضرموت *بن عمرو[b] بن قيس بن معوية ابن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جَيْدان بن الجيم بن قطن *بن عوف[c] بن العريب *بن الغرز[d] بن نبت بن ايمن بن الهميسع بن حمير كذا نسق النسب الحازمى ومن اهل الاندلس من ينتسب الى سَلْمان ومنهم الوزير لسان الدين ابن الخطيب حسبما ذُكر فى محلّه، وقد رايتُ ان اسرد[e] هنا اسماء ملوك الاندلس من لدن الفتح الى آخر ملك بنى اميّة وان تقدّم ويأتى ذكر جملة منهم بما هو اتمّ ممّا هنا فنقول طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ثم الامير موسى بن نصير وكلاهما لم يتّخذ سريرا للسلطنة ثم عبد العزيز بن موسى بن نصير وسريره اشبيلية ثم ايّوب بن حبيب اللخمى وسريره قرطبة وكل من ياتى بعده فسريره قرطبة او الزهراء والزاهرة بجانبَيْها الى ان انقضت دولة بنى مروان على ما ينبّه عليه ثم الحُرّ بن عبد الرحمن الثقفى ثم السَمْح بن مالك الخولانى ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ثم عَنْبَسة بن سُحَيْم الكلبى ثم عزرة[f] بن عبد الله الفهرى ثم يحيى بن سلمة الكلبى ثم عثمن بن ابى نِسْعة الخثعمى ثم حُذَيْفة بن الاحوص[g] القيسى ثم الهَيْثَم بن عُبيد الكلابى ثم محمد بن عبد الله الأَشْجَعى ثم عبد الملك بن قطن الفهرى ثم بَلْج بن بِشْر بن عياض القُشَيْرى ثم ثعلبة بن سَلامة العاملى ثم ابو الخطّار ابن ضِرار الكلبى ثم ثُوابة بن سَلامة الجُذامى ثم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وههنا انتهى الوُلاة الذين ملكوا الاندلس من غير موارثة افرادًا عددهم ٢٠ فيما ذكر ابن سعيد ولم يتعدَّوْا فى السمة لفظ الامير قال ابن حيان مدّتهم منذ تاريخ الفتح فى لذريق سلطان الاندلس النصرانى وهو يوم الاحد لخمس خلون من شوّال سنة ٩٢ الى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وتغلّب عبد الرحمن بن معوية

---

a) Ces mots manquent dans les man., qui ajoutent de nouveau les mots بن عمرو après اسلم.
b) Ces mots manquent dans les man. *c*) Même remarque. *d*) La. بن العرز. D'après les *Genealogische Tabellen* de M. Wüstenfeld, on doit lire بن زهير, et biffer les mots بن نبت.
e) La. اذكر. *f*) La. semble porter عذرة. *g*) S. La. الاخوص.

المروانى على سرير الملك قرطبة وهو يوم الاضحى لعشر خلون من ذى الحجّة سنة ١٣٨ ستٍّ واربعون سنة وخمسة ايام انتهى، ثم كانت دولة بنى اميّة اولهم عبد الرحمن بن معوية بن هشام بن عبد الملك ثم ابنه هشام الرضى ثم ابنه الحكم ابن هشام ثم ابنه عبد الرحمن الاوسط ثم ابنه محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه المنذر ابن محمد ثم اخوه عبد الله بن محمد ثم ابن ابنه عبد الرحمن الناصر بن محمد ابن عبد الله ثم ابنه الحكم المستنصر وكرسيّهما الزهراء ثم هشام بن الحكم وفى ايامه بنى حاجبه المنصور بن ابى عامر الزاهرة ثم المهدىّ محمد بن هشام بن عبد الجبّار بن الناصر وهو اول خلفاء الفتنة وهُدمت فى ايامه الزهراء والزاهرة وعاد السرير الى قرطبة ثم المستعين سليمن بن الحكم بن سليمن بن الناصر، ثم تخلّلت دولة بنى حَمُّود العَلَويّين واولهم الناصر على بن حمود العلوى الحسنى الادريسى ثم اخوه المامون القاسم بن حمود ثم المعتلى[a] يحيى بن الناصر على بن حمود، ثم كانت دولة بنى اميّة الثانية واولها المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبّار بن الناصر ثم المستكفى محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله[b] بن الناصر ثم المعتدّ[c] هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر وهو آخر خلفاء الجماعة بالاندلس وحين خُلع اسقط ملوكُ الاندلس الدعوةَ للخلافة المروانية واستبدّت ملوك الطوائف كابن جَهْوَر فى قرطبة وابن عبّاد باشبيلية وغيرهما ولم يَعُدْ نظام الاندلس الى شخص واحد الى ان ملكها يوسف بن تاشفين الملثّم من برّ العدوة وفتك فى ملوك الطوائف وبعد ذلك ما خلصتْ له ولا لولده على بن يوسف لان بنى هود نازعوه فى شرقها بالثغر الى ان جاءت دولة عبد المومن وبنيه فما صفتْ لعبد المومن لمحمد[d] بنّ مَرْدَنيش الذى كان ينازعه فى شرق الاندلس ثم صفتْ ليوسف بن عبد المومن بموت ابن مردنيش ثم لمن بعده من بنيه وحضرتهم مَرّاكش وكانت وُلاتهم تتردّد على الاندلس وممالكها ولم يولّوا على جميعها شخصا واحدا لعظم ممالكها الى ان انقرضت منها دولتهم بالمتوكّل محمد بن هود من بنى هود ملوك سرقسطة وجهاتها فملك معظمَ الاندلس بحيث يُطلق عليه اسم السلطان ولم ينازعْه فيها الا زيان بن مردنيش فى بلنسية من شرق الاندلس وابن هلالة فى طَبيرة من غرب الاندلس ثم

---

a) L. المقتدر. b) S. La. عبد الله. c) La. المعتمد. d) La. بمحمد.

كثرت عليه الخوارجُ قريبَ موته ولما قتله وزيره ابن الرميمى بالمريّة زاد الامرُ الى ان ملك بنو الاحمر وكان اهل غرب الاندلس فى المائة السابعة يخطبون لصاحب افريقية السلطان ابى زكرياء يحيى بن ابى محمد عبد الواحد بن ابى حفص ثم تقلّصت تلك الظلال، ودخل الجزيرة الانحلال، الى ان استولى عليها حزبُ الضلال،، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين، وقد ذكرتُ فى هذا الكتاب جملة من اخبار ملوك الاندلس ممّا يصلح للمذاكرة وربّما سرّحتُ طرف القلم فى بعضهم وبنو جهور المُشار اليهم قريبا كانوا وزراء الامويّين ثم انه لما انتثر سلكُ الخلافة استبدّ بقرطبة الوزير ابو الحزم بن جهور من غير ان يتعدّى اسمَ الوزارة قال فى المطمح الوزير الاجلّ *ابو الحزم[a] جهور بن محمد بن جهور *وبنو جهور[b] اهل بيت وزارة، اشتهروا كاشتهار ابن هُبَيْرة فى فَزَارة،، وابو الحزم هذا[c] امجدُهم فى المكرمات، وانجدُهم فى المُلِمّات،، ركب متون الفنون[d] فراضَها، *ووقع فى بحور[e] المحَن[f] فخاضَها،، *منبسط غير منكمش[g]، لا طائش اللسان ولا رَعِش،، وقد كان وُزّر فى الدولة العامريّة فشرفتْ بجلاله، واعترفتْ باستقلاله،، فلما انقرضتْ، وعاقت الفتَنُ واعترضتْ، *تحيّز من[h] التدبير مدّتَها، وخلّى *لأَخْلافه تدبير الرياسة[i] وشدّتَها،، وجعل يُقْبِل مع اولئك الوزراء ويُدْبِر، ويُهْمِل[j] الامر معهم ويدبّر،، غير مُظْهِر للانفراد[k]، ولا متصرِّف[l] فى ميدان ذلك الطراد،، الى ان بلغت الفتنةُ مداها، وسوّغتْ[m] ما شاءتْ رداها،، وذهب مَنْ كان يجدّ فى الرياسة ويخبّ، ويسعى فى الفتنة ويدبّ،، ولما ارتفع[n] الوبال، وادبر ذلك الاقْبال،، راسَلَ[o] اهلَ التقوى مستمدًّا بهم، ومعتمدًا على بعضهم،،

---

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makkarī. b) Même remarque. c) J'ai ajouté ce mot d'après le man. L. du *Matmah*. d) *Al-Matmah* P., al-Makk. S. P. الفتون; *al-Matmah* L. الفتو (*sic*). e) *Al-Mat.* L. بحور (ajoutez فى) وتقحم. f) La. الفتن. g) *Al-Mat.* L. وبسط فيه صدى غير منكمش، وتصدى اليها الخ (?). h) *Al-Mat.* L. تخلى عن, P. تخير من; al-Makk. تحيز عن. i) Les man. d'al-Makk. portent للخلافة اعباء الخلافة. J'ai adopté la leçon du man. L. du *Matmah*; le man. P. offre aussi la variante الخلافة au lieu de الرياسة. j) Les man. d'al-Makk. portent وينهل; *al-Mat.* P. وينهمل. k) Les man. d'al-Makk. et P. du *Mat.* الى انفراد. l) *Al-Mat.* P. مقصر. m) *Al-Mat.* L. وصورت; S. وسومت من. n) *Al-Mat.* L. ajoute ذلك. o) C'est ainsi qu'on lit dans le man. P. du *Matmah*; L. وارسل. Al-Makk. G. L. راسا, P. را, S. La. راى.

تخييلا *a* منه وتمويها، وتداهياء *b* على اهل الخلافة وذويها،، وعرّض عليهم تقديمَ المعتدّ *c* هشام، واومض منه لاهل قرطبة برق خلّابة *d* يُشام،، * ثقةً بسرعة *e* انتياثها، وتعجيل انتكاثها،، فانابوا الى دعائه *f*، واجابوا الى استرعائه *g*،، وتوجّهوا مع ذلك الامام، والمّوا بقرطبة احسنَ الْمام *h*،، فدخلوها بعد فتن كثيرة، واضطرابات مستثيرة،، والبلد مُقْفِر، والجَلَد مُسْفِر،، فلم يبقَ غير يسير حتى جُبِذ *i* واضطرب امرُه فخُلِع، واختُطف من الملك وانتُزِع،، وانقضت *j* الدولة الامويّة، وارتفعت الدولة العلويّة،، واستولى على قرطبة عند ذلك ابو الحزم، ودبّرها بالجدّ *k* والعزم،، وضبطها ضبطًا آمن خائفَها، ورفع طارقَ تلك الفتنة وطائفَها،، وخلا له الجوُّ فطار، واقتضى *l* اللبانات والاوطار،، فعادتْ له قرطبةُ الى اكمل حالتها *m*، وانجلى به نورُ جلالتها *n*،، ولم تزل به مُشْرِقةً، وغصون الآمال *o* فيها مُورِقة،، الى ان توفّى سنة ٤٣٥ فانتقل الامرُ الى ابنه ابى الوليد، واشتمل منه على طارف وتليد،، وكان لابى الحزم ادب ووقار وحلم سارتْ *p* بها *q* الامثال، وعُدِم فيها *r* المثال،، وقد اثبتُّ من شعره ما هو لائق، وفى سماء الحسن *s* رائق،،

* وذلك قوله *t* فى تفضيل الورد

الورد احسنُ ما رأتْ عينى وأزْ … كَى *u* ما سقى ماءُ السحاب الجائدُ

خضعتْ نواويرُ الرياض لحسنه … فتذلّلتْ تنقاد وهى شواردُ

واذا تبدّى الوردُ *v* فى اغصانه … يزهو فذا مَيْت وهذا حاسدُ *w*

واذا اتى وَفْدُ الربيع مبشّرا … بطلوع صفحته فنِعْمَ الوافدُ

ليس المبشّر كالمبشَّر باسمه … خبرٌ عليه من النبوّة شاهدُ

واذا تعرّى الوردُ من اوراقه … بقيتْ عوارفُه فهنّ خوالدُ

---

a) Telle est la leçon du man. L. du *Matmaḥ*; P., al-Makk. S. تخييلا; al-Makk. G. L. La. تحيلا. *b*) *Al-Mat.* L. تراميا. *c*) *Al-Mat.* P., al-Makk. La. المعتمد. *d*) Al-Makk. خلب. *e*) Cette leçon ne se trouve que dans le man. L. du *Matmaḥ*; les autres man. portent بعد سرعة. *f*) Les man. d'al-Makk. portent الاجابة. *g*) *Al-Mat.* P., al-Makk. La. استرعابه; *al-Mat.* L. استدعائه. Les man. d'al-Makk. ajoutent الوزارة والحجابة. *h*) *Al-Mat.* L. سوء المام (? اسوء المام). *i*) S. حبذ, La. حبذ. *j*) *Al-Mat.* L. وانقطعت. *k*) *Al-Mat.* L. ajoute والحزم. *l*) La. وقضى. *m*) *Al-Mat.* L. P., al-Makk. La. حالاتها. *n*) *Al-Mat.* P. استجلالاتها, L. اسمحالاتها (?). *o*) *Al-Mat.* P., al-Makk. G. S. L. الامل. *p*) *Al-Mat.* L. مشا. *q*) *Al-Mat.* P., al-Makk. L. به. *r*) *Al-Mat.* P. فيه. *s*) *Al-Mat.* L. الاحسان. *t*) *Al-Mat.* L. فمن ذلك. *u*) *Al-Mat.* P., al-Makk. S. La. وازكى. *v*) Les man. d'al-Makk. portent الغصن. *w*) Ce vers ne se trouve pas dans le man. L. du *Matmaḥ*.

انتهى المقصود منه وكانّه عارَضَ بهذه الابيات فى تفضيل الورد قولَ ابن الرومى فى تفضيل النرجس عليه من قصيدة

للنرجس الفضلُ المبين وان أَبَى   آبٍ وحاد عن الحقيقة a حائدُ

وهى مشهورة وردّ على ابن الرومى بعضهم بقوله

يا من يشبّه نرجسا بنواظر   دُعْجٍ تنبَّهْ انّ فهمك فاسدة b

وهى ايضا مشهورة ، رجع الى ما كُنّا فيه وكانت c لاهل الاندلس بين زمان الفتح وما بعده وقائعُ فى الكُفّار شَفَت الصدورَ من امراضها ، ووقّت النفوس باغراضها ، واستولت على ما كان لملّة الكفر من جواهرها واعراضها ،، ثم وقع الاختلاف ، بعد ذلك الايتلاف ،، فعصفت ريحُ العدوّ والحروب سِجال ، وأَعْيَا العلاجُ حكماءَ الرجال ،، فصار اهل الاندلس يتذكّرون * موسى بن d نصير وطارق ، ومَنْ بعدهما من ملوك الاندلس الذين راعت العدوَّ الكاثر منهم طوارق ،، وما احسن ما اعرب الامام الكاتب القاضى ابو المطرّف بن عَميرة عمّا يشمل هذا المعنى وغيره فى كتاب بعث به الى الشيخ ابى جعفر بن اميّة حين حلّ الرزءُ ببلنسية وهو

الا ايّها القلب المصرّح بالوَجْدِ   أَمَا لك من بادى الصبابة من بُدّ

وهل من سلوّ يُرتجى لمتيَّم   له لوعةُ الصادى وروعةُ ذى الصَدّ

يحنّ الى نجد وهيهات حرَّمتْ   صروفُ الليالى ان يعود الى نجد

فيا جبل الرَيّان لا رِيَّ بعد ما   عَدَتْ غِيَرُ الايام عن ذلك الورْدِ

ويا اهل ودّى والحوادثُ تقتضى   خُلُوِّى عن اهل يُضاف الى الودّ

أَلَا متعة يوما بعارية المُنَى   فانّا نراها كلَّ حين الى الردّ

أَمِن بعد رزءٍ فى بلنسية ثوى   بأَحْنائنا كالنار مضرمةَ الوقد

يرجّى اناس جُنّةً من مصائب   تطاعن e فيهم بالمثقّفة المُلْد

أَلَا ليت شعرى هل لها من مطالع   معادٌ الى ما كان فيها من السعد

وهل اذنب الابناءُ ذنبَ ابيهم   فصاروا الى الاخْراج من جنّة الخلد

مرحبا بالسحاءة ، وما اعارتْ افقى من الاضاءة ،، وردتْ تسحر النُهى ، وتسحب f ذيلا على السُهَى ،، وتهزّ من المسرّة اعطافا ، وتَرِدُ من نجوم المجرّة نِطافا ،، عامتْ من

a) La. الطريقة.   b) L. et La. ajoutent البخ.   c) S. La. وكان.   d) S. بنصر ابن.
e) La. تظافر.   f) L. وتجرّ.

الظلمة فى موجها، ثم غلبت الشُّهْبَ على اوجها،، فقلْب العقرب يَجِب، وسُهَيْل بداره يحتجب،، والطَّرْف غضيض، وجناح الطائر مهيض،، وصاحب الأَخْبِيَة يقرض، والذابح عن ذبيحته يُعْرِض،، ورامح السماكَيْن تخونه السلاح، وواقع النسرَيْن يودّ ان يخفيه الصباح،، بلاغة تفتن كلَّ لبيب، وتُرْعى روض كل اديب، وتغض a على رغم العدوّ من حبيب،، انّ من البيان لَسحْرا، ويأيّها الجواد وجدناك بحرا،، أَدريتَ اىَّ برىّ بريتَ، وباىّ قمر اهتديتَ ليلةَ سريتَ،، افتتحتَ بابياتك الحسان، ونظمتَها نظمَ الجمان،، فعوّذتُ ستّتها بالسبع، وعرفتُ منها براعة ذلك الطبع،، ثم نثرتَ على القرطاس من b شذور المنثور، بل من جواهر النحور،، ما استوقف النُّظّار، وبَهْرَجَ اللُّجَيْن والنُضار،، ورايتك استمددتَ ولك الباع الامدّ، واعرتَ محاسنك والعارية تُرَدّ،، *وحبيتَ بالراية c تروق اربعتُها، وتحرس بها قعقعة الاشعار وجعجعتها،، فأدّتْ من حسنها ما يَسُرّ، واجتمع لمن روى القطعتَيْن ما نُظم فيهما وهو الدرّ،، واجريتَ خبر الحادثة التى محقتْ بدرَ التمام، وذهبتْ بنضارة الايام، فيا من حضر يومَ البطشة، وعزى بانسه d بعد تلك الوحشة،، أَخفا انه دُكّت الارض، ونُزف المعين والبَرْض،، وصُوّح روض المُنَى، وصرّح الخطيب e وما كنى،، أَبِنْ لى كيف فُقدتْ رجاحةُ f الاحلام g، وعُقدتْ مناحة الاسلام، وجاء اليوم العَسِر، وأُوقدت نارُ الحزن فلا تزال تستعر h،، حُلْم ما نرى بل ما راى ذا حالم، طوفان يقال عنده لا عاصمَ، من يُنْصِفنا من الزمان الظالم، الله بما يلقى الفؤاد عالم،، بالله اىّ نحو ننحو i، ومسطور *نُثْبِت ونمحو j،، وقد حُذف الاصلىّ والزائد، وذهب الصلة والعائد،، وباب التعجّب طال، وحال البائس لا تخشى الانتقال،، وذهبت علامة الرفع، وفُقدت سلامة الجمع،، والمعتلّ أَعْدَى الصحيح، والمثلّث اردى الفصيح،، وامتنعت العجمة من الصرف، وامنت زيادتُها من الحذف،، ومالت قواعد الملّة، وصرنا الى جمع القلّة،، وللشرك صيال وتخمّط، ولقرنه فى شركه تخبُّط،، وقد عاد الدينُ الى غربته، وشَرِقَ الاسلامُ بكربته،، كأن لم يسمع بنصر ابن

a) Ce mot est sans doute altéré. *b*) J'ai cru devoir ajouter ce mot, qui manque dans tous les man. *c*) P. وجبيت بالاية, S. وجبت باراته, La. وجبيت بالادلال ما. On doit peut-être lire وجبيتَ بالرائيّة. *d*) P. بانسته, G. S. L. فى انسه. *e*) G. P. L. La. الخطب. *f*) La. رجاجة, G. L. اجاحة. *g*) La. الكلام. *h*) G. L. تسعر. *i*) G. P. L. La. تنحو. *j*) G. P. L. La. تثبت وتمحو.

نصير، وطروق طارق بكل خير،، ونهشات حَنَش وكيف أَعْيَت الرُقَى، وادالت a بليل السليم يومَ الملتقى،، ولم يُخْبَرِ b عن المروانيّة وصوائفها، وفَتَى مَعافِرِ وتعفيره للاوثان وطوائفها،، لله ذلك السلف، لقد طال الاسى عليهم والاسف،، وبقى الحَكَم العدل، والربُّ الذى قوله الفصل وبيده الفضل،، ربَّنا امرتَ فعصينا، ونهيتَ فما انتهينا، وما كان ذلك جزاء احسانك الينا، انت العليم بما اعلنّا وما اخفينا، والمُحيط بما لم نات وما اتينا، لو انّنا فيك * احببْنا وقلبناه c، لم تُرِنا من الفرقة ما راينا، ولم تسلّطْ عدوّك وعدوَّنا علينا، لكن انت ارحَمُ من ان تواخذنا بما جنينا، واكرم من ان لا تَهَبَ حقوقك لدينا d،، واشرتَ ايّها الاخ الكريم الى استراحة التّى، وتنسُّم e بما لدىّ،، لتبرّد كما زعمتَ حرَّ نفس، وتقدح زناد قبس،، وهيهات صلد الزندُ، وذوى العرارُ والرند،، واقشع الشوبوب، وركد ما كان يُظَنّ به الهبوب،، فالقلم دفين لا يُحْشَر، وميّت لا يُنْشَر،، والطَبع قد نقص القَهْقَرَى، وقلَّ منزله ان يُدعى له النَقَرَى،، فما هو لا يملك مبيتا، ولا يجد لعلمه f تثبيتا،، وانت ابقاك الله عز وجل بمقتبَل g الآداب، طائر ميعة h الشباب،، واين سنُّ السموّ من سنّ الانحطاط، ووقتُ الكسل من وقت النشاط،، وقد راجعتُك لا داخلا فى حلبتك، بل قاضيا حقَّ رغبتك،، والله تع يجعلك بوسيلة العلم مترقّيا، وبجُنّة الطاعة متوقّيا، ولهناء i الانس مستقبلا ومتلقّيا،، بمنّه وكرمه والسلام انتهى، وكتب رحمه الى سلطان افريقية الوارث ملك بنى عبد المومن بتلك النواحى، المستولى على البلدان والضواحى،، وقد كان لاهل الاندلس امل فى اخذه بثارهم، وضمّ انتشارهم،، ما صورته

شاقه غبُّ الخيال الوارد ... بارقٌ هاج غرام الهاجد
* صدّقا وعدَ j التلاقى ثم ما ... طرقا الا بخُلْف الواعد
وكلا الزورَيْن من طيف ومن ... وافد تحت الدياجى وارد
لم يكن بعد السرى k مستمتَع ... فيه للراءى ولا للرائد
وشديد بثُّ قلب هائم ... يشتكيه عند ربع هامد
بالامير المرتضى عزّ الهدى ... وثنى عطف المليء الواجد

---

a) S. ووالت. b) G. P. L. La. تخبر. c) S. اجبنا ولبّينا. d) La. الينا. e) S. La. تسنيم. f) G. P. L. La. اقلمه. g) G. بمقبّل , L. بمقيل. h) Les man. portent هيعة. i) S. وبهنا. j) G. S. L. صدق وعد , La. صدق الوعد , P. صدق عند. k) G. P. L. الشرى.

وبه أُصحب مـا كان يُرى　　حـامـلا انف الابىّ الـشـارد
انـمـا a الفخر لمولانـا ابى　　زكـريـاء بن عـبـد الواحـد
ملك لـولا حـلاه العزّ b لـم　　يَجْرِ بالحمد لسانُ الحـامد
ولـو انّ العـذب أَبْدَى رغبةً　　عنه لـم يَشْف غليـل الوارد
فضله مثل سنى الشمس وهل　　لسنى الشمس يُرى من جاحد
قهـر البغىَ بـحـدّ صـادع　　مـا تعـدّاه وجـدّ صـاعـد
انمـا آلُ بنى c حفص هُدًى　　للورى من غـائب او شـاهد
قعدوا فوق النجوم الزُهْر عن　　هِمَم نـبّـهْـنَ عزم القـاعـد
وعن الاسلام ذادوا عند مـا　　فُـلّ طولَ العهد غَرْبُ الـذائد
اىّ فـخـر عُـمَـرىّ المنتمَى　　ورثوه مـاجـدًا عن مـاجـد
مـا الفتـوح الـغُـرّ الا لـهـم　　بين مـاض بـادئٍ او عـائـد
فى محيّا لاحق من سـابق　　وعلى المولود سيمَى الـوالـد
وليحيى راجحُ الحلم الـذى　　تـرك الطود بعطفَىْ d مـائـد
عـقـد احـسـابـهـم تـمّ بـه　　مثل مـا تمّ حسـاب العاقد
ايّهـا الجـامع مـا قد احرزوا　　جمعَ مَنْ همّته فـى الزائـد
هـذه الامّـة قـد اوسعتَهـا　　نظرا يكلأ لـيـل الـراقـد
لم تزل مـنـك بخير طـارق　　ريشُه تـال قُـدامَى تـالـد
ولهـم مـنـك ليوم حـاضر　　وغـدًا راىٌ البصير النـاقـد
ارشـد الـلـه لأُولـى نـظـرٍ　　بـالـورى راىَ الامـام الراشد
وتـولّاه بـتـوفـيـق الألـى　　سعدوا من عـاقد او عـاهد
ولـه فـى الله اوفـى كـافـل　　بـالذى يبقى واكفى عاضد

نصر الله تعٓ مولانا وايّده، وشدّ ملكه وشيّده،، وابقى للفضل ايامَه، وللفصل احكامَه، واظفره e باعناق الاشقياء حسامَه، ووفّر من انتساق النعَم والآلاء حظوظه واقسامَه،، والحمد لله f على ان جعل به حرمَ الامّة آمنا، ووهجَ الفتنة ساكنا، وابوابَ الصلة والمعروف لا تعرف الا واصلا وآذناء g،، وتلاشى فلّ الاسلام منه بفئاته التى منها ينتظرون الكرّ، وبها

a) G. P. S. L. ايهـا.　b) G. P. L. الفر, S. العر.　c) G. P. L. ابى.　d) S. بعطف.
e) La. واشفى.　f) P. S. et La. ajoutent لله ثم الحمد.　g) G. P. S. L. او اذنا.

يُوعَدون الفتح الاعزّ والنصر الاغرّ، فهم بين جدة قبضوها، وعدة رضوها، وارتقاب للفتح اكبرُ هممهم منه دركُ الثار، وانتصاف لاهل الجنّة من اهل النار، فاما الاوطان فقد أُسْلتْهم عنها جهةٌ تُنْبت العزّ فيما تنبته، وتنفى من الضيم ما تلك تثبته، وما ذكر الساخط، على المحلّ الساقط، منازل عادتْ على مبانيها اطلالا * ومعانيها محالا a، وللعبد حال يستقبل بها من النظر الكريم ادامه الله تع ما اعيُنُ الآصال اليه صُورٌ، ورجاء الجميع عليه مقصور، انتهى، والغاية فى هذا الباب ما كتب به رحه من جملة كتاب، لبعض ذوى الالباب، ونصّ محلّ الحاجة منه فخصّ الجهة البعيدة الصيت والاسم، الشهيرة العمل والعلم، درّة تاجنا، وضوء سراجنا، ونكتة احتجاجنا، ابقاها الله تع فى اعيُننا منارا، ولاندلسنا فخارا، على انه وان بقيت المفاخر، فقد أوْدَى المُفاخر، وان اضاء الطالع، فقد دَجَت المطالع، وغلب عليها عُداةٌ زووا عنها وجوهَنا، وأرَوْا فيها مكروهَنا، حتى انّى اتيتُ بشعر فيه استسقاء للديار، على عادة الاشعار، فقلتُ

زِدْنا على النائين عن اوطانهم ... وان اشتركنا فى الصبابة والجَوَى
أنّا وجدناهم قد استسقوا لها ... من بعد ان شطّتْ بهم عنها النَوَى
ويصدّنا عن ذاك فى اوطاننا ... مع حبّها الشِرْكُ الذى فيها ثَوَى
حسناء طاعتُها استقامتْ بعدنا ... لعدوّنا أفَيستقيم لها الهَوَى

انتهى، قلتُ وما رايتُ ولا سمعتُ مثل هذه الابيات فى معناها، العالية فى مبناها، فان فيها الاشارة الى استيلاء النصارى دمّرهم الله على تلك الديار، وثبوت قدمهم فيها على طِبْق ما حصل لهم فيه اختيار، مع اتّماج حبّه لها الذى لا يُشَكّ فيه ولا يرتاب، واشتمالها على المحاسن التى هى بغيةُ الرائد ونجعةُ المنتاب، ولكل اجل كتاب، واذا نفذه b سهمُ المقدور فلا عتاب، وممّا يستولى على الخواطر، ويروى رياض الافكار بسحب بلاغته المواطر، قوله رحه يخاطب ابا الحسن c الرُعَيْنى سنة ٦٣٤

يا صاحبى والدهرُ لولا كرّة ... منه على حفظ الذمام ذميمُ
أمُنازعى انت الحديثَ فانه ... ما فيه لا لغوٌ ولا تاثيمُ
ومروّض مرعى مُناىَ فنَبْتُه ... من طول اخْلاف الغيوم هشيمُ

---

a) La. ومغانيها امحالا. b) G. P. La. انفذ. c) La. ابا الحزم.

طال اعتبارى بالزمان وانما ... داء الزمان كما علمتَ قديمُ
مجفوُّ حظّ لا ينادى ثم لا ... ينفكّ عنه الحذفُ والترخيمُ
وأَرى امالتَه تدوم وقصرَه ... فعلى مَ يُلْغَى المدُّ والتفخيمُ
وعلىّ مَ ادعو والجواب كانّما ... فيه بنصّ قد اتى التحريمُ
لم أَلْقَ الا مقعدا غير الاسى ... فلدىَّ منه مُقْعِد ومُقيمُ
وشرابىَ الهمُّ المعتّق خالصا ... فمتى يساعدنى عليه نديمُ
غاراتُ ايام علىَّ جوارح ... فعديُّها فى طبعه التحكيمُ
ولواعج يحتاج صالى حَرِّها ... امرًا به قد خُصَّ ابرهيمُ
ولقد اقول لصاحب هو بالذى ... ادركتُ من علم الزمان عليمُ
لا تَيْأَسَنَّ*a* من الالٰه وان قَسَتْ ... يوما قلوبُ الخلق فهو رحيمُ

ويهزنى ويستفزّنى ما كتبه رحه تعً من رسالة كتبتُه الى سيّدى وهو السيّد حقيقةً، واخى وقد كتب الدهرُ بذلك وثيقةً،، ابقى الله تعً جلاله محروسا، وربع وفائه لا يخشى دروسا،، من رباط الفتح وانا بحقّه عليم، وعلى عهده مقيم، وشانى توقير له وتعظيم، وحبٌّ فيه خالص كريم*b*،، ووصلنى خطابه الخطيرة المبرور فكنتُ به كالصائم راى الهلال، * والحائم عايَنَ*c* الماء الزُلال،، علقٌ ليس يوازيه عِلْقٌ، وسحر لكنّه حلال طلْقٌ،، ونظم لذكر الطائىّ طاوٍ، وصنعة لم يَرَها ولم يَرْوِها راءٍ ولا راوٍ،، رَمَتِ ابنَ الرومىّ بالخمول، وبشرت اسم بَشّار من الفحول،، وحكمت بابن النَمرى فى نَمِرة الهوان مُدْرَجٍ، والسَرِىّ عن سراوة الاحسان مُخْرَجٍ،، فاما النثر فصهيل لا يجاوبه الرُغاء، وطراز لا يُحْسِنه البُلغاء،، ونقد تزيّف معه النقود، ومدى تنقطع دونه الضُمَّرُ القُود،، غادَرَ الصابى وصَباه غير ذات هبوب، والصاحب وهو من العجز مع شرّ مصحوب،، والميكالى وميكاله مرفوض، والحريرى وحريره فى سوق الكساد معروض،، فاما بحر رئيس أَرَّجان، فقد استخرج منه اللولوُ والمرجان،، وابقاه فى ضحضاح، بل تركه يمشى بادرجٍ*d* ضاحٍ،، فمن ذا يجارى فارسَ الصفّين، وامام الصنفَيْن،، ابلغَ من خطّ بقلم، واشهرَ من نار على علم،، وما ذا يقال فى انامل تطرّز بها الصُحُف، وخمائل تفخر بها الروضةُ الأُنُف،، واسم فى شرق البلاد وغربها ظاهر، ووسم بالكتابة والنجابة لم يكن لبنى وَهْب وآل

---

a) L. La. تناس, S. دماس (*sic*). On trouve dans tous les man. le mot روح placé avant الاله.
b) La. الكريم. c) La. والهائم راى. d) Ce mot est certainement altéré; il faut peut-être lire باجرع.

طاهر،، فالزمان ياثر، ما ينثر،، ويُعْظم، ما ينظم،، ولو ان الازمنة قبله عمرت المحاضر a بكل ناجم، ونشرت المقابر عن الصَنَوْبَرى وكُشاجم،، وجاءت بالكُتّاب من كل جيل، والشعراء رعيلًا بعد رعيل،، لَطال هذا العصر بواحده آلافها، وانسى بخلفه اسلافها،، انتهى، وكتب رحمه الى صاحبَيْن له فى معنى ما أَلْمَعْنا به آنفًا ما صورته

تحيّة منكما اتثنى — طابتْ كما طاب مُرْسلاهَا
ويا لها اذكرتْ عهودا — قلبىَ والله ما سَلاهَا
حللْتما فى البلاد ارضا — ريحُ صباها عنى سلاهَا
لم يَصْبُ قلبى الى رباها b — يوما ولم يسل فى سلاهَا

كتابى ايّها الأَخَوان اللذان بودّهما اقول، وعن عهدهما لا احول،، انزلكما الله تع خير منزل، وجعلكما من النوائب والشوائب بمعزل،، من رباط الفتح ولبّى c قديما ملكتما رِقّه، وقلبى تعلُّما وتعليما عرفتما صدقه،، كيف حالُكما من سفر طويتما خبره، حين تجشّمتما غَرَره،، وكيف سَخَتْ نفوسكما بامّ الحصون، وذات الظلال والعيون،، تربة الآبا، ومنزل الجُمَحيّين النُجبا،، حتى صرمتما حبلها، وهجرتما حَزْنها وسهلها،، وخُضتُما غُبْرَ d الفجاج، وخُضْرَ الامواج،، ما ذاك الا لتغلُّب الحادث النُكر، وتألُّب المعشر الغُدْر e،، ومن اجل الداهية النَكّاد، والحادثة الشنيعة على البلاد،، ازعجتْكم حين ازعجتْنا، واخرجتْكم كما اخرجتْنا،، وطوّحتْ بنا طوائحُها، واجتاحتْ ثمرنا وشجرنا جوائحُها،، فشكرًا لله على قضائه، وتضرُّعا فيما نرفعه من دعائه،، وهنيئًا لنا ولكم معشرَ f الشرداء، المنطوين من الشَجَن على شرّ داء g،، ذلك الطود الذى اليه اوينا، وفى ظلّه ثوينا،، وعن رايه ترينا، وبسعيه تسعينا،، فوجهه المبارك لا يعدم رايه نُجْحا، ولا * يعدو لصبحه h اذا دجا ليلُ الهمّ صبحا،، انتهى، وكان ابو المطرّف بن عَميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغا، وعمدة العلما، وصدر الجلّة الفضلا،، وهو احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومى ونكتة البلاغة التى احرزها واودعها، وشمسها التى اخفتْ ثواقبَ كواكبها حين ابدعها،،

---

a) S. المخاضر, G. L. المخاض. *b*) La. سواها. Je dois avouer que je ne comprends pas ces deux derniers vers. *c*) G. P. L. S. وقلبى. *d*) G. L. La. غبير. *e*) G. P. L. العذر, S. العدر. *f*) La. ايها. *g*) G. P. L. الداء, S. الشر الداء. *h*) Ces deux mots me paraissent altérés; La. يغدوا, S. يعد.

مُبْدِع البدائع التى لم يُحِطْ بها قبله انسان، ولا ينطق عن تلاوتها لسان،، اذ كان ينطق عن قريحة صحيحة، وروية بدر العلم فصيحة،، ذلّلتْ له صعبَ الكلام، وصدّقتْ روياه حين وضع سيّدُ المرسلين صلّعم وهو الذى أُوتىَ a جوامعَ الكَلم b فى يديه الاقلامَ،، واصل سلفه من جزيرة شُقَر ووُلد بمدينة بلنسية وروى عن ابى الخطّاب بن واجب وابى الربيع بن سالم وابن نوح والشَلَوْبينى وابن عات وابن حوط الله وغيرهم من الحُفّاظ واجازه من اهل المشرق جماعةٌ وكان شديد العناية بشان الرواية فاكثر من سماع الحديث واخذه عن مشايخ اهله ثم تفنّن فى العلوم ونظر فى المعقولات واصول الفقه ومال الى الادب فبرع براعةً عُدَّ فيها من مُجيدى النظم فاما الكتابة فهو فارسها الذى لا يُجارَى، وصاحب عينها الذى لا يُبارَى،، وله وعظ على طريقة ابن الجَوْزى ورسائل خاطب بها الملوك وغيرهم من الموحّدين والحَفْصيّين وله تاليف فى كائنة ميورقة وتغلُّب الروم عليها * نحا فى c الخبر عنها مَنْحَى الامام الاصبهانى فى الفتح القُدْسى وله كتاب تعقّب فيه على الفخر الرازى فى كتاب العالم وله كتاب ردّ به على كمال الدين الانصارى فى كتابه المسمّى بالتبيان، فى علم البيان، المطّلع على أَعْجاز القرآن،، وسمّاه بالتنبيهات، على ما فى التبيان d من التمويهات،، وله اختصار نبيل e من تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك ورد رحمه حضرة الامامة مرّاكش صحبةَ f امير المومنين الرشيد حين قفوله من مدينة سَلا واستكتبه مدّةً يسيرة ثم صرفه عن الكتابة وقلّده قضاء هيلانة ثم نقله الى قضاء سلا ثم نقله السعيد الى قضاء مكْناسة الزيتون ثم قصد سبتة وأُخذ ماله فى قافلة فى فتنة بنى مرين ثم توجّه الى بلاد افريقية ووصف حاله فى رسالة خاطب بها ابن السلطان ابى زكرياء الحفصى وهو ابو زكرياء بن السلطان ابى زكرياء وكان صاحب بجاية لابيه ولم يزل رحمه مذ فارَق الاندلس متطلّعا لسكنى افريقية معمورَ القلب بسكناها ولما قدم تونس مال الى صحبة الصالحين والزُهّاد واهل الخير برهةً من الزمان ثم استُقضى بالأُرْبُس g من افريقية ثم بقابس مدّةً طويلة ثم استدعاه امير المومنين المستنصر بالله الحفصى واحضره مجالسَ انسه وداخَلَه مداخلةً شديدة حتى يغلب h على اكثر امره ومولده بجزائر شقر فى شهر رمضان المعظّم سنة ٥٨٠ وتوفّى ليلة الجمعة الموفّية عشرين من

a) La. اولى. b) G. P. S. الكلام. c) G. S. La. بحانى. d) G. S. L. البيان. e) La. نبيه. f) La. على. g) S. بالاريس, G. P. L. بالاندلس. h) S. La. تغلب.

ذى الحجّة سنة ٦٥٨ الحقه الله رضوانَه، وجدّد عليه غفرانَه،، وقال ابن الابّار فى تحفة القادم فى حقّ ابى المطرّف المذكور فائدةُ هذه المائة، والواحد يَفى بالفِئَة،، الذى اعترف باتّحاده الجميعُ، واتّصف بالابداع فما ذا يتّصف به البديع،، ومعاذَ الله ان احابيه[a] بالتقديم، لِما له من حقّ التعليم،، كيف وسَبْقه الاشهر، ونُطْقه الياقوت والجوهر،، تحلّتْ به الصحائف والمهارق، وما تخلّتْ عنه المغارب والمشارق،، فحسبى ان اجهد فى اوصافه، ثم اشهد بعدم انْصافه،، هذا على تناوُل الخصوص والعموم لذكره، وتناوُب المنثور والمنظوم على شكره،، ثمّ اورد له جملة منها قوله

وأَجَلْتُ فكرى فى وشاحك فانثنى شوقا اليك يجول فى جَوّالِ
انصفتَ غصن البان اذ لم تَدْعُه لتناوُد[b] مع عطفك المَيّالِ
ورحمتَ درّ العقد حين وضعتَه متواريًا عن ثغرك المتلالِى
كيف اللقاء وفعل وعدك سينُه ابدًا تخلّصه للاسْتقبالِ
وكُماة قومك نارُهم ووقيدُها للطارقين اسنّة وعوالِى

وله ممّا يكتب على قوس قوله[c]

ما اسأد معتقل القنى الّا لان يحكى تأطُّرَ قامتى العوجاء
تحنو الضلوع على القلوب واتّنى ضلعٌ ثوى فيها باعضل داء

وله وقد اهدى وردا

خُذْها اليك ابا عبد الاله فقد جاءتْك مثل خدود زانَها الخَفَرْ
اتتْك تحكى سجايا منك قدّ عذبتْ لكن تغيّر هذا دونه الغِيَرُ
ان شِمْتَ منها بروقَ الغيث لامعةً فسوف ياتيك من ماء لها مَطَرُ

قال وكتب الىّ مع تحفة اهداها مكافيًا عن مثلها

يا واحد الادب الذى قد زانه بمناقب جعلتْه فارسَ مِقْنَبِهْ
بالفضل فى الهِبَة ابتداتَ فان تُعِرْ طرفَ القبول لِما وهبتُ ختمت بِهْ

قال وله ارتجالا بقصر الامارة من بلنسية وانا حاضر فى صبيحة بعض الجُمَع وقد

---

a) G. P. L. احابيه. b) G. P. La. لتاود, L. لناود. c) Je dois laisser au lecteur le soin de corriger ces vers. Voici toutes les variantes des man.: vs. 1. L. ما ساد, S. اتماد (*sic*), P. انماد (*sic*), La. اناد ; La. الفتى, S. القسى ; vs. 2. P. S. La. تحنو القلوب على الضلوع ; La. فاعضل.

حُجِمَ صاحب لنا من اهل النظم والنثر واحسن الى الحَجّام المخصوص

اری من جاء بالمُوسَى مواسًىa ... وراحةُ ذى القريض تعود صِفْرَا
فهذا مُحْقِق ان قصّ شَعْرا ... وهذا منجح ان قصّ شِعْرا

* وله ايضاb هو ما علمتَ من الامير فما الذى ... تزداد منه وفيه لا ترتابُ
لا تتّقى الاجنادُ فى ايامه ... فقرًا ولا يرجو الغنى الكُتّابُ

وله بعد انفصاله من بلنسية عن وحشة فى ذى القعدة سنة ٦٢٨

اسيرُ بارجاء الرجاء وانما ... حديثُ طريقى طارقُ الحدثانِ
واحصرc نفسى ان تقدّمتُ خيفةً ... لغض عنان او لعض زمانِ
أَيُتْرَك حظّى للحضيض وقد سرى ... لامْكانه فوق الذُّرَى جبلانِ
واخبط فى ليل الحوادث بعد ما ... أضاء لعينى منهما القمرانِ
٥ فيحيى لآمالى حياة مُعادة ... وانّ عزيزا عزّة لمكانى
وقالوا اقترحْ انّ الامانى منهما ... وان كُنّ فوق النجم تحت ضمانِ
فقلتُ اذا ناجاهما بقضيّتى ... ضميرى لم احفل بشرح لسانى

وله ايضا سلب الكرى من مقلتىّ فلم يجى ... منه على نأى خيالٌ يطرقُ
اهفو ارتياحًا للنسيم اذا سرى ... انّ الغريق بما يرى يتعلّقُ

انتهى ما لُخّص من تحفة القادم فى ذكر ابن عميرة ابى المطرّف، ومما كتب به ابو المطرّف رحمه وفى اثنائه اشارة الى الكفّار الغالبين على بلاد الاندلس ما نصّه

أَلا انّ شخصَيْنا على القطع واحدُ ... وجاحدُ هذا للضرورة جاحدُ
فان لم تصدّق ما نطقتُ بصدقه ... فانك لى لاحٍ وللودّ لاحدُ

ومعاذَ الله عز وجل ان تلحانى، او تمنع انفكd ريحَ ريحانى،، وكيف تصدّ عنّى بوجهك، او تشحذ لى غربَ نجهك،، وانا على غيبك امينe، ولشمالك يمين،، ولكم دعوتَ بى فاجبتُ، واستغنيتَ عنّى فحجبتَ،، واردتَّ الاستبداد فما استطعتَ، ونعتَّ الوداد فما احسنتَ النعت،، وانما تُحمد فراهة الأَعْوَجىّ ان جرى، وتُذكر فضيلة ابن السرىّ اذا سرا،، فاما الاقتصار على عظمٍ بادٍ، والانتظار لعين عدمت السواد،، فخطأٌ من القائل، وخطلٌ عند العاقل،، ولله درُّ اخيك من مغمّض طرف التطرّف،

a) L. مواسٍ. b) L. ناجيته. c) La. واحصرت. d) S. ajoute شم, La. بمن. e) La. يامين.

قارئ ادب الصحبة a على السبعة الاحرف،، كرع فى اعزّ مورد، وتواضع عن شرف مولد،، وسما بنفسه عن ان يستخفّه نسب يرفعه، وحسبُ ما منّا احد يدفعه،، وكذلك الكرام يرون عليهم حقّا، ويتوقّون من لم يكن من الكبر موقّى،، ولعهدى به وظلّ الثروة بارد، وشيطان الشبيبة مارد،، وبشره فى المُلمّات يرقّ، وقدمه الى الحاجات تخفّ،، يصون عِرْضه بماله، ويخفى صَدَقَة يمينه عن شماله،، ويقسم جسمه فى جسوم، ويقوم بالحقوق غير مَلول ولا ملوم،، تلك المكارم لا قعبان b، وما تستوى البدنة المهيضة مع غيرها فى القربان،، وعرضتَ بذكر العصر الخالى، والقصر العالى،، وظلّ من فَنَن وريف، وعيش مع اكرم فريق،، وما تذكر من زمن تولّى، وعهد على ان لا يعود تألّى،، فارَقْناه احسنَ ما كان، وودّعنا به الاطيبَيْن الزمان والمكان،، فعَفَت الرسوم، وأَفلَتْ تلك النجوم، ورمتْنا عن قوسها الروم،، ثم خلفتْنا فى المغانى، وقسمتْنا بين الاسير والعانى،، فأَوْدَى القُلّ والكُثْر، واشتفى c من الاسلام الكُفْر،، فكم كاس انس أَرَقْناه، ومنزل فرقة الابد فارَقْناه،، وذكرتَ اجتيازك بين العلمَيْن، وقطعك متن اليمّ فى يومين،، وانك انتقلتَ من ذوات الالواح، الى عذبات الادواح،، ومن متهافت الشراع، الى منابت اليراع،، ومن سكنى بيت السُكّان، الى منزل فيه d الفَلّاح والمَلّاح يشتركان،، حيث اجتمع الضبّ والنون، وأينع التين والزيتون،، وظلّلت الساحات، وذُلّلت الثمار المباحات،، فلا تشرقْنا يا أُصَيْل، ولامّ تلك الارض الويل،، انتهى ووصل هذا الكلام بالابيات التى تقدّمت قريبا وهى قوله زدنا على النائين عن e اوطانهم الخ، وكتب رحمه عن اهل شاطبة ايامَ كان قاضيا بها مهنّئًا امير المسلمين ابن هود المستولى على الاندلس آخرَ دولة الموحّدين بوصول الكتاب العباسى الكريم اليه من بغداد بولاية الاندلس اذ كان ابن هود حين ثار على الموحّدين يدعو الى الخليفة العباسى الذى كان اكثر الملوك فى ذلك الزمان يدينون بطاعته بما نصّه بعد الصدر امّا بعدُ فكتب العبيد كتب الله تع للمقام العلىّ المجاهدىّ المتوكّلىّ سعادةً لا تبلغ امدًا الّا تخطّتْه، ويدًا علوُّها اثبتتْه ايدى الاقدار وخطّتْه،، من شاطبة وبركات الامر المجاهدىّ المتوكّلىّ، والعهد الواثقىّ المعتصمىّ، تنسكب كالمطر، وتنسحب على

---

a) S. ادبا لصحبة , G. L. ادبا لصحته. b) Ce قعبان, qui est sans doute altéré, se trouve dans G. P. L.; La. قعبان , S. قغبان. c) La. واستشفى. d) G. S. L. به. e) Les man. portent فى.

البشر،، وتقضى بعادة النصر والظفر، وسعادة الورد والصدر،، والحمد لله وعند العبيد من اداء فروض الخدَم، والقيام بحقوق النعَم،، ما عقدتْ عليه ضمائرُهم، وسَمَتْ اليه نواظرُهم، واشترك فيه باديهم وحاضرهم،، فجنابُ املهم فسيح، وتَجْرُ خدمتهم ربيح، وحديث طاعتهم حسن صحيح،، وبسَنَى النظر العلىّ اهتداؤهم، وفى الباب الكريم رجاؤهم، وبصدق العبوديّة اعتزازهم والبها اعتزاؤهم،، والله تعَ يُنْهضهم بوظائف المثابة العليّة، ويحملهم على المناهج السويّة،، ووصل الكتاب الكريم متحلّيا برُواء الحقّ، ناطقا بلسان الصدق، واصفا من التشريف والفخار المنيف ما صدر عن امام الخلق،، فلا بيان اعجب من ذلك البيان، ولا يوم كذلك اليوم تبدّى نظرُه للعيان، او تأدّى خبرُه فى اخبار الزمان،، نُثرتْ فيه الخِلَعُ العباسيّة فى اعلى الصُوَر، وبرز منها للعيون ما يعثر البليغ عند وصفه فى ذيل الحَصَر، ويهدى سواده سواد القلب والبَصَر،، فيا لمشهدها ما اعجب ما كان، ومرآها الذى راع الكفر وراق الايمان، وأَشْبَهَ يومه بالاندلس يومَ خرجت الراياتُ السُود من خراسان،، وكفى بهذا فخارا لا يحتاج ثابتُه مُثْبِتا، ان باشرت بردا باشَرَ البدن الذى طاب حيًّا وميّتا،، فهو علوّ فى الاسناد ولا نظير له فى العوالى، وفخار ضلّت عن مثله العصورُ الخوالى،، وجلّت بهجتُه ان تُخْلِق جِدّتَها الايامُ والليالى،، ودلّ الكتاب العزيز على التسمية المشتقّة من الجهاد، والسمَة من سيف امير المومنين بما لا يدخل فى جنس ذوات الاغماد،، وخير الاوصاف ما صدّقه الموصوف، وللكريم النسب نسبةٌ يَبْأَأ[a] بها الدينُ وتُزْهَى السيوف،،

فان نحن سمّيناك خِلْنا سيوفَنا   من التيه فى اغمادها تتبسّمُ

وممّا افاده الكتاب المبهج بطيب انبائه، نصّ علامة سيّدنا صلوات الله عليه وعلى آبائه،، فانها تضمّنت صفة[b] لله عز وجل من صفات الكمال، ودلّت على مذهب اهل السنّة فى خلق الله عز وجل الاعمال، واشعرتْنا معشرَ العبيد بعناية سبقتْ بالمقام المجاهدىّ المتوكّلىّ احسن الله تعَ اليه، حين تولّى خلافة امير المومنين صلوات الله عليه،، فانه لما شايَعَه بعزيمة مساعدة، ونيّة فى مشرع الصفاء والاخْلاص واردة،، أُلْهِمَ زيادة فى العلامة، شاركت الامامة، فى صفة واحدة فهذه كرامةٌ فى العلامة، هى علامة الكرامة، وهِبَةٌ من مواهب الكشف يَجِدها من امتثل قوله فاستقمْ كما أُمِرْتَ

---

a) G. يبأءآ, L. يبآء, S. La. يباهى.   b) S. La. صنعة.

فكان من اهل الاستقامة a،، وتضمّن الكتاب الكريم بيعةَ اهل جيّان وما معها، وان هذه البشائر وما تبعها،، لَفروعٌ عن هذا الاصل الصحيح، وأَقْبِسَةٌ عن هذا النصّ الصريح،، بادلّة الخلاف قد استقلّتْ، وشبهة الخلاف قد بطلتْ واضمحلّتْ،، والحمد لله على ان منح جزيل النعماء، وشرح باليقين صدورَ الاوليا،، وشرّف هذه الامّة بامامة b نجل الائمّة الخلفا، وابن عمّ سيّد الرسل وخاتم الانبيا،، والعبيد يهنّئون بهذه النعَم، التى لا يستقلّ بذكرها قلم، ولا يُقطع عَلَم من وصفها الّا بدا عَلَم،، وبهم من الاشواق الى
* مشاهدة المعالم السنيّة، ولثم اليمين الطاهرة العليّة،، ما اكّده دنوُّ الدار، وجدّده ما تجدّد للمقام العلىّ المتوكّلىّ من نعَم الله تعَ الجليلة المقدار، والشاهدة له باسْعاد الايام واسْعاف الاقدار،، فلو امكنهم الاقدام لأَقْدموا، ولو وجدوا رخصة فى المسير لعزموا، وهم يستلمون البساط الاشرفىّ توهّمًا ومن املهم انهم فى الحقيقة قد استلموا،، انتهى وبه تعلّمْ ان الدولة العباسيّة خُطب لها ببلاد الاندلس اعادها الله للاسلام، ولا يخفاك ان ما جلبناه من ذلك وغيره مناسبٌ للمقام، فلا انتقاد ولا ملام،، وقد رايتُ ان اذكر هنا مخاطبة صدرتْ من الغنىّ بالله صاحب الاندلس الى السلطان المنصور احمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من انشاء الوزيرِ الكبير لسان الدين بن الخطيب رحه لما اشتملت عليه من احوال الاندلس ونصُّها الابواب التى تفتح لنصرها ابواب السما، وتستدرّ من آفاقها سحاب النعما، وتجلّى بانوار سعدها دياجى الظلما، وتعرّف نكرة البلاد والعباد بالانتساب الى محبّتها والانتما، على اختلاف العروض وتبايُن الحدود وتعدّد الاسما، ويُجتزأُ من صلات صَلاتها · عند الموانع من كمال حالات صفاتها · بالايما، وتحمل لها التحيّة ذواتُ الدُسُر والالواح · طاعنة نحر الصباح · على كتد الماء،، ابواب السلطان الكبير، الجليل الشهير،، الطاهر، الظاهر،، الاوحد الاسعد، الاصعد الامجد،، الاعلى العادل، العالم الفاضل الكامل،، سلطان الاسلام والمسلمين، عماد الدنيا والدين، رافع ظلال العدل على العالمين،، جمال الاسلام، علم الاعلام، فخر الليالى والايام،، ملك البرّيْن والبحرين، امام الحرمين،، مؤمّل c الامصار والاقطار، عاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والترك والتتار،، الملك المنصور ابن الامير d الرفيع النجادة، الكريم الولادة،، الطاهر، الظاهر،، الكبير، الشهير،، المعظّم الممجّد الاسمى،

---

a) Voyez le *Korān*, sour. 11, vs. 114. b) G. L. بامة. c) La. مومن. d) La. الملك.

الموقّر الاعلى،، فخر الجِلّة، سيف الملّة،، تاج الامارة عزّ الاسلام، مستظلّ الانام،، قمر الميدان، اسد الحرب العوان،، المقدّس المطهّر الامير احمد ابن والد السلاطين، ومالك المسلمين، وسيف خلافة الله على العالمين، وولىّ المومنين،، سلطان الجهاد والحجّ، ومقيم رسم العجّ والثجّ،، محيى معالم الدين، قامع المعتدين، قاهر الخوارج والمتمرّدين،، ناصر السنّة محيى الملّة ملك البرّيْن والبحرين، سلطان الحرمين،، الملك العادل، العالم العامل،، المنصور المؤيّد المُعان المرقّع المعظّم المبجّل المؤمّل، المجاهد المرابط الغازى الممجّد المكمّل،، المطهّر الكبير الشهير المقدّس الملك الناصر ابى عبد الله محمد بن قلاوون الصالحىّ جعل الله فسطاط دعوته معمودا بعمود الصلح a، وحركاتِ عزمه مبنيّةً على الفتح، ومُجْمَلَ سعادته غنيًّا عن الشرح، وجيادَ اوصافه متباريةً فى ميدان المدح، وزنادَ آرائه b واريةً على القدح،، من مُوجب حقّه وجوبَ الشعائر الخمس، المرحّب لاجل افقه الشرقى c بوفادة الشمس، المجدّد فى اليوم حكمَ ما تقرّر بين السلف رحمهم بالامس،، امير المسلمين بالاندلس عبد الله الغنىّ بالله الغالب به محمد بن يوسف بن اسمعيل بن فرج بن نصر سلامٌ كريم كما زحفتْ راياتُ d الصبح تقدمها طلائعُ مبشّرات الرياح، يفاوح ارجُه زهرَe الادواح، ويحاسن طُرَرَ الوجوه المِلاح f،، يخصّ ابوّتكم التى رتّب العزُّ فصولَها، وعضدتْ نصوصَ النصر نصولُها،، ورحمة الله وبركاته امّا بعد حمد الله الذى جعله فاتحةَ القرآن، وخاتمةَ دعاء اهل الجنان، وشكره على ما أَوْلَى من مواهب الاحسان، حمدا وشكرا يستخدمان من الانسان، ملكتَىِ القلب واللسان، والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد رسوله زهرة كمامة الاكوان، وسيّد ولد آدم على اختلاف اللغات والالوان، * الذى اذلّ بعزّة الله انوفَ الطغيانg، وغطّى بدينه الحقّ على الاديان، وزُوِيت له الارض فراى ملك امّته يبلغ ما زُوِى له فكان الخبر وَفْقَ العيان، والرضى عمّن له من الاصحاب والاحباب والاعمام والاخوال والاخوان، صلاةً يجدّدها الجديدانِ، ويمليها الملوانِ، وتتزاحم على تربته المقدّسة مع الاحيان، ما سجعتْ طيورُ h البراعة من اعواد اليراعة على الافنان، والتفتتْ عيونُ المعانى ما بين اجفان البيان، والدعاء لابوابكم الشريفة جعل الله

a) G. S. L. P. الصبح. b) G. L. La. رايه. c) Les man. portent الشرقية. d) S. La. راية , P. رائدة. e) Les man. portent زهير. f) La. الصباح. g) S. الذى بعزة الله ارغم , La. الذى اذل بعزة الله نفوس اهل الطغيان. h) La. ajoute البلاغة و.

عصمته تقيم بها وظيفتى الحجابة والاستيذان، وضرب بدعوتها التى هى لذّة الاقامة والأذان على الآذان، واستخدم[a] بروج الفلك الدّوّار فى امرها العزيز الانصار والاعوان، حتى يعلم ما فى المدافعة عن حماها مخالبَ السرْحان وفى الاشادة[b] بعدلها كفّتى الميزان، ويهدى لها من الزُهَرة كُرَةَ الميدان، ومن الهلال عوضَ الصولجان، وابقى فى عواملها ضميرَ الامرِ والشان، الى يومِ تعنو وجوهُ الملوك الى الملك الدّيّان،، فانّا كتبناه الى تلك الابواب كتب الله لعتبتها النصرةَ الداخلة، كما اخجل بمكارمها السحبَ الباخلة،، وجعل مفارقَ مناصلها المختضبة من نجيع عداها غير الناصلة، وقرن بكل سبب من اضدادها فاصلة،، من دار ملك الاسلام بالاندلس حمراء غرناطة وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن ارجائها، وشدّ بايدى اليقين عُرَى املها فى الله ورجائها،، حيث المُصاقّ المعقود، وثمن النفوس المنقود، ونار الحرب ذات الوقود،، حيث الافق قد تردّى بالقتام وتعمّم، والسيف قد تجرّد وتيمّم، وغبار الجهاد يقول انا الامان من دخان جهنّم،، حيث الاسلام من عدوّه كالشامة من جلد البعير، والتمرة من أوْسُق العير،، حيث المصارع تتزاحَم الحُورُ على شهدائها، والأبْطال يعلو بالتكبير مستمع[c] ندائها، حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة قد زيّنتْها الكلومُ بدمائها،، وان هذا القطر الذى مُهّدتْ لسياستنا[d] اكوارُ مطاياه، وجُعلتْ بيدنا والمنّةُ لله غياثُ[e] عطاياه،، قطر مستقلّ بنفسه، مُرْبٍ يومُه فى البرّ على امسه،، زكّى المنابت عذب المشارب، متمّم المآمل مكمّل المآرب،، فاره الحيوان، معتدل السّحن والالوان،، وسيطة فى الاقاليم السبعة، شاهدة لله باحكام الصنعة،، اما خيله ففارهة، والى الركض شارهة، واما سيوفه فلمواطن الغمود كارهة،، واما اسله فمتداركة الخطف، واما عوامله فبيّنة الحذف، واما نباله فمحذورة القذف،، الا ان الاسلام به فى سَقَط مع الحيّات، وذريعة للمنيّات الوحيّات،، وهدف[f] للنبال، واكلة للشبال[g]،، تطأْهم الغارات المتعاقبة، وتتحيّفهم الحدودُ المصاقبة، وتجوش خلالَهم العيونُ المراقبة، وتريب من اشكال مختطّهم الا ان يتفضّل الله[h] العاقبة،، فليس الا الصبر، والضرب والهبر، والهمز والنبر[i]، والمقابلة والجبر،، وقد حال البحر بينهم وبين اخوان ملّتهم، وأُساة عِلّتهم،، يقومون بهذا الغرض، عن

---

a) La. استخرج. *b*) S. الاشارة. *c*) G. P. L. La. مسمع. *d*) L. بسياستنا. *e*) G. L. P. غياب. *f*) Les man. portent وهدفا. *g*) G. S. P. L. للسبال. *h*) La. ajoute بحسن. *i*) G. L. La. P. والنبر.

اهل الارض، ويقرضون ملكَ يوم العرض، احسنَ القرض،، فلو لا بُعْدُ المدى، وغُول الردى، ولغط العِدى، وما عدا عمّا بدا،، لسمعتم تكبير الحملات، وزئير تلك الفلات،، ودويّ الحوافر، وصليل السيوف من فوق المغافر،، وصراخ الثَكالَى، وارتفاع الادعية الى الله تعالى،، ولو ارتفع نبد[a] المكان، وهو للاولياء مثلكم من حيّز[b] الامْكان، لمقلتم مُقَلَ الاسنّة الزُرْق، حالّةً من اطراف قُضُب الرماح محالّ الوُرْق، وابصرتم القناء[c] الخطّار قد عاد اخلّةً[d]، والسيوف قد صارت فوق بدور الخُود اهلّةً، وعقود الشهادة ٠ عند قاضي السعادة ٠ مستقلّة،، وكان كما تحصره علومُكم الشريفة حدقَ سُور الفتح، وآخر دلاء ذلك المنح،، عُرِض على الفاروق فاحتاط، وأُغرى به مَنْ بعده فاشتاط،، وسُرّحت خيل ابن ابى سَرْح، فى خبر يدعو الى شرح،، حتى اذا ولُد مروان تقلّدوا كرتها التى هوتْ، وخضموا ما انضجتْ وَرَثَةُ الحقّ وشوتْ، وبدُهم على الامر احتوتْ، وفازت منه بما نوتْ،، نفل ولائده الوليد، وجُلب له الطريفُ والتليد،، وطرقت خيلُ طارق، وضاقت عن اخباره المهارق،، وجلّت الفائدة، وظهر على الدخيرة التى منها المائدة،، ثم استرسل المَهَبّ، ونصر الربّ، ويكثر الطير حيث يُنثر الحبّ،، وصرفت اشرافُ الشام اعنّتَها الى التماس خيره، وطارت باجنحة العزائم تيمُّنا بطيره، وقصدتْه الطلائع صحبةَ بلج بن بشر وغيره،، ففُتحت الاقفال، ونُفلت الانفال، ونجح الفال، ووُسمت الاغفال،، وافتُتحت البلاد الشهيرة، وانتُقيت[e] العذارى الخِيرة، واقتُنيت الذخيرة،، وتجاوز الاسلام الدروبَ وتخطّى، وخضد الارطى، واركب وامطى، واستوثق واستوطى، وتشاءب[f] وتمطّى،، حتى تعدّدت مراحل البريد، وسخنت عين الشيطان المَرِيد،، واستوسق[g] للاسلام ملك ضخم السرادق، مرهوب البوارق،، رفيع العَمَد، بعيد الأَمَد،، تشهد بذلك الآثار والاخبار، والوقائع الكبار، والاوراق والاسطار، وهل يخفى النهار،، ولكل هبوب ركود، والدهر حَسُود، لمن يسود،، فراجعت الفرنج كرّتَها، واستدركت معرّتَها، فدوّحت جوارحُها وحلّقتْ، وومضت بوارقُها وتألّقتْ، وتشبّثت وتعلّقتْ، وارسلت الاعنّة واطلقت، وراجعت العقائل التى طُلّقت،، حتى لم يبقَ من الكتاب الا الحاشية، ولا من الليل الا الناشئة، وسقطت الغاشية، واخلدت الفِئَة المتلاشية،

a) Ce mot me paraît altéré. La. نبذ, L. بند. b) P. La. خير. c) G. S. P. المقنا. d) La. قد عاد خله, L. قد عادى خله. e) G. L. La. وانتقبت. f) S. La. وتثاوب. g) S. La. واستوثق.

وتقلّصت الظلال الغاشية،، الا ان الله تدارك بقوم رُجُح من سلفنا اثبتوا فى مستنقع الموت[a] اقدامهم، واخلصوا لله باسَهم واقْدامهم،، ووصلوا سيوفهم الباترة[b] بخُطاهم، واعطاهم منشور العزّ من اعطاهم،، حتى تعيّن الدين وتحيّز، واشتهر بالمدافعة وتميّز،، وعادت الحروبُ سجالا، وعلم الروم ان لله رجالا،، وقد اوقد جدُّنا رضه على ابواب سلفكم من وقائعه فى العدوّ كلَّ مبشّرة، ووجوديّة منتشرة،، ضحكت لها ثغور الثغور، وسَرَتْ بها فى الاعطاف حميّا السرور، وكانت المراجعة عنها شفاءً للصدور، وتمائم * فى الدُّور[c]، وخفرا فى وجوه البدور،، فان ذمام الاسلام موصول، وفروعه تجمعها فى الله اصول، وما اقرب الحزن ممّن داره صُول،، والملّة والمنّة لله واحدة، والنفوس لا منكرة للحقّ ولا جاحدة،، والاقدار معروفة، والآمال الى ما يوصل الى الله مصروفة،، فاذا لم يمكن الاستدعاء، امكن الدعاء،، والخواطر فعّالة، والكل على الله عالة،، والدين غريب والغريب يحنّ الى اهله، والمرء كثير باخيه على بعد محلّه،، انتهى المقصود من المخاطبة ممّا يتعلّق بهذا الباب، والله سبحانه وتعالى الموفّق للصواب، واليه المرجع والمآب،،

---

a) La. الحرب. b) La. البارقة. c) La. من دور النحور (sic).

الباب الثالث

فى سرد بعض ما كان للدين بالاندلس من العزّ السامى العماد، والقهر للعدوّ فى الرواح والغدوّ والتحرّك والهدوّ البالغ غاية الآماد، واعمال اهلها للجهاد بالجدّ والاجتهاد فى الجبال والوهاد بالاسنّة^a المُشْرَعة والسيوف المستلّة من الاغماد،

فاقول قد قدّمنا فى الباب قبل هذا ما كان من نصر المسلمين وفتحهم الاندلس وما حصل لهم من السلطان بها الى مجىء الداخل فتقرّرت القواعد السلطانيّة، وعلت الكلمة الايمانيّة،، كما نسرده هنا ان شاء الله تعـ، وذكر غير واحد منهم ابن حزم ان دولة بنى اميّة بالاندلس كانت انبلَ دُوَل الاسلام وانكاها فى العدوّ وقد بلغت من العزّ والنصر ما لا مزيد عليه كما ستَرَى بعضه واصل هذه الدولة كما قال ابن خلدون وغير واحد ان بنى اميّة لما نزل بهم بالمشرق ما نزل وغلبهم بنو العباس على الخلافة وازالوهم عن كرسيّها وقتل عبدُ الله بن على مروانَ بن محمد بن مروان ابن الحكم آخر خلفائهم سنة ١٣٢ وتتبّع بنى مروان بالقتل فطلبوا بطن الارض من بعد ظهرها وكان ممّن أَفْلَتَ منهم عبد الرحمن بن معُوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وكان قومه يتحيّنون له ملكا بالمغرب ويرون فيه علامات لذلك ياثرونها عن مسلمة بن عبد الملك وكان هو قد سمعها منه مشافَهةً فكان يحدّث نفسه بذلك فتخلص الى المغرب ونزل على اخواله نفزة من برابرة طرابُلُس وشعر به عبدُ الرحمن ابن حبيب وكان قد قتل ابنى الوليد^b بن عبد الملك لما دخلا افريقية فلحق بمُغيلة وقيل بمكناسة وقيل بقوم من زناتة فاحسنوا قبوله واطمأنّ فيهم ثم لحق بمَليلة وبعث بدرا مولاه الى من بالاندلس من موالى المروانيّين واشياعهم فاجتمع بهم وبثّوا له فى الاندلس دعوة ونشروا له ذكرا ووافَقَ قدومُه ما كان من الاحَن بين اليمنيّة والمضريّة فاصفقت اليمنيّة على امره لكون الامر كان ليوسف بن عبد الرحمن الفهرى وصاحبه الصُمَيْل ورجع بدر مولاه اليه بالخبر فاجاز البحر سنة ١٣٨ فى خلافة ابى

a) La. O. بالاسنة. b) Les man. d'al-Makkarī ajoutent بن يزيد.

جعفر المنصور ونزل بساحل المنكّب واتاه قوم من اهل اشبيلية فبايعوه ثم انتقل الى كورة ريّة فبايعه عاملها *a* عيسى بن مساور ثم الى شذونة فبايعه عتّاب بن علقمة اللخمى ثم الى مَوْرُور فبايعه ابن الصبّاح ونهد الى قرطبة واجتمعت اليه اليمنيّة ونمى خبره الى والى الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وكان غازيا بجلّيقية فانفضّ *b* عسكره ورجع الى قرطبة واشار عليه وزيره الصميل بن حاتم بالتلطّف له والمكر به *c* لكونه صغير السنّ حديثَ عهد بنعمة فلم يتمّ * ما اراده *d* وارتحل عبد الرحمن من المنكّب فاحتلّ بمالقة فبايعه جندها ثم برُنْدة *فبايعه جندها *e* ثم بشريش كذلك ثم باشبيلية فتوافتْ اليه جنودُ الامصار وتسايلت المضريّة اليه حتى اذا لم يبقَ مع يوسف ابن عبد الرحمن غير الفهريّة والقيسيّة لمكان الصميل منه زحف *f* حينئذ عبدُ الرحمن الداخل وناجَزَهم الحربَ بظاهر قرطبة فانكشف يوسف ونجا *g* الى غرناطة فتحصّن بها واتّبعه الامير عبد الرحمن فنازله ثم رغب اليه يوسف فى الصلح فعقد له على ان يسكن قرطبة واقفله معه ثم نقض يوسف عهده وخرج سنة ١٤١ ولحق بطليطلة واجتمع اليه زهاء ٢٠ الفا من البربر وقدّم الامير عبد الرحمن للقائه عبدَ الملك بن عمر المروانى وكان وفد عليه من المشرق وكان ابوه عمر بن مروان بن الحكم فى كفالة اخيه عبد العزيز بن مروان بمصر فلما دخلت المسودّة ارض مصر خرج عبد الملك يؤمّ الاندلس فى عشرة * رجال من قومه *h* مشهورين بالباس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة ٤٠ *i* فعقد له على اشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور وسار يوسف اليهما وخرجا اليه ولقياه وتناجز الفريقان فكانت الدبرة *j* على يوسف وابعد المفرّ واغتاله بعض اصحابه بناحية طليطلة واحتزّ راسه وتقدّم به الى الامير عبد الرحمن فاستقام امره واستقرّ بقرطبة وثبت قدمُه فى الملك وبنى المسجد الجامع والقصر بقرطبة وانفق فيه ٨٠ الف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد ووفد عليه جماعة من اهل بيته من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطع دعوته ومهّد الدولة بالاندلس واثّل بها الملك العظيم لبنى مروان والسلطان العزيز وجدّد ما طمس لهم بالمشرق من معالم

a) Les man. d'al-M. portent عاملة. *b*) Ibn-Khaldoun P., al-Makk. La. فانقص , O. فانقض ; Ibn-Kh. L. فانهض. *c*) Ibn-Kh. L., al-Makk. S. La. O. والمكرمة. *d*) Ibn-Kh. L. P. له مراده , al-Makk. G. P. ما اراده. *e*) Ces mots ne se trouvent que dans le man. P. d'Ibn-Kh. *f*) Les man. d'Ibn-Kh. ajoutent اليه. *g*) G. S. L. ولجا. *h*) Ibn-Kh. L. الاف من بنيه , P. رجال من بيته *i*) Ibn-Kh. P. سنة ٤١ *j*) L. La. الدائرة , G. O. الدبرة.

الخلافة وآثارها واستلحم الثوّار عليه على كثرتهم فى النواحى وقطع دعوة آل العباس من منابر الاندلس وسدّ المذاهب منهم دونها وهلك سنة ١٧٢ وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل لانه اولُ داخل من ملوك بنى مروان الى الاندلس وكان ابو جعفر المنصور يسمّيه صقر قُرَيْش a لما راى انه فعل بالاندلس b وما ركب اليها من الاخطار وانه صمد c اليها من انْأَى ديار المشرق من غير عصابة ولا انصار فغلب اهلها على امرهم وتناول الملك من ايديهم بقوّة شكيمة ومضاء عزم حتى انقاد له الامر وجرى على اختياره واورثه عقبه وكان يسمّى بالامير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يُدْعَ احد منهم بامير المومنين تأدُّبا d مع الخلافة بمقرّ الاسلام ومنتدَى العرب حتى كان من عقبه عبد الرحمن الناصر وهو ثامن بنى اميّة بالاندلس فتسمّى بامير المومنين على ما سنذكره لما راى من ضعف خلفاء بنى العباس بعد الثلثمائة وغلبة الاعاجم عليهم وكونهم لم يتركوا لهم غير الاسم وتوارث التلقيب بامير المومنين بنو عبد الرحمن الناصر واحدا بعد واحد e وكان لبنى عبد الرحمن الداخل بالعدوة الاندلسيّة ملك ضخم ودولة متّسعة اتّصلت الى ما بعد المائة الرابعة وعند ما شُغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد امره قوى امرُ الجلالقة واستفحل سلطانهم وعمد فرويلة بن ادفونش ملكهم الى ثغور البلاد فاخرج المسلمين منها وملكها من ايديهم فملك مدينة لُك وبرْتقال وسَمُّورة وشَلَمَنْقة f وقشْتالة وشَقُوبية وصارت للجلالقة حتى افتتحها المنصور بن ابى عامر آخرَ الدولة ثم استعادوها بعده فيما استعادوا من بلاد الاندلس واستولوا على جميعها حسبما يُذكر ولله سبحانه الامر انتهى، وخاطب عبد الرحمن قارله ملك الافرنج وكان من طُغاة الافرنج بعد ان تمرّس به مدّةً فاصابه صُلْبَ المكسر تامَّ الرجوليّة فمال معه الى المدارأة ودعاه الى المصاهرة والسلم فاجابه للسلم ولم تتمّ المصاهرة، .... g القى الداخل الاندلس ثغرا قاصيا غُفْلا، من حلية الملك عاطلا،، فارهف اهلها بالطاعة السلطانيّة، وحنّكهم بالسيرة الملوكيّة،، واخذهم بالآداب فاكسبهم عمّا قليلِ المروءةَ واقامهم على الطريقة وبدأ فدوّن الدواوين، ورفع الاواوين،، وفرض الاعطية،

---

a) Ibn-Kh. صقر بنى امية. b) La. et O. ajoutent ما فعل. c) La. O. نهد. d) Ibn-Kh. ادبا. e) Il y a ici dans les man. G. S. et P. d'al-Makk. un blanc qui n'existe pas dans ceux d'Ibn-Kh. Al-Makk. L. قال ابن سعيد, La. O. قال ابن حيان. f) Ce mot manque dans les man. d'al-M. g) On trouve cette lacune dans tous les man., à l'exception de La. et O. qui portent : قال ابن حيان.

وعقد الالوية،، وجنّد الاجناد، ورفع العماد، واوثق الاوتاد،، فاقام للملك آلته، واخذ للسلطان عُدّته، فاعترف له بذلك اكابرُ الملوك وحذروا جانبه وتحامَوْا حوزته،، ولم يلبث ان دانت له بلاد الاندلس * واستقرّ له الامر a فيها فلذلك ما ظلّ عدوُّه ابو جعفر المنصور بصدق حسّه وبُعْد غوره وسعة احاطته يسترجح عبدَ الرحمن كثيرا ويعدله بنفسه ويُكثر ذكره ويقول لا تعجبوا لامتداد امرنا مع طول مراسه وقوّة اسبابه فالشان فى امر فتى قريش الاحوذىّ الفذّ فى جميع شؤونه وعدمه لاهله ونَشَبه وتسلّيه عن جميع ذلك ببعد مرقى همّته ومضاء عزيمته حتى قذف نفسَه فى لُجَج المهالك لابتناء مجده فاقتحم جزيرةً شاسعة المحلّ نائية الطمع عصبيّة b الجند ضرب بين جندها بخصوصية وقمع بعضَهم ببعض بقوّة حيلته c واستمال قلوبَ رعيّتها بقصد سياسته حتى انقاد له عَصيُّهم، وذلّ له أَبيُّهم،، فاستوى فيها على اريكته ملكا على قَطَعَته قاهرا لاعدائه حاميا لذماره مانعا لحوزته خالطا الرغبةَ اليه بالرهبة منه انّ ذلك لهو الفتى كل الفتى لا يكذب مادحُه، وجعل ابن حيان من النوادر العجيبة موافقةَ عبد الرحمن هذا لابى جعفر المنصور فى الرجوليّة والاستيلاء والصرامة والاجتراء على الكبائر والقساوة وان أُمّ كل واحد منهما بربريّة، وكان الداخل يقعد للعامّة ويسمع منهم وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصّل اليه من اراده من الناس فيصل الضعيف منهم الى رفع ظلامته اليه دون مشقّة وكان من عادته ان ياكل معه من اصحابه من ادرك وقتَ طعامه ومن وافَقَ ذلك من طُلّاب الحوائج اليه اكل معه، وفى كتاب ابن زيدون انه كان اصهب خفيف العارضَيْن بوجهه خالٌ طويلَ القامة نحيف الجسم له ضفيرتان اعور اخشم والاخشم الذى لا يشمّ وكان يلقّب بصقر قُريش لكونه تغرّب وقطع البرّ والبحر واقام مُلكا قد أَدْبَرَ وحدَه d، ولمّا ذكر الحجارى انه اعور قال ما انشد فيه الا قول أمرئِ القيس

لكن عُوَيْرٌ وَفَى بذمّته لا عَوَرٌ شانَه ولا قِصَرُ

وقال ابن خلدون وفى سنة ٤٦ سار العلاء بن مغيث اليَحْصُبى من افريقية الى الاندلس ونزل بباجة الاندلس داعيا لابى جعفر المنصور واجتمع اليه خلق d فسار عبد الرحمن

a) G. L. واستقل له بالامر, La. O. P. واستقل له الامر, S. واستقر الامر له. Il faut lire واستقل بالامر, ou bien واستقر له الامر, comme dans le texte. b) La. O. عصيّة. c) La. O. جبلته. d) S. et La. ajoutent كثير.

اليه ولقيه بنواحى اشبيلية فقاتله اياما ثم انهزم العلاء وقُتل فى ٧ آلاف من اصحابه وبعث عبد الرحمن برؤوس كثير منهم الى القيروان ومكّة فأُلقيت فى اسواقهما[a] سرًّا ومعها اللواء الاسود وكتاب المنصور للعلاء فارتاع المنصور لذلك وقال ما هذا الا شيطان والحمد لله الذى جعل بيننا وبينه البحر او كلاما هذا معناه وقد مرّ ذلك، وكثرت ثورة رؤساء العرب بالاندلس على عبد الرحمن الداخل ونافسوه ملكَه ولقى منهم خطوبا عظيمة وكانت العاقبة له واستراب فى آخر امره بالعرب لكثرة مَنْ قام عليه منهم فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتّخاذ الموالى ثم غزا بلاد الافرنج والبشكنش ومَنْ وراءهم ورجع بالظفر وكان فى نيّته ان يجدّد دولة بنى مروان بالمشرق فمات دون ذلك الامل وكانت مدّة ملكه ٣٣ سنة واربعة اشهر اذ دخل الاندلس سنة ١٣٨ ومات سنة ١٧٢ وقيل ١٧١ فى خلافة الرشيد وامّه ام ولد بربريّة اسمها راح ومولده سنة ١١٣ بدير حنًّا من ارض دمشق وقيل بالعلياء من تَدْمُر[b] ومات ابوه فى ايام ابيه هشام سنة ١٨ عن ٢١ سنة وكفله واخوته جدّهم هشام ووهب لعبد الرحمن هذا جميعَ الاخماس التى اجتمعت للخلفاء بالاندلس واقطعه اياها ووجّه لحيازتها من الشام سعيدَ بن ابى ليلى وقيل انه لما قصد المغرب من فلسطين خرج معه اربعة[c] بدر مولى ابيه وابو شجاع وزياد وعمرو وقيل ان بدرا لحقه ولم يخرج معه فالله اعلم وخلّف من الولد ٢٠ منهم ١١ رجلا[d] وتسع اناث، وحكى غير واحد انه لما هرب من الشام الى افريقية قاصدًا الاندلس نزل بمُغيلة فصار بها عند شيخ من رؤساء البربر يدعى وانسوس ويكنى ابا قُرّة فاستتر عنده وقتا ولحق به بدر مولى ابيه بجوهر وذهب انفذتْهما[e] اختُه اليه فلما دخل الاندلس واستتبّ امره به سار اليه ابو قرّة وانسوس البربرى فاحسن اليه وحظى عنده واكرم زوجته تكفات البربريّة التى خبأتْه تحت ثيابها عند ما فتّشت رسلُ ابن حبيب بيتَها عنه فقال لها عبد الرحمن مداعبا حين استظلّتْ بظلّه فى الاندلس لقد عذّبْتِنى بريح ابطَيْكِ يا تكفات على ما كان بى من الخوف وسعطتِنى بانتن من ريح الجيفة[f] فكان جوابها مسرعةً بل ذلك كان والله يا سيّدى منك خرج ولم تشعُرْ به من فرط فزعك فاستظرف جوابَها واغضى عن مواجهتها بمثل ذلك وهذا من آفات المزاح، ومن محاسنه انه ادار السور بقرطبة رحمه تع، وتولى الملك بعده

a) Les man. d'al-M. portent اسواقها. b) Les man. portent تدمير. c) Ce mot manque dans La. et O. d) La. O. ولدا. e) S. La. O. انفذته. f) S. La. O. الجيف.

ابنه هشام بعهد منه اليه وامّه ام ولد اسمها حللa وافضى اليه الملك وهو بماردة وال عليها وكان ابوه يولّيه في صباه ويرشّحه للامر وكان الداخل كثيرًا ما يسأل عن ابنَيْه سليمن وهشام فيذكر له ان هشاما اذا حضر مجلسا امتلأ ادبا وتاريخا وذكرًا لامور الحرب ومواقف الابطال وما أَشْبَهَ ذلك واذا حضر سليمن مجلسا امتلأ سخفا وهذيانا فيكبر هشامb فى عينه مقدارَ ما يصغر سليمن وقال يوما لهشام لمن هذا الشعر

وتعرف فيه من ابيه شمائلًا ومن خاله ومن يزيد ومن حُجُرْ
سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووفاء ذا ونائلَ ذا اذا صحا واذا سَكِرْ

فقال له يا سيّدى لامرئَ القيس ملك كِنْدَةَ وكانّه قاله فى الامير اعزّه الله فضمّه اليه استحسانا بما سمع منه وامر له باحسان كثير وزاد فى عينه ثم قال لسليمان على انفراد لمن هذا الشعر وانشده البيتين فقال لعلّهما لاحد اجلاف العرب أَما لى شغلٌ غير حفظ اقوال بعضc العرب فاطرق عبد الرحمن وعلم قدرَ ما بين الاثنين من المزيّة، ولما ولى هشام اشخص المنجّم المعروف بالضَّبّىّ من وطنه الجزيرة الخضراء الى قرطبة وكان فى علم النجوم والمعرفة بالحركات العلويّة بطليموسَ زمانه حذقا واصابةً فلما اتاه خلا به وقال له يا ضبّىُّ لستُ اشكّ انه قد عناك من امرنا اذ بلغك ما لم يدّع تجديد النظر فيه فأَنْشُدُك اللهَ الّا ما نبّأتَنا بما ظهر لك فيه فلجلج وقال أَعْفُنى ايّها الامير فانّى الممتُ به ولم احقّقِ النظر فيه لجلالته فى نفسى فقال له قد اجَّلْتُك لذلك فتفرَّغْ للنظر فيما بقى عليك منه ثم احضره بعد ايام فقال ان الذى سالتَك عنه جذمنى مع انى والله ما أَثقُ بحقيقته اذ كان من غيب الله الذى استاثر به ولكنّى احبُّ ان اسمع ما عندك فيه فالنفس طُلَعَةٌ والزمه الصلةَ او العقوبةَ فقال اعلمْ ايّها الامير سوف يستقرّ ملكُك سعيدا جدُّك قاهرا لمن ناواكd الا ان مدّتك فيه فيما دلّ عليه النظرُ تكون ٨ اعوام او نحوها فاطرق ساعةً ثم رفع راسه وقال يا ضبّىُّ ما أَخْوَفَنى ان يكون النذير كلّمنى بلسانك والله لو ان هذه المدّة كانت فى سجدة لله تعالى لقلتُ طاعةً له ووصله وخلع عليه وزهد فى الدنيا * والتزم افعال البرّe، ومن حكاياته فى الجود انه كان قاعدا لراحته فى علّيّة على النهر فى حياة والده

a) L. ملل; le *Bayān al-M.* (t. II, p. ٦٢) جمال. b) G. La. O. هشاما. c) G. L. S. P. بعضا, La. بعض اقوال. d) L. S. عاداك ; les copistes de G. et de P. ont laissé un blanc ici. e) La. O. ولزم افعال الخير والبر.

فنظر الى رجل من قدماء صنائعه من اهل جيّان قد اقبل يُوضع السير فى الهاجرة فانكر ذلك وقدّر شرًّا وقع به من قِبَل اخيه سليمان وكان واليا على جيّان فامر بادْخاله عليه فقال له * ما الذى جاء بك a يا كنانىّ فلأمْر ما *اسرعتَ السير b وما احسبك الا مُزْعَجا لشىء دهمك فقال نعم يا سيدى قتل رجل من قومى رجلا خطأً فحُملت الديَةُ على العاقلة فأُخذ بها بنوه c كنانة عامّةً * وحيف d علىّ من بينهم خاصّةً وقصدنى اخوك بالاعتداء ان عرف مكانى منك فمدّ هشام يده الى جارية كانت وراء ستر وقطع قلادة عقد نفيس كان فى نحرها وقال له دونك هذا العقدَ يا كنانىّ وشراؤه علىّ ٣ آلاف دينار فلا تُخْدَعَنّ عنه وبِعْه فأدّ عن نفسك وعن قومك ولا تمكّن الرجل من اهتضامك فقال يا سيّدى لم آتك مستجديا ولا لضيق المال عمّا حُمّلته ولكنّى لما اعتُمدتُ نظلم صراح احببتُ ان يظهر علىّ عزّ نصرك واثر ذبّك e وامتعاضك فاتمجّد بذلك عند من يحسدنى على الانتماء اليك فقال هشام فما وجهُ ذلك قال ان تكتب الى اخيك فى الامْساك عنّى والقيام بذمّتك لى فقال أمْسك العقد وركب من حينه الى والده الداخل واستاذن عليه فى وقت انكره فانزعج وقال ما اتى بابنى الوليد فى هذا الوقت الا امر مقلق ايذنوا له فلما دخل عليه سلّم ومثل قائما بين يديه فقال له اجلسْ يا هشام فقال اصلح الله الامير سيّدى وكيف جلوسى بهمّ وذلّ مزعج وحُقّ لمن قام مقامى ألّا يجلس الا مطمئنّا ولن يقعدَنى الا طيبُ نفسى باسعاف الامير بحاجتى f والا رجعتُ على عقبى فقال له حاش لك من انقلابك خائبا فاقعُدْ مجابا مشفّعا فجلس فقال له ابوه فما الحدث المقلق فاعلمه فامر بحمل الدية عنه وعن عشيرته من بيت المال فسُرّ هشام واطنب فى الشكر وكتب الامير الى ولده سليمن فى ترك التعرّض لهذا الكنانى بما لم يَدْرِ فى خلده ولما دخل الكنانى لوداع هشام قال يا سيّدى قد تجاوزتُ بك حدّ الامنيّة وبلغتُ غاية النصر وقد أغْنَى الله عن العقد المبذول بين يدى العناية الكريمة فتعيده الى صاحبته فأبَى من ذلك وقال

---

a) Il y a ici une lacune dans G. et P.; le copiste du man. L. a cru pouvoir la remplir en ajoutant le mot هشام. Cette lacune n'est indiquée ni dans La. ni dans O. *b*) Ces mots sont restés en blanc dans G. et P.; L. La. et O. portent seulement جيت. *c*) Les man. portent من. *d*) Il y a ici une lacune dans G. et P.; S. porte ثم حمل بها , L. واخذت , La. فجعلتها. O. فجعلها. J'ai adopté la leçon qui se trouve dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٩٩. *e*) G. S. P. O. دبك, La. ديك , L. ادبك. *f*) G. L. O. لحاجتى.

لا سبيل الى رجوعه اليناء وكان هشام يذهب بسيرته مذهبَ عمر بن عبد العزيز وكان يبعث بقوم من ثقاته الى الكور فيسألون الناس عن سِيَر عُمّاله ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى *a* اليه عن احدهم حيفٌ اوقع به واسقطه وانصف منه ولم يستعملْه بعدُ، ولمّا وصفه زياد بن عبد الرحمن لمالك بن أَنَس قال *b* يجب علينا الشكرُ حيث ان الله تع زيّن موسمنا بمثل هذا، وفى ايامه فُتحت اربونة الشهيرة واشترط على المعاهدين من اهل جلّيقية من صعاب شروطه انتقالَ عدد من أَحْمال التراب من سور اربونة المفتتحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة وبنى منه المسجد الذى قدّامَ باب الجنان وفضلت منه فضلةٌ بقيت مكوّمة وقاسَى مع المخالفين له من اهل بيته وغيرهم حروبا ثم كانت الدائرة له وقصد الى بلاد الحرب غازيا وقصد أَلَبة والقلاع فلقى العدوّ وظفر بهم وفتح الله عليه سنة ٧٥ وبعث العساكر الى جليقية مع يوسف بن بخت *c* فلقى ملكها برمند وهزمه واثخن فى العدوّ وفى سنة ٧٦ بعث وزيره عبد الملك بن عبد الواحد ابن مغيث لغزاة العدوّ فبلغ البة والقلاع فاثخن فى نواحيها ثم بعثه فى العساكر سنة ٧٧ الى اربونة وجرندة فاثخن فيهما *d* ووطئَ ارض بربطانية *e* وتوغّل عبد الملك فى بلاد الكُفّار وهزمهم ثم بعث العساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد الى البة والقلاع سنة ٧٨ ومع اخيه عبد الملك بن عبد الواحد الى بلاد جليقية فانتهى الى أَسْتُرْقَة فجمع له ملك الجلالقة واستمدّ بملك البشكنش ثم خام عن اللقاء ورجع ادراجَه واتّبعه عبد الملك وتوغّل فى بلادهم وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية اخرى فالتقوا بعبد الملك واثخنوا فى البلاد واعترضتْهم *f* عساكر الفرنج فنالوا منهم بعض الشىء ثم خرجوا سالمين ظافرين، ومن محاسنه انه جدّد القنطرة التى يُضرب بها المثل بقرطبة كما سبق وكان بناها السَّمْح الخولانى عامل عمر بن عبد العزيز رضه فاحكم هشام بناءها الى الغاية وقال يوما لاحد وزرائه ما يقول اهل قرطبة فقال يقولون ما بناها الامير الا ليمضى عليها الى صيده وقنصه فآلَى هشام على نفسه أَلّا يسلك عليها فلم يمرّ عليها بعدُ ووفى بما حلف عليه ثم توفّى سنة ١٨٠ لسبع سنين وتسعة اشهر من

---

a) S. انهى. *b*) Il y a ici dans G. et P. une lacune, que j'ai remplie d'après S. Elle n'est pas indiquée dans L. La. et O., qui portent قال له ان الله. *c*) Voyez le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٩٥. Al-Makk. G. L. S. P. نجبد, La. O. نجيه. *d*) Les man. portent فيها. *e*) Les man. portent سرطانية. *f*) S. L. La. O. واعترضهم.

امارته وقيل لثمان وكان من اهل الخير والصلاح كثير الغزو والجهاد، ومن محاسنه ايضا اكمال بناء الجامع بقرطبة وكان ابوه شرع فيه، ومن محاسنه انه اخرج المصدّق لاخذ الزكاة على الكتاب والسنّة رحمه وعمره ٤٠ سنة واربعة اشهر ووُلد فى شوّال سنة ١٣٩ a، وولى بعده ابنه الحكم بعهد منه اليه فاستكثر من المماليك وارتبط الخيل واستفحل ملكه وباشَرَ الامور بنفسه وفى خلال فتنة كانت بينه وبين عمّيْه اغتنم العدوُّ الكافر الفرصةَ فى بلاد المسلمين وقصدوا b بلاد برشلونة فملكوها سنة ٨٥ وتأخّرت عساكر المسلمين الى ما دونها وبعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الجلالقة فاثخنوا فيها وخالفهم العدوُّ الى المضايق فرجع على التعبئة وظفر بهم وخرج الى بلاد الاسلام ظافرا، وكانت له الوقعة الشهيرة مع اهل الربض من قرطبة لانه فى صدر ولايته كان قد انهمك فى لذّاته فاجتمع اهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثى صاحب مالك وأحد c رُواة الموطّأ عنه وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به وخلعوه وبايعوا بعض قرابته وكانوا بالربض الغربى من قرطبة وكان *محلّةً متّصلة d بقصره فقاتَلَهم الحكم فغلبهم وافترقوا وهدم دُورَهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من ارض العدوة وبالاسكندريّة من ارض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ثاروا بها فزحف اليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمامون بن الرشيد وغلبهم واجازهم الى جزيرة أقْرِيطِش فلم يزالوا بها الى ان ملكها الافرنج من ايديهم بعد مدّة، وكانت فى ايام الحكم حروب وفِتَن مع الثُوّار المخالفين له من اهل طليطلة وغيرهم وفى سنة ٩٤ جمع لذريق بن قارله e ملك الافرنج جموعه وسار الى حصار طرطوشة f فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن فى العساكر فهزمه وفتح الله على المسلمين وعاد ظافرا، ولما كثر عيث الفرنج فى الثغور بسبب اشتغال الحكم بالخارجين عليه سار بنفسه الى الافرنج سنة ١٩٤ g فافتتح الثغور والحصون وخرّب النواحى واثخن فى القتل والسبى والنهب وعاد الى قرطبة ظافرا، وفى سنة ٢٠٠ بعث العساكر مع ابن مغيث الى بلاد الافرنج فخرب وهدم عدّة حصون واقبل اليه h ملك الجلالقة فى جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا

---

a) Les man. portent ١٣٧. b) Les man. portent وقصد. c) S. وآخذ, G. L. واخذ. d) Les man. d'al-Makk. portent محله متصلا. J'ai suivi ceux d'Ibn-Khaldoun, notre auteur ayant emprunté à cet historien une grande partie des détails qu'il donne ici. e) Voyez le *Bayān al-Moghrib*, t. II, p. ٧٤, note *c*. f) Ibn-Khaldoun L. P. طرسوسة, al-Makk. طرسونة; voyez le *Bayān al-M.* (*loc. cit.*). g) Les man. d'al-M. portent ١٩٩. h) G. L. البط, S. المسط (*sic*)!

عليه اياما ونال المسلمون منهم اعظمَ النيل واقاموا كذلك ١٣ a ليلة ثم كثرت الامطار ومدَّ النهر وقفل المسلمون ظافرين ظاهرين، وهو اول من جنّد الاجناد واتّخذ العُدّة وكان اتحل بنى اميّة بالاندلس واشدّهم اقْداما ونجدةً وكان يشبّه بابى جعفر المنصور من خلفاء بنى العباس فى شدّة المُلْك وتوطيد الدولة وقمع الاعداء، وكان يوثر الفقيه زياد بن عبد الرحمن وحضر يوما عنده غضب فيه على خادم له لايصاله اليه كتابا كره وصولَه فامر بقطع يده فقال له زياد اصلح الله الامير فان مالكًا بن انس حدّثنى فى خبر رفعَه ان مَنْ كظم غيظا يقدر على انْفاذه ملأه الله امنا وايمانا يومَ القيٰمة فسكّن غضبه وقال اللهَ انّ مالكا حدّثك بهذاً فقال زياد اللهَ ان مالكا حدّثنى بهذا فامر ان يُمْسَك عن الخادم ويُعْفَى عنه، وكانت المجاعة الشديدة سنة ١٩٧ b فاكثر فيها مواساة اهل الحاجات وفى ذلك يقول عباس بن ناصح الجزيرى فيه

نكد الزمانُ فآمنتْ ايامُه ... من ان يكون بعصره عُسْرُ

طلع الزمانُ بازمة جَلَّتْ جلا ... تلك الكريهةَ جودُه الغَمْرُ

وكان نقش خاتمه بالله يثق الحكم ويعتصم وذكور ولده ٢٠ واناثهم ٢٠ وامُّه جارية اسمها زخرف وكان اسمر طويلا اشمَّ نحيفا ومدّة ملكه ٢٦ سنة سامحه الله، وقال غير واحد انه اول من جعل للملك بالاندلس ابّهةً واستعدّ بالمماليك حتى بلغوا ٥ آلاف منهم ٣ آلاف فارس والفا راجل، ثم توفّى الحكم بن هشام آخر سنة ٢٠٦ لسبع وعشرين سنة من ولايته ومولده سنة ١٥٤، وقال ابن خلدون وغير واحد انه اول من جنّد بالاندلس الاجناد المرتزقة c وجمع الاسلحة والعُدَد واستكثر من الخدم والحواشى والحشم وارتبط الخيول على بابه واتّخذ المماليك وكان يسمّيهم الخُرْس لعُجْمتهم وحكى فى عدّتهم ما تقدّم ثم قال وكانت له عيون يطالعونه باحوال الناس وكان يباشر الامور بنفسه ويقرّب الفقهاء والعلماء والصالحين وهو الذى وطّأ الملك لعقبه بالاندلس انتهى، وكان له فيما حكى غير واحد الفا فرس مرتبطة على شاطئ النهر بقبليّ قصره تجمعها d داران وهو القائل لما قتل اهل الربض وهدم ديارهم وحرثها e

رأبْتُ صدوع الارض بالسيف راقعا ... وقدْمًا لأمْتُ الشعْبَ مذ كنتُ يافعا

---

a) La. O. احدى عشرة. b) D'après le *Bayān al-M.* (t. II, p. ٧٥), dans l'année 199.
c) Ibn-Kh. P. et les man. d'al-M. والمرتزقة ; Ibn-Kh. L. والمترفة. d) Les man. portent يجمعها.
e) La. وحرقها.

فسائلْ ثغورى هل بها اليومَ ثغرةٌ   أُبــادرهــا مستنضىَ السيف دارعَــا
تنبّيك انّى لم اكن فى قراعهم   بوانٍ وقدْمًا كنتُ بالسيف قارعَـا
وعلى زدتُ ان وقّيْتُهم صاعَ قرضهم   فوافوا منــايــا قُــدّرتْ ومصــارعَــا
فهٰذى بلادى انّنى قد تركتُها   مهادا ولم اترك عليهـا منـازعَـا

وقال ابن حزم فى حقّه انه كان من المجاهرين بالمعاصى السافكين للدماء ولذلك قام عليه الفقهاء والصلحاء وقال غيره a انه تنصّل اخيرا وتاب سامحه الله تعـ ، ومن نظمه قوله متغزلا   قُضْبٌ من البان ماستْ فوق كثبانِ   ولّيْنَ عنّى وقد ازمعْنَ هجرانى
ومنها   مَنْ لى بمقتضبات b الروح من بدنى   يغصبْننى فى الهوى عزّى وسلطانى
وقيل انه كان يمسك اولاد الناس فيخصيهم ونُقلت عنه امور ولعلّه تاب كما قدّمنا والله اعلم بحقيقة امره ، ومن بديع اخبار الحكم ان العباس الشاعر توجّه الى الثغر فلما نزل بوادى الحجارة فسمع امرأة تقول وا غوثاه بك يا حكم لقد اهملتَنا حتى كَلِبَ العدوُّ علينا فأيّمَنا وأيْتَمَنا فسألها عن شانها فقالت كنتُ مقبلةً من البادية فى رفقة فخرجت علينا خيل عدوّ فقتلت واسرت فصنع قصيدته التى اولها

تململتُ فى وادى الحجارة مُسْهَرَا c   أُراعى نجوما لا d يُرِدْنَ تغيُّرَا
اليك ابـا العاصى نضيتُ مطيّتى   تسير بهمّ ساريـا ومهجّرَا
تَـدارَكْ نســاءَ العـالمين بنصرة   فانّك أَحْرَى ان تُغيثَ وتنصرَا

فلمـا دخل عليه انشده القصيدة ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة بـاسمه فـانف ونـادى فى الحين بالجهـاد والاستعداد فخرج بعد ثـلاث الى وادى الحجـارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التى اغارت من اىّ ارض العدوّ كانت فأُعلم بذلك فغزا تلك الناحية واثخن فيها وفتح الحصون وخرب الديار وقتل عددا كثيرا وجاء الى وادى الحجارة فامر باحْضـار المرأة وجميع مَنْ أُسر له احدٌ فى تلك البلاد فـأُحضرت فامر بضرب رقاب الاسرى بحضرتها وقال للعبـاس سَلْها هل اغاثها الحكم فقالت المرأة وكانت نبيلة والله لقد شفى الصدور وانكى العدوّ واغاث الملهوف فاغاثه الله واعزّ نصره فارتاح لقولها وبدا السرور فى وجهه وقال

الم تَرَ يا عباس انّى اجبتُها   على البعد أَقْتادُ الخميسَ المظفَّرَا

---

a) S. La. O. غيرِ واحد. b) S. بمغتصبات. c) L. مسهدًا, G. S. P. مسهدا, La. O. مسئدا. d) Ce mot manque dans G. P. et S.; La. O. ما.

فادركتُ اوطارا وبرّدتُّ غلّةً ونفّستُ مكروبا واغنيتُ معسرَا

فقال عباس نعم جزاك الله عن المسلمين خيرا وقبّل يده، وممّا عيب به[a] انه قتل الفقيه ابا زكرياء يحيى بن مطر الغسّانى وكان قدوة فى الدين والورع سمع من سفيٰن ومالك بن انس وروى عنه مالك وقال حدّثنا يحيى بن مطر عن سفيٰن الثّورى ان الطلح المنضود[b] هو الموز وكان قتل المذكور مع جماعة من العلماء وغيرهم،

وقام بامره من بعده ابنه عبد الرحمن بعهد منه اليه ثم لاخيه المُغيرة بعده فغزا عبد الرحمن لاول ولايته الى جليقية وابعد واطال المغيب واثخن فى أُمَم النصرانية هنالك ورجع، وقدم عليه سنة ٢٠٦ زِرْياب المغنّى من العراق وهو مولى المهدى ومتعلّم ابراهيم الموصلى واسمه على ابن نافع فركب بنفسه لتلقّيه على ما حكاه ابن خلدون وبالغ فى اكرامه واقام عنده بخير حال واورث صناعةَ الغناء بالاندلس وخلّف اولادا فخلفه كبيرهم عبد الرحمن فى صناعته وحظوته، وفى سنة ٨ اغزى حاجبَه عبد الكريم بن عبد الواحد الى أَلْبة والقلاع فخرّب كثيرا من البلاد وانتسفها وفتح كثيرا من حصونهم وصالح بعضها على الجزية واطلاق أَسْرَى المسلمين وانصرف ظافرا، وفى سنة ٢٤ بعث قريبَه عبيد الله بن البلنسى فى العساكر لغزو البة والقلاع فسار ولقى العدوّ فهزمهم واكثر القتل والسبى، ثم خرج لذريق ملك الجلالقة واغار على مدينة سالم بالثغر فسار اليه فرتون بن موسى وقاتله فهزمه واكثر[c] القتل فى العدوّ والاسر ثم سار الى الحصن الذى بناه اهل البة بالثغر نكايةً للمسلمين فافتتحه وهدمه ثم سار عبد الرحمن فى الجيوش الى بلاد جليقية فدوّخها وافتتح عدّة حصون منها وجال فى ارضهم ورجع بعد طول المقام بالسبى والغنائم، وفى سنة ٢٦ بعث عبد الرحمن العساكر الى ارض الفرنجة وانتهوا الى ارض بربطانية[d] وكان على مقدّمة المسلمين موسى بن موسى عامل تُطيلة ولقيهم العدوُّ فصبروا حتى هزم الله عدوّهم وكان لموسى فى هذه الغزاة مقام محمود، وفى سنة ٢٩ بعث ابنه محمد بالعساكر وتقدّم الى بَنْبَلُونة فاوقع بالمشركين عندها وقتل غَرْسية صاحبها وهو من اكبر ملوك النصارى، وفى ايامه ظهر المجوس ودخلوا اشبيلية فارسل اليهم عبد الرحمن العساكر مع القُوّاد من قرطبة فنزل المجوس من مراكبهم وقاتلهم المسلمون فهزموهم بعد مقام صعب ثم جاءت العساكر

a) La. O. عليه. b) Voyez le *Korān*, sour. 56, vs. 28. c) G. S. L. وكثر. d) Les man. portent سرطانية.

مددًا من قرطبة فقاتلهم المجوس فهزمهم المسلمون وغنموا بعض مراكبهم واحرقوها ورحل المجوس الى شذونة فاقاموا عليها يومين وغنموا بعض الشىء ووصلت مراكب عبد الرحمن الى اشبيلية فاقلع المجوس الى لَبْلة واغاروا وسبوا ثم الى باجة ثم الى اشبونة ثم انقطع خبرهم حين اقلعوا من اشبونة وسكنت البلاد وذلك سنة ٣٠ وتقدّم عبد الرحمن باصلاح ما خربوه من البلاد واكثف حاميتها، وفى سنة ٣١ بعث العساكر الى جليقية فدوّخوها وحاصروا مدينة لَيُون ورموها بالمجانيق وهرب اهلها عنها وتركوها فغنم المسلمون ما فيها واحرقوها وارادوا هدم سورها فلم يقدروا عليه لان عرضه كان ١٧ ذراعا فثلموا فيه ثلمة ورجعوا ثم اغزى عبد الرحمن حاجبَه عبد الكريم فى العساكر الى بلاد برشلونة فعاث فى نواحيها واجاز الدروب التى تسمّى البُرْت الى بلاد الفرنجة فدوّخها قتلا واسرا وسبيا وحاصر مدينتها العظمى جرندة وعاث فى نواحيها وقفل، وقد كان ملك القسطنطينية من وراثهم توفلس[a] بعث الى الامير عبد الرحمن سنة ٢٥ بهديّة يطلب مواصلته ويُرغبه فى ملك سلفه بالمشرق من اجل ما ضيّق به المامون والمعتصم حتى انه ذكرهما فى كتابه له وعبر عنهما بابنَىْ مراجل ومارِدة فكافاه الامير عبد الرحمن عن الهديّة وبعث اليه يحيى الغَزّال من كبار اهل الدولة وكان مشهورا فى الشعر والحكمة فاحكم بينهما الوصلة وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند مُناغيه من بنى العباس، ويعرف الامير عبد الرحمن بالاوسط لان الاول عبد الرحمن الداخل والثالث عبد الرحمن الناصر، ثم توفّى عبد الرحمن الاوسط سنة ٢٣٨ بربيع الآخر لاحدى وثلاثين سنة من امارته ومولده بطليطلة فى شعبان سنة ١٧٦ وكان عالما بعلوم الشريعة والفَلْسَفة وكانت ايامه ايام هدوء وسكون وكثرت الاموال عنده واتّخذ القصور والمنتزهات وجلب اليها الماء[b] من الجبال وجعل الفضلةَ مصنعا اتّخذه الناس شريعةً واقام الجسور وبنيت فى ايامه الجوامع بكور الاندلس وزاد فى جامع قرطبة رواقَيْن ومات قبل ان يستتمّه فاتمّه ابنه محمد بعده وبنى بالاندلس جوامع كثيرة ورتّب رسوم المملكة واحتجب عن العامّة، وعدد ولده ١٥٠ من الذكور وخمسون من الاناث ونقش[c] خاتمه عبد الرحمن بقضاء الله راض وفى ذلك قيل

خاتم للملك اضحى حكمُه فى الناس ماضِى عابد الرحمن فيه بقضاء الله راضِى

a) Al-Makk. G. P. S. L. O. نوفلس , La. توفلس. b) La. O. الميباه. c) La. O. ونقص.

ـ ,ون من احدث هذا النقش وبقى وراثةً لمن بعده من ولده، قال ابن سعيد وفى ايامه انتهى مال الجباية الى الف الف دينار فى السنة وكان قبلُ لا يزيد على ٦٠٠ الف وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع ما يخالف هذا فليراجَعْ والله سبحانه وتع اعلم، ومن توقيعاته من لم يعرف وجهَ طلبه، فالحرمان أَوْلى به،، ومن شعر عبد الرحمن المذكور قوله

ولقد تعارض اوجهٌ لاوامرٍ ... فيقودها التوفيقُ نحو صوابها

والشيخ ان يَحْو النُهَى بتَجارِب ... فشبابُ راى القوم عند شبابهَا

وفى زيادته فى جامع قرطبة يقول ابن المثنّى

بنيتَ لله خير بيت ... يخرس عن وصفه الانامُ

حُجَّ اليه بكلّ اوب ... كانّه المسجد الحرامُ

كانّ محرابه اذا ما ... حُفّ به الركنُ والمقامُ

وقال آخر

بنى مسجدا لله لم يك مثله ... ولا مثله لله فى الارض مسجدُ

سوى ما ابتنى الرحمن والمسجد الذى ... بناه نبىُّ المسلمين محمّدُ

له عُمُدٌ خُمْرٌ وخُضْرٌ كأنّما ... تلوح يواقيت بها وزبرجدُ

أَلا يا امينَ الله لا زلتَ سالما ... ولا زلتَ فى كل الامور تسدّدُ

فيا ليتنا نفديك من كل حادث ... وانّك للدنيا وللدين تُخْلَدُ

وكان كثير الميل للنساء وولع بجاريته طَرُوب وكلف بها كلفا شديدا وهى التى بنى عليها البابَ ببِدَر المال حين تجنّتْ عليه واعطاها حليا قيمتُه مائة الف دينار فقيل له ان مثل هذا لا ينبغى ان يخرج من خزانة الملك فقال انّ لابسه انفَسُ منه خطرا، وارفع قدرا، واكرم جوهرا، واشرف عنصرا،، وفيها يقول

اذا ما بدتْ لىَ شمس النها ... ر طالعةً ذكّرتْنى طرُوبَا

انا ابن الهشامَيْن *a* من غالب ... أَشُبُّ حروبا وأُطْفى حروبَا

وخرج غازيا الى جليقية فطالت غيبتُه فكتب اليها

عدانىَ عنك مزار *b* العدَى ... وقَوْدى اليهم لُهامًا *c* مُصيبَا

فكم قد تخطَّيْتُ *d* من سبسب ... ولاقيتُ بعد دروب دروبَا

a) G. S. L. P. الشاميين, O. السامين, La. الميامين. *b*) La. O. المزار, G. S. P. مراز.
c) Cette leçon se trouve dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٨٨. Les man. d'al-Makk. portent سهاما.
d) La. تعديت.

أُلاقى بوجهى سمومَ الهجير اذا كاد منه الحصى ان يذوبا
* تدارك بى الله[a] دينَ الهدى فاحييتُه وأَمَتُّ[b] الصليبا
وسرتُ الى الشرك فى جحفل ملاتُ الحزون به والسهوبا

وساق بعض المؤرّخين قصة طروب هذه بقوله ان السلطان المذكور اغضبها فهجرتْه وصدّتْ عنه وابتْ ان تاتيه ولزمت مقصورتها فاشتدّ قلقُه لهجرها وضاق ذرعه من شوقها وجهد ان يترضّاها بكل وجه فاعياه ذلك فارسل من خاصّة خصيانه من يُكْرِهها على الوصول اليه فاغلقت باب مجلسها فى وجوههم وآلَتْ لا تخرج اليهم طائعةً ولو انتهى الامر الى القتل فانصرفوا اليه واعلموه بقولها واستاذنوه فى كسر الباب عليها فنهاهم وامرهم بسدّ الباب عليها من خارجه ببِدَر الدراهم ففعلوا وبنوا عليها بالبدر واقبل حتى وقف بالباب وكلّمها مسترضيا راغبا فى المراجعة على ان لها جميع ما سُدَّ به الباب فاجابت وفتحت الباب فانهالت البدرُ فى بيتها فاكبّتْ على رجله تقبّلها وحازت المال وكانت تُبْرِم الامور مع نصر الخصىّ فلا يردّ شيئا ممّا تبرمه واحبّ اخرى اسمُها مدثّرة فاعتقها وتزوّجها واخرى كذلك اسمها الشفاء وامّا جاريته قلم فكانت اديبة حسنة الخطّ راويةً للشعر حافظة للاخبار عالمة بضروب الادب وكان مُولَعا بالسّماع موثرا له على جميع لذّاته وله اخبار كثيرة رحمه تع "، ولما مات ولى مكانه ابنه محمد فبعث لاول ولايته الجيوش[c] مع موسى بن موسى صاحب تُطيلة[d] فعاث فى نواحى أَلَبَة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع وبعث عساكر اخرى الى نواحى برشلونة وما وراءها فعاثوا فيها وفتحوا حصونا من برشلونة ورجعوا، ولما استمدّ اهل طليطلة المخالفون من اهل بلاد الامير محمد عليه بملكَىْ جليقية والبشكنش لقيهم الامير محمد على وادى سَليطة[e] وقد اكمن لهم فاوقع بهم وبلغت عدّة القَتْلَى من اهل طليطلة والمشركين ٢٠ الفا، وفى سنة ٤٥ ظهرت مراكب المجوس وعاثوا فى الاندلس فلقيهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم وغنموا منهم مركبَيْن واستُشهد جماعة من المسلمين، وفى سنة ٤٧ اغزى محمد الى نواحى بَنْبَلونة وصاحبها حينئذ غرسية بن

a) S. تداركت فى الله. b) L. وانفتْ, G. P. وانف, La. O. رغم انف; *al-Bayān al-M.*, (*loc. cit.*) واصطليت. c) J'ai ajouté ce mot d'après les deux man. d'Ibn-Khaldoun. d) Ibn-Kh. L. P., al-M. G. تطلية, P. متطيلة, S. بطلية, L. La. O. طليطلة. e) Dans les deux man. d'Ibn-Kh. et dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٩٧, ce nom est écrit وادى سليط.

ونقه a وكان يظاهر اردون b بن ادفنش فعاث فى نواحى بنبلونة ورجع وقد دوّخها وفتح كثيرا من حصونها واسر فرتون ابن صاحبها غرسية فبقى اسيرا بقرطبة ٢٠ سنة، ثم بعث سنة ٥١ ابنه c المنذر فى العساكر الى نواحى البة والقلاع فعاثوا فيها وجمع لذريق للقائهم فلقيهم وانهزم واثخن المسلمون فى المشركين بالقتل والاسر فكان فتحا لا كفاء له، ثم غزا الامير محمد بنفسه سنة ٥١ بلاد الجلالقة فاثخن وخرّب، وفى سنة ٦٣ اغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب وفى السنة التى بعدها الى بلاد بنبلونة فدوّخها ورجع وفى سنة ٦٨ اغزاه ايضا الى دار الحرب فعاث فى نواحيها وفتح حصونا، وفى ايام الامير محمد خربت ماردة وهدمت ولم يبق لها اثر وذكر بعضهم انه راى بالمشرق هذه الابيات قبل ان تخرب ماردة باعوام ولم يعلم قائلها وذلك سنة ٢٥٤

وتكبّرت عن عدوة الدهر . ويلٌ لماردةَ التى مردتْ

فتخلتْ من الزهرات كالقفرِ . كانت تُرَى لهم بها زَهَرٌ

بجميعهم مَنْ صاحب الامرِ . فالويل ثم الويح حين غزا

ثم توفّى الامير محمد فى شهر صفر سنة ٢٧٣ لخمس وثلثين سنة من امارته ومولده سنة ٢٠٧، وولى بعده ابنه المنذر ولم تطلْ مدّته واقام فى الملك سنتين الا نصف شهر وتوفّى منتصفَ صفر سنة ٢٧٥ وفيه قيل

صلحتْ بلادُ الاندلسْ . بالمنذر بن محمد

ثم ولى اخوه عبد الله بن محمد، قال ابن خلدون كان خراج الاندلس قبله ٣٠٠ الف دينار مائةُ الف للجيوش ومائة الف للنفقة فى النوائب وما يعرض ومائة الف ذخيرة ووفرٌ فانفق الوفر حين اضطربت عليه نواحى الاندلس بالثوّار والمتغلّبين فى تلك السنين وقلّ الخراج انتهى، ومن نظم الامير عبد الله قوله

ويا اسيرَ الحبّ ما اخشعكْ . يا مهجةَ المشتاق ما اوجعكْ

بالردّ والتبليغ ما اسرعكْ . ويا رسولَ العين من لحظها

فى مجلس يخفى على من معكْ . تذهب بالسرّ فتاتى به

تبارك الرحمن ما اطوعكْ . كم حاجة انجزتَ ابرازها

وهذه الابيات عنوان فضله، وبراعة استهلال نُبْله، وكان الوزراء يطالعون باراثهم الخليفةَ

a) *Iñigo*. C'est ainsi qu'on lit dans le man. P. d'Ibn-Kh.; L. ونقة; al-Makk. وبقة. b) Les man. portent اردن. c) Les man. portent اخاه.

فى بطاقة فطالَعَه وزيره النصر بن سلمة برايه فى امر فى ورقة فلما وقف عليها لم يُعْجِبْه ذلك الراى فكتب

انت يا نصر آبِدَةٌ *a* لستَ *b* تُرْجَى لفائدَةْ انّما انت عدّةٌ لكنيف ومائدَةْ

وتوفّى الامير عبد الله سنة ٣٠٠ ومدّة ملكه نحوٌ من ٢٥ سنة *c*، وولى حافده عبد الرحمن الناصر ابن ابنه محمد قتيل اخيه المطرّف وكانت ولايته من الغريب لانه كان شابًّا واعمامه واعمام ابيه حاضرون فتصدّى اليها واحتازها دونهم ووجد الاندلس مضطربة بالمخالفين، مضطرمة بنيران المتغلبين، فاطفأ تلك النيران، واستنزل اهل العصيان، واستقامت له الاندلس فى سائر جهاتها بعد نيّف وعشرين سنة من ايامه ودامت ايامه نحو ٥٠ سنة استفحل فيها ملكُ بنى اميّة بتلك الناحية، وهو اول من تسمّى منهم بالاندلس باميرِ المومنين عند ما التاث امر الخلافة بالمشرق واستبدَّ موالى التُرْك على بنى العباس وبلغه ان المقتدر قتله مونس المظفّر مولاه سنة ٣١٧ *d* فتلقّب بالقاب الخلفاء وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب الى ان هُزِم عامَ الخندق سنة ٣٢٣ *d* ومحّص الله فيها المسلمين فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردّد الصوائف فى كل سنة فاوطأً عساكر المسلمين من بلاد الافرنج ما لم يطَـُوه قبلُ فى ايام سلفه ومدّتْ اليه امَمُ النصرانيّة من وراء الدروب يدَ الاذعان واوفدوا عليه رُسُلَهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية فى سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعنّ من مرضاته ووصل الى سدّته ملوكُ الجلالقة من اهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين بجهات قَشْتالة وبنبلونة وما اليها *e* من الثغور الجوفيّة فقبّلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مركبه ثم سما الى ملك العدوة فتناول *f* سبتة * ففل الفرضة *g* من ايدى اهلها سنة ٣١٩ *h* واطاعه بنو ادريس امراءُ العدوة وملوك زناتة والبربر واجاز اليه الكثير منهم كما يعلم من اخباره وبدا امره اولَ ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا انتهى كلا م ابن خلدون، وفيه يقول ابن عبد ربّه صاحب العقد يومَ تولّى الملك

بدا الهلال جديدا والملك غضٌّ جديدُ يا نعمة الله زيدى

a) La. O. دائما. *b*) Les man. portent ليس. *c*) Lisez ٣٢٠. *d*) Lisez ٢٧. *e*) S. يليها. *f*) G. L. P. فيتناول. *g*) C'est ainsi qu'on lit dans P. et O.; G. L. ققل الفرضة, S. قبل الفرضة, La. فغل الفرصة; Ibn-Khaldoun L. فقل الفرسة. Ces mots manquent dans P. d'Ibn-Khald. *h*) Les man. portent سبع au lieu de تسع; j'ai corrigé cette faute d'après le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٢٠.

فاليومَ للدهر عيدُ   ان كان للصوم فطرٌ   ان كان فيك مزيدُ

واراد باول الابيات انه ولى مستهَلّ ربيع الاول كما عُلم، ومما اشار اليه ابن خلدون فى غزوة الخندق فصّله المسعودى فقال بعد ان اجرى ذكر مخالفة اميّة بن اسحق على الناصر ودخوله ارض النصارى ودلالته اياهم على عورات المسلمين ما ملخّصه وغزا عبد الرحمن صاحب الاندلس سَمُّورَة *a* دار مملكة الجلالقة وكان عبد الرحمن فى مائة الف او يزيدون وكانت الوقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة فى شوال سنة ٣٢٧ بعد الكسوف الذى كان فى هذا الشهر بثلاثة ايام فكانت *b* للمسلمين عليهم ثم ثابوا *c* بعد ان حُوصروا وأُلْجِئُوا الى المدينة فقتلوا من المسلمين بعد عبورهم الخندق ٥٠ الفا وقيل ان الذى منع ردميرَ من طلب مَنْ نجا من المسلمين اميّةُ بن اسحق وخوّفه الكمينَ ورغّبه فيما كان فى عسكر المسلمين من الاموال والعُدّة والخزائن ولولا ذلك لَأُتِىَ على جميع المسلمين ثم ان اميّة استامن بعد ذلك الى عبد الرحمن وتخلّص من ردمير وقبله عبد الرحمن احسنَ قبول وقد كان عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهّز عساكره مع عدّة من قُوّاده الى الجلالقة فكانت لهم بهم حروبٌ هلك فيها من الجلالقة ضِعْفُ ما قُتل من المسلمين فى الوقعة الاولى وكانت *d* للمسلمين عليهم الى هذه الغاية وردمير ملك الجلالقة الى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٦ انتهى،

وقال فى موضع آخر ما ملخّصه ان عبد الرحمن غزا فى ازيد من مائة الف من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة سمورة وعليها ٧ اسوار من اعاجيب البنيان قد احكمتْه الملوك السالفة وبين الاسوار فُصْلان وخنادق ومياه واسعة وافتتح منها سورَيْن ثم ان اهلها ثابوا *e* على المسلمين *فقتلوا منهم ممن ادركه القتلُ وممن *f* غرق ٤٠ الفا وقيل ٥٠ الفا وكانت للجلالقة والبشكنش على المسلمين انتهى كلام المسعودى،

رجع الى اخبار الناصر فنقول ان الناصر رحه كان له نظم ومما نسب اليه بعضُهم قوله

لا يضرُّ الصغيرَ حدثانُ سنٍّ   انّما الشان فى سعود الصغيرِ

كم مقيم *g* فازتْ يداه بغنم   لم تَنَلْه بالركض كفُّ مُغيرِ

هكذا الفيتُ *h* البيتين منسوبين اليه بخطّ بعض الاكابر ثم كتب باثره ما نصّه الصحيح

---

a) Les man. portent مسمورة. *b*) S. ajoute الغلبة. *c*) S. ثاروا, La. O. بانوا. *d*) S. ajoute الغلبة. *e*) S. ثاروا. *f*) S. فقُتـل منهم ممن ادركوه عشرون (*sic*) وممن الخ. *g*) La. O. صغير. *h*) La. O. رايت.

انهما لغيره والله اعلم انتهى، وكان الناصر قد استحجب موسى بن محمد بن جُدَيْر واستوزر عبد الملك بن جَهْوَر واحمد بن عبد الملك بن شُهَيْد واهدى له ابن شهيد هديّته المشهورة المتعدّدة الاصناف وقد ذكرها ابن حيان وابن خلدون وغيرهما قال ابن خلدون وهى ممّا يدلّ على ضخامة الدولة الامويّة واتّساع احوالها وكان ذلك سنة ٣٢٧ لثمان خلون من شهر جمادى الاولى وهى هديّة عظيمة الشان واشتهر ذكرها الى الآن واتّفق على انه لم يُهادَ احد من ملوك الاندلس بمثلها وقد اعجبت الناصر واهلَ مملكته جميعا واقرّوا ان نفسا لم تسمح باخراج مثلها ضربةً عن يدها وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف للناصر بالنعمة والشكر عليها واستحسنها الناس وكتبوها وزاد الناصر وزيره هذا حظوةً واختصاصا واسمى منزلته على سائر الوزراء جميعا واضعف له رزق الوزارة وبلّغه ٨٠ الف دينار اندلسيّة وبلغ معروفه الى الف دينار وثنّى له العظمةَ لتثنيته لـه الرزقَ فسمّـاه ذا الوزارتين لذلك وكان اول من سُمّى بذلك بالاندلس امتثالا لاسم صاعد بن مخلد وزير بنى العباس ببغداد وامر بتصدير فراشه فى البيت وتقديم اسمه فى دفتر الارتزاق اول التسمية فعظم مقداره فى الدولة جدًّا، وتفسير هديته المذكورة على ما ثبت فى كتاب ابن خلدون على ما يفسّر ٥٠٠ الف مثقال من الذهب العين واربعمائة رطل من التبر ومصارفة ٤٥ الف دينار من سبائك الفضّة فى مائتى بدرة واقتصر ابن الفرضى على ٥٠٠ الف دينار فقط واثنا عشر رطلا من العود الهندى الذى يُختم عليه كالشمع ومائة وثمانون رطلا من العود[a] المتخير ومائة رطل من العود الشبه[b] المنتقى هكذا ذكر ابن خلدون وقال ابن الفرضى مستندًا الى الكتاب الذى وجّهه ابن شهيد مع الهديّة ان العود الغالى من ذلك ٤٠٠ رطل منها فى قطعة واحدة ١٨٠ رطلا وقال ابن خلدون ومائة اوقية من المسك الذكىّ المفضّل فى جنسه انتهى وقال ابن الفرضى نقلًا عن الكتاب المصحوب مع الهديّة ان المسك ٢٠٠ اوقية واثنتا عشرة اوقية ومن العنبر الاشهب الباقى على خلقته بغير صناعة ٥٠٠ اوقية منها قطعة عجيبة ململمة الشكل وزن مائة اوقية هكذا فى تاريخ ابن خلدون وفى ابن الفرضى ان الكل مائة اوقية وان هذه القطعة ٤٠ اوقية ومن الكافور المرتفع

a) Les man. d'Ibn-Khaldoun ajoutent الصنفى. b) Ibn-Kh. L. الشبة. Ce mot est probablement altéré.

النقى الذكى ٣٠٠ اوقية قال ابن خلدون ومن اللباس ٣٠ شقة من الحرير المختّم المرقوم بالذهب للباس الخلفاء المختلفة الالوان والصنائع وعشرة أَفْرِيَة من غالى[a] جلود الفنك الخراسانية وخالفه ابن الفرضى اذ قال ومن انواع الثياب ٣٠ شقة وخنج[b] خاصية للباسه بيضا وملوّنة وخمس ظهائر شعيبيّة خاصية له وعشرة فراء من غالى الفنك منها سبعة بيض خراسانيّة وثلثة ملوّنة وستة مطارف عراقيّة خاصية له وثمان واربعون ملحفة زهريّة لكسوته ومائة ملحفة زهريّة لرقاده ولم يذكر ابن خلدون ذلك وابن الفرضى اعرَف لا سيّما وقد استند الى كتاب المهدى وصاحب البيت أَدْرَى قال ابن خلدون وعشرة قناطير شدّ فيها مائة جلد سمور وقاله ابن الفرضى ايضا فزاد ابن خلدون وستة من السرادقات العراقية وثمانية واربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ثم قالا معا واربعة آلاف رطل من الحرير المغزول والف رطل من لون الحرير المنتقى للاستغزال وزاد ابن خلدون وثلثون شقة من الفريون[c] لسروج الهبات[d] وزاد ابن الفرضى فى الحرير المذكور قيل انه قبضه منه صاحبُ الطراز ولم يأت به مع الهديّة وانما دفعه لصاحب الطراز واثبته فى الدفتر قالا وثلثون بساطا من الصوف مختلفة الصناعات طولُ كل بساط منها ٢٠ ذراعا وقال ابن خلدون[e] منتقاة مختلفة الالوان قالا ومائة قطعة مصلّيات من وجوه الفرش المختلفة زاد ابن الفرضى الصناعات من جنس البُسُط قالا وخمسة عشر نخاخًا[f] من عمل الخزّ المقطوع شطرها قال ابن الفرضى وسائرها من جنس البُسُط الوجوه قال ابن خلدون ومن السلاح والعُدّة ٨٠٠ من التجافيف للزينة ايامَ البروز والمواكب وقال ابن الفرضى مائة تجفاف بابدع الصناعات واغربها واكملها قالا والف ترس سلطانيّة ومائة الف سهم زاد ابن خلدون من النبال البارعة الصنعة قال ابن خلدون ومن الظهر ١٥ فرسا من الخيل العراب المتخيّرة لركاب السلطان فائقة النعوت وقال ابن الفرضى ومن الخيل مائة فرس منها من الخيل العراب المتخيّرة لركابه ١٥ فرسا وخمس من عُرْض هذه الخيل مُسْرَجة مُلْجَمة لمراكب

---

a) Les man. portent عالى. *b*) J'ignore la signification de ce mot, qui est peut-être altéré. *c*) Ibn-Kh. P., al-Makk. S. الغريون; al-Makk. La. المقزيون. Je propose de lire البزيون. *d*) S. الهيّات, La. الهيئات, O. المهيات. Le mot est peut-être altéré. *e*) Les man. d'Ibn-Kh. ajoutent un mot qui, dans L., est écrit عشرينيّات, et dans P. عسرميات. *f*) Les man. d'al-Makkarī portent نوخا.

الخلافة مجالسُ سروجها خزٌّ عراقىّ وثمانون فرسا مما يصلح للوصفاء والحشم وقال ابن خلدون مائة فرس من الخيل التى تصلح للركوب فى التصرّف والغزوات وقال ابن الفرضى وخمسة أبْغُل عالية الركاب وقال ابن خلدون وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافيّة مجالسُ سروجها خزٌّ جعفرىّ عراقىّ قالا ومن الرقيق ٤٠ وصيفا وعشرون جارية من متخيَّر الرقيق بكسوتهم وجميع آلاتهم وقال ابن خلدون فى الجوارى متخيّرات بكسوتهنّ وزينتهنّ وقال ابن خلدون ومن سائر الاصناف قرية تغلّ آلافا من امداء الزرع ومن الصخر للبنيان ما انفق عليه فى عام واحد ٨٠ الف دينار وعشرون الف عود من الخشب من اجمل الخشب * واصلبه وأقْوَمه a قيمتُها b ٥٠ الف دينار انتهى، وقال ابن الفرضى نقلًا عن كتاب ابن شهيد المصحوب مع الهديّة عند ما ذكر الرقيق ما صورتُه كان قد امرنى ايّده الله بابتياعهم من مال الاخماس قبلُ فابتعتُهم من نعمته عندى وصيّرتُهم من بعثى ومع ذلك ١٠ قناطير سكّر طبرزد لا سحاقَ فيه وفى آخر الكتاب ولما علمتُ تطلُّعَ مولاى ايّده الله الى قرية كذا بالقَنْبانية المنقطعة الغرس فى شرقها وترداده ايّده الله لذكرها لم اهنأْ بعيش حتى اعملتُ الحيلة فى ابتياعها باحوازها واكتبتُ وكيلَه ابن بقيّة الوثيقةَ فيها باسمه وضمّها الى ضياعه وكذلك صنعتُ فى قرية شبرة من نظر جيّان عند ما اتّصل بى من وصفه لها وتطلّعه اليها فما زلتُ اتصدّى لمسرّته بها حتى ابتعتُها الآن باحوازها وجميع منازلها وربوعها c واحتاز ذلك كلّه الوكيلُ ابن بقيّة وصار فى يده له ابقاه الله وارجو انه سيرفع فيها فى هذه السنة آلاف امداد من الاطعمة ان شاء الله تعـ ولما علمتُ نافذَ عزمه ابقاه الله فى البنيان وكلفَه به وفكرتُ فى عدد الاماكن التى تطلّع نفسه الكريمة الى تخليد آثاره فى بنيانها مدّ الله فى عمره واوفى بها على اقصى امله علمتُ ان اسّه وقوامه الصخر والاستكثار منه فاثارت لى همّتى ونصيحتى حكمةَ حيلة احكمها سعدُك وجدُّك اللذان يبعثان ما لا يتوهّم علمُه حيلة اقيم لك بها فى عام واحد عددَ ما كان يقوم على يدى عبدك ابن عاصم فى ٢٠ عاما وينتهى تحصيل النفقة فيه الى نحو الثمانين الفا اعجل شانه فى عام سوى التوفير العظيم الذى يبديه العيانُ قبلا ان شاء الله وكذلك ما ثاب الىّ فى امر الخشب لهذه المُنْيَة

a) La. O. واصلبها واقومها. b) Les man. d'Ibn-Kh. portent قيمته. c) G. S. L. وزروعها.

المكرّمة فان ابن خليل عبدك المجتهد الدؤوب a انتهى فى تحصيل عدد ما تحتاج اليه ٣٠،٠٠ الف عود ونيّف على ٢٠ الف عود على انه لا يدخل منه فى السنة الا نحو الالفىْ عود ففتح لى * سعدك رايا b اقيم له بتمامه جميعَ هذا الخشب العامّ على كماله بورود الجليبة لوقتها وقيمته على الرخص ما بين الخمسين الفا الى الستين الفا انتهى، ومن غريب ما يحكى عن امير المومنين الناصر المذكور انه اراد الفصد فقعد بالبهو فى المجلس الكبير المشرف باعلى مدينته بالزهراء واستدعى الطبيب لذلك واخذ الطبيب الآلة وحبس يد الناصر فبينما هو كذلك ان اطلّ زرزور فصعد على اناء ذهب بالمجلس وانشد

ايّها الفاصد رفقًا بامير المومنينا انما تفصد عرقا فيه محيا العالمينا

وجعل يكرّر ذلك المرّة بعد المرّة فاستظرف امير المومنين الناصر ذلك غايةَ الاستظراف وسُرّ به غايةَ السرور وسأل عمّن اهتدى الى ذلك وعلّم الزرزور فذُكر له ان السيّدة الكبرى مرجانة امّ ولده وليّ عهده الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك واعدّته لذلك الامر فوهب لها ما ينيف على ٣٠ الف دينار، وذكر ابن بَسّام c ان ابا عامر بن شهيد احمد بن عبد الملك الوزير أُهدى له غلام من النصارى لم تقع العيونُ على شبهه فلمحه الناصر فقال لابن شهيد أنّى لك هذا فقال هو من عند الله فقال له الناصر تُتْحفوننا بالنجوم وتستأثرون بالقمر فاستعذر واحتفل فى هديّة بعثها d مع الغلام وقال يا بُنَىّ كُنْ مع جملة ما بُعثتَ به ولولا الضرورة ما سمحتْ بك نفسى وكتب معه * هذين البيتين e

أَمولاىَ هذا البدر سار لأُفْقكم وللأُفْقِ أَوْلَى بالبدور من الارض

فأُرْضيكم f بالنفس وهى نفيسة ولم أَرَ قبلى من بمهجته يُرْضى

فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكّنت عنده مكانتُه ثم انه بعد ذلك أُهديت اليه جارية من اجمل نساء الدنيا فخاف ان يُنْهَى g ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصّة الغلام فاحتفل فى هديّة اعظم من الاولى وبعثها معها وكتب له هذه الابيات

امولاى هٰذى الشمس والبدر اولًا تقدّم كيما يلتقى القمران

a) G. L. S. الدواب , P. الداوب. b) G. L. P. سعده رايا, S. رايه سعدة. c) Cette anecdote se trouve dans l'ouvrage intitulé مطالع البدور فى منازل السرور et dans les *Mille et une Nuits*, éd. Macnaghten, t. III, p. 414. d) La. ارسلها. e) Les man. portent هذه الابيات. f) On trouve cette leçon dans les *Mille et une Nuits*; les man. d'al-Makk. et le man. d'Oxford du مطالع البدور portent ارضيكم. g) S. La. O. ينتهى.

قِرانٌ لَعمرى بالسعادة ناطقٌ *a*   فدُمْ منهما فى كَوْثَرٍ وجنانِ
فما لهما واللهِ فى الحسن ثالثٌ   وما لك فى ملك البريّة ثانى

فتضاعفتْ مكانتُه عنده ثم ان احد الوُشاة رفع للملك انه بقى فى نفسه من الغلام حزازة *b* وانه لا يزال يذكره حين تحرّكه الشمول، ويقرع السنّ على تعذُّر الوصول،، فقال للواشى بذلك لا تحرِّكْ لسانك والّا طار *c* راسُك واعمل الناصر حيلة فى ان كتب على لسان الغلام رقعةً منها يا مولاى تعلم انك كنتَ لى على علمى انفراد ولم ازل معك فى نعيم وانى وان كنتُ عند الخليفة مشاركا *d* فى المنزلة محاذرٌ ما يبدو منه من سطوة الملك فتحيّلْ فى استدعاءى منه وبعثها مع غلام صغير السنّ واوصاه ان يقول من عند فلان وان الملك لم يكلّمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف ابو عامر على الرسالة واستخبر الخادم فعلم فى سؤاله ما كان فى نفسه من الغلام، وما تكلّم به فى مجالس المُدام،، كتب على ظهر الرقعة ولم يزدْ حرفا

أَمِن بعد احكام التّجارب تبتغى   لدىّ سقوطَ العَيْرِ *e* فى غابة الاسَدْ
وما انا مِمّن يغلب الحبُّ قلبَه   ولا جاهلٌ ما يدّعيه أُولُو الحسَدْ
فان كنتَ روحى قد وهبتُك طائعًا   وكيف يُرَدّ الروح ان فارَق الجسَدْ

فلما وقف الناصر على الجواب تعجّب من فطنته ولم يَعُدْ الى استماع واشٍ به ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خَلّصتَ من الشَرَك، فقال لان عقلى بالهوى غير مشترك،، فانعم عليه وزادت محبّتُه عنده انتهى وممن ذكر هذه الحكاية صاحب مطالع البدور، فى منازل السرور،، واخبار الناصر طويلة جدًّا وقد مُنح الظفر على الثُوّار واستنزلهم من معاقلهم حتى صفا له الوقت وكانت له فى جهاد العدوّ اليَدُ البيضاء فمن غزواته انه غزا سنة ٣٠٨ الى جلّيقية وملكها اردون بن ادفونش واستنجد بالبشكنش والافرنجة وظاهر شنجة بن غرسية صاحب بَنْبَلونة امير البشكنش فهزمهم ووطئ بلادهم ودوّخ ارضهم وفتح معاقلهم وخرّب حصونهم، ثم غزا بنبلونة سنة ١٢ ودخل دار الحرب ودوّخ البسائط وفتح المعاقل وخرب الحصون وافسد العمائر وجال فيها وتوغّل فى قاصيتها

a) Dans G. et P. il y a une lacune après le mot بالسعادة ; L. دائما , S. بيبن , La. O. قد اتى. Le ناطق du texte se tronve dans les *Mille et une Nuits* et dans le مطالع البدور.
b) O. حزازة , G. L. La. حرارة. *c*) S. طيرتُ. *d*) Les man. portent مشارك. *e*) La leçon العير se trouve dans le man. S. et dans le مطالع البدور ; les autres man. portent الطير.

والعدوّ يحاذيه فى الجبال والاوعار ولم يظفر منه بشىء، ثم بعد مدّة ظفر ببعض الثوّار عليه وكان استمدّ بالنصارى فقتل الناصر من كان مع الثائر من النصارى اهل أَلْبَة وفتح ٣٠ من حصونهم وبلغه انتقاض طوطة ملكة البشكنش فغزاها فى بنبلونة ودوّخ ارضها واستباحها ورجع الى قرطبة، ثم غزا غزوة الخندق سنة ٢٧ الى جليقية فانهزم وأُصيب فيها المسلمون وقعد بعدها عن الغزو بنفسه وصار يردّد البعوث والصوائف الى الجهاد وبعث جيوشه الى المغرب فملك سبتة وفاسا وغيرهما من بلاد المغرب وطار صيتُه وانتشر ذكره كما سبق، ولما هلك غرسية بن شانجه ملك البشكنش قام بامرهم بعده امّه طوطة وكفلت ولده ثم انتقضت على الناصر سنة ٢٥ فغزا الناصر بلادها وخرّب نواحى بنبلونة وردّد عليها كما مرّ الغزوات وكان قبل ذلك سنة ٢٣ غزا الى وخشمة a ثم رحل الى بنبلونة فجاءتْه طوطة بطاعتها وعقد لابنها غرسية على بنبلونة ثم عدل الى أَلْبَة وبسائطها فدوّخها وخرب حصونها ثم اقتحم جليقية وملكها يومئذ ردمير بن اردون فخام عن لقائه ودخل وخشمة b فنازله الناصر فيها وهدم بُرْغُش وكثيرا من معاقلهم وهزمهم مرارًا ورجع ثم كانت بعدها غزوة الخندق السابقة، وهابتْه أُمَمُ النصرانية ووفدت عليه سنة ٣٦ رُسُلُ صاحب قسطنطينية وهديّته وهو يومئذ قسطنطين واحتفل الناصر لقدومهم فى يوم مشهود قال ابن خلدون ركبت فى ذلك اليوم العساكر بالسلاح فى اكمل شكّة وزُيّن القصر الخلافى بانواع الزينة واصناف الستور وجُمّل السرير الخلافى بمقاعد الابناء والاخوة والاعمام والقرابة ورُتّب الوزراء والخَدَمة فى مواقفهم ودخل الرسل فهالهم ما رأوه وقربوا حتى ادّوْا رسالتهم وامر يومئذ الاعلام ان يخطبوا فى ذلك الحفل c ويعظموا من امر الاسلام والخلافة ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه واعزازه وذلّة عدوّه فاستعدّوا لذلك ثم بهرهم هولُ المجلس فوجموا وشرعوا فى القول فارتُجّ عليهم وكان فيهم ابو على القالىّ وافد العراق كان فى جملة الحكم ولىّ العهد وندبه لذلك استبثارا بفخره فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلّوطى من غير استعداد ولا رويّة وما تقدّم له احد فى ذلك بشىء فخطب واسحنفر وجلّى فى ذلك القصد وانشد شعرا طويلا ارتجله فى ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شانه اكثرَ من كل ما وقع وأُعجب به الناصر وولّاه القضاء بعدها

a) *Osma*. O. ارحشتمة, La. خشنبة. b) O. خشتمة, La. خشنمة. c) La. O. المحفل.

واصبح من رجالات المعالم[a] واخباره مشهورة وخطبته ذلك اليومَ منقولة فى كتب ابن حيان وغيره، ثم انصرف هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن هذيل[b] بهديّة حافلة ليؤكّد المودّة ويحسن الاجابة ورجع بعد سنتين وقد احكم من ذلك ما شاء وجاءت معه رسلُ قسطنطين ثم جاء رسول من ملك الصقالبة وهو يومئذ هُوتُو[c] ورسول آخر من ملك الألَمان ورسول آخر من ملك الافرنجة وراء البُرْت وهو يومئذ أُوقُه[d] ورسول آخر من ملك الافرنجة بقاصية المشرق وهو يومئذ كلده واحتفل السلطان لقدومهم وبعث مع رسول الصقالبة ربيعًا الاسقف الى ملكهم هوتو[e] ورجع بعد سنتين، وفى سنة ٣٤ جاء رسول اردون يطلب السلم فعقد له ثم بعث فى سنة ٣٥ يطلب ادخال فردلند قومس قشتيلية فى عهده فاذن له فى ذلك وأُدخل فى عهده وكان غرسية بن شانجه قد استولى على جليقية بعد ابيه شانجه بن فرويلة ثم انتقض عليه اهلُ جليقية وتولّى كبرهم قومس قشتيلة فردلند المذكور ومال الى اردون بن ردمير وكان غرسية بن شانجه حافدًا لطوطة ملكة البشكنش فامتعضت لحافدها غرسية ووفدت على الناصر سنة ٣٧ ملقيةً بنفسها فى عقد السلم لها ولولدها شانجه بن ردمير الملك واعانة حافدها غرسية بن شانجه على ملكه ونصره من عدوّه وجاء الملكان معها فاحتفل الناصر لقدومهم وعقد الصلح لشانجه وامّه وبعث العساكر مع غرسية ملك جليقية فردّ عليه ملكه وخلع الجلالقة طاعةَ اردون اليه وبعث الى الناصر يشكره على فعلته وكتب الى الامم فى النواحى بذلك وبما ارتكبه فردلند قومس قشتيلية فى نكثه ووثوبه وبعيّره بذلك عند الامم ولم يزل الناصر على موالاته واعانته الى ان هلك ولما وصل رسول كلده ملك[f] الافرنجة بالمشرق كما تقدّم وصل معه رسول ملك برشلونة وطرّكونة راغبا فى الصلح فاجابه الناصر ووصل بعده رسول صاحب رُومة يخطب المودّة فأُجيب انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار، ولنفصّلْ بعض ما اجمله فنقول ذكر ابن حيان وغير واحد ان ملك الناصر بالاندلس كان فى غاية الضخامة ورفعة الشان وهادته الروم وازدلفت اليه تطلب مُهادنته ومُتاحفته بعظيم الذخائر ولم تبقَ امّة سمعتْ به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الامم الا وفدت عليه خاضعةً راغبةً وانصرفت

---

a) G. L. S. العالم. b) Ibn-Khaldoun le nomme هشام بن كليب الجاثليق. c) Ibn-Kh. L. هوقو ; al-Makk. G. L. S. P. دوقو , La. ذواقوا , O. ذوقوا. d) Les man. portent اوقه. e) Ibn-Kh. L. هونو, al-Makk. S. هوقو. f) Les man. portent ملكة.

عنه راضيةً ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى فانه هاداه ورغب موادعته وكان وصول ارساله فى صفر سنة ٣٣٨ وتقدّم فى كلام ابن خلدون انها ٣٩ فالله اعلم ايّهما اصحّ وتأهّب الناصر لورودهم a وامر ان يُتلقَّوْا اعظمَ تلقٍّ وافخمَه، واحسن قبول b واكرمَه،، واخرج الى لقائهم بيَحْجانة يحيى بن محمد بن الليث وغيره لخدمة اسباب الطريق فلما صاروا باقرب المحلّات من قرطبة خرج الى لقائهم القوّاد فى العدد والعدّة والتعبئة فلقوهم قائدًا بعد قائد وكمل اختصاصهم بعد ذلك بان اخرج اليهم الفَتَيَيْن الكبيرين الخصيّيْن ياسرًا وتماما ابْلاغًا فى الاحتفاء بهم فلقياهم بعد القوّاد فاستبان لهم بخروج الفتيين اليهم بسطُ الناصر واكرامه لان الفتْيان حينئذ عظماء الدولة لانهم اصحاب الخلوة مع الناصر وحرمه وبيدهم القصر السلطانى وأُنزلوا بمُنْية ولىّ العهد الحكم المنسوبة الى نصر بعدوة قرطبة فى الربض ومُنعوا من لقاء الخاصّة والعامّة جملةً ومن ملابسة الناس طرًّا ورُتّب لحجابتهم رجال تخيّروا من الموالى ووجوه الحشم فصُيّروا على باب قصر هذه المنية ١٦ رجلا لاربع دُوَل لكل دولة ٤ منهم ورحل الناصر لدين الله من قصر الزهراء الى قصر قرطبة لدخول وفود الروم عليه فقعد لهم يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة فى بهو المجلس الزاهر قعودًا حسنا نبيلا وقعد عن يمينه من بنيه ولىّ العهد الحكم ثم عبيد c الله ثم عبد العزيز ابوه d الاصبغ ثم مروان وقعد عن يساره المنذر ثم عبد الجبّار ثم سليمن وتخلّف عبد الملك لانه كان عليلا لم يُطِقْ الحضورَ وحضر الوزراء على مراتبهم يمينا وشمالا ووقف الحُجّاب من اهل الخدمة من ابناء الوزراء والموالى والوكلاء وغيرهم وقد بُسطَ صحنُ الدار اجمع بعتاق البُسُط وكرائم الدرانك وظُلّلت ابواب الدار وحناياها بظُلَل الديباج ورفيع الستور فوصل رسل ملك الروم حائرين ممّا راوه من بهجة الملك وفخامة e السلطان ودفعوا f كتاب ملكهم صاحب قسطنطينية العظمى قسطنطين بن ليون وهو فى رَقّ مصبوغ لونا سماويّا مكتوبا بالذهب بالخطّ الاغريقى g وداخلَ الكتاب مَدْرَجة مصبوغة ايضا مكتوبة بفضّة بخطّ اغريقى h ايضا فيها وصف هديّته التى ارسل بها وعددها وعلى الكتاب طابعُ ذهب وزنه ٤ مثاقيل على الوجه

---

a) La. O. لوصولهم. *b*) Les man. portent قبوله. *c*) La. O. عبد. *d*) Les man. portent ثم au lieu de ابو. *e*) La. O. وضخامة. *f*) La. O. وفصّوا. *g*) Les man. portent الاغرنقى. *h*) Même remarque.

الواحد منه صورة المسيح وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده وكان الكتاب بداخل دُرْج فضّة منقوش عليه غطاء ذهب فيه صورة قسطنطين الملك معمولة من الزجاج الملوّن البديع وكان الدرج داخلَ جعبة مُلْبَسة بالديباج وكان فى ترجمة عنوان الكتاب فى سطر منه قسطنطين ورومانس *a* المومنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم وفى سطر آخر العظيم الاستحقاق المفخر الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالاندلس اطال الله بقاءه، ولما احتفل الناصر لدين الله هذا الاحتفال احبّ ان يقوم الخطباء والشعراء بين يديه لتذكر جلالة مقعده وعظيم سلطانه وتَصِفَ ما تهيّأ من توطيد الخلافة فى دولته وتقدّم الى الامير الحكم ابنه ولىّ عهده باعداد من يقوم بذلك من الخطباء ويقدّمه امام نشيد الشعراء فامر الحكم صنيعَه الفقيه محمد بن عبد البرّ الكسنيانى *b* بالتأهّب لذلك واعداد خطبة بليغة يقوم بها بين يدى الخليفة وكان يدّعى من القدرة على تاليف الكلام ما ليس فى وسع غيره وحضر المجلس السلطانى فلما قام يحاول التكلّم بما راوه بهره هولُ المقام وابّهة الخلافة فلم يهتد الى لفظة بل غُشِىَ عليه وسقط الى الارض فقيل لابى على البغدادى اسمعيل بن القاسم القالىّ صاحب الامالى والنوادر وهو ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وامير الكلام وبحر اللغة قُمْ فارقَعْ هذا الوهى فقام فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلّى على نبيّه محمد صلعم هكذا ذكر ابن حيان وغيره وكلام ابن خلدون السابق يقتضى ان القالىّ هو المامور بالكلام اولا والمُعَدّ لذلك ونحوه فى المطمح والخطب سهل ثم انقطع القول بالقالىّ فوقف ساكتا مفكّرا فى كلام يدخل به الى ذكر ما أُريد منه، وقال فى المطمح ان ابا على القالى انقطع، وبهت فما *c* وصل الّا قطع،، ووقف ساكتا مفكّرا، وتشوّف لا ناسيا ولا متذكّرا،، فلما راى ذلك منذر بن سعيد وكان ممن حضر فى زمرة الفقهاء قام من ذاته، بدرجة من مرقاته،، فوصل افتتاح ابى على *لاول خطبته *d* بكلام عجيب، ونادى من الاحسان فى ذلك المقام كلَّ مجيب،، فقال *e* يسحّه سحًّا كانّما كان يحفظه قبل ذلك بمدّة وبدأ من المكان الذى انتهى اليه ابو على البغدادى فقال امّا بعد *حمد الله والثناء عليه

---

a) Les man. portent ورومانين. *b*) Peut-être الكشكيانى ou الكشكينانى ; voyez le *Lobb-al-lobāb*. *c*) Les man. d'al-M. portent وما. *d*) Les man. du *Maṭmaḥ* omettent ces mots et ajoutent البغدادى. *e*) Ce mot manque dans les man. d'al-Makkarī.

والتعداد لآلائه، والشكر لنعمائه، والصلاة على *محمد صفيّه وخاتم انبيائه*a، فان لكل
حادثة مقاما ولكل مقام مقال، وليس بعد الحق الا الضلال، وانى قد قُمْتُ فى مقام
كريم، بين يدى ملك عظيم، فأَصْغُوا الىّ معشرَ الملأ باسماعكم، *والقنوا عنّى b
بافئدتكم، ان من الحق ان يقال للمُحقّ صدقتَ، وللمُبْطل كذبتَ، وان الجليل
تعالى فى سمائه، *وتقدّس بصفاته واسمائه، c امر كليمه موسى صلى الله تع وعلى نبيّنا
وعليه وعلى جميع انبيائه، ان يذكّر قومه بايام d الله عز وجل عندهم *وفيه وفى
رسول الله محمد صلّعم اسوة حسنة e * وانّى اذكّركم بايام الله عندكم f، وتلافيه
لكم بخلافة امير المومنين التى *لَمّتْ شَعَثكم g، وآمنت سرْبكم، ورفعت خوفكم h،
*بعد ان كنتم i قليلا فكثّركم، ومستضعفين فقوّاكم، ومستذلّين فنصركم، ولّاه الله
رعايتكم، واسند اليه امامتكم، ايامَ ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق، واحاطت
بكم شُعُل النفاق، حتى صرْتم فى مثل حدقة البعير، من ضيق الحال ونكد العيش
والتغيير، فاستبدلتم بخلافته من الشدّة بالرجاء، وانتقلتم بيُمْن سياسته الى j
كنف العافية بعد استيطان البلاء، أَنْشُدُكم k الله يا معشرَ الملأ الم تكن الدماء
مسفوكةً فحقنها، والسُبُلُ مخوفةً فآمنها، والاموالُ منتهبةً فاحرزها وحصّنها، الم تكن
البلاد خرابا فعمّرها، وثغورُ l المسلمين مهتضمةً فحماها ونصرها، فاذكروا آلاء الله عليكم
بخلافته، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته، حتى اذهب الله عنكم غيظكم،
وشفى صدوركم، وصرتم يدًا على عدوّكم m، بعد ان كان باسكم بينكم، ناشدتُكم
الله الم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها، الم يتلافَ صلاح الامور بنفسه
بعد اضطراب احوالها، ولم يَكِلْ ذلك الى القُوّاد والاجناد، حتى باشَرَكم n بالمهجة
والاولاد، واعتزل النسوان، وهجر الاوطان، ورفض الدعة وهى محبوبة، وترك الركون

---

a) On ne trouve pas ces mots dans les man. du *Mat.* *b*) C'est ainsi qu'on lit dans le man. L. du *Mat.*; P. وامنوا على; al-Makk. G. P. والغفوا, S. L. والقنوا, La. O. واتقنوا. *c*) *Al-Mat.* P. وتصدق بصفاته, L. وتفرد ببقائه. *d*) *Al-Mat.* L. P. بنعم. Voyez le *Korān*, sour. 14, vs. 5. *e*) Ces mots manquent dans les man. du *Mat.* *f*) *Al-Mat.* L. P. وانا اذكركم نعم (L. نعمة) الله تع عليكم. *g*) Ces mots ne se trouvent pas dans les man. du *Mat.*; la copulative و ne s'y trouve pas non plus. *h*) Al-Makk. L. فرقكم, G. S. فوقكم, La. O. قوتكم. *i*) *Al-Mat.* وكنتم. *j*) Les man. d'Al-Makk. ajoutent تمهيد. *k*) *Al-Mat.* ناشدتكم. *l*) *Al-Mat.* L. وحصون. *m*) Tout ce qui suit ici, jusqu'aux mots وهى مطلوبة, manque dans les deux man. du *Mat.* *n*) La. O. بالقوة والمهجة.

الى الراحة وهى مطلوبة،، بطويّة صحيحة a، *وعزيمة صريحة b،، وبصيرة *نافذة ثاقبة c، وريح هابّة غالبة، ونصرة من الله واقعة واجبة،، وسلطان d قاهر، وجَدّ ظاهر e،، وسيف منصور، تحت عدل مشهور،، متحمّلا للنَصَب، مستقلّا لما ناله فى جانب الله من التَعَب،، حتى لانت الاحوالُ بعد شدّتها، وانكسرت شوكةُ الفتنة عند حِدّتها،، ولم يبقَ لها غاربٌ الا جبّه، ولا نجم لاهلها قرنٌ الا جذّه f،، فاصبحتم بنعمة الله اخوانا، وبلَمّ امير المومنين لشَعَثكم على اعدائه اعوانا،، *حتى تواترت لديكم الفتوحات، وفتح الله عليكم بخلافته ابواب البركات g،، وصارت وفودُ الروم وافدةً عليه h وعليكم، وآمالُ الاقصين والادنين مستخدَمة i اليه واليكم،، ياتون من كل فجّ عميق، وبلد سحيق،، لاخذ حبل *منه ومنكم j جملةً وتفصيلا، ليقضى الله امرا كان مفعولا،، ولن يُخْلِفَ الله وعدَه، ولهذا الامر ما بعده،، وتلك اسباب ظاهرة بادية k، تدلّ على امور باطنة خافية،، دليلها قائم، *وجفنها غير نائم l،، وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهم فى الارض كما استخلَف الذين من قبلهم الآيةَ m وليس فى تصديق ما وعد الله ارتياب، ولكل نبأ مستقَرٌّ ولكل اجل كتاب،، فاحمدوا الله ايّها الناس على آلائه، واسْأَلوه المزيد من نعمائه،، فقد اصبحتم بيُمْن n خلافة امير المومنين ايّده الله بالعصمة والسَدَاد، وأَلْهَمَه بخالص o التوفيق الى سبيل الرشاد p،، احسَنَ الناس، حالا وانعَمَهم بالا،، واعزّهم قرارا، وامنَعَهم دارا،، واكثَفَهم جمعا، واجمَلَهم صُنْعا،، لا تهاجون ولا تذادون، وانتم بحمد الله على اعدائكم ظاهرون،، فاستعينوا على صلاح احوالكم، بالمناصحة لامامكم، والتزام الطاعة لخليفتكم، وابن عمّ نبيّكم،، صلّعم فان

a) *Al-Mat.* خالصة. b) Ces mots ne se trouvent pas dans les man. du *Mat.* c) *Al-Mat.* L. ثابتة نافذة , P. ثابتة وافرة ; al-Makk. La. ثابتة ثاقبة نافذة , O. ثابتة نافذة ثاقبة. d) Ce qui suit ici, jusqu'aux mots على اعدائنا اعوانا , manque dans les man. du *Mat.* e) La. O. ظافر. f) G. L. S. جدّه , La. جزه. g) *Al-Mat.* L. P. فقد فتح الله تع عليكم اسباب الفتوحات عليكم (L. + به) وتواترت ابواب البركات. h) Les mots عليه و manquent dans le *Mat.* i) Le mot مستخدمة ne se trouve pas dans les deux man. du *Mat.*, et les mots اليه و manquent dans P. j) J'ai suivi ici le man. L. du *Mat.*; P. et les man. d'al-Makk. portent بينه وبينكم. On ne trouve pas les mots جملة وتفصيلا dans le *Mat.* k) Ce mot manque dans les man. du *Mat.*, de même que le mot خافية dans la phrase suivante. l) *Al-Mat.* وعينها عانم. m) *Al-Korān*, sour. 24, vs. 54. n) *Al-Mat.* L. بمن , P. al-Makk. La. O. ببين. o) *Al-Mat.* L. بخاطر. p) Ce qui suit ici, jusqu'au mot ظاهرون, ne se trouve pas dans les man. du *Mat.*

مَنْ نزع يدًا a من الطاعة، وسعى فى تفريق الجماعة،، ومرق من الدين، فقد خَسِرَ الدنيا والآخرةَ ذلك هو الخُسْران المُبين b،، وقد علمتم ان التعلّق بعصمتها، والتمسّك بعُرْوتها،، حفظُ الاموال وحقنُ الدماء، وصلاح الخاصّة والدَهْماء،، وان بقوام الطاعة تُقام الحدود، وتُوفَى العهود،، وبها وصلت الارحام، ووضحت الاحكام،، وبها سدَّ الله الخَلَل، وآمن السُبُل،، ووطّأ الاكناف، ورفع الاختلاف،، وبها طاب لكم القرار، واطمأنّت بكم الدار،، فاعتصموا بما امركم الله بالاعتصام به فانه تبارك وتعالى يقول أَطيعوا الله واطيعوا الرسول وأُولى الامر منكم الآيةَ c وقد علمتم ما احاط بكم d فى جزيرتكم هذه من ضروب المشركين، وصنوف الملحدين،، الساعين فى شقّ عصاكم، وتفريق ملاكم e،، * الآخذين فى مخاذلة دينكم f، وهتك حرمتكم g، وتوهين دعوة نبيّكم،، صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيّين والمُرْسَلين، اقول قولى هذا واختم بالحمد لله ربّ العالمين، واستغفر الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين،، وساق ابن سعيد فى المُغرب هذه الحكاية فقال ما صورتُه منذر بن سعيد البلّوطى قاضى الجماعة بقرطبة خطيب مِصْقَع وله كُتُب مؤلّفة فى القرآن والسنّة والورع، والردّ على اهل الاهواء والبِدَع،، شاعر بليغ وُلد سنة ٢٦٥ h واول سببه فى التعلّق بعبد الرحمن الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم صاحب قسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفالَ الذى اشتهر ذكرُه احبَّ ان تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالة مقعده وتصف i ما تهيّأ له من توطيد الخلافة ورَمْى ملوك الامم بسهام باسه ونجدته وتقدّم الى الامير الحكم ابنه وولىّ عهده باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ويقدّمه امام انشاد الشعراء فتقدّم j الحكم الى ابى على البغدادى ضيف الخليفة وامير الكلام وبحر اللغة ان يقوم فقام فحمد الله واثنى عليه وصلّى على نبيّه محمد صلعم ثم انقطع، وبهت فما وصل الا k قطع،، ووقف ساكتا مفكّرا فلما راى ذلك منذر بن سعيد قام قائما بدرجة من مرقاة ابى على ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقولَ جزالةً، وملأ الاسماعَ جلالةً،، ثم ذكر الخطبة

---

a) *Al-Maḳ.* P. بيده. b) *Al-Korān*, sour. 22, vs. 11. Tout ce qui suit ici, jusqu'aux mots منكم الاية, manque dans les man. du *Maḳ.* c) *Al-Korān*, sour. 4, vs. 62. d) *Al-Maḳ.* L., al-Makk. La. به. e) *Al-Maḳ.* ملتكم. f) Cette phrase ne se trouve pas dans les man. du *Maḳ.* g) Al-Makk. La. O. حريمكم. Cette phrase manque également dans le man. L. du *Maḳ.* h) Lisez ٢٧٣. i) Les man. portent ويصف. j) Les man. portent فقدم. k) Les man. portent ولا.

كما سبق وقال بعد ايرادها ما صورته فصلّب العلج وغُلب على قلبه وقال هذا كبير القوم او كبش القوم وخرج الناس يتحدّثون عن حسن مقامه وثبات جَنانه، وبلاغة لسانه،، وكان الناصر اشدّهم تعجّبا منه واقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفته فسأله عنه فقال له هذا منذر بن سعيد البلّوطى فقال والله لقد احسن ما شاء ولئن اخّرنى الله بعدُ لارفعنّ من ذكره فضَعْ يدك يا حكم عليه واستخلصْه وذكّرْنى بشانه فما للصنيعة مذهب عنه ثم ولّاه الصلاةَ والخطابة فى المسجد الجامع بالزهراء ثم توفّى محمد بن عيسى القاضى فولّاه قضاء الجماعة بقرطبة واقرّه على الصلاة بالزهراء، ومن شعره فى هذه الواقعة قوله[a]

مقال كحدّ السيف وسط[b] المحافل ... فرقتُ به ما بين حقّ وباطل
بقلب ذكىّ ترتمى جنباتُه[c] ... كبارق رعد عند رقش الانامل
فما دحضتْ رجلى ولا زلّ مقْوَلى ... ولا طاش[d] عقلى يومَ تلك الزلازل[e]
وقد حدقتْ نحوى[f] عيونٌ اخالُها ... كمثل سهام أُثْبِتَتْ فى المقاتل
لخير امام كان او هو كائنٌ ... لمقتبل[g] او فى العصور الاوائل
ترى الناس افواجا يؤمّون بابه[h] ... وكلّهم ما بين راضٍ[i] وآمل
وفودُ ملوك الروم وسط فنائه ... مخافةَ باس او رجاءً لنائل
فعشْ سالما اقصى حياة معمَّرًا[j] ... فانت غياث كلّ حاف وناعل
ستملكها ما بين شرق ومغرب ... الى درب قسطنطين او ارض بابل

انتهى كلام ابن سعيد وهو يؤيّد كلام ابن خلدون ان المامور بالخطبة هو القالىّ، وذكر ان الناصر قال لابنه الحكم بعد ان سأله عنه لقد احسن ما شاء فلئن كان حبّر خطبته هذه واعدّها مخافةَ ان يدور ما دار فيتلافى الوهى فانه لبدمع[k] من قدرته واحتياطه ولئن كان اتى بها على البديهة لوقته فانه لَأعجبُ واغرب، قال ابن سعيد ولما فرغ منذر من خطبته انشد

---

a) La pièce suivante se trouve aussi dans le *Matmah*. b) La. O. بين. c) La. O. جمراته. d) *Al-Mat*. P. طار. e) *Al-Mat*. L. P. البلابل. f) J'ai substitué نحوى, que l'on trouve dans le *Mat*., à حولى, comme portent les man. d'al-Makk. g) Lisez لمستقبل (?). h) *Al-Mat*. L. P. داره. i) La. O. راج. j) C'est ainsi qu'on lit dans le *Mat*. Les man. d'al-Makk. portent مؤمل. k) Ce mot me paraît altéré. La. لبليغ.

هذا المقال a الذى ما عابه فَنَدُ لكنّ قائله b ازرى به البلدُ
لو كنتُ فيهم غريبا كنتُ مطّرفا لكنّنى منهم فاغتالنى النكدُ
ويروى بدلَ هذا الشطر ولا دهانى لهم بغىٌ ولا حسدُ
لولا الخلافة ابقى الله حرمتها c ما كنتُ ابقى بارض ما بها احدُ

انتهى قلتُ كانه عرّض بابى على القالىّ وتقديمهم اياه فى هذا المقام والله اعلم ٬ ومن نظم منذر بن سعيد قوله

الموت حوضٌ وكلّنا نَرِدُ لم يَنْجُ ممّا يخافه احدُ
فلا تكن مُغْرَما برزق غَدٍ فلستَ تدرى بما يجىء غَدُ
وخُذْ من الدهر ما اتاك به ويسلم الروح منك والجسدُ
والخير والشرّ لا تَدَعْه فما فى الناس الّا التشنيع والحسدُ

وله وقد آذاه شخص فخاطبه بالكنية فقيل له أَيوذيك وانت تخاطبه بالكنية فقال

لا تعجبوا منْ انّنى كَنّيْتُه من بعد ما قد سبّنا وأذانا
فالله قد كنّى ابا لَهَبٍ وما كنّاه الّا خزيةً وهوانا

وقال فى المطمح منذر بن سعيد البلّوطى آيةُ حركة * فى سكون d ٬ وبركة لم تكن معدّة ولا تكون ،، وآيةُ سفاهة فى تحلّم ٬ وجهامة ورع فى طىّ تبسّم ،، اذا جدّ ٬ تجرّد e ،، واذا هزل ٬ نزل ،، وفى كلتا الحالتين لم ينزل للورع عن f مرقب ٬ ولا اكتسب اثما ولا احتقب ،، ولى قضاء الجماعة بقرطبة ايامَ عبد الرحمن وناهيك من عدل اظهر ٬ ومن فضل اشهر ،، ومن جور قبض ٬ ومن حقّ رفع ومن باطل خفض ،، وكان مهيبا صليبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله فى استخراج حقّ ورفع ظلم واستمرّ فى القضاء الى ان مات الناصر لدين الله ثم ولى ابنه الحكم فاقرّه وفى خلافته توفّى بعد ان استعفى مرارًا فما أُعْفِىَ لم * تُحفظ عليه g مدّةَ ولايته قضيّة جور ولا عدتْ عليه فى حكومته زلّة وكان غزير العلم كثير الادب متكلّما بالحقّ ٬ متّسما h بالصدق ،، له كُتُب مؤلّفة فى السنّة والورع ٬ والردّ على اهل الاهواء والبِدَع ،،

---

a) C'est ainsi qu'on lit dans al-Homaidī; les man. d'al-Makk. portent المقام. b) Al-Hom. صاحبه. c) Al-Hom. بهجتها. d) Les man. d'al-Makk. portent وسكون. e) Telle est la leçon du man. P. du *Mat.*; le man. L. porte اقحل (= قاحل ?). Al-Makk. وجد. f) Al-Makk. من. g) Al-Makk. يحفظ عنه. h) *Al-Mat.* P., al-Makk. متبينا.

وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا وُلد * سنة ٢٧٣ (a) عند ولاية المنذر بن محمد وتوفّى (b) سنة ٣٥٥ ومن شعره فى الزهد قوله

كم تَصابَى وقد علاك المشيبُ   وتَعامَى عمدًا وانت اللبيبُ (c)
كيف تلهو وقد اتاك نذير   * ان سياتى الحِمامُ (d) منك قريبُ
يا سفيهًا (e) قد حان منه رحيلٌ   بعد ذاك الرحيل يومٌ عصيبُ
ان للموت سكرةً فارتقِبْها   لا * يداويك ان اتتْك (f) طبيبُ
كم تَواتَى (g) حتى تصير رهينا   ثم تاتيك دعوةٌ فتجيبُ
بامور المعاد انت عليم   فاعملَنْ جاهدًا * لها يا اريبُ (h)
وتذكَّرْ يوما تُحاسَب فيه   ان مَنْ يدّكِرْ فسوف ينيبُ
ليس من ساعة من الدهر الّا   للمنايا عليك فيها رقيبُ (i)

ولعلّنا نذكر شيئًا من احوال منذر فى غير هذا الموضع ، رجع لاخبار الناصر لدين الله ، حكى انه لما اعذر لاولاد ابنه ابى مروان عبيد الله اتّخذ لذلك صنيعا عظيما بقصر الزهراء لم يتخلّفْ احد عنه من اهل مملكته وامر ان يُنْذَر لشهوده الفقهاء المشاورون ومن يليهم من العلماء والعدول ووجوه الناس فتخلّف من بينهم المشاور ابو ابرهيم وافتُقد مكانه لارتفاع منزلته فساء فى ذلك الخليفةَ الناصر اذ ابو ابرهيم من اكابر علماء المالكيّة الذين عليهم المدار ووجد الناصر بسبب ذلك على ابى ابرهيم وامر ابنه ولىّ العهد الحكم بالكتاب اليه والتفنيد له فكتب اليه الحكم رقعةً نسختُها ، بسم الله الرحمن الرحيم حفظك الله وتولّاك ، وسدّدك ورعاك ،، لما امتحن امير المومنين مولاى وسيّدى ابقاه الله الاولياء الذين يستعدّ بهم وجدك متقدّما فى الولاية متأخّرا عن الصلة على انه قد انذرك ابقاه الله خصوصًا للمشاركة فى السرور الذى كان عنده لا اعدَمَه الله تَوالِىَ المسرّة ثم أُنذرتَ من قبلُ اِبْلاغًا فى التكرمة فكان منك

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makk. b) Les man. du *Mat.* ajoutent يوم الخميس للليلتين بقيتا من ذى القعدة. c) *Al-Mat.* L. لبيب. d) *Al-Mat.* L. وشهاب الحمام. e) *Al-Mat.* L. مقيما. f) Telle est la leçon des deux man. du *Mat.*; al-Makk. G. P. تداوى, S. L. ان اتاك, La. O. تداوى وان اتاك, تداوى اذا اتتك. g) *Al-Mat.* L. تلوى, P. تنوّى. h) Les man. d'al-Makk. portent له يا ربيب. i) Le man. L. du *Mat.* ajoute ce vers:

كلَّ يوم ترميك (يرميك .l) منها بسهم   ان تخطّا يوما فسدفا (فسوف .l) يُصيبُ ✿

على ذلك كله من التخلّف ما ضاقت عليك فيه المعذرةُ واستبلغ امير المومنين فى انكاره ومُعاتَبتك عليه فأَعْيَتْ عليك عنك الحُجّة فعرّفْنى اكرمك الله ما العذر الذى اوجب توقُّفك عن اجابة دعوته ومشاهدة السرور الذى سُرَّ به ورغب المشاركة فيه لنعرّفه ابقاه الله بذلك فتسكن نفسه العزيزة اليه ان شاء الله تعّ، فاجابه ابو ابرهيم سلام على الامير سيّدى ورحمة الله قرأتُ ابقى الله الامير سيّدى هذا الكتاب وفهمتُه ولم يكن توقُّفى لنفسى انما كان لامير المومنين سيّدنا ابقاه الله ولسلطانه لعلمى بمذهبه وسكونى الى تقواه واقتفائه a لاثر سلفه الطيّب رضوان الله عليهم فانهم يستبقون من هذه الطبقة بقيّة لا يمتهنونها بما يشينها ولا بما يغضّ منها ويطرّق الى تنقّصها b يستعدّون * بها لدينهم c ويتزيّنون بها d عند رعاياهم ومن يَفِدُ عليهم من قُصّادهم فلهذا تخلّفْتُ، ولعلمى بمذهبه توقّفْتُ، ان شاء الله، فلما اقرأَ الحكم اباه الناصر لدين الله جوابَ ابى ابرهيم اسحق اعجبه واستحسن اعتذاره وزال ما بنفسه عليه وكان الفقيه ابو ابرهيم المذكور معظّما عند الناصر وابنه الحكم وحُقّ لهما ان يعظّماه، وقد حكى الفقيه ابو القاسم بن مفرج قال كنتُ أَختلف الى الفقيه ابى ابرهيم رحّه فيمن يختلف اليه للتفقّه والرواية فانى لعنده فى بعض الايام فى مجلسه بالمسجد المنسوب لابى عثمن الذى كان يصلّى به قربَ داره بجوفىّ قصر قرطبة ومجلسه حافل بجماعة الطَلَبة وذلك بين الصلاتين اذ دخل عليه خصىٌّ من اصحاب الرسائل جاء من عند الخليفة الحكم فوقف وسلّم وقال له يا فقيه أَجِبْ امير المومنين ابقاه الله فان الامر خرج فيك وها هو قاعد ينتظرك وقد أُمرتُ باعجالك فقال له سمعا وطاعةً لامير المومنين ولا عجلة فارجعْ اليه وفّقه الله وعرّفه عنّى انك وجدتَنى فى بيت من بيوت الله تعّ معى طُلّاب العلم أُسمعهم حديث ابن عمّه رسول الله صلّعم فهم يقيّدونه عنّى وليس يمكننى e تركُ ما انا فيه حتى يتمّ المجلس المعهود لهم فى رضى الله وطاعته فذلك اوكدُ من مسيرى اليه الساعةَ فاذا انقضى امرُ من اجتمع الىَّ من هؤلاء المحتسبين فى ذات الله الساعين لمرضاته مشيتُ اليه ان شاء الله ثم اقبل على شانه ومضى الخصىُّ يُهَيْنِم متضاجرًا من توقّفه فلم يك الا ريثما ادّى جوابه وانصرف سريعا ساكن الطيش فقال له يا فقيه انهيتُ قولك على نصّه الى

a) G. L. S. وافتقاره. b) La. O. تنقيصها. c) G. L. P. بما لديهم. d) G. L. بما.
e) La. يسعنى.

امير المومنين ابقاه الله فاصغى اليه وهو يقول لك جزاك الله خيرا عن الدين وعن امير المومنين وجماعة المسلمين وامتعهم بك واذا انت اوعبتَ فانهض اليه راشدًا ان شاء الله فقد أُمِرتُ ان ابقى معك حتى ينقضى شغلك وتمضى معى فقال له حسن جميل ولكنّى اضعف عن المشى الى باب السدّة ويصعب علىَّ ركوب دابّة لشيخوختى وضعف اعضاءى وباب الصناعة الذى يقرب الىّ من ابواب القصر المكرم احوطُ وارفَقُ بى فان راى امير المومنين ايّده الله ان يامر بفتحه لادخل عليه منه هوّن علىّ المشى وودع جسمى واحبُّ ان تعود فتُنْهى اليه ذلك عنّى حتى تعرف رايه فيه وكذلك تعود الىَّ فانّى اراك فتى سديدا فكُنْ على الخير مُعِينا ومضى عنه الفتى ثم رجع بعد حين وقال يا فقيه قد اجابك امير المومنين الى ما سألتَ وامر بفتح باب الصناعة وانتظارك من قِبَله ومنه خرجتُ اليك وأُمِرتُ بملازمتك مذكّرا بالنهوض عند فراغك وقال افعلْ راشدا وجلس الخصىُّ جانبًا حتى اكمل ابو ابرهيم مجلسه كافسح ما جرتْ به عادتُه غير منزعج ولا قلق فلما انفضضنا عنه قام الى داره فاصلح من شانه ثم مشى الى الخليفة الحكم فوصل اليه من ذلك الباب وقضى حاجته من لقائه ثم صرفه على ذلك الباب فأُعيد اغلاقه على اثر خروجه قال ابن مفرج ولقد تعمّدْنا فى تلك العشيّة اثرَ قيامنا عن الشيخ ابى ابرهيم المرورَ بهذا الباب المعهود اغلاقُه بدُبْر[a] القصر لنرى[b] تجشُّم الخليفة له فوجدناه كما وصف الخصىُّ مفتوحا قد حفّه الخدم والاعوان منزعجين ما بين كنّاس وفرّاش متأهّبين لانتظار ابى ابرهيم فاشتدّ عجبُنا لذلك وطال تحدُّثنا عنه انتهى فهكذا تكون العلماء مع الملوك والملوك معهم قدّس الله تلك الارواح، ثم توفّى الناصر لدين الله ثانى او ثالث شهر رمضان من عام ٣٥٠ اعظم ما كان سلطانه واعزّ ما كان الاسلام بملكه، قال ابن خلدون[c] خلّف الناصر فى بيوت الاموال ٥ آلاف الف الف ثلاث مرّات وقال غير واحد انه كان يقسم الجباية اثلاثًا ثُلْث للجند وثلث للبناء وثلث مدّخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى ٥ آلاف الف واربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلص ٧٠٠ الف وخمسة وستين الف دينار واما اخماس الغنائم فلا يحصيها ديوان، وحكى انه وُجد بخطّ الناصر رحمه ايام السرور التى صَفَتْ له دون تكدير يومُ كذا من شهر

a) Les man portent بدير. b) S. لنزى, G. L. ارى, La. O. الذى. c) La. O. حيان.

كذا من سنة كذا ويومُ كذا من كذا وعُدّت تلك الايام فكانت ١٤ يوما فاعجَبْ ايّها العاقل لهذه الدنيا وعدم صفائها، وبخلها بكمال الاحوال لاوليائها،، هذا الخليفة الناصر حلفُ السعود، المضروب به المثلُ فى الارتقاء[a] فى الدنيا والصعود،، ملكها ٥٠ سنة وستة او ٧ اشهر وثلثة ايام ولم تصفُ له الا ١٤ يوما فسبحان ذى العزّة القائمة، والمملكة الدائمة،، لا اله الا هو، ومما ينسب للناصر من الشعر وقيل لابنه الحكم قوله

ما كل شىء فقدتُّ الّا عوّضنى الله منه شيأ انّى اذا ما منعتُ خيرى
تباعد الخير من يديّا من كان لى نعمةٌ عليه فانها نعمةٌ عليّا

ومما زيّن الله به دولة الناصر وزراؤه الذين من جملتهم ابن شُهَيْد قال فى المطمح[b] احمد ابن عبد الملك بن عمر بن شهيد مفخر الامامة، وزهر تلك الكمامة،، وحاجب الناصر عبد الرحمن، وحامل الوزارتين على سموّهما فى ذلك الزمان،، استقلّ بالوزارة على ثقلها، وتصرّف فيها كيف شاء على حدّ نظرها والتفات مُقلها،، فظهر على اولئك الوزرا، واشتهر مع كثرة النظرا،، وكانت امارةُ عبد الرحمن اسعدَ امارة، بعد عنها كل نفس بالسوء أمّارة،، فلم يطرقْها صرف، ولم يرمقْها بمحذور طرف،، ففرع الناس فيها هضابَ الامانى ورُبَاها، ورتعت ظباؤها فى ظلال ظُبَاها،، وهو اسد على براثنه رابض، ويَدُه ابدًا على قائم سيفه قابض،، يروع الروم طيفُه، ويجوس خلالَ تلك الديار حيفُه[c]، ويروى * من نجيعهم[d] كلّ آونة سيفُه،، وابن شهيد ينتج الآراء ويلقحها، وينتقد[e] تلك الانحاء وينقحها،، والدولة مشتملة بغنائه، متجمّلة بسنائه،، وكرمه منتشر على الآمال، ويكسو الاولياء بذلك الاجمال،، وكان له ادب تزخر[f] لُجَاجُه، وتبهر حُجَاجُه،، وشعره رقيق لا يُنْقَد، ويكاد من اللطافة يُعْقَد،، فمن ذلك قوله

ترى البدر منها طالعًا فكأنّما يجول وشاحاها على لولو رطبِ
بعيدةُ مَهْوَى القرط مُخْطَفة الحشى ومُفْعَمة الخلخال مفعمة القلب
من اللاى لم يرحلنَ فوق رواحل ولا سِرْنَ يوما فى ركاب ولا ركب
ولا ابرزتْهنّ المُدام لنشوة وشَدْو كما تشدو القيانُ على الشرب

وكانت بينه وبين الوزير عبد الملك بن جهور متولّى الامر معه ومشاركه فى التدبير

---

a) S. الارتفاع. *b*) Cet article sur Ibn-Chohaid ne se trouve pas dans le man. L. du *Mat.* *c*) Les man. portent خيفه. *d*) Les man. d'al-Makk. portent بل يحسم. *e*) Al-Makk. G. وتنقد, L. O. وينقد, S. La. وينفذ. *f*) Les man. d'al-Makk. portent تزهر.

اذا حضر مجتمعَه a مُنافسةٌ ، لم تنفصل لهما بها مداخلة ولا ملابسة ،، وكلاهما يتربّص بصاحبه دائرةَ السوء ، ويغصّ به غَصَصَ الافق بالنوء ،، فاجتاز يوما على b ربضه ، ومال الى زيارته ولم يكن من غرضه ،، فلما استاذن c عليه ، تأخّر خروج الآذن اليه ،، فثنى عنانه حنقًا من حجابه ، وضجرًا من d حُجّابه e ،، وكتب اليه معرّضا وكان يلقّب بالحمار

اتيناك لا عن حاجة عرضتْ لنا   اليك ولا قلب اليك مشوقِ

* ولكنّنا زُرْنا بضعف عقولنا   حمارًا تولّى برّنا بعقوقِ f

فراجعه ابن جهور يغصّ منه ، بما كان يشيع عنه ،، بان جدّه ابا هشام ، كان بيطارا بالشام ،، بقوله

حجبناك لما زُرْتَنا غيرَ تائق   بقلب عدوّ فى ثياب صديق

وما كان بيطار الشآم بموضع g   يباشر فيه برّنا بخليق

ومن قوله يتغزّل   حلفتُ بمن رمى فاصاب قلبى   وقلّبه على جمر الصدود

لقد أَوْدى تذكُّرُه بجسمى h   ولستُ اشكّ ان النفس تُودى

فقيدٌ وهو موجود بقلبى   فوا عجبا لموجود فقيد

انتهى وقد تقدّم الكلام على هديّة ابن شهيد وبعض اخباره ،، ولما توفى الناصر لدين الله تولى الخلافة بعده ولى عهده الحكم المستنصر بالله فجرى على رسمه ولم يُفْقَد من ترتيبه الا شخصُه وولى حجابتَه جعفر الصقلبى واهدى له يومَ ولايته هديّةً كان فيها من الاصناف ما ذكره ابن حيان فى المقتبس وهى مائة مملوك من الافرنج ناشئة على خيول صافنة كاملو الشكّة والاسلحة من السيوف والدرق والتراس والقلانس الهنديّة وثلثمائة ونيف وعشرون درعا مختلفة الاجناس وثلثمائة خُوذة كذلك ومائة بيضة هنديّة وخمسون خوذة i خشبيّة من بيضات الفرنجة من غير j الخشب يسمّونها الطشطانة k وثلثمائة حربة افرنجية ومائة ترس سلطانية وعشرة جواشن فضّة

a) *Al-Mat.* P. موضعه. b) Les man. portent الى. c) *Al-Mat.* P. استمر, al-Makk. استامر. d) *Al-Mat.* P. على, al-Makk. G. S. L. P. عن. e) Al-Makk. S. La. O. P. احجابه, G. L. اصحابه. f) J'ai suivi ici al-Homaidī et Ibn-al-Abbār. Chez Ibn-Khākān et al-Makkarī ce vers se lit ainsi : ولكننا زرنا بفضل حلومنا   فكيف تلاقى برنا بعقوق. g) Al-Homaidī لموضع. h) C'est ainsi qu'on lit chez al-Hom. ; *al-Mat.* P. بمثلى, al-Makk. بقلبى. i) Les man. d'al-Makk. portent هندية. j) Ce mot me paraît altéré. k) Le mot طشطانة ou طشتانية, comme on le trouve écrit dans les man. d'Ibn-Khaldoun, me semble ap-

مذهّبة وخمسة وعشرون قرنا مذهّبة من قرون الجاموس انتهى، قال ابن خلدون ولاول وفاة الناصر طمع الجلالقة فى الثغور فغزا الحكم المستنصر بنفسه واقتحم بلاد فردلند بن غندشلب فنازل شنت اشتبن*a* وفتحها عنوةً واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم وانقبضوا عمّا كانوا فيه، ثم اغزى غالبًا مولاه بلادَ جليقية وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب فجمع له الجلالقة ولقيهم فهزمهم واستباحهم واوطأ العساكر بلدَ فردلند ودوّخها وكان شانجه بن ردمير ملك البشكنش.قد انتقض فاغزاه الحكم التُجيبيَّ صاحب سرقسطة فى العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقُورية وعاث فى نواحيها وقفل، ثم اغزى الحكم احمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبى الى بلاد برشلونة فعاثت العساكر فى نواحيها واغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالبًا الى بلاد القومس فعاثا فيها وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقُوّاد الثغور فى كل ناحية وكان من اعظمها فتح قَلَهرّة من بلاد البشكنش على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قُطوبية على يد قائد وَشْقة وغنم فيها*b* من الاموال والسلاح والاقوات والاثاث وفى بسيطها من الغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبى ما لا يحصى، وفى سنة ٣٥٤ سار غالب الى بلد أَلَبَة ومعه يحيى بن محمد التجيبى وقاسم بن مطرّف بن ذى النون فابتنى حصن غُرْماج ودوّخ بلادهم وانصرف، وظهرت فى هذه السنة مراكب المجوس فى البحر الكبير وافسدوا بسائط اشبونة وناشَبهم الناسُ القتالَ فرجعوا الى مراكبهم واخرج الحكم القوّاد لاحتراس السواحل وامر قائد البحر عبد الرحمن بن*c* رُماحِس بتعجيل حركة الاسطول ثم وردت الاخبار بان العساكر نالت منهم فى كل جهة من السواحل، ثم كانت وفادة اردون بن ادفونش ملك الجلالقة وذلك ان الناصر لما اعان عليه شانجه بن ردمير وهو ابن عمّه وهو المملّك من قبل اردون وحمل النصرانيةَ على طاعته واستظهر اردون بصهره فردلند قومس قشتيلية توقّع مظاهرة الحكم لشانجه كما ظاهَرَه ابوه الناصر فبادر الى الوفادة على الحكم مستجيرا به فاحتفل لقدومه وعبّى المواكب ليوم وفادته وكان يوما مشهودا وصفه ابن حيان كما وصف

---

partenir à la langue provençale, et être dérivé de *testa*, tête. Cependant je dois avertir le lecteur qu'on le chercherait en vain dans les dictionnaires romans.

a) Les man. portent اشتبين. *b*) Les man. portent فيه, et un peu plus loin بسيطه.
c) Ce mot manque dans les man. d'al-Makkarī.

أيام الوفادات قبله ووصل الى الحكم واجلسه ووعده بالنصر من عدوّه وخلع عليه وكتب بوصوله مُلْقيًا بنفسه وعاقده على موالاة الاسلام ومقاطعة فردلند القومس واعطى على ذلك صفقةَ يمينه ورهن ولده غرسية ودُفعت الصلات والحُمْلان له ولاصحابه وانصرف معه وجوهُ نصارى الذمّة ليوطّدوا له الطاعة عند رعيّته ويقبضوا رهنه، وعند ذلك بعث ابن عمّه شانجه بن ردمير ببيعته وطاعته مع قواميس اهل جليقية وسَمُّورة واساقفتهم يرغب فى قبوله ويَمُتُّ بما فعل ابوه الناصر معه فتقبّل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والابراج القريبة من ثغور المسلمين، ثم بعث ملكًا برشلونة وطرّكونة وغيرهما يسألان تجديد الصلح واقرارهما على ما كانا عليه وبعثا بهديّة وهى ٢٠ صبيًّا من الخصيان الصقالبة وعشرون قنطارا من صوف السمور وخمسة قناطير من القصدير وعشر ادراع صقلبيّة ومائتا سيف فرنجيّة فتقبّل الهديّة وعقد لهم [a] على ان يهدموا الحصون التى تضرّ بالثغور وألّا يظاهروا عليه اهلَ ملّتهم وان ينذروا بما يكون من النصارى فى الاجْلاب على المسلمين، ثم وصلت رسلُ غرسية بن شانجه ملك البشكنش فى جماعة من الاساقفة والقواميس يسألون الصلح بعد ان كان توقّف واظهر المكر فعقد لهم الحكم فاغتبطوا ورجعوا، ووفدت على الحكم امّ لذريق بن بلاشك القومس بالغرب من جليقية وهو القومس الاكبر فاخرج الحكم لتلقّيها اهلَ دولته واحتفل لقدومها فى يوم مشهود فوصلت وأُسعفت وعقد السلم لابنها كما رغبت ودُفع لها مال تقسمه بين وفدها دون ما وُصلت به هى وحُملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقّلَيْن بالذهب وملحفة ديباج ثم عاودت مجلس الحكم للوداع فعاودها بالصلات لسفرها وانطلقت، ثم اوطأ عساكره ارض العدوة من المغرب الاقصى والاوسط وتلقّى دعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة فبثّوها فى اعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد [b] عليه ملوكهم من آل خزر وبنى ابى العافية فاجزل صلتهم واكرم وفادتهم واحسن منصرفهم واستنزل بنى ادريس من ملكهم بالعدوة فى ناحية الريف واجازهم البحر الى قرطبة ثم جلاهم الى الاسكندرية، وكان محبًّا للعلوم مكرما لاهلها جمّاعةً [c] للكُتُب فى انواعها بما لم يجمعه احد من الملوك قبله قال ابو محمد بن حزم اخبرنى تليد الخصىّ وكان على خزانة العلوم والكتب بدار

a) J'ai ajouté ce mot d'après les man. d'Ibn-Khaldoun. b) Les man. d'al-M. portent عليه من بنى حزر. c) Ibn-Khald. L. et le man. O. d'al-Makk. جامعا.

بنى مروان ان عدد الفهارس التى فيها تسميةُ الكتب ٤٤ فهرسة وفى كل فهرسة ٢٠ ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين لا غيرُ فاقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جُلبت اليها بضائعه من كل قطر ووفد على ابيه ابو على القالىّ صاحب كتاب الامالى من بغداد فاكرم مثواه وحسنت منزلته عنده واورث اهل الاندلس علمه واختصّ بالحكم المستنصر واستفاد علمه وكان يبعث فى الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ويسرى a اليهم الاموال لشرائها حتى جُلب منها الى الاندلس ما لم يعهدوه وبعث فى كتاب الاغانى الى مصنّفه ابى الفرج الاصبهانى وكان نسبُه فى بنى اميّة وارسل اليه فيه بالف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يُخرجه بالعراق وكذلك فعل مع القاضى ابى بكر الأَبْهَرى المالكى فى شرحه لمختصَر ابن عبد الحكم وامثال ذلك وجمع بداره الحُذّاق فى صناعة النسخ والمَهَرَة فى الضبط والاجادة فى التجليد فاوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده الا ما يُذكر عن الناصر العباسى ابن المستضىء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى ان بِيعَ اكثرها فى حصار البربر وامر باخراجها وبيعها الحاجبُ واضح من موالى المنصور بن ابى عامر ونُهب ما بقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم اياها عنوةً، انتهى كلام ابن خلدون ببعض اختصار ولْنبسط الكلام على الحكم فنقول ان الحكم المستنصر اعتلى سرير الملك ثانى يوم وفاة ابيه يوم الخميس وقام باعباء الملك اتمّ قيام وانفذ الكتب الى الآفاق بتمام الامر له ودعا الناس الى بيعته واستقبل من يومه النظرَ فى تمهيد سلطانه وتثقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب اجناده واول ما اخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الاكابر كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم وتكفّلوا باخذها على مَنْ وراءهم وتحت ايديهم من طبقتهم وغيرهم واوصل الى نفسه فى الليل b دون هؤلاء الاكابرَ من الكُتّاب والوصفاء والمقدّمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت بيعة اهل القصر تقدّم الى عظيم دولته جعفر بن عثمن بالنهوض الى c اخيه شقيقه ابى مروان عبيد الله المتخلّف بان يلزمه الحضورَ للبيعة دون معذرة وتقدّم الى موسى بن احمد بن جُدَيْر بالنهوض ايضا الى d ابى الاصبغ عبد العزيز شقيقه الثانى فمضى اليهما كل واحد منهما فى قطيع من الجند

a) Ibn-Kh. L. P. ويسرب. Peut-être doit-on lire ويسدى ou ويسلف. b) G. L. La. O. P. الميل. c) Les man. portent شى. d) O. على, G. L. S. La. عن.

واتيا بهما الى قصر مدينة الزهراء ونفذ غيرهما من وجوه الرجال فى الخيل لاتّيان غيرهما من الاخوة وكانوا يومئذ ثمانية فوافى جميعهم الزهراء فى الليل فنزلوا فى مراتبهم بفُصْلان دار الملك وقعدوا فى المجلسَيْن الشرقى والغربى وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى البهو الاوسط من الابهاء المذهّبة القبليّة التى فى السطح الممرّد فاول مَنْ وصل اليه الاخوة فبايعوه وانصتوا لصحيفة البيعة والتزموا الأَيْمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ثم بايع بعدهم الوزراء واولادهم واخوتُهم ثم اصحاب الشرطة وطبقات اهل الخدمة وقعد الاخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله الا عيسى بن فُطَيْس فانه كان قائما ياخذ البيعة على الناس وقام[a] الترتيب على الرسم فى مجالس الاحتفال المعروفة فاصطفّ فى المجلس الذى قعد فيه اكابرُ الفتيان يمينا وشمالا الى آخر البهو كل منهم على قدره فىْ المنزلة عليهم الظهائرُ البيض شِعارُ الحزن قد تقلّدوا فوقها السيوفَ ثم تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفَّيْن منتظمين فى السطح وفى الفُصْلان المتّصلة به ذوو الاسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض بايديهم السيوف يتّصل بهم مَنْ دونهم من طبقات الخصيان الصقالبة ثم تلاهم الرُماة متنكّبين قسيّهم وجعابَهم ثم وصلت صفوفَ هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوفُ العبيد الفحول شاكّين فى الاسلحة الرائقة والعدّة الكاملة وقامت التعبيةُ فى دار الجند والترتيب من رجّالة العبيد عليهم الجواشن والأَقْبِيَة البيض وعلى رؤسهم البيضات الصقيلة[b] وبايديهم التراس الملوّنة والاسلحة المزيّنة انتظموا صفَّيْن الى آخر الفُصُل وعلى باب السُدّة الاعظم البوّابون واعوانهم ومن خارج باب السدّة فرسان العبيد الى باب الاقباء واتّصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرُماة موكبًا اثرَ موكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء فلما تمّت البيعةُ أُذن للناس بالانفصاض الا الاخوة والوزراء واهل الخدمة فانهم مكثوا بقصر الزهراء الى ان احتمل جسد الناصر رحمه الى قصر قرطبة للدفن هنالك فى تربة الخلفاء، وفى ذى الحجّة من سنة ٥٠ تكاثرت الوفود بباب الخليفة الحكم من البلاد للبيعة والتماس المطالب من اهل طليطلة وغيرها من قواعد الاندلس واصقاعها فتوصّلوا الى مجلس الخليفة بمحضر جميع الوزراء والقاضى منذر بن سعيد والملأ فأُخذت عليهم البيعة ووقعت

a) G. L. واخذ. b) S. La. O. الصقلية.

الشهادات فى نُسَخها، وفى آخر صفر من سنة ٣٥١ اخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله مولَيَيْه *a* محمدا وزيادًا ابنَىْ افلح الناصرى بكتيبة من الحشم لتلقى غالب الناصرى صاحب مدينة سالم المُورِد للطاغية اردون بن ادفونش الخبيث فى الدولة المتملّك على طوائف من امم الجلالقة والمُنازع لابن عمّه المملّك قبله شانجه بن ردمير وتبرّع هذا اللعينُ اردون بالمسير الى باب المستنصر بالله من ذاته غيرَ طالب اذن ولا مستظهر بعهد وذلك عند ما بلغه اعتزامُ الحكم المستنصر بالله فى عامه ذلك على الغزو اليه وأَخْذُه فى التأهّب له فاحتال فى تاميل المستنصر بالله والارتماء اليه وخرج قبل امان يُعْقَد له او ذمّة تعصمه فى ٢٠ رجلا من وجوه اصحابه تكنّفهم غالب الناصرى الذى خرجوا اليه فجاء به نحو مولاه الحكم وتلقّاهم ابنا افلح بالجيش المذكور فانزلاهم ثم تحرّكا بهم ثانى يوم نزولهم الى قرطْبة فاخرج المستنصر بالله اليهم هشاما *b* المُصْحَفى فى جيش عظيم كامل التعبيَة وتقدّموا الى باب قرطبة فمرّوا بباب قصرها فلما انتهى اردون الى ما بين باب السدّة وباب الجنان سأل عن مكان رمس الناصر لدين الله فأُشير الى ما يوازى موضعه من داخل القصر فى الروضة فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ثم ردَّ قلنسوته الى راسه وامر المستنصر بالله بانزال اردون فى دار الناعورة وقد كان تقدّم فى فرشها بضروب الغطاء والوطاء وانتهى من ذلك الى الغاية وتوسّع له فى الكرامة ولاصحابه فاقام بها الخميسَ والجمعةَ فلما كان يوم السبت تقدّم المستنصر بالله باستدعاء اردون ومن معه بعد اقامة الترتيب وتعبِئة الجيوش والاحتفال فى ذلك من العدد والاسلحة والزينة وقعد المستنصر بالله على سرير الملك فى المجلس الشرقى من مجالس السطح وقعد الاخوة وبنوهم والوزراء ونظراؤهم جفّاء *c* فى المجلس فيهم القاضى منذر بن سعيد والحُكّام والفقهاء فاتى محمد بن القاسم بن طُمْلُس *d* بالملك اردون واصحابه وعالى لبوسه *e* ثوبٌ ديباجى رومى ابيض ويلبوال *f* من جنسه وفى لونه وعلى راسه قلنسوة رمية منظومة بجوهر وقد حقّته جماعة من وجوه نصارىْ الذمّة بالاندلس يونسونه ويبصّرونه فيهم وليد بن خيزران *g* قاضى النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طلَيْطلة وغيرهما فدخل

---

a) G. L. S. موليه , La. O. مولاه. *b*) Les man. portent هشام. *c*) G. S. O. حفا , La. ضفا. *d*) La. O. طميس. *e*) G. L. P. لباسه. *f*) La. وبلوان , O. وبلبيون. Ce mot m'est inconnu , mais il semble désigner *un manteau*.. *g*) S. خيزان , La. حيزون , O. خيرون.

بين صفّى الترتيب يقلب الطرف فى نظم الصفوف ويجيل الفكر فى كثرتها وتظاهُر اسلحتها ورائق حليتها فراعهم ما ابصروه وصلّبوا على وجوههم وتأمّلوا ناكسى رءوسهم غاضّين من اجفانهم قد سكرت ابصارُهم حتى وصلوا الى باب الاقباء اول باب قصر الزهراء فترجّل جميعُ من كان خرج الى لقائه وتقدّم الملك اردون وخاصّةُ قوامسه على دوابّهم حتى انتهوا الى باب السدّة فأَمر القوامس بالترجُّل هنالك والمشى على الاقدام فترجّلوا ودخل الملك اردون وحدَه راكبا مع محمد بن طملس *a* فانزل فى برطل *b* البهو الاوسط من الابهاء القبليّة التى بدار الجند على كرسىّ مرتفع مكسوّ الاوصال بالفضّة وفى هذا المكان بعينه نزل قبله عدوّهُ ومُناويه شانجه بن ردمير الوافد على الناصر لدين الله رحمه فقعد اردون على الكرسى وقعد اصحابه بين يديه وخرج الاذن لاردون الملك من المستنصر بالله بالدخول عليه فتقدّم يمشى واصحابه يتبعونه الى ان وصل الى السطح فلما قابَلَ المجلس الشرقى الذى فيه المستنصر بالله وقف وكشف راسه وخلع برنسه وبقى حاسرًا اعظامًا لما بان له من الدنوّ الى السرير واستُنهض فمضى بين الصفّيْن المرتّبين فى ساحة السطح الى ان قطع السطح وانتهى الى باب البهو فلما قابَلَ السرير خرّ ساجدا سُويعةً ثم استوى قائما ثم نهض *c* خطوات وعاد الى السجود ووالَى ذلك مرارًا الى ان قدم بين يدى الخليفة واهوى الى يده فناوله اياها وكرّ راجعا مقهقرا على عقبه الى وساد ديباج مثقّل بالذهب جُعل له هنالك ووُضع على قدر ١٠ اذرع من السرير فجلس عليه والبهر قد علاه وأُنهض خلفه من استدنى من قوامسه واتباعه فدنوا ممتثلين فى تكرير الخنوع *d* وناوَلَهم الخليفة يده فقبّلوها وانصرفوا مقهقرين فوقفوا على راس ملكهم ووصل بوصولهم وليد بن خيزران *e* قاضى النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك اردون ذلك اليوم فأَطْرَقَ الخليفة الحكم عن تكليم الملك اردون اثرَ قعوده امامه وقتًا كيما يفرج روعه فلما راى ان قد خُفّض عليه افتتح تكليمه فقال ليسرّك اقبالُك ويغبّطك تاميلُك فلَدَيْنا لك من حسن راينا ورحب قبولنا فوق ما قد طلبتَه فلما تُرجم له كلامه اياه تطلّق وجه اردون وانحطّ عن مرتبته فقبّل البساط وقال انا عبد امير المومنين مولاى المتوكّل على فضله القاصد الى مجده المحكّم فى نفسه ورجاله فحيث وضعنى من فضله وعوّضنى

a) La. O. طمبس. *b*) C'est le mot espagnol *portal*. *c*) La. مشى. *d*) S. La. O. الخصوع.
e) S. حزران , La. حيزون.

من خدمته رجوتُ ان اتقدّم فيه بنيّة صادقة ونصيحة خالصة فقال له الخليفة انت عندنا بمحلّ[a] من يستحقّ حسنَ راينا وسينالك من تقديمنا لك وتفضيلنا اياك على اهل ملّتك ما يغبّطك وتعرف[b] به فضل جنوحك الينا واستظلالك بظلّ سلطاننا فعاد اردون الى السجود عند فهمه مقاله[c] الخليفة وابتهل داعيا وقال ان شانجه ابن عمّى تقدّم الى الخليفة الماضى مستجيرا به منّى فكان من اعْزازه اياه ما يكون من مثله من اعاظم الملوك واكارم الخلفاء لمن قصدهم واَمّلهم وكان قصدُه قصدَ مضطرّ قد شنأتْه رعيّتُه وانكرت سيرتَه واختارتْنى لمكانه من غير سعى منّى علم الله ذلك ولا دعاء اليه فخلعتْه واخرجتْه عن ملكه مضطرًّا مضطهدًا فتطوّل عليه رحمه بان صرفه الى ملكه وقوّى سلطانه واعزّ نصره ومع ذلك فلم يقم بفرض النعمة التى أُسديتْ اليه وقصّر فى اداء المفروض عليه وحقّه وحقّ مولاى امير المومنين من بعده وانا قد قصدتُّ باب امير المومنين لغير ضرورة من قرارة سلطانى وموضع احكامى محكّما له فى نفسى ورجالى ومعاقلى ومَنْ تحويه من رعيّتى فشتّانَ ما بيننا بقوّة الثقة ومطرح الهمّة فقال الخليفة قد سمعنا قولك وفهمنا مغزاك وسوف يظهر من اقراضنا اياك على الخصوصية شانُه ويترادَف من احساننا اليك به أَضْعافُ ما كان من ابينا رضه الى نِدّك وان كان له فضل التقدُّم بالجنوح الينا والقصد الى سلطاننا فليس ذلك مما يوُخّرك عنه ولا ينقصك مما أَنَلْناه وسنصرفك مغبوطا الى بلدك ونشدّ اواخىَّ ملكك ونملّكك جميعَ من انحاش اليك من امّتك ونعقد لك بذلك كتابا يكون بيدك نقرّر[d] به حدَّ ما بينك وبين ابن عمّك ونقبضه[e] عن كل ما يصرفه من البلاد الى يدك وسيترادف عليك من افضالنا[f] فوق ما احتسبتَه والله على ما نقول وكيل فكرّر اردون الخضوع واسهب فى الشكر وقام للانصراف مقهقرا أَلّا يولّى الخليفةَ ظهرَه وقد تكنّفه الفتيان[g] فاخرجوه الى المجلس الغربى فى السطح وقد علاه البهر واذهله الروع من هول ما باشَرَه وجلالة ما عايَنَه من فخامة الخليفة وبهاء العزّة فلما ان دخل المجلس ووقعت عينه على مقعد امير المومنين خاليا منه انحطّ ساجدا اعْظامًا له ثم تقدّم الفتيان به الى البهو الذى بجوفىّ هذا المجلس فاجلسوه هنالك على وساد مُثقّل بالذهب واقبل

a) La. بمنزلة. b) G. O. وتتعرف, S. ويتعرف. c) S. مقالة, La. O. كلام. d) G. L. S. P. تقرر, La. O. ونقرر. e) G. L. P. S. La. وتقبضه. f) La. O. احساننا. g) G. S. et L. ajoutent من جملة الفتيان.

نحوه الحاجبُ جعفر فلما بصر به قام اليه وخنع[a] له واومأ الى تقبيل يده فقبضها الحاجب عنه وانحنى اليه فعانقه وجلس معه فغبّطه ووعده من انجاز عدات الخليفة له بما ضاعَفَ سروره ثم امر الحاجب جعفر فصُبّتْ عليه الخِلَعُ التى امر له بها الخليفةُ وكانت دُرّاعة منسوجة بالذهب وبرنسا مثلها له لوزة مفرّغة من خالص التبر مرصّعة بالجوهر والياقوت ملأت عينَ العلج تجلّةً فخرّ ساجدا واعلن بالدعاء ثم دعا الحاجب باصحابه رجلا رجلا فخلع عليهم على قدر استحقاقهم فكمل جميع ذلك بحسب ما يصلح لهم وخرّ جميعهم خانعين[b] شاكرين ثم انطلق الملك اردون واصحابه وقُدّم لركابه فى اول البهو الاوسط فرس من عتاق خيل المركاب عليه سرجٌ حلى ولجامُ حلى مفرّغ وانصرف مع ابن طملس[c] الى قصر الرصافة مكان تضييفه وقد أُعدّ له فيه كل ما يصلح لمثله من الآلة والفرش والماعون واستقرّ واصحابَه فيما لا كفاء له من سعة التضييف وارغاد المعاش واستشعر الناس من مسرّة هذا اليوم وعزّة الاسلام فيه ما افاضوا فى التبجّح به والتحدّث عنه اياما وكانت للخطباء والشعراء بمجلس الخليفة فى هذا اليوم مقامات حسان، وانشادات لاشعار محكمة متان، يطول القول فى اختيارها فمن ذلك قول عبد الملك بن سعيد المُرادى من قصيدة حيث يقول

مُلْكُ الخليفة آية الاقْبال ... وسعودُه موصولة بتوالى[d]
فالمسلمون بعزّةٍ وبرفعة ... والمشركون بذلّة وسفال
القتْ بايديها الاعاجمُ نحوه ... متوقّعين لصولة الرئبال
هذا اميرهم اتاه آخذا ... منه اواصرَ ذمّة وحبال
متواضعا لجلاله متخشّعا ... متبرّعا لمّا يُرَعْ[e] بقتال
سينال بالتاميل للملك الرضى ... عزًّا يعمّ عداه بالاذْلال
لا يومَ اعظم للوُلاة[f] مسرّةً ... واشدّه غيظا على الاَقْيال[g]
من يوم اردون الذى اقْباله ... امل المدى ونهايةَ الاقْبال
ملك الاعاجم كلّها ابن ملوكها ... * والى الرُعاة وللاعاجم والى[h]

a) La. وخضع. b) La. خاضعين. c) S. طلمس, O. طماس, La. طميس. d) On trouve cette leçon dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٥١. Les man. d'al-M. portent بنوال. e) G. L. يزع. f) La. للعداة. g) G. L. S. P. الاقبال. h) C'est ainsi qu'on lit dans L.; La. O. والى الرعاة والرعاة (والرغاة .G) للاعاجم والى .G. S. P ;الى الاعاجم والى.

ان كان جاء ضرورةً فلقد اتى … عن عزّ مملكة وطوع رجال
فالحمد لله المُنيل امامَنا … حظَّ الملوك بقدرة المتعالى
هو يوم حشر الناس الّا انهم … لم يُسْأَلوا فيه عن الأعمال
اضحى الفضاء مفعَّما *a* بجيوشه … والافق * اقتم اغبر *b* السربال
لا يهتدى السارى لليل قتامه … الّا بضوء صوارم وعوالى
وكأنّ اجسام الكُماة تسربلتْ … مذ عُرّيتْ منه جسومَ صلال *c*
وكأنّما العقبان عقبان الفَلَى … منقضّة لتخطُّف الضُلّال
وكانّ منتصَب القنا مهتزّةً … اشطانُ نازحة بعيدة جال *d*
وكانما قُبُلُ التجافيف اكتستْ … نارًا توهُّجها بلا اشعال

وقال بعض المؤرّخين فى حقّ الحكم المستنصر عن فتاه تليد صاحب خزانته العلميّة حدّث عنه الحافظ ابو محمد بن حزم ان عدّة الفهارس التى فيها تسمية الكتب ٤٤ فهرسة فى كل فهرسة ٢٠ ورقة ليس فيها الّا ذكر الدواوين فقط انتهى وقد قدّمناه عن ابن خلدون ونقله ابن الابّار فى التكملة، وقال بعض المؤرّخين فى حقّ الحكم انه كان * حسن السيرة *e* مكرما للقادمين عليه جمع من الكتب ما لا يُحَدّ ولا يوصف كثرةً ونفاسةً حتى قيل انها كانت ٤٠٠ الف مجلّد وانهم لما نقلوها اقاموا ٦ اشهر فى نقلها وكان عالما نبيها صافى السريرة وسمع من قاسم بن اصبغ واحمد بن دُحَيم *f* ومحمد بن عبد السلام الخُشَنى وزكرياء بن خطّاب واكثر عنه واجاز له ثابت بن قاسم وكتب عن خلق كثير سوى هؤلاء وكان يستجلب المصنّفات من الاقاليم والنواحى باذلا فيها ما امكن من الاموال حتى ضاقت عنها خزائنُه وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذّات الملوك فاستوسع علمه ودقّ نظره وجمّت استفادته وكان فى المعرفة بالرجال والاخبار والانساب احوذيًّا نسيجَ وحده وكان ثقةً فيما ينقله بهذا وصفه ابن الابّار وبأَضْعافه وقال عجبا لابن الفرضى وابن بشكوال كيف لم يذكراه وقلّما يوجد كتاب من خزائنه الّا وله فيه قراءة او نظر فى اىّ فنّ كان ويكتب فيه نسب المؤلّف ومولده ووفاته ويأتى من بعد ذلك بغرائب لا تكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشان، ومما يُنسب اليه من النظم قوله

a) La. O. مغيَّما. b) La. O. اغبر مقتم. c) S. La. صلال. d) Les man. portent حال.
e) La. O. احسن الناس سيرة. f) S. رحيم.

الى الله اشكو من شمائل مُتْرَف a   علىّ ظلوم لا يدين بما دِنْتُ
نأَتْ عنه دارى فاستزاد صدوده   وانّى على وجدى القديم كما كُنْتُ
ولو كنتُ ادرى انّ شوقىَ بالغ   من الوجد ما بلغتُه لم اكُنْ بِنْتُ

وقوله   عجبتُ وقد ودّعْتُها كيف لم أَمُتْ   وكيف انثنتْ بعد الوداع يدى معى
فيا مقلتى العَبْرَى عليها اسْكبى دمًا   ويا كبدى الحَرَّى عليها تَقَطَّعى

وتوفى رحمه بقصر قرطبة ثانى صفر سنة ٣٦٦ لست عشرة سنة من خلافته وكان اصابه الفالج فلزم الفراش الى ان هلك رحمه وكان قد شدّد فى ابطال الخمر فى مملكته تشديدا عظيما، وولى بعده ابنه هشام صغيرا سنّه ٩ سنين ولا ينافيه قول ابن خلدون قد ناهَزَ الحُلْم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن ابى عامر ونقله من خطّة القضاء الى وزارته وفوّض اليه فى c اموره فاستقلّ، قال ابن خلدون وترقّت حالُ ابن ابى عامر عند الحكم فلما توفّى الحكم وبويع هشام ولُقّب المؤيّد بعد ان قُتل ليلتئذ المُغيرة اخو الحكم المرشّح لامره تناول الفتك به محمد بن ابى عامر هذا بممالأة من جعفر بن عثمن المُصْحَفى حاجب ابيه وغالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم ومن خصيان القصر يومئذ ورؤسائهم فائق وجوذر فقتل ابنُ ابى عامر المغيرةَ بممالأة مَنْ ذُكر وتمّت البيعة لهشام ثم سما لابن ابى عامر املٌ فى التغلّب على هشام لمكانه فى السنّ وثاب له راى فى الاستبداد فمكر باهل الدولة وضرب بين رجالها وقتل بعضا ببعض وكان من رجال اليمنيّة من مَعافِر دخل جدّه عبد الملك مع طارق وكان عظيما فى قومه وكان له فى الفتح اثر وعظم ابن ابى عامر هذا وغلب على المؤيّد ومنع الوزراء من الوصول اليه الا فى النادر من الايام يسلّمون وينصرفون وارضخ للجند فى العطاء واعلى مراتب العلماء وقمع اهل البِدَع وكان ذا عقل وراى وشجاعة وبَصَر بالحروب ودين متين ثم تجرّد لرؤساء الدولة ممّن عانَدَه وزاحَمَه فمال عليهم وحطّهم عن مراتبهم وقتل بعضا ببعض كل ذلك عن امر d هشام وخطّه وتوقيعه حتى استاصلهم وفرق جموعهم واول ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخُدّام بالقصر فحمل الحاجب المصحفى على نكبتهم فنكبهم واخرجهم e من القصر وكانوا ٨٠٠ او يزيدون ثم اصهر الى غالب مولى الحكم وبالغ فى خدمته والتنصّح له واستعان به على

a) La. O. مسرف. *b*) La. O. يوم. *c*) Ce فى manque dans La. et O. *d*) Ce mot manque dans les man. d'al-M. *e*) Ibn-Kh. L., al-Makk. S. واخرهم ; al-Makk. G. L. واخرجهم.

المصحفى فنكبه ومحا اثره من الدولة ثم استعان على غالب بجعفر بن على بن حمدون صاحب المسيلة وقائد الشيعة ممدوحِ ابن هانئٍ بالفائيّة المشهورة وغيرها وهو النازع الى الحكم اولَ الدولة وبمن كان معه من زناتة والبربر ثم قُتل جعفر بممالأة ابن عبد الودود وابن جهور وابن ذى النون وامثالهم من اولياء الدولة من العرب وغيرهم ثم لما خلا الجوُّ من اولياء الخلافة والمرشَّحين للرياسة رجع الى الجند فاستدعى اهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة فرتَّب منهم جندا واصطنع اولياء وعرَّف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبنى يفرن وبنى برزال ومكناسة وغيرهم فتغلَّب على هشام وحجره واستولى على الدولة وملأً الدنيا وهو فى جوف بيته مع *a* تعظيم الخلافة والخضوع لها وردّ الامور اليها وترديد الغزو والجهاد وقدَّم رجال البرابرة وزناتة واخَّر رجال العرب واسقطهم عن مراتبهم فتمّ له ما اراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر وبنى لنفسه مدينة لنزله سمّاها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة وقعد على سرير الملك وامر ان يحيَّى بتحيّة الملوك وتسمَّى بالحاجب المنصور ونُفّذت الكُتُب والمخاطبات والاوامر باسمه وامر بالدعاء له على المنابر باسمه عقبَ الدعاء للخليفة ومحا رسم الخلافة بالجملة ولم يبقَ لهشام المؤيَّد من رسوم الخلافة اكثر من الدعاء على المنابر وكتبِ اسمه فى السكّة والطرز وأُغفل ديوانه ممّا سوى ذلك وجنَّد البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج *b* للاستيلاء على تلك الرتبة وقهر من تطاوَل اليها من العِلْية فظفر من ذلك بما اراد وردَّد الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزا ٥٦ غزوة فى سائر ايام ملكه لم تنتكس له فيها رايةٌ ولا فُلَّ جيش وما أُصيب له بعثٌ وما هلكت سريّة واجاز عساكره الى العدوة وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق *c* له ملكُ المغرب وأَخْبَتَتْ *d* له ملوكُ زناتة وانقادوا لحكمه واطاعوا سلطانه واجاز ابنه عبد الملك الى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر *e* ولما سخط زيرى ابنَ عطيّة ملكهم لِما بلغه من اِعْلانه بالنيل منه والغضّ من منصبه والتأفُّف *f* لحجر الخليفة هشام فاوقع به عبد الملك سنة ٨٦ ونزل بفاس وملكها وعقد لملوك زناتة على ممالك المغرب واعماله من سجلماسة وغيرها وشرَّد زيرى بن عطيّة الى تاهَرْت فابعد المفرَّ وهلك فى

---

a) Les man. d'al-Makk. portent من. *b*) Les man. d'al-M. portent العلوجى. *c*) Ibn-Kh. L., al-Makk. G. L. La. فاستوسق. *d*) Ibn-Kh. L. واذعنت, Ibn-Kh. P. al-Makk. G. L. S. واخفيت. *e*) Al-Makk. خرز. *f*) Ibn-Kh. L. والتانف.

مقرّه ذلك ثم قفل عبد الملك الى قرطبة واستعمل واضحا على المغرب وهلك المنصور اعظم ما كان ملكا واشدّ استيلاء سنة ٣٩٤a بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته ودُفن هنالك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه، انتهى كلام ابن خلدون وبعضه بالمعنى وزيادة يسيرة ولا باس ان نزيد عليه فنقول مما حُكى انه مكتوب على قبر المنصور رحمه

آثاره تُنْبيك عن اخباره   حتى كأنّك بالعيان تراهُ
تالله لا ياتى الزمانُ بمثله   ابدًا ولا يحمى الثغور سواهُ

وعن شجاع مولى المستعين بن هود لما توجّهتُ الى ادفونش وجدتُه فى مدينة سالم وقد نصب على قبر المنصور بن ابى عامر سريره وامرأته متّكية الى جانبه فقال لى يا شجاع اما ترانى قد ملكتُ بلاد المسلمين وجلستُ على قبر ملكهم قال فحملتْنى الغيرة ان قلتُ له لو تنفّس صاحب هذا القبر وانت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ولا استقرّ بك قرار فهمّ بى فمالت امرأته بينى وبينه وقالت له صدقك فيما قال أيفخر مثلك بمثل هذا، وهذا تلخيص ترجمة المنصور من كلام ابن سعيدb قال رحمه ترجمة الملك الاعظم المنصور ابى عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن ابى عامر بن الوليد بن يزيد ابن عبد الملك المعافرى من قرية تركشc وعبد الملك جدّه هو الوافد على الاندلس مع طارق فى اول الداخلين من العرب، واما المنصور فقد ذكره ابن حيان فى كتابه المخصوص بالدولة العامريّة والفتحُ فى المطمح والحجارى فى المُسْهِب والشَقُنْدى فى الطُرَف وذكر الجميع ان اصله من قرية تركشd وانه رحل الى قرطبة وتأدّب بها ثم اقتعد دكّانا عند باب القصر يكتب فيه لمن يعنّ له كَتْبٌ من الخدم والرافعين الى السلطان الى ان طلبت السيّدة صُبْح امّ المؤيّد من يكتب عنها فعرّفها به من كان يانس اليه بالجلوس من فتيان القصر فترقّى الى ان كتب عنها فاستحسنتْه ونبّهت عليه الحكم ورغبت فى تشريفه بالخدمة فولّاه قضاء بعض المواضع فظهرت منه نجابة فترقّى الى الزكاة والمواريث باشبيلية وتمكّن فى قلب السيّدة بما استمالها به من التُحَف والخدمة ما لم يتمكّن لغيره ولم يقصّر مع ذلك فى خدمة المصحفى الحاجب الى ان توفّى الحكم وولى ابنه هشام المؤيّد وهو ابن ١٢ سنة فجاشت الروم فجهّز المصحفى ابنَ ابى عامر لدفاعهم فنصره الله عليهم وتمكّن

a) Lisez ٣٩٢. b) G. ابن مشلك , L. ابن مثلك. c) Lisez طُرُّش ('Abd-al-Wāhid, éd. Dozy, p. ١٨). d) Même remarque.

حبّه من قلوب الناس وكان جوادا عاقلا ذكيًّا استعان بالمصحفى على الصقالبة ثم بغالب على المصحفى وكان غالب صاحب مدينة سالم وتزوّج ابن ابى عامر ابنته اسماء وكان اعظم عُرْس بالاندلس ثم بجعفر بن الاندلسى ممدوح ابن هانئ على غالب ثم بعبد الرحمن بن محمد بن هاشم التُجيبى على جعفر وله فى الحزم والكيد والجَلَد ما افرد له ابن حيان تاليفا وعدد غزواته المنشأة من قرطبة نيف وخمسون غزوة ولم تُهْزَم له راية وقبره بمدينة سالم فى اقصى ثغر شرق الاندلس، ومن شعره

رميتُ بنفسى هولَ كل عظيمة   وخاطرتُ والحُرُّ الكريم مخاطِرُ
وما صاحبى الّا جَنان مشيَّعٌ   واسمر خطّىٌّ وابيض باترُ
فسُدتُّ بنفسى اهلَ كل سيادة   وفاخرتُ حتى لم أَجِدْ من افاخرُ
وما شدتُّ بنيانا ولكن زيادةً   على ما بنى عبدُ المليك وعامرُ
رفعنا المعالى بالعوالى حديثةً a   وأَوْرَثَناها فى القديم مَعافرُ

وجُوده مع صاعد البغدادى اللغوى مشهور وصدر عن بعض غزواته فكتب اليه عبد الملك بن شهيد وكان قد تخلّف عنه b

انا شيخ والشيخ يهوى الصبايا   * يا بنفسى أَقيك كلَّ الرزايا c
ورسول الاله اسهم فى الفَىْ   ء لمن لم يُخبّ d فيه المطايا

فبعث اليه بثلث جوارٍ من احسن e السبى وكتب معهنّ وكانت واحدة اجملهنّ قوله

قد بعثنا بها كشمس النهار   فى ثلث من المَهَى ابكار
وامتحنّا بعذرة البكران   كنتَ ترجو f بوادر الاعذار
فاجتهدْ وابتدرْ g فانك شيخ   قد جلا ليلَه بياضُ النهار
صانك الله من كلالك فيها   فمن العار كلّة المسمار

فافتضّهنّ من ليلته وكتب له بكرةً

قد فضضنا ختام ذاك السوارِ   واصطبغنا من النجيع الجارِى

---

a) C'est ainsi qu'on lit dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٩٣. Les man. d'al-M. portent مثلها. b) On retrouve cette pièce et les deux suivantes dans le 4ème livre. c) Dans le 4ème livre G. L. et S. portent: يا لنفس تقيك صرف الرزايا. d) Variante dans le 4ème livre يحث. e) S. La. O. اجمل. f) G. L. S. La. P. ترجى. Ce vers manque dans le 4ème livre. g) La. واتئد. Dans le 4ème livre ce vers se lit ainsi:

فاتئدْ واجتهدْ فانك شيخ   سلخ الليل عن بياض النهار ✿

وصبرنا على دفاع وحرب *a* فلعبنا بالدرّ او بالدرارى
وقضى الشيخ ما قضى بحسام ذى مضاء عضب الظُّبَى بتّارِ
فاصطنعْه فليس يجزيك كفرًا *b* واتّخذْه فحلًا على الكُفّارِ

وقدم بعض التجار ومعه كيس فيه ياقوت نفيس فتجرّد ليسبح فى النهر وترك الكيس وكان احمر على ثيابه فرفعتْه حِدَأة فى مخالبها فجرى تابعا لها وقد ذهل فتغلغلت فى البساتين وانقطعت عن عينه فرجع متحيّرا فشكا ذلك الى بعض من يأنس به فقال له صِفْ حالك لابن ابى عامر فتلطّف فى وصف ذلك بين يديه فقال ننظر ان شاء الله فى شانك وجعل يستدعى اصحاب تلك البساتين ويسأل خُدّامها عمّن ظهر عليه تبديلُ حال فاخبروه ان شخصا *c* ينقل الزبل اشترى حمارا وظهر من حاله ما لم يكن قبل ذلك فامر بمجيئه فلما وقعت عينه عليه قال له أَحْضِرِ الكيس الاحمر فتملّك الرعبُ قلبه وارتعش وقال دَعْنى آتى به من منزلى فوكّل به من حمله الى منزله وجاء بالكيس وقد نقص منه ما لا يقدح فى مسرّة صاحبه فجبره ودفعه الى صاحبه فقال والله لأُحدّثنّ فى مشارق الارض ومغاربها ان ابن ابى عامر يحكم على الطيور ويُنْصِف منها والتفت ابن ابى عامر الى الزبّال فقال له لو اتيتَ به اغنَيْناك لكن تخرج كفافًا لا عقابا ولا ثوابا، وتوفّى رحمه فى غزاته للافرنج بصفر سنة ٣٩٢ وحُمل فى سريره على اعناق الرجال وعسكره يحفّ به وبين يديه الى ان وصل الى مدينة سالم ودامت دولته ٢٦ سنة فيها ٥٢ غزوة واحدةٌ فى الشتاء واخرى فى الصيف، انتهى كلام ابن سعيد وفى بعضه مخالفة لبعض كلام ابن خلدون، وقال الفتح فى المطمح فى حقّ المصحفى *ما صورتُه *d* الحاجب جعفر بن عثمن المصحفى تجرّد للعلياء، وتمرّد فى طلب الدنيا،، حتى بلغ المُنَى، وتسوّغ ذلك الجَنَى،، ووصل الى المنتهى، وحصل على ما اشتهى،، دون مجد *e* تفرّع من دوحته، ولا فخر نشأ بين مَغْداه وروحته،، فسما دون سابقة، وارتمى *f* الى رتبة لم تكن *لبِنْيته مطابقة *g*،، فبلغ بنفسه، ونزع عن جنسه،، ولم يزل يستقلّ ويضطلع، وينتقل من مطلع الى مطلع،، حتى التاح

---

a) S. وجوب. Dans le 4ème livre on lit: ونعمنا فى ظل انعم ليل ولهونا بالبدر ثم الدرارى. *b*) Var. dans le 4ème livre سيفا. *c*) La. O. رجلا. *d*) Ces deux mots se trouvent placés dans les man. après les mots عثمن المصحفى. *e*) La. O. محتد. *f*) Les man. d'al-Makk. portent ورمى. *g*) Telle est la leçon du *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٧١. *Al-Mat.* L. لهيئته مطابقة, P. بمطابقة (l. لبيته) لبنيه ; al-Makk. لنفسه مطابقة.

فى افق الخلافة، وارتاح *اليه معطفُها[a] كنشوان السُلافة،، واستوزره المستنصر، وعنه كان يسمع وبه كانْ[b] يبصر،، وحجب الامام، واسكب برايه ذلك الغمام،، فادرك بذلك[c] ما ادرك، ونصب لامانيّه الحبائل والشَرَك،، فاقتنى *اقتناء مدّخر[d]، وازرى بمن سواه وسخر،، واستعطفه ابن ابى عامر ونجمه غائر لم يَلُحْ، وسرُّه مكتوم لم يَبُحْ،، فما عطف، ولا جنى من روضة دنياه ولا قطف،، واقام فى تدبير الاندلس ما اقام وبرهانه مستقيم، ومن الفِتَن عقيم،، وهو يجرى من السعد فى ميدان رحب، ويكرع[e] من العزّ فى مشرب عذب،، ويفضّ ختام السرور، وينهض بملك على لَبّته مزرور،، وكان له ادب بارع، وخاطر الى نظم البديع[f] مُسارع،، فمن محاسنه التى بعثها ايناسُ دهره واسْعادُه، وقاله حين اَلْهَتْه سَلْماه او سُعادُه،، قوله

لعينَيْك فى قلبى علىّ عيونُ[g] وبين ضلوعى للشجون فنونُ

نصيبى من الدنيا هواك وانه غذاءى ولكنّى عليه ضنينُ

وسيأتى هذه الترجمة من المطمح الصغير ان شاء الله تع بما فيه بعض زيادة ونقصان فى الباب الرابع، وقال فى المطمح[h] فى حقّ ابن ابى عامر انه تمرّس ببلاد الشرك اعظمَ تمرُّس، ومحى من طواغيتها كل تعجرُف وتغطرُس،، وغادرهم صَرْعَى البقاع، وتركهم اذلّ من وتدٍ بقاع،، ووالَى على بلادهم الوقائع، وسدّد الى اكبادهم سهامَ الفجائع،، واغصّ بالحمام ارواحَهم، ونغّص بتلك الآلام بكورَهم ورواحَهم،، ومن اوضح الامور هنالك، وافصح الاخبار فى ذلك،، ان احد رُسُله كان كثير الانتياب، لذلك الجناب،، فسار فى بعض مسيراته الى غرسية صاحب البشكنش فوالى فى اكرامه، وتناهى فى برّه واحترامه،، فطالت مدّتُه فلا منتزهَ الا مرّ عليه[i] متفرّجا، ولا موضعَ الا سار اليه[j] معرّجا،، فحلّ فى ذلك، اكثر الكنائس هنالك،، فبيناَ[j] هو يجول فى ساحاتها[k]، ويُجيل العين فى مساحاتها[l]،، اذ عرضتْ له امرأةٌ قديمة الاسر، قويمة على طول

a) *Al-Mat.* P. اليها بعطفه ; al-Makk. G. S. L. اليه معظمها , La. O. اليه معظما. b) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. c) Al-Makk. لذلك. d) *Al-Mat.* L. P. وادّخر. e) Telle est la leçon du *Bayān al-M.* Les man. d'al-Makk. portent وباع. f) *Al-Mat.* L. P. القريض. g) Al-Makk. شجون. h) Ce passage n'existe pas dans les man. L. et P. du *Matmah*, mais il se trouve dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٣١٩. i) Les man. portent عليه. j) S. La. O. فبينما. k) G. L. S. ساحتها. l) G. L. S. مساحتها.

الكسر،، فكلّمتْه، وعرّفتْه بنفسها واعلمتْه،، وقالت له أيرضى المنصور أن ينسى بتنعّمه بوسَها، ويتمتّع بلبوس العافية وقد نَضَتْ لبوسَها،، وزعمت ان لها عدّة سنين بتلك الكنيسة مُحْبَسة[a]، وبكل ذل وصغار مُلْبَسة،، وناشدتْه الله فى إنْهاء قصّتها، وإبْراء غُصّتها،، واستحلفتْه باغلظ الأَيْمان، واخذت عليه فى ذلك اوكدَ مواثيق الرحمن،، فلما وصل الى المنصور عرّفه بما يجب تعريفُه به واعْلامه، وهو مُصْغٍ اليه حتى تمّ كلامه،، فلما فرغ قال له المنصور هل وقفتَ هناك على امر انكرتَه، ام لم تَقِفْ على غير ما ذكرتَه،، فاعلمه بقصّة المرأة وما خرجت عنه اليه، وبالمواثيق التى اخذت عليه،، فعتبه ولامَه، على ان لم يبدأْ بها كلامه،، ثم اخذ فى الجهاد من فوره، وعرض مَنْ[b] من الاجناد فى نجده وغوره،، واصبح غازيا على سرجه، مباهيا مروانَ يومَ مَرْجه،، حتى وافى ابنَ شانجه فى جمعه، فاخذت مهابتُه ببصره وسمعه،، فبادر بالكتاب اليه يتعرّف ما الجنيّة[c]، ويحلف له باعظم الية،، انه ما جنى ذنبا، ولا جفا عنْ مضجع الطاعة جنبا،، فعنّف ارساله وقال لهم كان قد عاقَدَنى ألّا يبقى ببلاده مأسورة ولا مأسور، ولو حملتْه فى حواصلها النسور[d]،، وقد بلغني بعدُ بقاء فلانة المُسْلِمة فى تلك الكنيسة ووالله لا أَنْتهى عن ارضه حتى اكتسحها فارسل اليه المرأة فى اثنتين معها واقسم انه ما ابصرهنّ، ولا سمع بهنّ،، واعلمه ان الكنيسة التى اشار بعلمها، قد بالغ فى هدمها،، تحقيقا لقوله، وتضرّع اليه فى الاخذ فيه بطَوْله،، فاستحيى منه، وصرف الجيش عنه،، واوصل المرأة الى نفسه، والحف توحّشَها بأُنْسه،، وغيّر من حالها، وعاد بسواكب نعماه على جدبها وامْحالها،، وحملها الى قومها، وكحلها بما كان شرد من نومها،، انتهى، وقال فى المطمح[e] ايضا فى حقّه ما نصّه فردٌ نابهٌ على من تقدّمه، وصرّفه[f] واستخدمه،، فانه كان امضاهم سنانا، واذكاهم جَنانا،، واتمّهم جلالا، واعظمهم استقلالا،، فآل امرُه الى ما آل، واوهم العقول بذلك المآل،، فانه كان آية الله فى اتفاق سعده، وقُرْبه من الملك بعد بُعْده،، بهر برفعة القدر، واستظهر بالاناة وسعة الصدر،، وتحرّك فلاحَ نجمُ الهدو، وتملّك فما خفق بارضه لواءُ عدوّ،، بعد خمول كابَدَ منه غَصَصًا وشَرَقا، وتعذّرِ مأمول طارَدَ فيه سهرًا وأرقا،،

---

a) S. O. محتبسة. b) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. c) Les man. d'al-Makk. portent الجلية. d) La. O. الطيور. e) Voyez le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٩٢. f) Les man. d'al-Makkarī portent وصوبه.

حتى أُنجز له الموعود، وفرّ نَحْسُه امام تلك السعود،، فقام بتدبير الخلافة، واقعد من كان له فيها انافة،، وساس الامور احسنَ سياسة، وداس الخطوب باخشن دياسة،، فانتظمت له الممالكُ، واتّضحت به المسالك،، وانتشر الامن فى كل طريق، واستشعر اليُمْنَ كلُّ فريق،، وملك الاندلس بضعا وعشرين حجّة، لم تدحض لسعادتها حُجّة، ولم تزخر لمكروه بها لُجّة،، لبست فيها * البهاءَ والاشراق a، وتنفّست عن مثل انفاس العراق،، وكانت ايامه احمد ايام، وسهام باسه اسدّ سهام،، غزا الروم شاتيا وصائفا، ومضى فيما يروم زاجرا وعائفا،، فما مرّ له غير سنيح، ولا فاز الا بالمعلّى لا بالمنيح،، فاوغل فى تلك الشعاب، وتغلغل حتى راع ليث الغاب،، ومشى تحت أَلْوِيَته صيدُ القبائل، واستجرّت فى ظلّها بيضَ الظُبَى وسُمْرَ الذوابل،، وهو يقتضى الارواح بغير سَوْم، وينتضى الصفاح على كل رَوْم،، ويُتْلف من ينساق للخلافة وينقاد، ويختطف منهم كل كوكب وَقّاد،، حتى استبدّ وانفرد، وأنس اليه من الطاعة ما نفر وشرد،، وانتظمت له الاندلس بالعُدْوة، واجتمعت فى ملكه اجتماعَ قُرَيْش بدار النَدوة،، ومع هذا لم يخلع اسم الحجابة، ولم يَدَع السمعَ لخليفته والاجابة،، ظاهرٌ يخالفه الباطنُ، واسم b تنافره مواقعُ الحكم والمواطن،، واذلّ قبائل الاندلس باجازة البرابر، واخمل بهم اولئك الاعلام الاكابر،، فانه قاوَمَهم باضدادهم، واستكثر من اعْدادهم،، حتى تغلّبوا على الجمهور، وسلبوا عنهم الظهور،، ووثبوا عليهم الوثوبَ المشهور،، الذى اعاد اكثر الاندلس قفرًا يبابا، وملأها وحشا وذيابا،، واعراها من الامان، برهةً من الزمان،، وعلى هذه الهيئة فهو وابنه المظفّر كانا آخر سعد الاندلس، وحدّ السرور بها والتأنّس،، وغزواته فيها شائعة الأَثَر، رائعة c كالسيف ذى الأُثُر،، وحسبُه وافر، ونسبُه مَعافر،، ولذا قال يفخر d رميتُ بنفسى الابياتَ وزاد هنا بعد قوله وابيضُ باترُ : بيتا وهو

وانّى لزجّاء الجيوش الى الوغى ... اسود تلاقيها اسودٌ خوادرُ

وكانت امّه تميميّة فحاز الشرف من طرفَيْه، والتحف بمطْرَفَيْه،، ولذا قال القَسْطَلّى فيه

تلاقتْ عليه من تميم ويَعْرُب ... شموسٌ تلالا فى العُلَى وبدورُ
من الحميريّين الذين اكفُّهم ... سحائب تهمى بالندى وبحورُ

a) La. O. البلاد الاشراق. b) Les man. portent واسما. c) G. L. S. O. رائقة. d) La. يفتخر.

وتصرّف قبل ولايته فى شتّى الولايات، وجاء من التحدّث بمنتهى امره بآيات،، حتى صحّ زجرُه، وجاء بصبحه فجرُه،، توثر عنه فى ذلك اخبار، فيها عجب واعتبار،، وكان اديبا مُحْسِنا، وعالما متفنّنا،، فمن ذلك قوله يمنّى نفسَه بملك مصر والحجاز، ويستدعى صدور تلك الاعجاز a،،

مَنَعَ العينَ ان تذوق المناما   حبُّها ان ترى الصَفا والمقاما
لى ديون بالشرق عند اناس   قد احلّوا بالمشعَرَيْن الحراما
ان قضوها نالوا الامانى والّا   جعلوا دونها رقابا وهاما
عن قريب ترى خيولَ هشام   يبلغ النيلَ خَطْوُها والشآما

انتهى ما نقلتُه من المطمح، وفى المنصور المذكور ايضا قال بعض مؤرّخى المغرب b مازجًا كلامه ببعض كلام الفتح بعد ذكره استعانتَه ببعض الناس على بعض وذكر قتله لجعفر بن على فقال بعده ما صورتُه ثم انفرد بنفسه وصار ينادى صروفَ الدهر هَلْ من مُبارز فلما لم يَجِدْه حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعَدَه فاستقام امره منفردا بمملكة لا سلف له فيها ومن اوضح الدلائل على سعده انه لم يُنكب قط فى حرب شهدها وما توجّهت عليه هزيمة وما انصرف عن موطن الا قاهرا غالبا على كثرة ما زاوَلَ من الحروب ومارَسَ من الاعداء وواجَهَ من الامم وانها لَخاصّةٌ ما أَحْسِبُ احدا من الملوك الاسلاميّة شركه فيها ومن اعظم ما أُعِينَ به مع قوّة سعده وتمكُّن جدّه سعةُ جوده وكثرةُ بذله فقد كان فى ذلك اعجوبة الزمان واول ما اتّكأً على ارائك الملوك وارتفق، وانتشر عليه لواء السعد وخفق،، حطّ صاحبَه المصحفى، واثار له كامنَ حقده الخفىّ،، حتى اصاره للهموم لبيسا، وفى غيابات c السجن حبيسا،، فكتب اليه يستعطفه بقوله

هَبْنى اسأتُ فأين العفو والكرمُ   اذ قادنى نحوك الاذْعان والندمُ
يا خير مَنْ مُدَّت الايدى اليه أَمَا   ترثى لشيخ نعاه عندك القلمُ
بالغتَ فى السُخْط d فاصفحْ صفحَ مقتدر   انّ الملوك اذا ما استُرحموا رحِمُوا

فما زاده ذلك الا حنقا وحقدا، وما افادتْه الابيات الا تضرّما ووقدا،، فراجَعَه بما ايأسَه، واراه مرمسه، واطبق عليه محبسه، وضيّق تروّحه من المحنة وتنفّسه،،

---

a) Les man. ajoutent ici وهو قوله. b) Voyez le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٣٠٩. c) Les man. d'al-Makk. portent غايات. d) On trouve cette leçon dans le 4ème livre; ici les man. portent الحظ.

الآنَ يا جاهلا زلّتْ بكَ القدمُ   تبغى التكرّمَ لما فاتَكَ الكرمُ
اغريتَ بى ملكا لولا تثبُّته   ما جاز لى عنده نطقٌ ولا كلمُ
فايأسْ من العيش اذ قد صرتَ فى طبق   ان الملوك اذا ما استنقموا نقمُوا
نفسى اذا سخطت ليست براضية   ولو تشفّع فيك العُرْبُ والعجمُ

وكان من اخباره الداخلة فى ابواب البرّ والقربة بنيان المسجد الجامع الى ان قال[a] ومن ذلك بناؤه قنطرة على نهر قرطبة الاعظم ابتدأ بناءها المنصور سنة ٣٧٨ وفرغ منها فى النصف من سنة ٧٩ وانتهت النفقة عليها الى مائة الف دينار واربعين الف دينار فعظمت بها المنفعة وصارت صدرا فى مناقبه الجليلة وكانت هنالك قطعة ارض لشيخ من العامّة ولم يكن للقنطرة عدول عنها فامر المنصور أُمناءه بارْضائه فيها فحضر الشيخ عندهم فساوموه بالقطعة وعرّفوه وجه الحاجة اليها وان المنصور لا يريد الا انْصافه فيها فرماهم الشيخ بالغرض الاقصى عنده فيما ظنّه ألّا تخرج عنه باقلّ من ١٠ دنانير ذهبا كانت عنده اقصى الامنيّة وشرطها صِحاحا فاغتنم الامناء غفلتَه ونقدوه الثمن واشهدوا عليه ثم اخبروا المنصور بخبره فضحك من جهالته وانف من غبنه وامر ان يُعْطَى ١٠ امثالِ ما سأل وتدفع له صحاحا كما قال فقبض الشيخ ١٠٠ دينار ذهبا فكاد ان يخرج من عقله وان يُجَنّ عند قبضها من الفرح وجاء محتفلا فى شكر المنصور وصارت قصّته خبرا سائرا، ومن ذلك ايضا بناء قنطرة على نهر اسْتِجة وهو نهر شنّيل وتجشّم لها اعظم مونة وسهّل الطُرُق[b] الوعرة والشعاب الصعبة، ومن ذلك انه خطّ بيده مصحفا كان يحمله معه فى اسفاره يدرس فيه ويتبرّك به، ومن قوّة رجائه انه اعتنى بجميع ما علق بوجهه من الغبار فى غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم ياخذونه عنه بالمناديل فى كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صُرّة ضخمة عهد بتصييره فى حنوطه وكان يحملها حيث سار مع اكفانه توقُّعًا لحلول منيّته وقد كان اتّخذ الاكفان من اطيب مكسبه من الضيعة الموروثة من ابيه وغزل بناته وكان يسأل الله تعـ ان يتوفّاه فى طريق الجهاد فكان كذلك وكان متّسما بصحّة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه من ربّه وكثرة جهاده واذا ذُكّر بالله ذكر، واذا خُوّف من عقابه ازدجر،، ولم يزل متنزّها عن كل ما يفتتن به الملوك سوى الخمر

a) *Al-Bayān al-M.*, t. II, p. ٣٠٩. b) Les man. d'al-Makkarī portent الطريق.

لكنّه اقلع عنها قبل موته بسنتين a وكان عدله فى الخاصّة والعامّة وبسطه الحقّ على الاقرب فالاقرب من خاصّته وحاشيته امرا مضروبا به المثل، ومن عدله انه وقف عليه رجل من العامّة بمجلسه فنادى يا ناصر الحقّ انّ لى مظلمة عند ذلك الوصيف الذى على راسك واشار الى الفتى صاحب الدرقة وكان له فضلُ محلّ عنده ثم قال وقد دعوتُه الى الحاكم فلم يات فقال المنصور أَعبدُ الرحمن بن فُطَيْس بهذا العجز والمهانة وكُنّا نظنّه امضى من ذلك اذكُرْ مظلمتك يا هذا فذكر الرجل مُعامَلةً كانت جاريةً بينهما قطعها من غير نصف فقال المنصور ما اعظم بليّتنا بهذه الحاشية ثم نظر الى الصقلبى وقد ذهل عقله فقال له ادفَعِ الدرقة الى فلان وانزلْ صاغرا وساوِ خصمَك فى مقامه حتى يرفعك الحقُّ او يضعك ففعل ومثل بين يديه ثم قال لصاحب شرطته الخاصّ به خُذْ بيد هذا الفاسق الظالم وقَدِّمْه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه باغلظ ما يوجبه الحقُّ من سجن او غيره ففعل ذلك وعاد الرجل اليه شاكرا فقال له المنصور قد انتصفتَ انت اذهبْ لسبيلك وبقى انتصافى انا ممّن تهاون بمنزلتى فتناول الصقلبىّ بانواع من المذلّة وابعده عن الخدمة، ومن ذلك قصّة فتاه الكبير المعروف بالبورقى b مع التاجر المغربى فانهما تنازعا فى خصومة توجّهت فيها اليمينُ على الفتى المذكور وهو يومئذ اكبر خدم المنصور واليه امرُ داره وحرمه فدافَعَ الحاكمَ وظنّ ان جاهه يمنع من احْلافه فصرخ التاجر بالمنصور فى طريقه الى الجامع متظلّما من الفتى فوكّل به فى الوقت مَنْ حمله الى الحاكم فانصفه منه وسخط عليه المنصور وقبض نعمته منه ونفاه، ومن ذلك قصّة محمد فَصّاد المنصور وخادمه وامينه على نفسه فان المنصور احتاجه يوما الى الفصد وكان كثير التعهُّد له فانفذ رسوله الى محمد فالفاه الرسول محبوسا فى سجن القاضى محمد بن زرب c لحيف ظهر منه على امرأته قدّر ان سبيله من الخدمة يحميه من العقوبة فلما عاد الرسول الى المنصور بقصّته امر باخراجه من السجن مع رقيب من رُقباء السجن يلزمه الى ان يفرغ من عمله عنده ثم يردّه الى محبسه ففعل ذلك على ما رسمه وذهب الفاصد الى شكوى ما ناله فقطع عليه المنصور وقال له يا محمد انه القاضى وهو فى عدله ولو اخذنى الحقّ ما اطقتُ الامتناع منه عُدْ الى محبسك

a) G. L. S. بسنين. b) *Al-Bayān al-M.* بالمَيُورْقى. c) Ce nom se trouve écrit de cette manière dans le *Bayān al-M.*; al-Makk. G. L. S. زوب, La. O. روب.

او اعترف بالحقّ فهو الذى يطلقك فانكسر الحاجم وزالت عنه ريح العناية وبلغت قصّته للقاضى فصالحه مع زوجته وزاد القاضى شدّةً فى احكامه، *ومن دهائه *a* قال ابن حيان انه كان جالسا فى بعض الليالى وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر فدعا باحد الفرسان وقال له انْهَض الآن الى فجّ طليارش وأَقِمْ فيه فاول خاطر يخطر عليك سُقْه الىّ قال فنهض الفارس وبقى فى الفجّ فى البرد والريح والمطر واقفا على فرسه اذ وقف عليه قربَ الفجر شيخ هَرِمٌ على حمار له ومعه آلة الحطب فقال له الفارس الى اين تريد يا شيخ فقال وراء حطب فقال الفارس فى نفسه هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطبا فما عسى ان يريد المنصور منه قال فتركتُه فسار عنّى قليلا ثم فكرتُ فى قول المنصور وخفْتُ سطوته فنهضتُ الى الشيخ وقلتُ له ارجَعْ الى مولانا المنصور فقال وما عسى ان يريد المنصور من شيخ مثلى سألتك بالله ان تتركنى لطلب معيشتى فقال له الفارس لا افعل ثم قدم به على المنصور ومثّله بين يديه وهو جالس لم يَنَمْ ليلتَه تلك فقال المنصور للصقالبة فتّشوه ففتّش فلم يوجد عنده شىء فقال فتّشوا برذعةَ حماره فوجدوا داخلَها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى اصحابهم من النصارى ليُقْبِلوا ويضربوا فى احدى النواحى الموطومة فلما انبلج الصبح امر باخراج اولئك النصارى الى باب الزاهرة فضُربت اعناقهم وضربت رقبة الشيخ معهم، ثم ذكر هذا المؤرّخ قصّة الجوهرى التى قدّمنا نقلها من مُغْرِب ابن سعيد ولكنّا راينا اعادتها بلفظ هذا المؤرّخ لانه اتمّ مساقا اذ قال عطفًا على دهائه ومن ذلك قصّة الجوهرى التاجر وذلك ان رجلا جوهريّا من تجار المشرق قصد المنصور من مدينة عَدَن بجوهر كثير واحجار نفيسة فاخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى التاجر الجوهرى صُرَّتَه وكانت قطعة يمانية فاخذ التاجر فى انصرافه طريق الرملة على شطّ النهر فلما توسّطها واليوم قائظ وعَرَقُه منصبٌّ دعتْه نفسُه الى التبرّد فى النهر فوضع ثيابه وتلك *b* الصرّة على الشطّ فمرّت حدأة فاختطفت الصرّة تحسبها لحما وصاعدت فى الافق بها ذاهبةً فقطعت الافق الذى تنظر اليه عينُ التاجر فقامت قيامتُه وعلم انه لا يقدر ان يستدفع ذلك بحيلة فاسرّ الحزن فى نفسه ولحقه لاجل ذلك علّةٌ اضطرب فيها وحضر الدفع الى التجار

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makkarī. *b*) La. O. وترك.

فحضر الرجل لذلك بنفسه فاستبان للمنصور * ما بالرجل a من المهانة والكآبة وفقد ما كان عنده من النشاط وشدّة العارضة فسأله المنصور عن شانه فاعلمه بقصّته فقال له هَلّا اتيتَ الينا بحدثان وقوع الامر فكُنّا نستظهر على الحيلة فهل هُديتَ الى الناحية التى اخذ الطائرُ اليها قال مرَّ مشرّقا على سمت هذا الجبل الذى يلى قصرك يعنى الرملة فدعا المنصور شُرْطيّه الخاصّ به فقال له جِئنى بمشيخة اهل الرملة الساعةَ فمضى وجاء بهم سريعا فامرهم بالبحث عمّن غيّر حال الاقلال منهم سريعا وانتقل عن الاضافة دون تدريج فتناظروا فى ذلك ثم قالوا يا مولانا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو واولاده بايديهم ويتناوَلون السبق باقدامهم عجزًا عن شراء دابّة فابتاع اليوم دابّة واكتسى هو وولده كسوة متوسّطة فامر باحضاره من الغد وامر التاجر بالغدو الى الباب فحضر الرجل بعينه بين يدى المنصور فاستدناه والتاجر حاضر وقال له سببٌ ضاع منّا وسقط اليك ما فعلتَ به قال هو ذا يا مولاى وضرب بيده الى حجزة سراويله فاخرج الصرّة بعينها فصاح التاجر طربا وكاد يطير فرحا فقال له المنصور صِفْ لى حديثها فقال بينا انا اعمل فى جنانى تحت نخلة اذ سقطت امامى فاخذتُها وراقنى منظرها فقلتُ ان الطائر اختلسها من قصرك لقرب الجوار فاحترزتُ بها ودعتْنى فاقتى الى اخذ ١٠ مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة وقلتُ اقلّ ما يكون فى كرم مولاى ان يسمح لى بها فاعجب المنصور ما كان منه وقال للتاجر خُذْ صرّتك وانظرْها واصدقْنى عن عددها ففعل وقال وحقّ راسك يا مولاى ما ضاع منها شىء سوى الدنانير التى ذكرها وقد وهبتُها له فقال المنصور نحن أَوْلَى بذلك منك ولا ننغّص b عليك فرحك ولولا جَمْعه بين الاضْرار والاقْرار لكان ثوابه موفورا عليه ثم امر للتاجر بعشرة دنانير عوضا من دنانيره وللجنّان بعشرة دنانير ثوابا لتانّيه عن فساد ما وقع بيده وقال لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأَوْسعناه جزاء قال فاخذ التاجر فى الثناء على المنصور وقد عاودَه نشاطُه وقال والله لابثّنّ فى الاقطار عظيم ملكك ولأُنبّئنّ انك تملك طير اعمالك كما تملك انْسَها فلا تعتصم منك ولا تمتنع ولا تؤذى جارك فضحك المنصور وقال اقصدْ فى قولك يغفر الله لك فعجب الناس من تلطّف المنصور فى امره وحيلته فى تفريج كربته، ....c غزوة المنصور لمدينة

a) S. P. ما بال الرجل, La. O. ما نال الرجل. b) G. O. ننقص, S. L. La. تنقص. c) Le copiste de La. a rempli ce blanc, qui se trouve dans tous les autres man., en ajoutant ومن ذلك.

شنت ياقُب قاصية غليسية واعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الاندلس وما يتّصل بها من الارض الكبيرة وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا وللكعبة المثل الاعلى فبها يحلفون واليها يحجّون من اقصى بلاد رومة وما وراءها ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقب الحوارىّ احد الاثنى العشر وكان اخصّهم بعيسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام وهم يسمّونه اخاه للزومه اياه وياقب بلسانهم يعقوب وكان اسقفا ببيت المقدس فجعل يستقرى الارضين داعيا لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصية ثم عاد الى ارض الشام فمات بها وله ١٢٠ سنة شمسيّة فاحتمل اصحابه رِمّته فدفنوها بهذه الكنيسة التى كانت اقصى اثره ولم يطمع احد من ملوك الاسلام فى قصدها ولا الوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبُعْد شقّتها فخرج المنصور اليها من قرطبة غازيا بالصائفة يوم السبت لستّ بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٨٧ وهى غزوته الثامنة والاربعون ودخل على مدينة قُورية فلما وصل الى مدينة غليسية وافاه عدد عظيم من القوامس المتمسّكين بالطاعة فى رجالهم وعلى اتمّ احتفالهم فصاروا فى عسكر المسلمين وركبوا فى المغاورة سبيلهم وكان المنصور تقدّم فى انشاء اسطول كبير فى الموضع المعروف بقصر ابى دانس من ساحل غرب الاندلس وجهّزه برجاله البحريّين وصنوف المترجّلين وحمل الاقوات والاطعمة والعُدَد والاسلحة استظهارا على نفوذ العزيمة الى ان خرج بموضع بُرْتُقال على نهر دُوَيْرُه فدخل فى النهر الى المكان الذى عمل المنصور على العبور منه فعقد هنالك من هذا الاسطول جسرا بقرب الحصن الذى هنالك ووزع *a* المنصور ما كان فيه من الميرة الى الجند فتوسّعوا فى التزوّد منه الى ارض العدوّ ثم نهض منه يريد شنت ياقوب فقطع ارضين متباعدة الاقطار وقطع بالعبور عدّةَ انهار كبار وخُلْجان يمدُّها البحرُ الاخضر ثم افضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد فرطارش *b* وما يتّصل بها ثم افضى الى جبل شامخ شديد الوعر لا مسلك فيه ولا طريق لم يهتد الادلّاء الى سواه فقدّم المنصور الفَعَلَةَ بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه فقطعه العسكر وعبروا بعده وادى مِنْيُه *c* وانبسط المسلمون بعد ذلك فى بسائط عريضة وارضين اريضة وانتهت مُغِيرتُهم الى دير قسطان *d* وبسيط

---

a) Les man. d'al-Makk. portent ووجه. *b*) *Al-Bayān al-M.* فلطارش. *c*) Les man. portent مينه. *d*) La. O. قسان.

بلنبو a على البحر المحيط وفتحوا حصن شنت بلايه وغنموه وعبروا سباحةً b الى جزيرة
من البحر المحيط لجأ اليها خلق عظيم من اهل تلك النواحى فسبوا من فيها ممّن
لجأ اليها وانتهى العسكر الى جبل مُراسيه المتّصل من اكثر جهاته بالبحر المحيط
فتخلّلوا اقطاره واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ثم اجاز المسلمون بعد هذا
خليجا فى معبرَيْن ارشد الادلّاء اليهما ثم نهر ايلة ثم افضوا الى بسائط واسعة العمارة
كثيرة الفائدة ثم انتهوا الى موضع من مشاهد ياقوب صاحب القبر تِلْوِ مشهد قبره
عند النصارى فى الفضل يقصد نُسّاكُهم له من اقاصى بلادهم ومن بلاد القبط والنُوبة
وغيرهما فغادره المسلمون قاعا وكان النزول بعده على مدينة شنت ياقوب البائسة
وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شعبان فوجدها المسلمون خالية من اهلها فحاز
المسلمون غنائمها وهدموا مصانعها واسوارها وكنيستها وعفّوا آثارها ووكّل المنصور
بقبر ياقوب من يحفظه ويدفع الاذى عنه وكانت مصانعها بديعة محكمة فغودرت
هشيما كأن لم تَغْنَ بالامس وانتسفت بعوثه c بعد ذلك سائر البسائط وانتهت الجيوش
الى جزيرة شنت مانكش منقطَعِ هذا الصقع على البحر المحيط وهى غاية لم يبلغْها
قبلهم مسلم ، ولا وطِئها لغير اهلها قدم ،، فلم يكن بعدها للخيل مجال ، ولا وراءها
انتقال ،، وانكفأ المنصور عن باب شنت ياقوب وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله
فجعل فى طريقه القصد على عمل برمند بن اردون ليستقريَه d عائثا ومفسدا حتى
وقع فى عمل القوامس المعاهدين الذين فى عسكره فامر بالكفّ عنها ومرّ مجتازا
حتى خرج الى حصن بليقية e من افتتاحه فاجاز هنالك القوامس بجملتهم على اقدارهم
وكساهم وكسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بليقية f وكان مبلغ
ما كساه فى غزاته هذه لملوك الروم ولمَنْ حسن غناؤُه من المسلمين الفين ومائتين
وخمسا وثمانين شقّة من صنوف الخزّ الطرازى واحدى وعشرين كساءً من صوف البحر
وكسائَيْن عنبريَّين واحد عشر سقلاطونا وخمس عشرة مريّشا g وسبعة انماط ديباج
وثوبَىْ ديباج رومىّ وفروَىْ فنك ووافى جميع العسكر قرطبةَ غانما وعظمت النعمة والمنّة

---

a) S. بيلنوا , L. يلنتوى , *al-Bayān al-M.* بلنبوط. b) Les man. portent بساحته ; *al-Bayān al-M.* سباخة. c) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. d) Les man. portent ليستقربه. e) G. L. بليقة , S. بلقيه , *al-Bayān al-M.* مليقة. f) S. بلقيه. g) G. L. S. مريشات ✿

على المسلمين ولم يجد المنصور*a* بشنت ياقب الا شيخا من الرهبان جالسا على القبر فسأله عن مقامه فقال اوانس*b* يعقوب فامر بالكفّ عنه، *c*..... وحدّث شعلة قال قلتُ للمنصور ليلةً طال سهرُه فيها قد افرط مولانا فى السهر وبدنه يحتاج الى اكثر من هذا النوم وهو اعلم بما يحرّك عدمُ النوم من علّة العَصَب*d* فقال لى يا شعلة الملك لا ينام اذا نامت الرعيّة ولو استوفيتُ نومى لَمَا كان فى دُور هذا البلد العظيم عين نائمة، انتهى ما نقلتُه من الكتاب المذكور، * وقد رايتُ ان اذكر هنا اخبارا *e* نقلتُها من كتاب الازهار المنثورة، فى الاخبار الماثورة،، قال فى الزهرة التاسعة والعشرين تقدّم الى المنصور وانزمار بن ابى بكر البرزالى احد جند المغاربة وقد جلس للعرض والتمييز والميدان غاصّ بالناس فقال له بكلام يُضْحِك الثكلى يا مولاى ما لى ولك أَسْكَنّى فانّى فى الفحص فقال وما ذاك يا وانزمار واين دارك الواسعة الاقطار فقال اخرجتّنى عنها والله نعمتُك اعطيتنى من الضياع ما انصبَّ علىَّ منها من الاطعمة ما ملأ بيوتى واخرجنى عنها وانا بربرىّ مجوّع حديثُ عهد بالبوس أَتَرانى أُبْعِدُ القمح عنّى ليس ذلك من رايى فتطلّق المنصور وقال لله درّك من فدٍّ عَيِىّ لَعِيُّك فى شكر النعمة أَبْلَغُ عندنا وآخَذُ بقلوبنا من كلام كل اشدق متزيّد وبليغ متفنّن واقبل المنصور على من حوله من اهل الاندلس فقال يا اصحابنا كذا فلتُشكَر الايادى واستديموا النِعَم لا ما انتم عليه من الجحد اللازم والتَشَكّى المبرِّح وامر له بافضل المنازل الخالية، وفى الموفّية ثلثين ما نصّه اصبح المنصور صبيحةَ احد وكان يوم راحة الخَدَمة الذى أُعْفُوا فيه عن قصد الخدمة فى مطر وابل غبَّ ايام مثله فقال هذا يوم لا عهدَ بمثله ولا حيلةَ للمواظبين لقصدنا فى مكابدته فليت شعرى هل شذّ احد منهم عن التقدير فأَغْرِبْ فى البكور واخرجْ وتأمّل بقوله لحاجبه فخرج وعاد اليه ضاحكا وقال يا مولاى على الباب ٣ من البرابرة ابو الناس بن صالح واثنان معه وهم بحال من البَلَل انما تُوصَف بالمشاهدة فقال اوصلْهم الىّ وعجّلْ فدخلوا عليه فى حال الملّاح بللا ونداوةً فضحك اليهم وأَدْنَى مجلسهم وقال خبّرونى كيف جيتم وعلى اىّ حال وصلتم وقد استكان كل ذى روح فى كِنّه ولاذ كل طائر بوكره فقال له ابو الناس

---

a) J'ai ajouté ce mot d'après le ***Bayān al-M***. **b)** Les man. portent اونس. **c)** La قال, O. وقال. Dans les autres man. il y a un blanc. **d)** G. L. الغضب. **e)** Dans G. S. P. et O. il y a ici un blanc, que j'ai rempli d'après La.; L. porte وهاهنا اخبار.

بكلامه يا مولانا لبس كل تاجر[a] قعد عن سوقه واذا عُذر التجار على طلب الربح بالفلوس فنحن اعذر بادراكها بالبِدَر ومن غير رءوس الاموال وهم يتناوبون الاسواق على اقدامهم ويذيّلون فى قصدها ثيابهم ونحن ناتيك على خيلك ونذيّل على صهواتها ملابسك ونجعل الفضل فى[b] قصدك مضمونا اذا جعله اولئك طمعا ورجاء فترى لنا ان نجلس عن سوقنا هذا فضحك المنصور ودعا بالكَسى والصلات فدُفعت لهم وانصرفوا مسرورين بغدوتهم، وفى الزهرة الرابعة والاربعين ما نصّه كان بقرطبة على عهد الحاجب المنصور محمد بن ابى عامر فتى من اهل الادب قد رقّت حاله فى الطلب فتعلّق بكتاب العمل واختلف الى الخزانة مدّةً حتى قُلّد بعض الاعمال فاستهلك كثيرا من المال فلما ضُمّ الى الحساب أُبرز عليه ٣ آلاف دينار فرُفع خبره الى المنصور فامر باحضاره فلما مُثّل بين يديه ولزم الاقرار بما برز عليه قال له يا فاسق ما الذى جرّأك على مال السلطان تنتهبه فقال قضاء غلب الراىَ وفقر افسد الامانة فقال المنصور والله لأجعلنّك نكالا لغيرك ليُحْضَرْ كبل وحَدّادٌ فأُحضراه فكُبل الفتى وقال آحْملوه الى السجن وامر الضابط بامتحانه والشدّة عليه فلما قام انشأ يقول

اوّاه اوّاه وكم ذا ارى   اكثر من تذكار اوّاه
ما لآمْرِئٍ حولٌ ولا قوّة   الحول والقوّة لله

فقال المنصور رُدّوه فلما رُدّ[d] قال أتمثّلتَ ام قلتَ قال بل قلتُ فقال حُلّوا عنه كبله فلما حُلّ عنه انشأ يقول

أَما ترى عفو ابى عامر   لا بدّ ان تتبعه مِنّةْ
كذلك الله اذا ما عفا   عن عبده ادخله الجنّةْ

فامر باطلاقه وسوّغه ذلك المال وابرأه من التبعة فيه، وفى الخامسة والاربعين عرض على المنصور بن ابى عامر اسمُ احد خُدّامه فى جملة من طال سجنُه وكان شديد الحقد عليه فوقّع على اسمه بان لا سبيل الى اطلاقه حتى يلحق بأُمّه الهاوية وعُرّف الرجل بتوقيعه فاغتمّ واجهد نفسه فى الدعاء والمناجاة وأُرِقَ المنصور اثرَ ذلك واستدعى النوم فلم يقدر عليه وكان ياتيه عند تنويمه آتٍ كريهُ الشخص عنيف الاخذ يامره باطلاق الرجل ويتوعّده على حبسه فاستدفع شانه مرارًا الى ان علم انه نذير من ربّه فانقاد لامره ودعا بالدواة فى مرقده فكتب باطلاقه وقال فى كتابه هذا طليقُ الله على

a) G. S. L. التجار. b) L. لقصدك. c) S. La. O. فاحضر. d) La. O. ردوه.

رغم انف ابن ابى عامر وتحدّث الناس زمانا بما كان منه، وفى الثامنة*a* والاربعين ما نصّه انتهت هيبة المنصور بن ابى عامر وضبطه للجند واستخدام ذكور الرجال وقوام الملك الى غاية لم يصلْها ملك قبله فكانت مواقفهم فى الميدان على احتفاله مثلا فى الاطْراق حتى ان الخيل لتمتثل اطراق فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ولقد وقعتْ عينُه على بارقة سيف قد سلّه بعض الجند باقصى الميدان لهزل او جدّ بحيث ظنّ ان لحظ المنصور لا يناله فقال علىّ بشاهر السيف فمُثّل بين يديه لوقته فقال ما حملك على ان شهرتَ سيفك فى مكان لا يُشْهَر فيه الا عن اذن فقال انّى اشرتُ به على صاحبى مُغْمَدا فدلق من غمده فقال انّ مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وامر به فضُربت عنقه بسيفه وطِيفَ براسه ونُودِىَ عليه بذنبه انتهى، ....*b* ان المنصور كان به داءٌ فى رجله واحتاج الى الكىّ فامر الذى يكويه بذلك وهو قاعد فى موضع مشرف على اهل مملكته فجعل يامر وينهى ويفرق الفرقَ فى اموره ورجله تُكوى والناس لا يشعرون حتى شمّوا رائحة الجلد واللحم فتعجّبوا من ذلك وهو غير مكترث واخباره رحّه تحتمل مجلّدات فلنمسك العنان على انّا ذكرنا فى الباب الرابع والسادس من هذا الكتاب جملة من اخباره رحّه فلتراجعْ الى آخره، * وقال الفتح فى المطمح*c* وكان مما أُعين به المنصور على المصحفى ميلُ الوزراء اليه، وايثارهم له عليه،، وسعيهم فى ترقّيه، واخذهم بالعصبيّة فيه،، فانها وان لم تكن حميّة اعرابيّة، فقد كانت سلفيّة سلطانيّة،، يقتفى القوم سبيلَ سلفهم، ويمنعون*d* بها ابتذال شرفهم،، غادروها سيرة، وخلّفوها*e* عادة اثيرة،، تشاحّ الخلفُ فيها تشاحّ اهل الديانة، وصانوا بها مراتبهم اعظمَ صيانة،، وراوا ان احدا لا يلحق فيها غاية، ولا يتاقدر*f* لها راية،، فلما اصطفى الحكم المستنصر بالله جعفر بن عثمن واصطنعه، ووضعه من اثرته حيث وضعه،، وهو نزيع بينهم، وتابع*g* فيهم،، حسدوه وذمّوه، وخصّوه بالمطالبة وعمّوه،،

---

a) La. O. السادسة. *b*) La. O. وفى السابعة والاربعين. *c*) Dans G. P. et S. il y a ici une lacune; L. porte قال ; La. et O. وفى الثامنة والاربعين. J'ai ajouté les mots qu'on lit dans le texte, parce que ce passage se trouve réellement dans le man. P. du *Matmah*. Il se trouve aussi dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٩٠. *d*) G. L. La. P. ويحفلون , S. ويجعلون , O. ويحلقون. *e*) J'ai suivi ici le *Bayān al-M.* *Al-Mat*. P. et les man. d'al-Makk. portent وتخلقوها. *f*) Ce mot est sans doute altéré; La. O. يتعاقد, *al-Mat*. P. يتقى. Dans le *Bayān al-M.* on lit: لا يدرك فيها غاية، ولا يلحق لها راية. *g*) G. S. P. La. O. ونادع , L. ونابغ.

وكان اسرع هذه *a* الطائفة من اعالى الوزراء واعاظم الدولة الى مهاودة المنصور عليه ، والانحراف عنه اليه ،، آل ابى عبدة *b* وآل شُهَيْد وآل فُطَيْس من الخلفاء *c* واصحاب الردانة *d* ، وأُولى الشرف والانافة *e* ،، وكانوا فى الوقت ازمّة الملك وقوام الخدمة ، ومصابيح الامّة ، وأَغْيَرَ الخلق على جاه وحرمة ،، فأَحْظوا محمد بن ابى عامر مشايعةً ، ولبعض *f* اسبابه الجامعة متابعةً ،، وشادوا بناءه ، وقادوا الى عنصره سناءه ،، حتى بلغ الامل ، * والتحف بمُناه واكتحل *g* ،، وعند التئام هذه الامور لابن ابى عامر استكان جعفر بن عثمن للحادثة وايقن بالنكبة ، وزوال الحال وانتقال الرتبة ،، وكفّ عن اعتراض محمد وشركته فى التدبير ، وانقبض الناس من الرواح اليه والتبكير ،، وانثالوا على ابن ابى عامر فخفّ موكبُه ، وغار من سماء العزّ كوكبُه ،، وتوالى عليه سعى ابن ابى عامر وطلبه ، الى ان صار يغدو الى قرطبة ،، ويروح وليس بيده *h* من الحجابة الا اسمها ، وابن ابى عامر مشتمل على مجرّد *i* رسمها ،، حتى محاه ، وهتك ظلّه *j* واضحاه ،، * قال محمد *k* بن اسمعيل رايتُه يُساق الى مجلس الوزارة للمحاسبة راجلا فاقبل يدرم ، وجوارحه باللواعج تضطرم ،، وواثق الضاغط ينهره ، والزَمَع يقهره ،، والبهر والسنّ *l* قد هاضاه ، وقصّرا خُطاه ،، فسمعتُه يقول رفقًا بى فستدرك ما تحبّه وتشتهيه ، وترى ما كنتَ ترتجيه ،، ويا ليت ان الموت يُباع فاغلى الله *m* سومه ، حتى يَرِدَه من قد *n* اطال عليه حومه ،، * ثم قال *o*

لا تـامننّ من الزمـان تقلّبًـا ان الزمـان باهـله يتـقـلّـبُ
ولقد ارانى والليوث تخافنى فاخافنى من بعد ذاك الثعلبُ
حسبُ الكريم مذلّةً ومهانةً ألّا يزال الى لئيم يطلبُ

فلما بلغ المجلس جلس فى آخره دون ان يسلّم على احد ، او يُومى اليه بعين او يد ،، فلما اخذ مجلسه تسرّع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر فعنّفه واستجفاه *p* ،

---

a) Al-Makk. صنف. *b*) *Al-Mat*. P., al-Makk. La. عبيدة. *c*) *Al-Mat*. P. الحنفا. *d*) Al-Makk. G. L. S. P. الردانة , La. O. السدانة. *e*) Al-Makk. G. L. S. O. P. والامانة , La. والاصانة. *f*) Al-Makk. وببعض. *g*) *Al-Mat*. P. والتحف بيمينه بمناه واشتمل. *h*) La. له , O. معه. *i*) Ce mot manque dans le man. P. du *Mat*. *j*) *Al-Mat*. P. ظلاله. *k*) Il y a ici un blanc dans les man. d'al-Makk. *l*) Telle est la leçon qu'on trouve dans le *Bayān al-M.*; al-Makk. والنفس ; *al-Mat*. P. والزمع والبهر قد هاضاه. *m*) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. *n*) Même remarque. *o*) Même remarque. *p*) Al-Makk. G. L. O. P. واستخفاه , S. La. واستخفاه.

وانكر عليه ترك السلام وجفاه،، وجعفر مُعْرِض عنه، الى ان كثر القول منه،، فقال له يا هذا جهلتَ المبرّة فاستجهلتَ عالمَها a وكفرتَ النعم b فقصدتَّ بالاذى ولم ترهب مقدّمَها،، ولو اتيتَ نكرا، لكان غيرك ادرى،، وقد وقعتَ فى امر ما اظنّك تتخلّص منه، ولا يَسَعُك السكوتُ عنه،، ونسيتَ الايادى الجميلة، والمبرّات الجليلة،، فلما سمع محمد بن حفص ذلك من قوله قال هذا البُهْتُ بعينه واىّ اياديك الغُرّ التى مننتَ بها، وعيّنتَ اداءَ واجبها،، أَيَدٌ كذا ام يدٌ كذا وعدّد c اشياءَ انكرها منه ايامَ امارته، وتصرُّف الدهر طَوْعَ اشارته،، فقال جعفر هذا ما لا يعرف، والحقّ الذى لا يُرَدّ ولا يصرف،، دفعى d القطع عن يُمْناك، وتبليغى لك الى مُناك،، فاصرّ محمد بن حفص على الجحد فقال جعفر أَنْشُدُ اللهَ مَنْ له علم بما اذكره، الّا اعترف به فلا ينكره،، وانا احوج الى السكوت، ولا تُحْتَجَب دعوتى فيه عن الملكوت،، فقال الوزير احمد بن عباس e قد كان بعض ما ذكرتَه يا ابا الحسن وغير هذا أَوْلَى بك، وانت فيما انت فيه من محنتك وطلبك،، فقال احرجنى الرجل فتكلّمتُ، واحوجنى الى ما به اعلمتُ،، فاقبل الوزير ابن جهور على محمد بن حفص وقال اساتَ الى الحاجب، واوجبتَ عليه غير الواجب،، أَوَما علمتَ ان منكوب السلطان لا يسلّم على اوليائه لانه انْ فعل الزمهم الردَّ لقوله تع واذا حُيّيتم بتحيّة فحَيُّوا باحسن منها او رُدُّوها f فانْ فعلوا لطاف بهم من انكار السلطان ما يُخشى ويُخاف، لانه تانيس لمن اوحش وتامين لمن اخاف، وان تركوا الردَّ اسخطوا الله فصار الامساكُ احسن، ومثل هذا لا يخفى على ابى الحسن،، فانكسر ابن حفص، وخجل ممّا اتى به من النقص،، وبلغه ان اقواما توجّعوا له، وتفجّعوا ممّا وصله،، فكتب اليهم

احنُّ الى انفاسكم فاظنُّها   بواعثَ انفاس الحياة الى نفسى
وان زمانا صرتُ فيه مقيّدا g   لَأَثْقَلُ من رَضْوَى وأَضْيَقُ من رَمْسِى

انتهى .... h فنقول ولما توفّى المنصور قام بالامر بعده ابنه عبد الملك المظفّر ابو مروان فجرى على سَنَن ابيه فى السياسة والغزو وكانت ايامه اعيادا دامت مدّةَ

---

a) C'est ainsi qu'on lit dans le man. P. du *Mat.* et dans le *Bayān al-M.*; al-Makk. معلمها. b) *Al-Mat.* P. البد. c) Al-Makk. وعيّن. d) Al-Makk. رفعى. e) *Al-Bayān al-M.* عياش. f) *Al-Ḳorān*, sour. 4, vs. 88. g) *Al-Mat.* P. مفندا. h) G. L. كلام ابن ابى عامر, La. O. ما ترجم به المنصور بن ابى عامر ولنرجع. Dans les autres man. il y a ici un blanc.

٧ سنين وكانت تسمى بالسابع تشبيهًا بسابع العروس ولم يزل مثل اسمه مظفّرا الى ان مات سنة ٣٩٩ فى المحرم وقيل سنة ٩٨ وكاتبه المعزّ بن زيرى ملك مغراوة بعد ان استرجع فاسا والمغرب اثرَ موت ابيه فكتب له العهد على المغرب وثارت الطوائف فى ممالكهم وتحرّكت الجلالقة لاسترجاع معاقلهم وحصونهم، *قال ابن خلدون[a] ثم قام بالامر بعده اخوه عبد الرحمن وتلقّب بالناصر لدين الله وقيل بالمامون وجرى على سَنَن ابيه واخيه فى الحجر على الخليفة هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم ثاب له راى فى الاستيثار بما بقى من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيّد ان يولّيه عهدَه فاجابه واحضر لذلك الملأَ من ارباب الشورَى واهل الحلّ والعقد فكان يومـا مشهودا فكتب عهده من انشاء ابى حفص بن برد بما نصّه هذا ما عهد به هشام المؤيّد بالله امير المومنين الى الناس عامّةً وعاقَد الله عليه من نفسه خاصّةً واعطى به صفقةَ يمينه بيعةً تامّةً بعد ان امعن النظر واطال الاستخارة واهمّه ما جعل الله اليه من الامامة وعصب به من امر المومنين واتّقى حلول القدر بما لا يومن وخاف نزول القضاء بما لا يُصْرَف وخشى ان هجم محتومُ ذلك عليه ونزل مقدورُه به ولم يرفع لهذه الامّة عَلَمًا تاوى اليه، وملجأً تنعطف[b] عليه،، أن يكون يلقى ربّه تبارك وتعالى مفرطا ساهيا عن اداء الحقّ اليها ونقص عند ذلك من احياء قُرَيْش وغيرها من يستحقّ ان يُسْنَد هذا الامر اليه، ويعوَّل فى القيام به عليه،، ممّن يستوجبه بدينه وامانته، وهَدْيه وصيانته،، بعد اطراح الهوى والتحرّى للحقّ والتزلّف الى الله جلّ جلاله بما يرضيه وبعد ان قطع الاواصر واسخط الاقارب فلم يجدْ احدا اجدرَ ان يولّيه عهدَه، ويفوّض اليه الخلافة بعده،، لفضل نفسه وكرم خيمه وشرف مرتبته وعلوّ منصبه مع تُقاه وعفافه ومعرفته وحزمه من المامون الغيب، الناصح الجيب،، ابى المطرّف[c] عبد الرحمن بن المنصور ابى عامر محمد بن ابى عامر وفّقه الله اذ كان امير المومنين ايّده الله قد ابتلاه واختبره، ونظر فى شانه واعتبره،، فرآه سارعا فى الخيرات، سابقا فى الحلبات، مستوليا على الغايات، جامعا للماثرات،، ومن كان المنصور اباه، والمظفّر اخاه، فلا غروَ ان يبلغ من سُبُل البرّ مداه، ويحوى من خلال الخير ما حواه،، مع ان امير المومنين ايّده الله بما طالَعَ من مكنون العلم ووعاه من

a) Ces mots manquent dans G. L. S. et P. b) Ibn-Kh. L. P. يتعطف. c) Les man. d'al-Makk. portent ici ابى المظفر.

مخزون الاثر يرى ان يكون ولىُّ عهده القحطانىَّ الذى حدَّث عنه عبد الله بن عمرو بن العاصِ وابو هُريرة ان النبىَّ صلّعم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه فلما استوى له الاختيار، وتقابلت عنده فيه الآثار،، ولم يجدْ عنه مذهبا ولا الى غيره معدلا خرج اليه من تدبير الامور فى حياته، وفوَّض اليه الخلافة بعد وفاته [a]،، طائعـا راضيـا مجتهدا وامضى اميرُ المومنين هذا واجازه وانفذه ولم يشترط فيه مثنويّة ولا خيارا واعطى على الوفاء به فى سرّه، وجهره،، وقوله، وفعله،، عهدَ الله وميثاقه وذمّة نبيّه محمد صلّعم وذِمَمَ الخلفاء الراشدين من آبائه وذمّة نفسه أَلّا يبدّل، ولا يغيّر ولا يحوّل ولا يزوّل،، واشهد على ذلك الله والملائكة وكفى بالله شهيدا واشهد *من اوقع اسمه فى هذا [b] وهو جائز الامر ماضى القول والفعل بمحضر من ولىّ عهده المامون ابى المطرّف [c] عبد الرحمن بن المنصور وفّقه الله وقبوله ما قلّده والزامه نفسَه ما الزمه وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ٣٩٨ وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط ايديهم وتسمّى بعدها بولىّ العهد ونقم عليه اهلُ الدولة ذلك فكان فيه حتفُه وانقراض دولته ودولة قومه وكان اسرع الناس كراهةً لذلك الامويّين والقرشيّين فغصّوا بامره وأَسِفوا من تحويل الامر جملةً من المضريّة الى اليمنيّة فاجتمعوا لشانهم وتمشّتْ من بعض الى بعض رجالاتُهم واجمعوا امرهم فى غيبة من المذكور ببلاد الجلالقة فى غزاة من صوائفه ووثبوا بصاحب الشرطة فقتلوه بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة ٣٩٩ وخلعوا هشاما المؤيّد وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبّار بن امير المومنين الناصر لدين الله من اعقاب الخلفاء ولقّبوه المهدى بالله وطار الخبر الى عبد الرحمن الحاجب ابن المنصور بمكانه من الثغر فانفضّ جمعه وقفل الى الحضرة مُدِلًّا بمكانه زعيما بنفسه حتى اذا قرب من الحضرة تسلّل عنه الناس من الجند ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدى القائم بالامر واغروه بعبد الرحمن الحاجب لكونه ماجنا مستهتَرا غير صالح للامر فاعترضه منهم من قبض [d] عليه واحتزّ راسه وحمله الى المهدى والى الجماعة وذهبت دولة العامريّين كأن لم تكن ولله عاقبة الامور، وفى المهدى يقول بعضهم

قد قام مهديُّنا ولكن   بملّة الفسق والمجونِ   وشارَكَ الناسَ فى حريم

a) La. O. مماته. b) Ces mots ne se trouvent pas dans les man. d'al-Makk. c) La. O. ابى المظفر. d) Ibn-Khald. L. تقبض.

لولاه ما زال بالمصونِ   من كان من قبلهa ذا أَجَمَّا   فاليومَ قد صار ذا قرونِ

وكان رؤساء البربر وزناتة لحقوا بالمهدى لما راوا من سوء تدبير عبد الرحمن وانتقاص امره وكانت الامويّة تعتدّ عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريّين وتنسب تغلُّبَ المنصور وبنيه على الدولة اليهم فسخطتْهم القلوب وخزرتْهم العيون ولولا ما لهم من العصبيّة لاستاصلهم الناس ولغطتْ أَلْسِنَةُ الدهماء من اهل المدينة بكراهتهم وامر المهدى أَلّا يركبوا ولا يتسلّحوا وردَّ بعض رؤسائهم فى بعض الايام من باب القصر فانتبهت العامّة دُورَهم وشكا بعضهم الى المهدى ما اصابهم فاعتذر اليهم وقتل من اتّهم من العامّة فى امرهم وهو مع ذلك مظهر لبغضهم مجاهر بسوء الثناء عليهم وبلغهم انه يريد الفتك بهم فتمشّتْ رجالاتهم واسرّوا نَجْواهم واشتَوَروا فى تقديم هشام بن سليمن ابن امير المومنين الناصر وفشا فى الخاصّة حديثهم فعوجلوا عن مرامهم ذلك وأُغرى بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وازعجوهم عن المدينة وتُقُبِّض على هشام واخيه ابى بكر وأُحضرا بين يدى المهدى فضرب اعناقهما ولحق سليمن ابن اخيهما الحكم بجنود البربر وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتوامروا فبايعوه ولقّبوه المستعين بالله ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاش بابن ادفونش ثم نهض فى جموع البرابرة والنصرانية الى قرطبة وبرز اليه المهدى فى كافّة اهل البلد وخاصّة الدولة فكانت الدائرة عليهم واستُلحم منهم ما يزيد على ٢٠ الفا وهلك من خيار الناس وائمّة المساجد وسَدَنتها ومؤذّنيها عالَمٌ ودخل المستعين قرطبة خاتمَةb المائة الرابعة ولحق المهدى بطليطلة واستجاش بابن ادفونش ثانيةً فنهض معه الى قرطبة وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهر قرطبة ودخل قرطبة اعنى المهدى وملكها وخرج المستعين مع البربر وتفرّقوا فى البسائط ينهبون لا يُبقون على احد ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهدى ومعه ابن ادفونش لاتّباعهم فكرّوا عليهم فانهزم المهدى وابن ادفونش ومن معهماc من المسلمين والنصارى واتّبعهم المستعين الى قرطبة فاخرج المهدىُّ هشاما المؤيّد للناس وبايع له وقام بامر حجابته ظنًّا منه ان ذلك ينفعه وهيهات وحاصرَهم المستعين والبربر فخشى اهل قرطبة من اقتحامهم عليهم فاغروا اهل القصر وحاشية المؤيّد بالمهدى وان الفتنة انّما جاءت من قِبَله وتولّى كِبرَ ذلك واضحٌ العامرى فقتلوا المهدى واجتمع

---

a) S. قبله. b) Al-Makkarī ختام. c) G. L. S معه, La. O. معهم.

الكافّة على المؤيّد وقام واصح بحجابته واستمرّ الحصار ولم يُغْنِ عن اهل قرطبة ما فعلوه شيئًا الى ان هلكت القرى والبسائط بقرطبة وعُدمت المرافق وجهدهم الحصارُ وبعث المستعين الى اهل ابن[a] ادفونش يستقدمهم[b] لمظاهرته فبعث اليهم هشام وحاجبه واصح يكفّونهم عن ذلك بان ينزلوا لهم عن ثغور قشتالة التى كان المنصور افتتحها فسكن عن مظاهرتهم عزمُ ادفونش ولم يزل الامر حتى دخل المستعين قرطبة ومن معه من البربر عنوةً سنة ٤٠٣ وقُتل هشام سرًّا ولحق بيوتات قرطبة معرّات فى نسائهم وابنائهم وظنّ المستعين ان قد استحكم امره وتوثّبت[c] البرابرة والعبيد على الاعمال فولّوا المدن العظيمة وتقلّدوا الاعمال[d] الواسعة مثل باديس بن حبوس فى غرناطة والبرزالى فى قَرْمونة واليفرنى فى رُنْدة وخَزْرُون[e] فى شريش وافترق شمل الجماعة بالاندلس وصار الملك طوائفَ فى آخرين من اهل الدولة مثل ابن عبّاد باشبيلية وابن الافطس ببَطَلْيَوْس وابن ذى النون بطليطلة وابن ابى عامر ببلنسية وابن هود بسرقسطة ومُجاهد العامرى بدانية والجزائر، ....[f] وكان مائلا لبنى حمود يهجو سليمن المستعين

لا رحم الله سليمانَكم ... فانه ضدُّ سليمانِ

ذاك به غلتْ شياطينها ... وحلَّ هذا كلَّ شيطانِ

فباسْمه ساحتْ على ارضنا ... لهلك سُكّان واوطانِ

وكان من اعظم الاسباب فى فساد دولة المستعين انه قال هذه الابيات مستريحا بها الى خواصّه وهى قوله

حلفتُ بمن صلّى وصام وكبّرَا ... لأغمدها فيمن طغى وتجبّرَا[g]

وأُبصر دينَ الله تُحْيَى رسومُه ... فيُبدّل ما قد لاح[h] منها وغُيّرَا

فوا عجبا من عَبْشَمِىٍّ[i] مملّك ... بِرغم العوالى والمعالى تَبَرْبَرَا

فلو ان امرى بالخيار نبذتُهم ... وحاكمتُهم للسيف حكمًا محرّرًا[j]

فامّا حياة تُستلذّ بفقدهم ... وامّا حِمام لا نرى فيه ما زَرَا

وقد سلك هذا المسلك المرتضى المروانى فقال

قد بلغ البربرُ فينا بنا ... ما افسد الاحوال والنظمَا

---

a) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. b) G. L. يستعدهم, La. O. يستعد بهم, P. يستمدّهم. c) L. وترتبت. d) G. L. S. البلاد. e) Al-Makk. La. وهزرون, G. L. P. وهرزون, O. وهرون. S. وهرون. f) La. O. قال ابن خلدون (!). g) L. وتكبرا. h) La. O. كان. i) G. S. P. عشمى, La. O. غاشمى (l. هاشمى). j) La. محذرا.

كالسهم للطائر لولا الذى   فيه من الريش لَمَا أَصْمَى
قوموا بنا فى شانهم قومةً   تُزِيل عنّا العار والرغما
امّا بها نملك او لا نرى   ما يرجع الطرفُ به أَعْمَى

وكان على بن حمّود الحسنى واخوه قاسم من عقب ادريس ملك فاس وبانيها قد اجازوا مع البربر من العدوة الى الاندلس فدعوا لانفسهم واعصَوْصَبَ عليهم البربر فملكوا قرطبة سنة ٤٠٧ وقتلوا المستعين ومحوا ملك بنى امية واتّصل ذلك فى خلف منهم ٧ سنين ثم رجع الملك الى بنى اميّة، وكان المستعين المذكور اديبا بليغا ومن شعره يعارض هٰرون الرشيد فى قوله مُلْكُ الثلاث الآنسات عنانى الابياتَ بقوله

عجبا يهاب الليثُ حدَّ سنانى   واهابُ لحظَ *a* فواترِ الاجفانِ
واقارع الاهوالَ لا متهيّبا *b*   منها سوى الاعْراضِ والهجرانِ
وتملّكتْ نفسى ثلثٌ كالدُّمَى   زُهْرُ الوجوه نواعمُ الابدانِ
ككواكب الظلماء لُحْنَ لناظرٍ   من فوق اغصان على كثبانِ
هٰذى الهلال وتلك بنت المشترى   حسنًا وهٰذى اختُ غصن البانِ
حاكمتُ فيهنّ السلوَّ الى الصبَى *c*   فقضى بسلطان على سلطانِ
فأُبِحْنَ من قلبى الحمَى وتركْنَنى   فى عزّ ملكى كالاسير العانى
لا تعذلوا مَلكا تذلّل فى الهوى   ذلُّ الهوى عزٌّ ومُلْكٌ ثانى
ما ضرَّ انّى عبدُهنّ صبابةً   وبنو الزمان وهنَّ من عبدانى
ان لم أُطِعْ فيهنّ سلطانَ الهوى   كلفًا بهنّ فلَسْتُ من مروانِ

* وولّى الامر بعده على *d* بن حمّود الحسنى تلقّب بالناصر وخرج عليه العبيد وبعض المغاربة وبايعوا المرتضَى اخا المهدى ثم اغتيل المرتضى واستقام الملك لعلى بن حمود نحو عامين الى ان قتلتْه صقالبتُه بالحمّام سنة ٤٠٨ فولّى مكانَه اخوه القاسم وتلقّب بالمامون ونازعه الامرَ بعد ٤ سنين من خلافته يحيى ابن اخيه وكان على سبتة فاجاز الى الاندلس سنة ١٠ واحتلّ بمالقة وكان اخوه ادريس بها منذ عهد ابيهما فبعثه الى سبتة ثم زحف يحيى الى قرطبة فملكها سنة ٤١٢ وتلقّب بالمعتلى وفرّ عمّه

---

a) G. S. L. بسحر. *b*) G. S. L. متهيّبًا. *c*) On trouve cette leçon chez al-Homaidī et chez 'Abd-al-wāhid (éd. Dozy, p. ٣١). Al-Makk. G. S. L. P. الرضى, La. O. عن الهوى. *d*) Dans G. S. et P. il y a ici une lacune, que j'ai remplie d'après La. et O.; L. ثم ان حمود.

المامون الى اشبيلية وبايع له القاضى ابن عبّاد واستجاش بعض البرابرة ثم رجع الى قرطبة سنة ١٣ وملكها ولحق المعتلى بمكانه من مالقة وتغلّب على الجزيرة الخضراء وتغلّب اخوه ادريس على طنجة من وراء البحر وكان المامون يعتدّها حصنا لنفسه وفيها ذخائره فلما بلغه الخبر اضطرب وثار عليه اهل قرطبة ونقضوا طاعته وخرج فحاصرهم فدافعوه ولحق باشبيلية فمنعوه وكان بها ابنه فاخرجوه اليه وضبطوا بلدهم واستبدّ ابن عبّاد بملكها ولحق المامون بشريش ورجع عنه البربر الى يحيى المعتلى ابن اخيه فبايعوه سنة ١٥ وزحف الى عمّه المامون فتغلّب عليه ولم يزل عنده اسيرا وعند اخيه ادريس بمالقة الى ان هلك بمحبسه *a* سنة ٢٧ وقيل انه خُنق كما سياتى واستقلّ المعتلى بالامر واعتقل ابنَىْ *b* عمّه القاسم *c* وكان المستكفى من الامويّين استولى على قرطبة فى هذه المدّة عند ما اخرج اهلُها العلويّةَ ثم خلع اهل قرطبة المستكفى الاموى سنة ١٦ وصاروا الى طاعة المعتلى واستعمل عليهم ابن عطاف من قبَله ثم نقضوا سنة ١٧ وصرفوا عاملهم وبايعوا للمعتدّ *c* الاموى اخى المرتضَى وبقى المعتلى يردّد لحصارهم العساكر الى ان اتّفقت الكافّة على اسلام الحصون والمداين له فعَلَا سلطانه واشتدّ امره الى ان هلك سنة ٢٩ اغتاله اصحابه بدسيسة ابن عبّاد الثائر باشبيلية فاستدعى اصحابه اخاه ادريس بن على بن *حمود من *d* سبتة وملّكوه ولقّبوه المتأيّد وبايعتْه رُنْدة واعمالها والمريّة والجزيرة الخضراء وبعث عساكره لحرب ابى القاسم اسمعيل بن عبّاد والد المعتضد بن عباد فجاءوه براسه بعد حروب وهلك ليومين بعد ذلك سنة ٣١ وبويع ابنه يحيى ولم يتمّ له امر وبويع حسن المستنصر بن المعتلى وفرّ يحيى الى قمارش فهلك بها سنة ٣٤ ويقال انه قتله نجا وهلك حسن مسموما بيد ابنة عمّه ادريس ثأرت منه باخيها وكان ادريس بن يحيى المعتلى معتقلا بمالقة فأُخرج بعد خطوب وبويع بها فاطاعتْه غرناطة وقرمونة ولُقّب العالى وهو الممدوح بالقصيدة المشهورة بالمغرب التى قالها فيه ابو زيد عبد الرحمن بن مقانا *e* الفنداقى *f* الاشبونى من شعراء الذخيرة وهى

---

a) G. et L. ajoutent عنده. *b*) Les man. portent بنى. *c*) Ibn-Khaldoun L. للمعتمدة (l. للمعتمد). *d*) J'ai ajouté ces deux mots d'après Ibn-Khald.; al-Makk. G. L. S. P. على ابن سبتة, La. O. على من سبتة. *e*) G. S. L. P. O. مقاتل. *f*) Peut-être doit-on lire الغيداقى, ou القبذاقى, ou القيذانى, car d'après Ibn-Bassâm, القيذان est le nom d'un village من ساحل شنتره.

أَلبرقِ لائحٍ من اندرينْ   ذرفتْ عيناك بالدمع a المعينْ
لعبتْ اسيافُه عاريةً   كمخاريق بايدى اللاعبينْ
ولصوت الرعد زجرٌ وحنينْ   ولقلبى زفرات وأَنينْ
وأُناجى b فى الدُّجى عاذلتى   ويك لا اسمع c قول العاذلينْ
عيّرتْنى بسقام وضَنًى   انَّ هذَيْن لَدينُ العاشقينْ d
قد بدا لى وَضَحُ الصبح المُبينْ   فاسْقنيها قبل تكبير الأَذينْ
سَقّنيهاه e مزّةً مشمولةً   لبثتْ فى دنّها بضعَ سنينْ
نثر المزجُ على مفرقها   دُرَرًا عامتْ فعادتْ كالبُرينْ
مع فتيان كرام نُجُب   يتهادَوْن رياحين المجونْ f
شربوا الراح على خدّ رَشًا g   نوّر الوردُ به والياسمينْ
وجَلَتْ آياته عامدةً   سَبَجَ الشَّعْر على عاجِ الجبينْ
لَوَتِ الصدغ على حاجبه   ضمّةَ اللام على عطفة نونْ
فترى غصنا على دعص نَقًى   وترى ليلا على صبحٍ مُبينْ
ويسقّون اذا ما شربوا   باباريق وكاس من معينْ
ومصابيح الدجى قد طفئتْ   فى بقايا من سواد الليل جُونْ
وكأنَّ الظلَّ مسك فى الثرى   وكأنَّ النَّوْر درّ فى الغصونْ
والندى يقطر من نرجسه   كدموع اسبلتْهنَّ h الجفونْ
والثريّا قد *علت فى i افقها j   كقضيب زاهر من ياسمينْ
وانبرى جنح الدجى من صبحه   كغراب طار عن بَيْض كنينْ
وكأنَّ الشمس لمّا اشرقتْ   فانثنتْ عنها عيون الناظرينْ

---

a) La. O. بالماء. *b*) Ibn-Bassām (man. d'Oxford) وانادى. *c*) Ibn-B. اقبل. *d*) Le man. d'Ibn-B. ajoute après ce vers ومنها. *e*) La. O. اسقنيها. Ce vers manque chez Ibn-B. *f*) Après ce vers on trouve dans le man. d'Ibn-B. cet autre:

وعليهم زاجرٌ من حلمهم   ولديهم قاصراتُ الطرفِ عِينْ

g) Ibn-B. ثنى. *h*) Cette leçon se trouve chez Ibn-B.; al-Makk. O. اسلبتهن, G. S. L. اسكبتهن, La. نثرتهن. *i*) Telle est la leçon du man. d'Ibn-B.; les man. d'al-Makk. portent هوت من. *j*) S. برجها.

وجهُ ادريس بن يحيى بن علـــيّ بن حمّود امير المومنينْ a
مَلِكٌ ذو هيبة لكنّه   خاشع لله ربّ العالمينْ
خُطَّ بالمسك على ابوابه   ادْخُلوها بسلام آمنينْ b
فاذا ما رُفِعتْ راياته   خفقتْ بين جناحَيْ جبرئينْ
واذا أَشْكَلَ خطبٌ مُعْضِل   صدع الشكَّ بمصباح اليقينْ
* فبيُسْراه يسارُ المُعْسِرينْ c   وبيُمْناه لواء السابقينْ
يا بنى احمد يا خير الورى   لابيكم كان وفد d المسلمينْ
نزل الوحى عليه فاحتبى e   فى الدجى فوقهم الروحُ الامينْ
خُلقوا من ماء عدل وتُقًى   وجميع الناس من ماء وطينْ
انظرونا نقتبسْ من نوركم   انه من نور ربّ العالمينْ

وقيل f انه انشده اياها من وراء حجاب اقتفاء لطريقة خلفاء بنى العباس فلما بلغ الى قوله   انظرونا نقتبس من نوركم   انه من نور رب العالمين
امر حاجبَه ان يرفع الحجاب وقابَل وجهُه وجهَ الشاعر دون حجاب وامر له باحسان g جزيل فكان هذا من انبل ما يُحكى عنه، وخُلع العالى سنة ٣٨ وولى ابن عمه محمد ابن ادريس بن على وتلقّب بالمهدى وتوفّى سنة ٤٤ وبويع ادريس بن يحيى بن ادريس ونُقّب الموفّق ولم يُخطب له بالخلافة وزحف اليه العالى ادريس المخلوع الممدوح بالقصيدة السابقة وكان بقمارش فدخل عليه مالقة واطلق ايدى عبيده عليها لحقده عليهم ففرّ كثير منهم وتوفّى العالى سنة ٩ او ٧ واربعين وبويع محمد بن ادريس ولُقّب المستعلى ثم سار اليه باديس بن حبوس سنة ٤٤٩ فتغلّب على مالقة وسار محمد الى المريّة مخلوعا ثم استدعاه اهل المغرب الى مَليلة * فاجاز اليهم h وبايعوه سنة ٥٦

---

a) Dans le man. d'Ibn-B. le 22ème vers est placé après le 23ème, et entre le 21ème et le 23ème on lit celui-ci: وينادى الجودُ فى آفاقه   تمموا (يَمّموا l.) قصر امير المومنينْ.

b) *Al-Korān*, sour. 15, vs. 46. c) Cet hémistiche manque dans G. P. et S.; L. فبيسراه ترس; Ibn-B. واذا رهنّ (sic) فى السبق اتى ويمناه (sic) الخ; التقى. d) Ibn-B. رفد. e) La. فاحتبى, G. (sic) فاحتبنى, S. L. P. فاجتنى, O. et Ibn-B. فاجتبى. f) L. قيل, S. يحكى; dans G. et P. il y a un blanc. g) La. بمال. h) On trouve cette leçon dans les man. d'Ibn-Khaldoun; ceux d'al-Makkarī portent وجارت.

وتوفّى سنة ٤٦٠، وكان محمد بن القاسم بن حمّود لما اعتُقل ابوه القاسم بمالقة سنة ٤١٤ فرّ من الاعتقال ولحق بالجزيرة الخضراء وملكها وتلقّب بالمعتصم الى ان هلك سنة ٤٤٠ ثم ملكها بعده ابنه القاسم الواثق الى ان هلك سنة ٤٥٠ وصارت الجزيرة للمعتضد بن عباد ومالقة لابن حبوس مزاحمًا بابن عباد وانقرضت دولة الاشراف الحمّوديّين من الاندلس بعد ان كانوا يدّعون الخلافة، وامّا قرطبة فان اهلها لما قطعوا دعوة الحموديين بعد ٧ سنين من ملكهم وزحف اليهم القاسم بن حمود فى البربر فهزمهم اهل قرطبة ثم اجتمعوا واصفقوا على ردّ الامر الى بنى اميّة واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار اخا المهدى وبايعوه فى رمضان سنة ٤١٤ ولقّبوه المستظهر وقاموا بامره، ومن شعره قوله

طال عمرُ الليل عندى   مذ *a* تولّعتَ بصَدّى   يا غزالا نقض العهـد *b* ولم يُوفِ بوعد *c*

أنَسيتَ العهد اذ بتْنا على مفرش وردٍ   واجتمعنا فى وشاحٍ   وانتظمنا نظمَ عقدِ

٥ ونجوم الليل تحكى   ذهبا فى لازورد *d*

قال الحجارى لو قال لولؤًا فى لازورد لكان احسن تشبيهًا، وانشد متمثّلا

انّا عصابتك الأُلى   كُنّا نُكابد ما تكابدْ   هذا *اوانُ بلوغنا *e*   النعمى وانْجاز المواعدْ

وكان حَسّان بن ابى عبدة من وزراء المستظهر ولما اكثر المستظهر دونه الاستبداد كتب اليه بقوله

اذا غِبْتُ لم أُحْضَرْ وان جِيتُ لم أُسَلْ   فسيّانِ منّى مشهدٌ ومغيبُ

فاصبحتُ تيميًّا وما كنتُ قبلها   لتَيْمٍ ولكنّ الشبيه نسيبُ

يشير الى قول الاول   ويُقْضَى الامر حين تغيب *f* تَيْمٌ   ولا يُستاذنون وهم شهودُ

وعاتَبَه ايضا بقوله

اذا كان مثلى لا يُجازَى *g* بصبره   فمن ذا الذى بعدى *h* يجازى *i* على الصبرِ

وكم مشهد حاربتُ فيه عدوّكم   وامّلتُ فى حربى له راحة الدهرِ

---

a) G. S. La. O. قد. *b*) G. S. L. P. الودّ. *c*) G. S. L. P. بود. *d*) On retrouve cette pièce dans le 4ème livre. Les variantes principales sont: vs. 2. G. S. L. بعهد, vs. 4. واعتنقنا فى, vs. 5. تسوى. *e*) G. S. L. P. بلوغ اواننا. *f*) Les man. portent يغيب. *g*) P. يجاز, S. يحاز, G. L. O. يجار, La. يحار. *h*) La. O. مثلى. *i*) G. يجاز, S. يحاز, L. O. يجار, La. يحار.

اخوض الى اعدائكم لُجَجَ الوغى   واسرى اليهم حيث لا احد يسرى
وقد نام عنهم كلُّ مستبطن الحشى   أَكُولٌ الى المُمْسَى نَؤُومٌ الى الظُّهْرِ
فما بالُ هذا الامر اصبح ضائعا   وانت امينَ الله تحكم فى الامرِ

وسياتى ان شاء الله تع من كلام الوزير المذكور ما يدلّ على عظيم قدره وهناك نذكر تحلية الفتح له، ثم ثار عليه لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن امير المومنين الناصر لدين الله فاتّبعه الغوغاء وفتك بالمستظهر وتلقّب بالمستكفى واستقلّ بامر قرطبة وهو والد الاديبة الشهيرة وَلّادة ولعلّنا نُلمّ ببعض اخبارها ان شاء الله فيما بعدُ وكان ابوه عبد الرحمن قتله المنصور بن ابى عامر لسعيه فى الخلاف[a]، ثم بعد ١٦ شهرا من بيعة المستكفى رجع الامر الى المعتلى يحيى بن على بن حمود سنة ١٦ وخلع اهل قرطبة المستكفى وولى عليهم المعتلى من قبله وفرّ المستكفى الى ناحية الثغر ومات فى مفرّه، ثم بدا لاهل قرطبة فخلعوا المعتلى بن حمود سنة ١٧ وبايع الوزير ابو محمد جَهْوَر بن محمد بن جهور عميد الجماعة وكبير قرطبة لهشام بن محمد اخى المرتضى وكان بالثغر فى لاردة عند ابن هود وذلك سنة ١٨ وتلقّب المعتدّ[b] بالله واقام متردّدا فى الثغر ٣ اعوام واشتدّت الفتن بين رؤساء الطوائف واتّفقوا على ان ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور والجماعة ونزلها آخر سنة ٢٠ واقام بها يسيرا ثم خلعه الجند سنة ٢٢ وفرّ الى لاردة فهلك بها سنة ٢٨ وانقطعت الدولة الامويّة من الارض وانتثر سلك الخلافة بالمغرب وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف وانتزى الامراء والرؤساء من البربر والعرب والموالى بالجهات واقتسموا خطّتها وتغلّب بعض على بعض واستقلّ اخيرا بامرها منهم ملوك استفحل امرُهم وعظم شانهم ولاذوا بالجزى للطاغية ان يظاهر عليهم او يبتزّهم ملكَهم واقاموا على ذلك برهةً من الزمان حتى قطع اليهم البحرَ ملكُ العدوة وصاحب مرّاكش امير المسلمين يوسف بن تاشفين اللَّمْتُونى فخلعهم واخلى منهم الارض، فمن اشهرهم بنو عَبّاد ملوك اشبيلية وغرب الاندلس الذين منهم المعتمد بن عباد الشهير الذكر بالمغرب والمشرق وفى الذخيرة والقلائد من اخباره ما هو كافٍ شافٍ، ومنهم بنو جَهْوَر كانوا بقرطبة فى صورة الوزارة حتى استولى عليهم المعتمد بن عباد

a) S. La. O. الخلافة. b) Ibn-Kh. L. المعتمد.

واخذ قرطبة وجعل عليها ولده ثم كانت له وعليه حروب وخطوب وفرّق ابناءه على قواعد الملك وانزلهم بها واستفحل امره بغرب الاندلس وعَلَتْ يدُه على من كان هنالك من ملوك الطوائف مثل ابن حبوس a بغرناطة وابن الافطس ببطليوس وابن صُمادح بالمريّة وغيرهم فكانوا يخطبون سلمه ويغلون b فى مرضاته وكلهم يُدارون الطاغية ويتّقونه بالجزى الى ان ظهر يوسف بن تاشفين واستفحل ملكه فتعلّقت آمال الاندلس باعانته وضايَقهم الطاغية فى طلب الجزية فقتل المعتمد اليهوديّ الذى جاء فى طلب الجزية للطاغية بسبب كلمة آسَفَه بها ثم اجاز البحر صريخا الى يوسف ابن تاشفين فاجاز معه البحر والتقوا مع الطاغية فى الزَلّاقة فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى ونصر الله الاسلام نصرا لا كفاء له حتى قال بعض المؤرّخين انه كان عدد النصارى ٣٠٠ الف ولم ينجُ منهم الّا القليل وصبر فيها المعتمد صبرَ الكرام وكان قد اعطى يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء ليتمكّن من الجواز متى شاء ثم طلب الفقهاء بالاندلس من يوسف بن تاشفين رفعَ المكوس والظلامات عنهم فتقدّم بذلك الى ملوك الطوائف فاجابوه بالامتثال حتى اذا رجع من بلادهم رجعوا الى حالهم وهو خلالَ ذلك يردّد عساكره للجهاد ثم اجاز اليهم وخلع جميعهم ونازلت عساكره جميعَ بلادهم واستولى على قرطبة واشبيلية وبطليوس وغرناطة وغيرها وصار المعتمد بن عباد كبيرُ ملوك الاندلس فى قبضته اسيرا بعد حروب ونقله الى أَغْمات قربَ مرّاكش سنة ٤٨٤ واعتقله هنالك الى ان مات سنة ٨٨ ونُلِمّ c بما قاله الوزير لسان الدين بن الخطيب فيه حين زار قبره، وللمعتمد هذا اخبار ماثورة خصوصا مع زوجته امّ اولاده الرُمَيْكيّة الملقّبة باعتماد وقد روى انها رأت ذاتَ يوم باشبيلية نساء البادية يبعْنَ d اللبن فى القِرَب وهنّ رافعات عن سُوقهنّ فى الطين فقالت له اشتهى ان افعل انا وجواريّ مثل هؤلاء النساء فامر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد وصيّر الجميع طينا فى القصر وجعل لها قِرَبا وحبالا من ابريسم وخرجت هى وجواريها تخوض فى ذلك الطين فيقال انه لما خُلع وكانت تتكلّم معه مرّةً فجرى بينهما ما يجرى بين الزوجَيْن فقالت له والله ما رايتُ خيرا فقال ولا يومَ الطين تذكيرا لها بهذا اليوم الذى اباد فيه من الاموال ما لا يعلمه الا الله فاستحيت وسكتت، * ومن

a) Les man. d'al-Makk. portent ابن باديس. *b*) Ce mot manque dans G. S. et L.; Ibn-Kh. L. ويعتملون, P. ويعملون. *c*) G. L. P. ونسلم, S. La. ودسلم (*sic*), O. وسلم. *d*) S. تنقل.

اعظم ملوك الطوائف [a] غير من تقدّم بنو رَزين اصحاب السهلة وبنو الفِهْرىّ اصحاب البُونْت وتغلّب عليهما اخيرا يوسف بن تاشفين، ومن اعظم ملوك الطوائف بنو ذى النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفى وكانت لهم دولة كبيرة وبلغوا فى البذخ والترف الى الغاية ولهم الاعْذار المشهور الذى يقال له الاعذار الذُّنّونى وبه يضرب المثل عند اهل المغرب وهو عندهم بمثابة عُرْس بُوران عند اهل المشرق والمامون من بنى ذى النون هو صاحب ذلك وهو الذى عظم بين ملوك الطوائف سلطانه وكانت بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة وغلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد المعتمد وقتل ابنه ابا عمرو وغلب ايضا على بلنسية واخذها من يد بنى ابن ابى عامر وفى ايام حافد المامون وهو القادر بن ذى النون كان الطاغية ابن ادفونش قد استفحل امره لما خلا الجوّ من مكان الدولة الخلافيّة وخفّ ما كان على كاهله من اصْر العرب فاكتسح البسائط وضايَق ابنَ ذى النون حتى اخذ من يده طليطلة فخرج له عنها سنة ٤٧٨ كما سبق وشرط عليه ان يظاهره على اهل بلنسية فقبل شرطه وتسلّمها ابن [b] الفونش ولا حول ولا قوّة الا بالله، *ومن اعظم ملوك الاندلس [c] الموالى العامريّون مثل خَيْران وزُهَيْر واشباههما واخبار الجميع تطول، ومن ملوك الطوائف بالاندلس بنو هُود ملوك سَرَقُسْطة وما يليها ومن اشهرهم المقتدر بالله وابنه يوسف الموتمن وكان الموتمن قائما على العلوم [d] الرياضيّة وله فيها تواليف ومنها كتاب الاستكمال [e] والمناظر وولى بعده ابنه المستعين احمد سنةَ أُخذ طليطلة وعلى يده كانت وقعة وَشْقة زحف سنة ٨٩ فى آلاف لا تُحصى من المسلمين ليدافع الطاغية عن وشقة وكان محاصرا لها فلقيه الطاغية وهزمه وهلك من المسلمين نحو ١٠ آلاف وهلك هو شهيدا سنة ٥٠٣ بظاهر سرقسطة فى زحف الطاغية اليها وولى ابنه عبد الملك عماد الدولة واخرجه الطاغية من سرقسطة سنة ١٢ وتولّى ابنه سيف الدولة وبالغ فى النكاية بالطاغية ثم اتّفق معه وانتقل بحشمه الى طليطلة فكان فيها حمامه، ومن شعر المقتدر بن هود قوله رحمه فى مبانيه

قصرَ السرور ومجلسَ الذهبِ   بكما بلغتُ نهاية الاربِ

a) Il y a ici une lacune dans G. S. et P.; La. وولى بعده , O. ٢. بعده   b) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk.   c) Il y a ici un blanc dans G. S. et P.; La. O. العلى العظيم ثم زحف على الموالى العامريين.   d) C'est ainsi qu'on lit dans les man. d'Ibn-Kh.; ceux d'al-M. portent الامور.   e) Ibn-Kh. L. الاستهلال.

لو لم يَحُزْ ملكى خلافكما   كانت لدىّ كفايةُ الطلبِ

ومن مشاهير * ملوك الطوائف بنوه الافطس اصحاب بطليوس وما اليها والمظفّر منهم هو صاحب التاليف المسمّى بالمظفّرىّ فى نحو الخمسين مجلّدا والمتوكّل منهم قُتل على يد جيش يوسف بن تاشفين وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة

الدهر يفجع بعد العين بالاثرِ   فما البكاء على الاشباح والصُوَرِ

وهى من غُرَر القصائد، *فلمّا استولى لمتونة على بلاد b الاندلس وازالوا ملوك الطوائف منها بقيت عُمّالهم تتردّد اليها وبنوهم حتى فشلت ريحُهم وهبّتْ ريحُ الموحّدين اعنى عبد المومن بن على وبنيه فحاربوا لمتونة واستولوا على ملكهم بالمغرب بعد حروب كثيرة ثم اجازوا البحر الى الاندلس وملكوا اكثر بلاد الاندلس وملك بنو مَرْدَنيش شرق الاندلس وملخّص ذلك ان الاندلس كان ملكها مجموعا للمتونة بعد خلعهم ملوك الطوائف فلما اشتغل لمتونة فى العدوة بحرب الموحدين اضطربت عليهم الاندلس وعادت الى الفرقة بعض الشىء ثم خلص اكثرها لعبد المومن وبنيه بعد حروب منها ما حصل بين عبد المومن وبين ابن مردنيش وقائده ابن همشك c بفحص غرناطة وقد استعان ابن مردنيش بالنصارى على الموحّدين فهزمهم عبد المومن وقتلهم ابرحَ قتل واستخلص غرناطة سنة ٥٥٧ من يد ابن مردنيش، وولى الامر بعد عبد المومن ابنه يوسف واجاز الى الاندلس وكانت له مواقف فى جهاد العدوّ، وولى بعده ابنه يعقوب المنصور الطائر الصيت وكانت له فى النصارى بالاندلس نكاية كبيرة ومن اعظمها غزوة الارك التى تضاهى وقعة الزّلاقة او تزيد والارك موضع بنواحى بطليوس وكانت سنة ٥٩١ وغنم فيها المسلمون ما عظم قدرُه وكانت عدّة من قُتل من الفرنج فيما قيل مائة الف * وستة واربعين d الفا وعدّة الاسارى ٣٠ الفا وعدّة الخيام مائة الف وخمسون الف خيمة والخيل ٨٠ الفا والبغال مائة الف والحمير ٤٠٠ الف جاء بها الكُفّار لحمل اثقالهم لانهم لا ابلَ لهم واما الجواهر والاموال فلا تحصى وبيع الاسير بدرهم والسيف بنصف درهم والفرس بخمسة دراهم والحمار بدرهم وقسم يعقوب الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع ونجا الفنش ملك النصارى الى طليطلة فى أَسْوَءِ

a) G. L. S. P. La. ملوك بنى , O. ملوك الاندلس بنى. *b*) Il y a ici une lacune dans G. S. et P.; La. O. القصائد الاندلسية وازالوا. *c*) Les man. d'al-Makk. portent ابن همشكة. *d*) La. O. وخمسون.

حال فحلق راسه ولحيته ونكس صليبه وآلى انه لا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرسا ولا دابّة حتى ياخذ الثار وصار يجمع من الجزائر والبلاد البعيدة ويستعدّ ثم لقيه يعقوب وهزمه وساق خلفه الى طليطلة وحاصره ورمى عليها بالمجانيق وضيّق عليها ولم يبقَ الا فتحها فخرجت اليه والدة الادفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألنه ابقاء البلد عليهن فرقّ لهن ومن عليهن بها ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جلّ وردّهنّ مكرمات وعفى بعد القدرة وعاد الى قرطبة فاقام شهرا يقسم الغنائم وجاءته رُسل الفنش بطلب الصلح فصالحه وامن اهل الاندلس مدّةً وفيه يقول بعض شعراء عصره

اهلٌ بأن يُسْعَى اليه ويرتجى … ويُزار من اقصى البلاد على الرجَا
* مَنْ قد غدا a بالمكرمات مقلَّدا … وموشّحا ومختّما ومتوّجا
عمرتْ مقامات الملوك بذكره … وتعطّرت منه الرياحُ تأرُّجا

..........b ارسل له السلطان صلاح الدين بن ايّوب شمس الدين بن منقذ يستنجد به على الفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد المقدّسة ولم يخاطبْه بامير المومنين فلم يجِبْه الى ما طلبه وكل ذلك فى سنة ٥٨٧ ومدحه بن منقذ بقوله من قصيدة يقول فيها

سأشكر بحرا ذا عُباب قطعتُه … الى بحرٍ جُود ما لأُخْراه ساحلُ
الى معدن التقوى الى كعبة الندى … الى من سَمَتْ بالذكر منه الاوائلُ
اليك اميرَ المومنين ولم تزل … الى بابك المامول تُزْجَى الرواحلُ
قطعتُ اليك البرَّ والبحر مُوقنًا … بانّ نداك الغمر بالنجح كافلُ
وحُزْتُ بقصديك العُلَى فبلغتُها … وادنى عطاياك العُلَى والفواضلُ
فلا زلتَ للعلياء والجود بانيا … تبلّغك الآمالُ ما انت آملُ

وعدّتها ٤٠ بيتا فاعطاه لكل بيت الفًا وقال انما اعطيناك لفضلك ولبيتك وكان عنوان الكتاب الذى ارسله صلاح الدين الى امير المسلمين وفى اوله الفقير الى الله تع يوسف بن ايوب وبعده من انشاء الفاضل الحمد لله الذى استعمل على الملّة الحنيفيّة من استعمر الارض، واغنى من اهلها من سألَه القرض، واجزى من اجرى على يده النافلةَ والفرض، وزيّن سماء الملّة بدرارى c الذرارى التى بعضها من بعض،، وهو كتاب

a) L. اغتدى فقد, G. S. P. غدا (S. وقد) فقد. b) Il y a ici une lacune dans G. S. et P.; L. ولما تغلبت الفرنج على الساحل, La. ولما ارسل, O. seulement وارسل. c) S. O. P. ببدراى

طويل سأله فيه ان يقطع عنه مادّة البحر واستنجده على الافرنج اذ كانت له اليدُ عليهم وعاد ابن منقذ من هذه الرسالة سنة ٥٨٨ بغير فائدة وبعث معه هديّة حقيرة واما ابن منقذ فانه احسن اليه واغناه لا لاجل صلاح الدين بل لبيته وفضله كما مرّ وما وقع من يعقوب فى صلاح الدين انما هو لاجلِ انه لم يوفّه حقّه فى الخطاب، رجع *ولما a استفحل امر الموحّدين بالاندلس استعملوا القرابة على الاندلس وكانوا يسمّونهم السادة واقتسموا ولايتها بينهم ولهم مواقف فى جهاد العدوّ مذكورة وكان صاحب الامر بمرّاكش ياتى الاندلس للجهاد وهزم يعقوب المنصور كما سبق قريبًا بالارك ابنَ ادفونش ملك الجلالقة الهزيمةَ الشنعاء واجاز ابنه الناصر الوالى بعده البحرَ الى الاندلس من المغرب سنة ٦٠٩ ومعه من الجنود ما لا يُحصى حتى يحكى بعض الثقات من مؤرّخى المغرب انه اجتمع معه من اهل الاندلس والمغرب ٦٠٠ الف مُقاتل فمحّص الله المسلمين بالموضع المعروف بالعُقاب واستُشهد منهم عدّة وكانت سبب ضعف المغرب والاندلس اما المغرب فبخلاء كثير من قراه واقطاره واما الاندلس فبطلب العدوّ عليها لانه لما التاث امر الموحّدين بعد الناصر بن المنصور انتزى السادة بنواحى الاندلس كلٌّ فى عمله وضعف ملكهم بمرّاكش فصاروا الى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض واسلام حصون المسلمين اليه فى ذلك فمشتْ رجالات الاندلس واعقاب العرب منذ الدولة الامويّة واجمعوا اخْراجهم فثاروا بهم لحين واحد واخرجوهم وتولّى كبرَ ذلك محمد بن يوسف بن هودٍ الجُذامى الثائر بالاندلس وابن مردنيش وثُوّار آخرون، *قال ابن خلدون b ثم خرج على ابن هود فى دولته من اعقاب دولة العرب ايضا واهل نَسَبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وتلقّب محمد هذا بالشيخ فجاذبه الحبلَ وكانت لكل واحد منهما دولة اورثها بنيه انتهى، وكان ابن هود يخطب للعباسى صاحب بغداد ثم حصلت لابن هود واعقابه حروب وخطوب الى ان كان آخرهم الواثق بن المتوكل فضايقَه الفنش والبرشلونى فبعث بالطاعة لابن الاحمر فبعث اليه ابن اشقيلولة وتسلّم مرسية منه وخطب لابن الاحمر بها ثم خرج منها راجعا الى ابن الاحمر فاوقع به النصارى فى طريقه ورجع الواثق الى مرسية ثالثةً فلم يزل بها الى ان ملكها العدوّ من يده سنة ٦٦٨ وعوّضه عنها حصنا يسمّى

a) Il y a ici une lacune dans G. S. et P.; L. رجع الى اخبار يعقوب ولما. b) Il y a ici un blanc dans G. S. L. et P.

يُسره *a* وهو من عملها فبقى فيه الى ان هلك وانقرضت دولة ابن هود والله وارث الارض ومن عليها، * *b* ولنذكر ملوك بنى الاحمر اجْمالا لان لسان الدين وزير احدهم ولانهم آخر ملوك الاندلس ومن يدهم استولى النصارى على جميعها كما سنذكره، * قال ابن خلدون *c* اصلهم من أَرْجُونة من حصون قرطبة ولهم فيها سلف فىّ ابناء الجند ويعرفون ببنى نصر وينتسبون الى سعد بن عُبادة سيّد الخَزْرَج وكان كبيرهم لآخر دولة الموحّدين محمد *d* بن يوسف بن نصر ويعرف بالشيخ واخوه اسمعيل وكانت له وجاهة فى ناحيتهم ولما فشل ريحُ الموحّدين وانتزى الثُوّار بالاندلس واعطى السادةُ حصونها للطاغية واستقلّ بامر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية بدعوة العباسيّة وتغلّب على شرق الاندلس اجمع فتصدّى الشيخ هذا للثورة وبويع له سنة ٦٢٩ ودعا لابى زكرياء صاحب افريقية واطاعتْه جيّان وشريش سنة ٣٠ بعدها واستظهر على امره بقرابته من بنى نصر واصهاره بنى اشقيلولة ثم بايع لبنى هود سنة ٣١ عند ما بلغه خطابُ الخليفة من بغداد ثم ثار باشبيلية ابو مروان الباجى عند خروج ابن هود عنها ورجوعه الى مرسية فداخله محمد بن الاحمر فى الصلح على ان يزوّجه ابنتَه فاطاعه ودخل اشبيلية سنة ٣٢ ثم فتك بابن الباجى فقتله وتناول البطش *e* به على بن اشقيلولة ثم راجع اهل اشبيلية بعدها بشهر دعوةَ ابن هود واخرج ابن الاحمر ثم تغلّب على غرناطة سنة ٣٥ بمداخلة *f* اهلها حين ثار ابن ابى خالد بدعوته فيها ووصلتْه بيعتُها وهو بجيّان فقدّم اليها على بن اشقيلولة ثم جاء على اثره ونزلها وابتنى بها حصن الحمراء لنزله ثم تغلّب على مالقة ثم تناول المريّة من يد ابن الرميمى وزير ابن هود الثائر بها سنة ٤٣ ثم بايعه اهل لُورقة سنة ٦٣ وكان ابن الاحمر اولَ امره وصل يده بالطاغية استظهارا على امره فعضده واعطاه ابن هود ٣٠ حصنا فى كفّ غربه بسبب *g* ابن الاحمر وليعينه *h* على ملك قرطبة فتسلّمها ثم تغلّب على قرطبة سنة ٦٣٣ اعادها الله ثم نازل اشبيلية سنة ٤٦ وابن الاحمر معه ثم دخلها صلحًا وملك اعمالها ثم ملك مرسية سنة ٦٥ ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك المسلمين

---

a) Ibn-Khald. P. بسر. *b*) Il y a ici une lacune dans G. et S.; P. وسنذكر الخ ; La. O. رجع الى ما ذكر (*sic*) دولة اولاد الاحمر. *c*) P. واما ملوك غرناطة , La. O. وقيل. Dans G. et S. il y a une lacune. *d*) Les man. d'al-M. portent نصر. *e*) Ibn-Kh. L. P. الفتك. *f*) La. O. بمداجاة. *g*) Au lieu de ce mot les man. d'Ibn-Kh. portent عن. *h*) Ibn-Kh. وان يعينه.

كورةً كورةً وثغرا ثغرا الى ان لجأ المسلمون الى سيف البحر ما بين رُنْدة من الغرب
* والبيرة من[a] شرق الاندلس نحو ١٠ مراحل من الغرب الى الشرق وفى قدر مرحلة او
دونها فى العرض ما بين البحر والجوف ثم سخط ابن الاحمر وطمع فى الاستيلاء
على سائر الجزيرة فامتنعت عليه وتلاحق بالاندلس الغُزاةُ من بنى مَرين وغيرهم وعقد
ملك المغرب يعقوب بن عبد الحقّ لنحو الثلثة آلاف منهم فاجازوا فى حدود الستّين
وستمائة وتقبّل ابن الاحمر اجازتهم ودفع بهم فى نحر عدوّه ورجعوا ثم تسايلوا[b] اليه
بعد ذلك ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك الشيخ ابن الاحمر سنة ٦٧١ وولى بعده
ابنه محمد الفقيه واوصاه باستصراخ بنى مرين ملوك المغرب بعد الموحّدين ان طرقه
امرٌ ان يعتضد بهم فاجاز الفقيه الى يعقوب بن عبد الحقّ سلطان فاس والمغرب
سنة ٧٢ فاجاب صريخه وارسل ابنه وعساكره معه ثم اجاز على اثره وتسلّم الجزيرة
الخضراء من ثائر كان بها وجعلها ركابا لجهاده ونزل اليه ابن الاحمر عن طَرِيف
وما اليها من الحصون وهزم هو وابن الاحمر زعيمَ النصرانية دننّه[c] وفرق جمعه واوقع
بجموع الطاغية من كل جهة وبثّ سراياه وبعوثه فى ارض النصرانية ثم خافه ابن
الاحمر على ملكه وصالح الطاغية ثم عاد انتهى كلام ابن خلدون ملخّصا، وثبتت
قدمُ عقب ابن الاحمر بالاندلس واستولوا على جميع ما بايدى المسلمين من ملكها
مثل الجزيرة وطريف ورُنْدة التى كانت بيد بنى مرين وبعد[d] مدة الب ملوكُ النصارى
سنة ٧١٩ على غرناطة وجاءها الطاغية دُون بطْرُه فى جيش لا يحصى ومعه ٢٥ ملكا
وكان من خبر هذه الوقعة[e] ان الافرنج حشدوا وجمعوا وذهب سلطانهم دون بطره
الى طليطلة ودخل على مرجعهم الذى يقال له البابا[f] وسجد له وتضرّع وطلب منه
استيصال ما بقى من المسلمين بالاندلس واكّد عزمه فقلق المسلمون بغرناطة وغيرها
وعزموا على الاستنجاد بالمرينى ابى سعيد صاحب فاس ونفّذوا اليه رُسُلا فلم ينجح
ذلك الدواء فرجعوا الى اعظم الادوية وهو اللجأ الى الله تعـ واخلصوا النيّات واقبل
الفرنج فى جموع لا تحصى فقضى ناصرُ مَنْ لا ناصرَ له سواه بهزم أُمَم النصرانية وقتل

---

a) C'est ce qu'on lit dans les man. d'Ibn-Kh.; ceux d'al-M. portent seulement الى. *b*) Les man. d'al-M. portent تناسلوا. *c*) *Don Nuño.* Ibn-Kh. L. دننة ; al-M. G. L. P. دنته, S. دينه, La. ذمته. Le mot manque dans O. *d*) Les man. portent وقعد. *e*) S. La. O. المواقعة. *f*) S. البابا.

طاغيتهم دون بطره ومن معه وكان نصرا عزيزا ويوما مشهودا وكان السلطان اذذاك بالاندلس الغالب بالله ابو الوليد اسمعيل بن الرئيس ابى سعيد فرج بن نصر المعروف بابن الاحمر ركب ان يحصّن البلاد والثغور فلما بلغ النصارى ذلك عزموا على منازلة الجزيرة الخضراء فانتدب السلطان ابن الاحمر لردّهم وجهّز الاساطيل والرجال فلما راوا ذلك ظلبوا الى طليطلة وعزموا على استيصال بلاد المسلمين وتأهّبوا لذلك غاية الاهبة ووصلت الاثقال والمجانيق وآلات الحصار والاقوات فى المراكب ووصل العدوّ الى غرناطة وامتلأت الارض بهم فتقدّم السلطان الى شيخ الغُزاة الشيخ العالم ابى سعيد عثمن بن ابى العلاء المرينى بالخروج الى لقائهم بانجاد المسلمين وشجعانهم فخرج اليهم يوم الخميس الموفّى ٢٠ لربيع الاول ولما كانت ليلة الاحد اغارت سريّة من العدوّ على ضيعة من المسلمين فخرجت اليهم جماعة من فرسان الاندلس الرُماة فقطعوهم عن الجيش وفرّتْ تلك السريّة امامهم الى جهة سلطانهم فتبعهم المسلمون الى الصبح فاستاصلوهم وكان هذا اول النصر ولما كان يوم الاحد ركب الشيخ ابو سعيد لقتال العدوّ فى ٥ آلاف من ابطال المسلمين المشهورين فلما شاهَدَهم الفرنج عجبوا من اقْدامهم مع قلّتهم فى تلك الجيوش العظيمة فركبوا وحملوا بجملتهم عليهم فانهزم الفرنج اقبح هزيمة واخذتْهم السيوف وتبعهم المسلمون يقتلون وياسرون ٣ ايام وخرج اهل غرناطة لجمع الاموال واخذ الاسرى فاستولوا على اموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ٤٣ قنطارا ومن الفضّة ١٤٠ قنطارا ومن السبى ٧ آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطيّين الى الديار المصريّة وكان من جملة الاسرى امرأة الطاغية واولاده فبذلت فى نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا فيما حكى بعض المؤرّخين فلم يقبل المسلمون ذلك وزادت عدّة القتلى فى هذه الغزوة على ٥٠ الفا ويقال انه هلك منهم بالوادى مثل هذا العدد لعدم معرفتهم بالطريق واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يُحْصَوْن وقُتل الملوك الخمسة والعشرون جميعهم واستمرّ البيع فى الاسرى والاسباب والدوابّ ٩ اشهر ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد. ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين والاجناد سوى ١٣ فارسا وقيل ١٠ انفس وقيل كان عسكر الاسلام نحو الف وخمسمائة فارس والرجّالة نحوًا من ٤ آلاف رجل وقيل دون ذلك وكانت الغنيمة تفوت الوصف وسُلخ الطاغية دون بطره وحُشى جلده قطنًا وعُلّق على باب غرناطة وبقى معلّقا سنوات وطلبت النصارى الهدنة

فعُقدت لهم وبعد ان ملكوا جبل الفتح الذى كان من اعمال سلطان فاس والمغرب وهو جبل طارق ولم يزل *بايديهم حتى[a] ارتجعها امير المسلمين ابو الحسن المرينى صاحب فاس والمغرب بعد ان انفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود ونازلتْه جيوشه مع ولده وخواصّه وضيّقوا به الى ان استرجعوه ليد المسلمين واهتمّ ببنائه وتحصينه وانفق عليه احمال مال فى بنائه وحصنه وسوره وابراجه وجامعه ودُوره ومخازنه ولما كاد يتمّ ذلك نازله العدوّ برًّا وبحرا فصبر المسلمون وخيّب الله سعىَ الكافرين فراى السلطان المذكور ان يحصّن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدوٌّ فى منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عند محاصرته وراى الناس ذلك من المُحال، فانفق الاموال، وانصف العُمّال، فاحاط بمجموعه احاطةَ الهالة بالهلال،، وكان بقاء هذا الجبل بيد العدوّ نيفا وعشرين سنة وحاصره السلطان ابو الحسن ٦ اشهر وزاد فى تحصينه ابنه السلطان ابو عنان ولما اجاز السلطان ابو الحسن المذكور الى الاندلس واجتمع اليه[b] ابن الاحمر وقاتلهم[c] الطاغية هزمهم فى وقعة طريف واستولى على الجزيرة الخضراء حتى قيّض الله من بنى الاحمر الغنىّ بالله محمد الذى كان لسان الدين بن الخطيب وزيره فاسترجعها وجملةَ بلاد كجيّان وغيرها وكانت له فى الجهاد مواقف مشهورة وامتدّ ملكه واشتدّ حتى محا دولة سلاطين فاس مما وراء البحر وملك جبل الفتح ونصر الله الاسلام على يده كما سَتَقِفُ عليه فى بعض مكاتبات لسان الدين رحه فى مواضع من هذا الكتاب وسَعْدُ هذا الغنىّ بالله من العجائب وبقى ملك الاندلس فى عقبه الى ان اخذ ما بقى من الاندلس العدوُّ الكافر واستولى على حضرة الملك غرناطة اعادها الله للاسلام كما نُبيّن ان شاء الله وخَلَتْ جزيرة الاندلس من اهل الاسلام، وأُبدلتْ من النور بالظلام،، حسبما اقتضتْه الاقدار النافذة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين، *قلت وكان[d] بنو الاحمر سلاطين غرناطة يجعلون مشيخة الغزاة لواحد من اقارب بنى مرين سلاطين المغرب لانهم اووا الى الاندلس عند استيلاء بنى عمّهم على ملك المغرب لما بينهم من المنافسة وكان لهؤلاء فى الجهاد مواقف مشهورة، ....[e] ما كُتب على قبر شيخ الغزاة

---

a) Il y a ici une lacune dans G. S. P. La. et O. b) Les man. portent عليه. c) G. L. S. P. وقابلهم. d) Il y a ici une lacune dans G. S. et P.; La. O. قال ابن خلدون واتفق. e) L. وساذكر لك, La. O. منها. Dans les autres man. il y a un blanc.

عثمن بن ابى العلاء لتُستدلّ عند ذلك على ما ذكرناه ......a هذا قبر شيخ الحُماة، وصدر الابطال الكُماة، واحد الجلالة، ليث الاقْدام والبسالة،، عَلَم الاعلام، حامى ذمار الاسلام،، صاحب الكتائب المنصورة، والافعالِ المشهورة، والمغازى المسطورة،، وامام الصفوف، القائم بباب الجنّة تحت ظلال السيوف،، سيف الجهاد، وقاصم الأعاد، واسد الآساد،، العالى الهِمَم، الثابت القدم،، الهُمام المجاهد الأَرْضَى، البَطَل الباسل الأَمْضَى،، المقدّس المرحوم ابى سعيد عثمن بن الشيخ الجليل الهمام الكبير، الاصيل الشهير،، المقدّس المرحوم ابى العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحقّ كان عمره ٨٨ سنة انفقه ما بين روحة فى سبيل الله وغدوة، حتى استوفى فى المشهور ٧٣٢ غزوة،، وقطع عمره مجاهدا مجتهدا فى طاعة الربّ، محتسبا فى ادارة الحرب،، ماضى العزائم فى جهاد الكُفّار، مصادمًا b بين جموعهم تدفُّقَ التَيّار، وصنع الله له فيهم من الصنائع الكبار، ما سار ذكرُه فى الاقطار، اشهرَ من المثل السَيّار،، حتى توفّى رحّه وغبار الجهاد طَىّ اثوابه، وهو مراقب لطاغية الكُفّار واحزابه،، فمات على ما عاش عليه، وفى ملحمة الجهاد قبضه الله اليه،، واستاثر به سعيدا مرتضى، وسيفه على راس ملك الروم منتضى،، مقدّمة قبول واسْعاد، ونتيجة جهاد وجلاد،، ودليلا على نيّته الصالحة، وتجارته الرابحة،، فارتجّت الاندلسُ لبعده، أَتْحَفَه الله رحمة من عنده،، توفّى يوم الاحد الثانى لذى الحجّة من عام ٧٣٠ انتهى، ....c لسان الدين بن الخطيب رحّه فى تولية على بن بدر الدين مشيخةَ الغزاة ما نصّه هذا ....d فتح على الأسلام ابواب السّرّا، وراق طرازا مذهّبا على عاتق المدوّنة الغرّا، واعمل عوامل الجهاد فى طاعة ربّ العباد شارعةً لاهل الكفر والعناد من باب الاعمال والاغْرا،، امر به فلان تصدّر صدور اودّائه، وحسامه المشهور على اعدائه،، ووليّه الذى خُبر صدق وفائه، وجلى e فى مضمار الخلوص له مغبرًا فى وجوه اكفائه،، شيخ شيوخ المجاهدين، وقائد كتائبه المنصورة الى غزوة الكافرين المعتدين، وعترته التى يدافع بها عن الدين، وسابق ودّه المبرّز فى الميادين،، الشيخ الاجلّ الى آخر ما وصفه به ممّا ضاق الوقت عن مثله والله ولىّ التوفيق ،،

a) L. ما نصه, La. O. الحمد لله. b) G. L. S. P. نصادما. c) La. O. ومنها ما كتب به , L. وكتب ايضا. d) La. O. شيخ الغزاة الذى به. Dans tous les autres man. il y a un blanc. e) G. وحلى , S. وخلا.

الباب الرابع

فى ذكر قرطبة التى كانت الخلافة بمصرها للاعداء قاهرة، وجامعها الأُمَوىّ ذى البدائع الباهية الباهرة، والالماع بحضرتَى الملك الناصريّة الزهراء والعامريّة الزاهرة، ووصْفُ جملة من منتزهات تلك الاقطار ومصانعها ذات المحاسن الباطنة والظاهرة، وما يجرّ اليه شجونُ الحديث من امور تقضى بحسن ايرادها القرائحُ الوقّادة والافكارُ الماهرة،،

* قال ابن سعيد b رحمه مملكة قرطبة فى الاقليم الرابع واياتُه للشمس وفى هذه المملكة معدن الفضّة الخالصة فى قرية كرتش ومعدن الزيبق والزنجفر فى بلد بسطاسة ولاجزائها خواصّ مذكورة فى متفرّقاتها وهى ارض كريمة للنبات انتهى، وقدّم رحمه فى المُغْرِب الكلام عليها على سائر اقطار الاندلس وقال انما قدّمنا هذه المملكة من بين سائر الممالك الاندلسيّة لكون سلاطين الاندلس الأُوَل اتّخذوها سريرا لسلطنة الاندلس ولم يعدلوا عن حضرتها قرطبة ثم سلاطين بنى اميّة وخلفاؤهم لم يعدلوا عن هذه المملكة وتقلّبوا منها فى ثلثة اقطاب اداروا فيها خلافتهم قرطبة والزهراء والزاهرة وانما اتّخذوها لهذا الشان لما راوها لذلك اهلًا وقرطبة اعظم علمًا واكثر فضلًا بالنظر الى غيرها من الممالك لاتّصال الحضارة العظيمة والدولة المتوارثة فيها، ثم قسم ابن سعيد كتاب الحُلّة المذهّبة، فى حُلَى مملكة قرطبة،، بالنظر الى الكُوَر الى ١١ كتابا الكتاب الاول كتاب الحلّة الذهبيّة، فى حلى الكورة القرطبيّة،، الكتاب الثانى كتاب الدُرَر المصونة، فى حلى كورة بلكونة،، الكتاب الثالث كتاب محادثة السير، فى حلى كورة القُصَيْر،، الكتاب الرابع كتاب الوشى المصوّر، فى حلى كورة المدوّر،، الكتاب الخامس كتاب نيل المُراد، فى حلى كورة مُراد،، الكتاب السادس كتاب المزنة، فى حلى كورة كزنة،، الكتاب السابع كتاب الدرّ النافق، فى حلى كورة غافق،، الكتاب الثامن كتاب النفحة الأَرِجة، فى حلى كورة استجة،، الكتاب التاسع كتاب الكواكب الدرّيّة، فى حلى الكورة القَبْريّة،، الكتاب العاشر كتاب رقّة المحبّة، فى حلى كورة استبّة،،

---

a) S. La. O. اداتها. *b*) L. فاقول قال ابن سعيد ; O. seulement قال ; dans G. S. et P. il y a une lacune.

الكتاب الحادى عشر كتاب السوسانة، فى حلى كورة اليُسانة ،، انتهى، * قال ابن سعيد a رحمه ان العمارة اتّصلت فى مبانى قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث ان كان يُمْشَى فيها لضوء السُرُج المتّصلة b ١٠ اميال حسبما ذكره الشقندى فى رسالته ثم قال ولكل مدينة من مدن قرطبة واعمالها ذكرٌ مختصّ به ثم ذكر المسافات التى بين ممالك قرطبة المذكورة فقال بين المدوّر وقرطبة ١٩ ميلا وبين قرطبة ومراد ٢٥ ميلا وبين قرطبة والقصير ١٨ ميلا وبين قرطبة وغافق مرحلتان وبين قرطبة واستبّة ٣٦ ميلا وبين قرطبة وبلكونة مرحلتان وبين قرطبة واليُسانة ٤٠ ميلا وبين قرطبة وقبرة ٣٠ ميلا وبين قرطبة وبَيّانة مرحلتان وبين قرطبة واستجة ٣٠ ميلا وكورة رُنْدة كانت فى القديم من عمل قرطبة ثم صارت من مملكة اشبيلية وهى اقرب وادخَلُ فى المملكة الاشبيليّة انتهى، * ثم قسم c رحمه كتاب الحلة الذهبيّة، فى حلى الكورة القرطبية ،، الى ٥ كتب الكتاب الاول كتاب النغم المطربة، فى حلى حضرة قرطبة ،، الكتاب الثانى كتاب الصبيحة الغرّاء، فى حلى حضرة الزهراء ،، الكتاب الثالث كتاب البدائع الباهرة، فى حلى حضرة الزاهرة ،، الكتاب الرابع كتاب الوردة، فى حلى مدينة شقندة ،، الكتاب الخامس كتاب الجرعة السيّغة، فى حلى قرية وزغة d ،، * وقال رحمه e فى كتاب النغم المطربة، فى حلى حضرة قرطبة ،، ان حضرة قرطبة احدى عرائس مملكتها وفى اصطلاح الكتاب أن للعروس الكاملة الزينة منصّةً وهى مختصّة بما يتعلّق بذكر المدينة فى نفسها وتاجٌ وهو مختصّ بالايالة السلطانيّة وسلكٌ وهو مختصّ باصحاب درّ الكلام، من النثار والنظام ،، وحلّةٌ وهى مختصّة باعلام العلماء المصنّفين الذين ليس لهم نظم ولا نثر ولا يُجِبُ اهْمالُ تراجمهم واهدابٌ وهى مختصّة باصحاب فنون الهزل وما ينحو منحاه انتهى، ثم فصّل رحمه ذلك كله بما تعدّدت منه الاجزاء وقد لخّصتُ هنا بعض ما ذكر ثم اردفتُه بكلام غيره * فاقول قال f فى كتاب اجار g ان قرطبة بالظاء

---

a) La. O. قال. Il y a un blanc dans G. S. et P. *b*) La. O. الممتدة. *c*) O. قال. Dans G. S. et P. ces mots sont restés en blanc. *d*) O. ورغة , La. وزعة. *e*) L. ثم ذكر. Dans G. S. et P. on a laissé ces mots en blanc. *f*) Dans G. P. S. et O. il y a ici une lacune, que j'ai remplie d'après La. Le man. L. porte نقلت ذكر ابن خلدون. *g*) S. اجر , La. احار , O. اجاز. On pourrait penser qu'on doit lire رُجّار; mais le passage en question ne se trouve pas dans la *Géographie d'al-Idrīsī*. Le mot a sans doute été altéré par les copistes.

المعجمة ومعناه اجر ساكنها يعنى عُرِّبتْ بالطاء ثم قال ودَوْر مدينة قرطبة ٣٠ الف ذراع انتهى، وقال غيره ان تكسيرها ومساحتها التى دار السورُ عليها دون الارباض طولا من القبلة الى الجوف الف وستمائة ذراع واتّصلت العمارة بها ايامَ بنى اميّة ٨ فراسخ طولا وفرسخين عرضا وذلك من الاميال ٢٤ فى الطول وفى العرض ٩ وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفّة الوادى المسمّى بالوادى الكبير وليس فى الاندلس وادٍ يسمى باسم عربىّ غيره ولم تزل قرطبة فى الزيادة منذ الفتح الاسلامى الى سنة ٤٠٠ فانحطّت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن الى ان كانت الطامّة الكبرى عليها باخذ العدوّ الكافر لها ثالثَ عِشْرِى شوّال سنة ٦٣٣، ثم قال هذا القائل ودور قرطبة اعنى المسوّر منها دون الارباض ٣٣ الف ذراع ودور قصر امارتها الف ذراع ومائة ذراع انتهى، وعدد ارباضها ٢١ فى كل ربض منها من المساجد والاسواق والحمّامات ما يقوم باهله ولا يحتاجون الى غيره وبخارج قرطبة ٣ آلاف قرية فى كل واحدة منبر وفقيه مقلّص تكون الفتيا فى الاحكام والشرائع له وكان لا يجعل القالص عندهم على راسه الّا مَنْ حفظ الموطّأ وقيل من حفظ ١٠ آلاف حديث عن النبى صلعم وحفظ المدوّنة وكان هولاء المقلّصون المجاورون لقرطبة ياتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلّمون عليه ويطالعونه * باحوال بلدهم انتهى[a]، قال وانتهت جباية قرطبة ايامَ ابن ابى عامر الى ٣ آلاف الف دينار بالانصاف وقد ذكرنا فى موضع آخر مخالفة لهذا فالله اعلم، وما احسن قول بعضهم

دَعْ عنك حضرة بغداد وبهجتَها ... ولا تعظِّمْ بلاد الفُرْس والصينِ
فما على الارض قطر مثل قرطبة ... وما مشى فوقها مثل ابن حَمْدينِ

* وقال بعضهم[b] قرطبة قاعدة الاندلس ودار الملك التى تُجْبَى اليها ثمراتُ كل جهة وخيراتُ كل ناحية واسطةٌ بين الكور مُوفية على النهر زاهرة مُشْرِقة احدقت بها المُنَى فحسن مرآها وطاب جناها، وفى كتاب فرجة[c] الانفس لابن غالب اما قرطبة فانه اسم ينحو الى لفظ اليونانيّين وتاويله القلوب المشكّكة وقال ابو عُبَيْد[d] البكرى انها فى نفظ القوط بالظاء المعجمة وقال الحجارى الضبط فيها باهمال الطاء وضمّها وقد يكسرها المشرقيّون فى الضبط كما يعجمها آخرون انتهى، وقال بعض العلماء اما قرطبة فهى

a) La. O. باحوال المدينة التى هم ساكنون بها (O. ساكنوها) قال الخ. b) On ne trouve ces mots que dans La. c) Les man. portent ici فرحة. d) G. L. S. ابو عبيدة.

قاعدة الاندلس وقطبها وقطرها الاعظم وامّ مداينها ومساكنها ومستقرّ الخلفاء ودار المملكة فى النصرانية والاسلام ومدينة العلم ومقرّ السُنّة والجماعة نزلها جملة*a* من التابعين وتابعى*b* التابعين ويقال نزلها بعض من الصحابة وفيه كلام وهى مدينة عظيمة ازليّة من بنيان الاوائل طيّبة الماء والهواء احدقت بها البساتين والزيتون، والقرى والحصون، والمياه والعيون،، من كل جانب وبها المحرث العظيم الذى ليس فى بلاد الاندلس مثله ولا اعظم منه بركةً، وقال الرازى قرطبة امّ المداين وسُرّة الاندلس وقرارة الملك فى القديم والحديث والجاهلية والاسلام ونهرها اعظم انهار الاندلس وبها القنطرة التى هى احدى غرائب الارض فى الصنعة والاحْكام والجامع الذى ليس فى بلاد الاندلس والاسلام اكبر منه، *وقال ابن حَوْقَل*c* هى اعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب لها عندى شبيه فى كثرة اهل وسعة محلّ وفسحة اسواق ونظافة محالّ وعمارة مساجد وكثرة حمّامات وفنادق ويزعم قوم من اهلها انها كاحد جانبَىْ بغداد وان لم تكن كاحد جانبى بغداد فهى قريبة من ذلك ولاحقة به وهى مدينة حصينة ذات سور من حجارة ومحالّ حسنة وفيها كان سلاطينهم قديما ودُورهم داخلَ سورها المحيط بها واكثر ابواب القصر السلطانى من البلد وجنوب قرطبة على نهرها قال وقرطبة هذه باتنة عن مساكن ارباضها ظاهرة ودُرْتُ بها فى غير يوم فى قدر ساعة وقد قطعت الشمسُ ١٥ درجة ماشيًا، *وقال الحجارى*d* كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الاسلام، ومجتمَعَ اعلام الانام،، بها استقرّ سرير الخلافة المروانية، وفيها تمحّضتْ خلاصةُ القبائل المَعَدّيّة واليمانية،، واليها كانت الرحلة فى رواية الشريعة والشعراء، * اذ كانت*e* مركز الكرماء ومعدن العلماء،، ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب، ويبارى فيها اصحابُ الكتب اصحابَ الكتائب،، ولم تبرح ساحاتُها مُجَرّ عوالى ومجرى سوابق، ومحطّ معالى وحمى حقائق،، وهى من بلاد الاندلس بمنزلة الراس من الجسد، والزَوْر من الاسد،، ولها الداخل الفسيح، والخارج الذى يمتع البصر بامتداده فلا يزال مستريحا وهو من تردّد النظر طليح،، *وقال بعضهم*f* حضرة

a) La. O. جماعة. *b*) Les man. portent وتابع. *c*) C'est ainsi qu'on doit lire, car ce passage se trouve réellement dans Ibn-Haukal. La. وقال بعضهم, L. وقال ابن سعيد رحمه فى المغرب. Dans G. S. P. et O. il y a une lacune. *d*) On a déjà rencontré ce passage dans le premier livre. La. وقال, L. وقال فى المطمح; dans G. S. P. et O. il y a un blanc. *e*) G. L. S. وكانت. *f*) La. O. وقال الحجارى; dans G. S. et P. il y a une lacune.

قرطبة منذ افتتحت[a] الجزيرة هى كانت منتهى الغاية، ومركز الراية،، وامّ القرى، وقرارة أُولى الفضل والتُقى، ووطن اولى العلم والنُهى،، وقلبَ الاقليم، وينبوع متفجّر العلوم،، وقبة الاسلام، وحضرة الامام،، ودار صَوْب المعقول وبستان ثمر الخواطر وبحر دُرَر القرائح ومن افقها طلعتْ نجومُ الارض واعلام العصر، وفرسان النظم والنثر،، وبها أُنْشِئَت التاليفات[b] الرائقة، وصُنّفت التصنيفات[c] الفائقة،، والسبب فى تبريز القوم حديثا وقديما على مَنْ سواهم ان افقهم القرطبىّ لم يشتمل قطُّ الا على البحث والطلب لانواع العلم والادب،، انتهى، وقال على بن سعيد اخبرنى والدى ان السلطان الاعظم ابا يعقوب بن عبد المومن قال لوالده محمد بن عبد الملك بن سعيد ما عندك فى قرطبة قال فقلتُ له ما كان لى ان اتكلّم حتى اسمع مذهب امير المومنين فيها فقال السلطان ان ملوك بنى اميّة حين اتّخذوها حضرة ملكهم لَعلى بصيرة الديار الكثيرة المنفسحة والشوارع المتّسعة والمبانى الضخمة والنهر الجارى والهواء المعتدل والخارج النضر والمحرث العظيم والشعرى الكافية والتوسُّط بين شرق الاندلس وغربها قال فقلتُ ما ابقى لى امير المومنين ما اقول، ثم قال ابن سعيد ومن كلام والدى فى شانها هى من احسن بلاد الاندلس مبانى واوسعها مسالك وابرعها ظاهرا وباطنا وتفضُل اشبيليةَ بسلامتها فى فصل الشتاء من كثرة الطين ولاهلها رياسة ووقار ولا تزال سمةُ العلم متوارثة فيهم الا ان عامّتها اكثر الناس فضولا واشدُّهم تشغيبا[d] ويضرب بهم المثل ما بين اهل الاندلس فى القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلّة الرضى بامورهم حتى ان السيد ابا يحيى بن ابى يعقوب بن عبد المومن لما انفصل عن ولايتها قيل له كيف وجدتَّ اهل قرطبة قال مثل الجمل ان خفّفتَ عنه الحملَ صاح وان اثقلتَه به صاح ما ندرى اين رضاهم فنقصده ولا اين سخطهم فنتجنّبه وما سلط الله عليهم حَجّاجَ الفتنة حتى كان عامّتها شرًّا من عامّة العراق وان العزل عنها لما قاسيتُ من اهلها عندى ولايةٌ وانى انْ كُلّفتُ العودَ اليها لَقائلٌ لا يُلْدَغ المومن من جحر مرّتَيْن قال والدى ومن محاسنها ظرف اللباس والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة وتعظيم اهلها لجامعها الاعظم وكسر اوانى الخمر حيث ما وقع عينُ احد من اهلها عليها والتستّر بانواع المُنْكَرات والتفاخُر باصالة البيت وبالجنديّة وبالعلم وهى

a) G. L. S. P. استفتحت. b) L. La. O. التآليف. c) La. O. التصانيف. d) G. S. O. تشنيعا, L. La. تشنيعا وتشغيبا.

اكثر بلاد الاندلس كُتُبًا واشدّ الناس اعتناء بخزائن الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعيّن a والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذى لا تكون عنده معرفة يحتفل فى ان تكون فى بيته خزانةُ كتب وينتخب فيها ليس الّا لان يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلانى ليس هو عند احد غيره والكتاب الذى هو بخطّ فلان قد حصّله وظفر به، قال الحَضْرَمى اقمتُ مرّةً بقرطبة ولازمتُ سوقَ كتبها مدّةً اترقّب b فيه وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء الى ان وقع وهو بخط جيّد وتسفير مليح ففرحتُ به اشدّ الفرح فجعلتُ ازيد فى ثمنه فيرجع الىّ المُنادى بالزيادة علىّ الى ان بلغ فوق حدّه فقلتُ له يا هذا أَرِنى مَنْ يزيد فى هذا الكتاب حتى بلّغه الى ما لا يساوى قال فارانى شخصا عليه لباس رياسة فدنوتُ منه وقلت له اعزّ الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض فى هذا الكتاب تركتُه لك فقد بلغتْ به الزيادة بيننا فوق حدّه فقال لى لستُ بفقيه ولا ادرى ما فيه ولكن اقمتُ خزانة كُتُب واحتفلتُ فيها لأتجمّل بها بين اعيان البلد وبقى فيها موضع يَسَعُ هذا الكتابَ فلما رايتُه حسن الخطّ جيّد التجليد استحسنتُه ولم أُبالِ بما ازيد فيه والحمد لله على ما انعم به من الرزق فهو كثير قال الحضرمى فاحرجنى c وحملنى على ان قلتُ له نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك يُعْطَى الجوزَ مَنْ لا عنده أَسْنان وانا الذى اعلم ما فى هذا الكتاب واطلب الانتفاع به يكون الرزق عندى قليلا وتحول قلّةُ ما بيدى بينى وبينه، قال ابن سعيد وجرتْ مناظَرةٌ بين يدى منصور بنى عبد المومن بين الفقيه العالم ابى الوليد بن رُشْد والرئيس ابى بكر بن زُهْر فقال ابن رشد لابن زهر فى كلامه ما ادرى ما تقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حُملتْ الى قرطبة حتى تباع فيها واذا مات مُطْرِب بقرطبة فاريد بيعُ تركته d حُملتْ الى اشبيلية، *ولما وصف ابن بشكوال e قصر قرطبة قال هو قصر اولىّ تداولتْه ملوكُ الامم من لدن عهد موسى النبى صلى الله على نبيّنا وعليه وسلم وفيه من المبانى الاوليّة والآثار العجيبة لليونانيّين ثم للروم والقوط والامم السالفة ما يعجز الوصف ثم ابتدع الخلفاء من بنى

a) G. L. S. اليقين. b) La. O. اطلب. c) S. فاحوجنى, G. L. La. فاخرجنى. d) O. ajoute من آلة الطرب. e) Il y a ici un blanc dans G. et S.; P. قال; La. O. وسئل ابن بشكوال عن قصر ☆

مروان منذ فتح الله عليهم الاندلس *بما فيها فى قصرها a البدائعَ الحسان واثّروا فيه b الآثار العجيبة والرياض المونقة وأَجْرَوْا فيه c المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات البعيدة وتموّنوا المُؤَن الجسيمة حتى اوصلوها الى القصر المكرّم واجرّوها فى كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه فى قنوات الرصاص تودّيها منها الى المصانع صُوَرٌ مختلفة الاشكال من الذهب الابريز والفضّة الخالصة والنحاس المموّه الى البحيرات الهائلة والبِرَك البديعة والصهاريج الغريبة فى احواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة قال وفى هذا القصر القصاب العالية السموّ المنيعة العلوّ التى لم يَرَ الراءون مثلها فى مشارق الارض ومغاربها * قال d ومن قصوره المشهورة وبساتينه المعروفة e الكامل والمجدّد وقصر الحائر والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك والرشيق وقصر السرور والتاج والبديع قال ومن ابوابه التى فتحها الله لنصر المظلومين وغياث الملهوفين والحكم بالحق البابُ الذى عليه السطح المُشْرِف الذى لا نظيرَ له فى الدنيا وعلى هذا الباب باب حديد وفيه حَلَق لاطون f قد أُثْبِتَتْ فى قواعدها وقد صُوّرت صورةَ انسان فتح فَمَه وهى حلق باب مدينة اربونة من بلد الافرنج وكان الامير محمد قد افتتحها فجلب حلقها الى هذا الباب وله باب قبليّ ايضا وهو المعروف بباب الجنان وقُدّامَ هذين البابين المذكورين على الرصيف المشرف على النهر الاعظم مسجدان مشهوران بالفضل كان الامير هشام الرضى يستعمل الحكم فى المظالم فيهما g ابتغاء ثواب الله الجزيل وله باب ثالث يعرف بباب الوادى وله باب بشماليّه يعرف بباب قُورية وله باب رابع يُدعى بباب الجامع وهو باب قديم كان يدخل منه الخلفاء يوم الجمعة الى المسجد الجامع على الساباط وعدّد ابوابا بعد هذا طمستْ ايامَ فتنة المهدى بن عبد الجبّار، وذكر ابن بشكوال رحّه ان ابواب قرطبة ٧ بابُ القنطرة الى جهة القبلة ويعرف بباب الوادى وبباب الجزيرة h الخضراء وهو على النهر وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة وباب ابن عبد الجبّار وهو باب طليطلة وباب رومية وفيه تجتمع الثلثة الرُصُف التى تشقّ دائرة الارض من جزيرة قادس الى قرمونة الى قرطبة الى سرقسطة الى طرّكونة الى اربونة مارّةً فى الارض الكبيرة ثم باب طَلَبيرة وهو ايضا باب ليون ثم

---

a) La. O. بما فى قصرها من البدائع. b) La. O. فيها. c) La. O. فيها. d) Il y a ici une lacune dans G. S. et P. e) La. المعمورة. f) C'est le mot espagnol *laton*. g) Les man. portent فيها. h) Les man. portent جزيرة.

باب عامر القرشىّ وقدّامه المقبرة المنسوبة اليه ثم باب الجوز ويعرف بباب بطليوس ثم باب العطّارين وهو باب اشبيلية انتهى، وذكر ايضا ان عدد ارباض قرطبة عند انتهائها فى التوسيع والعمارة ٢١ ربضا منها القبليّة بعدوة النهر ربض شقندة وربض منية عجب واما الغربية فتسعة ربض حوانيت الريحان[a] وربض الرقّاقين وربض مسجد الكهف وربض بلاط مُغيث وربض مسجد الشفاء وربض حمّام الالْبيرىّ وربض مسجد مسرور[b] وربض[c] الروضة وربض السجن القديم واما الشماليّة فثلثة ربض باب اليهود وربض مسجد امّ سلمة وربض الرصافة والارباض الشرقيّة ٧ ربض شَبْلار[d] وربض فُرْن بَرّيل وربض البرج وربض منية عبد الله وربض منية المُغيرة وربض الزاهرة وربض المدينة العتيقة قال ووسط هذه الارباض قصبة قرطبة التى تختصّ بالسور دونها وكانت هذه الارباض دون سور فلما كانت ايام الفتنة صُنع لها خندق يدور بجميعها وحائط مانع، وذكر ابن غالب انه كان دَوْر هذا الحائط ١٤[e] ميلا وشقندة معدودة فى المدينة لانها مدينة قديمة كانت مسوّرة، *قال ابن سعيد[f] فى المُغْرب ولْنذكر الآن من منتزهات قرطبة ومعاهدها المذكورة فى الالسُن نظما ونثرا ما انتهى اليه الضبطُ من غير تغلغُل فى غير المشهور منها والاهمّ ونوشّى ذلك بجميع ما يحضرنى من مختار النظم فى قرطبة وما يحتوى عليه نطاقُها المذكور فاول ما نذكر من المنتزهات منتزه الخلفاء المروانية وهو قصر الرصافة *قال والذى رحمه[g] كان مما ابتناه عبد الرحمن بن معوية فى اول ايامه لنُزَهه وسكناه اكثرَ اوقاته منية الرصافة التى اتّخذها بشمال قرطبة منحرفةً الى الغرب فاتّخذ بها قصرا حسنا ودَحَا جنانا واسعة ونقل اليها غرائب الغروس واكارم الشجر من كل ناحية واودَعها ما كان استجلبه يزيد وسفر رسولاه الى الشام من النَوَى المختار والحبوب الغريبة حتى تمّت[h] بيمن الجدّ وحسن التربية فى المدّة القريبة اشجارا معتمّة اثمرتْ بغرائب من الفواكه انتشرتْ عمّا قليل بارض الاندلس فاعترِف بفضلها على انواعها، قال وسمّاها باسم رصافة جدّه هشام بارض الشام الاثيرة لديه وامتثله فى اختياره[i] رصافته هذه وكلفه بها وكثرة تردّده عليها وسكناه اكثرَ اوقاته فيها فطار لها الذكر فى ايامه واتّصل مَنْ بعده فى ايثارها قال

---

a) G. L. S. P. الريحانى. b) La. O. السرور. c) La. et O. ajoutent مسجد. d) L. سلار, O. اسبلار. e) La. O. ٢٤. f) Il y a ici une lacune dans G. S. P. et O. g) La. ثنقول. Ces mots sont restés en blanc dans G. S. P, et O. h) G. L. نمت. i) G. L. S. P. O. اجتناء.

وكلهم فضّلها وزاد فى عمارتها وانبرى a اوصاف الشعراء لها فتناغَوْاه فى ذلك فيما هو الى الآن ماثور عنهم مستجاد منهم، قال ابن سعيد والرمّان السفرى الذى فاض على ارجاء الاندلس وصاروا لا يفضّلون عليه سواه اصلُه من هذه الرصافة وقد ذكر ابن حيّان شانه وافرد له فَصْلا فقال انه الموصوف بالفضيلة المقدّم على اجناس الرمان بعذوبة الطعم ورقّة العجم وغزارة الماء وحسن الصورة وكان رسوله الى الشام عن توصيل اختهe منها الى الاندلس قد جلب طرائف فيها من رمان الرصافة المنسوبة الى هشام قال فعرضه عبد الرحمن على خواصّ رجاله مباهيًا به وكان فيمن حضره منهم سفر بن عُبيد الكلاعى من جند الاردنّ ويقال هو من الانصار الذين كانوا يحملون الوية رسول الله صلّعم فى غزواته قال وهم يحملون الالوية بين يدى الخلفاء من بنى اميّة فاعطاه من ذلك الرمان جزءا فراقه حسنُه وخبره فسار به الى قرية بكورة رَيّة فعالج عجمه واحتال لغرسه وغذائه وتنقيله حتى طلع شجرا اثمر واينع فنزع الى عرقه واغرب فى حسنه فجاء به عمّا قليل الى عبد الرحمن فاذا هو اشبه شىء بذلك الرصافىّ فسأله الامير عنه فعرّفه وجه حيلته فاستبرع استنباطه واستنبل همّته وشكر تهمّمه واجزل صلته واغترس d منه بمنية الرصافة وبغيرها من جنّاته فانتشر نوعه واستوسع الناس فى غراسه ولزمه النسب اليه فصار يعرف الى اليوم e بالرمان السفرى قال وقد وصف هذا الرمان احمد بن فرج f الشاعر فى ابيات كتب بها الى بعض من اهداه له فقال

ولابسة صدفا احمرًا ... اتتْك وقد ملئتْ جوهرًا
كانك فاتح حُقّ لطيف ... تضمّن مرجانه الاحمرًا
حبوبًا كمثل لثات الحبيب ... رُضابا اذا شيتَ او منظرًا
وللسفر تُعْزَى وما سافرتْ ... فتشكو النوى او تُقاسى السُرَى
بلى فارقتْ ايكَها ناعما ... رطيبا واغصانَها نُضّرًا
وجاءتْك معتاضةً اذ اتتْك ... باكرم من عُودها عنصرًا
بعُود ترى فيه ماء الندى ... ويُورق من قبل ان يُثْمرًا
هديّة مَنْ لو غدَتْ g نفسُه ... هديّتَه ظنّه قصّرًا

قال ابن سعيد واخبرنى والدى قال اخبرنى الوَشّاح المبرز المحسن ابو الحسن

a) G. L. S. O. وامترى. b) La. فتنازعوا. c) L. S. اختيه. d) La. O. وغرس. e) La. O. الآن. f) La. دوح, O. روح. g) La. O. هدى.

المرينى قال بينما انا اشرب مع ندمانى بازاء الرصافة اذا بانسان رثّ الهيئة محفوّ a الطلعة قد جاء فجلس معنا فقلنا له ما هذا الاقدام على الجلوس معنا دون سابق b معرفة فقال لا تعجلوا علىّ ثم فكر قليلا ورفع راسه فانشدنا

سَقِّنيها ازاء قصر الرصافَهْ … واعتبِرْ فى مآل امرِ الخلافَهْ
وانْظُرِ الافق كيف بدّل ارضا … كى يطيل اللبيبُ فيه اعترافَهْ
ويرى ان كلَّ ما هو فيه … من نعيم وعزّ امرٍ سخافَهْ
كل شىء رايته غير شىء … ما خلا لذّة الهوى والسُلافَهْ

قال المرينى فقبّلْتُ راسه وقلتُ له بالله مَنْ تكون قال قاسم بن عَبُّود الرياحى الذى يزعم الناس انه مُوَسْوس احمق قال فقلتُ له ما هذا شعر احمق وان العقلاء لَتعجز عنه فبالله الّا ما تمّمْتَ مسرّتَنا بموانستك ومنادمتك ومناشدة c طُرَف اشعارك فنادم وانشد وما زلنا معه فى طيبة عيش الى ان ودعناه وهو يتلاطم مع الحيطان سكرًا ويقول اللهمّ غفرًا انتهى، * قال ومن d قصور خارج قرطبة قصر السيّد ابى يحيى بن ابى يعقوب بن عبد المومن وهو على متن النهر الاعظم تحمله اقواس وقيل للسيد كيف تأنقتَ فى بنيان هذا القصر مع انحرافك عن اهل قرطبة فقال علمتُ انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر لما بقى فى رؤوسهم من الخلافة المروانية فاحببتُ ان يبقى لى فى بلادهم اثر أُذْكَرُ به على رغمهم، قال ابن سعيد واخبرنى والدى ان ناهض بن ادريس شاعر وادى آش فى عصره انشده لنفسه فى هذا القصر

الا حبّذا القصر الذى ارتفعتْ به … على الماء من تحت الحجارة اقواسُ
هو المصنع الاعلى الذى أَنِفَ الثرى … ورفّعه عن لثمه المجدُ والباسُ
فأُركب متنَ النهر عزًّا ورفعةً … وفى موضع الاقدام لا يوجد الراسُ
فلا زال معمورَ الجناب وبابُه … يغصّ وحلّتْ افقه الدهرَ اعراسُ

قال الفتح فى قلائده لما ذكر الوزير ابن عمّار وتنزّه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيّده بنو اميّة بالصفاح والعَمَد، وجرَىَ فى اتقانه الى غير أَمَد،، وأَبدع بناؤه، ونُمّقتْ ساحاته وفناؤه،، واتخذوه ميدانَ مراحهم، ومضمار انشراحهم e،، وحكوا به قصرهم بالمَشْرِق، واطلعوه كالكوكب المُشْرِق،، وانشد فيه لابن عمار

a) O. مجفو. b) La. O. سابقة. c) G. S. ومناشدتك. d) L. ومن المنتزهات. Dans G. S. P. et O. il y a une lacune. e) Les man. d'al-Makk. portent افراحهم.

كل قصرٍ بعد الدمشق يُذَمُّ   فيهِ طاب الجنى وفاحَ *a* المشمُّ
منظرٌ رائقٌ وماءٌ نميرٌ   وثرى عاطرٌ وقصرٌ اشمُّ
بتُّ فيه والليل والفجر عندى   عنبرٌ اشهبٌ ومسكٌ احمُّ

وهى منسوبة للحاجب ابى عثمن جعفر بن عثمن المُصْحَفى وذكر الحجارى فى المُسْهب ان الرئيس ابا بكر محمد بن احمد بن جعفر المصحفى اجتاز بالمنية المصحفيّة التى كانت لجدّه ايامَ حجابته للخليفة الحكم المستنصر فاستعبر حين تذكّر ما آل به حالُ جدّه مع المنصور بن ابى عامر واستيلائه على ملكه واملاكه فقال

قفْ قليلا بالمصحفيّة واندُبْ   مقاةً اصبحتْ بلا انسانِ
واسْألَنْها عن جعفر وسطاه *b*   ونداه فى سالف الازمانِ
جعفر مثل جعفر حكم الدهــرُ عليه بعسرة *c* وهوانِ
ولكم حذّر الرّدَى فصَمّمْنا   لا امان لصاحب السلطانِ
بينما يعتلى غدا خافضا منه *انتساب لكفّة *d* الميزانِ

ومنية الزبير منسوبة الى الزبير بن عمر الملثّم ملك قرطبة قال ابن سعيد اخبرنى والدى عن ابيه قال خرج معى الى هذه المنية فى زمان فتح النُوّار ابو بكر بن بَقِىّ الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر من اشجار اللوز قد نوّرتْ فقال ابن بقىّ

سطر من اللوز فى البستان قابَلَنى   ما زاد شىءٌ على شىء ولا نَقَصَا
كانما كل غصن كمُّ جارية   اذا النسيم ثنى اعطافه رَقَصَا

ثم قال شعرا منه

عجبتُ لمن ابقى على خمر دنّه   غداةَ راى لوز الحديقة نوّرَا

ولا اذكر بقيّة الابيات قال جدّى ثم اجتمعتُ به بعد ذلك بغرناطة فذكّرْتُه باجتماعه فى منية الزبير فتنهّد وفكّر ساعةً وقال اكتُبوا عنّى فكتبنا

سقى الله بستان الزبير ودام فى   * ذراه مسيلُ *e* النهر ما غنّت الوُرْقُ
فكائنْ لنا من نعمة فى جنابه   كبرّته الخضراء *f* طالعُها طَلْقُ
هو الموضع الزاهى على كل موضع   أَمَا ظلُّه صافٍ أَمَا ماؤه دفقُ

---

a) Al-Makk. ولذ. *b*) G. S. P. وشطاه. *c*) G. L. S. O. بعزة. *d*) La. لكفة انتسابا; O. لكفة اكتساب; G. L. S. P. ككفة اكتساب. *e*) G. داره مسيل, L. مجاريه سيل. *f*) G. L. S. خضراء.

اهيم به فى حالة القرب والنوى   وحُقَّ له منّى التذكُّر والعشقُ
ومن ذلك النهر الخفوق فؤادُه   بقلبىَ ما غُيِّبتُ عن وجهه خفقُ

قال فقلتُ له جمع الله بينك وبينه على الحالة التى تشتهى قال ذلك لك قلتُ وكيف قال تدفع هذا السيف الذى تقلّدتَ به اتزوّد منه اليه وأُنفق الباقى فيه على ما تعلم قال فقلتُ هذا السيف شرّفنى به السلطان ابو زكريّاء بن غانية وما لعطائه سبيل ولكن اعطيك قيمتَه فخرج واتى بشخص يعرف قيمة السيوف فقدّره وجعل يقول انه سيف السلطان ابن غانية ليعظم قدره فى عينه فيزيد فى قيمته ثم قبض ما قدّر به وانشد ارتجالا

اطال الله عمرَ فتى سعيد   وابقاه *a* ورقّته السعودُ
غدا لى جُودُه سببا لعودى   الى وطنى فهل انا ذا اعودُ
والثم كفّه شكرا ويتلو   *طريقى آىَ نعماه النليد *b*
حبانى من ذخائره بسيف   به لم يبق للأَحْزان جيدُ

والقصر الفارسى من القصور المقصودة للنزاهة بخارج قرطبة وقد ذكره الوزير ابو الوليد ابن زيدون فى قصيد ضمّنه من منتزهات قرطبة ما تَقفُ عليه وكان قد فرّ من قرطبة امامَ بنى جَهْوَر فحضره فى فراره عيدٌ ذكّره باعياده فى وطنه ومعاهده الأُنْسيّة مع وَلّادة التى كان يهواها ويتغزّل فيها فقال

خليلىّ لا فطرٌ يَسُرّ ولا أَضْحى   فما حالُ مَنْ أَمْسَى مشوقًا كما أَضْحَى

وستاتى هذه القصيدة فى هذا الباب كما ستاتى قصيدة ابى القاسم بن هشام القرطبى التى اولها   يا هبّة باكرتْ من نحو دارين   وفيها كثير من منتزهات قرطبة، قال ابن سعيد كان والدى كثيرًا ما يامرنى بقراءتها عليه ويقول والله لقد انبأتْ عن فضل لهذا الرجل قال وكان ابو يحيى الحضرمى يحفظها ويزيّن بها مجالسه ويحلف ان لا ينشدها بمحضر جاهل لا يفهم او حاسد لا يُنْصف فى الاهتزاز لها وانه لَجدير بذلك فانها من كنوز الادب، ثم قال والمرج النضير المذكور بها هو مرج الخزّ اخبرنى والدى انه حضر فى زمان الصبا بهذا المرج على راحة ومعه الرئيس الفاضل ابو الحسين بن الوزير ابى جعفر الوَقّشى والمسنّ *c* بن دوريده *d* المشهور بخفّة الروح قال فسبحتْ امامنا اوزّ وجعلت تمرح

a) G. P. وبقاه, La. O. ورقاه. *b*) Telle est la leçon du man. La. Les autres man. portent طريقى et النشيد. *c*) S. P. الحسن. *d*) La. دويدة.

وتنثر ما عليها من الماء فوق المرج والمرج قد احدق به الوادى والشمس قد مالت عليه للغروب فقال لى ابو الحسين بالله صفْ يومنا وحسنَ هذا المنظر فقلتُ لا اصفه او تَصِفَه انت فقال ولك منّى ذلك فانكر كل منّا على انفراد بعد ما ذكرنا ما نصف نثرا فقال ابو الحسين الوقّشى

لله يوم بمرج الخزّ طاب لنا | فيه النعيم بحيث الروض والنهرُ
وللاوزّ على ارجائه لعبٌ | اذا جرتْ بُدّدتْ ما بيننا الدُرَرُ
والشمس تجنح نحو البين مائلةً | كأنّ عاشقها فى الغرب ينتظرُ
والكاس جائلة باللب حائرة | وكلنا غفلات الدهر نهتدرُ

قال وقلتُ

ألا حبّذا يوم ظفرنا بطيبه | باكناف مرج الخزّ والنهر يبسمُ
وقد مرحتْ فيه الاوزُّ وارسلتْ | على سندس دُرًّا به يتنظّمُ
ومدَّ به للشمس وهو كانّه | لثام لها مُلْقًى من الغور معْصَمُ
أَدَرْنا عليه اكؤُسا بعثتْ به | من الانس مَيْتا عاد وهو يكلّمُ
غَدَوْنا اليه صامتين سكينةً | فرُحْنا وكل بالهوى يترنّمُ

فاظهر كل منّا لصاحبه استحسانَ ما قال تنشيطا وتتميما للمسرّة ثم قلنا للمسنّ ما عندك انت بما تُعارض هاتين القطعتين قال بهذا ورفع رجله وحبق حبقةً قَرْقَعَتْ منها ارجاؤه فقال له ابو الحسين ما هذا يا شيخ سَوْء فقال الطلاقُ لازم[a] ان لم تكن أَوْزَنَ من شعركما واطيب رائحةً واغنَّ صوتا واطرب معنى فضحكنا منه اشدَّ ضحك وجعلنا نهتزّ غايةَ الاهتزاز لموقع نادرة فقال والدليل على ذلك انكم طربتم لما جيتُ به اكثر ممّا طربتم من شعركم، ثم قال ابن سعيد ومن منتزهات قرطبة المشهورة فحص السرادق مقصود للفرجة يسرح فيه البصر وتبتهج فيه النفس اخبرنى والدى عن اخيه ابى جعفر بن عبد الملك بن سعيد قال خرجتُ مع الشريف الاصمّ القرطبى الى بسيط الجزيرة الخضراء وقد تدبّج بالانوار[b] فلما حرّكنا حسنُ المكان، وتشوّقنا الى الاركان[c]، قال الشريف لقد ذكّرنى هذا البسيطُ بسيطَ فحص السرادق فقلتُ له فهل ثار فى خاطرك نظم فيه قال نعم ثم انشد

ألا فدَعُوا ذكر العُذَيْب وبارقِ | ولا تَسْأَموا من ذكر فحص السرادقِ

---

a) G. S. L. P. له لازم, La. O. يلزمه. *b*) La. O. بالنوار. *c*) Lisez الاوطان (?).

مَجَرُّ ذيول السكر من كل مُتْرَف   ومجرى الكؤوس المُتْرَعات السوابق
قصرتُ عليه اللحظ ما دُمْتُ حاضرا   وذكرىَ فى غيب لمَرْآه شائقى
أَيا طيب ايام تقضّتْ بروضة   على لمح غُدْران وشمّ حدائق
اذا وردتْ فيها حمائمُ دوحها   تخيّلها الكُتّابَ بين المهارق
وما باختيار الطرف فارقتُ حسنها   ولكن بكيدٍ مّن زمانٍ مٌنافق

قال ابو جعفر فلما سمعتُ هذا الشعر لم اتمالك عن الاستعبار وحرّكنى ذلك الى ان قلتُ فى حَوّره a) مؤمل سيّد منتزهات غرناطة ولم يذكر هنا ما قاله فيه وذكره فى موضع آخر لم يحضرنى الآن حتى أُورده هنا، ومن منتزهات قرطبة السُدّ قال ابن سعيد اخبرنى والدى ان الشاعر المبرز ابا شهاب المالقى انشده لنفسه واصفا يوم راحة بهذا السدّ

ويوم لنا بالسدّ لو رُدَّ عيشه   بعيشة ايام الزمان رَدَدْناهُ
بكرنا له والشمس فى خِدْر شرقها   الى ان اجابتْ اذ دعا الغربُ دعواهُ
قطعناه شدوًا واغتباقا ونشوةً   ورَجْعَ حديث لو رقى المَيْتَ أَحْياهُ
على مثله من منزه تُبتغى المُنَى   فلله ما أَحْلَى وابدَعَ مَرْآهُ
شَدَتْنا به الارحا وأَلْقَتْ نثارها   علينا فأَصْغَيْنا له وقبلناهُ
لئن بان انّا بالأَنين لفقده   وبالدمع فى اثر الفراق حكيناهُ

وانشدنى والدى موشّحة لابى الحسن المرينى مُعاصره وصاحبه يذكر فيها هذا السدّ وهى

فى نغمة العُود والسُلافَةْ   والروض والنهر والنديمْ
اطال من لامَنى خلافَهْ   فظلّ فى نصحه مُليمْ b)

دَعْنى على منهج التصابى   ما قام لى العُذْرُ بالشبابْ
ولا تُطلْ فى المُنَى عتابى   فلَسْتُ أُصْغى الى عتابْ
لا تَرْجُ * رِدّىَ للجوابِ c)   والكاس تفترّ عن حبابْ
والغصن يُبْدى لنا انعطافَهْ   اذا هفا فوقه النسيمْ
والروض اهدى لنا قطافَهْ   واختال فى بردة الرقيمْ

---

a) La. O. حوز. b) L. S. سليم. c) L. ردى الى الجواب, S. ردا الى الجواب, La. O. ردى الى جوابى *

٢

يا حبّذا عهدِىَ القديمْ   ومَنْ به هِمْتُ مُسْعِدِى
ريمٌ عن الوصل لا يَرِيمْ   مولَّع بالتودُّدِ
ما تمَّ الّا به النعيمْ   طوعًا على رغم حُسَّدِى
معتدل القدّ ذو نحافَةْ   اسقمنى طرفُه السقِيمْ
ورام طرفى به انتصافَةْ   فخدّ a فى خدّه الكلِيمْ

٣

غضُّ الصبا عاطرُ المقبَّلْ   أَحْلَى من الامن والامَلْ
طاوى b الحشا مُفْعَم المخلخَلْ   حُلْوُ اللَمَا ساحِرِ المُقَلْ
لكل ما رامه تَوَصَّلْ   لم يَخْشَ ردًّا بما فعَلْ
اشكو فيُبْدِى لِىَ اعترافَهْ   ان حاد c عن نهجه القوِيمْ
لا اعدِمُ الدهرَ فيه رافَةْ   فحُقَّ لى فيه أن اهِيمْ

٤

لله عصر لنا تقضَّى   بالسدّ والمنبر البهِيجْ
ارى ادِّكارى اليه فرضًا   وشوقُه دائمًا يهِيجْ
فكم خلعنا d عليه غمضًا   وللصبا مسرح ارِيجْ
وَرْدٌ اطال المنا ارتشافَهْ   حتى انقضى شربه الكرِيمْ
لله ما اسرَعَ انحرافَهْ   وهكذا الدهر لا يُدِيمْ

٥

يا من يحثّ المطىَّ غربًا   عَرِّجْ على حضرة المُلُوكْ
وانثرْ بها إن سفحتَ غربًا   من مدمع عاطل سُلُوكْ
واسمعْ الى من اقام صَبًّا   واحْكِ صداه *لا فُضَّ e فُوكْ
بَلِّغْ سلامى قصرَ الرصافَةْ   وذكّروا عهدِىَ القدِيمْ
وحَيِّ عنّى دارَ الخلافَةْ   وقِفْ بها وقفةَ الغرِيمْ

---

a) S. O. فحد. b) On trouve cette leçon dans B. Les autres man. portent ظامى ou ضامى. c) G. S. O. جار, La. جال. d) S. La. جعلنا. e) Ces deux mots me paraissent altérés. O. لأفض, S. لا فوض, La. لا ضم.

قال ابن سعيد والمنبر المذكور فى هذه الموشحة من منتزهات قرطبة والسدّ هو الارحا التى ذكرها فى زجله قاسم بن عَبُّود الرياحى رويْتُه عن والدى عن قائله وهو [a]

بِاللّٰهْ [b] أَيْنْ [c] نُصِيبْ   مَنْ لَيْسْ [d] لى فِيهْ [e] نَصِيبْ
محبوبًا مُخالِفْ [f]   ومَعُو رَقِيبْ

حِينْ [g] نَقْصِدْ مَكانُو   يَقُومْ [h] فى المَقامْ
وِيَبْخُلْ علينا   بِرَدّ السَلَامْ
أَدْخَلْتَ يا قلبى   رُوحَكْ فِى زِحَامْ [i]
سلامَتَكْ عندى   هِى شَىْء عَجِيبْ
وكَيْفْ [j] باللّٰه يَسْلَمْ   مَنْ هُو فى لَهِيبْ

٢

بِاللّٰهْ يا حَبِيبى   أُتْرُكْ ذا النِفارْ
وَٱعْمَلْ أَنْ نَطِيبُوا   فى هٰذا النَهَارْ
وَٱخْرُجْ معى لِلْوَادْ [k]   لِشُرْب العُقَارْ
نُتِمْ [l] نهارْنا   فى لَذّةْ وطِيبْ
فى الأَرْحَا وإِلّا   فى المَرْج الخَصِيبْ

٣

او عند النواعِيرْ [m]   والرَوْض الشَرِيقْ

---

a) [La versification de ce *zadjal*, écrit dans la langue vulgaire à une époque où le peuple avait perdu le sentiment de la quantité, ressemble à celle des poésies latines du moyen âge: elle est fondée uniquement sur l'accent. Chaque vers se compose de quatre pieds, et chaque pied de trois syllabes, ou de deux dans la rime, l'accent tombant sur la deuxième. Quelques syllabes qui, selon les règles de la quantité, seraient brèves, ont cependant l'accent. Ainsi la première syllabe de معى et de معو (= معه) est accentuée (2e strophe, 3e vers; str. 5, vs. 5), de même que la seconde dans اتّكل (4e str., vs. 1), dans وأمْش (str. 4, vs. 5) et dans عاجلا (str. 5, vs. 5). R. D.]. b) G. P. ياللّه. c) G. P. S. L. La. O. اى. d) P. لس. [Je crois qu'il faut biffer ce mot. R. D.]. e) B. فهْ. f) P. فخالف, G. فمحالف. g) G. حن. h) G. L. S. P. B. يقم. i) B. ازدحام. j) G. P. B. وكفْ. k) S. La. O. B. للوادى. l) La. O. نتمم. m) G. L. P. B. النواعر.

او قصر الرُصافَةْ[a]   او وادى العَقيقْ
رَحيقْ[b] واللّه دُونَكْ   هُو عندى الحَريقْ
وفى حُبّكَ أمْسَيْتْ   فى أهْلى غَريبْ
وما المَوْتْ عندى   الّا حِينْ[c] تَغيبْ

٤

اتَّكلْ على اللّهْ   وكُنْ قَطْ جَسُورْ
وانْ رَيتْ فُضُولى   *وقل اى تمورْ[d]
كَمّشْ[e] عنّو وَجْهَكْ   فانْ رَاكْ[f] نَفُورْ
يَهْرُبْ عنكَ خائفْ   ويَبْقَى مُرِيبْ
وامْشِ[g] أنْتْ مُوَقَّرْ   كانّكْ خَطيبْ

٥

ما أعْجَبْ حَديثى   أشْ[h] هٰذا الجُنُونْ
نَطْلُبْ ونُدَبِّرْ   أمْرًا لا يكُونْ
وكم ذا نُهَوِّنْ   شيئًا لا يَهُونْ
وَاشْ[i] مقْدارْ ما نَصْبِرْ   لبُعْد الحَبيبْ
رَبّ أجْمَعْنى مَعُو   عاجِلًا قَرِيبْ[j]

قال ابن سعيد واما نهر قرطبة فانه يصغر عن عظمه عند اشبيلية بحيث صُنِع عليه قنطرة من حجارة لا يتأتّى مثلها فى نهر اشبيلية ومنبعه من جهة شَقُورة يمرّ النصفُ منه الى مرسية مشرّقا والنصفُ الى قرطبة واشبيلية مغرّبا، ولمّا ذكر الرازى قرطبة قال ونهرها الساكن فى جريه الليّن فى انصبابه الذى تومن مغبّةُ ضرره فى حمله

---

a) G. P. S. B. الرصافا. b) B. رَحِقْ ; les autres man. portent حرق. c) G. P. جِنْ.
d) La. O. فقل , B. يَمِلْ ; je ne comprends pas ces mots. [Comme on trouve assez souvent des phrases espagnoles dans les poésies de ce genre, je crois devoir lire وبُلْراسْ تَمُور, c'est-à-dire: *ó bulras de amor* (*bulras* = *burlas* ; voyez, par exemple, l'archiprêtre de Hita, Copla 1488). Ces mots espagnols donnent le même sens que le mot arabe فضول qui précède. R. D.]. e) S. حمش , B. كشّ. f) G. L. P. S. رك. g) La. وامشى. h) S. La. O. ايش. i) S. La. O. وايش. j) O. ajoute : وصلى الهى   على النبى الحبيب.

وقال هذا لانه يعظم عند اشبيلية فاذا حان حمله فى ايام الامطار أشفت اشبيلية على الغرق وتوقّع اهلُها الهلاك والقنطرة التى على هذا النهر عند قرطبة من اعظم آثار الاندلس واعاجيبها اقواسُها ١٧ قوسا وبانيها على ما ذكره ابن حيّان وغيره السَمْح بن مالك الخولانى صاحب الاندلس بامر عمر بن عبد العزيز رضّه وشيّدها بنو اميّة بعد ذلك وحسّنوها قال ابن حيّان وقيل انه قد كانت فى هذا المكان قنطرة من بنيان الاعاجم قبل دخول العرب بنحو ٢٠٠ سنة اثّرتْ فيها الازمان بمكابدة المدود حتى سقطتْ حناياها ومُحيتْ اعاليها وبقيتْ ارجلُها واسافلها وعليها بنى السمح فى سنة ١٠١ انتهى، وقال فى مناهج الفكر ان قنطرة قرطبة احدى اعاجيب الدنيا بُنيت زمنَ عمر ابن عبد العزيز على يد عبد الرحمن بن عبيد الله الغافقى وطولها ٨٠٠ باع وعرضها ٢٠ باعا وارتفاعها ٦٠ ذراعا وعدد حناياها ١٨ حنيّة وعدد ابراجها ١٩ [a] برجا انتهى، رجع الى قرطبة، ذكر ابن حيّان والرازى والحجارى ان اكتبيان [b] ثانى قياصرة الروم الذى ملك اكثر الدنيا وصقّع نهر رومية بالصفر فأرّخت الرومُ من ذلك العهد وكان قبل ميلاد المسيح عمّ بثمان وثلثين سنة امر ببناء المدن العظيمة بالاندلس فبُنيت فى مدّته واشبيلية وماردة وسرقسطة وانفرد الحجارى بان اكتبيان [c] المذكور وجّه ۴٠ من اعيان ملوكه للاندلس فبنى كل واحد منهم مدينة فى الجهة التى ولّاه عليها وسمّاها باسمه وان هذه الاسماء الاربعة كانت اسماءً لاولئك الملوك وغير الحجارى جعل اسماءً [d] هذه المدن مشتقّةً مما تقتضيها اوضاعُها كما مرّ وذكروا انه قد تداولتْ على قرطبة وُلاةُ الروم الاخيرة الذين هم بنو عيصو بن اسحق بن ابرهيم على نبيّنا وعليهما الصلاة والسلام الى ان انتزعها من ايديهم القوط من ولد يافث المتغلّبون على الاندلس الى ان اخذها منهم المسلمون ولم تكن فى الجاهلية سريرا لسلطنة الاندلس بل كرسيّا لخاصّ مملكتها وسعدت فى الاسلام فصارت سريرا للسلطنة العُظمى الشاملة وقطبا للخلافة المروانية وصارت اشبيلية وطليطلة تبعًا لها بعد ما كان الامر بالعكس والله يفعل ما يشاء بيده الملكُ والتدبير، وهو على كل شىء قدير، لا اله الا هو العلىّ الكبير، وقال صاحب نَشق الازهار عند ما تعرّض لذكر قرطبة هى مدينة مشهورة دار خلافة واهلها اعيان ناسٍ فى العلم والفضل وبها جامع ليس فى الاسلام

a) La. O. ١٦٠. b) G. L. S. اكتنبان, P. O. التنبان, La. اكتبنان. c) G. L. P. اكتنبان, S. La. اكتبنان, O. التنبيان (sic). d) G. L. La. O. انها.

مثله انتهى، ومن الاسباب فى سلب محاسن قرطبة عيث[a] البربر بها فى دخولهم مع سليمن المستعين الاموى حين استولى على قرطبة فى دولته التى افتتحت بالقهر وسفك الدماء وكان من امراء البربر المعاضدين لسليمن علىّ بن حَمُّود من بنى على *[b] بن ادريس[b] بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن ابى طالب رضّهم اجمعين وجدّه ادريس هرب من هٰرون الرشيد الى البربر فتَبَرْبَرَ ولدُه وبَنَى ابنه ادريس مدينة فاس وكان المؤيَّد هشام يشتغل بالملاحم ووقف على ان دولة بنى اميّة تنقرض بالاندلس على يد علوىّ اوّلُ اسمه عين فلما دخل سليمن مع البربر قرطبة ومحوا كثيرا من محاسنها ومحاسن اهلها كان من اكبر امرائهم على بن حمّود وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبرُه واسمه ونسبه فدسّ اليه ان الدولة صائرة اليك وقال له ان خاطرى يحدّثنى ان هذا الرجل يقتلنى يعنى سليمن فان فعل فخُذْ بثارى وكان هذا الامر هو الذى قوّى نفس ابن حمود على طلب الامامة وحمله على الاخذ بثار هشام المؤيد فكان المؤيد احد مَنْ أُخذ بثاره بعد موته وتولّى بعد ذلك على بن حمود وبويع بقرطبة فى قصرها فى اليوم الذى قُتل فيه سليمن المستعين واخذ الناسَ بالارْهاب والسطوة واذلّ رءوس البربر وبرقتْ للعدل فى ايامه بارقةٌ خُلّب لم تَكَدْ[c] تَقِدُ حتّى خَبَتْ وجلس للمظالم وقُدّمت له جماعة من البربر فى اجرام فضرب رقابَهم واهلهم وعشائرهم ينظرون وخرج يوما على باب عامر فالتقى فارسا من البربر وامامه حملُ عنب فاستوقفه وقال له من اين لك هذا فقال اخذتُه كما ياخذ الناس فامر بضرب عنقه ووضع راسه وسط الحمل وطيف به فى البلد واستمرّ على هذا مع اهل قرطبة فى احسن عِشْرة نحو ٨ اشهر حتى بلغه قيامُ الاندلسيين بالمرتضَى المروانى فى شرق الاندلس فتغيّر عمّا كان عليه وعزم على اخْلاء قرطبة وابادة اهلها فلا يعود لائمّتهم بها سلطان آخرَ الدهر واغضى للبربر عن ظلمهم فعاد البلاء الى حاله وانتزع الاسلام من اهل قرطبة وهدم المنازل واستهان بالاكابر ووضع المغارم وقبض على جماعة من اعيانهم والزمهم بمال فلما غرموه سرحهم فلما جىء اليهم بدوابّهم ليركبوها امر مَنْ اخذ الدوابّ وتركهم ينزلون الى منازلهم على ارجلهم وكان منهم ابو الحزم الذى ملك قرطبة بعدُ وصارت دولته بوراثة ولده معدودةً فى دُوَل الطوائف فانجمعتْ عن علىٍّ النفوسُ

a) S. دحمس (sic), P. دحيث (sic), G. L. بحيث, La. O. دخول. b) Ces mots ne se trouvent que dans G. c) O. تكن, G. L. S. تك.

وتوالى عليه الدعاء فقتله صبيان أَغْمار من صقالبة بنى مروان فى الحمّام وكان قتله غرّةَ ذى القعدة سنة ٤٠٨ وكان الصقالبة ٣ فهربوا واختفَوْا فى اماكن يعرفونها وصحّ عند الناس موته ففرحوا وكانت مدته كما مرّ نحو عامين وحقّقها بعض فقال ٢١ شهرا وستة ايام، وكان الناصر على بن حمّود على عُجْمته وبُعْده من الفضائل يُصْغى الى الامداح ويثيب عليها ويظهر فى ذلك آثار النسب العربى والكرم الهاشمى ومن شعرائه المختصّين به ابن الخيّاط القرطبى ومن شعره قوله

راحتْ تذكّر بالنسيم الراحَا ... وَطْفاء تكسر للجنوح جناحَا
اخفى مسالكَها الظلامُ فاوقدتْ ... من برقها كى تهتدى مصباحَا

وعُبادة بن ماء السماء وكان معروفا بالتشيّع وفيه يقول من قصيدة

ابوكم علىٌّ كان بالشرق بَدْءًا ما ... ورثتّم وذا بالغرب ايضا سميُّهُ
فصلّوا عليه اجمعون وسلّموا ... له الامرَ ان ولّاه فيكم وليُّهُ

ومدحه ابن دَرّاج القسطلّى بقوله

لعلّكِ يا شمسُ عند الاصيلْ ... شجيتِ لشجو الغريب الذليلْ
فكونى شفيعىَ لابن الشفيع ... وكونى رسولىَ لابن الرسولْ

وكان اخوه القاسم بن حمّود اكبر منه بعشر سنين وامّهما واحدة وهى علويّة ولما قُتل الناصر كان القاسم واليا على اشبيلية وكان يحيى بن على واليا على سبتة فاختلفت اهواء البربر فمال اكثرهم الى القاسم لكونه غُبنَ اولا وقُدّم عليه اخوه الاصغر وكونه قريبا من قرطبة وبينهم وبين يحيى البحر ولما وصلت رُسُلهم الى القاسم لم يظهر فرحا بالامامة وخاف ان تكون حيلة من اخيه عليه فتقهقر الى ان اتّضح له الحقّ فركب الى قرطبة وبويع فيها بعد ٩ ايام من قتل اخيه واحسن السيرةَ واحسّ من البربر الميلَ الى يحيى ابن اخيه علىّ صاحب سبتة فتهالك فى اقتناء السودان وابتاع منهم كثيرا وقوّدهم على اعماله فأنفت البرابرُ من ذلك وانحرفوا عنه وفى سنة ٤٠٩ قام عليه بشرق الاندلس المرتضى عبد الرحمن من[a] اعقاب الناصر لان اهل الاندلس صَعُبَ عليهم ملكُ بنى حمّود العلويين بسبب البرابر فارادوا رجوع الامامة الى بنى مروان واجتمع له اكثر ملوك الطوائف وكان معه حين اقبل لقرطبة منذر التُجيبى

a) Ce mot manque dans tous les man.

صاحب سرقسطة وخَيْران العامرى الصقلبى صاحب المريّة وانضاف اليهم جمعٌ من الافرنج وتألّب القاسم والبرابر للقائهم فكان من الاتّفاق العجيب ان فسدت نيّةُ منذر وخيران على المرتضى وقالا ارانا فى الاول وجها ليس بالوجه الذى نراه حين اجتمع اليه الجمّ الغفير وهذا ماكر غير صافى النيّة فكتب خَيرانُ الى ابن زيرى الصنهاجى المتغلّب على غرناطة وهو داهية البربر وضمن له انه متى قطع الطريقَ على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبة خزل a عن نصرته الموالى العامريين اعداء المروانيين واصحابَ رياسة الثغور فأَصْغى ابن زيرى الى ذلك وكتب المرتضى الى ابن زيرى يدعوه لطاعته فقلب الكتابَ وكتب فى ظهره قُلْ ايّها الكافرون السورةَ b فارسل اليه كتابا ثانيا يقول فيه قد جيتُك بجميع ابطال الاندلس وبالفرنج فما تصنع وختم الكتاب بهذا البيت

ان كنت منّا أَبْشِرْ بخير او لا فأَيْقِنْ بكلّ شرّ

فامر الكاتب ان يحوّل الكتاب ويكتب فى ظهره أَلْهاكم التكاثُر السورةَ c فازداد حنقه وحمله الغيظ الى ان ترك السير الى حضرة الامامة قرطبة وعدل الى محاربته وهو يرى انه يصطلمه فى ساعة من نهار ودامت الحرب اياما وارسل ابن زيرى الى خيران يستنجز وعده فاجابه انما توقّفتُ حتى ترى مقدارَ حربنا وصَبْرنا ولو كُنّا ببواطننا معه فأَثْبِتْ جمعك لنا ونحن ننهزم عنه ونخذله فى غد ولما كان من الغد راى اعلام خيران واعلام منذر واصحاب الثغور قد ولّتْ عنه فسُقط فى يد المرتضى وثبت حتى كادوا ياخذونه واستحرّ القتلُ وصُرِع كثير من اصحابه فلما خاف القبض عليه ولّى فوضع عليه خيران عيونا فلحقوه بقرب وادى آش وقد جاوز بلاد البربر وامن على نفسه فهجموا عليه فقتلوه وجاءوا براسه الى المريّة وقد حلّ بها خيران ومنذر فتحدّث الناسُ انهما اصطبحا عليه سرورًا بهلاكه وبعد هذه الواقعة اذعن اهل الاندلس للبرابرة ولم يجتمع لهم بعدها جمعٌ ينهضون به اليهم وضرب القاسم بن حمود سرادق المرتضى على نهر قرطبة وغَشِيَه خلق من النَظّارة وقلوبهم تتقطع حسراتٍ وانشد عبادة بن ماء السماء قصيدته التى اولها

لك الخيرُ خيرانٌ مضى لسبيله واصبح امرُ الله فى ابن رسوله

ومشت d امور القاسم وولّى وعزل، وقال وفعل،، الى ان كشف وجهه فى خلع طاعته

a) S. خذل, G. L. نزل. b) *Al-Korān*, sour. 109. c) *Al-Korān*, sour. 102. d) La. O. وتمكنت.

ابنُ اخيه يحيى بن على وكتب من سبتة الى اكابر البرابر بقرطبة ان عمّى اخذ ميراثى من ابى ثم انه قدّم فى ولاياتكم التى اخذتُموها بسيوفكم العبيدَ السودان وانا اطلب ميراثى وأُولّيكم مناصبكم واجعل العبيد السودان كما هم عند الناس فاجابوه الى ذلك فجمع ما عنده من المراكب واعانه اخوه ادريس صاحب مالقة فجاز البحر بجمع وافر وحصل بمالقة مع اخيه وكتب له خيران صاحب المريّة مذكّرا بما اسلفه فى اعانة ابيه واكّد المودّة فقال له اخوه ادريس ان خيران رجل خَدّاع فقال يحيى ونحن منخدعون فيما لا يضرُّنا ثم ان يحيى اقبل الى قرطبة واثقًا بان البرابر معه ففرّ القاسم الى اشبيلية فى ٥ فرسان من خواصّه ليلة السبت ثامن عشرِى شهر ربيع الآخر سنة ٤١٢ وحلّ يحيى بقرطبة فبايعه البرابر والسودان واهل البلد يوم السبت مستهَلّ جمادى الآخرة وكان يحيى من النجباء وامّه فاطميّة واذما كانت آفتُه العُجْبَ واصطناعَ السفلة واشتطّ اكابر البرابر عليه وطلبوا ما وعدهم من اسْقاط مراتب السودان فبذل لهم ذلك فلم يقنعوا منه وصاروا يفعلون معه ما يخرق الهيبة ويفرغ بيت المال وفرّ السودان الى عمّه باشبيلية ومن البرابر ومن جند الاندلس مَن احتاجب عنهم يحيى وتكبّر عليهم ولم يَمِلْ اليه ملوكُ الطوائف وبقى منهم كثير على الخطبة لعمّه القاسم الى ان اختلّت الحال بحضرة قرطبة وايقن يحيى انه متى اقام بها قُبض عليه وكان قد ولّى على سبتة اخاه ادريس وبلغه ان اهل مالقة خاطبوا خيران وكاتبوه فطمع خيران فيها وفرّ يحيى فى خواصّه تحت الليل الى مالقة ولما بلغ القاسم فرارُه ركب من اشبيلية الى قرطبة فخُطب له بها يوم الثلثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ٤١٣ ولم تصلح الحال للقاسم منذ وصل الى الحضرة ووقع الاختلاف وكان هَوَى السودان معه وهَوَى كثير من البرابر مع يحيى وهَوَى اهل قرطبة مع قائم من بنى اميّة يُشيعون ذكره ولا يظهر وكثر الارْجاف بذلك ووقع الطلب على بنى اميّة فتفرّقوا فى البلاد ودخلوا فى اغمار الناس واخفَوْا زيّهم ثم ان الخلاف وقع بين البربر واهل قرطبة وتكاثر البلديّون فاخرجوا القاسم وبرابرتَه فضرب خيمه بغربيّها وقاتَلَهم مدةَ ٥٠ يوما قتالا شديدا وبنى القرطبيّون ابواب مدينتهم وقاتلوا القاسم من الاسوار الى ان طال عليهم الحصار فهدموا بابا من الابواب وخرجوا خرجةَ رجل واحد وصفروا a فمنحهم الله الظفر وفرّ السودان مع القاسم الى اشبيلية وفرّ البرابرة

a) La. O. وظفروا. Le mot est sans doute altéré. [Je crois devoir lire وكبّروا. R. D.].

الى يحيى وهو بمالقة وكان فرار القاسم من ظاهر قرطبة يوم الخميس لثنتى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٤١٤ وكان ابنه محمد بن القاسم واليا على اشبيلية وثِقَتُه المدبِّرُ لامره محمد بن زيرى من اكابر البرابرة وقاضيها محمد بن عَبّاد فعمل القاضى لنفسه وهو جدُّ المعتمد بن عباد واطمع ابن زيرى فى التملُّك فاغلق الابواب فى وجه مصطنعه وحارَبَه فقُتل من البرابر والسودان خلق كثير وابن عباد يضحك على الجميع فيَئِسَ القاسم وقنع ان يُخْرِجوا اليه ابنَه واصحابه ويسير عنهم فاخرجوهم اليه فسار بهم الى شريش وعند ما استقرَّ بها وصل اليه يحيى ابن اخيه من مالقة ومعه جمع عظيم وحاصَرَه فى المدينة ٢٠ يوما كانت فيها حروب صِعاب وقُتل من الفريقَيْن خلق كثير وأَجْلَت الحربُ عن قهر يحيى لعمّه واسْلام اهل شريش له وفرّ سودانه وحصل القاسم وابنه فى يد يحيى وكان قد اقسم انه انْ حصل فى يده ليقتلنَّه ولا يتركه حتى يلى الامامة بقرطبة مرةً ثالثة فراى التربُّصَ فى قتله حتى يرى رايه فيه فحدَّث عنه بعضُ اصحابه انه حمله بقيد الى مالقة وحبسه عنده وكان كلّما سكر واراد قتله رغّبه ندماؤُه فى الابقاء عليه لانه لا قدرةَ له على الخلاص وكان كلّما نام راى والده عليّا فى النوم ينهاه عن قتله ويقول له اخى اكبر منّى وكان محسنا الىّ فى صغرى ومسلّما لى عند امارتى اللهَ اللهَ فيه وامتدّت الحال على ذلك الى ان قتله حنقا بعد ١٣ سنة من حين القبض عليه لانه كان قد حبسه فى حصن من حصون مالقة فنُمِىَ اليه انه قد تحدَّث مع اهل الحصن فى القيام والعصيان فقال أَوَبقى فى راسه حدثٌ بعد هذا العمر فقتله سنة ٤٢٧، وبقى اهل قرطبة بعد فرار القاسم عنها نيفا عن شهرين يرون رايهم فيمن يبايعونه بالامامة ولما كان يوم الثلثاء نصف شهر رمضان سنة ٤١٤ أُحضر المستظهر وسليمن بن المرتضى واموىٌّ آخر معه فبايعًا المستظهر وقبّلا يده بعد ما كان قد كُتب عقد البيعة باسم سليمن بن المرتضى على ما ارتضاه الاماثلُ فبُشر اسمه وكُتب اسم المستظهر وركب الى القصر وحمل معه ابنَىْ عمّه المذكورين فحبسهما وكان قد رفع جماعةً من الأَتْباع ذهب بهم العُجْبُ كلَّ مذهب كابى عامر بن شُهَيْد المنهمكa فى بطالته وابى محمد بن حزم المشهور بالردّ على العلماء فى مقالته وابن عمّه عبد الوهّاب بن حزم الغَزِل المترف فى حالته

a) G. المنتهك, L. المفهتك, S. المتمسك.

فاحقد بذلك مشايخ الوزراء a والاكابر، وبادر المستظهر باصطناع البرابر، واكرم مثواهم، واحسن مأواهم، واشتغل b مع ابن شهيد وابنَى حزم بالمباحثة فى الآداب، ونظم الشعر والتمسّك بتلك الاهداب، والناس فى ذلك الوقت اجهلُ ما يكون، وكان جماعة من اهل الشرّ فى السجون، يتعيّن ألّا يخرج منهم انسان، فاخرج منهم شخصا يقال له ابو عِمْران، وقد كان اشار بعض الوزراء عليه بعدم اخراجه فاحرجه c، وخالفه فى ذلك واخرجه، ولم يقبل النصيحة، وفعل ما اداه الى الفضيحة، فسعى القوم الذين خرجوا من المحبوس، على افساد دولته وابدال فرحه بالبُوس، لما اشتغل عنهم بالادباء والشعراء حسبما اقتضاه رأيُه المعكوس، فسعوا فى خلعه مع البرابر، وقُتل فى ذى القعدة من السنة التى بويع فيها وصار كأمْسِ الدابر، بعد ٤٧ يوما من يوم بويع بالخلافة، واذا اراد الله امرا فلا يقدر احد d ان ياتى خلافه، وعمره ٢٣ سنة، كأنّها سِنَة، ومن شعر المستظهر المذكور، وهو من القريض الممدوح صاحبُه فى البلاغة المشكور، طال عمرُ الليل عندى الابياتَ، وكتب اليه شاعر فى طرس مكشوط

الطرس مبشور وفيه بشارة ... ببَقا الامام الفاضل المستظهرِ
ملك اعاد العيشَ غضّا ملكُه ... وكذا يكون به طوالَ الاعصرِ

فاجزل صلته وكتب فى ظهر الورقة

قبلنا العذر فى بَشْر الكتاب ... لما احكمتَ فى فصل الخطاب

وقد قدّمْنا فى الباب الثالث شيءا من هذه الاخبار وما حصل بعد ذلك بقرطبة الى انْ تولّى الامرَ ابن جهور فى صورة الوزارة ثم ابنه الى ان اخذ قرطبة منه المعتمد ابن عباد حسبما ذُكر فى اخباره ثم آل الامرُ بعد ذلك كله الى استيلاء ملوك العدوة من الملثّمين والموحّدين على قرطبة الى ان تسلّمها النصارى اعادها الله للاسلام كما يُذكر فى الباب الثامن، وقال صاحب مناهج الفكر فى ذكر قرطبة ما ملخّصه فأما ما اشتمل عليه غرب الجزيرة، من البلاد الخطيرة، فمنها قرطبة وكانت مقرّ الملك ودار الامارة وأُمّ ما عداها من البلاد منذ افتتحها المسلمون سنة ٩٢ زمنَ الوليد بن عبد الملك الى ان خرجت عن ايديهم وتنقّلت فى يد ملوك المسلمين الى ان وصلت الى الناصر عبد الرحمن فبنى فى تُجاهها مدينة سمّاها الزهراء يجرى بينهما

---

a) La. O. العلماء. b) La. O. واستقل. c) Les man. portent فاخرجه. d) La. O. امرء.

نهر عظيم انتهى، واعلَمْ ان المبانى دالّة على عظيم قدر بانيها، كما ذكرناه فى كلام الناصر الذى طابت له من الزهراء مجانيها،، ولم يزل البلغاء يَصفون المبانى، باحسن الالفاظ والمعانى،، ورأينا ان نذكر هنا بعض ذلك، زيادةً فى توسيع المسالك،،

فمن ذلك قول ابن حَمْديس الصقلّى * يصف دارا a بناها المعتمد على الله

ويا حبّذا دار قضى الله انها   يجدّد فيها كلّ عزّ ولا يَبْلَى
مقدّسة لو ان موسى كليمَه   مشى قَدَمًا فى ارضها خلع النعلَا
وما هى الّا خطّة الملك الذى   يحطُّ لديه b كلُّ ذى امل رَحْلَا
اذا فُتحتْ ابوابُها خلْتَ انها   تقول بترحيب لداخلها أَهْلَا
وقد نقلتْ صُنّاعُها من صفاته   اليها افانينًا فأَحْسَنَت النقلَا
فمن صدره رحبًا ومن نوره سَنًى   ومن صِيته فرعًا ومن حِلْمه اصلَا
فأَعْلَتْ c بها d فى رتبة الملك ناديًا   وقلّ له فوق السماكَيْن ان يُعْلَا e
نسيتُ به ايوانَ كسرى لانّنى   اراه له مولى من الحسن لا مثلَا f
كأنّ سليمن بن داؤد لم تُبِحْ   مخافتُه للجنّ فى صنعه مَهْلَا
ترى الشمس فيه ليقةً تستمدّها   اكفٌّ اقامتْ من تصاويرها شكلَا
لها حركات أُودعتْ فى سكونها   فما تبعتْ فى نقلهنّ يدٌ رجلَا
ولما عَشينا g من توقّد نورها   تَخِذْنا سناه فى نواظرنا كحلَا

وقال من اخرى يصف دارا بناها المنصور بن اعلى الناس ببجاية h

واعمُرْ بقصر الملك ناديك الذى   اضحى بمجدك بيتُه معمورًا
قصر لَوَانّك قد كحلتَ بنوره   أَعْمَى لَعاد الى المقام بصيرًا
واشتُقّ من معنى الحياة نسيمُه   فيكاد يُحْدِث للعظام نُشورًا

---

a) S. La. O. فى دار. On trouve cette *kaçīdah* dans le Dīwān d'Ibn-Hamdīs (man. de St. Pétersbourg, fol. 52 r.), et aussi dans le مناهج الفكر, ouvrage auquel al-Makk. l'a empruntée. *b*) G. L. S. O. اليها. Le man. du Dīwān porte اليه. *c*) P. La. O. واعلت. *d*) Al-Makk. به. *e*) Dans le Dīwān ce vers se lit ainsi :

واعلت بها فى رتبة الملك باديا   وقل لها فوق السماكين ان تعلا.

Le man. du مناهج الفكر porte aussi باديا. *f*) On trouve dans le Dīwān لبست بها et ارى انه مولا. *g*) Al-Makk. غشينا. *h*) Ce poème manque dans le Dīwān, mais il se trouve dans le man. d'Oxford du مناهج الفكر. Malheureusement ce man. est très-mauvais et ne m'a fourni qu'un petit nombre de corrections.

نُسِىَ الصبيحُ مع المليحِ a بذكره   وسما ففاق خَوَرْنَقًا وسَدِيرَا
ولَوَانّ بالايوان قُويل حسنُه   ما كان شيئًا عنده مذكورًا
أَعْيَتْ مصانعُه على الفُرْسِ الأُولَى   رفعوا البناء واحكموا التدبيرا
ومضتْ على الروم الدهورُ وما بنوا   لملوكهم شبهًا له ونظيرًا
انكرتنا الفردوسَ حين اريتنا   غُرَفًا رفعتَ بناءها وقصورًا
فالمحسنون تزيّدوا اعمالهم   ورجوا بذلك جنّةً وحريرًا
والمذنبون هُدُوا الصراطَ وكفّرتْ   حسناتُهم b لذنوبهم تكفيرًا
فلكٌ من الافلاك الّا انه   حقر البدورَ فأَطْلَعَ المنصورَا
ابصرتُه فرايتُ ابدعَ منظر   ثم انثنيتُ بناظرى محسورًا
وظننتُ انّى حالم فى جنّة   لما رايتُ الملكَ فيه كبيرًا
واذا الولائد فتّحتْ ابوابه   جعلتْ ترحّب بالعُفاة صريرًا
عضّتْ على حلقاتهنّ ضراغمٌ   فغرتْ بها افواهُها تكسيرًا
فكأنّها لبدتْ لتهصر عندها   مَنْ لم يكن بدخوله مامورًا
تجرى الخواطرُ مُطْلَقات اعنّة   فيه فتكبو عن مداه قصورًا
بمرخّم الساحات تحسب انه   فُرِشَ المَهَى وتوشّح الكافورا
ومحصّب بالدرّ تحسب تربَه   مسكا تضوّع نشرُه وعبيرًا
تستخلف الاصباحُ منه اذا انقضى   صُبْحا على عنق الظلام مُنيرًا

ثم ذكر بركة فيه عليها اشجار من ذهب وفضّة ترمى فروعُها المياهَ وتفقّن فذكر اسودا على حافاتها قاذفة بالماء c ايضا فقال

وضراغم سكنتْ عرينَ رياسة   تركتْ خريرَ الماء فيه زئيرًا
فكأنّما غشّى النُضار جسومَها   واذاب فى افواهها البلّورا
أُسْدٌ كأنّ سكونها متحرّك   فى النفس لو وجدتْ هناك مُثيرًا
وتذكّرتْ فتكاتها فكأنما   أَقْعَتْ على أَدْبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونَها   نارا وأَلْسُنَها اللواحس نورًا
فكانما سلّتْ سيوف جداول   ذابتْ بلا نارٍ فعُدْنَ غديرًا

a) La. O. الفصيح. b) G. S. P. La. حسناتها. c) La. O. بالمياه.

وكانما نسج النسيمُ لمائه   درعًا فقدّر سردهاه[a] تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها   عيناىَ بحرَ عجائب مسجورا
شجرِيّة ذهبيّة نزعتْ الى   سحر يؤثّر فى النُهى تاثيرا
قد صُولجت اغصانُها فكانما   قنصتْ لهنّ من الفضاء طيورا[b]
وكانما تابَى لواقع طيرها   ان تستقلّ بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها   ماءً كسلسال اللجين نميرا
خُرْس تُعَدّ من الفصاح فان شَدَتْ   جعلتْ تغرّد بالمياه صفيرا
وكانما فى كل غصن فضّة   لانتْ فأُرسل خيطها مجرورا
وتُريك فى الصهريج موقعَ قطرها   فوق الزبرجد لولُوًا منثورا
ضحكتْ محاسنُه اليك كانما   جُعلتْ لها زُهْرُ النجوم ثغورا
ومصفّح الابواب تبرًا نظّروا   بالنقش بين شكوله تنظيرا
تبدو مسامِيرُ النُضار كما علتْ   تلك النهودُ من الجِنان صدورا
خلعتْ عليه غلائلا وَرْسيّة[c]   شمسٌ تَرُدّ الطرفَ عنه حسيرا
واذا نظرتَ الى غرائب سقفه   ابصرتَ روضا فى السماء نضيرا
وعجبتَ من خُطّاف عسجده التى   حامتْ لتبنىَ فى ذراه وُكُوْرا
وضعتْ به صُنّاعُه اقلامها   فأَرَتْكَ كلّ طريدة تصويرا
وكانما للشمس فيه ليقةٌ   مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكانما للّازورد[d] مخرّم   بالخطّ فى وَرَق السماء سطورا
وكانما وشّوْا عليه مُلاءةً   تركوا مكانَ وشاحها مقصورا

ثم مدح المنصور بعد ذلك وختم القصيدة بقوله

يا مالك الارض الذى اضحى له   ملكُ السماء على العُدَاة نصيرا
كم من قصور للملوك تقدّمتْ   واستوجبتْ لقصورك[e] التاخيرا

a) G. L. S. سَرِده. b) Les man. d'al-Makk. et du مناهج الفكر portent قد صوبحت اغصانها فكانما قبضت بهن الخ. J'ai substitué à cette leçon celle que j'ai trouvée dans le man. d'Oxford de l'ouvrage intitulé مطالع البدور فى منازل السرور, sans oser affirmer cependant qu'elle est la véritable. c) P. S. ووشيه, G. ووشيد, La. O. ووشينه, L. موشية. J'ai adopté la leçon du man. du مناهج الفكر. d) L. باللازورد, G. P. S. La. اللازورد, O. اللازورد شبه. e) S. La. O. بقصورك.

فعمرتها وملكت كل رياسة   منها ودمّرت العدا تدميرا

قلت لم أرَ لهذه القصيدة من نظير، فى معناها اليانع النضير،، ولفظها العذب النمير، الذى شمّر فيه قائلها عن ساعد الاجادة اىّ تشمير، غير ان فيها عندى عيبا واحدا وهو ختمها بلفظ التدمير،، وعلى كل حال فالحسن والاحسان، يُقادان فى أرسان، لعبد الجبّار بن حمديس المذكور ذى المقاصد الحسان،، وخصوصًا فى وصف المبانى والبِرَك، فما ابقى لسواه فى ذلك حسنا ولا ترَك،، ومن ذلك قوله فى وصف بركة تجرى اليها المياه من شاذروان من افواه طيور وزرافات واسود وكل ذلك فى قصر اطنب فى وصفه فى قصيدة طويلة

والماء منه سبائك فضّيّة a   ذابت على دوحات شاذْروانِ
وكانما سيف هناك مشطّب   ألقته يومَ الحرب كفُّ جبانِ
كم شاخص فيه يُطيل تعجّبا   من دوحة نبتت b من العقيانِ
عجبا لها تسقى الرياض ينابعًا   نبعت من الثمرات والاغصانِ
خُصّت بطائره على فَنَن لها   حسنت فأُفرِد حسنُها من ثانى
قُسّ الطيور الخاشعات بلاغةً   وفصاحةً من منطق وبيانِ
فاذا أُتيح لها الكلامُ تكلّمت   بخرير ماء دائم الهَمَلانِ
وكأنّ صانعها استبدّ بصنعة   فخر الجمادُ بها على الحيوانِ
أَوْفَتْ على حوض لها فكأنّها   منها الى العجب العُجاب روانى
فكأنها ظنّت حلاوة مائها   شهدًا فذاقته بكل لسانِ
وزرافة فى الجوف من أُنْبوبها   ماء يُريك الجرى فى الطَّيَرانِ
مركوزة كالرمح حيث ترى له   من طعنه الخلقَ انعطافَ سنانِ
وكانها ترمى السماء ببندق   مستنبط من لؤلؤ وجمانِ
لو عاد ذاك الماء نفطا أُحرقت   فى الجوّ منه قميصُ كل عَنانِ
فى بركة قامت على حافاتها   أُسْد تذلّ لعزّة السلطانِ
نزعت الى ظلم النفوس نفوسُها   فلذلك انتُزعت من الأبدانِ
وكأنّ بَرْد الماء منها مُطْفِىٌ   نارا مضرّمة من العدوانِ

a) S. La. O. من فضة.   b) G. L. S. بنبيت.

وكانما الحيّات من افواهها　　يطرحْن انفسَهنّ فى الغُدْران
وكانما الحيتان اذ لم تَخْشَها　　اخذتْ من المنصور عقدَ امان

وهاتان القصيدتان لابن حمديس كما فى المناهج مع طولهما يدلّان على الابْداع الذى ابتكره، والاختراع الذى ما ولج سَمْعَ احد من الفضلاء الا شكره،، وقال ابو الصَّلْت اميّة بن عبد العزيز الاندلسى يصف قصرا بمصر يسمى منزل العزّ بناه حسن ابن على بن تميم بن المعزّ العُبَيْدى

منزل العزّ كاسمه معناهُ　　لا عدا العزُّ مَنْ به سمّاهُ
منزل ودّت المنازلُ فى اعلى ذُراه لو صُيّرتْ ايّاهُ
فأَجِلْ فيه لحظ عينك[a] تبصرْ　　اىَّ حسن دون القصور حواهُ
سال فى سقفه النُضارُ ولاكن　　جمدتْ فى قراره الامواهُ
وبارجائه مجالُ طراد　　ليس تنفكّ من وغى خَيْلاهُ
تبصر الفارس المدجّج فيه　　ليس تَدْمَى من الطعان قناهُ
وترى النابل المواصل للنز　　ع بعيدا من قِرْنه مَرْماهُ
وصفوفا من الوحوش وطير الـ　　ـجوّ كلٌّ مستحسَن مَرْآهُ
سكنات تخالها حركات　　واختلاف كانه[b] اشْباهُ
كمحيّا الحبيب حرفًا بحرف　　ما تعدّى صفاته اذ حكاهُ
وردُه وَجْنتاه نرجسُه الفتّان عيناه آسُه عارضاهُ
وكانّ الكافور والمسك فى الطيب وفى اللون صُبْحُه ومساهُ
منظر يبعث السرورَ ومرأًى　　يُذْكِر المرءَ طيبَ عصر صِباهُ

وقال ابو الصلت اميّة الاندلسى المذكور يذكر بناءً بناه على بن تميم بن المعزّ العُبَيْدى

لله مجلسك المُنيف قبابُه　　بموطّد فوق السماك[c] مؤسّس
مُوفٍ على حُبُك المجرّة تلتقى　　فيه الجوارى بالجوارى الكُنَّس
تتقابَل الانوار من جنباته　　فالليل فيه كالنهار المُشْمِس
عطفتْ حناياه دُوَيْنَ سمائه　　عطفَ الاهلّة والحواجب والقسى
واستشرفتْ عُمُدُ الرخام وظُوهِرتْ　　بأجلّ من زهر الربيع وأَنْفَس

a) S. O. عينيك. b) Les man. d'al-Makk. portent كانها, et l'on trouve la même leçon dans le مناهج الفكر. c) G. L. S. السماء.

فهواؤه من كل قدّ اهيف   وقراره من كل خدّ املس
فلكٌ تحيّر فيه كلّ منجّم   واقرّ بالتقصير كل مهندس
فبدا للحظ العين احسنَ منظر   وغدا لطيب العيش خيرَ معرّس
فاطْلُعْ به قمرًا اذا ما أَطْلعتْ   شمسُ الخدود*a* عليك شمسَ الاكؤس
فالناس اجمع دون قدرك رتبةً   والارض اجمع دون هذا المجلس

ويُعْجِبنى قول ابى الصلت اميّة المذكور يصف حالَىْ زيادة النيل ونقصانه

ولله مجرى النيل منه*b* اذا الصبا   أَرَتْنا به من برْهاه عسكرا مَجْرَا
اذا زاد يحكى الوردَ غضًّا*d* وان صفا   حكى ماءه لونا ولم * يحكه مُرّاه

وقال رحه يصف الرصد الذى بظاهر مصر

يا نزهة الرصد التى قد اشتملتْ   من كل شىء حلا فى جانب الوادى*f*
فذا غدير وذا روض وذا جبل   والضَبّ والنون والمَلّاح والحادى

وهو ماخوذ من قول الاول يصف قصر انس بالبصرة

زُرْ وادىَ القصر نعْمَ القصرُ والوادى *   لا بُدَّ من زورة من غير ميعاد
زُرْه فليس له ندٌّ يشاكله   من منزل حاضر انْ شيتَ او بادى
تُلْقَى به السُفْنُ والظُلْمان حاضرةً   والضبُّ والنون والملّاح والحادى

وقال رحه يذكر الهرمَيْن

بعيشك هل ابصرتَ احسن منظرًا   على طول ما عاينتَ من هرمَىْ مصرِ
اناقا بأَعْنان السماء وأَشْرَفا   على الجوّ اشْرافَ السماك او*g* النسر
وقد وافَيا نشزًا من الارض عاليا   كانهما ثديان قاما على صدر

وسنأتى ترجمته ان شاء الله تع فى الباب الخامس وعلى ذكر الانهار والبِرَك فما احسن قول بعض الاندلسيين يصف*h* بركة عليها عدّة فوّارات

غضبتْ مجاريها فاظهر غيظُها   ما فى حشاها من خفىّ مُضْمَرِ
وكأنّ نبع الماء من جنباتها   والعين تنظر منه احسن منظرِ
قُضُبٌ من البلّور اثمر فرعُها   لما انتهتْ باللولوٌ المتحدّرِ

---

a) G. L. S. P. La. الخدور. Le man. du مناهج الفكر porte الحدود. *b*) G. S. L. O. منها, La. فيه. *c*) G. L. S. P. O. سيرها, La. مرها. *d*) La. O. لونا. *e*) G. L. S. P. يعده نشرا. *f*) G. L. S. P. النادى. *g*) S. الى, La. O. على. *h*) La. O. يذكر.

وقال ابن صارة الاندلسى يصف ماء بالرقّة والصفاء

والنهر قد رقّتْ غلالةُ خَصْرِه   وعليه من صبغ الاصيل طِرازُ
تترقرَق الامواجُ فيه كانها   عُكْنُ الخصور تهزّها الأعجازُ

وما احسن قولِ بعض الادباء ولم يحضرنى الآن اسمه

والنهر مكسوّ غلالةَ فضّةٍ   فاذا جرى سيلا فثوبَ نُضارِ
واذا استقام رايتَ صفحةَ مُنْصُلٍ   واذا استدار رايتَ عطفَ سوارِ

وقال ابن حمديس المغربى يصف نهرا بالصفاء [a]

ومطّرد الامواج يصقل متنَه   صبًى اعلنتْ للعين ما فى ضميرِهِ
جريح باطراف الحصى كلّما جرى   عليها شكى اوجاعَه بخريرِهِ

وهذا النهج متّسع ولم نُطِل السير فى هذه المهامه، وانما ذكرنا بعض كلام المغاربة ليُنتبه [b] به منتقصُهم من سِنَة [c] اوهامه،، ولانّ فى امرها عبرة لمن عقل، اذا صدّأ مرآة حسنها وطال ما كان لمَتْنِها [d] صقل،، وقد وقفتُ على كلام لصاحب المناهج فى هذا المعنى فاحببتُ ذكره ملخّصا وهو [e] ونُلْحِق بذكر المنازل التى راق منظرُها، وفاق مخبرُها،، وارتفع بناؤها، واتّسع فناؤها،، طرفًا من الكلام على ما عفاه الدهر من رسومها، ومحاه من محاسن صُوَر كانت ارواحا لجسومها،، وصف اعرابىّ محلّةَ قوم ارتحلوا عنها فقال نثرًا ارتحلتْ عنها ربّاتُ الخدور، واقامتْ بها اثافىّ [f] القدور،، ولقد كان اهلها يعفون *اثار الرياح [g] فعفت الرياحُ آثارَهم، وذهبتْ بابدانهم وأبْقَتْ اخبارهم،، والعهد قريب واللقاء بعيد، وقال عمر بن ابى رَبيعة فاحسن

يا دارُ امسى [h] دارسًا رسمُها   وحشًا قفارًا ما بها آهِلُ
قد جرّت الريحُ بها ذيلَها   واستنّ فى اطلالها الوابلُ

ومن كلام الفتح بن خاقان، فى قلائد العقيان،، يذكر آل عبّاد من فصل اكثر فيه التفجّع، واطال به التوجّع،، والغصون [i] تختال فى ادواحها، *والازاهر يُحْيِى مَيْتَ

a) La. et O. ajoutent يجرى على الصفا. b) G. S. P. La. O. ليتنبه. c) G. L. P. La. O. سعة. d) G. S. لمتها, P. لمنها (*sic*), La. O. لمثلها. e) J'ai collationné ce passage sur le man. d'Oxford du مناهج الفكر (Bodl. Hunt. 429), que je désignerai par la lettre M. f) M. رواجل. g) M. اثارها للرياح. h) La. O. اضحى. i) M. et al-Makk. والقصور.

الصبابة شَذَى ارواحها a ،، * واطيار الرياض b قد اشرفتْ عليهم كثَكَالَى يَنُحْنَ على خرابها ، وانقراض اطرابها ،، والوهى بمشيَّدها لاعب ، وعلى كل جدار منها غرابٌ ناعب ،، وقد محت الحوادثُ ضياءها ، وقلّصتْ ظلالَها وافياءها ،، وطالما اشرقتْ بالخلائف وابتهجتْ ، وفاحتْ من شذاهم وارجتْ c ،، ايامَ نزلوا خلالَها ، وتفيّـُوا ظلالَها ،، وعمروا حدائقها وجنّاتها ، ونبّهوا الآمال من سِنَاتها ،، وراعوا الليوثَ فى آجامها ، واخجلوا الغيوثَ عند انسجامها ،، فاصبحتْ ولها بالتَداعى d تلفُّع واعتجار ، ولم يبق من آثارها الا نُوىً وأحْجار ،، وقد وَهَتْ e قبابُها ، وهرم شبابُها ،، وقد يلين الحديد ، ويَبْلَى على طيّه الجديد ،، وقال ابو صخر القرطبى يذكر ذلك من ابيات ينعاهم بها

ديار عليها من بشاشة اهلها   بقايا تَسُرّ النفسَ أُنْسًا ومنظرًا
ربوع كساها المزنُ من خِلَع الحَيَا   برودا وحلّاها من النَوْر جوهرًا
تَسُرّك طورًا ثم تُشْجيك تارةً   فترتاح تانيسا وتَشْجَى تذكُّرَا

ومن كلام ابى الحسن القاشانى يصف نادىَ رئيس خلا ، من ازدحام المَلا ،، وعوّضه الزمانُ عن تواصُل احبابه هجرًا وقلًى ،، قد كان منزله مألفَ الاضياف ، ومأنسَ الاشراف ،، ومنتجَعَ الركب ، ومقصد الوفد ،، فاستبدل بالانس f وحشة ، وبالضياء ظلمة ،، واعتاض من تراحُم المواكب ، بتلاطُم النوادب ،، ومن ضجيج النداء والصهيل ، بعجيج g البكاء والعويل ،، ومن رسالة لابن الاثير الجَزَرى يصف دمنة دار لعبتْ بها ايدى الزمن ، وفرقت بين المسكن والسَكَن ،، كانت مقاصير جَنّة ، فاصبحتْ وهى ملاعب جِنّة ،، ولقد عميتْ اخبارُ قُطّانها ، وآثارُ اوطانها ،، حتى شابهتْ احداهما فى الخفا ، الأُخْرَى فى العفا ،، وكنتُ اظنّ انها لا تُسْقَى بعدهم بغمام ، ولا يُرفع عنها جلبابُ ظلام ،، غير ان السحاب بكاهم فاجرى بها هوامعَ دموعه ، والليل شقّ عليهم جيوبَه فظهر الصباح من خلال صدوعه ،، وقد لمح فى بعض كلامه قول الشريف الرضى h من ابيات يصف فيها ما كان فى الحيرة من منازل النعمان بن المنذر

ما زلتُ اطّرق المنازل باللوى   حتى نزلتُ منازل النعمانِ

---

a) Au lieu de cette phrase on trouve dans les man. du *Kalāyid:* وتتثنى فى اكف ارواحها.
b) *Al-Kal.* واثار الديار. Les mots قد اشرفت عليهم manquent dans les man. d'al-Makk.
c) La. O. وتارجت. *d*) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. *e*) G. L. S. et M. هوت.
f) Les man. d'al-Makk. portent الانس; M. بالانيس. Après le mot وحشة M. ajoute وبالضياره عبره (*sic*). *g*) Les man. portent عجيج. *h*) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk.

بالحيرة البيضاء حيث تقابلتْ   شُمُّ العماد عريضةَ الاعطان
شهدتْ بفضل الرافعين قبابَها   ويبين بالبنيان فضلُ البانى
ما ينفع الماضين ان بقيتْ لهم   خِطَطٌ معمَّرة بعُمْر فانى

يقول فيها

ولقد رايتُ بدَيْر هند منزلا   أَلِمًا من الضرّاء والحدثان
يُغْضى كمستمع الهوان تغيّبتْ   انصارُه وخلا من الاعوان
بالى المعالم اطرقتْ شُرُفاتُه   اطْراقَ منجذب[a] القرينة[b] عانى[c]
أمقاصر الغزلان غيَّرَك البلَى   حتى غدَوْت مرابضَ الغزلان .
وملاعب الانْس الجميع طوى الرَدَى   منهم فصرت ملاعبَ الجِنّان

ومنها

مسكيّة النفحات تحسب تُرْبَها   بُرْدَ الخليع معطَّرَ الأرْدان
وكانما نسى التجارُ لطيمةً   جرت الرياحُ بها على القيعان[d]
ماءٌ كجَيْب الدرع يصقله الصبا   * ويَفِى بدوحته النسيمُ الوانى[e]
زفر الزمان عليهم فتفرّقوا   وخلوا عن الاوطار والاوطان

وقال ابو اسحق الصابىّ وتوارد مع الشريف الرضى فى المعنى والقافية يصف قصر رَوْح بالبصرة

أَحْبِبْ الىَّ بقصر رَوْح منزلا   شهدتْ بنيّتُه * بفضل البانى
سور علا وتمنّعتْ شرفاتُه   فكأنّ احداهنّ هضب أَبَان
وكانما يشكو الى زوّاره   بَيْنَ الخليط وفرقةَ الجيران
وكانما يُبْدى لهم من نفسه   اطْراقَ محزون الحشا حرّان

ولاحمد بن فَرَج الانْبيرى من ابيات

سألتَ بها فما رَدّتْ جوابا   عليك وكيف تُخْبرك الطلولُ
ومن سفه سؤالُك * رسمَ دار[f]   مضى لعفائه زمنٌ طويلُ
فان تك اصبحتْ قفرًا خلاءً   لعينك فى مغانيها همولُ
فقدْمًا قد نعمتَ قريرَ عين   بها وبربعها الرشأُ الكحيلُ

وقال ابو عبد الله بن الخيّاط الاندلسى الاعمى

---

a) G. L. S. P. et M. منحدب. b) G. القريمز (sic), L. القرنيس (sic), S. العرمر (sic), M. القُرَدمه (sic). c) La. فان, O. قان. d) La. O. et M. العقيان. e) Cet hémistiche est probablement altéré. Voici les variantes des man.: M. ونقى بدوحة النسيم; La. وبقى, O. ويقى; G. بدوحة; G. L. السيم, S. الشبيم. f) G. ثم دار, L. ثم دارا.

لو كنتَ تعلم ما بالقلبِ[a] من نارِ … لم تُوقِدِ النار بالهندىّ والقارِ
يا دارَ علوة قد هيّجتِ لى شجنا … وزدّتنى حرقا حُيّيتِ من دارِ
كم بتُّ فيك على اللذّات معتكفا … والليل مدّرع ثوبا من القارِ
كانه راهب فى المِسْح ملتحف … *شدَّ المُجدّ له[b] وسطا بزُنّارِ
يُديرِ فيه كُؤوس الراح ذو حَوَرٍ … يدير من طرفه أَلْحاظَ سَحّارِ

ولا مزيدَ فى التفجُّع على الديار، والتوجُّع للدِمَن والآثار، على قول البُحْتُرى من قصيدة يرثى بها المتوكّل

مَحَلٌّ على القاطُولِ اخلقَ داثِرُهْ … وعادت صروفُ الدهرِ جيشا تغادِرُهْ
كأنّ الصبا تُوفى نذورًا اذا انْبَرَتْ … تُراوِحه اذيالُها وتُباكِرُهْ
ورُبَّ زمانٍ ناعمٍ ثمَّ عهدُهُ … ترِقّ حواشيه ويونق ناضِرُهْ
تغيّر حسنُ الجعفرىّ وانسُه … وقُوِّض بادى الجعفرىّ وحاضِرُهْ
تحمّل عنه ساكنوه فُجاءةً … فعادت سواءً دُورُهُ ومقاصِرُهْ
اذا نحن زُرْناه اجدَّ لنا الاسَى … وقد كان قبل اليوم يبهج زائرُهْ
ولم أَنْسَ وحشَ القصر اذ رِيعَ سِرْبُهْ … واذ ذُعِرَتْ اطلاؤُه وجآذِرُهْ
واذ صِيحَ فيه بالرحيل وهُتِّكَتْ … على عَجَلٍ استارُهُ وستائِرُهْ
واوحشه حتى كأن لم يقمْ به … انيس ولم تحسنْ لعين مناظِرُهْ
كأن لم تبتْ[c] فيه الخلافة طلقةً … بشاشتُها والملك يُشْرِق زاهِرُهْ
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءَها … وبهجتَها والعيش غضٌّ مكاسِرُهْ
فاين الحجاب الصَعْبُ حيث تمنّعتْ … بهيبتِها ابوابُه ومقاصِرُهْ
واين عميد الناس فى كل نوبة … تنوب وناهى الدهر فيهم وآمِرُهْ

وعلى قول ابى اسحق بن خفاجة الاندلسى

ومرتبَعٍ حططتُ الرحلَ فيه … بحيث الظلُّ والماءُ القَراحُ
تخرّم حسنَ منظره مليكٌ … تخرّم ملكَه القدرُ المُتاحُ
فجريةُ ماءِ جدولِه بكاءٌ … عليه وشدْوُ طائرِه نُواحُ

وهذا النوع من البكاء على الدِمَن، والتأسُّف على ما فعلتْ بها ايدى الزمن، كثير

a) S. La. فى القلب. b) G. S. P. بشد المجد له, La. O. المجد شد له ; M. شد الحجر (sic) له. c) Les man. d'al-Makk. portent تبن.

جدّا، لا يعرف الباحثُ عنه له حدّا،، وذلك لشدّة وَلُوع النفوس بذكر احبابها، وحنينها الى اماكنها التى هى a مواطن اطرابها،، ولهذا اقتصرنا على هذه النبذة القليلة، وجعلناها نغبةً b يشفى المشوقُ بها غليلَه،، وقد كره بعض العقلاء التأسُّفَ على الديار لعلمهم انه لا يُجْدِى، ولا يدفع عادية الدهر الخُؤُون ولا يُعْدِى،، ونهوا عنه لما فيه من تجديد المُصاب، *المجرِّع لصاب الأَوْصاب c،، قال ابو عمر بن عبد البرّ

عفت المنازلُ غير أَرْسُمِ دمنة حَيَّيْتُها من دمنة ورسومِ
كم ذا الوقوف ولم تَقِفْ فى منسك كم ذا الطواف ولم تَطُفْ بحريمِ
فَكِلِ الديارَ الى الجنائب d والصبا ودَعِ القفارَ مع الصدى والبومِ

انتهى كلامه رحمه باكثر لفظه مع بعض اختصار، رجع الى قرطبة فنقول وقد الم لسان الدين بن الخطيب رحمه بذكر قرطبة وبعض اوصافها فى كتاب له كتبه على لسان سلطانه الى رسول الله صلعم وقد ذكرناه بجملته فى الباب الخامس من القسم الثانى فليراجَعْ ثمّه ونصُّ محلّ الحاجة منه هنا ثم كان الغزو الى امّ البلاد، ومثوى الطارف والتلاد،، قرطبة وما قرطبة المدينة التى على عمل اهلها فى القديم. بهذا الاقليم. كان العمل، والكرسىُّ الذى بعصاه رُعِىَ الهَمَل، والمصر الذى فى خطّه المعمور الناقةُ والجمل، والافق الذى هو لشمس الخلافة العَبْشَميّة الحَمَل،، فخيّم الاسلام بعقدتها e المستباحة، واجاز نهرها المُعْيِىَ على السباحة،، وعمّ دوحها الأَشِبَ بَوَارا، وادار المحلّاتِ بسورها سوارا،، واخذ بمخنقها حصارا، واعمل النصر * بشجر نصلها f اجتناء ما شاء واهتصارا،، وجدّل من ابطالها من لم يرضَ انجحارا، فاعمل الى المسلمين اصْحارا،، حتى قُرِع بعض جهاتها غلابًا جهارا، ورُفعت الأَعْلام اعْلاما بعزّ الاسلام واظْهارا،، فلولا استهلال الغوادى، وان اتى الوادى،، لَأَفْضَتْ الى فتح الفتوح تلك المبادى، ولقضى تفثه g العاكفُ والبادى،، انتهى، ومما كتب به لسان الدين رحمه فى وصف هذه الغزوة لسلطان بنى مرين على لسان صاحب الاندلس ما صورتُه المقام الذى نطالعه باخبار الجهاد، ونهدى اليه عوالى العوالى صحيحةَ الاسناد، ونبشّره باخبار الفتح البعيد الآماد، ونسأل الله له توالِىَ الاسْعاف ودوامَ الاسْعاد، ونرتقب من صُنْع

---

a) M. كانت. b) Les man. portent نعبة. c) La. O. المجرع لصاحبه الصاب والاوصاب. d) G. L. الخبائث, S. الجنائث. e) Les man. portent بعقرتها. f) La. O. بشجرة اصلها. g) La. O. نفثه.

الله على يديه تكييفا يخرق حجاب المعتاد، وامتعاضا يُطلع بآفاق البلاد، نجوم غُرَر الجياد، ويفتح ابواب الفتوح باقاليد السيوف الحداد، ويُنْسِى *a* عن مكارم مَنْ سلف من الآباء الكرام والاجداد،، مقام محلّ اخينا الذى نستفتح له بالفتح والظهور، ونهدى الى مجده لما نعلم من فضل نيّته وحسن قصده لطائفَ السرور، ونستظهر بملكه المؤمّل ومجده المشهور، ونتوعّد منهما العدوّ بالحبيب المذخور، والولىّ المنصور،، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله عالىَ القدر، قريرَ العين منشرحَ الصدر، ولا زال حديثُ فخره سائرا مسيرَ الشمس والبدر،، عظّم سلطانه الخليقَ بالتعظيم، الواثقُ منه بالذخر الكريم، المُثْنى على مجده الصميم، وفضله العميم،، امير المسلمين عبد الله الغنىّ بالله محمد بن امير المسلمين ابى الحجّاج ابن امير المسلمين ابى الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم، برّ عميم *b*،، يخصّ مقامكم الاعلى، واخوتكم الفضلا،، ورحمة الله وبركاته، اما بعد حمد الله ربّ العباد، ومُلْهِم الرشاد، ومكيّف الاسعاف والاسعاد، الولىّ النصير الذى نُلْقى الى التوكّل عليه *c* مقاليدَ الاعتماد، ونمدّ الى انجاده ايدى الاعتداد، ونرفع اليه اكفّ الاستمداد، ونُخْلص لوجهه الكريم عملَ الجهاد، فنتعرّف عوارف الفضل المزداد، ونجتنى ثمار النصر من اغصان القنا الميّاد *d*، ونجتلى وجوه الصُنْع الوسيم ابهر من وجه الصباح الباد، ونظفر بالنعيم العاجل فى الدنيا والنعيم الآجل يومَ قيام الأشهاد، ونتفيّأُ ظلال الجنّة من تحت اوراق السيوف الحداد، والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد رسوله النبىّ الهاد، رسول الملحمة المؤيَّد *e* بالملائكة الشداد، ونبىّ الرحمة الهامية العهاد، اكرم الخلق بين الرائح والغاد، ذى اللواء المعقود٠ والحوض المورود٠ والشفاعة فى يوم التَناد، الذى بجاهه نجدع انوف الآساد، يوم الجلاد، وببركته ننال أقْصَى الامل والمُراد، وفى مرضاته نَصِلُ اسباب الوداد، فنعود بالتجر الرابح من مرضاة ربّ العباد، ونستولى من ميدان السعادة المُعادة على الآماد، والرضى عن آله وصحبه وانصاره وحزبه الكرماء الأمجاد، دعائم الدين من بعده وهُداة العباد، انجاد الانجاد، وآساد الآساد، الذين ظاهروه فى حياته بالحلوم الراجحة الاطواد، والبسالة التى لا تنال بالعَدد فى سبيل الله والأعداد، حتى بوّءوا الاسلام فى القواعد الشهيرة والبلاد، وارغموا انوف اهل

a) G. L. S. ويُنبى. *b*) G. L. S. تميم. *c*) Les man. portent اليه. *d*) O. المناد, G. L. S. P. المنشاد. *e*) G. L. S. المويدة.

المجد والالحاد، فاصبح الدين رفيع العماد، منصور العساكر والاجناد، مستصحب العزّ فى الأَضْداد والايراد، والدعاء لمقامكم الاعلى بالسعد الذى يُغْنى عن اختيار الطوالع وتقويم الميلاد، والنصر الذى تشرق انباؤه فى جنح ليل المداد، والصُنْع الذى تُشْرَع له ابواب التوفيق والسَداد، من حمراء غرناطة حرسها الله والبُسْر وثيق *a* المهاد، والخير واضح الأشهاد، والحمد لله فى المبدأ والمعاد، والشكر على آلائه المتّصلة الترداد، ومقامكم الذخر الكافى العتاد، والمردّد *b* المتكفّل بالانجاد،، والى هذا وصل الله سعدكم، وحرس مجدكم، ووالى نصركم وعضدكم، وبلّغكم من فضله العميم املكم وقصدكم،، فاتّنا نوثر تعريفكم بتافه المتزيّدات، ونورد عليكم أَشْتات الاحوال المتجدّدات،، اقامةً لرسم الخلوص فى التعريف بما قلّ، مودّةً خالصة فى الله عزّ وجلّ،، فكيف اذا كان التعريف بما تهتزّ منابرُ الاسلام ارتياحا لوروده، وتنشرح الصدورُ منه لمواقع فضل الله وَجُوده، والمكيّفات. البديعة الصفات. فى وجوده،، وهو اتّنا قدّمْنا اعْلامكم بما نويناه من غزو مدينة قرطبة امّ البلاد الكافرة، ومقرّ الحامية الشهيرة والخيرات الوافرة،، والقطر الذى عهدُه بالْمام الاسلام متقادم، والركن الذى لا يتوقّع صدمةَ صادم،، وقد اشتمل سورها من زعماء ملّة الصليب على كل رئيس بئيس، وهزبر خسيس*c*، وذى مكر وتلبيس،، ومَنْ له سِمَةٌ تُذيع مكانه وتُشيعه، وأَتْباع على المنشط والمكره تُطيعه،، فاستدعينا المسلمين من اقاصى البلاد، وأَذَعْنا فى الجهات نفير الجهاد، وتقدّمْنا الى الناس بسعة الازواد، واعطينا الحركةَ التى تخلّف المسلمون فيها وراءهم جمهورَ الكفر من الاقطار والاعداد، حقّها من الاستعداد، وأَفَضْنا العطاء والاستلحاق والاستركاب فى اهل الغناء وابطال الجلاد،، فحُشر الخلق فى صعيد، واخذوا الأُهْبة والزينة فى عيد سعيد، وشمل الاستدعاء كل قريب وبعيد، عن وعد ووعيد،، ورحلنا وفضلُ الله شامل، والتوكُّل عليه كاف كافل،، وخيّمْنا بظاهر الحضرة حتى استوفى الناسُ آرابهم، واستكملوا اسرابهم،، ودُسْنا منهم بلاد النصارى بجموع كثّرها الله وله الحمد وانماها، وابعد فى التماس ما عنده من الاجر منتماها،، وعند ما حللنا قاشرة وجدنا السلطان دُونْ بِطْرُهْ مؤمّل نصرنا وانجادنا، ومستعيد حظّه من لواحق *d* جهادنا، ومقتضى دَيْن كدحه باعانتنا اياه وانْجادنا،، قد نزل بظاهرها فى

---

a) La. O. قد وطا. *b*) G. L. S. P. والردد. *c*) S. جيش, O. خيس, La. خبيس.
d) La. O. مواقع.

محلّات ممن استقرّ على دعوته، وتمسّك بطاعته، وشمله حكمُ جماعته،، فكان لقاؤنا اياه على حال اقرّتْ اعينَ المسلمين، وتكفّلت باعزاز الدين، ومُجْمَلها يُغْنى عن التعيين، والشرح والتبيين،، ورأى هو ومَنْ معه من وفور جيش الله ما هالهم، واشكّ فى حال اليقظة خيالهم،، من جموع تسدّ الفضاء، وأَبْطال تقارع اسودَ الغضا،، وكتائب منصورة، ورايات منشورة، وأُمَم محشورة،، تفصل عن مرأى العين، وتُردى العدوّ فى مهاوى الحين،، فاعترفوا بما لم يكن فى حسابهم، واعتبر فى عزّة الله أُولو البابهم،، واذا كثّر الله العدد نما وزكا، واذا ازاح العلَل ما اعتذر غازٍ ولا شكا،، وسالتْ من الغد الاباطحُ بالأَعْراف، وسَمَت الهوادى الى الاستشراف، واخذ الترتيب حقّه من المواسط الجهاديّة والاطراف،، وأُحكمت التعبية التى لا ترى العينُ فيها خَلَلا، ولا يجد الاختيار[a] عندها دَخَلا،، وكان النزول على فرسخ من عدوة النهر الاعظم[b] من خارج المدينة انجز الله وعدَ دمارها، واعادها الى عهدها فى الاسلام وشعارها، ومحا ظلام الكفر فى آفاقها بملّة الاسلام وانوارها،، وقد برزت من حاميتها شوكةٌ سابغة الدروع، وافرة الجموع،، استجنّت من اسوار القنطرة العظمى بحمى لا يخفر، واخذ اعقابها بها من الرُماة والكُماة العدد الاوفر،، فبادر اليهم سرعانُ خيل المسلمين فصدقوهم الدفاع والقراع، والنصال[c] والمصاع،، وخالطوهم هبرًا بالسيوف، ومباكرةً بالحتوف،، فتركوهم حصيدا، واذاقوهم وبالا شديدا،، وجدلوا منهم جملة وافرة، وامّة كافرة،، وملكوا بعض تلك الاسوار فارتفعت بها راياتهم الخافقة، وظهرت عليها عزماتهم الصادقة،، واقتحم المسلمون الوادى سيّما فى غمره، واستهانةً فى سبيل الله بامره،، وخالطوا حامية العدوّ فى صفّته فاقتلعوها، وتعلّقوا باوائل الاسوار ففرعوها،، فلو كُنّا فى ذلك اليوم على عزم من القتال، وتيسير الآلات وترتيب الرجال،، لَدُخلَ البلد، ومُلك الاهل والولد،، لكن اجار الكُفّارَ من الليل كافرٌ، وقد هلك منهم عدد وافر، ورجع المسلمون الى محلّاتهم ونصر الله سافر، والعزم ظافر،، ومن الغد خُضْنا البحر الذى جعلنا العزمَ فيه سفينا، والتوكّلَ على الله للبلاغ ضمينا، ونزلنا من * صفّته القوى[d] منزلا عزيزا مكينا،، بحيث يجاور سورَها طُنُبُ القباب، وتصيب دورَها من بين الخيمات[e] بوارقُ

---

a) La. O. الاعتبار. b) G. L. et S. ajoutent الدنيا. c) Les man. portent والمصال. d) S. La. O. صفته, P. صقفة. Le mot القوى est certainement altéré. e) G. L. S. P. المخيمات ✿

النُشّـاب ، وبرزت حـاميتُهـا على متعدّدات الابواب ، مقيمةً اسواق الطعـان والضراب ، فـآبَتْ بصفقة الخسر والتَباب ،، ولما شرعنا فى قتالها ، ورتّبْنا اشتات النكايات لنكالها ، وان كنّا لـم نبقَ على مطـاولة نزالهـا ،، انزل الله المطر الذى قدم بعهـاده العهدُ ، وساوَى النجدُ من طوفانه الوهدَ ، وعظم به الجهد ،، ووقع الابقاء على السلاح ، والكفّ بالضرورة عن الكفاح ،، وبلغ المُقامُ عليها ، والاخذُ بمخنقهـا والثواء لديها ،، ٥ ايام لم تخلُ فيها الاسوارُ من افتراع ، ولا الابواب من دفاع عليهـا وقراع ،، وانفذت مقاتل الستائر أنْقابا ، وارتُقب الفتح الموعود ارتقابا ،، وفَشَتْ فى اهلها الجراح ، والعيث الصراح ، وساءهم المسـاء بعزّة الله والصباح ، ولولا عـائق المطر لكان الاجْهاز والاستفتـاح ، والله بعدها الفتّاح ،، وصُرفت الوجوه الى تخريب العُمْران ، وتسليط النيران ،، وعقر الاشجار ، وتعفية الآثار ، واتى منهـا العفاء على المصر الشهير فى الامصار ، وتُركت زروعها المائحة عبرةً لأُولى الابصار ،، ورحلنا عنها وقد البسها الدُخان حِدادا ، ونكس من طُغاتهـا اجيادا ، فاعتادت الذلّ اعتيادا ، وأَلِفت الهونَ قيـادا ، وكادت ان تُستبـاح عنوةً لولا ان الله جعل لهـا ميعادا ،، واتى القتلُ من ابطالهـا ، ومشـاهير رجالهـا ، ممن يبـارز ويناطح ، ويُمـاسى بالنـاس ويُصابح ،، على عدد جمّ اخبرتْ سيماهم المشهورة باسمائهم ، ونبّهتْ عـلامـاتُهـا على نبهـائهم ،، وظهر اقْدام المسلمين على المعتركـات ، وبذرهم بالحدود المشتركـات ،، وتنقيلهم الاسلاب ، وقودهم الخيل المسوّمة قود الغلاب ،، وكان القفول ، وقد شمل الامن والقبول ، وحصل الجهاد المقبول ، وراع الكفرَ العزُّ الذى يهول ، والاقْدام الذى شهدتْ به الرماحُ والخيول ،، وخاض المسلمون من زرع * الطُرُق التى ركبوهـا[a] ، والمنازل التى استباحوها وانتبهوها ،، بحورًا بَعُدَ منها الساحلُ ، وفلاحة مدركة تتعدّد فيها المراحل ،، فصيّروها صريمـا ، وسلّطوا عليها النارَ غريمـا ،، وحلّوا بظهر حصن أَنْدُوجَر وقد اصبح مألفَ أَنْمار غير أَوْشـاب ، * ووكر طيورة نُشّاب[b] ،، فلما بلونا مراسه صعبا ، وابراجه مُلئت حرسًا شديدا وشُهْبا ،، ضننّا بالنفوس ان تفيض دون افتتاحه ، فسلّطنا العفاء على ساحه ، واغرينا الغارات باستيعاب ما باحوازه واكتساحه ، وسلّطنا النار على حزونه وبطاحه ، والصقْنا بالرَغام ذوائبَ ادواحه ،، وانصرفنا بفضل الله والمناجل دامية ، والاجور نامية ،، وقد وطينـا المواطئَ التى كانت على الملوك قبلَنا بَسْلا ، ولم نترك

---

a) La. O. الطرقات التى ارتكبوها.   b) La. O. ووكور طير.

بها حرثا يرفد ولا نَسْلا، ولا ضرعا يرسّل رِسْلا،، والحمد لله الذى يتمّ النعيم بحمده، ونسأله صلة النصر فما النصر الا من عنده،، عرفناكم بهذه المكيّفات، الكريمة الصفات، والصنائع الروائع التى بَعُدَ العهدُ بمثلها فى هذه الاوقات، علمًا بانّها لديكم من احسن الهديّات الوديّات، ولما نعلمه لديكم من حسن النيّات، وكرم الطويّات،، فانكم سُلالة الجهاد المقبول، والرفد المبذول، ووعد النصر المفعول،، ونرجو الله عز وجل ان ينتقل خيالكم للمعاهد الجهاديّة، الى المعاينة فى نصر الملّة المحمّديّة،، وان يجمع الله بكم كلمة الاسلام، على عَبَدة الاصنام، ويتمّ النعمة على الانام، وودُّنا لكم ما علمتم يزيد على ممرّ الايام، والله يجعله فى ذاته لكم متّصلَ الدوام، مبلّغا الى دار السلام،، وهو سبحانه يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، ويضاعف الآلاء عندكم،، والسلام الكريم يخصّكم ورحمة الله وبركاته انتهى، ومن هذا المنحا ما كتب به لسان الدين رحمه عن سلطانه ونصّه المقام الذى احاديث سعادته لا تُملّ على الاعادة والتكرار، وسبيل مجادته الشهيرة، اوضح من شمس الظهيرة، عند الاستظهار، واخبار صنائع الله لملكه، ونظم فرائد الآمال فى سلكه، تخلّدها اقلامُ الاقدار، بمداد الليل فى قرطاس النهار، وترسمها بتذهيب الاسْفار، فى صحائف[a] الاقمار، وتجعلها هجّيرى حملة الأسْفار، وحُداة القطار، فى مسالك الاقطار،، مقام محلّ اخينا الذى تلذّ عادةُ هنائه مع الاعادة، ونتلقّى انباء علائه بالاذاعة والاشادة، ونطرّز باعلام ثنائه صحائف المجادة، ونشكر الله ان وهب لنا من اخوّته المضافة الى المحبّة والودادة، ما يرجح فى ميزان الاعتبار اخوّةَ الولادة، وعرّفنا بيُمْن ولايته عوارف السعادة، السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابقاه الله فى اعلام الملك السعيد، بَيْتَ القصيد، ووسطى[b] القلادة، ومجلّيَ الكمال الذى تبارى[c] بميدان باسه وجُوده جنسا الابادة والافادة، ولا زالت آماله القاصية تنثال طوعَ الارادة، ويُمْنُ نقيبته يجمع من اشتات الفتوح، والعزّ الممنوح، بين الحُسْنَى والزيادة[d]،، مُعظّمُ سلطانه العالى، المُثْنى على مجده المرفوع اسنادُه فى عوالى المعالى، المسرور بما يسنّيه الله من الصُنْع المتوالى، والفتح المقدّم والتالى،، امير المسلمين عبد الله الغنيّ بالله محمد بن امير المسلمين ابى الحجاج ابن امير المسلمين ابى الوليد بن فرج بن نصر ايّد الله امره، واسعد عصره،، سلام

---

a) P. La. O. صفحات. *b*) G. L. S. P. O. ووسط. *c*) Les man. portent تبارت. *d*) G. L. P. وزيادة.

كريم يتأرّج فى الآفاق شذى طيبه، وتُسّمع فى ذروة الودّ بلاغةُ خطيبه، ويتصمّن نورَه سوادُ المداد، عند مراسلة الوداد، فيكاد يذهب بعبوسه المجهول وتقطيبه،، ورحمة الله وبركاته اما بعد حمد الله فاتح الابواب، بمقاليد الاسباب، مهما استصعبت، وميسّر الامور، بحكمة المقدور، اذا أُجهدت الحيَل وأُتعبت، مُخْمِد نيران الفتَن ما التهبت، وجامع كلمة الاسلام وقد تصدّعت وتشعّبت، ومسكّن رجفان الارض بعد ما اضطربت، ومُحْييها بعهاد الرحمة مهما اهتزّت وربتa، اللطيف الخبير الذى قدرت حكمتُه الامورَ ورتّبت، مُنْهى كل نفس الى ما خطّت الاقلامُ عليها وكتبت، ونَفَتْ b واوجبت، وشاءت او أَبَتْ، ومُجازيها يومَ العرض بما كسبت، والصلاة على سيّدنا ومولانا محمد رسوله هازم الاحزاب لما تألّفت وتألّبت، وجالب الحتف اليها عند ما أَجْلَبت، رسول الملحمة اذا الليوث وثبت، ونبىّ الرحمة التى هيّأت النجاة وسبّبت، وابلغت النفوسَ المطمئنّة من السعادة ما طلبت، ومُداوِى القلوب المريضة وقد انتكبت وانقلبت، بلطائفه التى راضت وهذّبت، وقادت الى الجنّة العليا واستجلبت، وادّت عن الله وادّبت، الذى بجاهه نستكشف الغمّاء اذا اطنبت c، ونستوكف النعماء اذا أَخْلَفت البروقُ وكذبت، ونتحابُّ فى طاعته، ابتغاء الوسيلة الى شفاعته، فنقول وجبت حسبما ثبتت، والرضى عن آله واصحابه، وانصاره واحزابه، التى استحقّت المزيّةَ المرضيّة واستوجبت، لما انتمت الى كماله وانتسبت، وبذل نفوسها فى الله ومرضاته تقرّبت، والى نصرته فى حياته انتدبت، والمَناصل قد رويت من دماء الاعداء واختضبت، وخِلَفتُه فى امّته بعد مماته بالهِمَم التى عن صدق اليقين أَعْربت، فتداعت لمجاهدة الكُفّار وانتدبت، وأَبْعدت المُغار وأَدربت، حتى بلغ ملك امّته اقاصى البلاد التى نَبَتْd، فكسرت الصُلُبَ التى نُصبت، ونفلت التيجان التى عُصبت، ما همت السُحُبُ وانسحبت، وطلعت الشمس وغربت، والدعاء لمثابتكم العليا بالنصر العزيز كلما جُهّزت الكتائب وتكتّبت، والفتح المبين كلّما ركنت عقائل القواعد اذا خُطبت، والصنائع التى مهما حدّقت فيها العيونُ تعجّبت، او جالت فى لطائفها الافكارُ استطابت مذاقَ الشكر واستعذبت، حتى تُنْجز لكم مواعيدُ النصر فقد اقتربت، فانّا كتبنا اليكم كتب الله لكم اغياء ما سألت الالسُنُ السائلة واستوعبت، من حمراء

a) Peut-être faut-il lire وورجّت. b) G. L. S. P. ونعت. c) G. L. S. P. طنبت.
d) La. O. تبت.

غرناطة حرسها الله وجنود الله بفضله ونعمته قد غلبت، وفتحت وسلبت، وأُسود جهاده قد أَرْدت الاعداء بعد ما كَلِبت، ومراعى الآمال قد أَخْصَبت، والحمد لله حمدًا يجلو وجوهَ الرضا بعد ما احتجبت، ويفتح ابواب المزيد فكلّما استقبلها الاملُ رحّبت، والشكر لله شكرًا يقيّد شواردَ النِعَم مما أَبقَتْ وما هربت،، والى هذا وصل الله لمقامكم اسباب الظهور والاعتلا، وعرّفكم عوارف الآلاء على الوِلا،، فاننا لما ورد علينا كتابكم البَرُّ الوفادة، الجمُّ الافادة، الجامع بين الحسنى والزيادة a، جالى غرّة الفتح الاعظم من ثنايا السعادة، وواهب المِنَن المتاحة وواصف النِعَم المعادة،، فوقفنا b من رَقّه c المنشور على تُحَف سنيّة، واماني هنيّة، وقطاف للنصر جنيّة،، ضمنتْ سكونَ البلاد وقرارها، وان الله قد اذهب الفِتَن وأُوَارها، واخمد نارها، ونضح عن وجه الاسلام عارها، وجمع الاهواء على من هويتْه السعادةُ بعد ان اجهد اختيارها،، فاصبح الشتيتُ مجتمعا، وجنحُ الجناح مرتفعا، والجبل المخالف خاشعا متصدّعا، وأَصْحَبَ d فى القياد من كان ممتنعا e،، واستوثقت f الطاعة، وتبجّحت السُنّة والجماعة، وارتفعت الشناعة،، وتمسّكت البلاد المُكْرَهة باذيال وليّها لما رأتْه، وعادت الاجيادُ العاطلة الى حليها بعد ما انكرتْه،، أَجَلْنا جياد الاقلام فى ملعب الهناء وميدانه، لأوّل اوقات امْكانه، على بعد مكانه، واجهدنا عبارة الكلام فى اجْلال هذا الصنع وتعظيم شانه، وأَغرينا الثناء بشِيَم مجدكم فى شرحه لنا وبيانه،، رأَيْنا أَلّا نَكِلَ ذلك الى اليَرَاع، ونفرده فيه بالاجتماع، وما يتعاطاه من سنّة الذراع،، وان نشدّ برِدْء من المشافهة أُزْرَه، ونعضد بمُعين g من اللسان امرَه،، فعيّنّا لذلك من يفسّر منه المُجْمَل، ويمهّد المقصد المعمل،، حتى يجمع بين اغراض البرّ والعَلَن منه والسرّ، ويقيم * شتّى الادلّة h على الوداد المستقرّ،، ووجّهْنا فى غرض الرسالة به اليكم، واخترْنا لشرحه بين يديكم،، خطيبَ الوفود، وبركةَ المشايخ فى هذا المقام المحمود،، الشيخ الجليل الشهير الكبير الصالح الفاضل ابا البركات بن الحاجّ وصل الله حفظه، واجزل من الحمد واللطف حظّه،، وهو البطل الذى لا يعلم الإجالة فى الميدان، ولا يبصر بوظائف ذلك

---

a) S. La. O. وزيادة. b) G. L. La. O. فوافقنا, P. فواقفنا. c) Les man. portent رقة.
d) S. واصحت, G. L. واوضحت. e) G. L. مستمنعا, La. متمنعا, S. مستمعا. f) G. L.
S. واستوسقت. g) La. O. بمبين. h) P. شتى الادالة, G. نثنى الادالة (sic), L. يثنى
الادالة, S. شى الدلالة, O. شتى الازالة.

الشان،، ومرادنا منه ان يطيل ويطيب، ويجيل فى وصف محاسنكم اللسانَ الرطيب،، ويقرّر ما عندنا لمقامكم من التشيُّع الذى قام على الحبّ المتوارث اساسُه، وأُطْرِد حكمُه وأُنْتِج قياسه،، وليجعلَ تِلْوَ مقصد الهنا، بمجلسكم الباهر السنا، الصارف الى الجهاد فى سبيل الله والفنا، وجهَ التهمُّم والاعتنا، على مرّ الآنا، ما تجدَّد لدينا من الانبا، فى جهاد الاعدا،، وان كان رسولكم اعزّه الله قد شارك فى السُرَى والسير، ويُمْن الطير، واغنى فى الحكاية عن الغير، فلا سرَف فى الخير،، وهو انّنا لما انصرفنا عن منازلة قرطبة نظرًا للحشود التى نفدتْ مُعَدّاتُ ازوادها، وشابتْ بهشيم *الغلّة المستقلّة*a مفارقُ بلادها،، واشْفاقًا لفساد اقواتها، بفوات اوقاتها،، رحلنا عنها وقد انطوينا من اعْفاء اكثر تلكٍ الزروع، المائلة الفروع، الهائلة الرُوع،، على همّ مُمْض، واسف للمضاجعٍ مُقْض،، اذ كان عاذل المطر يكفُّ السنةَ النار عن المبالغة فى التهابها، وحلاقٍ اهابها،، ونَقْض اغوارها، ونهب شوارها، واذاعة اسرارها،، وهى البحور المتلاطمة، اذا حطمتّها الرياحُ الحاطمة،، واللُّجَج الزاخرة، اذا حرّكتْها السوافى الماخرة،، وتودّ العيونُ ان *تتّخذ حدودها*b القاصية فلا تُطيق، والركائبُ الراكضة ان تُشْرف على غاياتها فيفصل عن مراحلها الطريقُ،، قد جلّلها الربيعُ ارزاقا تغصّ بها الخزائنُ والاطباق، وحبوبا مفصلة لا يرزأُها الانْفاد والانْفاق، ولو اعتصت*c على انتسافها الآفاقُ،، فخففنا فى سبيل الله لتعقيب غزوٍ تلك الاقطار المخالفة، بمَحْق الصائفة، واعانة تلك الطائفة، بكلوم المجاع*d الخائفة،، خفوفًا لم نقنع فيه بالاستنابة، حِرْصًا على استيصال الصبابة،، واعفينا الرَجْل*e من اتّصال الكدّ، وقابلنا قبولَهم على استصحابنا فيها بالردّ،، واطللنا على قرطبة بمحلّاتنا ننسف جبال*f النعم نسفا، ونعمّ الارض زلزالا وخسفا،، ونستقرى مواقع البذر احتراقا، ونخترق اجوابها المختلفة بحبّ الحصيد اختراقا، ونسلّط عليها من شَرَر النار امثالَ الجمالات الصُفْر مدّتْ من الشُواظ اعناقا، ونوسع القرى الواسعة قتلًا واسترقاقا، ونديرعلى مستديرها اكواسَ الحتوف دهاقا،، واخذت النيرانُ واديها الاعظم من كلتا جانبَيْه حتى كأنّ العيون احمّت سبيكته

a) S. La. O. العلة المستقلة , P. الغلمة المستقلة , G. L. الغلمة المستقبلة. b) G. L. P. تتخذ اخدودها , S. تتحذ اخدِدها , O. تنخذ اخدِدها , La. تتحد احدِدها. c) Ce mot est altéré. S. اعتصت , La. تعضت. d) Lisez المجاعة (?). e) Les man. portent الرحل. f) S. جبل , G. L. جليل.

فاستحالت، واذابت صفيحته فسالت،، واتت الكُفّارَ سماؤُهم بالدخان المبين، وصارت الشمس من بعد سفورها، وعموم نورها، منقّبة المجتلى a معصّبة الجبين،، وخُصّنا احشاءِ الفرنتيرة b نعمٌ اشتات النِعَم انتساقا، واقوات اهلها ائتلافا، وآمال سُكّانها اخْلافا،، وقد بهتوا لسرعة الرجوع، ودهشوا لوقوع الجوع، وتسبيب تخريب الربوع،، فمن المنكر البعيد، ان يتأتّى بعد عُمْرانها المعهود، وقد اصطلم الزرع واجتثّ العود، وصار الى العدم منها الوجود،، ورأوا من عزائم c الاسلام خوارقَ تشذّ d عن نطاق العوائد، وعجائبَ تستريب فيها عينُ المُشاهد،، اذ اشتمل هذا العام، المعترَف فيه من الله الانعامُ،، على غزوات اربع دُمّرت فيها القواعد الشهيرة تدميرا، وعلا فوق مراقيها الاذان عزيزا جهيرا، وضُويقَتْ كراسى الملك تضييقا كبيرا، وأُذيقت وبالا مُبيرا،، ورياح الادالة ان شاء الله تستانف هبوبا، وباسا مشبوبا، والثقة بالله قد ملأت نفوسا مومنة وقلوبا،، والله المسعول ان يُوزِع شكرَ هذه النِعَم التى اثقلت الاكتاد، *وابهظت الطَوْقَ e المعتاد، وابهجت المُسيمَ f والمرتاد،، فبالشكر يُستدرّ فريدها، ويتوالى تجديدها،، وقطعنا فى بحبوحة تلك العمالة المستبحرة العمارة، والفلج المغنى g وصفُها عن الشرح والعبارة،، مراحلَ ختمنا بالتعريج على حزب جَيّان حربَها h، فغللنا ثانيةً غربَها، وجدَّدْنا كربَها، واستوعبنا حرقها وخربها i،، ونظمنا البلاد فى سلك البلاء، وحثثنا فى انجادها واغوارها ركائبَ الاستيلا،، فلم نترك بها ملقط طير، فضلًا عن معاف عيرٍ j، ولا أَسْأَرْنا لفلّها المحروب بلالةَ خير،، وقفلنا وقد تركنا بلاد النصارى التى منها لكيادنا المَدَد، والعُدّة والعَدَد، وفيها الخصام واللَدَد،، وقد لبست الحداد حريقا، وسلكتْ الى الخلاء والجلاء طريقا،، ولم نترك بها مضغةً تخالط ريقا، ولا نعمةً تصون من الفراق فريقا،، وما كانت تلك النعم لولا ان اعان الله من عنصرَى النار والهواء بجنود كونه الواسع، ومُدْرَكه البعيد الشاسع،، لتتولّى الايدى البشريّة تغريبها ولا ترزأ كثيرها، ولا لتمتاح بالاغتراف غديرها،، بل لله القدرة جميعا، فقدرته لا تتحامَى ربعا، ولا حمًى مريعا منيعا،، وعُدْنا والعود فى مثلها احمد، وقد بَعُدَ فى شفاء النفوس الامد، ونُسِخ بالسرور

---

a) L. المحيّا, G. S. P. المحيلى. b) *La frontera.* G. O. الفرنبيرة, S. القربزة, La. العرنبيزة.
c) G. عزايم (*sic*) [ييب above], L. غرايب. d) G. L. P. تشد, La. O. تسد, S. يسد. e) G. L. S. O. وابهطت الطوف. f) S. La. O. المشيم. g) O. المغيبى, G. L. S. المعيبى, P. العيبى.
h) S. خربها, G. L. P. حزبها. i) G. L. S. P. O. حربها. j) S. La. O. غبير.

الكمد، ورُفعت من عزّ الاسلام العَمَد،، والحمد لله حمدَ الشاكرين، ومنه نلتمس عادة النصر على اعدائه فهو خير الناصرين، عرّفنـاكم به ليُسَرّ دينكم المتين، ومجدكم الذى راق منه الجبين،، والله يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، ويبلّغكم املكم من فضله وقصدكم،، بمنّه وطَوْلـه والسلام الكريم يخصّكم ورحمة الله وبركاته انتهى، رجع الى ما كُنّا بسبيله من اخبار قرطبة الجليلة الوصف، وذكر جامعها البديع الاتقان والرصف،، فنقول قد شاع وذاع على أَلْسنة الجمّ الغفير من الناس بهذه البلاد المشرقيّة وغيرها ان فى جامع قرطبة ٣٠٠ ونحو ٩٠ طاقا على عدد ايام السنة وان الشمس تدخل كل يوم من طاق الى ان يتمّ الدَوْر ثم تعود وهذا شىء لم أَقِفْ عليه فى كلام المؤرّخين من اهل المغرب والاندلس ولو كان كما شاع لَذكروه وتعرّضوا له لانه من اعجب ما يُسْطَر مع انهم ذكروا ما هو دونه فالله اعلم بحقيقة الحال فى ذلك، وسياتى فى الباب السابع رسالة الشقندى الطويلة وفيها من محاسن قرطبة وسائر بلاد الاندلس الظمّ والرمّ وقد ذكرنا فى الباب الاول جملة من محاسن قرطبة فأَغْنَى ذلك عن اعادتها هنا على ان رسالة الشقندى تكرّر فيها بعض ما ذكرناه لانّا لم نُرِدْ ان نُخلّ منها بحرف *a فاتينا بها بلفظها وان تكرّر بعض ما فيها مع بعض ما اسلفناه والعذر واضح *b للمنصف المغضى، والله نسأل سلوك السبيل الذى يُرْضى،، بمنّه وكرمه، وقال صاحب نَشق الازهار ان فى جامع قرطبة تنّورا من نحاس اصفر يحمل الف مصباح وفيه اشياء غريبة، من الصنائع العجيبة،، يعجز عن وصفها الواصفون قيل أُحكم عمله فى ٧ سنين وفيه ٣ اعمدة من رخام احمر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر[c] صورة عصى موسى واهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح عمّ الثلثة خلقة الله تعـ لم يصنعها صانع انتهى، قلتُ لم أَرَ احدا من محققى المؤرّخين للاندلس وثقاتهم ذكر هذا على قلّة اطّلاعى وهو عندى بعيد لانه لو كان لَذكره الائمّةُ وقد حكى القاضى عياض فى الشفاء اشياء وُجد عليها اسم نبيّنا صلّعم ولم يذكر هذا ويُستبعَد ان يكون بجامع قرطبة ولا يذكره فالله اعلم بحقيقة الامر، وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب ان دور قرطبة ١٤ ميلا وعرضها ميلان وهى على النهر الكبير وعليه جسران وبها الجامع الكبير الاسلامى وبها الكنيسة المعظمة بين

---

a) S. فاثبتناها. b) G. L. S. للمصنف المقضى. c) Les man. d'al-Makk. portent الاخر.

النصارى وبهذه المدينة معدن الفضّة ومعدن الشادنج وهو حجر من شانه ان يقطع الدم وكان يُجلب منها البغال التى تُباع كل واحدة منها بخمسمائة دينار من حسنها وعلوّها الزائد انتهى، رجع الى اخبار البنيان ولا خفاء انه يدلّ على عظيم قدر بانيه ولذلك قال امير المومنين الناصر المروانى بانى الزهراء رحمه حسبما نسبهما له بعض العلماء وبعض ينسبهما لغيره وسيأتيان فى ترجمة نور الدين بن سعيد على منسوبين

هِمَمُ الملوك اذا ارادوا ذكْرَها ... من بعدهم فبألْسُن البنيانِ
ان البناء اذا تعاظم قدرُه ... اضحى يدلّ على عظيم الشانِ

وتذكرت هنا قصيدة قالها بعض الشاميّين وهو الاديب الفاضل الشيخ اسد بن معين الدين مما يكتب على ابراج دار الحسيب النسيب الشهير البيت، الكبير الحىّ والميت،، القاضى عبد الرحمن بن الغرفور الدمشقى وضمّنها بيتَى الناصر المذكورين

زُرْ مجلسا اضحى اعزَّ مكانِ ... ومحلَّ اهل العلم والعرفانِ
المجد خيَّم فى ذُرَى ابراجه ... والسعد عبدُ الباب طولَ زمانِ
كالخُلْد مرفوع البناء وارضه ... مفروشة بالدرّ والعقيانِ
بيت به فخر البيوتُ لانه ... بيت القصيد ومنزل الضيفانِ
مَغْنًى فسيح فيه معنى مُفْصِح ... عن قدر بانيه بغير لسانِ
قد قال بعض ذوى الفضائل قبلنا ... قولا بديعا واضح التبيانِ
همم الملوك ... البيتين
قد شاده مَنْ ساد اهلَ زمانه ... بالاصل والافضال والرجحانِ
ورث السيادة كابرًا عن كابر ... وسما برفعته على كيوانِ
قاضى القضاة ومفخر العصر الذى ... قد جاء فيه سابقَ الأقْرانِ
فى العلم بحرٌ لا يُنال قرارُه ... فى الحكم مثل مهنّد وسنانِ
يروى عطاءٌ عن يديه قد اقتفى ... آثارَ آباء ذوى احسانِ
لا زال يبقى شائدا بيتَ العُلَى ... وعدوُّه فى الوهن والنقصانِ
يأيُّها المولى الذى يجرى مع ... الاقبال والاسعاد * طلقَ عنانِ[a]
دُمْ شامخَ المقدار مرتفعَ البنا ... والناس تحت رضاك كالغلْمانِ

a) L. طول زمان.

متمتّعا ببنيك سادات الورى a   فى عزّ ربّ دائم السلطان
ما رجّع القُمْرِىُّ فى تغريده   فى الروض فوق منابر الاغصان

وكان القاضى عبد الرحمن بن فرفور المذكور عالى الهمّة تضيق يدُه عمّا يريد فلذلك كان كثيرًا مّا يبثّ شكواه فى الطروس والدفاتر، ويعتب على الزمان الذى أَخْنَى على اهل الادب وقطع آمالهم بحسامه الباتر، ويرحم الله القائل

هذا زمان دُرَيْهِمى لا غيره   فدَعِ الدفاتر للزمان الفاتر

فمن نظم المذكور وقد ابطأ بجزء استعاره من بعض اخوانه فكتب اليه معتذرا، وادمج شكوى الزمان الذى كان من شماتة الاعداء به حذرا،

ابطأْتُ فى ذا الجزء يا سيّدى   كتابةً من جَوْر دهر بغيضْ
صابَرْتُه والجسم منّى لقًى   تجلُّدًا والقلبُ منّى مريضْ
فاذْ ابَى الّا تلافِى وقد   احلّنى منه محلَّ النقيضْ
واقتادنى قسرًا الى مصرع   قد رقّ منه * اللحم والعظمُ b هيضْ
سلّمْتُ للاقدار مستسرعا   لباب مولى ذى عطاء عريضْ
جَمُومُ صبرٍ كنتُ أَسْطُو به   على روايا c الدهر بالهمّ غيضْ
فلا تَلُمْ يا صاحِ من بعد ذا   اذا تمثّلْتُ بحال الجريض d

ورايتُ بخطّه رحمه مما نسبه جدُّه القطب الخيضرى الحافظ لابرهيم بن نصر الحَمَوى ثم المصرى المعروف بابن الفقيه

يا زمانى كلّما حا   وَلْتُ امرا يتمنّعْ   ان تعصّبْتُ فانّى   باصطبارى اتقنّعْ

وهذه تورية بديعة الغاية فى التعصّب والتقنّع مع حلاوة النظم وجودة السبك وخفّة الوزن والله سبحانه يروّح تلك الارواح فى الجنان، ويعاملنا وإياهم بمحض الفضل والامتنان، ويكفينا شجونَ دهر جرى بنا طلقَ العنان،، رجع الى ما كُنّا فيه، وكنتُ وقفتُ فى كلام بعض العلماء على ان البيتين السابقين المنسوبين الى امير المومنين الناصر المروانى رحمه قالهما فى الزهراء التى بناها وسياتى ذكرها قريبا، وقال الشيخ سيدى محيى الدين بن العربى فى المسامَرات قرأْتُ على مدينة الزهراء بعد خرابها وصيرورتها ماوَى الطير والوحش وبناءها عجيب فى بلاد الاندلس وهى قريبة من قرطبة

a) La. O. العلى. b) Les man. portent العظم واللحم. c) P. S. O. زوايا. d) G. L. P. La. الحريض.

ابياتا تُذكّر العاقل، وتُنبّه الغافل، وهى

ديار باكناف الملاعب تلمعُ ۞ وما انّ بها من ساكن وهى بلقعُ
ينوح عليها الطيرُ من كل جانب ۞ فيصمت احيانا وحينًا يرجّعُ
فخاطبتُ منها طائرا متغرّدا ۞ له شجن فى القلب وهو مروّعُ
فقلتُ على ما ذا تنوح وتشتكى ۞ فقال على دهر مضى ليس يرجعُ

ثم قال واخبرنى بعض مشايخ قرطبة عن سبب بناء مدينة الزهراء ان الناصر ماتت سُرّيّة له وتركت[a] مالا كثيرا فامر ان يُفكّ بذلك المال أَسْرَى المسلمين وطُلب فى بلاد الافرنج اسير فلم يوجد فشكر الله على ذلك فقالت له جاريته الزهراء وكان يحبّها حبّا شديدا اشتهيتُ لو بنيتَ[b] لى به مدينة تسمّيها باسمى وتكون خاصّةً لى فبناها تحت جبل العروس من قبلة الجبل وشمال قرطبة وبينها وبين قرطبة اليومَ ٣ اميال او نحو ذلك واتقن بناءها واحكم الصنعة فيها وجعلها مستنزها ومسكنا للزهراء وحاشية ارباب دولته ونقش صورتها على الباب فلما قعدت الزهراء فى مجلسها نظرتْ الى بياض المدينة وحسنها فى حجر ذلك الجبل الاسود فقالت يا سيدى ألا ترى الى حسن هذه الجارية الحسناء فى حجر ذلك الزنجىّ فامر بزوال الجبل فقال بعض جلسائه أُعيذُ امير المومنين ان يخطر له ما يشين العقلَ سماعُه لو اجتمع الخلق ما ازالوه حفرًا ولا قطعا ولا يزيله الا مَنْ خلقه فامر بقطع شجره وغرسه تينا ولوزا ولم يكن منظرا احسن منها ولا سيّما فى زمان الأزهار وتفتّح الأزهار وهى بين الجبل والسهل انتهى ببعض اختصار، وقال ابن خلّكان فى ترجمة المعتمد بن عبّاد ما صورتُه والزهراء بفتح الزاى وسكون الهاء وفتح الراء وبعدها الف[d] ممدودة وهى من عجائب ابنية الدنيا انشأها ابو المطّرِف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقّب بالناصر احد ملوك بنى اميّة بالاندلس بالقرب من قرطبة فى اول سنة ٣٢٥ ومسافة ما بينهما ٤ اميال وثُلُثا ميل وطول الزهراء من الشرق الى الغرب الفان وسبعمائة ذراع وعرضها من القبلة الى الجوف[e] الف وخمسمائة ذراع وعدد السوارى التى فيها ٤ آلاف سارية وعدد ابوابها تزيد على ١٥ الف باب وكان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا فثُلُث للجند وثلث مدّخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس يومئذ ٥ آلاف

a) La. O. وخلفت. b) La. O. تبنى. c) S. La. O. الاشجار. d) Les man. d'al-Makk. portent همزة. e) Les man. portent الجنوب.

الف دينار واربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلص a ٧٠٠ الف دينار وخمسة وستون الف دينار وهى من اهول ما بناه الانْس واجلّه خطرًا واعظمه شانا ذكر ذلك كله ابن بشكوال فى تاريخ الاندلس انتهى كلامه، وحكى فى المطمح ان الوزير الكبير الشهير *ابا الحزم b بن جَهْوَر قال وقد وقف على قصور الامويّين التى تقوّضت ابنيتُها، وعُوّضت من انيسها بالوحش افنيتُها،،

قلتُ يوما لدار قوم تفانَوْا ... اين سُكّانكِ العزاز c علينا
فاجابتْ هنا اقاموا قليلا ... ثم ساروا ولستُ اعلم أَيْنَا

وفيه ان ابا عامر بن شهيد بات ليلة باحدى كنائس قرطبة وقد فُرشت بأَضْغاث آس، *وعرشت بسرور واستيناس d،، وقَرْع النواقيس يبهج e سمعه، وبرق الحميّا يسرج لمعه،، والقَسّ قد برز فى عَبَدة المسيح، متوشّحا بالزنانير ابدعَ توشيح،، قد هجروا الافراحَ، واطرحوا النعَمَ f كل اطراح،،

لا يعمدون الى ماء بآنية ... الّا اغترافًا من الغُدْران بالراح

واقام بينهم يعملها حميا، كانما يرشف من كاسها شفةً لَمْيا،، وهى تنفخ له باطيب عَرْف، كلّما رشفها اعذبُ رشف،، ثم ارتحل g، *بعد ما h ارتحل i،،

ولُرُبَّ j حانٍ قد شممتُ k بدَيْره ... خمرَ الصبا مُزجتْ بصِرْف عصيره
فى فتية جعلوا السرورَ شعارَهم ... متصاغرين تخشّعًا لكبيره
والقَسّ مما شاء طول مُقامنا ... يدعو بعود حولنا بزَبُوره
يهدى لنا بالراح كل مخفّر l ... كالخشْف خفّره التماحُ خفيره
يتناول الظرفاء فيه وشربهم ... لسُلافه m والاكل من خنزيره

انتهى، رجع الى بناء الزهراء قال بعض من ارّخ الاندلس كان يتصرّف فى عمارة الزهراء كل يوم من الخُدّام والفَعَلة ١٠ آلاف رجل ومن الدوابّ الف وخمسمائة دابّة

---

a) La copulative و manque dans les man. *b*) Les man. portent بالحزم. *c*) *Al-Mat.* L. الكرام. *d*) La. وعرست بسرو واستيناس ; O. وغرست بسرو بشر واستيناس ; *al-Mat.* L. ومما اوحش من فرع ايناس. *e*) Al-Makk. يهيج. *f*) *Al-Mat.* L. النعيم. *g*) G. L. S. ارتحل. *h*) *Al-Mat.* L. من انس ليلته بما. *i*) G. L. S. ارتجل , *al-Mat.* L. P. R. اكتحل. *j*) *Al-Mat.* L. يا رب. *k*) *Al-Mat.* L. ادرت. *l*) On trouve cette leçon sur la marge du man. L. du *Mat.*; le texte a مصغر. Les autres man. portent مصغر. *m*) *Al-Mat.* L. P. R., al-Makk. G. L. S. لسلافهم.

وكان من الرَجّالة[a] من له درهم ونصف ومَنْ له الدرهمان والثلثة وكان يُصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت[b] المعدَّل ٩ آلاف صخرة سوى الاجرّ والصخر غير المعدَّل انتهى وسياتى فى الزاهرة مزيد كلام، وقال ابن حيّان ابتدأ الناصر بناء الزهراء اول يوم من محرم سنة ٣٢٥ وجعل طولها من شرق الى غرب الفين وسبعمائة ذراع وتكسيرها تسعمائة الف ذراع وتسعون الف ذراع كذا نقله بعضهم وفيه للنظر مجال قال وكان يثبت على كل رخامة كبيرة او صغيرة ١٠ دنانير سوى ما كان يلزم على قطعها ونقلها ومونة حملها وجُلب اليها الرخام الابيض من المريّة والمجزّع من رَيّة والوَرْدىّ والاخضر من افريقية من اسْفاقُس وقرطاجنّة والحوض المنقوش المذهّب من الشام وقيل من القسطنطينية وفيه نقوش وتماثيل على صور الانسان وليس له قيمة ولما جلب احمد الفَيْلَسُوف وقيل غيره امر الناصر بنصبه فى وسط المجلس الشرقى المعروف بالمونس ونصب عليه ١٢ تمثالا وبنى فى قصرها المجلس المسمّى بقصر الخلافة وكان سمكه من الذهب والرخام الغليظ فى جرمه الصافى لونُه المتلوّنة اجناسُه وكانت حيطان هذا المجلس مثل ذلك وجعلت فى وسطه اليتيمة التى أَتْحَفَ الناصرَ بها اليُونُ ملك القسطنطينية وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة وهذا المجلس فى وسطه صهريج عظيم مملوء بالزيبق وكان فى كل جانب من هذا المجلس ٨ ابواب قد انعقدت على حنايا من العاج والابنوس المرصّع بالذهب واصناف الجواهر قامت على سوارى من الرخام الملوّن والبلّور الصافى وكانت الشمس تدخل على[c] تلك الابواب فيضرب شعاعها فى سمك المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور ياخذ بالابصار وكان الناصر اذا اراد ان يُفْزِع احدا من اهل مجلسه اومأ الى احد صقالبته فيحرّك ذلك الزيبق فيظهر فى المجلس كلَمَعان البرق من النور وياخذ بمجامع القلوب حتى يخيّل لكل مَنْ فى المجلس ان المحلّ قد طار بهم ما دام الزيبق يتحرّك وقيل ان هذا المجلس كان يدور ويستقبل الشمس وقيل كان ثابتا على صفة هذا الصهريج وهذا المجلس لم يتقدّم لاحد بناؤه فى الجاهليّة ولا فى الاسلام وانما تهيّأ له لكثرة الزيبق عندهم وكان بناء الزهراء فى غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعُمُد كثير واجرى فيها المياه واحدق بها البساتين وفيها يقول الشاعر السُمَيْسر[d]

a) S. La. O. الرجال. b) G. L. المنجول ; le mot manque dans S. c) S. La. فى. d) G. P. O. السميسر , S. السهير , La. الشمس.

وقفتُ بالزهراء مستعبرا   معتبرا أَندُبُ أَشْتاتَا
فقلتُ يا زهرًا أَلا فَارْجعى   قالت وهل يرجع من ماتَا
فلم ازلْ ابكى وابكى بها   هيهات يُغْنِى الدمعُ هيهاتَا
كانما آثار مَنْ قد مضى   نوادبٌ ينـدبْنَ أَمْواتَا

انتهى كلام هذا المؤرّخ ملخّصا وسياتى ما يوافق جُلّه، ويخالف قُلّه، والله سبحنه يعلم الامر كلّه،، فانه ربّما ينظر المتأمّل هذا الكتاب فيجد فى بعض الاخبار تخالفًا فيحمل ذلك على الغلط وليس كذلك وانما السبب الحامل لذلك جلبُ كلام الناس بعباراتهم والناقد البصير لا يخفاه مثل هذا وربما يقع التكرار وذلك من اجل ما ذُكر والله اعلم، وتذكرت بما وصفه من مجلس الناصر ما حكاه غير واحد عن القصر العظيم الذى شاده ملك طليطلة المامون بن ذى النون بها وذلك انه اتقنه الى الغاية وانفق عليه اموالا طائلة وصنع فى وسطه بحيرة وصنع فى وسط البحيرة قبّةً من زجاج ملوّن منقوش بالذهب وجلب الماء على راس القبة بتدبير احكمه المهندسون فكان الماء ينزل من اعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتّصل بعضه ببعض فكانت قبة الزجاج فى غلالة من ماء سكب خلف الزجاج لا يفتر من الجرى والمامون قاعد فيها لا يمسّه من الماء شىء ولا يصله وتُوقد فيها الشموعُ فيُرَى لذلك منظر بديع عجيب وبينما هو فيها وجواريه ذاتَ ليلة اذ سمع منشدا ينشد

أَتبنى بناء الخالدين وانما   بقاؤك فيها لو علمتَ قليلُ
لقد كان فى ظلّ الاراك كفايةٌ   لمن كلّ يوم يقتضيه رحيلُ

فنغّص عليه حالَه وقال انّا لله وانّا اليه راجعون اظنّ ان الاجل قد قرب فلم يلبث بعدها غير شهر وتوفّى ولم يجلس فى تلك القبة بعدها وذلك سنة ٤٦٧ تجاوز الله عنه هكذا حكاه بعض مؤرّخى المغرب وقد ذُكر فى غير هذا الموضع من هذا الكتاب حكايةُ هذه القبة بلفظ ابن بَدْرُون شارح العبدونيّة فليراجَعْ، وتذكرت هنا قول ابى محمد المصرى فى صفة قصر طليطلة

قصر يقصّر عن مَداه الفرقدُ   عذبتْ^a مصادرُه وطاب الموردُ
نشر الصباحُ عليه ثوبَ مكارم   فعليه الويةُ السعادة تُعْقَدُ

a) G. L. P. غربت , S. عربت.

وكانما المامون فى ارجائه   بـدْرٌ تـمـامٌ قـابلتْه أَسْـعُـدُ
وكانمـا الاقداح فى راحاتِه   دُرٌّ جماد ذاب فيه العسجدُ

ولهُ فى صفة البركة والقبة عليها

شمـسيّـة الانـسـاب بـدريّـة   يحار فى تشبيهها الخاطرُ
كانما المامون بدر الدجى   وهـى عليه الفلك الـدائرُ

وكان ملوك الاندلس فى غاية الاحتفال بالمجالس والقصور وللوزير الجزيرى رحمه فى وصف مجلس للمنصور بن ابى عامر ما يشهد لذلك وهو قوله يصف

وتوسّطتْهـا لُـجّـةٌ فـى قعرهـا   بِنْتُ السلاحف ما تزال تنقْنقُ
تنساب من فَكّىْ[a] هزبر انْ يكن   ثَبْتَ الجَنـان فـانّ فـاه اخرقُ
صاغوه من ندّ وخلق صَفحتَىْ[b]   هـاديه مَحْضُ الـدرّ فهو مطوّقُ
لليـاسمين تـطـلّـع فـى عـرشـه   مثـل المليك عَـرَاه[c] زَهْـوٌ مُطْرِقُ
ونضـائدٌ مـن نرجس وبنفسج   وجـنـىّ خيرىّ وورد يَـعْـبَـقُ
ترنو بسحر عيونهـا وتكاد من   طـرب اليك بـلا لسـان تنطقُ
وعلى يمينك سوسنـاتٌ اطلعت   زهَرَ الربيع فهـنّ حسنًـا تُشْرِقُ
فكانما هى فى اختلاف رقومها   راياتُ نصرك يومَ باسك تخفقُ
فى مجلس جمع السرورَ لاهلهِ   مـلـكٌ اذا جُمعتْ قـنـاه يفرّقُ[d]
حـازتْ بـدولتـه المغـاربُ عـزّةً   فغدا ليحسدهـا عليه المشرقُ

ومن هذه القصيدة

امـا الغمـام فشـاهدٌ لـك انـه   لا شكّ صنْوك بل اخوك الاوثقُ
وافَى الصنيعَ فحين تمّ تمـامُه   فى الصحو انشـأً ودقُه يتدفّقُ
واظنّه يحكيك جُـودًا اذ راى   فى اليوم بحرك زاخـرا يتفهّقُ[e]

وكان السبب فى هذه الابيـات ان المنصور صنع فى ذلك الاوان صنيعـا لتطهير ابنه عبد الرحمن وكان عام قحط فـارتفع السعْر بقرطبة وبلغ رُبْعُ الدقيق الى ديناريْن فجلا الناس من قرطبة فلما كان يوم ذلك الصنيع نشأت فى السماء سحابة عمّت الافقَ ثم اتىَ المطر الوابل فاستبشر الناس وسُرّ المنصور بن ابى عـامر فقال الجزيرى

---

a) La. O. فلكى, S. فلكنه (*sic*), G. فليكه. b) Cet hémistiche est peut-être altéré. c) G. L. S. O. عداه, La. غداة. d) S. تفرق. e) La. يترقرق.

بديهةً اما الغمام الخ وهو القائل على لسان نرجس العامريّة

حيّتْك يا قمر العُلَى والمجلس انكى a تحيّتها عيونُ النرجس
زهوًا b تُرِيك بحسنها وبلونها زُهْرَ النجوم الجاريات الكُنَّس
مُلِكْنَ افئدةَ الندامَى كلّما دارتْ بمجلسهم مدارَ الاكْؤس
مُلْكَ الهُمام العامرىّ محمد للمكرمات وللنُهى والانفس

قال ابن بَسّام ومن شعر الجزيرى ما اندرج له اثناء نثره الذى ملّح فيه مخاطبته للمنصور على السنة اسماء كرائمه بزهر رياضه فمن ذلك عن بهار العامريّة

حَدَقُ الحسان تقرّ لى وتَغار وتصلّ فى صُفتى النُهَى وتَحار
طلعتْ على قُضْبى عيونُ تمائمى مثل العيون تحفّها الأشْفار
وأَخَصُّ شىء بى اذا شبّهْتَنى دُرٌّ تنطّق c سلكها دينار
اهدى له قضبُ الزمرّد ساقَه وحباه انفسَ عطره العَطّار
٥ انا نرجس حقًّا بهرتُ عقولهم ببديع تركيبى فقيل بهار

ومن اخرى عن بنفسج العامريّة اذا تدافعت الخصومُ ايّد الله مولانا المنصور فى مذاهبها، وتنافرتْ d فى مفاخرها، فاليه مفزعُها وهو المَقْنَع فى فصل القضيّة بينها لاستيلائه على المفاخر بأسْرها، وعلمه سرَّها وجهرها، وقد ذهب البهار والنرجس فى وصف محاسنهما، والفخرِ e بمشابههما، كلّ مذهب وما منهما الا ذو فضيلة غير ان فضلى عليهما اوضح من الشمس التى تعلونا، واعذبُ من الغمام الذى يسقينا، فان كانا قد تشبّهَا فى شعرهما ببعض ما فى العالَم من جواهر الارض ومصابيح السماء وهى من الموات الصامت فانّى انتشبّه باحسن ما زيّن الله به الانسان وهو الحيوان الناطق مع انّنى اعطر منهما عطرا، واحمد خبرا، واكرم امْتاعا شاهدا وغائبا ويانعا وذابلا وكلاهما لا يُمْتع، الّا ريثما يَيْنع، ثم اذا ذبل تستكرِه النفوسُ شمّه، وتستدفع الاكفُّ ضمّه، وانا امتع رطبًا ويابسًا وتدّخرنى الملوكُ فى خزائنها وسائر الاطبّا، وأُصرف فى منافع الاعضا، فان فَخَرَا باستقلالهما على ساق هى اقوى من ساقى فلا غروَ ان الوشى ضعيف، والهواء لطيف، والمسك خفيف، ولبس الماجد يُدْرِك بالصراع f وقد اودعتُ ايّد الله مولانا قوافىَ الشعر من وصف مشابهى ما اودعاه وحضرتُ بنفسى

a) G. L. P. S. ازكى. b) La. O. زهرا. c) La. تمنطق. d) S. وتفاخرت, O. وتعاقرت, La. وتعاقرت. e) G. L. La. O. والمفاخر. f) La. O. بالصراح.

لئلّا اغيب عن حضرتهما فقديمًا فُضّل الحاضر وان كان مفضولا ولذا قالوا الذّ الطعام ما حضر لوقته واشعَرُ الناس مَنْ انت فى شعره فلمولانا اتمّ الحكم فى ان يفصل بحكمه العدل واقول

شهدتْ لنُوّار البنفسج السُنُ — من لونه الأَحْوى ومن اتباعه a
لمشابه الشعر الاعمّ اعارَه — القمرُ المنير الطلق نورَ شعاعه
ولرُبّما جمع النجيع من الطُلَا — فى صارم المنصور يومَ قراعه
فحكاه غير مخالف فى لونه — لا فى روائحه وطيب طباعه
ملك جهلنا قبله سُبُلَ العُلَا — حتى وضحْنَ بنهجه وشراعه
فى سيفه قِصَرٌ لطولِ نجاده — وتمام ساعده وفسحة باعه
ذو همّة كالبرق فى اسْراعه — وصريمة كالحين فى ايقاعه
تلقى الزمانَ له مُطيعا سامعا — وترى الملوكَ الشُمّ من اتْباعه

ومما احسن قول بعض الاندلسيين يصف حديقة

وحديقة مخضرّة اثوابُها — فى قُضْبها للطير كلُّ مغرِّد
نادمتُ فيها فتيةً صفحاتهم — مثل البدور تُنير بين الأَسْعُد
والجدْوَل الفضّى يضحك ماؤه — فكأنّه فى العين صفحُ مهنّد
واذا تجعّد بالنسيم حسبتَه — لما تراه مُشبهًا للمبْرَد b
وتناثرتْ نُقَط c على حافاته — كالعقد بين مجمّع ومبدّد
وترجرجتْ d للناظرين كانها — درٌّ نثير فى بساط زبرجد

وكان بحمّام الشطارة باشبيلية صورة بديعة الشكل فوصفها بعض اهل الاندلس بقوله

ودمية مرمر تُزْهى بجيد — تناهى فى التورّد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا e — ولا أَلَمّتْ باوجاع المخاض
ونعلم انها حجر ولكن — تُتيّمنا بالْحاظ مِراض

وكان بسرقسطة فى القصر المسمّى بدار السرور احد قصور المقتدر بن هود * مجلس الذهب f وفيه يقول ذو الوزارتين ابن غندشلب يهجو وزيرا كان يُنْبَز بتحقون

---

a) Ce mot me paraît altéré. b) Ce vers ne se trouve que dans O. c) La. O. عقد. d) S. وتزخرفت. e) Les man. portent خليلا. f) Dans les man. ces mots sont placés entre احد et السرور.

ضجّ من تحقونَ بيتُ الذهبِ   ودعا ممّا به وا حربِى
ربِّ طَهِّرْنى فقد دنَّسنى   عارُ تحقونَ الوفِ[a] الذنبِ

وكتب بعض كبراء الاندلس[b] الى اخوانه كتابى هذا من وادى الزيتون، ونحن فيه محتلّون[c]،، ببقعة أكتستْ من السندس الاخضر، وتحلّتْ بانواع الزهر،، وتخايلتْ بانهار تتخلّلها[d]، واشجار تظلّلها،، تحجب ادواحُها الشمسَ لالتفافها، وتاذن للنسيم فيميل من[e] اعطافها،، وما شيتم من محاسن تروق وتُعْجِب، واطيار تتجاوَب بأَلْحان تُلْهِى وتُطْرِب،، فى مثلها يعود الزمانُ كله صبًا، وتجرى الحياة على الامل والمُنَى،، وانا ابقاكم الله فيها بحال من طاب غذاؤُه، وحسن استمراؤُه،، وصَحَا من جنون العُقار، واستراح من مَضَض الخُمار،، وزايلتْه وساوِسُه، وخلصتْ من الخُباط هواجسُه،، ثم ذكر كلاما من هذا النمط فى وصف الخمار، والدعاء الى العقار فراجعه ابو الفضل بن حَسْداى برقعة قال فى صدرها يا سيدنا الذى الزَمَنا بامتنانه الشكرَ، وكبيرنا الذى علّمنا ببيانه السحر،، وعميدنا الذى عقدنا بحرمه وانحلّ[f]، ورمانا بدائه وانسلّ،، ابقاك الله لتوبةٍ نَصُوحٍ تُتِمُّها، ويمينٍ غَمُوس تُبِرُّها،، وَرَدَ ابقاك الله كتابك الذى انفذتَه من معرّسك بوادى الزيتون، ووقفنا على ما لقّنتَ فى اوصافه من حُجّة المفتون،، واعْجابك بالتفاف شجره ودوحاته، واهتزازك لطيف بواكره وروحاته،، ومرورك به وهو خُوٌّ تلاعُه، موروٰدة هضابُه واجراعُه،، وكل المشارب ما خلاه ذميم، وماؤه الدهرَ خَصِرٌ والمياه حميم،، وتلك عادة تلوّنك، وشجيّة تحضرمك[g]، وشاكلةُ ملالك وسأمك،، واشعَرُ الناس عندك مَنْ انت فى شعره، واحبُّ البلاد اليك ما انت فى عُقْره،، فأَيْنَ منك بساتين جِلّق وجنانه، ورياضه المونقة وخُلْجانه،، وقبابه البيض فى حدائقه الخُضْر، ووجوه العطر فى جنانه النُضْر،، وما تضمنه حيطانُه، وتمجّه انجاده وغيطانُه،، من امّهات الراح التى هجرتَها بزعمك، وموادّ الشَمُول التى طلّقْتَها برغمك،، وهيهات فوالله ما فارقْتك تلك الاجارع والمجارى، ولا شاقتْك تلك المنازل والمغانىْ،، الّا تذكُّرًا لِما لدينا من طيب المعاهد، وحنينًا الى ما عندنا

a) G. L. P. S. الموف. b) Cette *risālah* d'Ibn-al-dabbāgh et la réponse d'Ibn-Hasdāi se trouvent chez Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 75 v.). c) S. محملون (*sic*), P. محقلون (*sic*), G. L. La. O. مختلفون. d) Les man. d'al-Makk. portent تتخللها. e) La. O. بين.
f) Al-Makk. G. S. P. انحل, L. La. O. الحل. g) Telle est la leçon de tous les man.

من جميل المشاهد،، واين من المشتاق عنقاء مُغْرِب، ثم ذكر كلاما فى جواب ما مرّ من الخمار لم يتعلّق لى به غرض، وما أَحْلَى ما كتب به ابو اسحق بن خفاجة *a* من رسالة فى ذكر متنزّه ولما اكبّ الغمامُ اكْبابا، لم اجدْ منه اغْبابا،، واتّصل المطرُ اتّصالا، لم أُلف منه انفصالا،، اذن اللهُ تعالى للصحو ان يُطْلع صفْحته، وينشر صحيفته،، فقشعت *b* الريحُ السحاب، كما طوى السجلُّ الكتاب،، وطفقت السماء تخلع جلبابَها، والشمس تحطّ نقابَها،، وتطلّعت الدنيا تبتهج كانها عروس تجلّتْ، وقد تحلّتْ،، ذهبتُ فى لُمّة من الاخوان نستبق الى الراحة رَكْضا، ونطوى التفرّج ارضا،، فلا نندفع الا الى غدير نمير قد استدارتْ منه فى كل قرارة سماء، *سحائبُها غمّاء،، وانساب، فى كل تلعة حُباب، جلدُه حبابٌ *c*،، فترددْنا بتلك الاباطح نتهادَى تهادِىَ اغصانها، ونتضاحَك تضاحُكَ اقحوانها،، وللنسيم، اثناء ذلك المنظر الوسيم،، ترَاسُلُ مشى، على بساط وشى،، فاذا مرّ بغدير نسجَه درْعا، واحكمه صنعا،، وان عثر بجدْوَل شطبَ منه نَصْلا، واخلصه صَقْلا،، فلا ترى الا بطاحا، مملوءة سلاحا،، كانما انهزمت هنالك كتائبُ فألْقَتْ بما لبستْه من درع مصقول، وسيف مسلول،، وفى فصل منها فاحتللنا قبّة خضراء ممدودةَ اشطانِ الاغصان سندسيّةَ رواقِ الاوراق وما زلْنا نلتحف منها ببُرْد ظلّ ظليل، ونشتمل عليه برداء نسيم عليل، ونُجيل النظر فى نهر صقيل،، صافى لُجَيْن الماء، كانه مجرّة سماء،، مؤتلق جوهر الحباب، كانه من ثغور الاحباب،، وقد حضرنا مُسْمِعٌ يجرى مع النفوس لطافةً فهو يعلم غرضها وهواها، ويغنّى لها مقترحَها ومُناها،، فصيح لسان النقر، يشفى من الوقر،، كانه كاتب حاسب تمشق يُمْناه، وتعقد يُسْراه،، يحرّك حين يشدو *d* ساكنات وتنبعث الطبائع للسكون *e* انتهى، وكانت بين ابى اسحق وبعض اخوانه مقاطعة فاتّفق ان ولى ذلك الصديق حصنا فخاطبه ابو اسحق برقعة منها اطال الله بقاء سيدى النبيهة اوصافُه النزيهةُ عن الاستثنا، المرفوعة امارتُه *f* الكريمةُ بالابتدا،، ما انحذفتْ ياء يَرْمى للجزم، واعتلّتْ واوُ يَغْزُو لموضع الضمّ،، كتبتُ عن وِدّ قديم هو الحال، لم يلحقْها انتقال، وعهد كريم هو

---

a) Voyez Ibn-Bassām, man. de Gotha, fol. 144 v. *b*) Les man. d'al-M. portent فتقشعت. *c*) J'ai suivi ici le man. d'Ibn-Bassām, en substituant سحائبها à سحائبه, تلعة à قلعة, et جلدته à جلده. Les man. d'al-Makk. portent: سحابة عما وانساب فى كل قلعة حَباب فترددنا الخ (La. تلعته حباب). *d*) La. O. يشجو. *e*) G. P. S. السكون, L. والسكون. *f*) Ibn-Bassām قيادته.

الفعل لم يدخلْه اعتلال،، والله يجعل هاتيك من الاحوال الثابتة اللازمة، ويعصم هذا
بعدُ من الحروف الجازمة،، وانا أَسْتنهض طَوْلك الى تجديد عهدك بمطالعة الف
الوصل، وتعدية فعل الفصل،، والى *a* عدولك عن باب الف القطع، الى باب الوصل
والجمع،، حتى يسقط لدرج الكلام بيننا هاء السَّكْت، ويدخل الانتقال حال الصَّمْت،،
فلا تتخيَّلْ اعزّك الله ان رسم اخائك عندى * ذو حسا *b* قد درس عفاء، ولا ان
صدرى دارُ مَيَّة أَمْسَى من ودّك خلاء،، وانما انا فعل *c* اذا ثنى *d* ظهر من ضمير ودّه *e*
ما بطن، وبدا منه ما كمن،، وهنيئًا اعزّك الله ان فعل وزارتك حاضر لا يلحق رفعَه
تغيير، وان فعل سيفك ماضٍ ما به للعوامل تاثير،، وانت بمجدك جماع ابواب الظرف،
تاخذ نفسك العليّة بمطالعة باب الصَّرْف، ودَرْس حروف العطف،، وتدخل لام التبرئة
على ما حدث من عتبك، وتوجب بعد النفى ما سلف من عتبك *f*،، وتدع الف
الالفة ان تكون بعدُ من حروف اللين، وترفع بالاضافة بيننا وجود التنوين،، وتسوم
ساكنَ الودّ ان يتحرّك ومعتلَّ الاخاء ان يصحّ وكتابى هذا حرفُ صِلَة فلا تحذِفْه
حتى تعود الحالُ الاولى صِفَةً، وتصير هذه النكرةُ معرفةً،، فانت اعزّك الله مصدرُ فعل
السرور والنبل، ومنك اشتقاق اسم السودد والفضل،، وانك وان تأخّر العصرُ بك كالفاعل
وقع مؤخّرا، وعدوُّك وان تكبّر كالكُمَيْت لم يقع الّا مصغّرا،، وللايام عِلَلٌ تبسط وتقبض،
وعوامل ترفع وتخفض،، فلا دخل عَرُوضَك قَبْض، ولا عاقب رفعَك خفض،، ولا زِلْتَ
مرتبطا بالفضل شرطُك وجزاؤُك، جاريًا على الرفع سَرْوُك *g* الكريم وسناؤُك،، حتى تخفض *h*
الفعل، وتبنى على الكسر قبل،، ان شاء الله، وكتب رحمه يستدعى عُود غناء انتظم
من اخوانك اعزّك الله عقدُ شَرْب يتساقَوْن فى ودّك، ويتعاطَوْن ريحانة شكرك وحمدك،،
وما منهم الا شَرِهُ المسامع الى رنّة حمامة نادٍ، لا حمامة بطن وادٍ،، والطَّوْل لك فى
* صِلَتِنا بجماد *i* ناطق قد استعار من بنانٍ لسانا، وصار لضمير صاحبه ترجمانا،، وهو
على الاساءة والاحسان لا ينفكُّ من ايقاع به فى غير ايجاع له فان هفا عُرِكَتْ
اذنُه وأُدِّب، وان تأنّى *j* واستوى بُعِجَ بطنُه وضُرِب،، لا زلتَ منتظمَ الجَذَل، ملتئم

a) Les man. portent وعن. *b*) Al-Makk. دوحها. *c*) G. L. P. افعل. *d*) Al-Makk. تثنى. *e*) La. O. ودك. *f*) Ibn-B. عتابك. Ce mot est peut-être altéré. *g*) G. L. P. La. O. سرورك. *h*) Al-Makk. يخفض. *i*) Al-Makk. صلتها بجمال. *j*) G. O. et le man. d'Ibn-B. تاتى, S. تابى.

الامل،، انتهى، ومن نظمه رحمه يتفجّع، ويتوجّع[a]،،

شرابُ الامانى لو علمتَ سَرابُ   وعُتْبَى الليالى لو عرفتَ[b] عتابُ
وهل مهجة الانسان الا طريدة   تحوم[c] عليها للحِمام عُقابُ
تخبّ بها من كل يوم وليلة   مطايا الى دار البلا وركابُ
وكيف يغيض الدمع او يبرد الحشا   وقد بادَ اقران وفاتَ شبابُ
اقلّب طرفى لا ارى غير ليلة   وقد حُطَّ عن وجه الصباح نقابُ
كانّى وقد طار الصباحُ حمامةٌ   يمدُّ جناحَيْه علىَّ غرابُ
دعى بهم داعى الردى فكانّما   تبارتْ بهم خيلٌ هناك عِرابُ
فها[d] هم وسِلْمُ الدهر حربٌ كانما   جُنَّا[e] بهم[f] طعن له[g] وضرابُ
هجود ولا غير التراب حشيّة   لجنبٍ ولا غير القبور قبابُ
ولستُ بناسٍ صاحبا من ربيعة   اذا نسيتْ رسم الوفاء صِحابُ
ومما شجانى ان قضى حَتْفَ انفه   وما اندقّ رُمْح دونه وذُبابُ
وانّا تجارَيْنا ثلثين *حقبةً   فمات سباقا والحِمام قصابُ[h]
كأن لّم نَبِتْ فى منزل القصف ليلةً   نُجيب بها داعى الصِبا ونُجابُ[i]
اذا قام منّا قائم هزَّ عطفَه   شباب أَرَقْناه بها وشرابُ
ولما تراءتْ للمشيب بريقةٌ   وأَقْشَعَ من ظلّ الشباب سحابُ
نهضنا باعباء الليالى جزالةً   وأَرْسَتْ بنا[j] فى النائبات هضابُ
فيا ظاعنًا قد حطّ من ساحة البلا   بمنزل بينٍ لّيْس عنه مآبُ
كفى حزنًا ان لم يَزُرْنى[k] على النوى   رسول ولم يُنْفَذ الىَّ[l] كتابُ
وأنّى اذا يمّمْتُ قبرك زائرا   وقفتُ ودونى للتراب حجابُ
ولو انّ حيًّا كان جاوَرَ ميّتا   لَطال كلام[m] بيننا وخطابُ

---

a) Ce poème se trouve chez Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 150 r.), et aussi dans le *Dīwān* d'Ibn-Khafādjah (man. de Paris n°. 1518). b) Le man. du Dīwān porte فهمت. c) Le man. d'Ibn-B. et ceux d'al-M. portent يحوم. d) Ibn-B. et al-M. فما. e) Ibn-B. حنا ; al-M. La. O. حثا. f) Al-M. La. بينهم. g) Al-M. G. L. S. P. لهم, La. O. بهم. h) La. O. قصاب ; le man. du Dīwān porte حجة ففات سياقا والحِمام قصاب. Je ne comprends pas le mot قصاب ou قصاب. i) Les man. d'al-M. portent يجيب , يبت et يجاب. j) Al-M. بها. k) Le Dīwān porte يردنى. l) Al-M. G. S. L. P. اليك. m) Le Dīwān porte سلام.

واعرب عمّا عنده من جليّة[a] فاقشع[b] عن شمس هناك ضبابُ

وقد ابعدنا عمّا كُنّا بصَدَده من ذكر قرطبة اعادها الله للاسلام فنقول قال بعض من أرّخ الاندلس انتهت مساجد قرطبة ايامَ عبد الرحمن الداخلُ الى ٤٩٠ مسجدا ثم زادت بعد ذلك كثيرا كما ياتى ذكره وقال بعضهم كانت قرطبة قاعدة الاندلس وامّ المداين وقرارة الملك وكان عدد شرّافاتها ٤ آلاف وثلثمائة وكانت عدّة الدُور فى القصر الكبير ٤٠٠ دار ونيفا وثلثين وكانت عدّة[c] دُور الرعايا والسواد بها الواجب على اهلها المبيتُ فى السور مائة الف دار وثلثة عشر الف دار حاشا دور الوزراء واكابر الناس والبياض ورايتُ فى بعض الكتب ان هذا العدد كان ايامَ لمتونة والموحّدين قال وكانت ديار اهل الدولة انذاك ٦ آلاف دار وثلثمائة دار انتهى، وعدد ارباضها ٢٨ وقيل ٢١ ومبلغ المساجد بها ٣ آلاف وثمانمائة وسبعة وثلثون مسجدا وعدد الحمّامات المبرزة للناس ٧٠٠ حمام وقيل ٣٠٠ حمام وقال ابن حيان ان عدّة المساجد عند تناهيها فى مدّة ابن ابى عامر الف وستمائة مسجد والحمامات ٩٠٠ حمام، وفى بعض التواريخ القديمة كان بقرطبة فى الزمن السالف ٣ آلاف مسجد وثمانمائة وسبعة وسبعون مسجدا منها بشقندة ١٨ وتسعُمائة حمام واحد عشر حماما ومائة الف دار وثلثة عشر الف دار للرعيّة خصوصا وربّما نصف العدد واكثر لارباب الدولة وخاصّتها هكذا نقله فى المُغرِب وهو اعلم بما ياتى ويَذَر رحمه، وقال بعض المؤرّخين بعد ذكره نحو ما تقدّم ووسط الارباض قبّة قرطبة التى تُختصّ بالسور دونها واما اليتيمة التى كانت فى المجلس البديع فانها كانت من تُحَف قيصر[d] اليونانيين بعث بها صاحب القسطنطينية الى الناصر مع تُحَف كثيرة سنيّة انتهى ونحوه لابن الفرضى وغير واحد لكن خالفهم صاحب المسالك والممالك فذكر ان عدد المساجد بقرطبة اربعمائة مسجد وواحد وسبعون مسجدا وهو بعيد وقال قبله ان دَوْر قرطبة فى كمالها ٣٠ الف ذراع وتفسيرها باللسان القوطى القلوب المختلفة وهى بالقوطية بالظاء المشالة وقيل معنى قرطبة اجْرِ فاسكنْها قال وبقرطبة اقاليم كثيرة وكور جليلة وكانت جبايتها فى ايام الحكم بن هشام مائة الف دينار وعشرة آلاف دينار وعشرون دينارا وسبق ما يخالف هذا ومن القمح ٤ آلاف مُدْى وستمائة مدى ومن الشعير ٧ الاف مدى وستمائة

a) Al-M. حلية. b) Le Dīwān porte فاقلع. c) Les man. portent عدد. d) Les man. portent قصر.

وتسمّى هذه القصيدة عند اهل الاندلس كنز الادب، وقد أَشَرْنا فى الباب الاول الى كثير مما يتعلّق بقرطبة اعادها الله الى الاسلام فأَغْنَى عن اعادته وان كان ذكره هنا أَنْسَبَ لان ما تقدّم انما هو فى ذكرها مع غيرها من بلاد الاندلس وهذا الباب لها بالاستقلال، وانشد ابو العاصى غالب بن اميّة المَوْرُورى لما جلس على نهر قرطبة بازاء الربض ملتفتا الى القصر بديهةً

يا قصرُ كم حُوِّيتَ من نِعَم عادتْ لقًى بعوارض السكك
يا قصر كم حويت من ملك دارتْ عليه دوائرُ الفلك
ما شيتَ فابْقَ فكل متَّخَذ يوما يعود بحال متّرَك

قال القاضى ابو الفضل عياض عند ارتحاله عن قرطبة

اقول وقد جَدَّ ارتحالى وغرَّدتْ حُداتى وزُمَّتْ للفراق ركائبى
وقد غُمّضتْ من كثرة الدمع مقلتى وصارت هواء من فؤادى ترائبى
ولم تبقَ الا وقفة يستحثّها وداعىَ للاحباب لا للحبائبى
رعى الله جيرانًا بقرطبة العُلَى وجاد رُبَاها بالعهاد السواكب
وحَيّا زمانا بينهم قد الفته طليقَ المحيّا مستلانَ الجوانب
أَاخْوانَنا بالله فيها تذكّروا معاهدَ[a] جار او مودّةَ صاحب
غدوتُ بهم من بِرّهم واحتفائهم كأنّىَ فى اهلى وبين اقاربى

واما مساجد قرطبة فشهرته تُغْنِى عن كثرة الكلام فيه ولْنُشِرْ من احواله الى ما لا بُدَّ منه فنقول قال بعض المؤرّخين ليس فى بلاد الاسلام اعظم منه ولا اعجب بناء واتقن صنعةً وكلّما اجتمعتْ منه ۴ سوارى كان راسُها واحدا ثم صُفَّ رخام منقوش بالذهب واللازورد فى اعلاه واسفله انتهى، وكان الذى ابتدأ بنيان هذا المسجد العظيم عبد الرحمن بن معوية المعروف بالداخل ولم يُكْمَل فى زمانه وكمّله ابنه هشام ثم توالى الخلفاء من بنى اميّة على الزيادة فيه حتى صار المثل مضروبا به والذى ذكره غير واحد انه لم يزل كل خليفة يزيد على مَنْ قبله فيه الى ان كمل على يد نحو الثمانية من الخلفاء، وقال بعض المؤرّخين ان عبد الرحمن الداخل لما استقرّ امرُه بنى القصر بقرطبة وبنى المسجد الجامع وانفق عليه ٨٠ الف دينار وبنى

---

a) On trouve cette leçon dans le *Kalâyid*; les man. d'al-M. portent مودة.

بقرطبة الرُصافة تشبيهًا برصافة جدّه هشام بدمشق، وقال بعض انه انفق على الجامع ٨٠ الف دينار واشترى موضعه ان كان كنيسة بمائة الف دينار فالله اعلم، وقال بعض فى ترجمة عبد الرحمن الداخل ما صورته انه لما تمهّد ملكه شرع فى تعظيم قرطبة فجدّد مغانيها وشيّد مبانيها وحصّنها بالسور وابتنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسّع فناءه واصلح مساجد الكور ثم ابتنى مدينة الرصافة متنزّهًا له واتّخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل اليها غرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار انتهى، وكانت اخته امّ الاصبغ ترسل اليه من الشام بالغرائب مثل الرمّان العجيب الذى ارسلته اليه من دمشق الشام كما مرّ وسياتى كلام ابن سعيد بما هو اتمّ من هذا، ولمّا ذكر ابن بشكوال زيادة المنصور بن ابى عامر فى جامع قرطبة قال ومن احسن ما عاينه الناسُ فى بنيان هذه الزيادة العامريّة أَعْلاجُ النصارى مصفّدين فى الحديد من ارض قشتالة وغيرها وهم كانوا يتصرّفون فى البنيان عوضًا من رَجّالة المسلمين اذلالًا للشرك وعزّةً للاسلام ولما عزم على زيادته هذه جلس لارباب الدُور التى نقلٍ اصحابها عنها بنفسه فكان يُوتَى بصاحب المنزل فيقول له ان هذه الدار التى لك يا هذا أُريد ابتياعها *a* لجماعة المسلمين من مالهم ومن فَيْئهم لازيدها فى جامعهم وموضع صلاتهم فشَطِّطْ واطلُبْ ما شئتَ فاذا ذكر له اقصى الثمن امر ان يُضاعَف له وان تُشترى له بعد ذلك دارٌ عوضًا منها حتى أُتِىَ بامرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة فقالت لا اقبل عوضا الا دارا بنخلة فقال * تُبتاع لها دار *b* بنخلة ولو ذهب فيها بيتُ المال فاشتُريتْ لها دار بنخلة وبُولِغ فى الثمن وحكى ذلك ابن حيّان ايضا، وقيل ان انفاق *c* الحكم فى زيادة الجامع كان مائة الف وواحدا وستين الف دينار ونيفا *d* وكله من الاخماس، وقال صاحب كتاب مجموع المفترق كان سقف البلاط من المسجد الجامع من القبلة الى الجوف قبل الزيادة ٢٢٥ ذراعا والعرض من الشرق الى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وخمس اذرع ثم زاد الحكم فى طوله مائة ذراع وخمس اذرع فكمّل الطول ثلثمائة ذراع وثلثين ذراعا وزاد محمد بن ابى عامر بامر هشام بن الحكم فى عرضه من جهة المشرق ٨٠ ذراعا فتمّ العرض مائتَىْ ذراع وثلثين ذراعا وكان عدد بلاطاته ١١ بلاطا عرضُ اوسطها ١٦

a) La. O. ان ابتاعها. *b*) La. O. تبتاع لها دارا, et un peu plus loin فاشترى لها دارا. *c*) G. L. ايقاف. *d*) Les man. portent ونيف.

ذراعا وعرض كل واحد من اللذَيْن يليانه غربًا واللذين يليانه شرقًا ١٤ ذراعا وعرض كل واحد من الستّة الباقية ١١ ذراعا وزاد ابن ابى عامر فيه ثمانيةً عرضُ كل واحد ١٠ اذرع وكان العمل فى زيادة المنصور سنتَيْن ونصفا وخدم فيه بنفسه وطول الصحن من المشرق الى المغرب مائة ذراع وثمان وعشرون ذراعا وعرضه من القبلة الى الجوف مائة ذراع وخمس اذرع وعرض كل واحدة من السقائف المستديرة بصحنه ١٠ اذرع فتكسيره ثلثة وثلثون الف ذراع ومائة وخمسون ذراعا وعدد ابوابه ٩ ثلثةٌ فى صحنه غربا وشرقا وجوفا واربعة فى بلاطاته ٢ شرقيّان واثنان غربيان وفى مقاصر النساء من السقائف بابان وجميع ما فيه من الاعمدة الف عمود ومائتا عمود وثلثة وتسعون عمودا رخاما كلها وباب مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أُجرى فيه الذهب على الفسيفسا وثريّات المقصورة فضة محضة وارتفاع الصومعة اليومَ وهى من بناء عبد الرحمن بن محمد ٧٣ ذراعا الى اعلى القبة المفتّحة التى يستدير بها المؤذّن وفى راس هذه القبة تفافيح ذهب وفضة ودور كل تفّاحة ٣ اشبار ونصف فاثنان من التفافيح ذهب ابريز وواحدة فضة وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هُندست بابدع الصنعة ورمانة ذهب صَغيرة على راس الزُجّ وهى احدى غرائب الارض وكان بالجامع المذكور فى بيت منبره مصحفُ عثمن رضّه الذى خطّه بيده وعليه حلية ذهب مكلّلة بالدرّ والياقوت وعليه أَغْشية الديباج وهو على كرسىّ العود الرطب بمسامير الذهب، رجعَ الى المنارة وارتفاع المنارة الى مكان الاذان ٥٤ ذراعا وطول كل حائط من حيطانه على الارض ١٨ ذراعا، انتهى بحروفه وفيه بعض مخالفة لما ذكره ابن الفرضى وبعضهم اذ قال فى ترجمة المنصور بن ابى عامر ما صورته وكان من اخبار المنصور الداخلة فى ابواب الخير والبرّ والقربة بنيان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة ٣٧٧ وذلك انه لما زاد الناس بقرطبة وانجلب اليها قبائل البربر من العدوة وافريقية وتناهى حالها فى الجلالة ضاقت الارباض وغيرها وضاق المسجد الجامع عن حمل الناس فشرع المنصور فى الزيادة بشرقيّه حيث تتمكّن الزيادة لاتّصال الجانب الغربى بقصر الخلافة فبدأ ابن ابى عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتدّ طولا من اول المسجد الى آخره وقصد ابن ابى عامر فى هذه الزيادة المبالغةَ فى الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ولم يقصّر مع هذا عن سائر الزيادات جودةً ما عدا زيادةَ الحكم واول ما عمله ابن ابى عامر تطييب نفوس ارباب الدُور الذين

اشتُريت منهم للهدم لهذه الزيادة باتّصافهم من الثمن وصنع فى صحنه الجُبّ العظيم قدرُه الواسع فناؤه وهو اعنى ابن ابى عامر هو الذى رتّب احراق الشمع بالجامع زيادةً للزيت فتطابق بذلك النوران وكان عدد سوارى الجامع الحاملة لسمائه واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره بين كبيرة وصغيرة الف سارية واربعمائة سارية وسبع عشرة سارية وقيل اكثر وعدد ثريّات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة ٢٨٠ ثريّا وعدد الكُؤوس سبعة آلاف كاس واربعمائة كاس وخمس وعشرون كاسا وقيل عشرة آلاف وثمانمائة وخمس كُؤوس وزِنَةُ مشاكى الرصاص للكؤوس المذكورة ١٠ ارباع او نحوها وزِنَةُ ما يحتاج اليه من الكتّان للفتائل فى كل شهر رمضن ٣ ارباع القنطار وجميع ما يحتاج اليه الجامع من الزيت فى السنة ٥٠٠ ربع او نحوها يُصرف منه فى رمضان خاصّةً نحو نصف العدد ومما كان يُختصّ برمضان المعظم ٣ قناطير من الشمع وثلثة ارباع القنطار من الكتّان المقطّن لاقامة الشمع المذكور والكبيرة من الشمع التى توخذ بجانب الامام يكون وزنها من ٥٠ الى ٦٠ رطلا يحترق بعضها بطول الشهر ويعمّ الحرق لجميعها ليلةَ الختمة وكان عدد من يخدم الجامع المذكور بقرطبة فى دولة ابن ابى عامر وينصرّف فيه من ائمّة ومُقْرِئين وأُمناء ومؤذّنين وسَدَنة ومُوقدين وغيرهم من المتصرّفين ١٥٩ شخصا ويوقد من البخور ليلةَ الختمة ٤ اواقى من العنبر الاشهب وثمانى اواقى من العود الرطب انتهى، وقال بعض المؤرّخين كان للجامع كل جمعة رطل عود وربع رطل عنبر يتبخّر به انتهى، وقال ابن سعيد نقلا عن ابن بشكوال طول جامع قرطبة الاعظم الذى هو بداخل مدينتها من القبلة الى الجوف ٣٣٠ ذراعا الصحن المكشوف عنه ٨٠ ذراعا وغير ذلك مقرمد وعرضه من الغرب الى الشرق ٢٥٠ ذراعا وعدد ابهائه عند اكتمالها بالشماليّة التى زادها المنصور بن ابى عامر بعد هذا ١٩ بهوا وتسمّى البلاطات وعدد ابوابه الكبار والصغار ٢١ بابا فى الجانب الغربى ٩ ابواب منها واحد كبير للنساء يُشْرَع الى مقاصيرهن وفى الجهة الشرقيّة ٩ ابواب منها لدخول الرجال ٨ ابواب وفى الجهة الشماليّة ٣ ابواب منها لدخول الرجال بابان كبيران وباب لدخول النساء الى مقاصيرهن وليس لهذا الجامع فى القبليّ سوى باب واحد بداخل المقصورة المتّخَذة فى قبلته متّصل بالساباط المُفْضى الى قصر الخلافة منه كان السلطان يخرج من القصر الى الجامع لشهود الجمعة وجميع هذه الابواب مُلْبَسة بالنحاس الاصفر باغرب صنعة وعدد سوارى هذا المسجد الجامع

الحاملة لسمائه والملصقة a بمبانيه وقبابه ومناره وغير ذلك من اعماله بين كبار وصغار الف واربعمائة سارية وتسع سوارى منها بداخل المقصورة ١١٩ سارية وذكر المقصورة البديعة التى صنعها الحكم المستنصر فى هذا الجامع فقال انه خطر بها على ٥ بلاطات من الزيادة الحَكَمِيّة واطلق حفافَيْها b على الستة الباقية ٣ من كل جهة فصار طولها من الشرق الى الغرب ٧٥ ذراعا وعرضها من جدار الخشب الى سور المسجد بالقبلة ٢٢ ذراعا وارتفاعها فى السماء الى حدّ شرفاتها ٨ اذرع وارتفاع كل شرفة ٣ اشبار ولهذه المقصورة ٣ ابواب بديعة الصنعة عجيبة النقش شارعة الى الجامع شرقى وغربى وشمالى ثم قال وذرع المحراب فى الطول من القبلة الى الجوف ٨ اذرع ونصف وعرضه من الشرق الى الغرب ٧ اذرع ونصف وارتفاع قبوه فى السماء ١٣ ذراع ونصف والمنبر الى جنبه مؤلّف من اكارم الخشب ما بين ابنوس وصندل ونبع وبقّم وشوحط وما اشبه ذلك ومبلغ النفقة فيه ٣٥ الف دينار وسبعمائة دينار وخمسة دنانير وثلثة دراهم وثُلْث درهم وقيل غير ذلك وعدد درجه ٩ درجات صنعةُ الحكم المستنصر رحمه وذكر ان عدد ثريّات الجامع التى تُسْرَج فيها المصابيح بداخل البلاطات خاصّةً سوى ما منها على الابواب ٢٢٤ ثريّا جميعها من لاطون مختلفة الصنعة منها ٤ ثريّات كبار معلّقة فى البلاط الاوسط اكبرها الضخمة المعلّقة فى القبّة الكبرى التى فيها المصاحف حيالَ المقصورة فيها من السُّرُج فيما زعموا الف c واربعة وخمسون تُستوقد هذه الثريّات الضخام فى العشر الآخر من شهر رمضان تُسْقَى كل ثريّا منها ٧ ارباع فى الليلة وكان مبلغ ما يُنْفَق من الزيت على جميع المصابيح فى هذا المسجد فى السنة ايامَ تمام وقوده فى مدة ابن ابى عامر مكملةً بالزيادة المنسوبة الف ربع منها فى شهر رمضان ٧٥٠ ربعا قال وفى بعض التواريخ القديمة كان عدد القَوَمة بالمسجد الجامع بقرطبة فى زمن الخلفاء وفى زمان ابن ابى عامر ٣٠٠ انتهى وفيه مخالفة لبعض ما تقدّم، وذكر بعضهم الزيت ولكن قوله أَوْلَى بالاتّباع لنقله عن ابن بشكوال ولمعرفة ابن سعيد بمثل هذا وتحقيقه فيه اكثرَ من غيره والله اعلم فقال الف ربع وثلثون ربعا منها فى رمضان خمسمائة ربع وفى الثريّات التى من الفضة وهى ثلثة d ٧٢ رطلا لكل واحدة ١٨ فى ليلة وقدها وقال فى المنبر انه مركّب من

a) La. O. والملاصقة. b) La. O. الحفافية. c) La. et O. ajoutent واربعمائة. d) Lisez اربعة (72 = 18 × 4).

٣٦ الف وُصّل قام كل واحد منها بسبعة دراهم فضة وسُمّرت بمسامير الذهب والفضة وفى بعضها نفيس الاحجار واتّصل العمل فيه تسعة a ثم قال ودور الثريّا العظيمة ٥٠ شبرا وتحتوى على الف كاس واربعة وثمانين كلها موشّاة بالذهب الى غير ذلك من الغرائب، وكتب الفقيه الكاتب ابو محمد ابرهيم بن صاحب الصلاة الوَلْبَنى يصف جامع قرطبة بما نصّه عمّر الله بشمول السعادة رسَمَك، ووفّر من جزيل الكرامة قسمَك،، ولا برحتْ سحائبُ الانْعام تهمى عليك ثرّةً، وانامل الايام تهدى اليك كل مسرّة،، لئن كان اعتزّ الله طَريق الوداد بيننا عامرا، وسبيل * الاتّحاد b غامرا،، الواجبُ ان نفضّ خُتُمه، ونرفض كُتُمه،، لا سيّما فيما يُدِرّ أَخْلافَ الفضائل، ويهزّ اعطاف الشمائل،، وانّى شخصتُ الى حضرة قرطبة حرسها الله منشرحَ الصدر، لحضور ليلة القدر،، والجامع قدّس الله بقعته ومكانَه، وثبّت اساسه واركانَه،، قد كُسِىَ ببردة الازدها، وجُلِىَ فى معْرِض البها،، كانّ شرفاته فلول فى سِنان، او أُشَرٌ فى أَسْنان،، وكانّما ضُربت على سمائه كِلَل، وخُلعت على ارجائه حُلَل،، وكانّ الشمس قد خلّفت فيه ضياءها، ونسجت على اقطاره افياءها،، فترى نهارا قد احدق به ليل، كما احدق بربوة سيل،، ليل دامس، ونهار شامس،، وللذُبال تألّق كتَضْنضة الحيّات، او اشارة السبّابات فى التحيّات،، قد أُترعت من السليط كؤوسُها، ووُصلت بمحاجن الحديد رؤوسُها،، ونيطت بسلاسل كالجذوع القائمة، او كالثعابين العائمة،، عُصبت بها تُفّاح من الصُفْر، كالتُفّاح الصُفْر،، وبُولِغ فى صقلها وجلائها، حتى بهرت بحسنها ولالائها،، كانّما جُليت باللهب، وأُشربت ماء الذهب،، ان سامَتّها طولا رايتَ منها سبائك عسجد، او قلائد زبرجد،، وان جبتَها عرضا رايتَ منها افلاكا ولكنّها غير دائرة، ونجوما ولكنّها ليست بسائرة،، تتعلّق تعلُّقَ القُرْط من الدفْرَى، وتبسط شعاعها بسطَ الاديم حين يُفْرَى،، والشمع قد رُفعت على المنار رفعَ البنود، وعُرِضت عليها عرضَ الجنود،، ليجتلى طلاقةَ رُوائها القريبُ والبعيد، ويستوى فى هداية ضيائها الشقىُّ والسعيد،، وقد قُوبل منها مبيضّ بمحمرّ، وعُورض مخضرّ بمصفرّ،، تضحك ببكائها وتبكى بضحكها، وتهلك بحياتها وتحيى بهلكها،، والطيب تفغم c افواحُه،

a) On doit probablement ajouter سنين. b) Dans G. et P. il y a ici une lacune, que j'ai remplie d'après L.; S. الاخلاص, La. O. المحبة. c) Les man. portent تفعم.

وتتنسّم ارواحُه،، وتُتار الالنجوج والندّ يسترجع من روح الحياة * ما .... فى [a]
صفوف مَجامر، ككعوب مُقامر،، وظهور القباب مؤلَّلة[b]، وبطونها مهلَّلة،، كانها تيجان،
رُصّع فيها ياقوت ومَرْجان،، قد قُوّس محرابُها احكمَ تقويس، ووُشم بمثل ريش الطواويس،،
حتى كانه بالمجرّة مقرطَق، وبقوس قُزَح ممنطَق،، وكانّ اللازورد حول وشومه،
وبين رسومه،، نُتَف من قوادم الحَمَام، او كِسَف من ظلل[c] الغمام،، والناس أَخْياف
فى دواعيهم، واوزاع فى اغراضهم ومَراميهم،، بين رُكّع وسُجّد، وأَيْقاظ وهُجّد،،
ومزدحم على الرقاب يتخطّاها، ومقتحم على الظهور يتمطّاها،، كانهم بَرَد خلالَ قَطْر،
او حروف فى عروض[d] سطر،، حتى اذا قرعت اسماعَهم روعةُ التسليم، تَبادَروا بالتكليم،،
وتَجاذَبوا بالاثواب، وتساقَوْا بالاكواب،، كانهم حُضورٌ طال عليهم غياب، او سَفْرٌ أُتيح
لهم اياب،، وصفيُّك مع اخوان صدْق، تنسكب العلوم بينهم انسكابَ الوَدْق،، فى
مكان كوَكْر العصفور، استغفر الله او ككناس اليعفور،، كانّ اقليدس قد قسم بيننا
مساحته بالموازين، وارتبطنا فيه ارتباطَ البيادق بالفرازين،، حتى صار عقدُنا لا يُحَلّ،
وحدُّنا لا يُفَلّ،، بحيث نسمع سُوَرَ التنزيل كيف تُتْلَى، ونتطلّع صُوَرَ التفصيل[e] كيف
تُجْلَى،، والقَوَمة حوالَيْنا يجهدون فى قطع الصَرَر، ويعمدون الى قرع العُمُد بالدِرَر،،
فاذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقَيْن، وسرتْ بعدهم[f] سُرَى القَيْن،، توهّموا انها
الى اعطافهم واصلة، وفى اقحافهم حاصلة،، ففرّوا بين الاساطين، كما تفرّ من النجوم
الشياطين،، كانما ضربهم ابو جهم بعصاه، او حصَبهم عُمَيْر بن ضابئ[g] بحصاه،، فاكرِمْ
بها من مساعٍ تشوق الى جنّة الخُلْد، وتُهوّن فى السعى اليها انْفاق الطوارف
والتُلْد،، تعظيما لشعائر الله، وتنبيهًا لكل ساه ولاه، حكمة تشهد لله تعّ بالربوبيّة،
وطاعة تذلّ لها كل نفس ابيّة،، فلم أَرَ ادام اللهُ عزّك منظرا منها أَبْهَى، ولا مخبرا
أَشْهَى،، وان لم تتأمّلْه عيانا، فتخيّلْه بيانا،، وان كان حظُّ منطقى من الكلام، حظَّ
السفيح[h] من الأَزْلام،، لكن ما بيننا من مودّة اكّدْنا[i] وسائلَها، وادمّة[j] تقلّدْنا حمائلَها،،
يُوجِب قبولَ إِتْحافى سمينًا وغَثّا، ولُبْسَ أُطْمافى جديدًا ورَثّا،، لا زلتَ لزناد النبل

---

a) L. وهو مزجوج واقيمت فى, La. O. ما كان تقاصر فى. b) S. مكللة. c) O. ظل, G. L. P. طلل. d) P. S. O. عرض. e) G. L. P. S. التفضيل. f) La. O. S. نحوهم. g) G. L. S. صابى, La. O. صاق. h) S. السنيح, G. L. P. La. O. السفح. i) L. اتلدنا, G. P. اللدنا (sic), S. املدنا. j) G. L. P. واذنة, S. وادنة, La. O. واذنت.

مُوريا، والى آماد الفضل مُجْريا،، والتحيّة العَبِقة الرَيّا، المُشْرِقة المحيّا، عليك ما طلع قمر، وايفع ثمر،، ورحمة الله وبركاته انتهى، وذكر ابن بشكوال ان الحكم المستنصر هدم الميضأة القديمة التى كانت بفناء الجامع يُستقى لها الماء من بير السانية وبنى موضعها ٤ ميضآت فى كل جانب من جانبَى المسجد الشرقى والغربى منها ثنتان كُبْرَى للرجال وصُغْرَى للنساء أُجرى فى جميعها الماء فى قناة اجتلبها من سفح جبل قرطبة الى ان صبّتْ ماءها فى احواض رخام لا ينقطع جريانُه الليلَ والنهارَ واجرى فضلُ هذا الماء العذب الى سقايات اتّخذهن على ابواب هذا المسجد بجهاته الثلث الشرقية والغربية والشمالية اجراها هنالك الى ٣ جوابى من حياض الرخام استقطعها بمقطع المنستير a بسفح جبل قرطبة بالمال الكثير والقوها b الرَخّامون هنالك واحتفروا اجوافها بمناقيرهم فى المدّة الطويلة حتى استوتْ فى صورها البديعة لأَعْيُن الناس فخفّف ذلك من ثقلها وامكن من اهْباطها الى اماكن نصبها باكناف المسجد الجامع وامدّ الله على ذلك بمعونته فتهيّأ حمل الواحدة منها فوق عجلة اتُّخذت من ضخام خشب البلّوط على فَلَك مُوثّقة بالحديد المثقّف محفوفة بوثاق الحبال قُرِن لجرّها ٧٠ دابّة من اشدّ الدوابّ وسُهّلت قدّامَها الطُرُق والمسالك وسهّل الله حملها واحدةً بعد اخرى c على هذه الصفة فى مدّة ١٢ يوما فنُصبت فى الاقباء المعقودة لها قال وابتنى المستنصر فى غربىّ الجامع دار الصَدَقة واتّخذها معهدا لتفريق صدقاته المتوالية وابتنى للفقراء البيوت قبالةَ باب المسجد الكبير الغربى انتهى، واعلم انه لعظم امر قرطبة كان عملها حُجّةً بالمغرب حتى انهم يقولون فى الاحكام هذا مما جرى به عملُ قرطبة وفى هذه المسئلة نزاع كثير ولا باس ان نذكر ما لا بُدّ منه من ذلك، قال الامام ابن عَرَفة رحّه فى اشتراط الامام على القاضى الحُكْمَ بمذهب معيَّن وانْ خالَفَ معتقَدَ المشترَط اجتهادًا وتقليدًا ٣ اقوال الصحّةُ للباجى وعمل d اهل قرطبة ولظاهر شرط سَحْنُون على مذهب من ولّاه الحكمَ بمذهب اهل المدينة قال المازَرى مع احتمال كون الرجل مجتهدًا الثانى البطلانُ للطرطوشى اذ قال فى شرط اهل قرطبة هذا جهل عظيم الثالث تصحّ التولية ويبطل e الشرط تخريجا f على احد الاقوال فى الشرط الفاسد فى البيع للمازرى عن بعض الناس انتهى مختصرا، قال

a) La. O. المستنير, S. المنسير, G. L. النستير. b) G. S. والقوه, S. P. La. O. والقوة. c) La. O. واحدة. d) La. O. ولعمل. e) La. O. ويذهب. f) P. S. O. تخريجا.

ابن غازى أن ابن عرفة نسب للطرطوشى البطلان مُطْلَقا وابن شاس انما نسب له التفصيل a انتهى، ولما ذكر مولاى الجدّ الامام قاضى القضاة بفاس سيدى ابو عبد الله المقّرى التلمسانى فى كتابه القواعد شرط اهل قرطبة المذكور قال بعده ما نصّه وعلى هذا الشرط ترتّب b ايجابُ عمل القضاة بالاندلس ثم انتقل الى المغرب فبينا c نحن ننازع الناسَ فى عملِ المدينة ونصيح باهل الكوفة مع كثرة مَنْ نزل بها من علماء الامّة كعلىّ وابن مسعود ومن كان معهما

ليس التكحُّل فى العينَيْن كالكحل   سنح لنا d بعض الجمود ومعدن التقليد

الله اخّر مدّتى فتأخّرتْ   حتى رايتُ من الزمان عجائبا

يا لله وللمسلمين ذهبتْ قرطبة واهلُها، ولم يبرح من الناس جهلُها،، ما هذا الّا لان الشيطان يسعى فى محو الحقّ فيُنْسيه، والباطل لا يزال يلقنه ويُلْقيه،، ألا ترى خصال الجاهليّة كالنياحة والتفاخُر والتكاثُر والطعن والتفضيل والكهانة والنجوم والخطّ والتشاؤُم وما اشبَهَ ذلك واسماءها كالعتمة e ويثْرب وكذا التنابُز بالالقاب وغيره مما نُهى عنه وحُذّر منه كيف لم تزل من اهلها وانتقلت الى غيرهم مع تيسُّر امرها حتى كانهم لا يرفعون بالدين راسا، بل يجعلون العادات القديمة اسّا،، وكذلك محبّة الشعر والتلحين f والنسب وما انخرط فى هذا السلك ثابتة الموقع من القلوب والشرعُ فينا منذ سبعمائة عام وسبع وستين سنة لا نحفظه الّا قولا، ولا نحمله الّا كَلّا،، انتهى، وقال الحافظ ابن غازى بعد ذكر كلام مولاى الجدّ ما نصّه وحدّثنى ثقة ممن لقيتُ انه لما قدم مدينةَ فاس العلّامة ابو يحيى الشريف التلمسانى وتصدّى لاقراء التفسير بالبلد الجديد وامر السلطان ابو سعيد المرينى الحفيد اعيانَ الفقهاء بحضور مجلسه كان مما القاه اليهم g منزع المقّرى هذا فبالغوا فى انْكاره وراوا انه لا معول h عمّا عوّل عليه زعماء الفقهاء كابن رُشْد واصحاب الوثائق كالمتيطى من اعتماد عمل اهل قرطبة ومن معناهم انتهى، وقال بعض المؤرّخين حين ذكر قرطبة ما ملخّصُه هى قاعدة بلاد الاندلس ودار الخلافة الاسلاميّة وهى مدينة عظيمة واهلها اعيان البلاد وسَراة الناس فى حسن المآكل والملابس والمراكب وعلوّ الهِمَم وبها

---

a) G. L. التفضيل. *b*) Ce mot manque dans S. et O. *c*) La. O. فبينما. *d*) La. O. لى. *e*) La. كالقسمة. *f*) G. L. P. S. والتاخير. *g*) La. O. عليهم. *h*) Je crois qu'on doit lire معدل.

اعلام العلماء وسادات الفضلاء واجلاد الغُزاة وانجاد الحروب وهى فى تقسيمها ٥ مدن يتلو بعضها بعضا وبين المدينة والمدينة سور عظيم حصين حاجز وكل مدينة مستقلّة بنفسها وفيها ما يكفى اهلها من الحمامات والاسواق والصناعات وطول قرطبة ٣ اميال فى عرض ميل واحد وهى فى سفح جبل مُطلّ عليها وفى مدينتها الثالثة وهى الوُسْطَى القنطرة والجامع الذى ليس فى معمور الارض مثله وطوله مائة ذراع فى عرض ٨٠ وفيه من السوارى الكبار الف سارية وفيه ١١٣ ثريّا للوقود اكبرها تحمل الف مصباح وفيه من النقوش والرقوم ما لا يقدر احد على وصفه وبقبلته صناعات تُدْهِش العقول وعلى فرختهa المحراب ٧ قسىّ قائمة على عُمُد طولُ كل قوس فوق القامة قد تحيّر الروم والمسلمون فى حسن وضعها وفى عضادتَى المحراب ٤ اعمدة اثنان اخضران واثنان لازورديّان ليس لها قيمة لنفاستها وبه منبر ليس على معمور الارض مثله فى حسن صنعته وخشبه ساج وابنوسb وعود قاقلىّ ويُذكر فى تاريخ بنى اميّة انه أُحكم عمله ونقشه فى ٧ سنين وكان يعمل فيه ٨ صُنّاع لكل صانع فى كل يوم نصف مثقال محمّدىّ فكان جملة ما صُرِف على المنبر لا غيرُ ١٠ آلاف مثقال وخمسين مثقالا وفى الجامع حاصل كبير ملآن من آنية الذهب والفضة لاجل وقوده وبهذا الجامع مصحف يقال انه عثمانىّ وللجامع ٢٠ بابا مصفّحات بالنحاس الاندلسى مخرّمة تخريما عجيبا بديعا يُعْجِز البَشَرَ ويبهرهم وفى كل باب حلقة فى نهاية الصنعة والحكمة وبه الصومعة العجيبة التى ارتفاعها مائة ذراع بالمكّىّ المعروف بالرشاشىّ وفيها من انواع الصنائع الدقيقة ما يعجز الواصفُ عن وصفه ونعته وبهذا الجامع ٣ اعمدة حُمْر مكتوب على الواحد اسم محمد وعلى الآخر صورة عصى موسى واهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح والجميع خلقة ربّانيّة واما القنطرة التى بقرطبة فهى بديعة الصنعة عجيبة المرأى فاقتْ قناطر الدنيا حسنا وعدد قسيّها ١٧ قوسا سعةُ كل قوس منها ٥٠ شبرا وبين كل قوسين ٥٠ شبرا وبالجملة فمحاسن قرطبة اعظم من ان يحيط بها وصفٌ انتهى وهو وان تكرّر بعضه مع ما قدّمْتُهc فلا يخلو من فائدة زائدة والله الموفّق وما ذكره فى طول المسجد وعرضه مخالف لما مرّ ويُمْكِن الجوابُ بان هذا الذراع اكبر من ذلك كما اشار اليه هو فى امر الصومعة

a) La. O. ترجة. b) La. et O. ajoutent ورقم. c) La. O. تقدم.

وكذا ما ذكره فى عدد السوارى الّا ان يقال ما تقدّم باعتبار الصغار والكبار وهذا العدد الذى ذكره هذا انما هو للكبار فقط كما صرّح به والله اعلم، واما الثريّات فقد خالف فى عددها ما تقدّم مع ان المتقدّم هو قول ثقات مؤرّخى الاندلس ونحن جلبنا النقل من مواضعه وان اختلفت طُرُقُه ومضموناته، وقال فى المُغْرِب عند تعرّضه لذكر جامع قرطبة ما نصّه اعتمدتُ فيما انقله فى هذا الفصل على كتاب ابن بشكوال فقد اعتنى بهذا الشان اتمّ اعتناء واغنى عن الاستطلاع الى كلام غيره، عن الرازى انه لما افتتح المسلمون الاندلس امتثلوا ما فعله ابو عُبيدة بن الجرّاح وخالد ابن الوليد عن راى عمر رضّه بالشام من مُشاطَرة الروم فى كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما اخذوه صلحًا فشاطَرَ المسلمون اعاجمَ قرطبة كنيستَهم العظمى التى كانت داخلَ مدينتها تحت السور وكانوا يسمونها شنت[a] بِنْجَنْت وابتنوا فى ذلك الشطر مسجدا جامعا وبقى الشطر الثانى بايدى النصارى وهُدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة واقتنع المسلمون بما فى ايديهم الى ان كثروا وتزيّدت عمارة قرطبة ونزلها امراء العرب فضاق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلّقون منه سقيفة بعد سقيفة يستكنون بها حتى كان الناس ينالون فى الوصول الى داخل المسجد الاعظم مشقّةً لتلاصُق تلك السقائف وقِصَر ابوابها وتطامُن سقفها حتى ما يُمْكِن اكثرَهم القيامُ على اعتدال لتقارُب سقفها من الارض لم يزل المسجد على هذه الصفة الى ان دخل الامير عبد الرحمن بن معوية المروانى الى الاندلس واستولى على امارتها وسكن دار سلطانها قرطبة وتمدّنتْ به فنظر فى امر الجامع وذهب الى توسعته واتقان بنيانه فاحضر اعاظم النصارى وسامَهم بيعَ ما بقى بايديهم من كنيستهم لصق[b] الجامع ليُدْخله فيه واوسع لهم البذلَ وفاءً بالعهد الذى صُولحوا عليه فابَوْا من بيع ما بايديهم وسألوا بعد الجَدّ بهم ان يُباحوا بناءَ كنائسهم التى هُدمت عليهم بخارج المدينة على ان يتخلّوْا للمسلمين عن هذا الشطر الذى طُولبوا به فتمّ الامر على ذلك وكان ذلك سنة ١٦٨ ثم ابتنى عبد الرحمن عند ذلك المسجد الجامع على صفة ذَكَرَها لا حاجةَ فى تفسير الزيادات فيه وانما الحاجة فى وصفه بكماله وفى بنائه لهذه الزيادة يقول دحية بن محمد البلونى فى قصيدة

a) La. سنت, O. نست, L. بسنت, G. نسنت, S. تسنت.   b) G. L. لصف, S. نصف.

وانفق فى دين الاله ووجهه ثمانين الفا من لُجَيْن وعسجد
توزّعها فى مسجد الله التُّقى ومنهاجه دين النبىّ محمد
ترى الذهب النارىّ فوق سموكه يلوح كبرق العارض المتوقّد

قال وكمل سنة ١٧٠[a]، ثم ذكر زيادة ابنه هشام الرضى وما جدّده فيه وانه بناه من خُمْس فىء اربونة ثم زيادةَ ابنه عبد الرحمن الاوسط لما تزايد الناس قال وهلك قبل ان يتمّ الزخرفة فاتمّها ولده محمد بن عبد الرحمن ثم رمّ المنذر بن محمد ما وَهِىَ منه وذكر ما جدّده خليفتُهم الناصر ونقضه للصومعة الاولى وبنيانه للصومعة العظيمة قال ولما ولى الحكم المستنصر بن الناصر وقد اتّسع نطاقُ قرطبة وكثر اهلها وتبيّن الضيق فى جامعها لم يقدّم شيئًا على النظر فى الزيادة فبلغ الجهد وزاد الزيادة العظمى قال وبها كملت محاسن هذا الجامع وصار فى حدّ[b] يحسر الوصفُ عنه وذكر حضورَه لمشاوَرة العلماء فى تحريف القبلة الى نحو المشرق حسبما فعله والده الناصر فى قبلة جامع الزهراء لان اهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة الى نحو الغرب فقال له الفقيه ابو ابرهيم يا امير المومنين انه قد صلّى الى هذه القبلة خيارُ هذه الامّة من اجدادك الائمّة وصلحاء المسلمين وعلمائهم منذ افتتحت الاندلس الى هذا الوقت مُوتسيين[c] باول مَنْ نصبها من التابعين كموسى ابن نصير وحَنَش الصنعانى وامثالهم رحمهم وانما فضل مَنْ فضل بالاتّباع، وهلك مَنْ هلك بالابتداع،، فاخذ الخليفة برايه وقال نعمّا قلتَ وانما مذهبى[d] الاتّباع، قال ابن بشكوال ونقلتُ من خطّ امير المومنين المستنصر ان النفقة فى هذه الزيادة وما اتّصل بها انتهت الى مائتى الف دينار واحد[e] وستين الف دينار وخمسمائة دينار وسبعة وثلثين دينارا ودرهمين ونصف، ثم ذكر الصومعة نقلًا عن ابن بشكوال فقال امر الناصر عبد الرحمن بهدم الصومعة الاولى سنة ٣٤٠ واقام هذه[f] البديعة فحفر فى اساسها حتى بلغ الماء مدّةً من ٤٣ يوما ولما كملت ركب الناصر اليها من مدينة الزهراء وصعد فى الصومعة من احد دَرَجَيْه ونزل من الثانى ثم خرج الناصر وصلى ركعتَيْن فى المقصورة وانصرف، قال وكانت الاولى ذات مطلع واحد فصيّر لهذه مطلعَيْن فصل بينهما البناء فلا يلتقى الراقون فيها الا باعلاها تزيّد مراقى كل مطلع

a) La. O. ١٧٧. b) La. O. شان. c) La. O. متاسيين. d) G. L. S. مذهبه, La. مذهبنا. e) Ce mot manque dans G. et L. f) La. et O. ajoutent الصومعة.

منها على مائة سَبْعًا قال وخبر هذه الصومعة مشهور فى الاندلس وليس فى مساجد المسلمين صومعة تعدلها قال ابن سعيد قال ابن بشكوال هذا لانه لم يَرَ صومعة مرّاكش ولا صومعة اشبيلية اللتين بناهما المنصور من بنى عبد المومن فهما اعظم واطوَل لانه ذكر ان طول صومعة قرطبة الى مكان موقف المؤذّن ٥٤ ذراعا والى اعلى الرمّانة الاخيرة باعلى الزُجّ ٧٣ ذراعا وعرضها فى كل تربيع منها ١٨ ذراعا وذلك ٧٢ ذراعا قال ابن سعيد وطول صومعة مراكش ١١٠ اذرع وذكر ان صومعة قرطبة بصخام الحجارة القطعيّة a منجّدة غايةَ التنجيد وفى اعلى ذروتها ٣ شمسات يسمّونها رمّانات b مُلْصَقة فى السفّود البارز فى اعلاها من النحاس الثنتان منها ذهب ابريز والثالثة وُسْطَى بينهما من فضة اكسير وفوقها سوسنة من ذهب مسدّسة فوقها رمّانة ذهب صغيرة فى طرف الزجّ البارز باعلى الجوّ وكان تمام هذه الصومعة فى ١٣ شهرا، وذكر ابن بشكوال فى رواية ان موضع الجامع الاعظم بقرطبة كان حفرة عظيمة يطرح فيها اهلُ قرطبة قُمامتَهم وغيرها فلما قدم سليمن بن داوٗد عليهما الصلاة والسلام ودخل قرطبة قال للجنّ اْرْدموا هذا الموضع وعَدّلوا مكانه فسيكون فيه بيت يُعْبَد الله فيه ففعلوا ما امرهم به وبُنِي فيه بعد ذلك الجامع المذكور قال ومن فضائله ان الدارات الماثلة فى تزاويق سمائه مكتوبة كلها بالذكر والدعاء الى غيره باحكم صنعة انتهى، وذكر مصحف عثمن بن عفّان رضه الذى كان فى جامع قرطبة وصار الى بنى عبد المومن فقالوا هو مصحف امير المومنين عثمن بن عفان رضه مما خطّه بيمينه c وله عند اهل الاندلس شان عظيم انتهى وسنذكر فيه زيادة على هذا، واما الزهراء فهى مدينة الملك التى اخترعها امير المومنين عبد الرحمن الناصر لدين الله وقد تقدّم ذكره وهى من المدن العظيمة القدر الجليلة، قال ابن الفرضى وغيره كان يعمل فى جامعها حين شُرع فيه من حُذّاق الفَعَلة كلّ يوم الف نسمة منها ٣٠٠ بَنّاء ومائتا نَجّار وخمسمائة من الأُجَراء وسائر الصنائع فاستتمّ بنيانه واتقانه فى مدة من ٤٨ يوما وجاء فى غاية الاتقان من ٥ ابهاء عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشا المقصورة ٣٠ ذراعا وعرض البهو الاوسط من ابهائه من الشرق الى الغرب ١٣ ذراعا وعرض كل بهو من الاربعة المكتنفة له ١٢ ذراعا وطول صحنه المكشوف من القبلة الى

a) La. O. القطيعة. b) G. L. S. P. رماناته, La. O. رمانته. c) La. O. بيده.

الجوف ٤٣ ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب ٤١ ذراعا وجميعه مفروش بالرخام الخَمْرِىّ وفى وسطه فوّارة يجرى فيها الماء فطول هذا المسجد اجمع من القبلة الى الجوف سوى المحراب ٩٧ ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب ٥٩ ذراعا وطول صومعته فى الهواء ٤٠ ذراعا وعرضها ١٠ اذرع فى مثلها وامر الناصر لدين الله باتّخاذ منبر بديع لهذا المسجد فصُنع فى نهاية من الحسن ووُضع فى مكانه منه وحُظرت a حوله مقصورة b عجيبة c الصنعة وكان وضعُ هذا المنبر فى مكانه من هذا المسجد عند اكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة ٣٣٩ وفى صدر هذه السنة كمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصنعة التى جرى فيها الماء العذب من جبل قرطبة الى قصر الناعورة غربىّ قرطبة فى المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة يجرى ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة الى بركة عظيمة عليها اسد عظيم الصورة بديع الصنعة شديد الروعة لم يشاهَدْ أَبْهَى منه فيما صوّر الملوك فى غابر الدهر مطلىّ بذهب ابريز وعيناه جوهرتان لهما وَميض شديد يجوز هذا الماء الى عجز هذا الاسد فيمجّه فى تلك البركة من فِيهِ فيبهر الناظر بحسنه وروعة منظره وثجاجة صبّه فتُسْقَى من مجاجه جنانُ هذا القصر على سعتها ويستفيض على ساحاته وجنباته ويُمَدّ النهر الاعظم بما فضل منها فكانت هذه القناة وبركتها والتمثال الذى يصبّ فيها من اعظم آثار الملوك فى غابر d الدهر لبُعْد مسافتها واختلاف مسالكها وفخامة بنيانها وسموّ ابراجها التى يترقّى الماء فيها e ويتصوّب من اعاليها وكانت مدة العمل فيها من يومِ ابتدأتْ من الجبل الى ان وصلتْ اعنى القناة الى هذه البركة ١٤ شهرا وكان انطلاق الماء فى هذه البركة الانطلاقَ الذى اتّصل واستمرّ يومَ الخميس غرّة جمادى الآخرة من السنة وكانت للناصر فى هذا اليوم بقصر الناعورة دعوة حسنة افضل فيها على عامّة اهل مملكته ووصل المهندسين والقُوّام بالعمل بصلات حسنة جزيلة، واما مدينة الزهراء فاستمرّ العمل فيها من عام ٣٢٥ الى آخر دولة الناصر وابنه الحكم وذلك نحوٌ من ٤٠ سنة ولما فرغ من بناء *مسجد الزهراء f على ما وُصف كانت اول جماعة صُلّيت فيه صلاة المغرب من ليلة الجمعة لثمان بقين من شعبان وكان الامامُ القاضىَ ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى عيسى ومن الغَد صلى الناصر فيه

a) G. L. S. وخطرت. b) S. ajoute عظيمة. c) La. O. بديعة. d) G. L. S. La. غالب.
e) Les man. portent منها. f) La. قصر الزهراء ومسجدها.

الجمعة واول خطيب خطب a به b القاضى المذكور ولما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهى فى الجلالة والفخامة اطبق الناسُ على انه لم يُبْنَ مثله فى الاسلام البتّةَ وما دخل اليه قط احد من سائر البلاد النائية والنِحَل المختلفة من ملك وارد ورسول وافد وتاجر جِهْبِذ وفى هذه الطبقات من الناس تكون c المعرفة والفطنة الّا وكلّهم قطع انه لم يَرَ له شبهًا بل لم يسمع به بل لم يتوهّم كونَ مثله حتى انه كان اعاجب ما يؤمّله القاطعُ الى الاندلس فى تلك العصور النظر اليه والتحدُّث عنه والاخبار عن هذا تتّسع جدًّا والادلّة عليه تكثر ولو لم يكن فيه الا السطح الممرَّد المُشْرِف على الروضة المُباهى بمجلس الذهب والقبّة وعجيبُ ما تضمّنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمّة وحسن المستشرَف وبراعة الملبس والحلّة ما بين مرمر مسنون، وذهب موضون،، وعُمُد كانما أُفرغت فى القوالب ونقوش كالرياض، وبرك عظيمة محكمة الصنعة وحياض،، وتماثيل عجيبة الاشخاص لا تهتدى الاوهامُ الى سبيل استقصاء التعبير عنها فسبحان الذى اقدر هذا المخلوقَ الضعيف على ابداعها واختراعها من اجزاء الارض المنحلة d كيما يُرى الغافلين عنه من عباده مثالا لما اعدّه لاهل السعادة فى دار المقامة التى لا يتسلّط عليها الفناء ولا تحتاج الى الرَمّ، لا اله الا هو المنفرد بالكرم،، وذكر المؤرّخ ابو مروان بن حيّان صاحب الشرطة ان مبانى قصر الزهراء اشتملت على ٤ آلاف سارية ما بين كبيرة وصغيرة حاملة ومحمولة ونيف هو ثنتا عشرة على ثلثمائة سارية *وذكر ايضاء e ان منها ما جُلب من مدينة رومة ومنها ما اهداه صاحب القسطنطينية وان مصارع ابوابها صغارها وكبارها كانت تنيف على ١٥ الف باب وكلها مُلْبَسة بالحديد والنحاس المموّه والله اعلم فانها كانت من اهوَل ما بناه الانْس واجلّه خطرًا واعظمه شانا انتهى، قلتُ فسّر بعضهم ذلك النيّف فى كلامه بثلثٍ عشرة والله اعلم، وقال بعض من ارّخ الاندلس كان عدد الفتيان بالزهراء ١٣ الف فتى وسبعمائة وخمسين فتى ودخالتهم من اللحم فى كل يوم حاشا انواع الطير والحوت ١٣ الف رطل وعدّة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ٩ آلاف وثلثمائة امرأة واربع عشرة انتهى، وقيل ان عدد الفتيان الصقالبة ٣ آلاف وسبعمائة وخمسون وجعل

a) Ce mot manque dans G. L. et O. *b*) La. O. فيه. *c*) La. O. من تكون له. *d*) Ce mot est peut-être altéré. *e*) Il y a ici un blanc dans G. P. et S.; La. O. ونيف هو ..٣ سارية وستة عشرة قال منها الخ ☆

بعض مكانَ الخمسين ٨٧ وقال آخر ٩ آلاف صقلبى وسبعة وثمانون والمرتّب من الخبز لحيتان بُحيرة الزهراء ١٢ الف خبزة كل يوم ويُنْقَع لها من الحمّص الاسود ٩ أَقْفِزة كل يوم انتهى، ثم قال الاول وكان لهؤلاء من اللحم ١٣ الف رطل يقسم من ١٠ ارطال للشخص الى ما دون ذلك سوى الدجاج والحَجَل وصنوف الطير وضروب الحيتان انتهى، وقال ابن حيان الفيثُ بخطّ ابن دحون*a* الفقيه قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بنيان*b* الزهراء اول سنة ٣٢٥ وكان مبلغ ما يُنْفَق فيها كل يوم من الصخر المنحوت*c* المعدَّل ٩ آلاف صخرة سوى الصخر المصرَّف فى التبليط فانه لم يدخل فى هذا العدد وكان يخدم فى الزهراء كل يوم الف واربعمائة بغل وقيل اكثر منها اربعمائة زوامل الناصر لدين الله ومن دوابّ الاكرياء*d* الراتبة للخدمة الف بغل لكل بغل منها ٣ مثاقيل فى الشهر يجب لها فى الشهر ٣ آلاف مثقال وكان يَرِدُ الزهراء من الجَيّار والجصّ فى كل ثالث من الايام الف ومائة حمل وكان فيها حمّامان واحد للقصر وثانٍ للعامّة وذكر بعض اهل الخدمة فى الزهراء انه قدّر النفقة فيها فى كل عام بثلثمائة الف دينار مدةً من ٢٥ عاما التى بقيت من دولة الناصر من حين ابتدائها*e* لانه توفّى سنة ٥٠ فحصّل جميع الانفاق فيها فكان مبلغه ١٥ بيت مال قال وجلب اليها الرخام من قرطاجنّة وافريقية وتونس وكان الذين يجلبونه عبد الله بن يونس عريف البنّائين وحسن * ابن محمد*f* وعلى بن جعفر الاسكندرانى وكان الناصر يصلهم على كل رخامة صغيرة وكبيرة*g* بعشرة دنانير انتهى، وقال بعض ثقات المؤرّخين انه كان يصلهم على كل رخامة صغيرة بثلثة دنانير وعلى كل سارية بثمانية دنانير * قال*h* وكان عدد السوارى المجلوبة من افريقية الف سارية وثلث عشرة سارية ومن بلاد الافرنج ١٩ سارية واهدى اليه ملك الروم ١٤٠ سارية وسائرها من مقاطع الاندلس ترّكونة وغيرها فالرخام المجزّع من رَيّة والابيض من غيرها والوردىّ والاخضر من افريقية من كنيسة اسْفاقُس واما الحوض المنقوش المذهّب الغريب الشكل الغالى القيمة فجلبه اليه احمد اليونانى من القسطنطينية مع ربيع الاسقف القادم من ايلياء واما الحوض الصغير الاخضر المنقوش

a) G. دخون, La. دحين. *b*) La. O. بعمارة. *c*) G. L. S. المنجور, La. O. المنحوت. *d*) La. O. الاكرية. *e*) G. L. S. O. ابتداها. *f*) Ces deux mots ne se trouvent que dans La. *g*) G. L. S. بكبيرة. *h*) Il y a ici une lacune dans G. et S.; La. O. قيل.

بتماثيل الانسان فجلبه احمد من الشام وقيل من القسطنطينية مع ربيع الاسقف ايضا وقالوا انه لا قيمة له *قرطَ غرابةٍ a وجمال وحُمل من مكان الى مكان حتى وصل الى البحر ونصبه الناصر فى بيت المنام فى المجلس الشرقى المعروف بالمونس وجعل عليه ١٢ تمثالا من الذهب الاحمر مرصّعة بالدرّ النفيس الغالى مما عُمل بدار الصناعة بقرطبة صورة اسد الى جانبه غزال الى جانبه تمساح وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل b وفى المجنّبتين حمامة وشاهين وطاوس ودجاجة وديك وحدأة ونسر وكل ذلك من ذهب مرصّع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من افواهها وكان المتولّى لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم لم يتّكل فيه الناصر على امين غيره وكان يُخْبَز على ايامه فى كل يوم برسم حيتان البحيرات ٨٠٠ خبزة وقيل اكثر الى غير ذلك مما يطول تتبّعه، *وكان c الناصر كما قدّمْنا قسم الجباية اثلاثًا ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدّخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى ٥ آلاف الف واربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلَص ٨٠٠ الف وخمسة وستين الف دينار واما اخماس الغنيمة d فلا يحصيها ديوان وقد سبق هذا كله وانما كرّرْتُه لقول بعضهم اثرَ حكايته له ما صورتُه وقيل ان مبلغ تحصيل النفقة فى بنيان الزهراء مائة مُدْى من الدراهم القاسميّة بكيل قرطبة وقيل ان مبلغ النفقة فيها بالكيل المذكور ٨٠ مديا وستة اقفزة من الدراهم المذكورة واتّصل بنيان الزهراء ايامَ الناصر ٢٥ سنة شطرَ خلافته ثم اتّصل بعد وفاته e خلافةَ ابنه الحكم كلها وكانت ١٥ عاما واشهرًا فسبحان الباقى بعد فناء الخلق لا اله الا هو انتهى، وقال ابن اصبغ f الهمدانى والفتح g فى المطمح كان الناصر كَلِفا بعمارة الارض واقامة معالمها وانبساط *مياهها h واستجلابها من ابعد بقاعها وتخليد الآثار الدالّة على قوّة الملك وعزّة السلطان وعلوّ الهمّة فانتضى i به الاغْراق فى ذلك الى ان ابتنى مدينة الزهراء البناءَ الشائعَ ذكرُه الذائعَ j

---

a) S. قرط غرابة, G. L. P. قرط غراية, La. O. قط غرابة وجمالا. b) Les man. portent وقيل. c) Il y a ici un blanc dans G. et S.; L. قال وكان. d) P. الغيمة, G. S. العظيمة, L. الاخماس العظيمة. e) La. مماته. f) C'est ainsi que je crois devoir lire; voyez, dans le v^e livre, l'article sur منذر بن سعيد. La. O. البديع, L. حيان. Dans G. S. et P. le mot est resté en blanc. g) G. P. S. O. والشيخ. h) Dans G. P. et S. il y a ici une lacune, que j'ai remplie d'après les man. du *Matmah*. Al-Makk. L. امرها, La. O. مجاهلها. i) G. L. S. P. فامضى, La. O. فانتهى. j) *Al-Mat.* الزائع (*sic*), al-Makk. الزائد.

خبرهa المنتشرة فى الارض اثرهb واستفرغ وُسْعهc فى تنميقها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها فانهمك فى ذلك حتى عطّل شهودَ الجمعة بالمسجد الجامع الذى اتّخذه جُمَع متوالية فاراد القاضى منذر ان يغضّ منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطاب والحكمة والتذكرة بالانابة والرجعةe فابتدأ اول خطبته بقوله تع أَتَبْنُون بكل رِيعٍ الى قوله تع تكنْ من الواعظينf ثم وصله بقوله فمتاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتّقى، وهى دار القرار ومكان الجزاء،، ومضى فى ذمّ تشييد البنيان والاستغراق فى زخرفته والاسراف فى الانفاق عليه بكلام جَزْل وقول فَصْل *قال الحاكى g فجرى فيه طلقًا وانتزع فيه قوله تع أَفمن اسّس بنيانه الى آخر الآية الى حكيمh واتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت والتحذير من فجاءته والدعاء الى الزهد فى هذه الدار الفانية والحضّ على اعتزالها والرفض لها والندب الى الاعْراض عنها والاقْصار عن طلب اللذّات ونهى النفس عن اتّباع هواهاi فأَسْهَبَ فى ذلك كله واضاف اليه من آى القرآن ما يطابقه وجلب من الحديث والاثر ما يشاكله حتى اذّكر مَنْ حضره من الناس وخشعوا ورقّوا واعترفوا وبكوا وضجّوا ودعوا واعلنوا التضرّع الى الله فى التوبة والابتهال فى المغفرة واخذ خليفتهم من ذلك باوفر حظّ وقد علم انه المقصود به فبكى وندم على ما *سلف لهj من فرطه واستعاذ بالله من سخطه الّا انه وجد على منذر لغلظ ما قرّعهk به فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال والله لقد تعمّدنى منذر بخطبته وما عنى بها غيرى فاسرف علىّ وافرط فى تقريعى l ولم يُحْسِن السياسة فى وعظى فزعزعm قلبى وكاد بعصاه يقرعنى واستشاط غيظا عليه فاقسم ألّا يصلّى خلفه صلاة الجمعة خاصّةً فجعل يلتزم صلاتها وراء احمد بن مطرّف صاحب الصلاة بقرطبة ويجانب الصلاة بالزهراء وقال له الحكم فما الذى يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال بغيره منه اذ كرهته فزجره وانتهره وقال له

---

a) L. فخره. Dans G. P. et S. ce mot est resté en blanc ; la lacune n'est pas indiquée dans La. O. b) La. ajoute فخره , O. ذكره. c) Il y a ici une lacune dans G. P. et S ; La. et O. ne l'indiquent pas. L. خبره وقال. d) *Al-Maḳ.* L. وجده , al-Makkk. La. O. جهده. e) La. O. والرجوع. f) *Al-Korân*, sour. 26, vs. 128—136. g) J'ai rempli ainsi, d'après L., la lacune que l'on trouve dans G. P. et S. Les man. La. et O. ne l'indiquent pas. h) *Al-Kor.*, sour. 9, vs. 110—112. i) La. O. الهوى. j) La. O. ناله. k) *Al-Maḳ.* R., al-Makkk. تقرعه. l) G. تفزيعى , La. O. تقريعى وتفزيعى. m) S. ففزع.

أَمْثُلُ منذر بن سعيد فى فضله وخيره وعلمه لا أُمَّ لك يُعْزَل لِإِرْضاء نفس ناكبة عن الرشد سالكة غير القصد هذا ما لا يكون وانّى لأَسْتحى من الله أَلّا اجعل بينى وبينه فى صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر فى ورعه وصدقه ولكنه احرجنى فاقسمتُ ولَوددتُ انّى أَجِدُ سبيلا الى كفّارة يمينى بملكى بل يصلّى بالناس حياتَه وحياتَنا ان شاء الله فما اظنّنا نعتاض*a* منه ابدًا وقيل ان الحكم اعتذر عمّا قال منذر وقال يا امير المومنين انه رجل صالح وما اراد الا خيرا ولو راى ما انفقتَ*b* وحسن تلك البنية لَعذرك فامر حينئذ الناصر بالقصور ففُرشت وفُرش ذلك المجلس باصناف فُرُش الديباج وامر بالاطعمة وقد احضر العلماء*c* ......*d* وغصّ بهم المجلس فدخل منذر فى آخرهم فاوماً اليه*e* الناصر ان يقعد بقربه فقال يا امير المومنين انما يقعد الرجل حيث انتهى به المجلس ولا يتخطّى الرقاب فجلس فى آخر الناس وعليه ثياب رثّة »

ثم ذكر هذا القائل بعد هذا من كلام منذر ما ياتى قريبا وقحط الناسُ آخرَ مدة الناصر فامر القاضى منذر المذكور بالبروز الى الاستسقاء بالناس فتأهّب لذلك وصام بين يديه اياما ثلثا تنفّلا وانابةً ورهبةً واجتمع له الناس فى مصلّى الربض بقرطبة بارزين الى الله تعَ فى جمع عظيم وصعد الخليفة الناصر فى اعلى مصانعه المرتفعة من القصر ليشارِفَ الناسَ ويشاركهم فى الخروج الى الله والضراعة له فابطأَ القاضى حتى اجتمع الناس وغصّتْ بهم ساحةُ المصلّى ثم خرج نحوهم ماشيا متضرّعا مُخْبِتًا متخشّعا وقام ليخطب فلما راى بدارَ الناس الى ارتقائه واستكانتهم من خيفة الله واخْباتهم له وابتهالهم اليه رقّت نفسُه وغلبتْه عيناه فاستعبر وبكى حينا ثم افتتح خطبته بان قال يأيّها الناس سلام عليكم ثم سكتَ ووقف شبهَ الحَصِر ولم يك من عادته فنظر الناس بعضهم الى بعض لا يدرون ما عراه ولا ما اراد بقوله ثم اندفع تاليا لقوله تعَ كتب ربُّكم على نفسه الرحمةَ الى رحيم*f* ثم قال استغفروا ربّكم انه كان غفّارا استغفروا ربّكم ثم تُوبُوا اليه وتزلّفوا بالاعمال الصالحة لديه »» قال الحاكى فضجّ الناس بالبكاء وجأروا بالدعاء ومضى على تمام خطبته ففزّع النفوس بوعظه

---

a) *Al-Mat*. R., al-Makk. L. La. نغتاظ , G. نغتاض , O. نعتاص. *b*) Je crois qu'il faut lire اتقنت. *c*) O. العظماء. *d*) Il y a ici dans G. P. et S. une lacune, que le copiste du man. L. a remplie en ajoutant وغيرهم من الموالى. *e*) Les man. portent به. *f*) *Al-Kor*., sour. 6, vs. 54.

وانبعث الاخْلاص بتذكيره فلم ينقص a النهار حتى ارسل الله السماء بماء منهمر روى الثرى وطرّد المَحْل وسكّن الأَزْل والله لطيف بعباده وكان لمنذر فى خُطَب الاستسقاء استفتاح عجيب ومنه ان قال يوما وقد سرّح طرفه فى ملأ الناس عند ما شخصوا اليه بابصارهم فهتف بهم كالمُنادى يايها الناس وكرّرها ثلثًا عليهم مُشيرا بيده فى نواحيهم انتم الفقراء الى الله الى بعزيز b فاشتدّ وجد الناس وانطلقت اعيُنُهم بالبكاء ومضى فى خطبته *وقيل ان c الخليفة الناصر *طلبه d مرّةً للاستسقاء *واشتدّ e عزمُه عليه فتسابق الناس للمصلّى فقال للرسول وكان من خواصّ الناس ليت شعرى ما الذى يصنعه الخليفة سيدنا فقال له ما رايناه قط اخشعَ منه فى يومنا هذا انه منتبذ حائر منفرد بنفسه لابس اخشّ الثياب مفترش التراب وقد رمّد به على راسه وعلى لحيته وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول هذه ناصيتى بيدك أَتراك تعذِّب الرعيّة وانت احكم الحاكمين لن يفوتك شئ منّى قالَ الحاكى فتهلّل وجه القاضى منذر عند ما سمع قوله وقال يا غلام اَحْمِلِ المطر معك فقد اذن الله تعالى بالسقيا اذا خشع جبّارُ الارض فقد رحم جبّارُ السماء وكان كما قال فلم ينصرف الناس الا عن السقيا وكان منذر شديد f الصلابة فى احكامه والمهابةِ فى أَقْضيته وقوّة الخلوة والقيام بالحقّ فى جميع ما يجرى على يده لا يهاب g فى ذلك الاميرَ الاعظم فمَنْ دونه، قالَ ابن الحسن النباهى واصله فى المطمح وغيره ومن اخبار منذر المحفوظة له مع الخليفة النَاصر فى انكاره عليه الاسرافَ فى البناء ان الناصر كان قد اتّخذ لسطح القُبَيْبة h المصغَّرة الاسم للخصوصية التى كانت مائلة i على الصرح الممرَّد المشهور شانُه بقصر الزهراء قراميدَ ذهب وفضة انفق عليها مالا جسيما وقَرْمَدَ سقفها به وجعل سقفها صفرا فاقعة الى بيضا ناصعة تسلب j الابصارَ بأشعّة نورها وجلس فيها اثرَ تمامها يوما لاهل مملكته فقال لقرابته ومَنْ حضر من الوزراء واهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع ما يتّصل به من البدائع الفتّانة هل رايتم او سمعتم ملكا كان قبلى فعل مثل

---

a) Les man. portent ينقض. b) *Al-Kor.*, sour. 35, vs. 16—18. c) Ces mots sont restés en blanc dans G. P. S. et O.; L. ومنه أن. d) Il y a ici une lacune dans G. P. et S.; La. O. خرج. e) La. O. واسرع. Dans G. P. et S. il y a une lacune. f) Dans G. P. et S. ce mot est resté en blanc. Les man. du *Mat.* portent من ذوى الصلابة. g) Al-Makk. يهب. h) *Al-Mat.* P. العنبسة (?). i) G. S. La. O. ماثلة. j) La. تستلب, S. فتسلب, G. L. فتستلب ☆

هذا او قدّر عليه فقالوا لا والله يا امير المومنين وانك لاوحدُ فى شانك كله وما
سبقك الى مبتدعاتك هذه ملك رايناه ولا انتهى الينا خبره فابهجه قولهم وسرّه
وبينما هو كذلك اذ دخل عليه القاضى منذر بن سعيد وهو ناكس الراس فلما اخذ
مجلسه قال له كالذى قال لوزرائه من ذكر السقف المذهّب واقتداره على ابداعه
فاقبلتْ دموع القاضى تنحدر على لحيته وقال له والله يا امير المومنين ما ظننتُ
ان الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكّنه a من قيادك هذا التمكين b
مع ما اتاك الله من فضله ونعمته وفضّلك به على العالمين حتى يُنْزِلك منازل الكافرين
قال فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال له انظرْ ما تقول وكيف انزلنى c منزلتَهم قال نعم
أَليس الله تعّ يقول ولولا ان يكون الناس امّةً واحدة الآيةَ d فوجم الخليفة واطرق
مليًّا ودموعه تتساقط خشوعا لله * قال الحاكى e ثم اقبل على منذر وقال له جزاك
الله يا قاضى خيرا عنّا f وعن الدين والمسلمين اجلّ جزائه وكثّر فى الناس أَمْثالك
فالذى قلتَ هو الحقّ وقام عن مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعّ وامر بنقض سقف
القبّة واعاد قرمدها ترابًا على صفة غيرها، انتهى ما حكاه ابن الحسن النباهى
ولنذكرْ هذه الحكاية وغيرها وان خالَفَ السياقُ ما سبق وهذا منقول من كلام
الحجارى فى المُسْهِب، فى اخبار المغرب،، فانه اتمُّ فائدةً اذ قال رحّه دخل منذر
ابن سعيد يوما على الناصر بانى الزهراء وهو مُكِبٌّ على الاشتغال بالبنيان فوعظه
فانشده عبد الرحمن الناصر

هِمَمُ الملوك اذا ارادوا ذكرَها ... من بعدهم فبالسُن البنيانِ
أَوَما ترى الهرمَيْن قد بقيا وكم ... ملك محاه حوادثُ الازمانِ
ان البناء اذا تعاظم قدرُه g ... اضحى يدلّ على عظيم الشانِ

قال فما ادرى أَهذا شعره ام تمثّل به فان كان شعره فقد بلغ به الى غاية الاحسان
وان كان تمثل به فقد استحقّه بالتمثيل به فى هذا المكان وكان منذر يكثر
تعنيفه على البنيان ودخل عليه مرةً وهو فى قبة قد جعل قرمدها من ذهب وفضة
واحتفل فيها احتفالا ظنّ ان احدا من الملوك لم يصلْ اليه فقام خطيبا والمجلس

---

a) La. O. يتمكن. b) La. O. التمكن. c) La. O. S. انزلتنى. d) *Al-Kor.*, sour. 43, vs. 32. e) J'ai rempli, d'après L., la lacune que l'on trouve dans G. P. et S.; La. et O. ne l'indiquent pas. f) G. L. et S. ajoutent وعن نفسك. g) G. L. S. O. شانه.

قد غصّ بارباب الدولة فتلا قوله تع ولولا ان يكون الناس امّةً واحدةً لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفا من فضة الآيةَ وأَتْبَعَها بما يليق بذلك فوجم الملك واظهر الكآبة ولم يسعْه الا الاحتمالُ لمنذر بن سعيد لعظم قدره فى علمه ودينه وحضر معه يوما فى الزهراء فقام الرئيس ابو عثمن بن ادريس فانشد الناصر قصيدة منها

سيشهد ما ابقيتَ انك لم تكن مُضيعًا وقد مكّنْتَ للدين والدنيَا
فبالجامع المعمور للعلم والتُقَى وبالزهرة الزهراء *a* للملك *b* والعليَا

فاهتزّ الناصر وابتهج واطرق منذر بن سعيد ساعةً ثم قام منشدًا

يا بانِيَ الزهراء مستغرقا اوقاتَه فيها أَمَا تمهلُ
لله ما احسَنَها رونقا لو لم تكن زهرتُها تذبلُ

فقال الناصر اذا هبّ عليها *c* نسيمُ التذكار والحنين وسقتْها مدامعُ الخشوع يا ابا الحكم لا تذبل ان شاء الله تع فقال منذر اللهمّ اشهد انى قد بثثتُ ما عندى ولم آلُ نصحًا انتهى، ولقد صدق القاضى منذر رحمه فيما قال فانها ذبلتْ بعد ذلك فى الفتنة، وقُلِب *d* ما كان فيها من منْحة محْنةً،، وذلك عند ما ولى الحجابةَ عبد الرحمن بن المنصور بن ابى عامر الملقّب بشنجول وتصرّف فى الدولة مثل ما تصرّف اخوه المظفّر وابوهما المنصور ما ساء التدبير، ولم يميّز بين القبيل والدبير،، فدسّ الى المؤيّد هشام بن الحكم مَنْ خوّفه منه حتى ولّاه عهدَه كما بيّنّا نصّ العهد فيما سبق فاطبق الخاصّة والعامّة على بغضه واضْمار السوء له وذلك سنة ٣٩٨ فعند ذلك خرج عليه محمد بن هشام بن عبد الجبّار بن الناصر سنة ٩٩ وتلقّب بالمهدى وخلع المؤيد وحبسه واسلمت الجيوشُ شنجول فأُسر وقُتل، قال ابن الرقيق ومن اعاجب ما رُءِىَ انه من نصف نهار يوم الثلاثاء لاربع بقين من جمادى الآخرة الى نصف نهار يوم الاربعاء فُتحت قرطبة وهُدمت الزهراء وخُلع خليفة وهو المؤيد وولى خليفة وهو المهدى وزالت دولةُ بنى عامر العظيمة وقُتل وزيرهم محمد بن عسقلاجة واقيمت جيوش من العامّة ونُكب خلف من الوزراء وولى الوزارة آخرون وكان ذلك كله على يده *e* ١٠ رجال فحّامين وجزّارين وزبّالين وهم جند المهدى هذا انتهى، وقد تقدم بعض الكلام على المهدى هذا وهو الذى قيل فيه لما قام على الدولة قد

a) La. O. العلياء. *b*) La. للحكم. *c*) S. علينا. Ce mot manque dans G. et L. *d*) Les man. portent وقل. *e*) G. P. S. La. O. يدى.

قام مهديًّنا ولكن   الابيات، ومن شعر المهدى هذا وقد حيّاه فى مجلس شرابه غلام بقضيب آس

اهديتَ شبهَ قوامك الميّاس   غصنًا رطيبا ناعما من آسِ
وكانما يحكيك فى حركاته   وكانما تحكيه فى الانفاسِ

وقد ذكرنا فيما سبق فى الفصل الثالث خبر المهدى هذا وقتله ولقد كان قيامه مشئوما على الدين والدنيا فانه فاتح ابواب الفتنة بالاندلس وماحى معالمها حتى تفرّقت الدولة وانتثر السلك وكثر الرؤساء وتطاول العدوّ اليها واخذها شيئًا فشيئًا حتى محا اسم الاسلام منها اعادها الله، وقد المّ الولىّ ابن خلدون فى تاريخه بذكر الزهراء فى جملة مبانى الناصر فقال ما نصّه ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد القصور والمبانى وكان جدّه الامير محمد وابوه عبد الرحمن الاوسط وجدّه الحكم قد احتفلوا a فى ذلك وبنوا قصورهم على اكمل الاتقان والضخامة وكان فيها المجلس الزاهر والبهو والكامل والمُنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم وسمّاه دار الروضة وجلب الماء الى قصورهم واستدعا عرفاء المهندسين والبنّائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ثم اخذ فى بناء المنتزهات فاتّخذ منية الناعورة خارجَ القصور وساق لها الماء من اعلى الجبل على ابعد مسافة ثم اختطّ مدينة الزهراء واتّخذها لنزله وكرسيًّا لملكه وانشأ فيها من المبانى والقصور والبساتين ما عفى على مبانيهم الاولى واتّخذ فيها محلّات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارحَ للطيور مظلّلة بالشباك واتّخذ فيها دُورًا لصناعة الآلات من آلات السلاح للحرب والحلى للزينة وغير ذلك من المهَن وامر بعمل الظُلّة على صحن الجامع بقرطبة وقايةً للناس من حرّ الشمس انتهى، واما الزاهرة فهى من بناء المنصور محمد بن ابى عامر قال ابن خلدون فى اثناء كلامه على المنصور ما صورتُه وابتنى لنفسه مدينة لنزله سماها الزاهرة ونقل اليها جزءًا من الاموال والاسلحة انتهى، وقال غيره واظنّه صاحب المطمح b وفى سنة ٣٦٨ امر المنصور بن ابى عامر ببناء الزاهرة. وذلك عند ما استفحل امرُه، واتّقد جمرُه،، وظهر استبدادُه، وكثر حُسّادُه وأنْدادُه c،، وخاف على نفسه فى الدخول الى قصر السلطان، وخشى أن يقع فى اشطان،،

a) Les man. portent اختلفوا.   b) Ce passage ne se trouve pas dans les man. du *Matmah*, mais voyez le *Bayān al-moghrib*, t. II, p. ٢٩٤.   c) La. O. واضداده.

فتوثّق لنفسه، وكُشف له ما سُتر عنه فى امسه،، من الاعتزاز عليه، ورفع الاستناد اليه،، وسما الى ما سَمَتْ اليه الملوكُ من اختراع قصر ينزل فيه، ويحلّه باهله وذويه،، ويضمّ اليه رياسته، ويُتمّ به تدبيره وسياسته،، ويجمع فيه فتيانه، وغلمانه،، فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة، الموصوفة بالقصور الباهرة،، واقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم، ونسق فيها كلّ اقتدار مُعْجِز ونظم،، وشرع فى بنائها فى هذه السنة المؤرّخة وحشد الصُنّاع والفَعَلة وجلب اليها الآلات الجليلة، وسَرْبَلَها بهاءً يردّ الاعيُنَ كليلة،، وتوسّع فى اختطاطها، وتولّع بانتشارها فى البسيطة وانبساطها،، وبالَغ فى رفع اسوارها، وثابَرَ على تسوية انجادها واغوارها،، فاتّسعتْ هذه المدينة فى المدّة القريبة، وصار بناؤها من الابنية a الغريبة،، وبنى مُعْظَمها فى عامَيْن وفى سنة ٣٧٠ انتقل المنصور اليها. ونزلها بخاصّته، وعامّته،، فتبوّأها وشحنها بجميع أَسْلحته، وامواله وأَمْتعته،، واتّخذ فيها الدواوين والاعمال وعمل فى داخلها الأَهْراء، واطلق بساحتها الارحا، ثم اقطع ما حولها لوزرائه وكُتّابه، وقُوّاده وحُجّابه،، فابتنوا بها كبار الدُور، وجليلات القصور،، واتّخذوا خلالها المستغَلّات المفيدة، والمنازه المشيدة،، وقامت بها الاسواق، وكثرت فيها الارفاق،، وتنافس الناسُ فى النزول باكنافها، والحلول باطرافها،، للدنوّ من صاحب الدولة، وتناهَى الغلوّ فى البناء حوله،، حتى اتّصلت ارباضها بارباض قرطبة وكثرت بحوزتها العمارة، واستقرّت فى بحبوحتها الامارة،، وافرد الخليفة من كل شىء الا من الاسم الخلافى، وصيّر ذلك هو الرسم العافى،، ورتّب فيها جلوس وزرائه، ورءوس امرائه،، وندب اليها كل ذى خطّة بخطّته، ونصب ببابها كرسىّ شرطته،، واجلس عليها واليا على رسم كرسىّ الخليفة، وفى صفة b تلك المرتبة المنيفة،، وكتب الى الاقطار بالاندلس والعدوة بان تُحمل الى مدينته تلك اموال الجبايات، ويقصدها c اصحاب الولايات،، وينتابها طُلّاب الحوائج، وحذر ان يعوج عنها الى باب الخليفة عائج،، فاقتضيت لديها d اللُّبانات، والاوطار، وانحشد الناس اليها من جميع الاقطار،، وتمّ لمحمد بن ابى عامر ما اراد، وانتظم بلبّة امانيّه المُراد،، وعطّل قصر الخليفة من جميعه، وصيّره بمَعْزِل من سامعه ومُطيعه،، وسدّ باب قصره عليه، وجدّ فى خبر ألّا يصل اليه،، وجعل فيه ثقةً من صنائعه يضبط القصر، ويبسط فيه

a) G. L. S. الابنا , P. الانبا , La. O. فرداً فى الابنية. b) La. O. ورسم. c) G. L. S. ويقصد , La. O. وتقصد. d) Al-Makk. اليها.

النهى والامر، ويُشْرِف منه على كل داخل، ويمنع ما يحذره من الدواخل، ورتّب عليه الحُرّاس والبوّابين، والسُمّار والمنتابين، يلازمون حراسةَ مَنْ فيه ليلا ونهارا، ويراقبون حركاتهم سرًّا وجهارا، وقد حجر على الخليفة كل تدبير، ومنعه من تملُّك قبيل او دبير، واقام الخليفة هشام مهجورَ الفنا، محجور[a] الغنا، خفيَّ الذكر، عليل الفكر، مسدود الباب، محجوب الشخص عن الاحباب، لا يراه خاصٌّ ولا عامٌّ، ولا يُخاف منه باس ولا يُرْجَى منه انعام، ولا يعهد منه[b] الا الاسم السلطانى *فى السكّة[c] والدعوة وقد نسخه ولبس ابّهته، وطمس بهجته، واغنى الناسَ عنه، وازال اطماعهم منه، وصيّرهم لا يعرفونه، وامرهم انهم[d] لا يذكرونه، واشتدّ ملك محمد بن ابى عامر منذ نزل قصر الزاهرة وتوسّع مع الايام فى تشييد ابنيتها[e] حتى كملتْ احسنَ كمال، وجاءتْه فى نهاية الجمال، تفاوُتَ[f] بنا، وسعةَ فنا، واعتدالَ هواء رقّ اديمُه، وصقالةَ جوّ اعتلّ[g] نسيمُه، ونضرةَ بستان، وبهجةً للنفوس فيها افتتان، وفيها يقول صاعد اللُّغَوى

يـا ايُّها الملك المنصور من يَمَنٍ … والمبتنى نسبا غير الذى انتسبا
بغزوة فى قلوب الشرك رائعة[h] … بين المنايا تُناغى السُمْرَ والقُضُبا
اما ترى العين تجرى فوق مرمرها … *زهوًا فتُجْرِى[i] على أَحْفافها[j] الرُطَبا[k]
اجريتَها فطما الزاهى بجريتها … كما طموتَ فسُدتَّ العُجْمَ والعربا
تخال فيه جنودَ الماء رافلةً … مستلْئمات تُريك الدرعَ واليَلَبا
تحفّها من فنون الأَيْك زاهرة … قد اورقتْ فضّةً اذ اثمرتْ[l] ذهبا
بديعة الملك ما ينفكّ ناظرُها … يتلو على السمع منها آيةً عجبا
لا يُحْسِن الدهر ان يُنْشى لها مثلا … ولو تعنّت فيها نفسه طلبا

ودخل عليه ابن ابى الحباب فى بعض قصوره من المنية المعروفة بالعامريّة والروض قد تفتّحت انوارُه، وتوشّحت انجادُه واغوارُه، وتصرّف فيها الدهر متواضعا، ووقف بها السعد خاضعا، فقال

---

a) Al-Makk. معجوز. b) Al-Makk. فيه. c) G. L. S. السكة. d) Ce mot manque dans S. La. et O. e) G. L. S. O. بنيتها. f) G. L. S. نقاوة, P. تفاوة. g) G. L. S. La. اعتدل. h) L. S. La. O. رائعة. i) Al-Makk. هوى فيجرى. j) L. La. اخفافها, *al-Bayān al-M.* احسائها. k) P. S. et le *Bayān al-M.* الطربا. l) Al-Makk. اورقت.

لا يومَ كاليوم فى ايامك الأُوَلِ   بالعامريّة ذات الماء والظُلَلِ
هواؤها فى جميع الدهر معتدل   طيبا وان حلّ فصلٌ غير معتدلِ
ما انْ يبالى الذى يحتلّ ساحتها   بالسعد أَلّا تحلّ الشمسُ بالحَمَلِ a

وما زالت هذه المدينة رائقةً والسعود بلبّتها متناسقة، تراوحها الفتوحُ وتغاديها، وتُجلب اليها منكسرةً اعاديها، لا تزحف عنها راية الّا الى فتح، ولا يصدر عنها تدبير الّا الى نجح، الى ان حان يومُها العصيب، وقُيّض لها من المكروه اوفرُ b نصيب، فتولّتْ فقيدةً، وخلتْ من بهجتها كل عقيدة، انتهى، وقد حكى الحُمَيْدى فى جذوة المقتبس هذه الحكاية الواقعة لابن ابى الحباب بزيادة فقال بعد ان ذكر هذه المنية العامرية التى الى جانب الزهراء ان ابا المطرّف بن ابى الحباب الشاعر دخل الى المنصور فى هذه المنية فوقف على روضة فيها ٣ سوسنات ثنتان قد تفتّحتا c وواحدة لم تتفتّحْ فقال يصف ذلك

لا يومَ كاليوم فى ايامنا الأُوَلِ   بالعامريّة ذات الماء والظُلَلِ d
هواؤها فى جميع الدهر معتدل   طيبًا وان حلّ فصلٌ غير معتدلِ
ما ان يبالى الذى يحتلّ ساحتها   بالسعد الا تحلّ الشمسُ بالحَمَلِ e
كانما غُرستْ فى ساعة وبدا   السوسانُ * من حينه f فيها على عَجَلِ
أَبْدَتْ ثلثًا من السوسان * مائلةً   اعناقُهنّ g من الاعْياء والكَسَلِ
فبعض نُوّارها للبعض h منفتح   والبعض منغلق عنهنّ فى شُغُلِ
كانها راحة ضمّتْ اناملها   * من بعد ماء مُلئت من جُودك الخَضِلِ
وأُخْتُها بسطتْ منها اناملها   ترجو نداك كما عوّدتّها فَصِلِ

انتهى، وذكر ابن سعيد ان ابن العريف النحوى دخل على المنصور بن ابى عامر وعنده صاعد اللغوى البغدادى فانشده وهو بالموضع المعروف بالعامرية من ابيات

فالعامريّة تزهى   على جميع المبانى   وانت فيها كسَيْفٍ   قد حلّ فى غُمْدانِ

فقام صاعد وكان مناقضًا له فقال اسعد الله الحاجب الاجلّ ومكّن سلطانه هذا الشعر الذى قاله قد اعدّه وروّى فيه اقدر انا اقول احسن منه ارتجالا فقال له المنصور

a) G. L. S. La. فى الحمل. l) G. L. S. La. واثر. c) Les man. d'al-Makk. portent لم تفتح et فتحتا. d) La. O. والظلل. e) Al-Makk. فى الحمل. f) Al-Hom. قدامها. g) Al-Hom. (sic) قائمة وما تشكّى. h) Al-Hom. بالحسن. i) Al-Hom. ممدودة.

قُلْ ليظهر صدقُ دعواك فجعل يقول من غير فكرة طويلة a

يايها الحاجب المعتلى على كيوانِ   ومَنْ به قد تناهى   فخارُ b كل يَمَانى
العامريّة اضحتْ   كجنّة الرضوانِ   فريدة لفريد   ما بين اهل الزمانِ

ثم مرّ فى الشعر الى ان قال فى وصفها

انظرْ الى النهر فيها   ينساب كالثعبانِ   والطير يخطب شكرًا
على ذُرى الاغصانِ   والقُضْبُ تلتفّ سُكْرًا   بمُيّس القضبانِ
والروض يفترّ زهوًا   عن مبسم الاقحوانِ   والنرجس الغضّ يرنو
بوجنة c النعمانِ   وراحة الريح تمتا   ز d نفحة الريحانِ
فدُمْ e مَدَى الدهر فيها   *فى غبطة f وامانِ

فاستحسن المنصور ارتجاله وقال لابن العريف ما لك فائدة فى مناقضة مَنْ هذا ارتجالُه فكيف تكون رويّتُه فقال ابن العريف انما انطقه وقرّب عليه الماخذَ احسانُك فقال له صاعد فيخرج من هذا ان قلّة احسانه لك أَسْكَتَك وبعّد عليك الماخذَ فضحك المنصور وقال غيرُ هذه المنازعة أَلْيَقُ بأَدَبِكما، قلتُ وقد ذكر مؤرّخو الاندلس مُنًى كثيرة بها منها منية الناعورة السابقة ومنية العامرية هذه ومنية السرور ومنية الزُبَيْر منسوبة الى الزبير بن عمر الملثّم ملك قرطبة، قال ابو الحسن بن سعيد اخبرنى ابى عن ابيه قال خرج معى الى هذه المنية فى زمان فتح نُوّار اللوز ابو بكر ابن بَقِيّ الشاعر المشهور فجلسنا تحت سطر لوز قد نوّر فقال ابن بقيّ   سطر من اللوز البيتين   ثم قال   عجبت لمن ابقى   البيت   انتهى، وذكر بعض مؤرّخى الاندلس ان المنصور بن ابى عامر كان يزرع كل سنة الف مُدْى من الشعير قَصيلًا لدوابّه الخاصّة به وانه كان اذا قدم من غزوة من غزواته لا يحلّ عن نفسه حتى يدعو صاحبَ الخيل فيعلم ما مات منها وما عاش وصاحبَ الابنية لما وَهِىَ من اسواره ومبانيه وقصوره ودُوره قال وكان له دخالة كل يوم ١٣ الف رطل من اللحم حاشا الصيد والطير والحيتان وكان يصنع فى كل عام ١٢ الف ترس عامريّة لقصر الزاهرة والزهراء قال وابتنى على طريق المُباهاة والفخامة مدينة الزاهرة ذات القصور

---

a) S. La. O. كثيرة.   b) L. فى الحسن.   c) La. لوجنة.   d) Faut-il lire تمتار ?
e) G. L. فمرّ مُرّ (sic) ; P. فمرم (sic).   f) L. بغبطة.

والمنتزهات المخترعة كمنية السرور وغيرها من مناشئه البديعة انتهى، ومن المطمح *a* ان المنصور لما فرغ من بناء الزاهرة غزا غزوة وابعد فيها الايغال، وغال فيها من عظماء الروم مَنْ غال،، وحلّ من ارضهم ما لم يُطْرَق، وراع منهم مًا لم يُرَعْ قط ولم يَفْرَق،، وصدر صدرا سَمَا به على كل حسناء عقيلة، وجلا به كل صفحة للحسن صقيلة، ودخل قرطبة دخولا لم يُعْهَد، وشهد له فيها يوم مثله لم يُشْهَد،، وكان ابن شُهَيْد متخلّفا عن هذه الغزوة لنقرس عداه عائده، وحداه منتجعه ورائده،، وابن شهيد هذا احد حُجّاب الناصر، وله على ابن ابى عامر اياد محكمة الاواصر،، وهو الذى نهض به اول انبعاثه، وشفى امره زمنَ التياثه،، وخاصَمَ المصحفىَّ عنه بلسان من الحماية أَلَدّ، وتوخّاه باحسان قلّده من الرعاية ما قلّد،، واسمى رتبتَه، وحلّى *باعظم جاه جيدَه ولبّته *b*،، وكان كثيرًا مّا يُتْحِفه، ويصله ويلطفه،، فلما صدر المنصور من غزوته هذه وقد *c* نسى مُتاحَفته او غفل فكتب اليه ابن شهيد

انا شيخ والشيخ يهوى الصبايَا البيتين

فـأجْعلنّى فُديتَ اشكر معرو فك وابعثْ بها عذابَ الثنايَا

فبعث اليه بعقيلة من عقائل الروم يكنفها ثلث جوارٍ، كانّهنّ نجومٌ سوار،، وكتب اليه

قد بعثنا بها كشمس النهارِ الابيات

فكتب اليه ابن شهيد

قد فضضنا ختامَ ذاك السوارِ الابيات

انتهى وقد قدّمْنا هذه الحكاية فى اخبار المنصور من الباب الثالث ولكنّا اعَدْناها هنا بلفظ المطمح لما فيه من العذوبة والفائدة الزائدة، وممن كان فى ايام المنصور من الوزراء المشهورين الوزير الكاتب ابو مروان عبد الملك بن ادريس الخولانى قال فى المطمح عَلَم من اعلام الزمان، وعين من اعيان البيان،، باهر الفصاحة، طاهر الجناب والساحة،، تولّى التحبير ايامَ المنصور والانشا، وأَشْعَرَ بدولته الافراحَ *d* والانتشا،، ولبس العزّة مدتَها *e* ضافيةَ البرود، وورد بها النعمةَ صافيةَ الورود،، وامتطى من جياد التوجيه، واعتنق من لاحق والوجيه،، وتمادى طَلْقه، ولا احد يلحقه،، الى ايام المظفّر

a) Ce passage ne se trouve pas dans nos man. du *Matmah*. *b*) La. O. باعظام جاهه لبته. *c*) G. L. P. S. وقعد. *d*) *Al-Mat*. L. الارتياح. *e*) Ce mot manque dans G. et L.; S. مدة, La. O. زمانا.

فمشى على سَنَنه، وتمادى السعدُ يترنّم على فَنَنه،، الى ان قتل المظفّر صهرَه عيسى ابن القطّاع، صاحب دولته واميرها المُطاع، وكان ابو مروان قديم *الاصطناع له والانقطاع [a]،، فاتّهم معه، وكاد ان يذوق الحمامَ ومصرعه [b]،، الا ان احسانه شفع، وبيانه منع [c] ودفع،، فحُطّ عن تلك الرُتَب، وحُمل الى طرطوشة على القَتَب،، فبقى هنالك معتقلا فى برج من ابراجها، نائى [d] المنتهى، كانما [e] يناجى السُهى،، قد بعد ساكنُه عن الانيس، وقعد [f] من النجم بمنزلة الجليس،، تمرّ الطيورُ دونه ولا تجوزه، ويرى منه الثرى ولا يكاد يحوزه،، فبقى فيه دهرًا لا يرتقى اليه راقٍ، ولا يُرْجَى لبثّه راقٍ،، الى ان أُخرج منه الى ثراه، واستراح ممّا عراه،. فمن بديع ما نظمه قوله يصف المعقلَ الذى فيه اعتُقل،،

يأوى اليه كل أَعْوَرَ ناعق [g] وتهبّ فيه كل ريح صَرْصَرِ
ويكاد من يرقى اليه مرّةً من عمره يشكو انقطاع الابهرِ

ودخل ليلةً على المنصور والمنصور قد اتّكأ وارتفق، وتحلّى [h] بمجلسه ذلك الأُفُق،، والدنيا [i] بمجلسه ذلك مشوقة، واحاديث الامانى به منسوقة،، فامره بالنزول فنزل فى جملة الاصحاب، والقمر يظهر ويحتجب فى السحاب،، والافق يبدو به اغرّ ثم يعود مبهمًا، والليل يتراءى منه اشقر ثم يعود ادهمًا،، وابو مروان قد انتشا، وجال فى ميدان الانس ومشا، وبُرْد خاطره قد دبّجه السرورُ ووشّى،، فاقلقه ذلك المغيبُ والالتياح، وانطقه ذلك السرورُ والارتياح،، فقال

ارى بدر السماء يلوح حينا فيبدو ثم يلتحف السحابَا
* وذلك انه [j] لما تبدّى وابصر وجهَك استحيا فغابَا
مقالٌ لو نمى عندى اليه لراجَعَنى بذا حقًّا جوابَا

وله فى مدة اعتقاله، وتردُّده فى *قيله وقاله [k]،،

شحط المزارُ فلا مزارَ ونافرت عينى الهجوعَ فلا خيال يعترِى

---

a) *Al-Mat.* L. P. الانقطاع اليه والاصطناع. b) *Al-Maṭ.* L. ويجرعه , P. ويصرعه. c) G. L. La. O. ذفع , S. قفع. d) *Al-Mat.* L. P. ثات. e) *Al-Mat.* P. R. كما ; al-Makk. كالماء (*sic*). f) *Al-Mat.* P. R. فعد ; al-Makk. S. بعد , G. تعد , L. يعد. g) *Al-Mat.* L. ناعب. h) *Al-Mat.* L. وحكى. i) G. P. S. و. . . . نيا , La. O. فكم امانيا. j) *Al-Mat.* L. وذاك لانه. k) *Al-Mat.* L. قيده وعقاله.

ازرى بصبرى وهو مشدود القُوَى a — وأَلَانَ عُودى وهو صلبُ المكسرِ
وطوى سرورى كلّه وتلذُّذى — بالعيش طىَّ صحيفة لم تُنْشَرِ
ها انما القى الحبيبُ توهُّما — بضمير تذكارى وعين تذكُّرى
عجبا لقلبى يومَ راعتْنى النوى — ودنا وداعى b كيف لم يتفطّرِ

رجع الى المنصور وكان المنصور اذا اراد امرا مُهِمًّا شاور اربابَ الدولة الاكابرِ c من خُدّام الدولة الاموِيّة فيشيرون عليه بالوجه الذى عرفوه وجرت الدولة الاموية عليه فيخالفهم الى المنهج الذى ابتدعه، فيقْصون فى انفسهم بالهلاك فى الطريق الذى سلكه والمَهْيَع الذى اخترعه،، فتسفر العاقبةُ عن السلامة التامّة التى اقتضاها سعدُه فيكثرون التعجُّب من موارد اموره d ومصادرها وقيل له مرةً ان فلانا مشعوم فلا تستخدمْه فقال أُفّ لسعد لا يغطّى على شومه فاستخدمه ولم يَنَلْه من شومة الذى جرتْ به العادةُ شىءٌ، وحكى عنه انه كان فى قصره بالزاهرة فتأمّل محاسنَه ونظرِ e الى مياهه المطّردة، وأَنْصَتَ لاطيارِه المغرّدة،، وملأَ عينَه من الذى حواه من حسن وجمال، والتفت فى الزاهرة من اليمين الى الشمال،، فانحدرت دموعُه وتجهّم وقال وَيْهًا لكِ يا زاهرةُ فلَيْتَ شعرى مَنَ الخائن الذى يكون خرابُكِ على يديه عن قريب فقال له بعض خاصّته ما هذا الكلام الذى ما سمعناه من مولانا قط وما هذا الفكر الردىء الذى لا يليق بمثله شغلُ البال به فقال والله لَترون ما قلتُ وكانّى بمحاسن الزاهرة قد مُحيت، ورسومِها قد غُيّرت، وبمبانيها قد هُدمت ونُحّيت، وبخزائنها قد نُهبت، وبساحاتها قد أُضْرِمت بنار الفتنة وأُلْهبت،، قال الحاكى فلم يكن الا ان توفّى المنصور وتولّى المظفّر ولم تَطُلْ مدّته فقام بالامر f اخوه عبد الرحمن الملقّب بشنجول فقام عليه المهدى والعامّة، وكانت منهم عليه وعلى قومه الطامّة،، وانقرضت دولة آل عامر، ولم يبق منهم آمر،،

كأن لم يكن بين الحَجون الى الصَفا — انيسٌ ولم يسمرْ بمكّة سامرُ
بلى نحن كنّا اهلَها فابادنا — صروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ

وخربت الزاهرة وذهبت g كأمْس الدابر، وخلت منها الدُسوتُ الملوكيّة والمنابر h،، واستولى النهب على ما فيها من العدّة والذخائر والسلاح، وتلاشى امرُها فلم يُرْجَ

a) G. القرى, L. S. La. O. العرى. b) *Al-Mat.* R. et al-Makk. وداع. c) La. O. والاكابر. d) Les man. portent امورها. e) La. O. وراى. f) G. L. S. بالامرة. g) La. O. ومضت. h) La. O. والدساكر.

لفسادها صلاح، وصارت قاعًا صفصفا، وأُبدلت a بايام التَرَح عن اوقات الفرح والصفا، ويروى ان بعض اولياء ذلك الزمان مرّ بها ونظر الى مصانعها السامية الفائقة، ومبانيها العالية الرائقة، فقال يا دارُ فيك من كل دار، فجعل الله منك فى كل دار، قال الحاكى فلم تكن بعد دعوة ذلك الصالح الا ايام يسيرة حتى نُهبت ذخائرها، وعمّ بالخراب سائرها، فلم تبقَ دار بالاندلس الا ودخلها من قَيْئها حصّة كثيرة او قليلة، وحقّق الله دعاء ذلك الرجل الذى همّته مع ربّه جليلة، ولقد حُكى ان بعض ما نُهب منها بيعَ ببغداد وغيرها من البلاد المشرقيّة فسبحان من لا يزول سلطانه ولا ينقضى ملكه لا اله الا هو، وتذكرت هنا ما رآه فى المنام بعض اهل المغرب بالليلة التى انقرض فيها ملك الموحّدين انّ شخصا ينشده

مُلْكُ بنى مومن تولّى   وكان فوق السماك سَمْكُهْ
فاعتبروا وأنْظروا وقولوا   سبحان من لا يبيد مُلكُهْ

لا اله الا هو، وكان المهدى القائم على العامريين ماجنًا فاتكًا وقال وقد حيّاه فى مجلس شرابه غلام بقضيب آس

اهديت شبه قوامك المياس   البيتين

وكان المنصور بن ابى عامر حين تغلّب على ملك الامويين غير مكترث بمثل المهدى المذكور فسلّطه الله على كل ما اسّسه المنصور حتى هدمه، واخّر كل ما قدّمه، ولم ينفع فى ذلك احتياط ولا حزم، ولا رادّ للقضاء المُبْرَم الجزم،

والله يحكم ما يشا   ء فلا تكن متعرّضا

وقد قدّمْنا شيئا من اخبار المنصور ولا باس ان نلمّ هنا ببعضها وان حصل منه نوعُ تكرار فى نبذة منها لارتباط الكلام بعضه ببعض، قال بعض المحقّقين من المؤرّخين حجر المَنصور بن ابى عامر على هشام المؤيّد بحيث لم يَرَه احد منذ ولى الحجابة وربما اركبه بعد سنين وجعل عليه برنسًا وعلى جواريه مثل ذلك فلا يُعرف منهن ويامر من ينحّى الناس من طريقه حتى ينتهى المؤيد الى موضع تنزّهه ثم يعود غير انه اركبه بابّهة الخلافة فى بعض الايام لغرض له كما ألْمَعْنا به فيما سبق وكان المنصور اذا سافر وكّل بالمويد من يفعل معه ذلك فكان هذا من فعله سببا

a) P. وادبلت , S. واديلت , G. L. La. واذيلت , O. وازيلت.

لانقطاع ملك بنى امية من الاندلس واخذ مع ذلك فى قتل من يخشى منه من بنى امية خوفَ ان يثوروا به ويُظْهِر انه فعل ذلك شفقةً على المؤيد حتى افنى من يصلح منهم للولاية ثم فرق باقيهم فى البلاد، وادخلهم زوايا الخمول عارين من الطراف والتلاد،، وربما سكن بعضهم البادية، وترك مجلس الابّهة وناديَه،، حتى قال بعض من ينقم على المنصور ذلك الفعل من قصيدة.

أَبنى اميّة اين اقمارُ الدجى ‏ ‏ منكم واين نجومُها والكوكبُ
غابتْ اسودٌ منكم عن غابها ‏ ‏ فلذاك حاز الملكَ هذا الثعلبُ

مع ان المنصور مُفاخر، بديهّا[a] الاوائلَ والاواخر،، من المثابرة على جهاد العدوّ، وتكرار الذهاب بنفسه فى الرواح والغدوّ،، وله مع المصحفى وغيره اخبار مرّت[b] ويأتى بعضها، ولا باس ان نلخّص ترجمة المصحفى فنقول قال الفتح فى المطمح الحاجب جعفر المصحفى تجرّد للعليا، وتمرّد فى طلب الدنيا،، حتى بلغ المُنَى، وتسوّغ ذلك الجَنَى،، فسما دون سابقة، وارتمى الى رتبة لم تكن لبنيته[c] مطابقة[d]،، فالتاح فى افق[e] الخلافة، وارتاح * اليه معطفُه[f] كنشوان السُلافة،، واستوزره المستنصر، وعنه كان يسمع وبه كان[g] يبصر،، فادرك بذلك ما ادرك، ونصب لامانيه الحبائل والشَرَك،، واقتنى وادّخر، وازرى بمن سواه وسخر،، واستعطفه المنصور محمد بن ابى عامر ونجمُه غائر لم يَلُحْ، وسرُّه مكتوم لم يَبُحْ،، فما عطف، ولا جنى من روضة دنياه ولا قطف،، فاقام، فى تدبير الاندلس ما اقام،، والاندلس متغيّرة، والاذهان فى تكيّف سعده متحيّرة،، فناهيك من ذكر خلّد، ومن فخر تقلّد،، ومن صعب راضَ، وجناحِ فتنة هاضَ،، ولم يزل بنجاد تلك الخلافة معتقلا، وفى مطالعها متنقلا،، الى ان توفّى الحكم، فانتقض[h] عقده المُحْكَم،، وانبَرَتْ[i] اليه النوائب، وتسدّدت اليه *من الخطوب[j] سهامٌ صوائب،، واتّصل الى المنصور ذلك الامر، واختصّ به كما مال[k] بيزيد اخوه الغَمْر، واناف فى تلك الخلافة كما شبّ قبل اليوم عن طوقه عمرو،، وانتدب للمصحفى

---

a) G. S. بدبها, P. بذبها, La. ندبها, O. يذبها. b) G. L. S. P. مر. c) *Al-Mat.* P., al-Makk. La. O. لبنيه ; *al-Mat.* L. لهيئته, R. لنفسه ; al-Makk. G. L. S. لبيته. d) *Al-Mat.* P. et al-Makk. بمطابقة. e) *Al-Mat.* P. R. et al-Makk. افياء. f) *Al-Mat.* P. R. et al-Makk. اليها بعطفه. g) Ce mot manqne dans *al-Mat.* P. R. et al-Makk. G. L. S. O. h) *Al-Mat.* L. فانفصم. On trouve la même leçon dans le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٢٧٢. i) *Al-Mat.* P. R. وانبرمت. j) Ces mots ne se trouvent que dans le man. L. du *Matmah*. k) *Al-Mat.* L. قال, P. بال.

بصدر قد كان اوغره، وساءه وصغّره،، فاقتضّ a من تلك الاساءة، واغصّ حلقه باقى مساءة b،، فاخمله ونكبه، وارجله عمّا كان الدهر اركبه،، والهب جوانحه c حزنا، ونهب له مدّخرا ومختزنا،، ودمّر عليه ما كان حاط، واحاط به من مكروهه ما احاط،، وغبر d سنين فى مَهْوَى تلك النكبة، وجَوَى e تلك الكربة،، ينقله المنصور معه فى غزواته، ويعتقله بين *ضيق المطبق f ولهواته،، الى ان تكوّرت شمسه، وفاضت بين اثناء المحن g نفسه،، ومن بديع ما حُفظ له فى نكبته، قوله يستريح من كربته،،

صبرتُ على الايام لما تولّت   والزمتُ نفسى صبرَها فاستمرّت
فوا عجبا للقلب كيف اعترافه h   وللنفس بعد العزّ كيف استذلّت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى   فان طمعتْ تاقتْ والا تسلّت
وكانت على الايام نفسى عزيزةً   فلما رأت صبرى على الذلّ ذلّت
فقلتُ لها يا نفسُ موتى كريمةً   فقد كانت الدنيا لنا ثم ولّت

وكان له ادب بارع، وخاطر الى نظم القريض مسارع i،، فمن محاسن انشاده، التى بعثها ايناسُ دهره باسعاده j،، قوله

لعينَيْكِ k فى قلبى علىّ عيونُ   وبين ضلوعى للشجون فنونُ
لئن كان جسمى l مُخْلَقا فى يد الهوى   فحبّك عندى m فى الفؤاد مصونُ

وله وقد n اصبح عاكفا على حميّاه، هاتفا باجابة دنياه، مرتشفا ثغر o الانس متنسّما ريّاه،، والملك يغازله بطرف كحيل p، والسعد قد عقد عليه منه اكليل،، يصف لون q مُدامه، وما تعرّف له منها دون ندامه،،

صفراء تطرق r فى الزجاج فان سَرَتْ   فى الجسم دبّتْ مثل صلّ لادغِ
خفيت على شُرّابها فكانّما   يجدون ريّا من s اناء فارغِ

---

a) *Al-Mat.* R. et al-Makk. فاقتضى. b) *Al-Mat.* P. R. اساءة, al-Makk. اشاءة. c) *Al-Mat.* P. R., al-Makk. G. S. La. O. جوارحه. d) Al-Makk. وعبر. e) Al-Makk. G. L. S. O. وحرائم, La. وجرا. f) *Al-Mat.* P. ضيق التطبيق. Dans le *Bayān al-M.* (*loc. cit.*) on lit بين اظفار التضييق. g) *Al-Mat.* L. P. المحاسن. h) Var. dans le *Bayān al-M.* اصطباره. i) *Al-Mat.* R., al-Makk. G. L. S. يسارع. j) *Al-Mat.* P. واسعاده. k) *Al-Mat.* L. لعينك, P. R. لعينى. l) Al-Makk. La. O. قلبى. m) *Al-Mat.* L. غض. n) Les man. P. et R. du *Mat.* ajoutent كان. o) *Al-Mat.* L. P. ثغور. p) Al-Makk. كليل. q) Al-Makk. G. L. S. كوز. r) Al-Makk. La. تشرق; dans le *Bayān al-M.* on lit تبرق. s) *Al-Mat.* P., al-Makk. La. فى.

* ومن شعره الذى قاله فى السفرجل مشبّهًا[a]، وغدا به لنائم البديع منبّها،، قوله يصف سفرجلة، ويقال انه ارتجله،،

ومصفرّة تختال فى ثوب نرجسٍ   وتعبق عن مسك ذكىّ التنفّس
لها ريحُ محبوب وقسوة قلبه   ولونُ محبٍّ حُلّةَ السقم مكتسى
فصُفْرتها من صفرتى مستعارة   وانفاسُها فى الطيب انفاسُ مونسى
وكان لها ثوب من الزُغْب اغبر[b]   *على جسمٍ مصفرٍ[c] من التبر املس
فلما استتمّت فى القضيب شبابَها   وحاكت لها الاوراقُ اثواب سندس
مددتُ يدى باللطف ابغى اجتناءها   لاجعلها ريحانتى وسط مجلسى
فبزّت يدى غَصْبًا لها ثوبَ جسمها   واعريتُها باللطف من كل ملبس
ولما تعرّت فى يدى من برودها   ولم تبقَ الا فى غلالة نرجس[d]
ذكرتُ بها مَن لا ابوح بذكره   فاذبلها فى الكفّ حرُّ التنفّس

وله وقد اعاده المنصور الى المطبق، والشجون تسرع اليه وتسبق،، معزّيا لنفسه، ومجتزيا باسعاده[e] امسه،،

أُجازى الزمانَ على حاله   مجازاةَ نفسى لانفاسها
اذا نَفَس صاعد شقّها   توارتْ به دون جُلّاسها
وان عكفتْ نكبة للزمان   * عكفتُ بصدرى[f] على راسها

ومما حُفظ له فى استعطافه، واستنزاله للمنصور واستلطافه،، قوله

عفى الله عنك ألا رحمةٌ   تجود بعفوك ان أُبعدا
لئن جلّ ذنبٌ ولم اعتمدْه[g]   فانت اجلُّ واعلى يدا
الم تَرَ عبدا عدا طورَه   ومولًى عفا ورشيدا هدَى
ومفسدَ امرٍ تلافيتَه   فعاد فاصلح ما افسدا

---

a) ومن بديع قوله L., ومن شعره فى السفرجل الذى قاله فيه مشبها *Al-Mat.* P. R. الذى سبق فيه مشبها. b) *Al-Mat.* L. اخضر. c) Au lieu de ces mots on lit dans les *Notices sur quelques man. arabes*, par M. Dozy, p. 144: يرف على جسم. Quant à la construction, comparez ce vers (Gulistān, éd. Semelet, p. ١٥): كستورٍ مغلوب يصول على الكلب. d) *Al-Mat.* L. سندس. e) *Al-Mat.* P. R. باخبار. f) *Al-Mat.* P. R. عطفت بصلدى. g) La. اعتمد, G. L. S. O. اعتده.

٥ أَقِلْنى اقـالكَ مَنْ لـم يزل ۞ يقيكَ ويصرف عنكَ الرَدَى

عود وانعطاف الى اخبار المنصور بن ابى عامر رحه وجازاه عن جهاده افضل الجزاء بمنّه وكرمه وفضله وطَوْله فنقول وكان لـه فـى كل غـزوة من غزواته المنيفة على الخمسين مفخر من المفاخر الاسلاميّة فمنهـا ان بعض الاجنـاد نسى رايتَه مركوزة على جبل بقرب احدى مداين الروم فاقامت عدّةَ ايام لا يعرف الروم مـا وراءها بعد رحيل العساكر وهذا بلا خفاء ممـا يفتخر به اهل التوحيد على التثليث لانهم لما أُشرب قلوبهم خوفَ شرذمة المنصور وحزبه، وعلم كل من ملوكهم انـه لا طـاقة له بحربه،، لجُـوا الى الفرار والتحصُّن بـالمعاقل والقـلاع، ولم يحصل منهم غير الاشْراف من بُعْد والاطّلاع،، ومن مفاخر المنصور فـى بعض غزواته انه مرَّ بين جبلين عظيمين فى طريق عرض بريـد بوسط بـلاد الافرنج فلمـا جـاوز ذلك المحـلَّ وهو آخذ فى التحريق والتخريب والغـارات والسبى يمينا وشمـالا لم يجسر احد من الافرنج على لقائه حتى اقفرت البلادُ مسافةَ ايام ثم عاد فوجد الافرنج قد استجـاشوا من ورائه a وضبطوا ذلك المدخل الضيّق الذى بين جبلين وكان الوقت شتـاءً فلمـا راى مـا فعلوه رجع واختار منزلا من بلادهم اناخ به فيمن معه من العساكر وتقدّم ببناء الدُور والمنـازل وبجمع b آلات الحرث ونحوها وبثّ سرايـاه فسبت وغنمت فـاسترقّ الصغارَ وضرب اعنـاق الكبار والقى جُثَثَهم حتى سدّ بهـا المدخل الذى من جهته وصارت سرايـاه تخرج فـلا تجد الا بلدا خرابا فلمـا طـال البلاءُ على العدوّ ارسلوا اليه فى طلب الصلح وان يخرج بغير أَسْرَى ولا غنـائم فامتنع من ذلك فلم تزل رُسُلهم تتردّد اليه حتى سألوه ان يخرج بغنائمه واسراه فاجابهم ان اصحابى ابَوْا ان يخرجوا وقالوا انّا لا نكاد نَصلُ الى بلادنا الّا وقد جـاء وقت الغزوة الاخرى فنقعد ههنا الى وقت الغزاة فاذا غزونا عُدْنـا فما زال الافرنج يسألونه * الى ان c قرّر عليهم ان يحملوا على دوابّهم ما معه من الغنائم والسبى وان يمدّوه بالميرة حتى يصل الى بلاده وان ينحّوا جِيَفَ القتلى من طريقه بـانفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف ولَعمرى ان هـذا لَعزٌ مـا وراءه مطمح، ونصرٌ لا يكاد الزمان يجود بمثله ويسمح،، خصوصًا ازالتُهم جيفَ قتلاهم من الطريق، وغصُّهم فى شرب ذلك بالريق،، ومن مآثره التى هـى فـى جبين عصره

---

a) Les man. portent ورائهم. b) G. L. S. ويجمع , O. وجمع. c) La. O. حتى.

غُرّة، ولعين دهره قُرّة،، انه لما ختن اولاده ختن معهم من اولاد اهل دولته a ..٥ صبىّ ومن اولاد الضعفاء عدد لا ينحصر فبلغت النفقة عليهم فى هذا الاعْذار ..٥ الف دينار وهذه مكرمة مخلّدة، ومنّة مقلّدة،، فالله يجازيه عن ذلك افضل الجزا، ويجعل للمسلمين فى فقد مثله احسن العزا،، ومن مناقبه التى لم تتّفق لغيره من الملوك فى *غابر الزمن b ان اكثر جنده من سبيه على ما حقّقه بعض المؤرّخين وذلك غاية المنح من الله والمنّ، ومن اخباره، الدالّة على اقْبال امره وخيبة عدوّه وادْباره،، انه ما عاد قط من غزوة الا استعدّ لاخرى ولم تُهْزَم c له قط راية مع كثرة غزواته شاتيةً وصائفةً وكفاه ذلك فخرًا، ومنها انه لقيتْه وقد عاد من بعض غزواته، امرأة نقمت عليه بلوغَ مُناه وشهواته،، وقالت له يا منصور استمعْ نداءى، فانت فى طيب عيشك وانا فى بكاءى،، فسألها عن مصيبتها التى غمّتْها d، فذكرت ان لها ابنًا اسيرا فى بلاد سمّتْها،، وانها لا يهنأ عيشُها لفقده، ولا يخبو ضرام قلقها من وقده،، وانشد لسان حالها

* يا ذلك e الملك العَلِى   ويح f الشجىّ من الخَلِى

فرّحب المنصور بها، واظهر الرقّة بسببها،، وخرج من القابلة الى تلك المدينة التى فيها ابنها وجاس اقطارها وتخلّلها، حتى دوّخها اذ اناخ عليها بكلكله وذلّلها، واعراها من حُماتها وبنود الاسلام المنصورة ظلّلها،، وخلّص جميع مَنْ فيها من الاسرى، وجلبت عواملُه الى قلوب الكَفَرة كَسْرا، وانقلبت عيونُ الاعداء حَسْرَى، وتلا لسان حال المرأة فانّ مع العُسْر يُسْرا انّ مع العسر يسرا g،، فهكذا تكون الهمّة السلطانية، والنخوة الايمانية،، فالله يروّح تلك الارواح فى الجنان، ويرقّى درجاتها ويعاملها بمحض الفضل والامتنان،، وقد تذكرتُ هنا والحديث شجون، *وفى ذكر h المناسبات يبلغ الطُلّاب ما يرجون،، كتابا كتبه الاديب الكاتب ابو محمد ابن الامام الحافظ محدّث الاندلس ابى عمر i بن عبد البر النميرى الى المنصور بن ابى عامر وهو من ذرّيّة المنصور الكبير الذى كُنّا نتحدّث فى اخباره، يمتّ اليه بسلفه ومعاملتهم لمن تقدّم من آبائه بتعظيم قدره واكباره،، وهو عمّر الله ببقاء مولاى ذى السابقتين j بهجة اوطانه، وملّكه

---

a) La. O. قرطبة. b) Les man. portent غالب الظن. c) La. O. تنهزم. d) G. L. S. غمتها وعمتها, O. عمتها. e) G. L. P. S. ذلك, La. O. لذلك. f) G. L. P. La. ايا ويح, O. يا ويح. g) *Al-Kor.*, sour. 94, vs. 5, 6. h) G. وقد ذكر, S. O. وذكر. i) G. L. O. عمرو. j) G. L. السابقين.

عنانَ زمانه، ومدَّ عليه ظلالَ امانه،، اتّى ابقى الله الملك الكريم، والسيّد الزعيم،، لما اضاءت التّى اهلّةُ مفاخركم فى سماء الفخار، واشرقت شموسُ مكارمكم على مفارق الأَحْرار،، وابصرتُ شمائلك الزُهْر تهدى اليك من الهِمَم كامنَهـا، ومحاسنَك الغُرّ توقظ لك من الآمال a راقدَهـا،، تيقّنتُ ان بحقّ انقادت لك القلوبُ فى اعنّتها، وتهادتْ اليك النفوسُ بازمّتها،، فآلَيْتُ ان لا أُلِمّ الا بحماك، ولا احطّ رحلا الا بفناك،، علمًا بانك نثرة الفخر، وغرّة الدهر،، فتيمّمتُ ساريا فى ساطع نورك، متيمّنًا بيُمْن طائرك b،، محققا للربح، مُوقنا بالفلح والنجح،، حتى حللتُ فى دوحة المجد، وأَنَخْتُ بدولة السعد، واستشعرتُ لبسةَ الشكر والحمد،، وجعلتُ انظم من جواهر الكلام، ما يُرْبى على جواهر النظام،، وانشر من عطر الثنا، ما يُزْرى بالروضة الغَنّا،، وحاشا للفهم ان يعطّل ليلى من اقمارك، او يخلّى افقى من انوارك،، فارانى منخرطا فى غير سلكه، ومنحطّا الى غير ملكه،، لا جرَمَ انه مَن استضاء بالهلال، غنى عن الذُبال،، ومَن استنار بالصباح، القَى سنى المصباح،، وتالله ما هزّتْ آمالى ذوائبَها الى سواك، ولا حَدَتْ اوطارى c ركائبَها الى مَنْ عداك،، ليكون فىَّ اثرُ الوسمىّ فى الماحل، وعلىَّ جمالُ الحلى على العاطل،، لسيادتك السنيّة، ورياستك الاوليّة، التى يُقْصِر عنها لسانُ افْصاحى، ويَعْيَى فى بعضها بيانى وايضاحى،، والقراطيس عند بثّ مناقبك تَفْنَى، والاقلام فى رسم مآثرك تَحْفَى d،، وما امل المُجْدِب، فى حياة المُخْصِب،، ولا جذل المُذْنِب، برضى المُعْتِب،، كأَمَلى فى التعزّز بحوزتك، والتجمّل بجملتك، والترفّع بخدمتك،، فالسعيد مَنْ نشأ فى دولتك، وظهر فى امّتك، واستضاء بغرّتك،، لقد فاز بالسبق مَنْ لحظتْه عينُ رعايتك، وكنفتْه حوزةُ حمايتك،، فانت الذى امنتْ بعدله نوائبُ الايام، وقويتْ بسلطانه دعائمُ الاسلام،، تختال بك المعالى اختيالَ العروس، وتخضع لجلالك اعزّةُ النفوس،، سابقة اشهر من الفجر e، وفطنة أَنْوَر من البدر، وهمّة انفَذُ من الدهر،،

لقد فاز مَنْ اضحى بكم متمسّكا يشدّ على تاميل عزّكم يدَا
سلكتَ سبيل الفخر خُلْقًا مركّبا وغيرك لا ياتيه الّا تجلُّدَا
فانتم لواء الدين لا زال قيّمًا بآرائكم فى ظلمة الخطب يُهتدَى

a) La. O. الاعمال. b) S. طيرك. c) G. L. P. S. O. اوطار. d) La. O. تتخفى. e) G. L. S. الفخر.

ليَهْنكم مـجدٌ تليد بـنـيـتـمـ a   اغـار سنـاه فـى البـلاد وأنْجَدَا

ومثله ابقاه الله يُستثمر ايراقُه فيُثْمر جناه، ويُستمطر ابراقُه فيمطر حياه،، لا سيّما وانّى نشأة حقّها احسانُ اوائلك الطاهرين، والقها انعامُ اكابرك الطيّبين،، وجدير بقبولك واقبالك، وبرّك واجمالك،، مَنْ اصله ثابتٌ فى اهل محبّتكم، وفرعه نابتٌ فى خاصّتكم،،

وما رغبتى فى عسجد استفيدُهُ   ولكنّها فى مفخر استجدُّهُ
فكل نوال كان او هو كائن   فلحظة طرف منك عندى b ندُّهُ
فكُنْ فى اصطناعى محسنًا كمجرّب c   يَبِنْ لك تقريبُ الجواد وشدُّهُ
اذا كنتَ فى شكّ من السيف فابْلُه   فامّا تنافيه وامّا تُعدُّهُ
وما الصارم الهندىّ الا كغيره   اذا لم يفارقْه النجادُ وغمدُهُ

ولا غروَ d ان يتطوّل مولاى بغرس الصنيعة فى ازكى التُرَب، ووضع الهناء مكانَ النُوَب،، والله يبقى مولاى آخذًا بزمام الفخر، ناهضا باعباء البرّ، مالكا لاعنّة الدهر،، وصنع الله لسيّدى اتمَّ الصُنْع واجمله، وافضله واكمله،، بمنّه لا ربَّ سواه، انتهى، رجع الى اخبار المنصور الكبير محمد بن ابى عامر رحه وكُنّا قد ذكرنا انه قبض على الوزير الحاجب المصحفى مع انه كان احد اتباعه قال صاحب كتاب روضة الازهار، وبهجة النفوس ونزهة الابصار،، ولما امر المنصور بن ابى عامر بسجن المصحفى بالمطبق فى الزهراء ودّع اهله ووداعُه وداع الفرقة وقال لهم لستم تروننى بعدها حيًّا فقد اتى وقتُ اجابة الدعوة وما كنتُ ارتقبه منذ ۴۰ سنة وذلك انى شاركتُ e فى سجن رجل فى عهد الناصر وما اطلقتُه الا برويا رايتُها بان قيل لى اطلقْ فلانا فقد أُجيبت فيك دعوتُه فاطلقتُه واحضرتُه وسالتُه عن دعوته علىَّ فقال دعوتُ على مَنْ شارك فى امرى ان يُميتَه الله فى اضيق السجون فقلتُ انها قد اجيبت فانّى كنتُ ممّن شارك فى امره وندمتُ حين لا ينفع الندمُ فيروى انه كتب للمنصور ابن ابى عامر بهذه الابيات

هَبْنى اساتُ فاين العفو والكرم   الابيات

فاجابه المنصور بابيات لعبد الملك الجزيرى

يا جاهلًا بعد ما زلَّتْ بك القدمُ   تبغى التكرُّم لما فاتك الكرمُ

a) G. بنبيته. b) G. عنده, L. عندك. c) La. O. لمجرب. d) La. O. بباس. e) Les man. portent اشركت.

ندمتَ ان لم تَعُدْ منّى بطائلة   وقلّما ينفع الاذعان والندمُ
نفسى اذا جمحتْ ليست براجعة   ولو تشفّع فيكَ العُرْب والعجمُ

فبقى فى المطبق حتى مات نعوذ بالله من دعوة المظلوم انتهى، وقد ذكر بعضهم فى هذه الابيات زيادةً حسبما ذكرناه فى غير هذا المحلّ فان هذه الابيات للمنصور وهذا المؤرّخ مصرّح بانها لعبد الملك الجزيرى وقد يقال لا منافاة بينهما فان المنصور اجاب بالابيات وهل هو قائلها أم لا الامرُ اعمّ[a] فبيّن هنا والله اعلم، وقال بعض مؤرّخى المغرب ان الحاجب المصحفى حصل له فى هذه النكبة من الهَلَع والجَزَع ما لم يُظَنّ انه يصدر من مثله حتى انه كتب الى المنصور بن ابى عامر يطلب منه ان يقعد فى دهليزه معلّما لاولاده فقال المنصور بدهائه وحذقه ان هذا الرجل يريد ان يحطّ من قدرى عند الناس لانهم طالما رأونى بدهليزه خادما ومسلّما، فكيف يرونه الآن فى دهليزى معلّما،، وكان المنصور يذهب به بعد نكبته معه فى غزواته حتى انه حكى بعضهم انه رأى الحاجب المصحفى فى ليلة نهى المنصور فيها الناس عن ايقاد النيران تعميةً على العدوّ الكافر وهو ينفخ فحمًا فى كانون صغير ويخفيه تحت ثيابه او كما قال فسبحان مُزيل[b] الدُوَل لا اله الا هو فان هذا المصحفى بلغ من الجلالة والعظَم والتحكُّم فى الدولة المدّةَ المديدة امرا لا مزيدَ عليه والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين، ولقد ذكر بعض العلماء المَغاربة ان من اعاجيب انقلاب الدنيا باهلها قصّة المنصور بن ابى عامر مع الحاجب جعفر بن عثمن المصحفى ولم يزل اعداء المنصور بن ابى عامر يتربّصون به الدوائر، فغلب سعدُه الذى هو المثل السائر،، وربّما همس بعض الشعراء بهجوه وهجو الدولة جميعا اذ قال[c]

اقترب الوعدُ وحانَ الهلاكْ   وكل ما تحذره قد اتاكْ
خليفة يلعب فى مكتب   وامّه حُبْلَى وقاض يناكْ

يعنى بالخليفة هشاما المؤيد لكونه صغيرا وامّه صُبْح البشكنشيّة كان الاعداء يتّهمون بها المنصورَ، وذلك بُهْتان وزور، وافظع منه رَمْيُهم القاضى بالفجور، والله عالم بسرائر الامور،، ونعوذ بالله من السنة الشعراء الذين لا يراعون الًّا ولا ذمّةً، ويُطلقون السنتهم فى العلماء والائمّة،، ومَنْ كان حاسدا لمن بات فى نعمائه يتقلّب، جدير بان لا يدرك

a) S. La. O. اغم. Le sens de ces mots ne m'est pas clair. b) La. مذيل, G. L. S. مديل.
c) Voyez le *Bayān al-M.*, t. II, p. ٣٠٠.

ما يؤمّل ويتطلّب،، لانه يعترض على الله سبحانه فى احكامه، نعوذ بالله من شرّ انفسنا ومن شرّ كل ذى شرّ بجاه نبيّنا عليه ازكى صلاة الله وافضل سلامه،، وقد قدّمنا ان المنصور بن ابى عامر كان اولا يخدم جعفر بن عثمن المصحفى مدبّر مملكة هشام المؤيد ويريه النصيحة وانه ما زال يستجلب[a] القلوب بجُوده وحسن خلقه والمصحفى ينفرها ببخله وسوء خلقه الى ان كان من امره ما كان فاستولى على الحجابة وسجن المصحفى وفى ذلك يقول المصحفى[b]

غرستُ قضيبا خِلْتُه عودَ كرمة ... وكنتُ عليه فى الحوادث قَيّمَا
اكرّمه[c] دهرى فيزداد خبثُه ... ولو كان من اصل كريم تكرّمَا

ولما يئس المصحفى من عفو المنصور قال

لى مدّة لا بُدّ ابلغها ... فاذا انقضتْ ايامُها مُتّ
لو قابلتْنى الأُسْدُ ضارية ... والموت لم يقربْ لَمَا خِفْتُ
فانظرْ الىّ وكُنْ على حذر ... فى مثل حالك أمْسِ قد كُنْتُ

ومن احسن ما نعى به نفسه قوله حسبما تقدم

صبرت على الايام حتى تولت ... الابيات

وانشد له الفتح فى المطمح[d] ونسبهما غيره لاحمد بن الفرج صاحب الحدائق

كلّمتْنى فقلتُ دُرٌّ سقيط ... فتأمّلتُ عقدها هل تناثَرْ
فازدهاها تبسّم فأرَتْنى ... نظمَ دُرّ من التبسّم آخَرْ

وله كما مرّ صفراء تطرق فى الزجاج البيتين وله

يا ذا الذى اودعَنى سِرّه ... لا تَرْجُ ان تسمعه منّى
لم أُجْرِه بعدك فى خاطرى ... كانه ما مرّ فى اذنى

وانشد له صاحب بدائع التشبيهات

سألتُ نجومَ الليل هل ينقضى الدجى ... فخطّتْ جوابا بالثريّا كخطّ لَا
وكنتُ ارى انّى بآخره[e] ليلتى ... فاطرق حتى خِلْتُه عاد اوّلَا
وما عن هوى سامَرْتُها غير انّنى ... انافسها المجرى الى طُرُق العُلَى

---

a) G. L. S. يتاجلب. b) On rencontre plusieurs des pièces suivantes chez Ibn-al-Abbār. Voyez les *Notices sur quelques man. arabes*, p. 142—147. c) La. O. واكرمه. d) Ces vers ne se trouvent pas dans nos man. du *Maimah*. e) G. L. La. O. بتاخر.

انتهى، رجع وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثمانى وهو *متواتر عند a اهل الاندلس قالوا ثم آل امره الى الموحّدين ثم الى بنى مرين، قال الخطيب ابن مرزوق فى كتابه المسند الصحيح الحسن ما ملخّصه وكان السلطان ابو الحسن لا يسافر الا ومعه المصحف الكريم العثمانى وله عند اهل الاندلس شان عظيم ومقام كبير وكيف لا قال ابن بشكوال أُخرج هذا المصحف من قرطبة وغُرّب منها وكان بجامعها الاعظم ليلة السبت حادى عشر شوال سنة ٥٥٢ فى ايام ابى محمد عبد المومن بن على وبامره وهذا احد المصاحف الاربعة التى بعث بها عثمن رضّه الى الامصار مكة والبصرة والكوفة والشام وما قيل ان فيه دم عثمن هو بعيد فان يكن احدها فلعلّه الشامى قاله ابن عبد الملك قال ابو القاسم التُجيبى السَبْتى اما الشامى فهو باقٍ بمقصورة جامع بنى امية بدمشق المحروسة وعايَنْتُه هنالك سنة ٦٥٧ كما عاينتُ المكّى بقبّة اليهوديّة وهى قبة التراب قلت عاينتُهما مع الذى بالمدينة سنة ٧٣٥ وقراتُ فيهما قال النَخَعى لعلّه الكوفى او البصرى واقول اختبرتُ الذى بالمدينة والذى نُقل من الاندلس فالفيتُ b خطّهما سواءً وما توهّموا من انه خطّه بيمينه فليس بصحيح فلم يخطّ عثمن واحدا منها وانما جمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المَدَنى ونصّ ما على ظهره هذا ما اجمع عليه جماعةٌ من اصحاب رسول الله صلّعم منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير *وسعيد بن العاصى c وذكر العدد جمعه عثمن رضّه من الصحابة رضّهم على كتب المصحف انتهى واعتنى به عبد المومن بن على ولم يزل الموحّدون يحملونه فى اسفارهم متبرّكين به الى ان حمله المعتضد وهو السعيد على بن المامون ابى العلا ادريس بن المنصور حين توجّه لتلمسان آخر سنة ٦٤٥ فقُتل قريبًا من تلمسان وقُدّم ابنه ابرهيم ثم قُتل ووقع النهبُ فى الخزائن واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر ونُهب المصحف ولم يُعلم مستقَرُّه وقيل انه فى خزانة ملوك تلمسان قلت لم يزل هذا المصحف فى الخزانة الى ان افتتحها امامنا ابو الحسن اواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧ فظفر به وحصل عنده الى ان أُصيب فى وقعة طريف وحصل ببلاد بُرْتُقال وأُعمل الحيلة فى استخلاصه ووصل الى فاس سنة ٧٤٥ على يد احد تجار ازمّور واستمرّ بقاؤه فى الخزانة، انتهى

---

a) La. O. متداول بين. b) La. O. قرايت. c) Les man. portent وسعيد والعاصى.

باختصار واعتنى به ملوك الموحّدين غايةَ الاعتناء كما ذكره ابن رُشيد فى رحلته ولا باس ان اذكر كلامه بجملته والرسالة فى شان المصحف لما فيها من الفائدة ونصّ محلّ الحاجة منه انشدنى الخطيب ابو محمد بن برطلة من لفظه وكتبته من خطّه قال انشدنى الشيخ الفقيه القاضى ابو القاسم عبد الرحمن بن كاتب الخلافة ابى عبد الله بن عيّاش لابيه رحمه مما نظمه وقد امر امير المومنين المنصور بتحلية المصحف

ونقّلته a من كل ملك ذخيرةً ... كانهم كانوا برسم مكاسبهْ

فانْ ورث الاملاكُ شرقا ومغربا ... فكم قد اخلّوا جاعلين بواجبهْ

وكيف يفوت النصرُ جيشا جعلته ... امامَ قناه فى الوغى وقواضبهْ

والبسته الياقوت والدرَّ حليةً ... وغيرك قد روّاه من دم صاحبهْ

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكرْ كيفيّة الامر فى وصوله الى الخليفة امير المومنين عبد المومن وما ابدى فى ذلك من الامور الغريبة التى لم يُسمع بمثلها فى سالف الدهر حسبما اطرَفَنا به الوزير الاجلّ ابو زكرياء يحيى بن احمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طُفَيْل القيسى حفظه الله وشكره مما استفاده وافاده لنا مما لم نسمع به قبلُ عن كتاب جدّه الوزير ابى بكر محمد بن عبد الملك ابن طفيل المذكور مما تضمّنه من وصف قصّة المصحف فقال وصل اليهم ادام الله تاييدهم قمرَا الاندلس النيّران، واميراها المتخيّران،، السيّدان الاجلّان ابو سعيد وابو يعقوب ايّدهما الله وفى صحبتهما مصحف عثمن بن عفّان رضه وهو الامام الذى لم يختلف فيه مختلف، وما زال ينقله خلف عن سلف،، قد حُفظ شخصه على كثرة المتناولين، وذخره الله لخليفته المخصوص بمن سُخّر لخدمته من المتداولين،، وله من غرائب الانباء ومتقدّم الاشعار بما آل اليه امرُه b من الايماء ما مُلئت به الطروس، وتحقّقه من اهل الاندلس الرائس والمرءوس،، فتُلُقّى عند وصوله بالاجْلال والاعظام، وبُودِر اليه بما يجب من التبجيل والاكرام، وعُكف عليه اطول العكوف والتُزم اشدّ الالتزام،، وكان فى وصوله ذلك الوقتَ من عظيم العناية وباهر الكرامة ما هو معتبَر لأُولى الالباب، وبلاغ فى الاغراب والاعجاب،، وذلك ان سيدنا ومولانا الخليفة امير المومنين، ادام الله له عوائد النصر والتمكين،، كان قبل ذلك بايام قد جرى ذكره

---

a) G. L. ونقلته. b) G. P. S. La. O. امر.

فى خاطره الكريم، وحرّكته اليه دواعى خُلقه العظيم،، وتراءى مع نفسه المطمئنّة المرضيّة، وسجاياه الحسنة الرضيّة،، فى معنى اجتلابه من مدينة قرطبة محلّ مثواه القديم، ووطنه الموصل بحرمته للتقديم،، فتوقّع ان يتـأذّى اهل ذلك القطر بفراقه، ويستوحشوا لفقدان اضاءته فى افقهم واشراقه، فتوقّف عن ذلك لما جُبل عليه من رحمته واشفاقه،، فاوصله الله اليه تحفةً سنيّة، وهديّة هنيّة، وتحيّة من عنده مباركة زكيّة،، دون ان يكدّرها من البَشَر اكتساب، او يتقدّمها استدعاء او اجتلاب،، بل اوقع الله سبحٰنه فى نفوس اهل ذلك القطر من الفرح بارساله الى مستحقّه، والتبرّع به الى القائم الى الله تع بحقّه،، ما اطلع بالمشاهدة والتواتُر على صحّته وصدقه، وعضدتْ مخايلَ برقه سواكبُ ودقه،، وكان ذلك فى كرامات سيّدنا ومولانا الخليفة معدودا، والى امره الذى هو امر الله مردودا،، واجمع عند ذلك بحضرة مراكش حرسها الله سائر الابناء الكرام، والسادة الاعلام،، بدور الآفاق، وكواكب الاشراق، واهل الاستيهال للمقامات الرفيعة وذوو الاستحقاق،، فانتظم عند ذلك هذا القصيد مشيرًا الى اجتماع هذه الدرارىّ الزاهرة، والتيام خطوطها على مركز الدائرة،، ووصول المتقدّم ذكرُه المشهور، فى جميع المعموره،، وهو هذا

درارىُّ من نور الهدى تتوقّدُ　　مطالعُها فوق المجرّة اسعُدُ
وانهار جود كلّما أُمسك الحيا　　يمدّ بها طامى الغوارب مُزْبِدُ
وآساد حرب غابُها شجر القنى　　ولا لبدة الا العجاج الملبّدُ
مساعير * فى الهيجاء[b] مساريع للندى　　بايديهم يُحمى الهجير ويبردُ
تُشَبّ بهم نارانِ للحرب والقِرَى　　ويجرى بهم سيلانِ جيش وعسجدُ
ويستمطرون البرق والبرق عندهم　　سيوف على افق العُداة تجرّدُ
اذا عن سجف الساريات مضاؤها　　فما ذا الذى يغنى الحديد المسرّدُ[c]
ويسترشدون النجم والنجم عندهم　　نصول الى حَبّ القلوب تسدّدُ
تزاحَم فى جوّ السماء كانما　　عواملها فى الافق صرح ممرّدُ
تحاذَر الحاظُ الكواكب دونها　　ويَفْرَق منها المِرْزَمانِ وفرقدُ

---

a) G. L. P. S. et O. ajoutent منه. b) La. O. للهيجا. c) Je ne comprends pas ce vers. Voici les variantes des man.: O. سحف, La. O. السايرات, La. يغنى, O. المبرد.

الم تَرَها فى الافق خافقة الحشا   كما تطرف a العينان والقلب يزأدُ
وليس آحْمرار الفجر من اثر السنى   ولكنّه ذاك النجيع المورّدُ
وما انبسطت كفُّ الثريّا فدافعتْ   ولكنّها فى الحرب شِلْو مقدَّدُ
وحطّ سُهيلا ذعرُه عن سميّه   فاضحى على افق البسيطة يُرعَدُ
ولما راى نسر وقوعَ اليفه   تطاير من خوف فما زال يجهدُ
مواقع امر الله فى كل حالة   يكاد لها راس الثرى يتميّدُ
اهاب باقصى الخافقَيْن فنُظّمت   وهيّب جمعَ b المُخْفقين فبُدّدوا
وأَضْفَى c على الدنيا ملابسَ رحمة   نضارتُها فى كل حين تجدَّدُ
واخضل ارجاء الرُبَى فكانما   عليها من النبت النضير d الزبرجدُ
فمن طرب ما اصبح البرقُ باسما   ومن فرح ما اضحت المزنُ ترعدُ
وغنّى على اغصان كل اراكة   غداها حيا النعمى حمامٌ مغرّدُ
وكبّر ذو نطق وسبّح صامت   وكاد به المعدوم يُحيا ويوجدُ
وابرز للاذهان مما كان غائبا   فسيّان فيها مُطْلَق ومقيَّدُ
سلام على المهدىّ اما قضاؤه   فحَتْمٌ واما امره فمؤكّدُ
امام الورى عمّ البسيطة عدلهُ   على حين وجهُ الارض بالجور أربَدُ
بصير راى الدنيا بعين جليّة   فلم يُغْنه الا المقام المحمّدُ e
ولما مضى والامر لله وحده   وبُلّغ مامول وأُنجز موعدُ
تردّى امير المومنين رداءه   وقام بامر الله والناس هُجّدُ
بعزمة شَيْحان الفؤاد مصمّم   يقوم به اقصى الوجود ويقعدُ
مشيئته ما * شاءه الله f انه   اذا هَمّ فالحكم الالهىّ يُسْعِدُ
كتائبه مشفوعة بملائك   ترادفها g فى كلّ حال وترفدُ
وما ذاك الا نيّة خلصت h له   فليس له فيما سوى الله مقصدُ
اذا خطبت راياتُه وسط محفل   ترى قِمَمَ الاعداء فى الترب تسجدُ
وان نطقتْ بالفصل فيهم سيوفُه   اقرّ بامر الله من كان يجحدُ

a) G. L. La. O. تطرِق. b) La. O. جميع. c) P. S. L. واصفى, G. واصغى. d) G. S. La. O. الضمير. e) La. O. المماجد. f) S. شاء ربى. g) G. P. S. La. تراد بها, O. تزاد بها. h) S. حصلت.

مُعيد علوم الدين بعد ارتفاعها … ومُبْدى علوم لم تكن قبلُ تُعهدُ
وباسط انوار الهداية فى الورى … وقد ضمّ قرصَ الشمس فى الغرب ملحدُ
وقد كان ضوءُ الشمس عند طلوعها … يُغان بأَكْنان الضلال ويُغمدُ
فما زال يجلو عن مطالعها الصَدَى … ويبرزها بيضاءَ والجوُّ اسودُ
جزى الله عن هذا الانام خليفةً … به شربوا ماءَ الحياة فخُلّدوا
وحيّاه ما دامت محاسنُ ذكره … على مدرج الايام تُتْلَى وتنشدُ
لمصحف عثمن الشهيد وجمعه … تبيَّن ان الحق بالحق يُعضدُ
تحامتْه ايدى الروم بعد انتسافه … وقد كاد لولا سعده يتبدّدُ
فما هو الا ان تمرّس صارخ … بدعوته العليا فصينَ المبدَّدُ
وجاءَ وليُّ الثار يرغب نصره … فلبّاه منه عزمُه المتجرِّدُ a
راى اثر المسفوح فى صفحاته … فقام لاخذ الثار منه مؤيَّدُ
وشبّهه بالبدر وقتَ خسوفه … فلله تشبيه له b الشرع يشهدُ
زمان ارتفاع العلم كان خسوفه … وقد عاد بالمهدىّ والعود احمدُ
اتتْك اميرَ المومنين أَلُوكةٌ … من الحرم الاقصى لامرك تمهدُ
سيوف بنى عَيْلان قامت شهيرة … لدعوتك العلياء تهدى وترشدُ
وطافت ببيت الله فاشتدَّ شوقه … اليك ولبّى منه حِجْر ومسجدُ
وحجَّ اليك الركن والمَرْوه c والصَفَا … فانت لذاك الحج حجٌّ ومقصدُ
مشاعرها الاجسام d والروح امركم … ومنكم لها يرضى البقاءَ المخلَّدُ
فلله حج واعتمار وزورة … اتتْنا ولم يبرحك بالغرب مشهدُ
ولله سبع نيّرات تقارنت … بها فئَةُ الاسلام تُحْمَى e وتسعدُ
اذا لم يكن الا فناؤُك عصمة … فما ذا الذى يرجو القصىّ المبعَّدُ
فدُمْ للورى غيثا وعزًّا ورحمة … فقربُك فى الدارَيْن مُنْجٍ ومسعدُ
وزادت بك الاعيادُ حسنا وبهجة … كانك للاعياد زىٌّ مجدَّدُ
ولا زلتَ للايام تُبْلى جديدَها … وعمرُك فى رَيْعانه ليس ينفدُ

ثم انهم ادام الله تاييدهم، ووصل سعودهم،، لما ارادوا من المبالغة فى تعظيم المصحف

---

a) G. L. S. المتجدد. b) La. O. به. c) Au lieu de والمروة. d) S. الاجساد. e) La. O. تحيا.

المذكور، واستخدام البواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزير،، شرعوا فى انتخاب كسوته، واخذوا فى اختيار حليته،، وتأنّقوا فى استعمال أَحْفظته، وبالغوا فى استجادة أَصْونته،، فحشدوا له الصُنّاع المُتْقنين، والمَهَرة المتفنّنين،، ممن كان بحضرتهم العليّة، او بسائر بلادهم القريبة والقصيّة،، فاجتمع لذلك حُذّاق كل صناعة ومَهَرة كل طائفة من المهندسين والصوّاغين والنظّامين والحلّائين والنقّاشين والمرصّعين والنجّارين والزوّاقين[a] والرسّامين والمجلّدين وعرفاء البنائين ولم يبق من يوصف ببراعة، او يُنسب الى الحذق فى صناعة،، الا احضر للعمل فيه، والاشتغال بمعنى من معانيه،، فاشتغل اهل الحِيَل الهندسيّة بعمل أَمْثلة مخترعة، واشكال مبتدعة،، وضمّنوها من غرائب الحركات، وخفىّ امداد الاسباب المسبّبات[b]،، ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم، واستفرغوا فيه جهدَ قوّتهم،، والهمّة العليّة ادام الله سموّها تترقّى فوق معارجهم، وتتخلّص كالشهاب الثاقب وراء موالجهم، وتنيف على ما ظنّوه الغايةَ القُصْوَى من لطيف مدارجهم،، فسلكوا من عمل هذه الامثلة كل شِعْب، ورأبوا من منتشرها كل شَعْب، واشرفوا عند تحقيقها، وابراز دقيقها، على كل صعب،، فكانت منهم وقفة كادت لها النفسُ تيأس عن مطلبها، والخواطرُ تكرُّ راجعةً عن خفىّ مذهبها،، حتى اطلع الله خليفته فى خلقه، وامينَه المرتضَى لاقامة حقّه،، على وجه انقادت فيه تلك الحركاتُ بعد اعتياصها، وتخلّصت اشكالها عن الاعتراض على احسن وجوه خلاصها،، القوا ذلك ايّدهم الله بنصره، وامدّهم بمعونته ويُسْره،، الى المهندسين والصُنّاع فقبلوه احسن القبول، وتصوّروه باذهانهم فرأوه على مطابقة المامول،، فوقّفهم حسنُ تنبيهه مما جهلوه على طور غريب من موجبات التعظيم، وعلموا ان الفضل لله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم،، وسياتى بعد هذا اشارة الى تفصيل تلك الحركات المستغرَبة، والاشكال المونقة المعجبة،، ان شاء الله تعالى مما صُنع للمصحف العظيم من الأَصْونة الغريبة، والأَحْفظة العجيبة،، انه كُسى كله بصوان واحد من الذهب والفضة ذى صنائع غريبة من ظاهره وباطنه لا يُشْبه بعضُها بعضا قد أُجرى فيه من الوان الزجاج الرومىّ ما لم يُعهد له فى العصر الاول مثال، ولا عُمر قبله بشبهه خاطر ولا بال،، وله مفاصل تجتمع اليها اجزاؤه وتلتئم، وتتناسق عنده عجائبه

---

a) Les man. portent والزراقين. b) P. L. S. La. O. للمسببات.

وتنتظم،، قد أُسلست للتحرّك اعطافهـا، وأُحكم انشاؤها على البغية وانعطافها،، ونُظم على صفحته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس الدرّ وعظيم الزمرّد مـا لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تنافس فى افراده، وتتوارثه على مرور الزمن وترداده،، وتظنّ العزّ الاقعس، والملك الانفس،، فى ادّخاره واعداده، وتسمّى الواحد منها بعد الواحد بالاسم العَلَم لشذوذه فى صنفه واتّحـاده،، فانتظم عليه منها ما شاكله زُهْرُ الكواكب فى تلألؤه واتّقاده، واشبَهَه الروضُ المزخرف غبَّ سماءٍ اقلعتْ عن امداده،، واتى هذا الصوان الموصوف رائقَ المنظر، آخذًا بمجامع القلب والبصر، مستوليا بصورته الغريبة على جميع الصُوَر،، يدهش العقول بهـاءً، ويحيّر الالباب رُواءً، ويكـاد يُعْشى a الناظر تألّقا وضياءً،، فحين تمّت خِصـالُه، واستُركبت اوصـاله، وحـان ارتبـاطه بالمصحف العظيم واتّصاله،، راوا ادام الله تـاييدهم واعلى كلمتهم ممـا رزقهم الله من ملاحظة الجهات، والاشراف على جميع التنبّيـات،، ان يُتلطّف فى وجه يكون به هذا الصوانُ المذكور طورًا متّصلا، وطورًا منفصلا،، ويتـأتّى به للمصحف العظيم ان يبرز تـارةً للخصوص متبذّلا، وتـارةً للعموم متجمّلا،، اذ معارج النـاس فى الاستبصـار تختلف، وكل له مقـام اليه ينتهى وعنده يَقف،، فعُمـل فيه على شـاكلة هـذا المقصد b، وتُلطّف فى تتميم هذا الغرض المعتمَـد،، وكُسى المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الاخضر، ذى حلية خفيفة تلازمه فى المغيب والمحضر،، ورُتّب ترتيبا يتأتّى معه ان يُكسى بالصوان الاكبر، فيلتئم به التيامـا يغطّى على العينَ من هذا الأثُر،، وكمل ذلك كله على اجمل الصفات واحسنها، وابدع المذاهب واتقنها،، وصُنع له مَحْمِل غريب الصنعة، بديع الشكل والصيغة،، ذو مفاصل ينبو عن دقّتهـا الادراكُ، ويشتدّ بها الارتباط بين المفصلَيْن ويصحّ الاشتراك،، مغشّى كله بضروب من الترصيع، وفنون من النقش البديع، فى قِطَع من الابنوس والخشب الرفيع،، لـم يعمـل c قط فى زمـان من الازمـان، ولا انتهت قـط الى ايسره نوافذ الاذهـان،، مُدار بصنعة قد أُجريت فى صفائح الذهب، وامتدّت امتدادَ ذوائب الشُهُب،، وصُنع لـذلك المحمل كرسيٌّ يحمله عنـد الانتقـال، ويشـاركه فى اكثر الاحوال،، مرصّع مثـل ترصيعه الغريب، ومشاكل d له فى جودة التقسيم وحسن الترتيب،، وصُنع لذلك كله تابوت

---

a) L. S. La. O. يغشى. b) G. L. S. القصد. c) G. L. S. تعمل. d) S. La. ومشارك.

يحتوى عليه احتواء المشكاة على انوارها، والصدور على محفوظ امكارها،، مكعّب الشكل سامٍ فى الطول حسن الجملة والتفصيل، بالغ ما شاء من التتميم فى اوصاله والتكميل، جارٍ مجرى المَحْمل فى التزيين والتجميل،، وله فى احد غواربه باب رُكّبت عليه دفّتان قد أُحكم ارتجاجهما، ويُسّر بعد الابهام انفراجهما،، ولانفتاح هذا الباب وخروج الكرسىّ من تلقائه وتركُّب المحمل عليه ما دُبّرت الحركات الهندسيّة، وتُلقّيت تلك التنبيهات القدسيّة،، وانتظمت العجائب المعنويّة والحسّيّة، والتأمت الذخائر النفيسة والنفسيّة،، وذلك ان باسفل هاتين الدفّتين فيصلا فيه موضع قد أُعدَّ له مفتاح لطيف يدخل فيه فاذا أُدخل ذلك المفتاح فيه وأُديرت به اليدُ انفتح البابُ بانعطاف الدفّتين الى داخل الدفّتين من تلقائهما وخرج الكرسىّ من ذاته بما عليه الى اقصى غايته وفى خلال خروج الكرسى يتحرّك عليه المحمل حركةً منتظمة مقترنة بحركته ياتى بها من مؤخّر الكرسى زحفًا الى مقدّمه فاذا كمل الكرسى بالخروج وكمل المحمل بالتقدّم عليه انغلق البابُ برجوع الدفّتين الى موضعهما من تلقائهما دون ان يمسّهما احد وترتّبت هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط دون تكلّف شىء آخر فاذا أُدير المفتاح الى خلف الجهة التى ادير اليها اولا انفتح[a] الباب واخذ الكرسى فى الدخول والمحملُ فى التأخّر عن مقدّم الكرسى الى مؤخّره فاذا عاد كل الى مكانه انسدَّ البابُ بالدفّتين ايضا من تلقائه كلُّ ذلك يترتّب على حركة المفتاح كالذى كان فى حال خروجه وصحّت هذه الحركات اللطيفة على اسباب ومسبّبات غائبة عن الحسّ فى باطن الكرسى وهى مما يدقّ وصفُها ويصعب ذكرُها اظهرتْها بركاتُ هذا الامر السعيد وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة ادام الله امرهم، واعزّ نصرهم،، وفى خلال الاشتغال، بهذه الاعمال،، التى هى[b] غُرَر الدهر، وفوائد العمر،، امروا ادام الله تاييدهم ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش حرسها الله تع فبُدئ ببنيانه وتاسيس قبلته فى العشر الاول من شهر ربيع الآخر سنة ٥٥٣ وكمل منتصَف شعبان المكرم من العام المذكور على اكمل الوجوه واغرب الصنائع وافسح المساحة وابعد البناء والنجارة وفيه من شمسيّات الزجاج وحركات المنبر والمقصورة ما لو عُمل فى السنين العديدة لاسْتُغرب تمامُه فكيف فى هذا الأَمَد

---

a) Les man. ajoutent اولا. b) G. L. S. فى.

اليسير الذى لم يتخيّل احد من الصُنّاع انه يتمّ فيه فضلًا عن بنائه وصُلّيت فيه صلاة الجمعة منتصَف شعبان المذكور ونهضوا ادام الله تاييدهم عقبَ ذلك لزيارة البقعة المكرمة، والروضة المعظمة،، بمدينة تينْمَلّل ادام الله رفعتها فاقاموا بها بقيّة شعبان المكرم، واكثرَ شهر رمضان المعظم،، وحملوا فى صحبتهم المصحف العزيز ومعه مصحف الامام المهدى المعلوم رضّه فى التابوت الموصوف اذ كان قد صُنع له غرفة فى اعلاه، وأُحكمت فيه احكاما كمل به معناه، واجتمع فى مشكاته فعاد النور الى مبداه،، وخُتم القرآن العزيز فى مسجد الامام المعلوم ختمات كادت لا تُحصى لكثرتها، وهذا انتهى ما وجدناه من هذا المكتوب ثم قال ابن رشيد بعد ايراد ما تقدم ما صورتُه تجزت الرسالةُ فى المصحف العظيم والحمد لله رب العالمين، انتهى محلّ الحاجة منه، وما احسن قولَ الشيخ الامام ابى محمد عبد الحق بن غالب بن عطيّة يستودع اهل قرطبة

استودع اللهَ اهلَ قرطبة   حيث عهدتُّ [a] الحياءَ والكرمَا

والجامع الاعظم العتيق ولا [b]   زال مدى الدهر مأمنًا حرمَا

وقال ابو الربيع بن سالم حدّثنى بذلك ابو الحسن عبد الرحمن بن ربيع الاشعرى قال انشدنى ابو محمد بن عطيّة لنفسه فذكرهما بعد ان قال انه لما ازمع القاضى ابو محمد بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع وانشد البيتين انتهى، وقال ابن عطية ايضا رحّه   باربع فاقت الامصارَ قرطبةٌ   البيتين [c]

وقد تقدم انشادُنا لهذين البيتين من غير نسبة لاحد، ومما يدخل فى اخبار الزاهرة من غير ما قدّمناه ما حكاه عن نفسه الوزير الكاتب ابو المُغيرة بن حزم قال نادمتُ يوما المنصور بن ابى عامر فى منية السرور بالزاهرة ذات الحسن النضير، وهى جامعة بين روضة وغدير،، فلما تضمّخ النهارُ بزعفران العشىّ، ورفرف غراب الليل الدجوجىّ،، واسبل الليلُ جنحه، وتقلّد السماكُ رمحه،، وهمّ النسرُ بالطيران، وعام فى الافق زورقُ الزبرقان،، اوقدنا مصابيحَ الراح، واشتملنا مُلاءَ الارتياح،، وللدجىّ فوقنا رواق مضروب، فغنّتْنا عند ذلك جارية تسمّى أُنْس القلوب،،

قدم الليلُ عند سير النهارِ   وبدا البدرُ مثل نصف سوارِ

---

a) G. L. عهدت, La. O. وجدت. b) G. L. وما. c) Voyez plus haut, p. ۹۹. Variantes: vs. 1. وهى ; vs. 2. اكبر شى.

فكانّ النهار صفحة خدّ   وكانّ الظلام خطّ عذارِ
وكانّ الكؤوس جامدُ ماءٍ   وكانّ المدام ذائب نارِ
نظرى قد جنى علىّ ذنوبا   كيف مما جنته عينى اعتذارى
يا لَقومى تعجّبوا من غزال   جائرٍ فى محبّتى وهو جارى
ليت لو كان لى *اليه سبيل[a]   فأُقضّى من حبّه[b] اوطارى

قال فلما اكملت الغنا، احسستُ بالمعنى،، فقلتُ

كيف كيف الوصول للاقمارِ   بين سُمْر القنى وبيض الشفارِ
لو علمنا بانّ حبّك حقٌّ   لَطلبنا الحياة منك بثارِ
واذا ما الكرام همّوا بشىء   خاطروا بالنفوس فى الاخطارِ

قال فعند ذلك بادَرَ المنصور لحسامه، وغلظ فى كلامه،، وقال لها قُولى واصْدقى الى من تُشيرين، بهذا الشوق والحنين،، فقالت الجارية ان كان الكذبُ أَنْجَى، فالصدق أَحْرَى وأَوْلَى،، والله ما كانت الا نظرة، ولدتْ فى القلب فكرةً،، فتكلّم الحبُّ على لسانى، وبرح الشوق بكتمانى،، والعفو مضمون لديك عند المَقْدَرة، والصفح معلوم منك عند المعذرة،، ثم بكت فكانّ دمعها درّ تناثر من عقد، او طلّ تساقط من ورد،، وانشدت

اذنبتُ ذنبا عظيما   فكيف منه اعتذارى
والله قدّر هذا   ولم يكن باختيارى
والعفو احسن شىء   يكون عند اقتدارِ

قال فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب الىّ، وسلّ سيف السخط علىّ،، فقلتُ ايّدك الله انما كانت هفوة جرّها الفكرُ، وصبوة ايّدها النظرُ،، وليس للمرء الا ما قُدر له، لا ما اختاره وامّله،، فاطرق المنصور قليلا ثم عفا وصفح، وتجاوز عنّا وسمح،، وخلّا سبيلى، فسكّن وجيبَ قلبى وغليلى، ووهب الجارية لى،، فبتْنا بانعم ليلة، وسحبنا فيها للصبا ذيله،، فلما شمّر الليلُ غدائره، وسلّ الصباحُ بواتره،، وتجاوبت الاطيار بضروب الالحان، فى اعالى الاغصان،، انصرفتُ بالجارية الى منزلى، وتكامل سرورى،، قال بعضهم ذكّرتْنى حكايةُ ابى المغيرة هذه حكايةً قراتُها فى النوادر لابى على القالىّ البغدادى حذتْ فى الظرف حذوَها، وزهتْ بالاغراب زهوَها،، وهى ما اسنَدَه عن

---

a) La. O. سبيل اليه. b) La. O. الهوى.

منصور البرمكى انه كانت للرشيد جارية غلاميّة وكان المامون يميل اليها وهو اذذاك امرد فوقفت تصبّ *a* على يد الرشيد من ابريق معها والمامون خلف الرشيد فاشار اليها يقبّلها فانكرت ذلك بعينها وابطأت فى الصبّ على قدر نظرها للمامون واشارتها اليه فقال الرشيد ما هذا ضَعِى الابريق من يدك ففعلت فقال والله لئن لم تصدقينى لاقتلنّك فقالت يا سيدى اشار الىّ كانه يقبّلنى فانكرتُ ذلك عليه فالتفت الى المامون فنظر اليه كانه ميّت لما داخَلَه من الجزع والخجل فرحمه وضمّه اليه وقال يا عبد الله أَتحبّها قال نعم يا امير المومنين قال هى لك فأخْلُ بها *فى تلك القبة *c* ففعل ثم قال له هل قلتَ فى هذا الامر شيئا فقال نعم يا سيدى ثم انشد

ظبى كتبتُ بطرفى من الضمير اليه قبّلْتُه من بعيد
فاعتلّ من شفتَيْهِ وردّ اخبث ردّ بالكسر من حاجبَيْهِ
فما برحتُ مكانى حتى قدرتُ عليه

وفى هذا المعنى يقول احد البلغاء اللحظ يعرّب عن اللفظ وقال *آخر رُبَّ *d* كناية تُغْنى عن ايضاح وربَّ لفظ يدلّ على ضمير ونظمه الشاعر فقال

جعلنا علامات المودّة بيننا دقائقَ لفظ هنّ أَمْضَى من السحْرِ
فاعرف منها الوصلَ فى لين لحظها واعرف منها الهجرَ بالنظر الشَّزْرِ

وفى هذا قال بعض الحكماء العينُ باب القلب فما فى القلب ظهر فى العين وقال الشاعر

العين تُبْدى الذى فى نفس صاحبها من المحبّة او بُغْض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

انتهى، وابو المغيرة بن حزم قال فى حقّه فى المطمح ما نصّه الوزير الكاتب ابو المغيرة عبد الوهّاب بن حزم وبنو حزم فتية علم وادب، وثنيّة *e* مجد وحسب،، وابو المغيرة هذا فى الكتابة اوحد، ولا يُنْعَت ولا يُحَدّ،، وهو فارس المضمار، حامى ذاك الذمار،، وبَطَل الرعيل، واسد ذلك الغيل،، نسق المعجزات، وسبق فى المُعْضِلات الموجزات،، اذا كتب وشى المهارقَ ودبج، وركب من بحر البلاغة الثبج،، وكان هو وابو عامر بن شُهَيْد خليلَىْ صفا، وحليفَىْ وفا،، لا ينفصلان فى رواح *f* ولا مَقيل، ولا يفترقان كمالك وعَقيل،، فكانا بقرطبة رافعَىْ أَلْوِيَة الصبوة، وعامرَىْ أَنْدِيَة السلوة،،

a) La. ajoute الماء. b) O. فادخل. c) La. O. تلك الليلة بالقبة. d) G. L. S. اخرون.
e) *Al-Mat.* L. وشاجية (ou peut-être وثنيّة). f) Al-Makk. رواد.

الى ان اتُّخذ ابو عامر فى حبالة الردى وعلق، وغدا رهنُه فيما[a] قد غلق،، فانفرد ابو المغيرة بذلك الميدان، واستردَّ من سبقه ما فاتَه منذ زمان،، فلم تُذكر له مع ابى عامر حسنة، ولا سارت[b] له فقرة[c] مستحسَنة،، لتعذُّر ذلك وامتناعه، *بشفوف ابى عامر وامتداد باعه[d]،، واما شعر ابى المغيرة فمرتبط بنثره، ومختلط زهرُه بدُرّه[e]،، وقد اثبتُّ له منها فنونا، تُجَنّ بها الافهامُ جنونا،، فمن ذلك قوله

طعنتْ وفى احداجها من شكلها[f]   عِينٌ فصَحْنَ بحسنهنّ العِينَا[g]
ما انصفتْ[h] فى جنب قُوضِحَ اذ قَرَتْ   ضيفَ الوداد بلابلًا وشجونَا
اضحى الغرامُ قطينَ رَبْع فؤاده   اذ لم يجدْ بالرقمتَيْن[i] قطينَا

وله   لما رايتُ الهلال منطويا   فى غرّة الفجر قارَنَ[j] الزُهَرَةْ
شبّهْتُه والعيانُ يشهد لى   بصولجان انْثَنَى[k] لضرب كُرَةْ

انتهى، وابو عامر بن شهيد المذكور قال فى حقّه ما صورتُه الوزير ابو عامر احمد ابن عبد الملك بن شهيد الاشجعى عالم باقسام البلاغة[l] ومعانيها، حائز قصب السبق فيها،، لا يُشْبِهه احد من اهل زمانه، ولا ينسق ما نسق من درّ البيان وجمانه،، توغّل فى شعاب البلاغة وطُرُقها، واخذ على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها،، لا يقاومه عمرو بن بحر، ولا تراه[m] يغترف الا من بحر،، مع انطباع، مشى فى طريقه بامدّ باع،، وله الحَسَب المشهور، والمكان الذى لم يَعْدُه للظهور، وهو من ولد الوَضّاح، المتقلّد تلك المفاخر والاوضاح،، *صاحب الضَحّاك[n] يومَ المَرْج، وراكب ذلك الهَرْج،، وابو عامر *هذا حفيده[o] من ذلك النسب، ونبع لا يراش[p] الا مع[q] ذلك الغرب[r]،، وقد اثبتُّ له ما هو بالسحر لاحق، ولنور المحاسن[s] ماحق،، فمن ذلك قوله

a) *Al-Mat.* R., al-Makk. G. P. L. S. O. فيها.   b) *Al-Mat.* P. R., al-Makk. سرت.   c) *Al-Mat.* L. ajoute وان كانت باشمت ال (باشتمال l.) ابى عامر على تلك الصناعة.   d) *Al-Mat.* L.   e) Al-Makk. بدرره.   f) *Al-Mat.* L. سلكها.   g) Après ce vers on trouve dans le man. L. du *Mat.* et aussi chez al-Homaidī:

ضُنَّ البدور بظلّ شَعْر (جثل al-H.) فاحم   وغرسن فى كثبانهن غصونا ☆

h) Al-Makk. الصفت.   i) *Al-Mat.* L., al-Hom. بالرقتين.   j) *Al-Mat.* L. P. R., al-Makk. G. L. S. فارق.   k) Al-Hom. اوفى.   l) *Al-Mat.* L. الكلام.   m) *Al-Mat.* L. تخاله. n) *Al-Mat.* P. R. والضحاك صاحب الضحاك, *al-Mat.* L. et al-Makk. والضحاك صاحب. o) *Al-Mat.* P. R. et al-Makk. حفيده هذا.   p) Al-Makk. La. O. تراس.   q) *Al-Mat.* L. et al-Makk. La. O. من.   r) *Al-Mat.* P. R. العرب, al-Makk. La. O. الزغب.   s) *Al-Mat.* L. الشمس.

ان الكريم اذا نالته *a* مخمصة ابدى الى الناس * شَبْعًا وهو طَيّانُ *b*
يحنى الضلوعَ على مثل اللّظى حرقًا والوجه غَمْرٌ بماء البِشْر مَلّآنُ *c*

وهو ماخوذ من قول الرضى

ما انْ رايتُ كمعشر صبروا عزًّا على الأَزْلات *d* والازمِ
بسطوا *e* الوجوه وبين اضلعهم حَرُّ الجوى ومآلم الكلمِ

وله ايضا

آلَمْتُ *f* بالحبّ حتى لو دنا اجلى لَمَا وجدتُ لطعم الموت من أَلَمِ
* كلا الندى والهوى قِدْمًا ولعتُ به *g* وَيْلى من الحبّ او *h* ويلى من الكرمِ

واخبرنى الوزير ابو الحسين *i* بن سراج * وهو بمنزل ابن شهيد وكان من البلاغة فى مدى غاية البيان، ومن الفصاحة فى اعلى مراتب التبيان،، وكُنّا نحضر مجلس شرابه، ولا نغيب عن بابه *j*،، وكان له بباب الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه اكثرَ نهاره، ولا يخلّيه من نثر دُرَره وازهاره،، فقعد فيه ليلة ۲۷ من رمضان فى لمّة من اخوانه، وائمّة سلوانه،، وقد حفّوا به، ليقطفوا *k* نُخَب *l* ادبه،، وهو يخلط لهم الجدّ بهزل، ولا يفرط فى انبساط *m* مشتهر ولا انقباض جزل،، اذا *n* بجارية من اعيان اهل قرطبة معها من جواريها، مَنْ يسترها ويواريها،، وهى ترتاد موضعا لمناجاة ربّها، وتبتغى منزلا لاستغفار ذنبها،، وهى متنقّبة، خائفة ممن يرقبها *o* مترقّبة،، وامامها طفل لها كانه غصن آس، او ظبى يمرح فى كناس،، فلما وقعت عينُها على ابى عامر ولّت سريعة، وتولّتْ مروعة،، خيفةَ ان * يشبّب بها *p*، او يشهرها باسمها،، فلما نظرها، قال قولا فضحها به وشهرها *q*،،

---

a) On trouve cette leçon chez al-Homaidī. Les man. du *Mat*. et d'al-Makk. portent نـابته.
b) J'ai suivi ici al-Hom.; *al-Mat*. L. بشرا وهو ظمان, *al-Mat*. P. et al-Makk. ريا وهو ظمان.
c) Al-Makk. La. O. ريان. *d*) Al-Makk. La. O. الازمات. *e*) *Al-Mat*. P. R. et al-Makk. G. L. S. نشطوا. *f*) J'ai adopté la leçon que l'on trouve dans al-Hom.; *al-Mat*. L. P. R. et al-Makk. كلفت. *g*) Al-Hom. وزادنى كرمى عمن ولهت به. *h*) Al-Makk. La. O. ام.
i) *Al-Mat*. R. et al-Makk. ابو الحسن. *j*) *Al-Mat*. L. ان منزل ابى عامر بن شهيد كان منتدا الاعيان، ومسرى البيان،، وكان كل شاعر او كاتب، منه بين حلة او راتب،، وكانوا يحضرون مجلس شرابه، ولا ينفصلون ساعة عن بابه،، *k*) *Al-Mat*. R. et al-Makk. G. L. P. ليقطعوا. *l*) *Al-Mat*. L. نجب, al-Makk. O. مخب, G. L. P. نحت, S. تحت, La. تحف. *m*) *Al-Mat*. P. et al-Makk. G. S. P. O. البساط et انقاص.
n) *Al-Mat*. R. et al-Makk. واذا. *o*) *Al-Mat*. L. يرمقها. *p*) Al-Makk. La. O. يشببها.
q) Ces vers se trouvent aussi dans le بدائع البدائه (*Bad.*).

ونـاظرة[a] تحت طىّ القناع | دعاها الى الله بالخيرة[b] داعى
* سعتْ خفيةً[c] تبتغى منزلا | لوصل التبتّل والانقطاع
فجاءت تَهادَى كمثل الرؤوم | تُناغى[d] غزالا * بروض اليفاع[e]
وجالت بموضعنا[f] جولةً[g] | فحلّ الربيع بتلك البقاع[h]
اتتْنا تبختَرُ فى مشيها | فحلّتْ بوادٍ كثير السباع
وريعتْ حذارًا على طفلها | * فناديتُ يا هذه لا تُراعى
غزالك تَفْرَق منه الليوث | وتنصاع[j] منه كُماةُ[k] المصاع
فولّتْ وللمسك فى[l] ذيلها | على الارض خطٌّ كظهر[m] الشُجاع

انتهى المقصود منه، رجع ومما ينخرط فى سلك اخبار الزهراء ما حكاه الفتح فى ترجمة المعتمد بن عبّاد انْ قال واخبرنى الوزير الفقيه ابو الحسن[n] بن سراج انه حضر مع الوزراء والكتّاب بالزهراء فى يوم قد[o] غفل عنه الدهرُ فلم يرمقْه بطرف، ولم يطرقْه بصرف،، ارختْ به المسرّاتُ عهدَها، وابرزتْ له الامانىّ خدّها،، وارشفت فيه لَمَاها، واباحت الزائرين[p] حماها،، وما زالوا ينتقلون[q] من قصر الى قصر، ويتبذلون[r] الغصون بجنى وهصر،، ويتوقّلون فى تلك الغُرَفات، ويتعاطون الكؤوس[s] بين تلك الشُرُفات،، حتى استقرّوا بالروض بعد[t] ما قضوا من تلك الآثار اوطارا، ووقّروا[u] بالاعتبار قطارا،، فحلّوا منه[v] فى درانك ربيع مفوّفة بالازهار، مطرّزة[w] بالجداول والانهار،، والغصون تختال فى ادواحها، وتتثنّى فى اكفّ ارواحها،، وآثار الديار قد اشرفتْ عليهم كثكالى يَنُحْنَ على خرابها، وانقراض[x] اطرابها،، والوَهْى بمشيَّدها لاعب، وعلى كل جدار غراب ناعب،، وقد محت الحوادثُ ضياءها، وقلّصت ظلالها وافياءها،،

---

a) *Bad.* وداعية. b) *Al-Mat.* P. R. للخير. c) *Bad.*, اتت بابنها. d) *Bad.*, *al-Mat.* P. et al-Makk. تراعى. e) C'est ainsi qu'on lit dans *Bad.*; *al-Mat.* L. يفاع (?) باعبى ; al-Makk. بروض البقاع. Ce vers manque dans *al-Mat.* P. R. f) *Bad.* بأكنافه. g) Al-Makk. O. حوله. h) Ce vers manque dans *al-Mat.* L. et al-Makk. G. L. P. Dans *Bad.* il est placé après اتتنا تبختر. i) *Bad.* فقلت ايا. j) *Bad.* وتهرب; al-Makk. G. L. P. S. La. وتقطع, O. وتفزع. k) *Bad.* اسود. l) *Al-Mat.* L. P. R. et al-Makk. G. L. S. من. m) *Bad.* كخط. n) *Al-Kal.* H. الحسين. o) Ce mot manque dans les man. d'al-Makk. p) Al-Makk. للزائرين. q) Al-Makk. ينقلون. r) S. La. O. ويتبدلون. s) La. O. فى. t) Al-Makk. G. L. S. من بعد. u) *Al-Kal.* Ga. H. et al-Makk. ووقروا. v) Al-Makk. منها. w) O. مطردة, La. مطرفة. x) La. et O. ajoutent و اترابها.

وطالَما اشرقتْ بالخلائف وابتهجت، وفاحت من شذاهم وارجت a،، ايامَ نزلوا خلالها، وتفيّئوا ظلالها،، وعمروا حدائقها وجنّاتها، ونبّهوا الآمال من سنَاتها،، وراعوا الليوث فى آجامها، واخجلوا الغيوث عند انسجامها،، فأضحتْ ولها بالتداعى تلفّع واعتجار، ولم يبق من آثارها الا نُوىٌّ واحجار،، قد وَهَتْ قبابُها، وهرم شبابُها،، وقد يلين الحديد، ويَبْلَى على طيّه الجديد،، فبينما هم يتعاطونها صغارا وكبارا، ويديرونها انسا واعتبارا،، اذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعة فيها b

حسد القصر فيكم c الزهراءا ولعمرى وعمركم ما اساءا

قد طلعتم بها شموسا صباحا d فاطْلُعوا عندنا بدورا مساءا

فساروا الى قصر البستان بباب العطّارين فألْفَوْا مجلسا قد حار فيه الوصف، واحتشد فيه اللهو والقصف، وتوقّدت نجوم مُدامه، وتأوّدت قدود خُدّامه،، وأَرْبَى على الخورنق والسّدير،، وابدى صفحة البدر من ازرار المُدير،، فاقاموا ليلَهم e ما عراهم نوم، ولا عداهم عن طيب اللذّات سَوْم،، وكانت قرطبة منتهى امله، وكان رَوْمُ امرها اشهى عمله،، وما زال يخطبها بمداخلة اهليها، ومواصلة واليها،، اذ لم يكن فى منازلتها فائد f، ولم يكن لها الا حِيَل ومكايد،، لاستمساكهم بدعوة خلفائها، وأَنَفتهم من طموس رسوم الخلافة وعفائها،، وحين اتّفق له تملُّكها، وأَطْلَعه فلكها،، وحصل فى قطب دارتها، ووصل الى تدبير رياستها وادارتها،، قال

مَنْ للملوك بشأْو الأَصْيَد البَطَلِ هيهات جاءتكم مهريّة g الدُوَلِ

خطبتُ قرطبة الحسناء اذ منعتْ من جاء يخطبها بالبيض والاسل

وكم غدتْ عاطلا حتى عرضتُ لها فاصبحتْ فى سرىّ الحلى والحُلَلِ

عِرْس الملوك لنا فى قصرها عُرُسٌ كل الملوك بها فى مأتم الوجل

فراقبوا عن قريب لا ابا لكم هجومَ ليث بدرع الباس مشتمل

ولما انتظمت فى سلكه، واتّسمت بملكه،، اعطى ابنَه الظافر زمامَها، وولّاه نقضها وابرامها،، فافاض فيها نداه، وزاد على امده ومداه،، وجمّلها بكثرة حبائه، واستقلّ باعبائها على فتائه،، ولم يزل فيها آمرًا وناهيا، غافلا عن المكر ساهيا،، حُسْنَ ظنّ باهلها اعتقده،

---

a) La. O. وتارجت. b) Al-Makk. G. L. مكتوب فيها, S. فيها مكتوب. c) Al-M. منكم.
d) La. O. نهارا. e) Al-M. ليلتهم. f) Al-Makk. G. L. P. فائد, S. فائدة. g) Al-Makk. مهدية ✿

واغترارا بهم بما روّاه ولا انتقده،، وهيهات كم من ملك كفّنوه فى دمائه، ودفنوه بذمّائه،، وكم من عرش ثلّوه *a*، وكم من عزيز مُلْك اذلّوه،، الى ان ثار فيها ابن عُكّاشة ليلا، وجرّ اليها حربا وويلا،، فبرز الظافر منفردا عن كُماته، عاريا من حُماته،، وسيفه فى يمينه، وهاديه فى الظلماء نورُ جبينه،، فانه كان غلاما كما بلّله الشبابُ بانداثه، والحفه الحسنُ بردائه،، فدافعهم اكثرَ ليله، وقد مُنع منه تلاحُق رَجْله وخيله،، حتى امكنتْهم منه عثرةٌ لم يُقَلْ لها لَعًا، ولا استقلّ منها ولا سعى،، فتُرك ملتحفا بالظّلْما *b*، *تحت نجوم السماء *c*، معفّرا فى وسط الحماء *d*،، تحرسه الكواكبُ، بعد المواكب،، ويستره الحندسُ، بعد السندس،، فمرّ بمصرعه سحرًا احدُ ائمّة الجامع المغلّسين فرآه وقد ذهب ما كان عليه ومضى، وهو أعْرَى من الحسام المنتضى،، فخلع رداءه عن منكبَيْه ونضاه، وستره به سترا اقنع *المجدَ به *e* وارضاه،، واصبح لا يُعلم ربُّ تلك الصنيعة، ولا يُعرف فتُشْكَرَ له يدُه الرفيعة،، فكان المعتمد اذا تذكّر صرعتَه، وسعّر الحزنُ لوعتَه،، رفع بالعويل نداءه، وانشد ولم أَدْرِ مَنْ القى عليه رداءه ولما كان من الغد حُزّ *f* راسه ورُفع على سنّ رمح وهو يُشْرِق كنار على عَلَم، ويرشق نفس كل ناظر بألَم،، فلما رمقتْه الابصار، وتحقّقتْه الحُماةُ والانصار،، رموا اسلحتهم، وسوّوْا للفرار اجنحتهم،، فمنهم من اختار فراره وجلاه، ومنهم من اتتْ به الى حَيْنه رِجْلاه،، وشُغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره، ونصب الحبائل لوقوع ابن عُكّاشة وعثاره،، وعدل عن تابينه، الى البحث عن مفرقه وجبينه،، فلم تُحفظ له فيه قافية، ولا كلمة للوعته شافية،، الا اشارتُه اليه، فى تابين اخوَيْه،، المامون والراضى المقتولَيْن فى اول النائرة، والفتنة الثائرة،، انتهى، وقد رايت ان ازيد على ما تقدّم مما قصدتُّ جلبَه فى هذا الموضع نبذةً من كلام الفتح فى ذكر منتزهات قرطبة وغيرها من بلاد الاندلس، ووصف مجالس الانس التى كانت بها مما تنشرح له الانفس،، ووقع ذكر غير قرطبة والزهراء لهما تَبَعا، ولا يخلو ذلك من عبرة بحال من جعل فى اللهو مَصيفا ومرتبَعا،، ثم طواه الدهرُ طيَّ السجلّ، ومحى آثاره التى تسمو وتجلّ،، وما قصدنا علم اللهُ غيرَ الاعتبار، بهذه الاخبار،، لا الحثَّ على الحرام،

a) Al-M. غلوه. *b*) Al-M. فى الظلماء. *c*) On ne trouve pas ces mots dans les man. du *Kalāyid*. *d*) Al-M. G. L. S. الحجا. *e*) Al-M. المجدب. *f*) Les man. du *Kalāyid* portent حيز.

وتسهيلَ القصد اليه والمرام،، والاعمال بالنيّات، والله كفيل بفضله وكرمه ببلوغ الامنيّات، وتعويضنا عن هذه النعم الفانيات. بالنعم الباقيات. السنيّات،، قال الفتح رحمه فى ترجمة الوزير ابى الوليد بن زيدون ما صورته واخبرنى الوزير الفقيه ابو الحسين[a] ابن سراج[b] * انه فى وقت فراره اضحى[c] غداةَ الأَضْحَى،، وقد *ثار به[d] الوجدُ بمن كان يالفه والغرام، وتراءتْ لعينيْه[e] تلك الظباءُ الاوانس[f] والارآم،، وقد كان الفطر وافاه، والشقاءُ قد استولى على رسم عافيته حتى عفاه[g]،، فلما عاده منه[h] ما عاد، واعياه ذلك النكدُ المُعاد،، استراح الى ذكر عهده الحسن، واراح جفونه المسهَّدة بتوهُّم ذلك الوسن،، وذكر معاهد كان يخرج اليها فى العيد، ويتفرّج بها مع اولئك الغيد،، فقال

خليلى لا فطر يَسُرّ ولا أَضْحَى   فما حالُ[i] من أَمْسَى مشوقا كما أَضْحَى
لئن[j] شاقنى شرقُ العقاب فلم ازلْ   اخصُّ بممحوض الهوى ذلك السفحا
وما انفكّ[k] جوفيُّ الرصافة مُشْعِرى[l]   دواعيَ بثٍّ يُعْقِب[m] الاسفَ البرحا
ويهتاج قصر الفارسيّ صبابةً   لقلبى لا يالو[n] زنادَ الاسى[o] قدحا
وليس ذميما عهدُ مجلس[p] ناصح   فأَقبل فى فرط الوَلُوع به نصحا
كانّى لم اشهد لدى عين شهدة   نزالَ عتاب كان آخرُه الفتحا[q]
وقائع جانيها التجنّى فان مشى   سفيرُ خضوع بيننا اكّد الصلحا
وايام وصل بالعقيق اقتضيتُه   * فان لم[r] يكن ميعادُه العيدَ فالفصحا
وآصال لهو فى مسنّاة[s] مالك   معاطاةَ ندمان اذا شيتَ او سبحا
لدى راكد تصبيك من صفحاته   قواريرُ خُضْرٌ خلْتَها مُرّدتْ صرحا
معاهد لذّات واوطان صبوة   اجلتُ المعلّى فى الامانى بها قِدْحا

a) *Al-Ḱ.* G., et al-M. G. L. La. O. الحسن. b) Les man. d'al-M. ajoutent رحمه. c) *Al-K.* B. اضحى،، وتبارية الطلب امام وجريه تواريه، ايام انه. d) *Al-Ḱ.* A. B. G. تار له, H. نازله. e) *Al-Ḱ.* A. B. G. H. له. f) *Al-Ḱ.* A. الانسه, B. C. H. الانسية; dans G. le mot manque. g) *Al-Ḱ.* G. عافاه; les autres man. du *Ḱ.* et tous ceux d'al-M. portent اعفاه. h) *Al-Ḱ.* A. B. منها, H. et al-M. منهما. i) *Al-Ḱ.* B. G. D. بال. j) *Al-Ḱ.* G. D. وكم. k) *Al-Ḱ.* B. زال. l) Al-M. مسعرى. m) *Al-Ḱ.* B. et al-M. تعقب. n) *Al-Ḱ.* G. H. تالو. o) *Al-Ḱ.* B. G. D. et al-M. La. O. الهوى. p) Al-M. مجالس.

q) *Al-Ḱ.* A. القبحا. r) *Al-Ḱ.* A. G. et al-M. فالا. s) *Al-Ḱ.* A. مُسنّيات.

أَلا هل الى الزهراء اوبةُ نازحٍ[a] ... تقضّتْ مبانيها مدامعُه نزحا

مقاصير[b] ملكٍ اشرقتْ جنباتُها ... فخلْنا[c] العشاءَ الجون اثناءها صبحا

يمثّل قرطَيْها لى[d] الوهمُ جهرةً[e] ... فقبّتَها فالكوكبَ الرحب[f] فالسطحا

محلّ ارتياح يُذْكر الخُلْدَ طيبُه ... اذا عزّ[g] ان يَصْدَى[h] الفتى فيه او يَضْحَا[i]

هناك الحمام الوُرْق[j] تُنْدى[k] جفافها[l] ... ظلالٌ عهدتُ الدهرَ فيها فتى سمحا

تعوّضتُ من شدو[m] القيان خلالَها ... صَدَى فلوات قد اطار الكرى صبحا

ومن حملى الكاسَ المفدّى مُديرُها ... تقحُّمَ اهوال حملتُ لها الرمحا

أَجَلْ ان ليلى فوق شاطئ بيطة[n] ... لأقصر من ليلى بآنةَ فالبطحا

وهذه معاهد بنى امية *قطعت بها بنو امية[o] ليالى واياما، وظلّت فيها الحوادث عنهم نياما،، فهاموا بشرق العقاب، وشاموا به برقا يبدو من نقاب،، ونعموا بجوفىّ الرصافة، وطعموا عيشا تولّى الدهرُ جلاءه وزفافه،، وابعدوا نصح الناصح، وحمدوا انس مجلس[p] ناصح،، وعَمُوا بالزهرا، وصمّوا عن نبأ صاحب الزَوْرا،، حتى *راح بهم[q] الموتُ عنها وقوّضهم، وعوّضهم منها ما عوّضهم،، فصاروا احاديث وانباء، ولم يتزوّدوا منها الا حنوطا وكباء،، وغدت تلك المعاهد تُصافحها اكفّ[r] الغِيَر، وتُراوحها[s] نعبات[t] الطير،، وراحت بعد الزينة سُدًى، وامست مسرحا[u] للبوم[v] وملعبا للصَدَى،، ويُسمع للجنّ فيها[w] عزيف، ويُصرع بها[x] البطل الباسل والنزيف،، وكذا الدنيا اعمالُها خراب، وآمالها آلٌ وسراب،، اهلكت اصحاب الأُخْدود، واذهبت ما كان بمأرب من حيازات وحدود،، انتهى، وقال الفتح بعد كلام ما صورته ولما عضّتْه انياب[y] الاعتقال، ورضّته تلك النُوَب الثقال،، وعُوّض بخشانة العيش من اللين، وكابَد قسوة خطب لا يلين،، تذكّر عهد عيشه الرقيق، ومراحه بين الرصافة والعقيق،، وحنّ الى سعد زرّتْ عليه جيوبه،

---

a) *Al-K̇.* A. نايح, al-M. ناصح. b) Al-M. مقاصر. c) *Al-K̇.* B. H. فخلت. d) Al-M. الى. e) Al-M. جمرة. f) *Al-K̇.* B. et al-M. الجون. g) *Al-K̇.* A. عَزّ, G. غر; al-M. S. غر, G. P. La. O. عن. h) *Al-K̇.* B. يمسى. i) *Al-K̇.* B. تضحا, G. H. et al-M. G. P. S. يضحا. j) *Al-K̇.* B. G. H. et al-M. G. P. L. La. O. الزرق. k) *Al-K̇.* A. et al-M. La. تبدى. l) *Al-K̇.* D. حقافها, A. et al-M. خفافها. m) Al-M. شرق. n) *Al-K̇.* B. بيضة, A. G. H. et al-M. نيطة. o) *Al-K̇.* B. بنى امية قطعت بها, al-M. بنى امية قطعوا بها. p) Al-M. مجلس. q) *Al-K̇.* G. D. غدا بهم, al-M. رحلهم. r) *Al-K̇.* B. كف, A. يد; al-M. ايدى. s) Al-M. تناوحها. t) *Al-K̇.* A. et al-M. G. L. نغبات; *al-K̇.* B. et al-M. S. نغمات. u) *Al-K̇.* B. مكمنا. v) *Al-K̇.* B. D. G. للسيد. w) Al-M. بها. x) Al-M. فيها. y) Al-M. ناب.

واستهدى نسيمَ عيش طاب له هبوبه،، وتأسّى بمن باتت له النوائب بمَرْصاد، ورمته بسهام ذات اقْصاد، * وضيمَ من عهد الاحصّ الى ذات الاصاد *a*،، فقال

الهوى فى طلوع تلك النجوم   والمُنَى فى هبوب ذاك النسيم
سَرّنا عيشُنا الرقيق الحواشى   لو يدوم السرورُ للمستديم
وطَرٌ ما انقضى الى ان تقضّى   زمنٌ ما ذمامُه بالذميم
ايّها الموذنى بظلم *b* الليالى   ليس يومى بواحد *c* من ظلوم
ما ترى البدر ان تامّلتَ والشمـس كما يُكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفكّ ينحو   بالمُصاب العظيم نحو العظيم

وقال الفتح ايضا فى شان ابن زيدون ما صورتُه ولما تعذّر فكاكه *d*، وعُقّر فرقده وسماكه،، وعاودته *e* الاوهام والفكَر، وخانه من ابى الحزم الصارمُ الذَكَر،، قال يصف ما بين مسرّاته وكروبه، ويذكر بُعْد طلوع امله من غروبه،، ويبكى لما هو فيه من التعذير، ويعذر ابا الحزم وليس له غيره من عذير،، ويتعزّى بانحاء الدهر على الأحْرار، وانحاءه على التمام بالسرار،، ويخاطب وَلّادةَ بوفاء عهده، ويقيم لها البراهين على ارقه وسُهْده *f*،،

ما جال بعدك لحظى فى سَنَى القمرِ   الا ذكرتُك ذكرَ العين بالاثرِ
ولا استطلتُ ذماء الليل من اسف   الا على ليلة سرّتْ مع القِصَرِ
فى نشوة من * سنات الدهر *g* مُوهمة   أَلّا مسافةَ بين الوهن والسحرِ
يا ليت ذاك السوادَ الجون متّصل   قد استعار سوادَ القلب والبصرِ
يا للرزايا لقد شافهتُ منهلها   غمرًا فما اشرب *h* المكروهَ بالغُمَرِ
لا يهنئُ الشامتَ المرتاح خاطرُه   انّى معنّى الامانى ضائعُ الخطرِ
هل الرياح بنجمٍ الارض عاصفة   ام الكسوف لغير الشمس والقمرِ
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب   قد يُودَع الجفنَ حدُّ الصارم الذَكَرِ
وان يثبّطْ ابا الحزم الرضى قدرٌ   عن كشف ضُرّى فلا عتبٌ على القدرِ

---

a) Cette phrase ne se trouve pas dans les man. d'al-M. *b*) *Al-K.* B. بصرف. *c*) Al-M. La. O. بواجد. *d*) *Al-K.* B. الفكاكة, al-M. انفكاكه. *e*) *Al-K.* A. B. et al-M. وعادته. *f*) Voyez *Catal. Codd. OO. Bibl. Lugd. Bat.*, par M. Dozy, t. I, p. 251. *g*) Al-M. شباب الوصل. *h*) *Al-K.* G. D. انهل. *i*) *Al-K.* A. et al-M. La. O. بتلخم.

١٠ مَنْ لم ازل من تـأنّبه على ثقـة ولم أَبِتْ مـن تجنّبه على حـذرِ

وله يتغزّل، ويعاتب من * يستعطف ويستنزل a ،،

يا مستخفّا بعاشقيه ومستغشّا لناصحيه ومَنْ اطاع الوُشاةَ فينا
حتى اطعنا السلوَّ فيه الحمد لله اذ ارانى تكذيبَ ما كنت تدّعيه
من قبل ان يُهزم التسلّى ويغلب الشوقَ ما يليه

انتهى، وما احسن قول ابن زيدون المذكور فى قصيدته النونيّة الشهيرة

غِيظَ العِدَى من تساقينا b الهوى فدعَوْا بان نغصّ فقال الدهرُ آمينَا

ومن غرائب c ما وقفتُ عليه موشّحة لابن الوكيل دخل فيها على اعجاز نونيّة ابن زيدون وهى

غدا منادينَا محكّما فينَا
يقضى علينا الأَسَى لولا تأسّينَا

بحر الهوى يُغْرِقْ مَنْ فيه جهدَه عامْ
ونـاره تُحْرِقْ مَنْ همَّ او قد هامْ
وربما يُقْلِقْ d فتى عليه نامْ
قد غيّر الاجسامْ وصيّر الايامْ
سُودًا وكانت بكم بيضًا ليالينَا

٢

يا صاحبَ النَجْوَى قفْ واستمعْ منّى
اياك أن تَهْوَى انّ الهوى يُضْنِى
لا تقربِ البَلْوَى اسمعْ وقُلْ عنّى
بحارُه مُرّةْ خُضْنا على غِرّةْ
حينًا فقام بها للنَعْى ناعينَا

٣

مَنْ هام بالغيدْ لاقى بهم هَمّا
بذلتُ مجهودِى لأَحْوَرٍ أَلْمَى

a) Al-M. يستعطفه ويتنزل. b) Al-M. G. L. S. تصافينا. c) La. O. اغرب. d) G. L. P. S. تقلق.

يهمّ بالجود   وردّ ما همّا
وعند ما قد جادْ   بالوصل او قد كادْ
اضحى التنائى بديلًا من تدانينَا

٤

بحقّ ما بينى   وبينكم الّا
اقررتمْ عينى   فتجمعوا الشملَا
فالعين[a] بالبين   بفقدكم[b] أُبْلى
جديدَ ما قد كانْ   بالاهل والاخوانْ
ومورد اللهو صا   فٍ من تصافينَا

٥

يا جيرةً بانتْ   عن مُغْرَم صَبّ
لعهده خانتْ   من غيرِ ما ذنب
ما هٰكذا كانتْ   عوائد العُرْب
لا تحسبوا البُعْدَا   يغيّرِ العهدَا
ان طال ما غيّر   النائُ المحبّينَا

٦

يا نازلا بالبانْ   بالشفع والوترِ
والنمل والفرقانْ   والليلْ اذا[c] يسرِى
وسورة الرحمٰنْ   والنحل والحجرِ
هل حلّ فى الأدْيانْ   ان يقتل الظمْآنْ
مَنْ كان صِرْفَ الهوى   والودّ يسقينَا

٧

يا سائل القطرِ   عَرّجْ على الوادى
من ساكِنى بدرِ   وقفْ بهم نادى[d]
عسى صَبًا تسرى   لمُغْرَم صادِى

---

a) P. ‌فالعيش. b) S. ‌لفقدكم. c) P. La. O. ‌اذ. d) G. L. P. ‌بادى , S. ‌نادى (sic).

ان شيتَ تُحْيِينا   بَلِّغْ تحيّتَنا [a]
مَنْ لو على البُعْد حيًّا [b] كان يُحْيِينَا

٨

وافتْ لنا ايامْ   كانها اعوامْ
وكان لى اعوامْ   كانها ايامْ
تمرُّ كالأحْلامْ   بالوصل لى لو دامْ
والكاس مُتْرَعَةْ   حثّتْ مشعشعَةْ
فبينا الشَمُول وغنّانا مغنّينَا

رجع الى ما يتعلّق بقرطبة، قال الوزير ابو بكر بن القبطرنة يخاطب ابا الحسين [c] ابن سِراج ويذكر لمّة من اخوانه

يا سيدى وابى هوى وجلالة   الابيات [d]
وأَشِمَّ منها المصحفىَّ على النوى   نَفَسا ينسّى السوسنَ المبلولَا
والى ابى مروان منها [e] نفحة   تهدى له نَوْرًا [f] الرُّبى مطلولَا
واذا لقيتَ الاخطبىَّ فسَقّه   من صَفْو ودّى قرقفا وشمولَا
وابو علىّ بُلّ [g] منها ربعَه   مسكا بماء غمامة محلولَا
واذكرْ لهم زمنا يهبّ نسيمُه   أُصُلًا كنفث الراقيات عليلَا
مولًى ومُولَى نعمة وكرامة   واخا اخاء مخلصا وخليلَا
بالخَيْر ما [h] عبستْ هناك غمامة   الا تضاحك اثْرًا وجليلّا
يوما وليلا كان ذلك كلّه   سَحَرًا وهذا بكرةً واصيلَا
لا ادركتْ تلك الاهلّةُ دهرَها   نقصًا ولا تلك النجومُ [i] افولَا

قال ابو نصر الحير الذى ذكره [j] هنا هو حير الزجالى خارجَ باب اليهود بقرطبة الذى يقول فيه ابو عامر بن شُهيد

لقد اطلعوا عند باب اليهود   البيتين [k]

---

a) G. L. S. تحييينا , La. محبينا. b) G. L. P. حتى , S. حى. c) *Al-Ḱ.* H. et al-M. S. الحسن. d) Voyez p. ٩٨. e) *Al-Ḱ.* A. B. et al-M. منه. f) *Al-Ḱ.* B. زهر. g) Al-M. سق. h) *Al-K.* A. B. H. لا. i) Al-M. La. O. البدور. j) Al-M. ذكر. k) Voyez p. ٩٨. Varr. شمسا et تكسفا.

وهذا الحير من ابدع المواضع واجملها، واتمّها حسنا واكملها،، صحنه مرمر صافى البياض، يخترقه جدول كالحيّة النضناض،، به جابية، كل لجّة فيها a كابية،، قد قُربصت b بالذهب واللازورد سماؤه، وتأزّرت بهما جوانبه وارجاؤه،، والروض قد اعتدلت اسطارُه، وابتسمت من كمائمها ازهارُه،، ومُنع الشمس ان ترمق ثراه، وتعطّر النسيمُ بهبوبه c عليه ومَسْراه،، شهدتُّ به ليالى وايامًا كانما تصوّرتْ من لمحات الاحباب، او قُدّت من صفحات ايام الشباب،، وكانت لابى عامر بن شهيد به فُرَج وراحات اعطاه فيها الدهرُ ما شاء، ووالى عليه الصَحْوَ والانتشاء،، وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه اليفَىْ صَبْوة، وحليفَىْ نشوة،، عكفا فيه على جريالهما، وتصرّفا بين زهوهما واختيالهما،، حتى ردّاهما الردَى، وعداهما الحمامُ عن ذلك المَدَى،، فتجاوَرَا فى الممات، تجاوُرَهما فى الحياة، وتقلّصت عنهما وارفات تلك الفيءات،، والى ذلك العهد * اشار ابن شهيد وبه عرّض d، وبشوقه e صحّح * وما مرّض f،، حيث يقول عند موته يخاطب ابا مروان صاحبه وامر ان يُدْفَن بازائه ويكْتَب على قبره

يا صاحبى قُمْ فقد اطلْنا ... أنحن طولَ المدى هجودُ

فقال لى لن نقومَ منها ... ما دام من فوقنا الصعيدُ

تذكّرْ كم ليلة نعمنا ... فى ظلّها والزمان عيدُ

وكم سرور همى علينا ... سحابُه ثرّةً تجودُ g

* كل كأن لم يكن تقضّى h ... وشومه i حاضر عتيدُ

حصّله كاتبٌ حفيظ ... وضمّه صادق شهيدُ

يا ويلنا ان تنكّبتْنا ... رحمةُ مَنْ بطشُه شديدُ

يا ربّ عفوًا فانت مولى ... قصّر فى شكره j العبيدُ

انتهى، ثم قال بعد كلام وركب ابو الحسن بن القبطرنة الى سوق الدوابّ بقرطبة ومعه ابو الحسين بن سراج فنظر الى ابى الحكم بن حزم غلاما k كما عقّ تمائمه، وهو يروق كانه زهر فارَق كمائمه،، فسأل ابا الحسين بن سراج ان يقول فيه فارتجّ

a) Al-M. بها. b) *Al-K.* قربست. c) *Al-K.* A. بهروره. d) *Al-K.* A. اشار به وعرض G. D. اشار به وما عرض. e) *Al-K.* A. وتشوقه , B. وبتشوقه. f) Al-M. ومرض. g) Al-M. نجود. h) La. O. فخيره مسرعا تقضى. i) *Al-K.* H. وشوقه. j) *Al-K.* G. شكرك , H. حقه , al-M. امرك. k) *Al-K.* B. et al-M. La. O. غلام.

عليه، وثنى[a] عنان القول اليه،، فقال

رای صاحبی عمرا فكلّف وصفه — وحمّلنی من ذاك ما ليس فی الطوق
فقلتُ له عمرو كعمرو فقال لی — صدقتَ ولكن * ذاك شبّ عن[b] الطوق

انتهى، وكان بنو القبطرنة بالاندلس اشهر من نار على علم، وقد تصرّفوا فی البراعة والقلم،، ولهم الوزارة المذكورة، والفضائل المشكورة،، ولذا قال ابو نصر فی حقّهم ما صورتُه هم للمجد كالاثافی، وما منهم الا موفور القوادم والخوافی، ان ظهروا، زهروا،، وان تجمّعوا، تضوّعوا[c]،، وان نطقوا، صدقوا،، ماؤهم صَفْو، وكل واحد[d] منهم لصاحبه كَفْو،، انارت بهم نجوم المعالی وشموسُها، ودانت لهم ارواحها ونفوسُها،، ولهم النظام[e] الصافی الزجاجة[f]، المصمحلّ العجاجة،، انتهى، ثم قال وبات ابو محمد منهم مع اخوَيْه فی ايام صباه، واستطابته[g] جَنُوبَ الشباب[h] وصَباه،، بالمنية المسمّاة بالبديع وهو روض كان المتوكّل يَكْلَف بموافاته، ويبتهج بحسن صفاته،، ويقطف رياحينه وزهره، ويَقف عليه اغْفاءه وسهرَه،، ويستفزّه الطربُ متى ذكره، وينتهز فُرَصَ الانس فيه روحاته وبُكَرَه،، ويدير حميّاه على صفّة نهره، ويخلع سرّه فيه لطاعة جهره،، ومعه اخواه فطاردوا اللذّات حتى انضوها، ولبسوا برود السرور وما نضوها،، حتى صرعتْهم العُقار، وطلّحتْهم تلك الاوقار،، فلما همّ رداء الفجر ان يَنْدَى، وجبين الصبح ان يتبدّى،، قام الوزير ابو محمد فقال

يا شقيقی وافَى الصباح بوجه — ستر الليلَ نورُه وبهاؤُه
فاصطبحْ واغتنمْ مسرّةَ يوم — لستَ[j] تدری بما يجیء مساؤُه

ثم استيقظ اخوه ابو بكر فقال

يا اخی قُمْ تَرَ[k] النسيم عليلا — باكِرِ الروضَ والمُدامَ شمولَا
لا تَنَمْ واغتنمْ مسرّةَ يوم — ان تحت التراب نوما طويلَا
فیَ رياض تعانَق الزهرُ فيها — مثل ما عانَق الخليل خليلا[l]

ثم استيقظ اخوهما ابو الحسن، وقد هبّ من غفلة الوَسَن،، فقال

يا صاحبیّ ذَرَا لومی ومعتبتی — قُمْ نصطبحْ خمرةً من خير ما ذخرُوا

a) Al-M. فثنى. b) Al-M. اذا اشب على. c) *Al-K.* G. D. et al-M. La. O. تضرعوا. d) Ce mot ne se trouve pas dans les man. d'al-M. e) *Al-K.* A. النظم. f) *Al-K.* A. ajoute والنثر. g) Al-M. واستطابة. h) *Al-K.* A. الزمان, B. G. الشمال. i) *Al-K.* B. ضوءه. j) Al-M. ليس. k) *Al-K.* A. B. et al-M. ترى. l) Al-M. L. La. O. الخليلا.

وبادِرًا غفلةَ الايام واغتنما   فاليومَ خمرٌ ويبدو فى غدٍ خبرُ

انتهى، وساق صاحب البدائع هذه القصّة فقال *a* وذكر الفتح ما هذا معناه انه خرج الوزراءُ بنو القبطرنة الى المنية المسمّاة بالبديع وهو روض قد اخضرّت مسارحُ نباته، واخضلّت مسارى هبّاته، ودمعتْ بالطلّ عيونُ ازهاره، وذاب على زبرجده بلّور انهاره،، وتجمّعتْ فيه المحاسن المتفرّقة، واضحت مُقَلُ الحوادث عنه مُطْرِقة،، فخيول النسيم تُرْكَض فى ميادينه فلا تكبو، ونصول السواقى *b* تحسم ادواءَ الشجر فلا تنبو،، والزروع قد نقبت وجه الثرى، وحجبت الارضَ عن العيونِ فما تبصر ولا تُرَى،، وكان المتوكّل بن الافطس يَعُدّه غايةَ الارب، ويُعدّه *c* مشهدا للطرب، ومدفعا للكُرَب، فباتوا فيه ليلتَهم يُديرون لُمَعَ لهب،، يتمنَّوْن فيه الخلود، ويتحسَّوْن *d* ذوبَ ذهب لا يُصهر به ما فى بطونهم والجلود،، حتى تركتْهم ابنة الخابية، كانهم اعجازُ نخل خاوية،، فلما هزم روميُّ الصباح زنجيَّ الظلام، ونادَى الديكُ حَىَّ على المُدام، انتبه كبيرهم ابو محمد مستعجلا، وانشد مرتجلا،، يا شقيقى الخ *e* فانتبه اخوه ابو بكر لصوته، وتخوّف لذهاب ذلك الوقت وفوته،، وانبه اخاهما ابا الحسن وهو يرتجل يا اخى قم تر النسيم الخ *f* فانتبه اخوه لكلامه، دافعا لذّة منامه، للذّة قيامه،، وارتجل يا صاحبى ذرا الخ *g* انتهى، قال الفتح ولما امر المعتمد بن عبّاد ابا بكر ابن القبطرنة السابق الذكر مع الوزير ابى الحسين بن سراج بلقاء ذى الوزارتين ابى الحسن بن اليَسَع القائد والمشى اليه، والنزول عليه،، تنويهًا لمَقْدَمه، وتنبيهًا على حظوته لديه وتقدُّمه،، فصارا الى بابه، فوجداه مُقْفِرا من حُجّابه،، فاستغربا خلوّه من خَوَل، وظنّ كل واحد منهما وتأوّل،، ثم اجمعا على قرع الباب، ورَفْع ذلك الارتياب،، فخرج وهو دَهِش، واشار اليهما بالتحيّة ويده *h* ترتعش،، وانزلهما خَجِلا، ومشى بين ايديهما عَجِلا،، واشار الى شخص فتوارَى بالحجاب، وبارَى الريحَ سرعةً فى الاحتجاب،، فقعدا ومقلةُ الخشف، ترمق *i* من خَلَل *j* السجف،، فانصرفا عنه، وعزما ان يكتبا اليه بما فَهِمَا منه،، فكتبا اليه

---

a) Man., fol. 210 r. *b*) Les man. porteut السواقى. *c*) Ce mot manque dans les man. d'al-M. *d*) Al-M. ويحسون. *e*) Variantes: vs. 1. يا خليلى ; vs. 2. فانتبه واغتنم. *f*) Varr. vs. 1. بادر الراح والمدام ; vs. 2. فانتبه واغتنم ; le 3ème vers manque. *g*) Varr. vs. 1. وبادرا قهوة من خير ما ذخرا ; vs. 2. الايام وابتدرا , ونبدى , خبرا. *h*) Al-M. ويداه. *i*) *Al-K. A. G.* تنظر. *j*) Al-M. خلال.

سمعنا خشفةَ الخشْف   وشِمْنا طرفةَ الطرف

وصدّقْنا ولم نقطع   وكذّبْنا ولم نَنْف

وأَغْضَيْنا لاجْلالك   عن اكرومة الظرف[a]

ولم تُنْصِفْ[b] وقد جينا   ك ما تنهض[c] من ضُعْف

وكان الحقّ[d] ان تحمل   او تُرْدَفَ في الردف

فراجعهما * فى الحين[e] بقطعة منها

أَيا اسْفي على حال   سُلِبْتُ[f] بها من الظرف[g]

ويا لهْفي علي جهلي[h]   * بضَيْف كان من صِنْفِ[i]

انتهى، ولاهل الاندلس فى معانى الانس الحسان، ما لا يفى به لسان،، وقال الفتح فى ترجمة الوزير ابى الفضل بن حَسْداى بعد كلام ما صورتُه فمنها هذه القطعة التى أَطْلَعها نيّرة، وترك الالباب بها[j] متحيّرة،، فى يوم كان عند المقتدر بالله مع علْية، قد اتخذوا المجد حلية،، والامل قد سفر لهم عن محيّاه، وعبق لهم[k] ريّاه، فصافحه الكلُّ منهم وحيّاه،، وشمس الراح، دائرة على فلك[l] الراح[m]،، والملك ينشر فضله، ويبثّر وابله وطلّه،، يُسْدى العلا، ويهب الغناء والغنى،، فصدحت الغوانى، وافصحت المثالث والمثانى،، بما استنزل من مرقب[n] الوقار، وسرى فى النفوس مَسْرَى العقار،،

توريدُ خدّك للاحداق لذّاتُ   عليه من عنبر الاصداغ لاماتُ

نيرانُ هجرك للعُشّاق نارُ لَظًى   لكنّ وصلك ان واصلتَ جنّاتُ

كانما الراح والراحات تحملها   بدورُ تمّ وايدى الشَّرْب هالاتُ

حُشاشة ما تركنا الماء يقتلها   الا لتحيا بها منّا حُشاشاتُ

قد كان فى كاسها من قبلها ثِقَلٌ   فخفَّ اذ مُلئت منها الزجاجات

* عهدٌ للُبْنَى[o] تقاضتْه الامانات   بانتْ[p] وما قضيت منها لُباناتُ

يُبْدِنى التوهُّم للمشتاق منتزحا   من الامور وفى الاوهام راحاتُ

a) *Al-K̇.* B. الضيف , A. C. et al-M. G. L. P. La. O. الطرف. b) Al-M. P. ننصف. c) Al-M. G. L. P. La. O. ننهض. d) Al-M. الحكم. e) S. ابو الحسن. f) Al-M. سلبت. g) *Al-K̇.* B. H. الطرف. h) Al-M. جهل. i) *Al-K̇.* A. بضيف كان من ضيف, B. H. بصنف كان من صنف; al-M. بنصف كان من نصف. j) *Al-K̇.* A. B. منها. k) Les man. d'al-M. ajoutent عن. l) *Al-K̇.* B. H. تلك. m) *Al-K̇.* A. et al-M. الافراح. n) *Al-K̇.* D. G. مركب, B. مراكب. o) Al-M. La. O. عهد المنى قد. p) *Al-K̇.* B. D. باتت.

تُقْضى عداتٌ اذا هبّ a الكرى واذا … هبَّ النسيمُ فقد تُهْدَى تحيّاتُ
زُورٌ يعلّلُ قلبُ المستهام به … دهرًا وقد بقيت فى النفس حاجاتُ
لعلّ عتب الليالى ان يعودَ الى … عُتْبَى فتُبلغ اوطار ولذّاتُ
حتى نفوز b بها جاد الخيالُ به c … فربما صدقتْ تلك المناماتُ

ولما أَعْرَسَ المستعين بالله ببنت الوزير الاجل ابى بكر بن عبد العزيز احتفل ابوه المؤتمن فى ذلك احتفالا شهره، وابدع فيه ابْداعا راق مَنْ حضره وبهره،، فانه احضر d فيه من الآلات المبتدعة، والادوات المخترعة،، ما بهر الالباب، وقطع دون معرفتها الاسبابَ،، واستدعى اليه جميعَ اعيان الاندلس من دانٍ وقاصٍ، ومُطيع وعاصٍ،، فاتوه مُسْرِعين، ولبّوه متبرّعين،، وكان مُدير تلك الآراء e ومدبّرها، ومنشئ مخاطباتها ومحبّرها،، الوزير الكاتب ابو الفضل وصدرت عنه فى ذلك الوقت كُتُب ظهر اعْجازُها، وبهر اقتضابها وايجازُها،، فمن ذلك ما خاطب به صاحب المظالم ابا عبد الرحمن f ابن طاهر محلُّك اعزّك الله فى طىّ الجوانح ثابتٌ وان نزحت الدار، وعيانك فى احناء الضلوع بادٍ وان شحط g المزار،، فالنفس فائزة منك * بتمثّل الخاطر h باوفر الحظّ، والعين نازعة i الى ان تمتّع من لقائك بظفر اللحظ،، فلا عائدة اسبغ بُرْدا، ولا مَوْهبة أَسْوَغ وِرْدا،، من تفضّلك بالخفوف j الى * مأنس يتمّ k بمشاهدتك التيامُه، ويتّصل بمحاضرتك انتظامُه،، ولك فضل الاجْمال، بالامْتاع من ذلك باعظم الآمال،، وانا اعزّك الله على شرف سوددك حاكم، وعلى مَشْرَع سنائك حائم،، وحسبى ما تتحقّقه من نزاعى وتشوّقى، وتتيقّنه من تطلّعى وتتوّقى،، وقد تمكّن الارتياح باستحكام الثقة، واعترض * الانشراح بارتقاب l الصلة،، وانت وصل الله سعدك بسماحة شِيَمك، وبارع كرمك،، تُنْشئ للمؤانسة m عهدا، وتُورى بالمكارمة زندا، وتقتضى بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا،، لا زلتَ مهنّأً بالسعود المُقْبِلة n مسوّغا اجتلاء غُرَر الامانى المتهلّلة،، بمنّه انتهى، ثم قال بعد هذا بيسير ما نصّه وركب المستعين بالله يوما نهرَ سرقسطة

a) *Al-K.* A. دب, D. G. H. عاد. b) *Al-K.* D. تفوز, al-M. يفوز. c) *Al-K.* A. B. لنا. d) *Al-K.* D. G. H. اظهر. e) *Al-K.* A. G. H. الاراعة, C. D. الاراغة, B. الاراقة. f) Al-M. ابا عبد الله. g) *Al-K.* B. H. شط. h) *Al-K.* B. بتخيل المناظر. i) *Al-K.* B. H. منازعة. j) Al-M. بالتحقوق. k) Al-M. G. P. ما تسريتم, L. La. O. ما يسر يتم, S. ما ليس يتم. l) Telle est la leçon du man. B. du *Kalāyid*. A. D. G. H. الانتزاح بارتقاب; al-M. الاقتراح. باستحباب. m) *Al-K.* B. للمخاطبة. n) *Al-K.* A. B. D. H. et al-M. S. La. O. المقتبلة.

يريد طرازَ لذّته، وارتياد نزهته، وافتقاد *a* احد حصونه المنتظمة بلبّته،، فاجتمع *b* له من اصحابه، من اختصّه لاستصحابه،، وفيهم ابو الفضل مشاهدا لانفراجهم، سالكا لمنهاجهم،، والمستعين قد احضر من آلات ايناسه، واظهر من انواع ذلك واجناسه،، ما راق مَنْ حضر، وفاق حسنُه الروضَ الانضر،، والزوارق قد حفّت به، والتفّت بجوانبه،، ونغمات الاوتار تَحْبِس السائر عن عَدْوه، وتخرس الطائر المُفْصح بشدوه،، والسمك تثيرها المكايد، وتغوص اليها المصايد،، فتبرزه منها للعين، قضبانُ درّ او سبائك لُجَيْن،، والراح لا يُطْمَس لها لمع، ولا يُنْجِس منها بصر ولا سمع،، والدهر قد غضّت *d* صروفُه، واقتصّ من منكره *e* معروفه،، فقال

لله يوم انيق واضح الغُرَرِ	مفضّض مُذْهَب الآصال والبُكَرِ
كانما الدهر لما ساء اعتَبَنا	فيه بعُتْبَى وأَبْدَى *f* صفحَ معتذرِ
نسير فى زورق حفّ *السفينُ به	من جانبَيْه *g* بمنظوم ومنتثرِ
*مُدّ الشراع به نشرًا *h* على ملك	بَذّ الاوائلَ فى ايامه *i* الأُخَرِ
هو الامام الهُمام المستعين حوى	علياء موتمن *عن هَدْى مقتدرِ *j*
تحوى السفينة منه آيةً عجبا	بحر *k* تجمّع حتى صار فى نَهَرِ
تُثار *l* من قعره النينانُ مُصْعدةً	صيدًا كما ظفر الغَوّاص بالدُرَرِ
وللندامى به عبٌّ ومرتشَف	كالريق يعذب فى وِرْد وفى صَدَرِ
والشُرْب فى ودّ *m* مولى خُلْقُه زَهَرٌ	يذكوه *n* وغُرّته *o* ابهى من القمرِ

انتهى، وقال فى ترجمة العلّامة الكبير الاستاذ ابى محمد عبد الله بن السيد البطليوسى شارح ادب الكُتّاب وسِقْط الزند وغيرهما ما صورته اخبرنى انه حضر مع المامون بن ذى النون فى مجلس الناعورة بالمنية التى تَطْمَح اليها المُنَى، ومرآها هو المقترحَ والمتمنّى،، والمامون قد احتبى، وافاض الحِبَا،، والمجلس يروق *كانّ

---

a) *Al-K.* A. بافتقاد. *b*) Al-M. واجتمع. *c*) *Al-K.* B. فيبرز, A. فيبدو. *d*) L. La. عضت, O. غصت. *e*) Al-M. نكره. *f*) Dans le VIIe Livre, où al-Makk. donne cette pièce d'après le بدائع البداية, فابدى. *g*) Dans le VIIe Livre : السرور به فى جانبيه. *h*) Dans le VIIe Livre : قد الشراع به قدا. *i*) Al-M. ابائه. *j*) Plus loin فى et معتذر. *k*) Plus loin بحرا. *l*) Al-M. a ici تصاد. *m*) Al-M. مد. *n*) Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 134 r.) يذكى. *o*) Plus loin al-Makk. G. P. ومهاجته, ce qui est une altération de وبهاجته, comme portent al-Makk. L. et le بدائع البداية.

الشمس[a] فى افقه، والبدر فى مفرقه،، والنَّوْر عبق، وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق،، والدولاب يئنّ كناقة اثرَ الحُوَار، او كثَكْلَى من حَرّ الأُوار،، والجوّ قد عنبرتْه انواؤُه، والروض قد رشَّتْه انداؤُه،، والأُسد قد فغرت افواهَها، ومجّتْ امواهَها، فقال

يا منظرا ان نظرتُ[b] بهجتَه ... اذكَرَنى حُسْنَ جنّة الخُلْد
تربةُ مسك وجوٌّ عنبرة ... وغيم نَدّ وطشٌّ[c] ماوَرْد
والماء كاللازورد قد نظمت ... فيه اللآلى فواغرُ الأُسْد
كانما جائل الحباب به ... يلعب فى جانبَيْه بالنرد
تراه يزهى اذا يحلّ به ... المامون زهوَ الفتاة[d] بالعقد
تخاله ان بدا به قمرًا ... تمًّا بدا فى مطالع السعد
كانما أُلبِسَتْ حدائقُه ... ما حاز من شيمة ومن مجد
كانما جادها فروَّضها ... بوابل من يمينه رَغْد
لا زال فى عزّة[e] مضاعفة ... * متمِّمَ الرفد[f] وارى الزند

وقال فى وصف هذا المجلس بعينه فى الكتاب الذى افرده لترجمة ابن السيد ما صورتُه فمن ذلك انه حضر مع القادر بالله بن ذى النون بمجلس الناعورة بطليطلة فى المنية المتناهية البهاء والاشراق، المباهية لزَوْراء العراق،، التى ينفح شذاها العَطِر، ويكاد من الغضارة ان يمطر،، والقادر بالله رحّه قد التحف الوقارَ وارتداه، وحكّم العقار فى جوده ونداه،، والمجلس يُشْرِق كالشمس فى الحَمَل، ومَنْ حواه يبتهج كالنفس عند مَنال الامل،، والزهر عبق، وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق،، والدولاب يئنّ كناقة اثرَ حُوار، الى آخر ما سبق، * وقال الفصل[g] فى وصف هذا المجلس حاذيا حذو الفتح ما صورتُه[h] حضر الاستاذ ابو محمد بن السيد عند المامون بن ذى النون فى بعض منتزهاته فى وقت طاب نعيمُه، وسَرَتْ[i] بالسعود نجومُه،، والروض قد اجاد وشيَه راقمُه، والماء قد جرت بين الاعشاب اراقمُه،، وثَمّ بركة مملوّة، كانها مرآة مجلوّة،، قد اتّخذتْ سباعُ الصُفْر بشاطئها غابا، ومجّت بها من سائغ الماء لُعابا،، فكانّها آساد عَيْن، ادلعتْ السنةً من لُجَيْن،، وهى لا تزال تقذف الماء ولا تفتر، وتنظم

a) Al-M. كالشمس. b) *Al-Ḳ.* A. B. رمقت. c) *Al-Ḳ.* B. ورش. d) *Al-Ḳ.* G. الكعاب. e) Al-M. La. O. رفعة. f) *Al-Ḳ.* B. G. ميمم الوفد. g) Lisez وقال ابن ظافر. h) Man., fol. 169 r. i) Al-M. وسعت.

لآلئ الحباب بعد ما تنثر، فامره بوصف ذلك الموضع، الذى تتخذ اليه ركائب القلوب وتوضع، فقال بديهًا يا منظرا الخ *a* انتهى، ثم قال الفتح فى هذا التصنيف بعد كلام فى المذكور ما نصّه وما ابدع قوله فى وصف الراح، والحضّ على النبذ للهموم والاطّراح *b*، بمعاطاة كاسها، وموالاة ايناسها، ومعاقرة دنانها، واهتصار ثمار الفتوّة وافنانها، والاعْراض عن الايام وانكادها، والجرى فى ميدان الصبوة الى بُعْد آمادها،

سَلِّ الهمومَ اذا نبا زَمَنٌ ‏ ‏ بمدامة صفراء كالذهب

مُزجت فمن درٍّ على ذهب ‏ ‏ طاف ومن حَبَبٍ على لهب

وكانّ ساقِيَها يثير شَذًى ‏ ‏ مسك لدى الاقوام منتهب

ولله هو فقد ندب الى المندوب، وذهب الى مداواة القلوب من الندوب، وابْرائها من الآلام، واهْدائها كل تحيّة وسلام، وابْهاجها بآصال وبُكَر، وعلاجها من هموم وفكَر، فى زمن حُلِّى عاطلُه، وجُلى فى احسن الصُّور باطلُه، ونفقت مُحالاتُه، وطبقت ارضه وسماءه *c* استحالاتُه، فلبيبُه كاسد، وذيبُه مستاسد، واضغاثُه تنسر، وبغاثُه استنسر، فلا استراحة *d* الا فى معاطاة خميّا، ومواخاة وسيم المحيّا، وقد كان ابن عمّار ذهب مذهبه، وفضّضه بالابداع وذهّبه، حين دخل سرقسطة وراى غباوة اهلها، وتكاثُف جهلها، وشاهد منهم من لا يعلم معنى ولا فصلا، وواصل من لا يعرف قطعا ولا وصلا، فاقبل على راحة يتعاطاها، وعكف عليها ما تعدّاها ولا تخطّاها، حتى بلغه انهم نقموا معاقرته العقار، وجالتْ السنتُهم فى توبيخه مجالَ ذى الفقار، فقال ·

نقمتم علىَّ الراحَ أُدْمِنُ شُرْبَها ‏ ‏ وقلتم فتًى راح وليس فتى مجد

ومن ذا الذى قاد الجياد الى الوغى ‏ ‏ سواىَ ومن اعطى كثيرا ولم يُكْد

فديتُكم لم تفهموا السرَّ انما ‏ ‏ قليتكم جهدى فابعدتُّكم جهدى

ودُعى *e* ابن السيد ليلةً الى مجلس قد احتشد فيه الانس والطرب، * وقرع فيه السرور نبعه بالغرب *f*، ولاحتْ نجوم اكواسه، وفاح نسيم رنده وآسه، وابدت صدورُ اباريقه أَسْرارها، وضمّنت عليه المحاسنُ *g* ازرارها، والراح يديرها اهيَفُ واوطَفُ، والامانى

---

a) Varr. vs. 1. ذكرنى طيب; vs. 6. لما بدا انْ بدا به قمرا. *b*) S. والاتراح. *c*) Les man. portent وسماوه. *d*) La. O. استطاعة. *e*) Ce passage se trouve aussi dans le man. A. du *Kalāyid*; mais on n'y lit que le premier vers du poème. *f*) *Al-K.* A. وقرع ﻫﻣﻪ دمع السرور بالغَرب (*sic*). *g*) Al-M. المجالس.

تُجنى وتُقطف،، فقال

يا رُبَّ ليل قد هتكتَ حجابَه | بمدامة وقّادة كالكوكب
يسعى بها أَحْوَى الجفون كانها | من خدّه ورُضاب فيه الاشنب
بدران بدرٌ قد امنتَ غروبَه | يسعى ببدر جانح للمغرب
فاذا نعمتَ برشف بدر غارب | فانعَمْ برشفة طالع لم يغرب
حتى ترى زُهْرَ نجوم كانها | حول المجرّة رَبْرب فى مشرب
والليل منخفر[a] يُطير غرابَه[b] | والصبح يطرده ببازٍ اشهب

ثم قال الفتح بعد كلام كثير ما صورتُه[c] ودخل يعنى ابن السيد سرقسطة ايامَ المستعين وهى جنّة[d] الدنيا، *وفتنة المحيا[e]،، ومنتهى الوصف، وموقف السرور والقصف،، مَلك نمير البشاشة، كثير الهشاشة،، ومُلْك ابهج الغنا، أَرِج الارجا،، يروق المجتلى، ويفوق النجم المعتلى،، وحضرة منسابة الما، منجابة السما،، يبسم[f] زهرها، وينساب[g] نهرها،، وتتفتّح خمائلُها، وتتضوّع صباها وشمائلها،، والحوادث لا تعترضها، والكوارث لا تقرضها،، ونازلُها من عرس الى موسم، وآملُها متّصل بالامانى ومتّسم،، فنزل منها فى مثل الخورنق والسدير، وتصرّف فيها بين روضة وغدير،، فلم يَخْفَ على المستعين احتلاله، ولم تُخْفَ لديه خلاله،، فذكره مُعْلما به ومعرّفا، واحضره منوّها به ومشرّفا،، وقد كان فرّ من ابن رزين، فرارَ السرور من نفس الحزين،، وخلص من اعتقاله، خلوصَ السيف من صقاله، فقال يمدحه[h]

همُ سلبونى حسنَ صبرى اذ بانوا | باقمار اطواق مطالعُها بانُ[i]
لئن غادرونى باللوى ان مهجتى | مسايرة اظعانَهم حيثما كانوا
سقى عهدَهم بالخيف عهدُ غمائم | ينازعها مزن[j] من الدمع هتّانُ
أَأَحْبابَنا هل ذلك العهد راجع | وهل لى عنكم آخرَ الدهر سلوانُ
ولى مقلة عَبْرَى وبين جوانحى | فؤاد الى لقياكم الدهرَ حنّانُ
تنكّرت الدنيا لنا بعد بُعْدكم | وحفّت بنا من مُعْضل الخطب أَلْوانُ

---

a) La. منحقر. b) La. جناحه. c) Ce passage se trouve aussi dans le man. A. du *Ḳalāyid*. d) *Al-Ḳ*. A. زهرة. e) *Al-Ḳ*. A. وسمه المحيا (*sic*). f) *Al-Ḳ*. A. تبسم. g) *Al-Ḳ*. A. وانساب. h) Les man. B. C. D. G. du *Kalāyid* contiennent plusieurs vers de ce poème (1—6, 11—13, 22—26); dans A. on n'en trouve que le premier. i) *Al-Ḳ*. G. D. البان. j) Al-M. نهر.

اناخت بنا فى ارض شنتمرية ... هواجس ظنّ خان والظنّ خوّان
وشمنا بروقا للمواعيد اتعبت ... نواظرنا دهرا ولم يهم تهتان
فسرنا وما نلوى على متعذّر ... اذا وطن اقصاك آوتك اوطان
ولا زاد الا ما انتشته من الصبا ... انوف وحازته من الماء اجفان
رحلنا * سوام الحمد a عنها لغيرها ... فلا ماؤها صدّا ولا النبت سعدان
الى ملك حاباه بالمجد يوسف ... وشاد له البيت الرفيع سليمان
الى مستعين بالاله مؤيّد ... له النصر حزب والمقادير اعوان
جفتنا بلا جرم كانّ مودّة ... ثنى نحونا منها b الاعنّة شنآن
ولولم تفد c منّا سوى الشعر وحده ... لحقّ d لنا برّ عليه واحسان
فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسبا ... فيوجب للمكدى جفاء وحرمان
ولا نحن ممن يرتضى الشعر خطّة ... وان قصرت عن شأونا فيه اعيان
ومن اوهمته غيره e ذاك ظنونه ... فثمّ مجال للمقال وميدان
خليلى من يعدى f على زمن له ... اذا ما قضى حيف علىّ وعدوان
وهل رئ من قبلى غريق مدامع ... يفيض بعينيه الحيا وهو حرّان
وهل طرفت عين لماجد ولم يكن ... لها مقلة من آل هود وانسان
بوجه ابن هود كلّما اعرض الورى ... صحيفة اقبال لها البشر عنوان
فتى الماجد فى برديه بدر وضيغم ... وبحر وقدس ذو الهضاب وثهلان g
من النفر الشمّ الذين اكفّهم ... غيوث ولكنّ الخواطر نيران
ليوث شرى ما زال منهم لدى الوغى ... هزبر بيمناه h من السمر i ثعبان
وهل فوق ما قد شاد j مقتدر لهم ... ومؤتمن بالله لقيناه ايمان
ألا ليس فخر فى الورى غير فخرهم ... والّا فانّ الفخر زور وبهتان
فيا مستعينا مستعانا لمن نبا ... به وطن يوما وعضّته ازمان
كسوتك من نظمى قلادة مفخر ... يباهى بها جيد k المعالى ويزدان

a) Ces mots sont sans doute altérés. *Al-Ḳ.* B. سواد الحمد, G. سوام الحمد; al-M. La. O. سوام الخمر. b) La. O. منه. c) O. تغد, La. تقد, S. تعد. d) G. L. نحن. e) La. O. عند. f) G. L. S. يعدى. g) Al-M. تهلان. h) Les man. du *Kal.* portent فيمناه. i) *Al-Ḳ.* B. D. السلم, G. الثم, al-M. S. الشم. j) *Al-Ḳ.* B. G. ساد, al-M. La. O. شاء. k) La. O. جعد.

وان قصرت عمّا لبست فربّما ... تجاوَزَه[a] درّ فى النظام ومَرْجانْ
معانٍ حكت غُنْجَ الحسان كانّنى ... بهنّ حبيب او بطليوس بَغْدانْ
اذا غرستْ كفّاك غرس مكارم ... بارضى أَجْنَتْكَ الثنا منه اغصانْ

وقال فى * وصفه مجلسا[b] لابى عيسى بن لَبُّون احضر اليه ابن السيد منوّها بقدره ما صورتُه واُحضر الى مجلس نام عنه الدهرُ وغفل، وقام لفرط انسه واحتفل،، قد بانت صروفه، ودنت من الزائر قطوفه،، وقال هلمّ بنا الى الاجتماع بمذهبك، والاستمتاع[c] بما شيتَه ببراعة ادبك،، فاقاموا يُعْملون كاسهم، ويصلون ايناسهم،، وباتوا[d] ليلَهم ما طرقهم نوم، ولا عداهم عن طيب اللذات سَوْم،، ثم[e] قال بعد كلام كثير وحضر ابن السيد عند عبد الرحمن الظافر بن ذى النون مجلسا رفعت فيه المُنَى لواءها، وخلعت عليه اضواءها،، وزفّت اليه المسرّاتُ ابكارَها، وفارقت اليه الطير اوكارَها،، فقال يصفه

لم تَرَ عينى مثله ولا ترَى ... انفسَ فى نفسى وأَبْهَى منظرَا
اذا تردّى وشيَه المصوَّرَا ... من حوك صنعاء وحوك عَبْقَرَا
ونسج قُرْقُوب ونسج تُسْتَرَا ... خلْتَ الربيع الطلق فيه نوَّرَا
كانما الابريق حين قَرْقَرَا ... قدّامَ لثمه الكاس حين فغرَا
وحشيّة ظلّت تُناغى جوذرَا ... تُرضعه الدَرّ ويرنو حذرَا
كانما مجّ عقيقا احمرَا ... او فتّ من ريّاه مسكا اذفرَا
او عابد الرحمن يوما[f] ذكرَا ... فنمّ مسكا ذكرُه وعنبرَا
الظافر الملك الذى من ظفرَا ... بقربه نال العلاء الاكبرَا
لو ان كسرى راءه او قيصرَا ... هلّل اكبارًا له وكبّرَا
تُبْدى سماء الملك منه قمرَا ... اذا حجاب المجد عنه سفرَا
يا ايها المُنْضِى المطايا بالسرَى ... يبغى غمام المكرمات الممطرَا

انتهى، وقال الفتح فى ترجمة الاديب ابى القاسم بن العطّار ما صورتُه هو احد ادباء اشبيلية ونُحاتها، العامرين لارجاء المعارف وساحاتها،، لولا مواصلة راحاته، وتعطيل بُكَره وروحاته،، وموالاته للفرج، ومغالاته فى عَرْف للانس او ارج،، لا يعرّج الا على صفة

a) G. L. O. تتجاوز. b) La. O. وصف مجلس. c) G. L. O. والاستماع. d) La. O. واقاموا.
e) La. O. ثم. f) La. O. ويومى.

نهر، ولا يلهج الا بقطعة زهر،، *ولا يَحْفِل بملام[a]، ولا[b] ينتقل الا فى طاعة غلام،، ناهيك من رجل مخلوع العنان فى ميدان الصبابة، مُغْرَم بالمحاسن[c] غرامَ يزيد بحَبّابة،، لا تراه الا فى ذمّة انهماك، ولا تلقاه الا فى لمّة انهتاك،، رافعًا لرايات الهوى، فارعا لثنيّات النجوى،، لا يُقْفِر فوادُه من كَلَف، ولا يبيت الا رهن تَلَف،، اكثر خلق الله عَلاقةً، واحضرهم لمشهد خلاقة،، مع جزالة تُحرّك السكون، وتُضْحِك الطيرَ فى الوكون،، وقد اثبتُّ له ما يرتجله فى اوقات انسه وساعاته، وينفث به اثناء زفراته ولوعاته،، فمن ذلك ما قاله فى يوم ركب فيه النهر على عادات انكشافه، وارتضاعه لثغور اللذّات وارتشافه،،

عبرنا سماءَ النهر والجوُّ مُشْرِق وليس لنا الا الحباب نجومُ
وقد البستْه الايكُ بردَ ظلالها وللشمس فى تلك البرود[d] رقومُ

وله فيه مررنا بشاطِى النهر بين حدائق بها حدقُ الازهار تستوقف الحَدَقْ
وقد نسجت كفُّ النسيم مُفاضةً عليه وما غيرِ الحباب لها حَلَقْ

وله هبّت الريح بالعشىّ فحاكتْ زردا للغدير ناهيك جُنّهْ
وانجلى البدر بعد *هَدْءٍ فصاغت[e] كفُّه للقتال منه اسنّهْ

وقوله لله بهجة مَنْزَه[f] ضربتْ به فوق الغدير رواقَها الأنْشامُ
فمع الاصيل النهر دِرْع سابغ ومع الضحى يلتاح فيه حسامُ

وله لا كالعشيّة فى رواءٍ[g] جمالها وبلوغ نفسى منتهَى آمالهَا
ما شيتَ شمس الارض مشرقة السَنَى والشمس قد شدّتْ مطىّ رحالهَا
فى حيث تنساب المياه اراقمًا وتُعيرك الافياءُ بُرْدَ ظلالهَا

وله لله حسن حديقة بسطتْ لنا منها النفوس سوالفًا ومعاطفُ
تختال فى حُلَل الربيع وحليه ومن الربيع قلائد ومطارفُ

انتهى، وقالَ الفتح فى ترجمة ابن عمّار اخبرنى ذو الوزارتين الاجلّ ابو المطرّف[h] بن عبد العزيز انه حضر معه عند الموتمن فى يوم جادت فيه السماءُ بهطلها، وأتْبعت وَبْلها بطلّها،، واعقب[i] رعدَها برقُها، وانسكب دِراكًا ودقُها،، والازهار قد تجلّت من

---

a) Ces mots manquent dans les man. d'al-Makk. b) Al-M. ولم. c) Al-M. بالحسان. d) Les man. du *Kalāyid* portent البروج. e) Al-M. هذا فحاكت. f) *Al-K.* D. G. منزل. g) Al-M. وراء. h) La. O. ابو المظفر. i) Al-M. وارتقب.

كمامها، وتحلّت بدرّ غمامها،، والاشجار قد جُلى صَداها، وتوشّحت بنداها،، واكوس الراح كانها كواكب تتوقّد، تديرها انامل تكاد من اللطافة تُعْقَد،، اذا بفتى من فتيان الموتمن اخرس لا يُفْصح، مستعجم لا يبيّن ولا يُوضح،، متنمّر تنمُّرَ الليث، مشمّره a كالبطل الباسل b عند العيث،، وقد افاض على نفسه درعا، تضيق بها الاسنّة c ذَرْعا،، وهو يريد استشارة الموتمن فى الخروج d الى موضع بعثه ووجّهه، .فكل e من صدّه عنه نَهَرَه ونجهه،، حتى وصل الى مكان انفراده، ووقف بازاء وساده f،، فلما وقعت عينُ ابن عمار عليه، اشار بيده اليه،، وقرّبه واستدناه، وضمّه اليه كانه تبنّاه،، وجدَّ g ان يخلع عنه h ذلك الغدير، وان يكون هو الساقى والمُدير،، فامره الموتمن بخلعه، وطاعة امره وسمعه،، فنضاه عن جسمه، وقام يسقى i على حكمه ورسمه،، فلما دبّت فيه الحميّا، وشبّت غرامه بهجةُ ذلك المحيّا،، واستنزلتْه j سورة العقار، من مرقب الوقار،، قال

وهويته يسقى المدامَ كانّه ... قمر يدور بكوكب فى مجلس k
متأرّج الحركات تَنْدَى ريحُه ... كالغصن هزّته الصبا بتنفّس
يسعى بكاس فى انامل سوسنٍ ... ويدير اخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجادُه ... ومصرّف الفرس القصير المحبس l
اياك بادرةَ الوغى من فارس ... خَشِنِ القناع على عذار املس
جَهْم وان حسر القناع m فانما ... كشف n الظلامَ o عن النهار المُشْمِس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره ... كالمُهْر يمرح p فى اللجام المُجْرِس
سَلّمْ فقد قصف القنا غصنُ النقى ... وسطا بليث الغاب ظبيُ المكنس
عنّا بكاسك قد كفتْنا مقلةٌ ... حوراء قائمة بسُكْر المجلس q

واورد هذه القصّة صاحب البدائع بقوله r حضر ابو المطرّف s بن عبد العزيز عند

---

a) *Al-Kal.* B. et al-M. متشمر. b) Al-M. الفارس. c) Al-M. الالسنة. d) Al-M. التوجه. e) Al-M. وكل. f) Al-M. اساده. g) *Al-K.* A. B. H. وحد, D. وخد; al-M. G. L. S. واشار, La. O. واراد. h) Al-M. عند. i) *Al-K.* G. et al-M. S. يسعى. j) *Al-K.* A. G. H. واستزلته; ces man. ajoutent واستنزلته après العقار. k) Dans le VII[e] Livre حندس. l) Les man. du *Kal.* portent المجلس. m) Al-M. اللثام. n) *Al-K.* A. رفع. o) *Al-K.* A. B. الصباب (l. الضباب). p) Al-M. G. L. S. يرمح, La. O. يلمح. q) *Al-K.* H. الانفس. r) Man. fol. 207 v. (*Bad.*). s) La. O. ابو المظفر.

الموتمن بن هود فى يوم اجرى الجوّ فيه اشقر برقه، ورمى بنَبْل a ودقه،، وتحمّلت b الرياح فيه اوقار السحاب على اعناقها، وتميّلت c قامات الاغصان فى الحُلَل الخُضْر من اوراقها d،، والراح e قد اشرقت نجومُها فى بروج الراح، وحاكت شمسُها شمسَ الافق فتلفّعت بغيوم الاقداح،، ومُديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من إهابه، واخجل خدّها حسنا فتكلّل f بعَرَق حبابه،، اذا بفتى رومى g *من فتيان h الموتمن قد اقبل متدرّعا كالبدر اجتاب سحابا، والخمر قد اكتست حبابا i،، وقد جاء يريد استشارة الموتمن فى الخروج الى موضع كان عوّل فيه عليه، وامره ان يتوجّه اليه،، فحين j لمحه ابن عمّار والسكر قد استَحْوَذ على لبّه، وبثّ k سراياه فى ضواحى قلبه l،، جدّ فى ان يستخرج تلك الدُرّة من ماء ذلك الدِلاص، وان يجلّى عنه سَهَكَه كما يجلّى الخَبَثُ عن الخِلاص،، *وان يكون هو الساقى m فامره الموتمن بقبول امره وامتثاله، واحتذاء مثاله n،، فحين ظهرت تلك الشمس من حُجُبها، ورمتْ شياطينَ النفوس من كُميَتْ المُدام بشُهُبها،، ارتجل ابن عمار وهويته الخ o الا انه قال اثرَ قولهَ اياك

بادرة الوغى من فارس   ما صورتُه   يضع السنان على العذار الاملس   انتهى،

ولابن عمار الرائيّة الشهيرة فى مدح المعتضد عبّادٍ والدِ المعتمد وهى

---

a) *Bad.* ببندق. b) *Bad.* وحملت, et cette leçon se trouve aussi dans le vii^e Livre, où al-Makk. copie encore une fois ce passage. c) Dans le vii^e Livre وتمايلت. d) Dans le *Bad.* et dans le vii^e Livre d'al-M. on trouve ajouté ceci: والازهار قد تفتّحت عيونها، والكمائم قد ظهر (مكتومها و + *Bad.*) مكنونها،، والاشجار قد انصقلت بالقطر (بمداوس *Bad.* القطر)، ونشرت ما يفوق الوان التبر، وثَبّتْ ما يعلو العطر،، e) Al-M. ici والرياح. f) Al-M. ici فتظلل. g) Ce mot manque ici dans les man. d'al-M. h) Dans le vii^e Livre: من اصبح فتيان. i) Le *Bad.* et le vii^e Livre d'al-M. ajoutent: والطاووس انقلب حُبابا،، j) Le *Bad.* et le vii^e Livre d'al-M. ajoutent فهو مَلَكٌ حسنا الا انه جَسَد، وغزال لينا الا انه (فى هيأة + al-M.) الاسد،، k) vii^e Livre et *Bad.* وانبثت. l) Le *Bad.* et le vii^e Livre d'al-Makk. ajoutent: فاشار اليه وقرّبه، واستبدع ذلك اللباس وان يوقّم على ذلك الوفر نعمةَ جسمه، واستغربه،، وجدّ الخ. m) *Bad.* et vii^e Livre: ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه،، n) Al-M. ici et plus loin امثاله. o) Varr. vs. 2. ينذى عطفه ; vs. 3. يسقى ; vs. 6. وان كشف القناع ; vs. 7. كالمهر يلعب. La variante يضع السنان dans le 5ème vers ne se trouve pas dans le *Bad.*

أَدِرِ الزجاجةa فالنسيم قد انبرى	والنجم قد صرف العنانَ عن السُّرَى
والصبح قد اهدى لنا كافورَه	لما استردّ الليلُ منّا العنبرَا
والروض كالحسْنا كساه زهرُه	وشيًا وقلّده نداه جوهرَا
او كالغلام زها بورد خدودهb	خجلا وتاهَ بآسهنّ معذّرَا
روض كانّ النهر فيه مِعْصَم	صاف اطلّ على رداء اخضرَا
وتهزّه ريح الصبا فتخالهc	سيفَ ابن عبّاد يبدّد عسكرَا
عبّادُ المخضرّ نائلُ كفّه	والجوّ قد لبس الرداء الاغبرَا
ملك اذا ازدحم الملوكُ بمورد	ونحاه لا يَرِدون حتى يصدرَا
أَنْدَى على الاكباد من قطر الندى	والذُّ فى الاجفان من سِنَة الكرَى
يختار اذ يَهَبُ الخريدةَ كاعبا	والطِّرْفَ اجردَ والحسامَ مجوهرَا
قَدّاحُ زند المجد لا ينفكّ من	نار الوغى الا الى نار القِرَى
لا خَلْقَ أَقْرَأُ من شفار حسامه	ان كنتَ شبّهتَ المواكبَ أَسْطُرَا
ايقنتُ انى من ذَرَاه بجنّة	لما سقانى من نَداه الكَوْثَرَا
وعلمتُ حقّاd ان ربعى مُخْصِب	لما اسالe به الغمامَ الممطرَا
مَنْ لا توازنه الجبالُ اذا احتبى	من لا تسابقه الرياحُ اذا جرَى
ماض وصدرُf الرمح يكهم والظُّبى	تنبو وايدى الخيل تعثر فى البُرَىg
فاذاh الكتائبi كالكواكب فوقهمj	من لامهم مثل السحاب كَنَهْوَرَاk
من كل ابيض قد تقلّد ابيضا	عَضْبا واسمرَ قد تحمّلl اسمرَا
ملك يروقك خَلْقُه او خُلْقُه	كالروض يحسن منظرا او مخبرَا
اقسمتُ باسم الفضل حتى شمْتُه	فرايتُه فى بردتَيْه مصوّرَا
وجهلتُ معنى الجود حتى زرْتُه	فقرأتُه فى راحتَيْه مفسّرَا
فاح الثرى متعطّرا بثنائه	حتى حسبْنا كل ترب عنبرَا
وتتوّجت بالزهر صُلْعُ هضابه	حتى ظننّا كل هضب قيصرَا

a) Al-M. المدامة. b) Al-M. G. L. P. S. رياضه. c) *Al-K̲.* H. فتظنه, A. فكانه. d) *Al-K̲.* H. et al-M. جدا. e) Al-M. سالت. f) *Al-K̲.* B. وطرف. g) Al-M. L. S. الثرى. h) Al-M. G. L. P. S. قاد. i) *Al-K̲.* A. المواكب. j) Al-M. La. O. بينهم. k) Al-M. La. O. تهورا. l) *Al-K̲.* A. B. et al-M. تقلد.

هصرتْ يدى غصن الغنى من كفّه   وجنتْ به روض السرور منوَّرا
حسبى على الصُنْع الذى اولاه ان   أَسْعَى بجدّ او اموت فأُعْذَرَا
يا أيّها الملك الذى حاز العلاء[a]   وحباه[b] منه بمثل حمدى انورَا
السيف افصح[c] من زيادٍ خطبةً   فى الحرب أن كانت يمينُك[d] منبرَا
ما زلتَ تُغْنى من عَنَا لك راجيا   نيلا وتُفْنى من عتا وتجبَّرَا
حتى حللتَ من الرياسة محجرا   رَحْبًا وضمّت منك طرفا احورَا
شقيتْ بسيفك أُمّةٌ لم تعتقدْ   الا اليهودَ وان تسمّتْ بربرَا
اثمرتَ رُمْحَك من رؤس كُماتهم   لما رايتَ الغصن يُعْشَق مُثْمِرَا
وصبغتَ درعك من دماء ملوكهم[e]   لما علمتَ الحسن يُلْبَس احمرَا
والَيْكها كالروض زارتْه الصَبَى   وحنى عليه الطلُّ حتى نوَّرَا
نمّقْتُها وشيا بذكرك مُذْهَبا   وفتقتُها مسكا بحمدك اذفرَا
مَنْ ذا ينافحنى وذكرك مَنْدَل   اوردتُّه من نار فكرى مجْمَرَا
فلئن وجدتَّ نسيم حمدى عاطرا   فلقد وجدتُّ نسيم برّك اعطرَا

انتهى، وقال فى ترجمة عبد الجليل بن وَهْبُون المُرْسى ركب باشبيلية زورقا فى النهر[f] الذى لا تدانيه الصَرَاة، ولا يضاهيه الفُرات،، فى ليلة تنقّبت بظلمتها[g] * ولم يَبْدُ وضح فى دُهْمتها[h]،، وبين ايديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما فى اللُجّة، وزاد فى تلك البهجة،، فقال

كأنما الشمعتان اذ سَمَتَا   خدّا[i] غلام محسَّن الغَيَد
وفى حشى النهر[j] من شعاعهما   طريقُ نار الهوى الى كبدى

وكان معه غلامُ البكرىّ معاطيا للراح، وجاريا فى ميدان ذلك المراح،، فلما جاء عبد الجليل بما جا، وحلّ للابداع الجوانبَ والارجا،، حسده على ذلك الارتجال، وقال بين البُطْحىّ[k] والاستعجال،،

أَعْجِبْ بمنظر ليلة لَيْلاء   نجنى بها اللذّات فوق الماء

---

a) *Al-K̇.* A. D. H. المنى. b) *Al-K̇.* A. وجناه. c) *Al-K̇.* B. اصدق. d) Al-M. يمينه.
e) *Al-K̇.* D. سراتهم , H. حماتهم. f) Al-M. نهرها. g) *Al-K̇.* A. بظلمائها , al-M. فى ظلمتها.
h) *Al-K̇.* A. ولم يلح قمر فى سمائها. i) *Al-K̇.* B. خذا , A. D. G. خد , H. et al-M. جيد.
j) *Al-K̇.* B. D. G. الماء. k) Al-M. L. S. البطاء , La. O. البطاية , G. البطحاء.

فى زورق يزهى بغُرّة أَغْيَد   يختال مثل البانة الغَيْناء[a]
قرنت يداه الشمعتَيْن بوجهه   كالبدر بين النسر والجَوْزاء
والتاج تحت الماء ضوء منهما[b]   كالبرق يخفق فى غمام سماء

انتهى، وقال الفتح رحه دُعيتُ يوما الى منية المنصور بن ابى عامر ببلنسية وهى منتهَى الجمال، ومَزْهَى الصَبا والشَمال،، على وَهْى بنائها، وسُكنى الحوادث برهةً بفنائها،، فوافيتُها والصبح قد البسها قميصَه، والحسن قد شرح بها عويصَه،، وبوسطها مجلس قد تفتّحت للروض ابوابُه، وتوشّحت بالأُزُر الذهبيّة اثوابُه،، يخترقه جَدْوَل كالحسام المسلول، وينساب فيه انسيابَ الأَيْم فى الطول،، وضفّتاه بالادواح[c] محفوفة، والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة،، وفيه يقول على بن احمد احد شعرائها، وقد حلّه مع طائفة من وزرائها،،

قُمْ سَقّنى والرياض لابسةٌ   وشيا من النَوْر حاكه القطرُ
فى مجلس كالسماء لاح به   من وجه مَنْ قد هويتُه بدرُ
والشمس قد عصفرتْ غلائلها   والارض تندى[d] ثيابُها الخُضْرُ
والنهر مثل المجرّ حفّ به   من الندامَى كواكب زُهْرُ

فحللتُ[e] ذلك المجلس وفيه أَخْدان، كانهم الولدان،، وهم فى عيش لَدْن، كانهم فى جنّات[f] عدن،، فأَنَخْتُ لديهم ركائبى وعقلتُها، وتقلّدتُ بهم رغائبى واعتقلتُها،، واقمنا نتنعّم * بحسنه طولَ ذلك[g] اليوم، ووافَى الليل فذُدْنا عن الجفون طروقَ النوم،، وظللنا بليلة كانّ الصبح منها مقدود، والاغصان تميس كانها قدود،، والمجرّة تتراءى نهرا، والكواكب تخالها فى الجوّ زهرا،، والثريّا كانها راحة تُشير، وعُطارد لنا بالطرب[h] بشير[i]،، فلما كان من الغَد وافيتُ الرئيس ابا عبد الرحمن زائرا فأَفضْنا فى الحديث الى ان افضى بنا الى ذكر منتزهنا بالامس، وما لقينا[j] فيه من الانس،، فقال لى ما بهجةُ موضع قد بان قطينُه وذهب، وسلب الزمان بهجتَه وانتهب،، وباد فلم يبقَ الا رسمُه، ومحاه الحدثان فما كاد يلوح وسمُه،، عهدى به عند ما فُرغ[k]

a) *Al-K̇.* A. G. H. et al-M. L. La. O. الغناء, S. الغيباء.   b) *Al-K̇.* A. H. جبينه.   c) G. L. S. P. بالارواح.   d) G. S. P. تبدى, L. تبدو.   e) G. L. et S. ajoutent فى.   f) La. O. جنة.   g) La. O. بحسن ذلك.   h) La. O. بالطرف.   i) L. يشير.   j) G. L. تعينا.   k) La. O. بلغ.

من تشييده، وتُنُوهِيَ فى تنسيقه وتنضيده،، وقد استدعانى اليه المنصور فى يوم حلّت فيه الشمسُ برجَ شرفها، واكتست الارض بزخرفها،، فحللتُ به والدوح[a] تميس معاطفُه، والنَّوْر يخجله قاطفُه،، والمدام تطلع به وتغرب، وقد حلَّ به قحطان ويَعْرُب،، وبين يدى المنصور مائة غلام ما يزيد احدهم على العشر غير اربع، ولا يحلّ غير الفؤاد من مَرْبَع،، وهم يديرون رحيقا، خِلْتَها فى كاسها درًّا او عقيقا،، فاقمنا والشُهُب تغازلنا، وكانّ الافلاك منازلنا،، ووهب المنصور فى ذلك اليوم ما يزيد على ٣٠ الفا من صلات متّصلات واقطع ضياعا ثم توجّع لذلك العهد، وافصح بما بين ضلوعه من الوجد،، وقال

سقيا لمنزلة اللوى وكثيبها انْ لا ارى زمنا كازمانى بها

انتهى، وما احسن ما كتب به الفتح الى بعض الملوك يصف نزهة ببعض منتزهات الاندلس المونقة، ويذكر استضاءته فيها بشموس المسرّة المشرقة،، وهو اطال الله بقاء ناصر الدولة، ومحيى الملّة،، الذى حسن بلقياه العيش، وتزيّن[b] بمحيّاه الجيش،، وراق باسمه المُلْك، وجرت بسعده الفُلْك،، وانار به الليل الدامس، ولاح له الاثر الطامس،، وجرى الدهر لسطوته خائفا، وغدا السعدُ بعَقْوته طائفا،، والزمان ببرود علياه ملتحف، ولثغور نداه مرتشف،، ولا زال للمجد يتملّكه، والسعد يحمله فلكه،، أمّا وقد وافقتْنى ايامه ايّده الله وفاقا، ورايتُ للبيان[c] عنده نَفاقا،، فلا بدّ ان أُرسل كتائبَه افواجا، وافيض من بحره امواجا،، وأَصف ما شاهدتُّه من اقتداره، وعاينتُه من حسن ايراده واصداره،، بمقال افصح من شكوى المحزون، واملح من رياض الحزون،، وقد كنتُ ايّده الله كَلِفا بالدُوَل وبهائها، لَهِجا بالبلوغ الى انتهائها،، لاجِدَ دولةً ارتضيها، وحظوة علياء اقتضيها،، فكل مَلِك فاوضتُه سرًّا او جهرا، وكل مُلْك قلبتُه بطنا وظهرا،، والنفس تَصُدّ عنه صدودَ الجبان عن الحرب، والملائكة الكرام عن الشرب،، الى ان حصلتُ لديه، ووصلتُ بين يديه،، فقلتُ الآن امكن من راح البغية الانتشاء، وتمثّلتُ الحمدُ لله الذى اذهب عنّا الحزن واورثنا الارض نتبوّء من الجنّة حيث نشاء[d]،، وما زلتُ أُسايره حيث سار، وآخذ اليمين تارةً وتارةً اليسار،، وكل ناحية تسفر لى عن خدّ روض ازهر، وعذار نبت اخضر،، وتبسم عن ثغر حباب،

a) La. O. والروض. b) La. O. وتزيد. c) O. للسان, La. للشان. d) Voyez le *Korān*, sour. 35, vs. 31, et sour. 39, vs. 74.

فى نهر كالحُباب،، وترفل من الربيع فى ملابس سندسيّات، وتهدى الينا نوافح مسكيّات،، وتزهى من بهجتها باحسن منظر، وتَتِيهُ بجلباب انيع من برد الشباب الاخضر،، فجُلْنا فيها يمينا وشِمالا، واستخبرنا عن اسرارها صبا وشَمالا،، ثم مال بنا ايّده الله عن هذه المسارح السنيّة، والمنازل البهيّة،، الى احدى ضياعه الحالية، وبقاعه العالية،، فحللناها * والايم قد عرى من جلبابه *a*، واليوم قد اكتهل بعد شبابه،، فنزلنا فى قصور يقصر عنها جعفرىُّ جعفر، وقصور بنى الاصفر،، تهدى من لبّاتها بردا محبَّرا، وتبدى من شذاها مسكا وعنبرا، وقد لاحت من جوانبها نجومُ اكواس، لو رآها ابو نُواس،، لجعلها شعارَه، ووقّف على نَعْتها اشعارَه،، ولم يتّخذ سواها نجعة، ولا نبّه خماره بعد هجعة،، فتعاطيناها والسعد لنا خادم، وما غير السرور علينا قادم،، وخدود سُقاتها قد اكتست من سناها، وقدودهم تتهيّل علينا بجناها،، ونحن بين سُكْر وصحو، واثْبات لها ومحو،، واصاخة الى بَمّ وزير، والتفات *b* الى ملك ووزير،، الى ان ولّى النهارُ فحيّانا، واقبل اللَّيْلُ المُميتُ فَأَحْيانا،، فوصلنا بلهو وقصف، وعيش يتجاوز كل وصف،، فكانّ يومنا مقيم، او كانّ ليلنا من الظلام عقيم،، ولما سلَّ الفجرُ حسامهِ، وابدى لعبوس الليل ابتسامه،، وجاء يختال اختيالا، ويمحو من بقايا الليل نيالا *c*،، قُمْنا نتنادَب للمسير، وكلّنا فى يد النشوة اسير،، فسِرْنا والملك الاجلّ يقدمنا، والايام تخدمنا،، فلا زالت الايام به زاهية، ومن سواه لاهية،، ما عمر وكرًا عُقاب، وكان للشهور غُرَر وأَعْقاب،، انتهى، وقال الفتح فى ترجمة الراضى بالله ابى خالد يزيد بن المعتمد بن عبّاد بعد كلام ما صورتُه واخبرنى المعتزّ *d* بالله ان اباه المعتمد وجّهه يعنى الراضى الى شِلْب واليا وكانت ملعب شبابه، ومألف احبابه،، التى عمر نجودها غلاما، وتذكّر عهودها أَحْلاما،، وفيها يقول يخاطب ابن عمّار وقد توجّه اليها

أَلا حَيِّ اوطانى بشلب ابا بكرِ   وسَلْهنّ هل عهد الوصال كما أَدْرِى

وسَلِّمْ على قصر الشراجيب عن *e* فتى   له ابدًا شوق الى ذلك القصرِ

وقصر الشراجيب هذا متناهٍ فى البهاء والاشراق، مباهٍ لزَوْراء العراق،، رُكِضت فيه جياد راحاته، واومضت بروق امانيه فى ساحاته، وجرى الدهر مطيعا بين بُكَره وروحاته،،

---

a) Le sens de cette phrase ne m'est pas clair. *b*) Les man. portent والتفاته. *c*) La. O. نبالا. *d*) G. P. المعتند, L. La. O. المعتمد, S. الراضي. *e*) Al-M. من.

ايامَ لم تُتَحَلّ عنه تمائمُه، ولا خلتْ من ازهارهa الشباب كمائمُه،، وكان يعتدّها مَحْيا b آماله، ومنتهى اعماله،، الى بهجة جنباتها، وطيب نفحاتها وهبّاتها،، والتفاف خمائلها، وتقلّدها بنهرها مكانَ حمائلها،، وفيها يقول ابن اللّبّانة

اما علم المعتزّ بالله انّنى … بحضرته فى جنّة شقّها نهرُ
وما هو نهر اعشب النبتُ حوله … ولكنّه سيف حمائله خُضْرُ

فلما صدر عنها وقد حسنت آثارُه فى تدبيرها، وانسدلت رعايتُه على صغيرها وكبيرها،، نزل المعتمد عليه مشرّفا لاوبته، ومعرّفا بسموّ قدره لديه ورتبته،، واقام يومه عنده مستريحا، وجرى فى ميدان الانس بطلا مُشيحا،، وكان واجدا على الراضى فجلت الحميّا افقه، ومحتْ غيظه عليه وحنقه،، وصوّرتْه له عينُ حنوّه، وذكّرتْه بُعْده فجنح الى دنوّه،، وبين ما استُدعى ووافَى، مالت بالمعتمد نشوتُه فاغْفىd،، فألْفاه صريعا فى منتداه، طريحا فى منتهى مداه،، فاقام تُجاهَه، يرتقب انتباهه،، وفى اثناء ذلك صنع شعرا اتقنه وجوّده، فلما استيقظ انشده،،

الآنَ تعود حياةُ الامَلْ … ويدنو شفاء فؤاد مُعَلّْ
ويُورق للعزّ غصنٌ ذوى … ويطلع للسعد نجم افَلْ
فقد وعدتْنى سحاب الرضى … بوابلها حين جادت بطَلّْ
أَيا ملكe امرُه نافذ … فمن شاءf عزّ ومن شاء ذَلّْ
دعوتَ فطار بقلبى السرور … اليك وان كان منك الوجَلْ
كما يستطيرك حبُّ الوغى … اليها وفيها الظُّبَى والاسَلْ
فلا غَرْوَ ان كان منك اغتفار … وان كان منّا جميعا زَلَلْ
فمثلك وهو الذى لم نجدْ … هُ عادَ بحلم على من جَهِلْ

انتهى، وقال فى ترجمة المتوكّل على الله بن الافطس ما صورتُه واخبرنى الوزير ابو محمد بن عبدون ان الجَدْب توالى بحضرته حتى جفّت مذانبُها، واغبرّت جوانبُها،، وغرّد المُكّاء فى غير روضة، وخاض * الناس بالياسg اعظمَ خوضة،، وابدت الخمائلُ عبوسَها، وشكت الارض للسماء بوسَها،، فاقلع المتوكّل عن الشرب واللهو، ونزع ملابس

a) Al-M. .ازاهير. b) Al-M. .مشتهى. c) Al-M. .المعتد. d) Al-M. .واغفى. e) Les man. du *Kalāyid* portent .ملكا. f) Al-M. G. L. S. شا اعز et شا اذل. Dans les man. d'al-M. ce vers est placé après .كما يستطيرك. g) *Al-K.* A. et al-M. La. O. .الياس بالناس.

الخُيَلاء والزهو،، واظهر الخشوع، واكثر السجود والركوع،، الى ان غيّم الجوّ، وانسجم النوء،، وصاب الغمام، وترنّمت الحمام،، وسفرت الانوار[a]، وزهت النجاد[b] والاغوار،، واتّفق ان وصل ابو يوسف المغنّى والارض قد لبست زخارفها، ورقم الغمامُ مطارفها،، وتدبّجت[c] الغيطان والرُبَى، وارجت نفحات الصبى،، والمتوكل ما فضّ لتوبته ختاما، ولا نفض عن قلبه منها قتاما،، فكتب اليه

الـمّ ابـو يـوسـف والـمـطَـرْ — فيا ليت شعرى ما يُنتظَرْ
ولسـتُ بـآبٍ وانت الشهيـد — حضورَ نديّك فيمن حضَرْ
ولا مطلعى وسط تلك السما — ء بين النجوم وبين القمَرْ
وركضى فيها جيادَ المُدا — م محثوثةً بسِياط الوتَرْ

فبعث اليه مركوبا وكتب معه[d]

بعثتُ اليك جناحا فطِرْ — على خفية من عيون البَشَرْ
على ذُلُلٍ من نتاج البروق — وفى ظُلَلٍ من نسيج الشجَرْ
فحسبىَ ممن نأى *مَنْ دنا[e] — فمن[f] غابَ كان فدًا من حضَرْ

فوصل القصبة المُطلّة على البطحاء، المُزرية بمنازل الرَوْحاء،، فاقام منها حيث قال عَدِىّ بن زيد يصف مصنعا

فى قباب حول دسكرة — عندها[g] الزيتون قد ينعا

ومضى[h] لهم من السرور يوم ما مرّ لذى رُعَيْن، ولا تصوّر قبل عيونهم لعَيْن،، واخبرنى انه سايَرَه الى شَنْتَرين قاصية ارض الاسلام، السامية الذُرَى والأَعْلام،، التى لا يروعها صرف، ولا يفرعها[i] طرف،، لانها متوعّرة المراقى، معقّرة[j] للراقى،، متمكّنة الرواسى والقواعد، من[k] ضفّة نهر استدار بها استدارةَ القُلْب بالساعد،، قد اطلّت على خمائلها اطْلالَ العروس من منصّتها، واقتطعت فى[l] الجوّ اكثر من حصّتها،، فمرّوا بـأَنْبَش[m] قُطْرٌ سالت به جداوله، واختالت فيه خمائله،، فما يجول الطرف منه الا فى حديقة او بقعة انيقة،، فتلقّاهم ابن مُقانا قاضى حضرته وانزلهم عنده، وأَوْرَى لهم بالمبرّة زنده،،

---

a) Al-M. الازهـار. b) Al-M. G. L. S. النجوم, La. O. النجود. c) Al-M. وتتوجت. d) Al-M. G. L. S. اليه. e) *Al-K̇.* A. جفوة. f) Al-M. ومن. g) *Al-K̇.* B. D. et al-M. La. O. حولها. h) Al-M. ومر. i) Al-M. La. O. يقرعها. j) *Al-K̇.* B. G. Ga. H. et al-M. G. L. S. La. O. معفرة. k) *Al-K̇.* A. على. l) Al-M. من. m) Al-M. بانفس.

وقدّم لهم طعاما، واعتقد قبوله منًّا وانْعاما،، وعند ما طعموا قعد القاضى بباب المجلس رقيبا لا يبرح، وعينُ المتوكل حياءً منه لا تجول ولا تمرح،، فخرج ابو محمد وقد ابرمه القاضى[a] بتثقيله، وحرمه راحةَ رواحه ومَقيله،، فلقى ابن خَيْرون منتظرا له، وقد اعدّ لحلوله منزله،، فسار الى مجلس قد ابتسمت ثغور نُوّاره، وخجلت خدودُ ورده من زُوّاره،، وأَبْدَتْ صدورُ اباريقه اسرارَها، وضمّت عليه المحاسنُ ازرارَها،، ولما حضر له وقت الانس وحينُه، وارجت له رياحينُه،، وجّه من يرقب المتوكل حتى يقوم جليسُه، ويزول مُوحِشُه لا انيسُه،، فاقام رسوله وهو بمكانه لا يريمه، قد لازَمَه كانه غريمه،، فما انفصل، حتى ظنّ ان عارض الليل قد نصل[b]،، فلما علم ابو محمد بانفصاله بعث الى المتوكل قطيع خمر[c] وطبق ورد وكتب معهما

اَلَيْكَها فاجْتلها منيرةً ... وقد خَبَاه[d] حتى الشهابُ الثاقبُ
واقفةً بالبابِ لم ياذَنْ لها ... الا وقد كاد ينام الحاجبُ
فبعضها من المخاف[e] جامد ... وبعضها من الحياء ذائبُ

فقبلها منه رحمه وكتب اليه

قد وصلتْ تلك التى زففتَها ... بِكْرًا وقد شابت لها ذوائبُ
فهُبَّ حتى نستردَّ ذاهبا ... من أُنْسنا ان استُردَّ ذاهبُ

فركب اليه، ونقل معه ما كان * فى المجلس[f] بين يديه،، وباتا ليلتَهما لا يريمان السهر، ولا يشيمان برقا الا الكاس والزهر،، ثم قال بعد كلام واخبرنى الوزير الفقيه ابو ايوب بن ابى اميّة انه مرّ فى بعض ايامه بروض مفترّ المباسم، معطَّر الرياح النواسم،، قد صِقل الربيع حَوْذانَه، وانطق بُلْبُلَه وورَشانَه،، والحف غصونه برودا مخضرّة، وجعل اشراقه للشمس ضرّة،، وازاهره تَتِيهُ على الكواكب، وتختال فى خِلَع الغمائم السواكب،، فارتاح الى الكون به بقيّةَ نهاره، والتنعُّم ببنفسجه وبهاره،، فلما حصل من انسه فى وسط المدى، عمد الى ورقةِ اكرنب قد بلّلها الندى،، وكتب فيها بطرف غصن ناعم[g]، يستدعى الوزير ابا طالب بن غانم،، احد ندمائه، ونجوم سمائه،،

أَقْبِلْ ابا طالب الينا ... * وَقَعْ وقوعَ[h] الندى علَيْنَا

---

a) Ce mot manque dans les man. d'al-M. b) Al-M. فصل. c) Al-M. راح. d) *Al-K̇*. B. خفى, D. G. et al-M. جنا. e) *Al-K̇*. B. الممات. f) Al-M. بالمجلس. g) Ce mot ne se trouve pas dans les man. d'al-M. h) *Al-K̇*. B. H. واسقط سقوط.

فنحن عِقد بغير وُسْطَى   ما لم تكن حاضرا لدَيْنا

وقال فى ترجمة المعتصم بن صُمادح ما صورتُه واخبرنى ابو خالد بن يشتغير[a] انه حضر مجلسه بالصمادحيّة فى يوم غيم وفيه اعيان الوزرا، ونبهاء الشعرا،، فقعد على موضع يتداخل الماء فيه، ويلتوى فى نواحيه،، والمعتصم منشرح النفس، مجتمع الانس،، فقال   انظرْ الى حسن هذا الماء فى صَبَبِهْ   كانه ارقمٌ قد جدّ فى هَرَبِهْ
فاستبدعوه، وتيّموه به واولعوه،، فاسكب عليهم شآبيب نداه، واغرب[b] بما اظهره[c] من بشره وابداه،، ثم قال بعد كلام وخرج الى بُرْجة ودلاية وهما نظرانِ لم يَجُلْ فى مثلهما ناظر، ولم تدّع حسنَهما الخدودُ النواضر،، غصون تثنيها الرياح، ومياه لها انسياح،، وحدائق تُهْدِى الارج والعَرْف، ومنازع[d] تُبهج النفس وتمتّع الطرف،، فاقام فيهما اياما يتدرّج فى مسارحها، ويتصرّف فى منازهها،، وكانت نزهة أَرْبَتْ على نزهة هشام بدير الرصافة، وانافت عليها اىّ انافة،، وقال فى ترجمة ابن رَزين ما ملخّصه[e] اخبرنى الوزير ابو عامر * بن سنون[f] انه اصطبح يوما والجوّ مسكىّ[g] العوارف، لازوردىّ المطارف،، والروض انيقة لبّاته، رقيقة[h] هبّاته[i]،، والنَوْر مبتلّ، والنسيم معتلّ،، ومعه قومه، وقد راقهم يومه،، وصلاته تُصافح معتفيهم، ومبرّاته تُشافه موافيهم،، والراح تُشعشَع، وماء الامانى يُنْشَع،، فكتب الى ابن عمّار وهو ضيفه

ضَمَان على الايام ان أَبْلُغَ المُنَى   اذا كنتَ فى ودّى مُسِرًّا ومُعْلِنَا
فلو تسأل الايامُ مَنْ هو مفرد[j]   بودّ[k] ابن عمّار لقلتُ لها انا
فان حالت الايامُ بينى وبينه   فكيف يطيب العيش او يحسن[l] الغنا[m]

فلما وصلت الرقعة اليه تأخّر عن الوصول، واعتذر بعذر مختلّ المعانى والفصول،، فقال احد الحاضرين انى لاعجبُ * من ابن عمار، كيف قعد[n] عن هذا المضمار،، مع ميله الى السَماع، وكلفه بمثل هذا الاجتماع،، فقال ذو الرياستين ان الجواب تعذّر،

---

a) *Al-K.* A. دسعمر (*sic*), G. H. et al-M. G. L. بشتغير, al-M. S. بستعير, La. O. يستعير, P. يشعير. Comparez plus loin dans le VII^e Livre. b) *Al-K.* A. واغزل, B. واظهر, G. H. واعرب, D. واغراب. c) *Al-K.* A. B. H. اظهر, al-M. ظهر. d) Al-M. ومنازل. e) Ibn-Khākān a copié ici Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 31 v.). f) Ces mots manquent dans les man. d'al-M. g) Al-M. سماكى. h) *Al-K.* A. عبقة. i) Ibn-B. et *al-K.* H. هياته. j) Al-M. La. O. مغرم. k) *Al-K.* B. C. بحب. l) Al-M. La. O. يحصل. m) *Al-K.* A. et al-M. La. O. المنا. n) Al-M. من قعود ابن عمار.

فلذلك[a] اعتذر،، لانه يعانى قوله ويعلّله، ويروّيه ولا يرتجله،، ويقوله فى المدّة الممتدّة فراى ان الوصول بلا جواب اخْجال لادبه، واخْلال بمنازله[b] فى الشعر ورُتَبه،، فلما كان من الغَد ورد[c] ابن عمار ومعه الجواب وهو

هصرتَ لى الآمال[d] طيّبة الجَنَى   وسوّغتنى الاحوال مُقْبلةَ الدُنَى[e]
والبستنى النعمى اغضّ من الندى   واجمل من وشى الربيع[f] واحسنَا
وكم ليلة احظيتنى بحضورها   فبتّ سميرا للسَناء وللسَنَا
أُعلّل نفسى بالمكارم والعُلَى   وأُذْنى وكفّى بالغناء وبالغنَا
سأقْرن بالتمويل ذكرك كلّما   تعاورت الاسماء غيرَك والكُنَى
لأوْسعتنى قولا وطَوْلا كلاهما   يطوّق اعناقا ويُخْرِس أَلْسُنَا
وشرّفتنى من قطعة * الروض بالنى[g]   تناثر فيها الطبعُ وردا وسوسنَا
تروق بجيد الملك عقدا مرصّعا   وتزهى على عطفَيْه * وشيا معيّنا[h]
فدُمْ هكذا يا فارس الدَسْت والوغى   لتَطْعُنَ * طورا بالكلام[i] وبالقَنَا

واخبرنى الوزير * الكاتب ابو جعفر[j] بن سَعْدُون انه اصبح يوما بحضرته وللرذاذ رَشّ، وللربيع على وجه الارض فرش،، وقد صقل الغمامُ الازهارَ حتى اذهب نَمَشها، وسقاها فأروى عطشها،، فكتب اليه

فَدَيْناك لا يستطيعك النظمُ والنثرُ   فانت مليكُ الارض وانفصل[k] الامرُ
مَرَيْنا نداك الغَمْر فانهلّ صيّبا   كما سكبت وطفاء او فتق البحرُ
وجاء الربيع الطلق يَنْدَى[l] غضارةً   فحيّتْك منه الشمسُ * والروض والنهرُ[m]

الى ان قال ثم وجّه فيه الى روضة قد ارجت نفحاتُها، وتدبّجت ساحاتُها،، وتفتّحت كمائمها[n]، وافصحت حمائمها،، وتجرّدت[o] جداولها كالبواتر، ورمقت * ازاهرها بعيون فواتر[p]،، فاقاموا يعملون كاسهم[q]، ويشتملون ايناسهم،، فقال ذو الرياستين

وروض كساه الطلّ وشيا مجدّدَا   فاضحى مُقيما للنفوس[r] ومُقْعِدَا

---

a) Al-M. فلذا. b) Al-M. لمنازله. c) *Al-K̇*. B. G. ووافى. d) Ibn-B. الايام. e) Ibn-B. الارض بالمنى, al-M. La. المنى. f) *Al-K̇*. B. C. الرياض. g) Ibn- B. الروضة التى, al-M. La. الارض بالمنى. h) Al-M. La. O. بردا مزينا. i) *Al-K̇*. B. C. G. بالاقلام فيها. j) Ces mots ne se trouvent pas dans les man. d'al-M. k) Ibn-B. وانفعل, al-M. وانتصل. l) Al-M. يبدى. m) *Al-K̇*. B. C. والانجم الزهر. n) Al-M. G. L. S. كمامها et حمامها. o) Al-M. وجردت. p) Al-M. ازهارها كالعيون الفواتر. q) Al-M. اكواسهم. r) Ibn-B. للعيون.

اذا صافحتْه الريحُ خِلْتَ. غصونه   رواقصَ فى خُضْر من العَصْب مُيَّدَا
اذا ما انسكاب الماء عاينتَ خِلْتَه   وقد كسَّرتْه راحةُ الريح مِبْرَدَا
وان سكنتْ عنه حسبتَ[a] صفاءه   حساما صقيلا صافى المتن جُرِّدَا
وغنّتْ به وُرْقُ الحمائم حولنا[b]   غناءً ينسّيك الغريضَ ومَعْبَدَا
فلا تَجْفُوَنَّ الدهر ما دام مُسْعِدا   ومُدَّ الى ما قد حباك به يَدَا
وخُذْها مُداما من غزال كانه   اذا ما سقى[c] بدرٌ تحمّل فرقدَا

الى ان قال واخبرنى الوزير *ابو عامر[d] بن سنون، انه كان معه فى منية العيون،، فى يوم مطرَّز الاديم، ومجلس معزَّر النديم،، والانس يغازلهم من كل ثنيّة، ويواصلهم بكل امنيّة،، فسكر احد الحاضرين سكرا مثَّل له ميدانَ الحرب، وسهَّل عليه مستوعَرَ الطعن والضرب،، فقلب مجالس الانس حربا وقتالا، وطلب الطعن وحده والنزالا،، فقال ذو الرياستين

نفس الذليل تعزّ بالجريالِ   فيقاتل الاقرانَ دون قتالِ
كم من جَبان ذى افتخار باطل   بالخمر[e] تحسبه من الابطالِ
كبش الندىّ تخمُّطا وعرامةً[f]   واذا تُشَبّ الحربُ شاة نزالِ[g]

وقال فى ترجمة ابن طاهر ما صورتُه وجيئتُه يوما وقد وقفتُ[h] بباب الحَنَش فقال لى من اين فاعلمتُه، ووصفتُ له ما عاينتُه من حسنه وتأمّلتُه،، فقال لى كنتُ أُخْرُجُ عليه[i] اكثرَ الليالى مع الوزير الاجلّ ابى بكر يعنى ابن عبد العزيز الى روضته التى ودّت الشمسُ ان يكون منها[j] طلوعها، وتمنّى المسكُ ان *تنضمّ عليها[k] ضلوعها،، والزمان غلام، والعيش احلام، والدنيا تحيّة وسلام،، والناس قد انتشروا فى جوانبه، وقعدوا على مذانبه،، وفى الساقية[l] الكبرى دولاب يئنّ كناقة اثرَ الحُوار[m]، او كثَكْلى من حرّ الأُوار،، وكل مُغْرَم يجعل فيه ارتياحه، بكرتَه[n] ورواحَه،، ويغازل عليه حبيبه، ويصرف اليه تشبيبه،، فخرجتُ عليه ليلةً والمتنبّئ الجزيرى واقفٌ وأمامه ظبىٌ آنس، تهيم به المكانسُ،، وفى اذنَيْه قُرْطانِ، كانهما كوكبان، وهو يتأوّد تأوُّدَ غصن

---

a) Ibn-B. تتخال. *b*) Al-M. بيننا. *c*) Ibn-B. بدا. *d*) Ces mots manquent dans les man. d'al-M. *e*) Al-M. بالراح. *f*) *Al-Ḱ.* B. C. شجاعة. *g*) Je ne comprends pas ce mot. *Al-Ḱ.* A. شاة نزال, C. شاب نزال. *h*) Les man. du *Kalāyid* portent وقف. *i*) *Al-Ḱ.* B. G. H. et al-M. اليه. *j*) Al-M. منه. *k*) Al-M. تضم عليه. *l*) Al-M. ساقيته. *m*) Al-M. حوار. *n*) *Al-Ḱ.* A. B. غدوه.

البان ،، المتنبّى يقول معشرَ الناس بباب الحَنَش بدرُ تمّ طالع فى غَبَش
علّق القرطَ على مسمعه مَنْ عليه آفةَ العين خَشى

فلما رآنى أَمْسَكَ، وسبّح كانه قد تنسّك ،، وقال فى ترجمة ابن عمّار ما صورتُه وتنزّه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيّده بنو اميّة بالصفاح والعَمَد، وجروا *a* فى اتقانه الى * غير أَمَد *b* ،، وأُبدع بناؤه، ونُمّقت ساحاتُه *c* وفناؤه ،، واتّخذوها ميدانَ مراحهم، * ومصمارَ انشراحهم *d* ،، وحكوا به قصرهم بالمشرق، واطلعوه كالكوكب الثاقب المُشْرِق ،، فحلّه ابو بكر بن عمّار على اثر بُوسه، وابتسم له دهرُه بعد عبوسه ،، والدنيا قد اعطتْه عفوَها، وسقتْه صفوَها ،، وبات فيه مع لمّة من أَتْباعه، ومتقبّلى *e* رباعه ،، كلهم *f* يحيّيه بكاس، ويفديه بنفسه من كل باس ،، فطابت له ليلتُه فى مَشيده، واطرَبَه الانسُ ببسيطه ونشيده *g* ،، فقال

كل قصر بعد الدمشق يُذَمّ فيه طاب الجنى وفاح المشمّ
منظر رائق وماء نمير وثرى عاطر وقصر اشمّ
بتّ فيه والليل والفجر عندى *h* عنبر اشهبٌ ومسك احمّ

انتهى، وعبّر صاحب البدائع عن هذه القصّة بقوله *i* تنزّه ابن عمار بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيّده خلفاء بنى اميّة وزخرفوه، ودفعوا صرف الدهر عنه وصرفوه، واجروه على ارادتهم وصرّفوه ،، وذهّبوا سُقُفه وفضّضوها، ورخّموا ارضه وروّضوها ،، فبات به والسعد يلحظه بطرفه، والروض يحيّيه بعَرْفه ،، فلما استنفد *j* كافورُ الصباح مسكَ الغَسَق، ورصّع ابنوسَ الظلام نُضارُ الشَفَق ،، قال مرتجلا كل قصر بعد الدمشق يذم الخ *k*

انتهى، وقال فى ترجمة ذى الوزارتين ابى عيسى بن لَبّون *l* اخبرنى الوزير ابو عامر ابن الطويل انه كان بقصر مُرّبيطر * فى المجلس *m* المشرف منها *n* والبطحاء قد لبست زخرفَها، ودبّج الغمامُ مطْرَفَها ،، وفيها حدائق ترنو عن مُقَل نرجسها، وتبثّ طيبَ تنفّسها ،، والجلّنار قد لبس اردية الدما، وراع افئدةَ الندما ،، فقال

قُمْ يا نديمِ أَدِرْ علىّ القرقفَا أَوَمَا ترى زهرَ الرياض مفوّفَا

---

a) *Al-K.* A. H. وجرى. *b*) Al-M. غاية وامد. *c*) Al-M. ساحته. *d*) Al-M. ومضمارا لانشراحهم. *e*) *Al-K.* A. ومتقبلى, B. ومتقيل, G. D. ومتقلبى, H. ومتقلى. *f*) Al-M. وكلهم. *g*) *Al-K* G. ومديده. *h*) *Al-K.* B. D. G. عنى. *i*) Man., fol. 207 r. *j*) Tous les man. portent استنفذ. *k*) Varr.: vs. 1. غير الدمشق et طاب الحيا. *l*) Al-Fath a ici copié Ibn-Bassām, man. de Gotha, fol. 26 v. *m*) Al-M. بالمجلس. *n*) Lisez عليها (?).

فتخال محبوبا مُدِلّا وَرْدَها   وتظنّ نرجسها محبّا مُدْنَفا
والجلّنار دماء قَتْلَى مَعْرَك   والياسمين حباب ماء قد طَفَا

الى ان قال وشرب مع الوزراء والكُتّاب*a* ببطحاء لُورقة *عند اخيه وابن اليَسَع غائب عنها*b* فى عشيّة تجود بدمائها، ويصوب عليها دمع*c* سمائها،، والبطحاء قد خُلع عليها سندسُها، ودُرّها*d* نرجسُها،، والشمس تنفض على الرُّبَى زعفرانها، والانوار تغمّض أَجْفانها،، فكتب الى ابن اليسع

لو كنتَ تشهد*e* يا هذا عشيّتنا   والمزنُ يسكب*f* احيانًا وينحدرُ
والارض مصفرّة بالمزن*g* كاسية   ابصرتَ تِبْرًا عليه الدرُّ ينتثرُ

وقال فى ترجمة ذى الوزارتين ابى بكر بن رُحَيْم ما صورتُه ووصل هو وابن وضّاح*h* صهْر المرتضَى وابن جمال الخلافة صاحب صقلّية الى احدى جنّات مُرْسِيَة، فحلّوا منها فى قبة فوق جَدْوَل مطّرد، وتحت ادواح طيرُها غَرِد، فاقاموا يتعاطون رحيقَهم، ويعمرون بالمؤانسة*i* طريقَهم،، اذا بالجَنّان قد وقف عليهم وقال كان بموضعكم بالامس صاحب الموضع ومعه شعور منشورة، وخدود غير مستورة،، قد رُفعت عنها البراقع، وما منها نظرة الا ومعها*j* سهم واقع،، فاستدعى فحما وكتب فى احدى زوايا القبة

قادَنا ودُّنا اليك فجينا   بنفوس تفديك من كل بُوسِ
فنزلنا منازلا لبدور   وحللنا مطالعا لشموسِ

وقال فى ترجمة الوزير الكاتب ابى محمد بن عبدون ما صورتُه*k* حللتُ بيابُرة*l* فانزلنى*m* واليها بقصرها، ومكّننى من جنى الامانى وهصرها،، فاقمتُ ليلى، اجرّ على المجرّة ذيلى، وتتطارد فى ميدان السرور خيلى،، فلما كان من الغد باكَرَنى الوزير ابو محمد مسلّما، ومن تنكّبى*m* عنه متألّما،، ثم عطف على القائد عاتبا عليه فى كونى لديه، ثم انصرف وقد اخذنى من يديه،، فحللتُ عنده فى رحب، وهَمَتْ علىّ من البرّ امطارُ سحب،، فى مجلس كانّ الدرارِىَّ فيه مصفوفة، او كانّ الشمس اليه مزفوفة،، فلما حان انصرافى، وكثر تطلّعى الى مآبى*n* واستشرافى،، ركب معى

---

a) Al-M. الكتاب. *b*) Ces mots ne se trouvent pas dans les man. d'al-M. *c*) *Al-K.* D. G. ماء. *d*) Al-M. G. L. S. وذرها, La. O. ودرها. *e*) Al-M. La. O. تبصر. *f*) Al-M. تسكب. *g*) Ibn-B. بالزهر, al-M. بالشمس. *h*) *Al-K.* B. H. صمادح. *i*) Al-M. فى الموانسة. *j*) *Al-K.* D. وهى. *k*) Al-M. P. بيابرة, G. L. S. La. O. بابيرة. *l*) Al-M. فانزلنا. *m*) *Al-K.* A. B. تنكيبى. *n*) *Al-K.* A. B. مامّى, D. G. مالفى.

الى حديقة نَضرة، مجاورة للحضرة،، فأَنَخْنا عليها ايدى عيسنا، ونِلْنا منها ما شبنا
من تأنيسنا،، فلما امتطيتُ عزمى، وسدّدتُّ الى غرض الرحلة سهمى،، انشدنى

سلام * كما حيَّا لزهره[a] الرُبَى عَرْفُ — فلا سمعَ الا ودَّ لو انه أَنْفُ
حنينى[b] الى تلك السجايا فانها — لَآثارُ اعيان المساعى التى أَقْفُو

ثم سرد القصيدة الى ان قال وله رحمه

سقاها الحَيَا من مّغانٍ فِساحِ — فكم لى بها من مّعانٍ فِصاحِ
وحلّى اكاليل تلك الرُبَى — ووشّى معاطفَه[c] تلك البطاحِ
* فما أَنْسَ لا[d] أَنْسَ عهدى بها — وجَرِّى فيها ذيولَ المراحِ
ونومى على حبَرات الرياض — يجاذب بردَىَّ راحُ[e] الرياحِ
بحيث لَمْ أُعْطِ النُهَى طاعةً — ولم أُصْغِ سمعا[f] الى لَحْيِ لاحِ
وليل كرجعة طرف المُريب — لمَ أَدْرِ له شَفَقًا من صباحِ

وقال فى ترجمة الوزير ابى محمد بن مالك بعد كلام له فيه وانشاده لبيتَيْه[g]
البديعين اللذين هما

لا تَلُمْنى بان طربتُ لشَجْوِ — يبعث الانسَ فالكريم طَرُوبُ
ليس شقُّ الجيوب حقًّا علينا — انما الحقّ[h] ان تُشَقَّ القلوبُ

ما صورته وخرجتُ من اشبيلية مشيّعا لأحد زعماء المرابطين فالفيتُه معه مسايرًا له
فى جملة مَنْ شيّعه فلما انصرفنا مال بنا الى معرَّس[i] امير المسلمين ادام الله تاييده
الذى ينزله عند حلوله[j] اشبيلية وهو موضع مستبدَع، كانّ الحسن فيه مُودَع،، ما
شيتَ من نهر ينساب انسيابَ الاراقم، وروض كما وشّت البردَ[k] يدُ راقم،، وزهر يحسد
المسكُ[l] ريّاه، ويتمنّى الصبح ان يَسِمَ به محيّاه،، فقطف غلام وسيم من غلمانه نَوْرة
ومدّ يده الىّ وهى فى كفّه، فعزم على ان اقول بيتا فى وصفه،، فقلتُ

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه — وفى كفّه من رائق النَوْر كوكبُ

فقال ابو محمد

---

a) Al-M. زهر (S. La. O. منه) يناجى منها. b) *Al-K.* B. حننت. c) Al-M. G. L. S. معاطيف. d) Al-M. فلم انس لم. e) Al-M. مر. f) *Al-K.* H. et al-M. La. O. سمعى. g) Les man. portent ببيتيه. h) Al-M. الشان. i) *Al-K.* A. قصر. j) *Al-K.* A. B. حلول, G. حلوله الى. k) *Al-K.* A. D. G. et al-M. S. البرود. l) Al-M. الملك.

يروح لتعذيبِ النفوس ويغتدى ‏ ‏ ويطلع فى افق الجمال ويغربُ

ويحسد منه الغصنُ اىَّ مهفهف ‏ ‏ يجىء على مثل الكثيب ويذهبُ

وقال فى ترجمة الوزير ابى القاسم بن السَقّاط بعد كلام كثير ما صورتُه وحملَنا الوزير القاضى ابو الحسن بن أَضْحَى الى احدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير ابو محمد بن مالك، وجماعة من اعيان تلك الممالك،، فحللنا بضيعة لم ينحت المحلُ اثلَها، ولم ترمق العيونُ مثلها،، وجُلْنا بها فى اكناف جنّات أَلْفاف فما شئتَ من دوحة لَفّاء، وغصن يميس كمعطفَىْ هَيْفاء،، وماء ينساب فى جداوله، وزهر يضمخ بالمسك راحةَ متناوله،، ولما قضينا من تلك الحدائق اربا، واقتضضنا منها أَتْرابا[a] عُرُبا،، مِلْنا الى موضع المَقيل، وزُلْنا[b] عن منازه[c] تُزْرى بمنازه[d] جذيمة مع مالك وعَقيل،، وعند وصولنا بدا لى من احد الاصحاب تقصير فى المبرّة، عرض لى منه تكدير لتلك العيون القرّة،، فاظهرتُ التثاقُل اكثرَ ذلك اليوم، ثم عدلتُ عنهم الى الاضطجاع[e] والنوم،، فما استيقظتُ الا والسماء قد نسخ صَحْوها، وغيَّم جوّها،، والغمام منهمل، والثرى من سقياه ثَمِل،، فبسطنى بتَحَفّيه، وابهجنى ببرّ له يتمّمه ويوفّيه،، وانشدنى

يوم تجهّم فيه الافقُ وانتثرتْ ‏ ‏ مدامعُ الغيث فى خدّ الثرى هَمَلا

راى وجومَك فاربدّتْ[f] طلاقتُه ‏ ‏ مضاهيا لك فى الأَخْلاق ممتثلا

وقال فى ترجمة الوزير القاضى ابى الحسن بن أَضْحَى ما نصُّه وكان لصاحب البلد الذى كان يتولّى القضاء به ابنٌ من احسن الناس صورةً، وكانت محاسن الافعال والاقوال عليه مقصورة،، مع ما شئتَ من لَسَن، وصوتٍ حسن،، وعفاف، واختلاط بالنبهاء[g] والتفاف،، فحملَنا الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة فحللنا قرية على ضفّة نهر، احسن من شاذمهْر،، تشقّها جداول كالصلال، ولا ترمقها الشمسُ من تكاثُف الظلال،، ومعنا جملة من اعيانها فاحضرنا من انواع الطعام، وارانا من فرط الاكرام[h] والانعام،، ما لا يُطاق ولا يُحَدّ[i]،، ويقصر عن بعضه العَدّ[j]،، وفى اثناء مُقامنا بدا لى من ذلك الفتى المذكور ما انكرتُه فقابلتُه بكلام أَحْقَدَه[k]، وملام اعتقَدَه[l] ،،

---

a) *Al-K̇.* D. G. ابكارا. b) *Al-K̇.* B. ونزلنا. c) *Al-K̇.* A. B. et al-M. S. منازل. d) *Al-K̇.* A. B. بمنازل. e) Al-M. S. La. O. الاصّجاع. f) Al-M. فارتدت. g) Al-M. بالنبهاء. h) *Al-K̇.* A. B. الامتنان. i) *Al-K̇.* A. B. يقدر. j) *Al-K̇.* A. B. القدر. k) Al-M. اعتقده. l) Al-M. احقده.

فلما كان من الغد لقيتُ منه اجتنابَه، ولم أَرَ منه ما عهدتُه من الانابة،، فكتبتُ اليه مداعبًا a فراجعنى بهذه القطعة

اتتنى ابا نصر نتيجةُ خاطرٍ   سريعٍ b كرجع الطرف فى الخطراتِ
فاعربتَ c عن وجدٍ كمينٍ طويتَه   باهيفَ طاوٍ فاتر اللحظاتِ
غزالٌ احمُّ المقلتين عرفتَه   بخيف مِنًى للحين d او عَرَفاتِ
رماكَ فأَصْمَى والقلوب رَميّةٌ e   لكلّ كحيل الطرف ذى فتكاتِ
وظنّ بانّ القلب منكَ محصَّبٌ   فلبّاكَ من عينَيْه بالجمراتِ
تقرَّبَ بالنُسّاكِ فى كلّ منسكٍ   وضحَّى غداةَ النحر بالمُهَجاتِ
وكانت له جَيّانُ مَثْوًى فاصبحتْ   ضلوعُكَ مثواه بكلّ فلاتِ
يعزّ علينا ان تهيم فتنطوى   كئيبا على الأَشْجان والزفراتِ
فلو قُبلتْ للناس فى الحبّ فديةٌ   فديناكَ بالاموال والبَشَراتِ

وقال فى ترجمة اديب الاندلس وشاعرها ابى اسحق بن خَفَاجة بعد كلام ما صورتُه وقال يندب معاهدَ الشباب، ويتوجّع f لوفاة الاخوان والاحباب،، بعقب سيل اعاد الديارَ آثارًا، وقضى عليها وهيا وانتثارا g،،

أَلا عرّس h الاخوانُ فى ساحة البلَا   وما رفعوا غيرَ القبور قبابَا
فدمع كما سحّ الغمامُ ولوعة   كما ضرّمت i ريحُ الشمال شهابَا
اذا استوقفتْنى فى الديار عشيّةٌ   تلدّدتُ فيها جيئةً وذهابَا
اكرّ بطرفى فى معاهد فتيةٍ   ثكلتُهم بيضَ الوجوه شبابَا
فطال وقوفى بين وجدٍ وحُرْقةٍ j   أُنادى رسوما لا تُحير جوابَا
وامحو جميلَ الصبر طورًا بعبرةٍ   اخطّ بها فى صفحتَى كتابَا
وقد درست اجسامُهم k وديارهم   فلم أَرَ الا أَعْظُما ويَبَابَا
وحسبِىَ شجوًا ان ارى الدار بلقعا   خلاءً وأَشْلاءَ الصديق تُرابَا

ولقد احلّنى هذه الديار المندوبة وهى كعهدها فى جودة مَبْناها، وعودة سناها،، فى

---

a) Les man. d'al-M. ajoutent له. b) Al-M. مريع. c) Al-K. A. B. G. فاعرب. d) Al-M. للحسن. e) Al-K. B. رجيّة. f) Al-M. ويتفجع. g) Ces vers se trouvent aussi chez Ibn-Bassām, man. de Gotha, fol. 151 v. h) Al-M. عرض. i) Al-K. A. D. G. et Ibn-B. ضربت. j) Al-K. A. et al-M. وفرقة ; Al-K. B. وعبرة ; Al-K. G. et Ibn-B. وزفرة. k) Al-K. B. اجسادهم.

ليلة اكتحلنا ظلامَها اثْمِدا ، ومحونا بها من نفوسنا كَمَدا ،، ولم يزل ذلك الانسُ يبسطه ، والسرور ينشّطه ،، حتى نشر لى ما طواه ، وبثّ مكتومَ لوعته وجواه ،، واعلمنى بلياليه فيها مع أَتْرابه ، وما قضى بها من أَطْرابه ،، انتهى ما وقع عليه اختيارى من كلام ابى نصر الفتح بن عُبيد الله رحمه فى وصف بعض منتزهات الاندلس البديعة ، ورياضها المونقة المريعة ،، وما احسن رسالةً له مختصرة كتبها مهنّئًا بعض ملوك الاندلس بما منحه الله من التمكين الذى ايّده الله به ونصره وقد جوّد اوصافه ، واستطرد منها الى ذكر الناصر وولده الحكم اللذين عمرا الزهراء والرصافة ،، ونصُّها اطال الله بقاءَ الامير للارض[a] يتملّكها ، ويستدير بسعده فلكها ،، قد استبشر المُلْكُ ايّده الله وحُقّ له الاستبشار ، فقد اومأَ اليه السعد واشار ،، بما اتّفق له من توليتك ، وخفق عليه من [b] الويتك ،، فلقد حُبِىَ منك بمَلِك أَمْضَى من السهم المسدّد ، طويل نجادِ السيف رَحْبِ المقلّد ،، يتقدّم حيث يتأخّر الذابل ، ويتكرّم اذا بخل الوابل ،، ويحمى الحِمَى كرَبيعة بن مُكْدَم ، ويسقى الظُبَى نجيعا كلَوْن العندم ،، فهنيئًا للاندلس فقد[c] استردّت عهد خلفائها ، واستجدّت رسوم تلك الامامة بعد عفائها ،، فكأنْ لم تَمُتْ اعاصرُها ، ولم يَمُتْ حَكَمُها ولا ناصرُها ،، اللذان عمرَا الرصافة والزهرا ، ونكحَا عقائل الروم وما بذلَا غير المشرفيّة مَهْرا ،، والله اسأله اظْهار ايامك ، وبه ارجو انتشار أَعْلامك ،، حتى يكون عصرك اجمل من عصرهم ، ونصرك اغرب من نصرهم ،، بمنّه[d] ويمنه ، وقال رحمه فى ترجمة الفقيه القاضى الحافظ ابى محمد عبد الحقّ ابن عَطيّة صاحب التفسير الشهير بعد كلام كثير ما صورتُه ومررنا فى احدى نُزَهِنا بمكان مُقْفِر ، وعن المحاسن مسفر ،، وفيه بكيمُ نرجس كانه عيون[e] مِراض ، يسيل وسطه ماء رضراض ،، بحيث لا حِسّ الّا للْهام ، ولا انسَ الا ما يتعرّض للاوهام ،، فقال

نرجسٍ باكَرْتُ منه روضةً — لذَّ قطعُ الدهر فيها وعَذُبْ

حثّتَ الريحُ بها خمرَ حَيًا — رقص النبتُ لها ثم شَرِبْ

فغدا يسفر عن وجنته — نورُه الغضُّ ويهتزّ طَرَبْ

خِلْتَ لمع الشمس فى مشرقه[f] — لهبا يخمد[g] منه فى لهبْ

---

a) La. O. للازمن. b) Ce mot manque dans G. L. S. La. et O. c) G. L. S. لقد. d) La. et O. ajoutent وكرمه. e) *Al-K.* A. B. جفون. f) *Al-K.* B. حافاته. g) *Al-K.* A. D. G. H. ويحمله منه لهب , B. يحمد ; al-M. G. L. P. La. O. يجمد.

وبيــاض الـطـلّ فـــى صُفْرتــه   نُقَط الفضّة فى خطّ الذهبْ

انتهى، وسياتى ان شاء الله تعّ كثير من وصف بلاد الاندلس ومنتزهاتها وما اشتملت عليه من المحاسن فى كلام غير واحد ممن يجرى ذكره فى هذا الكتاب وخصوصًا اديب زمانه غير مُدافَعٍ مَن اعترف له اهلُ الشرق، بـالسبق،، واهل المغرب، بالابداع المُغْرِب،، النور ابو الحسن على بن سعيد العَنْسى فـانه لما دخل مصر اشتاق الى تلك المواطن الاندلسيّة الرائقة، ووصفهـا بـالقصائد والمقطوعـات الفائقة،، وقد اسلفْنا ايضا فيما مرّ من هذا الكتاب بعض ما يتعلّق بمحـاسن الاندلس فليراجَعْ فى محلّه من هذا الكتـاب، قلت وما ذا عسى ان نذكر من محاسن قرطبة والزاهرة والزهرا، او نَصِفَ من محاسن الاندلس التى تبصر بكل موضع منها ظلّا صافيا· ونهرا صافيا[a]· وزهرا،، ويرحم الله اديبها المشهور، الذى اعترف له بالسبق الخاصّةُ والجمهور،، ابـا اسحق بن خفاجة اذ قال

يــا اهــل انـدلــسٍ لـلـه درّكـم   مــاءٌ وظلّ وانـهــار واشـجــارُ
مـا جنّة الخلد الّا فـى ديـاركـم   ولو تخيّرْتُ هذا كنتُ أَخْتارُ
*لا تحسبوا فى غدٍ[b] ان تدخلوا سَقَرا   فليس تُدْخَل بعد الجنّة النارُ

ويروى مكانَ قوله   ولو تخيرت هذا كنت اختار   ما مثاله   وهذه كنتُ لو خُيّرتُ اختـار   وكذا رايـتُ بخطّ الحـافـظ التَنَسى والاول رايتُه بخطّ العـلّامة الوانشريشى[c] رحمهما، وحكى ان الخليلى لما قدم من الاندلس رسولا الى سلطان المغرب ابى عنان فـارس بن السلطان ابى الحسن المَرينى انشد بحضرة السلطـان المذكور ابياتَ ابن خفاجة هذه كالمفتخر ببلاد الاندلس فقال السلطان ابو عنان كذب هذا الشاعر يشير الى كونه جعلها جنّةَ الخلد وانه لـو خُيّر لاختارها على ما فى الآخرة وهذا خروج من ربقة الدين ولا *اقل من الكذب والاغْراق[d]، وان جرتْ عادةُ الشعراء بذلك الاطلاق،، فقال الخليلى يا مولانا بل صدق الشّاعر لانهـا موطن جهـاد، ومقـارعةٍ للعدوّ وجـلاد،، والنبىّ صلّعم *الرحيم الرءوف[e]، يقول الجنّة تحت

a) Ce mot ne se trouve pas dans G. L. et S.   b) La. O. لا تختنشوا بعد ذا.   c) G. L. S. O. الوانشريسى, P. الوانشريسنى.   d) G. L. اقل من الكذ فى الاغراق, O. اقل. Peut-être doit-on lire أَقَلِّى.   e) La. O. الرءوف، الودود الرحيم العطوف.

ظلال السيوف،، فاستحسن منه هذا الكلام، ورفع عن قائل الابيات الملام،، واجزل صلته، ورفع منزلته،، ولعمرى ان هذا الجواب، لجدير بالصواب،، وهكذا ينبغى ان تكون رُسُل الملوك فى الافتنان، روّح الله ارواح الجميع فى الجنان،، وابو اسحق ابن خفاجة كان اوحد الناس فى وصف الانهار، والازهار،، والرياض، والحياض،، والرياحين، والبساتين،، وقد سبق بعض كلامه وياتى ايضا منه بعض اثناء الكتاب a ومن ذلك قوله

وكمامة حدرb الصباحُ قناعَها ... عن صفحة تَنْدَى من الازهار
فى ابطحٍ رضعت ثغورُ اقاحه ... أَخْلافَ كل غمامة مِدْرار
نثرت بحجرِ الارضd فيه يدُ الصبا ... دررَ الندى ودراهم النُّوّار
وقد ارتدى غصنُ النقا وتقلّدت ... حلىَ الحباب سوالفُ الانهار
فحللتُ حيث الماء صفحة ضاحك ... جَذِل وحيث الشطّ بدء عذار
والريح تنفض بكرةً لِمَمَ الرُبَىe ... والطلّ ينضح اوجهَ الاشجار
متقسّمَ الالحاظ بين محاسن ... من ردقf رابية وخصرg قرار
واراكة سجع الهديل بفرعها ... والصبح يسفر عن جبين نهار
هزّتْ له اعطافها ولربّما ... خُلعت عليه مُلاءة الانوار

وقال

سقيا ليوم قد أَنَخْتُ بسرحة ... رَيّا تُلاعبها الرياح فتلعبُ
سَكْرَى يغنّيها الحمامُ فتنثنى ... طربًا ويسقيها الغمام فتشربُ
يلهو فترفع للشبيبة رايةٌ ... فيه ويطلع للبهارة كوكبُ
والروض وجه ازهرٌ والظلّ فر ... ع اسودٌ والماء ثغر اشنبُ
فى حيث اطربَنا الحمامُ عشيّةً ... فشدا يغنّينا الحمام المطربُ
واهتزّ عطف الغصن من طرب بنا ... وافترّ عن ثغر الهلال المَغْربُ
فكانه والحسن مقترن به ... طوق على برد الغمامة مُذْهَبُ
فى فتية تسرى فينصدع الدجى ... عنها وتنزل بالجديب فيُخْصبُ

---

a) La plupart de ces poèmes d'Ibn-Khafādjah se trouvent chez Ibn-Bassām (man. de Gotha, fol. 150 et suiv.). Le Dīwān du poète (man. de Paris) n'en contient que très-peu. b) P. O. حذر, La. حثر. c) G. L. S. لحجر. d) Ibn-B. الروض. e) Ibn-B. السرى. f) G. L. زدف, S. زدق. g) G. P. S. La. O. وخصر.

كرموا فلا غيث السماحة مُخْلِف   يوما ولا برق اللطافة خُلَّبُ
من كل ازهر للنعيم بوجهه   ماءٌ يرقرقه الشبابُ فيسكبُ

وقال يمدح الامير ابا يحيى بن ابرهيم

سمح[a] الخيالُ على النوى بمزار   والصبح يمسح عن جبين نهارِ
فرفعتُ من نار لضيف طارق   يعشو اليها من خيالٍ طارِى
ركب الدجى أَحْسِنْ بها من مركب   وطوى السُرَى احسنْ بها من سارِى
واناخ حيث دموع عينى مَنْهَل   يروى وحيث حشاىَ مَوْقد نارِ
وسقى فاروى غُلَّةً من ناحل   اورى بجانحتَيْه زندَ أُوارِ
يلوى الضلوع من الوَلُوع بخطرة[b]   من شَيْم برق او شَميم عرارِ
والليل قد نضح الندى سرباله   فانهلّ دمعُ الطلّ فوق صدارِ
مترقب رُسُلَ الرياح عشيّةً   بمساقط الانواء والانوارِ
ومجرّ ذيل غمامة لبستْ به   وشىَ الحباب معاطفُ الانهارِ
خفقتْ ظلالُ الايك فيه ذوائبا   وارتجّ رِدْفًا مائج[c] التيّارِ
ولوى القضيب هناك جيدا اتلعًا   قد قبّلتْه مباسمُ النُوّارِ
باكرتُه والغيم قطعةُ عنبر   مشبوبة والبرق لفحة[d] نارِ
والريح تلطم[e] فيه ارداف الربى   لعبًا وتلثم اوجهَ الازهارِ
ومنابر الاشجار قد قامت بها   خطباءُ مُفْصِحة من الاطيارِ
فى فتية جنبوا العجاجةَ ليلةً   ولربّما سفروا عن الاقمارِ
ثار القتام بهم دُخانا وارتمى   زندُ الحفيظة منهم بشرارِ
شاهدتُّ من هِمّاتهم[f] وهِباتهم   اشْرافَ اطواد وفيضَ بحارِ
من كل منتقب بوردة خجلة   كرمًا ومشتملٍ بثوب وقارِ
فى عمّة خُلعت عليه للمّة   وذؤابة قُرنت بها لعذارِ
صافى[g] رداء المجد طمّاح العُلَى   طامى عُباب الجود رَحْب الدارِ
جرّار اذيال المعالى والقنى   حامى الحقيقة والحمى والجارِ

---

a) La. شح.   b) Ibn-B. et al-Makk. للخطرة.   c) Ibn-B. et al-Makk. مايل.   d) S. نفحة, La. O. قطعة.   e) Al-Makk. تطلع.   f) G. L. S. La. هياتهم, O. هباتهم, P. هيباتهم.   g) G. L. S. صافى.

طرد القنيصَ بكل قيد طريدة زَجِل الجناح مورَّد الاظفارِ
ملتفّة اعطافه بحبيرة[a] مكحولة اجفانه بنُضارِ
يرمى به الامل القصىّ فينثنى مخضوبَ مرأى[b] الظفر والمنقارِ
وبكل ناءى الشوط اشدقَ اخزرٍ طاوى الحشى حالى المقلّد ضارى
يفترّ عن مثل النصال وانما يمشى على مثل القنى الخُطّارِ
مستقربا اثرَ القنيص على الصفى والليل مشتمل بشملة قارِ
من كل مسودّ تلهّبُ طرفه ترميك فحمتُه بشعلة نارِ
ومورّس السربال يخلع قدّه[c] عن نجم رجم فى سماء غبارِ
يستنّ فى سطر الطريق وقد عفا قدمًا فتقرأ احرف الآثارِ
عطف الضمورُ سَرَاتَه فكانه والنقع يحجبه هلالُ سرارِ
ولربَّ روّاغ[d] هنالك انبسط ذلق[e] المسامع اطلس الاطمارِ
يجرى على حذر فيجمع بَسْطَه يهوى فينعطف انعطافَ سوارِ
ممتدّ حبل الشأو يَعْسِل رائغا[f] فيكاد يُفْلِت ايدىَ الاقدارِ
متردّد يرمى به خوفُ الردى كُرَةً تهاداتها[g] اكفُّ قفارِ
ولربَّ طَيّار خفيف قد جرى فَشَلًا بجارِه[h] خلفَه طيّارِ
من كل قاصرة الخُطَا مختالة مشىَ الفتاة تجرّ فضل ازارِ
مخضوبة المنقار تحسب انها كرعتْ على ظمْا بكاس عقارِ
ولو استجارت منهما بحِمَى ابى يحيى لآمنها اعزّ جوارِ
خدم[i] القضاءُ[j] مرادَه فكانما ملكت يداه اعنّةَ الاقدارِ
وعنى الزمانُ لامره فكانما أَصْغَى الزمانُ به الى أمّارِ
وجلا الامارة فى رفيف نضارة جَلَت الدجى فى حلّة الانوارِ
فى حيث وشّح لبّة بقلادة منها وحلّى معْصَمًا بسوارِ
جذلانُ يملأ منحةً وبشاشةً ايدى العُفاة واعيُنَ الزُوّارِ

---

a) Le Dīwān porte كحبيرة. b) G. L. P. را, S. La. راء, O. et Ibn-B. راى. c) G. فتده (sic), L. P. S. La. O. قده. d) P. زواغ, G. L. S. La. O. رواع. e) G. L. S. P. خلق, La. O. حلق. f) Al-Makk. رابعا. g) G. L. P. S. تهاداها. h) Al-Makk. بحار. i) Ibn-B. وعد. j) Ibn-B. الزمان. On trouve la même leçon dans le Dīwān.

ارج الندىّ بذكره فكانه ... متنفّس عن روضة معْطارِ
بطل جرى[a] الفلكُ المحيط بسرجه ... واستلّ صارمه يدُ المقدارِ
بيمينه يومَ الوغى وشماله ... ما شاء من نار ومن اعْصارِ
*والسُمْر حُمْر[b] والجياد عوابس ... والجوّ كاسٍ والسيوف عوارى
والخيل تعثر فى شبَا شوك القنى ... قَصْدًا وتسبح فى الدم المَوّارِ
والبيض تُحنى فى الطُلا فكانما ... تلوى عُرًى منها على أزْرارِ
والنقع يكسر من سنى شمس الضحى ... فكانه صَدَأ على دينارِ
صحب الحسام[c] النصر صحبةَ غبطة ... فى كفّ صَوّال به سَوّارِ[d]
لو انه أوْمَى[e] اليه بنظرة ... يومًا لثار فلم يَنَمْ عن ثارِ
ومضى[f] وقد ملكته هزّةُ عزّة[g] ... تحت العجاج وضحكة استبشارِ

وقال رحمه

واراكة ضربت سماء فوقنا ... تَنْدَى وافلاك الكُوس تُدارُ
حفّت بدوحتها مجرّةُ جدْول ... نثرتْ عليه نجومَها الازهارُ
وكانها وكانّ جَدول مائها ... *حسناء شُدّ[h] بخَصْرها زُنّارُ
زفّ الزجاجُ بها عروسَ مدامة ... تُجلى ونُوّار الغصون نُثارُ
فى روضة جنح الدجى ظلّ بها ... وتجشّمتْ[i] نورا بها الانوارُ
غَنّاء ينشر وشيَه البَزّازُ لى ... فيها ويفتق مسكه العطّارُ
قام الغناء[j] بها وقد نصح الندى ... وجهَ الثرى واستيقظ النُوّارُ
والماء فى حلى الحباب مقلّد ... زرّتْ عليه جيوبَها الاشجارُ

وقال ملتزما ما لا يُلزم

خُذْها اليك وانها لَنَضيرةٌ[k] ... طرأتْ اليك قليلة النُظَراء
حملتْ وحسبُك *نفحةً فى بهجة[l] ... عبقُ العروس وخجلة العذراء
من كل وارسة القميص كانما ... نشأت تُعَلّ بريقة الصفراء
نجمتْ تروق بها نجوما[m] حسبها[n] ... بالايكة الخضراء من خضراء

---

a) Ibn-B. سرى, al-M. G. L. S. O. حوى. b) Al-Makk. والشمس خمر. c) La. O. الغمام. d) La. O. ثوار. e) Le Dīwān porte اوحى, et l'on trouve la même leçon chez Ibn-B. f) Al-Makk. وقضى. g) Ibn-B. نخوة. h) Ibn-B. et al-Makk. S. حسنا يشد. i) Al-Makk. G. L. P. وتجشمت, Ibn-B. وتجسمت. j) G. L. S. P. الغبار. k) G. L. La. لنظيرة. l) La. O. بهجة من نفحة. m) Al-Makk. نجوم. n) Al-Makk. et Ibn-B. حسنها.

واتتْك تسفر عن وجوه طلقة   وتنوب من لطف عن الصفراء a

يندى بها وجهُ الندىّ وربّما   بسطت * هناك اسرّةَ b السرّاء

فاستضحكت وجهَ الدجى مقطوعة   حملتْ جمال الغرّة الغرّاء

وقال ايضا

وصدرِ ناد نظمنا   له القوافىَ عقْدا

فى منزل قد سحبناه c   بظلّه d العزّ بُرْدا

تذكو به الشُّهْبُ جمرا   ويعبق الليل ندّا

وقد تأرّج نَوْر   غضّ يخالط وَرْدا

كما تبسّم e ثغر   عذب يقبّل خدّا

وقال من قصيدة يصف منتزها

يا ربَّ وَضّاح الجبين كانما   رسم العذار بصفحتَيْه كتابُ

تَغْرَى بطلعته العيونُ ملاحةً f   وتبيت تعشق عقلَه الالبابُ

خُلعت عليه من الصباح غلالةٌ   تندى ومن شَفَق المساء g نقابُ

فكرعتُ من ماء الصبا فى منهل   قد شقّ عنه من القميص سرابُ

فى حيث للريح الرُخاء تنفُّس   ارج وللماء الفُرات عُبابُ

ولربَّ غصّ الجسم مدَّ بحوضه   سبحا كما شقّ السماء شهابُ

ولقد أَنَخْتُ بشاطئَيْه يهزّنى   طربا شبابٌ h راقنى وشرابُ

وعبرتُ i دجلته يضاحكنى بها   مرحا حبيبٌ شاقنى وحبابُ

تُجلى من الدنيا عروس بيننا   حسناء تُرشف والمدام رُضابُ

ثم ارتحلتُ وللنهار ذؤابة   شيباء تُخضب والنهار خضابُ

تلوى معاطفَ الصبابة والصبا   والليل دون الكاشحين حجابُ

وقال

مرَّ بنا وهو بدرُ تمّ   يسحب من ذيله سحابَا

بقامة تنثنى قضيبا   وغُرّة تلتظى شهابَا

يقرأ والليل مُدْلَهِمّ   لنور اجلاته كتابَا

وربَّ ليل سهرتُ فيه   ازجر من جنحه غرابَا j

---

a) Al-Makk. الشعراء. b) La. O. هنالك اوجه. c) *Al-Kal.* A. لبسنا (صحبنا خ). d) *Al-Kal.* B. فى ظله. e) Al-Makk. تنفس. f) Al-Makk. مهابة. g) Al-Makk. السماء. h) La. O. حباب; Ibn-B. شهاب. , جباب. i) Al-Makk. وبكيت. j) G. L. S. P. La. نكابا , O. بكابا.

حتى اذا الليل مال سُكرا وشقّ سربـالـه وجـابَـا
وحـام مـن سدْفه غراب طـالـت بـه سنّه فشـابـا
ازددتُّ مـن لوعتى خبـالا فجيتُ(a) من غلّتى(b) شرابَا
ومـا خطـا قادما فوافى حتى انثنى ناكصا فآبَا
وبين جفنىَّ بحـرُ شوق يعبّ فى وجنتى عبـابـا
قد شُبّ فى وجهه شعاع وشبّ فى(c) قلبى التهـابـا
وروضـة طـلـقـة حـيـاء غـنّـاء مخضرّة جنـابـا
ينجـاب عن نورها كمام يحطّ عن وجهه نقـابـا
بـات بهـا مبسم الاقاحى يرشف من طلّهـا رُضـابـا
ومن خفوق البروق فيهـا الوية حُمّرت خـضـابـا
كـانـهـا انـمـل وراد تحصر قطر الحَيَا حسابَا

ولـه ايضا

رحلتُ عنكم ولى فؤاد تُنقص اضلاعُه حنينـا
اجود فيكم بعلْق دمع كنتُ به(d) قبلكم ضنينـا
يثور فى وجنتىّ جيشا وكان فى جفنه كمينـا
كاننى بعدكم شمال قد فـارقتْ منكم يمينـا

وقال

فيا لشجى صدره(e) من الصبر فارغ ويا لقذى طرف(f) من الدمع ملآن
ونفس الـى جـوّ الكنيسة صبّة وقلب الـى افق الجزيرة حنّان
تعوّضتُّ مـن واهًـا بـآهٍ ومن هوى بهُون ومن اخـوان صِدْق بخُوّان
ومـا كل بيـضـاء تروق بشحمة ومـا كل مَرْعًـى ترتعيه بسَعْدان
فيا ليت شعرى هل لدهرى عطفة فتجمع اوطـارى علـىّ واوطـانى
ميـاديـن اوطـارى ولـذّة لـذّتـى ومنـشـأ تَهْيـامى وملعب غـزْلانى
كأن لم يَصِلْنى فيه ظبى يقوم لى(g) لَمَـاه وصُدْغـاه براحى(h) وريحانـى
فسقيـا لـواديهم وان كنتُ انمـا ابيـت لـذكْراه بغُلّـة ظـمـآن
فكم يـومِ لَهْوٍ قد أَدَرْنـا بـافقه نجومَ كئوس بين اقمـار ندمـان

---

a) Al-Makk. فنحت. b) Al-M. S. et Ibn-B. علتى. c) G. L. P. La. O. عن ; S. et Ibn-B. من. d) G. L. فيه. e) La. O. قلب. f) La. O. جفن. g) G. L. فى. h) O. براح , La. باس.

وللقُضْب والاطيار مُلْهًى بجَزْعه[a]   فما شيتَ من رقص على رجع ألْحانِ
وبالحضرة الغرّاء غُرَّةٌ[b] علقتُه   فاحببتُ حبًّا فيه قضبان نَعْمانِ
رقيق الحواشى فى محاسن وجهه   ومنطقه مُسْلى قلوب وآذانِ
اغار لخدّيْه على الورد كلّما   بدا ولعطفَيْه على غُصن البانِ
وهَبْنِىَ أَجْنِى ورد خدّ بناظرى   فمن اين لى منه بتفّاح لُبْنانِ
يعلّلنى منه بموعد رشفه   خيال له يَغْرَى بمطل ولَيّانِ
حبيب عليه لجّة من صوارم   علاها حباب من اسنّة مُرّانِ
تراءتْ لنا فى مثل صورة يوسف   تراءتْ لنا فى مثل ملك سليمانِ
طوى برده منها صحيفةَ فتنة   قرأْنا لها من وجهه سطرَ عنوانِ
محبّته دينى ومثواه كعبتى   ورويتُه حجّى وذكراه قرآنى

وقال
وليل تعاطَيْنا المدام وبيننا   حديث كما هبَّ النسيم على[c] الوردِ
نعاوده والكاس تعبق[d] نفحةً   واطيبُ منها ما نُعيد وما نُبْدى
ونُقْلى اقاح الثغر او سوسن الطُلَى   ونرجسة الاجفان او وردة الخدّ
الى ان سَرَتْ[e] فى جسمه[f] الكاسُ والكَرَى   ومالًا بعطفَيْه فمال على عضْدى[g]
فاقبلتُ استهدى لما بين اضلعى   من الحَرّ ما بين الضلوع[h] من البردِ
وعاينتُه قد سُلَّ من وشى برده[i]   فعانقتُ[j] منه السيف سُلَّ من الغمدِ
لَيَان مَجَسّ واستقامة قامة   وهزّة اعطاف ورونق افرندِ
أُغازل منه الغصن فى مغرس النقى   والثم وجه الشمس فى مطلع السعدِ
فان لم يكنْها[k] او تكنْه فانه   اخوها كما قُدّ الشراكُ من الجلدِ
تُساور كلْتَا راحتَىَّ بجسمه   فطورًا الى خصر وطورًا الى نهدِ
فتهبط من كشحَيْه كفّى تهامةً   وتصعد من نهدَيْه اخرى الى نجدِ

وقال ايضا
ورداء[l] ليل بات فيه مُعانقى   طيفٌ ألمّ بظبية الوَعْساءِ
فجمعتُ بين رضابه وشرابه   وشربتُ من ريق ومن صهباءِ
ولثمتُ فى ظلماء ليلة وفرة   شفقًا هناك لوجنة حمراءِ

a) La. O. بافقه. b) S. La. O. عز, G. L. P. عن. c) Ibn-B. عن. d) Al-Makk. يعبق. e) La. O. جرت. f) P. وجهه. g) O. زند, La. حد. h) Ibn-B. الثنايا. i) Ibn-B. ملبس. j) La. O. فعاينت. k) G. L. P. تكنها. Ce vers manque dans La. et O. l) La. ولرب.

والليل مشمّط الذوابة a كبرةً ... خَرِفٌ يدبّ على عصى الجوزاء
ثم انثنى والصبح b يسحب فرعه ... ويجرّ من طرب فضول رداء
تَـنْـدَى بفيه اقحوانُهُ أَجْرَعِ ... قد غازلتْها الشمسُ غبَّ سماء
وتميس فى اثوابه ريحانةٌ ... كرعتْ على ظِمْأ بجدول ماء
نـقّـاحة c الانفاس الا انها ... حذِر الندى d خفّاقة الافياء e
فلويتُ معطفها اعتناقا حسبُنا ... فيه بقطر الدمع من أَنْواء

انتهى، وكان المعتمد بن عبّاد رحمه كثيرا ما ينتاب وادى الطلح مع رُمَيْكيّته، وأُولى انسه ومسرّته،، وهو وادٍ بشَرَف اشبيلية ملتفّ الاشجار، كثير ترنّم الاطيار،، وفيه يقول نور الدين بن سعيد

سائلْ بوادى الطلح ريحَ الصَّبَا ... هل سُخّرتْ لى فى زمان الصبَا
كانت رسولا فيه ما بيننا ... لن نامَنَ f الرُسْلَ ولن نكتبَا g
يا قاتَلَ الله اناسا اذا ... ما استُومنوا خانوا فما اعجبَا
هَلَّا رعَوْا أَنّا وثقنا بهم ... وما اتّخذنا عنهم مذهبَا
يا قاتل الله الذى لم يَتُبْ ... من غدرهم من بعد ما جرّبَا
واليَمُّ لا يعرف ما طعمُه ... الا الذى وافى لأَن يشربَا
دَعْنِىَ من ذكر الوُشاة الأُولَى ... لمّا يزلْ فكرى بهم مُلْهَبَا
واذكُرْ بوادى الطلح عهدا لنا ... لله ما أَحْلَى وما أَطْيَبَا
بجانب العطف وقد مالت ... الاغصان والزهر يبثّ الصبا
والطير مازت بين الحانها ... وليس الا مُعْجِبا مُطْرِبَا
وخانَنى مَنْ لا اسمّيه من ... شُحّ اخاف الدهرَ ان يسلبا
قد اترع الكاس وحيّا بها ... وقلتُ اهلًا بالمُنَى مَرْحَبَا
اهلًا وسهلًا بالذى شئتُه ... يا بدرَ تمّ مُهْديا كوكبَا
لكنّنى آليتُ أُسْقَى بها ... او تُودعَنْها ثغرَك الاشنبَا
فمجّ لى فى الكاس من ثغره ... ما حبّب الشرب وما طيّبَا

---

a) S. La. O. الذوائب. b) Le Dīwān porte والسكر. c) S. O. تفاحة. d) Le Dīwān porte النوى. e) Ibn-B. الإلياء. f) G. L. S. تامن, O. تامل. g) G. L. S. تكتبا, La. ننكبا ✿

فقال ها لثمى نقلا ولا   تشمّ الا عرفى الاطيباء[a]
واقطف بخدّى * الوردَ والآسَ[b] والـــنسرينَ لا تحفل بزهر الربا
اسعفته غصنا غدا مثمرا   ومن جناه ميسه قرّبا
قد كنتُ ذا نُهى وذا امرة   حتى تبدّى فحللتُ الحبا
ولم أُصن عِرضى فى حبّه   ولم أُطع فيه الذى انّبا
حتى اذا ما قال لى حاسد   ترجوه والكوكب ان يغربا
ارسلتُ من شعرى سحرًا له   ييسّر المرغب والمطلبا
وقال عرّفه بانّى سأحـــتال فما أجتنب المكتبا
فزاد فى شوقى له وعده   ولم ازل معتقدا مرقبا
امدّ طرفى ثم اثنيه من   خوف اخى التنغيص ان يرقبا
أُصدّق الوعد وطورًا ارى   تكذيبه والحرّ لن يكذبا
اتى * ومن سحره[c] بعد ما   آيَس[d] بُطىً كاد ان يغضبا
قبّلتُ فى الترب ولم استطع   من حَصَره[e] اللقيا سوى مرحبا
هنّأتُ ربعى ان غدا هالة[f]   وقلتُ يا مَنْ لم يُضع أشعبا
بالله مل معتنقا لاثما   فمال كالغصن ثنته الصبا
فقال ما ترغب قلتُ اتّئد   ادركتُ اذ كلّمتنى المرغبا[g]
فقال لا مذهب[h] عن ذكر ما   ترغبه قلتُ اذًا مركبا
وكان ما كان فوالله ما   ذكرته دهرى او اغلبا

وستاتى هذه القصيدة * فى جملة[i] من نظم ابن سعيد المذكور[j] وقال يتشوّق الى اشبيلية وهى حمص الاندلس

أنّ الخليج وغنّت الورقاء   هل بُرحا اذ هاجت البُرحاء
انا منكما أولى بحلية عاشق   اغنى وما نمّت بى الصُعداء

---

a) La. O. الطيبا. b) La. O. الاس والورد. c) Ces mots sont peut-être altérés. d) La. O. اياس. e) G. L. P. La. حصر, S. حصرة. f) P. S. الة. g) La. الماربا. h) La. O. مرغب. i) La. O. بكمالها. j) Dans le vème Livre. Voici les variantes principales: vs. 3. استامنوا ; vs. 6. والهمّ ; vs. 11. يصحبا ; vs. 18. O. شغفته ; vs. 21. O. حاسدى ; vs. 22. B. يبشر ; vs. 32. O. قلت له.

اخشى الوُشاة فما افوه بلفظة — والكتم عند العاشقين عناء
لولا تشوّق ارض حمص ما جرى — دمعى ولا شمتت بى الاعداء
لم استطِعْ كتماً له فكانّنى — ما كان لى كتم ولا اخْفاء
والبدر مَهْمَا رام كتما من سرى — فيه ينمّ على سراه ضياء
بلد متى يخطرْ له ذكرٌ هفا — قلبى وخان تصبُّره وعزاء
من بعده ما الصبح يُشْرِق نورُه — عندى ولا تتبدّل الظلماء
كم لى به من ذى وفاء لم يَخُنْ — عهدى وينمو بالوداد وفاء
فترى اذا *ما وَدّ ذكرى[b] سائلٌ — عن حالتى ان قلّت الانباء
يمسى ويصبح فى تذكّر مدّة — يرضى بها الاصْباح والامْساء
مع كل مبذول الوصال ممنّع — من غيرنا تسمو به الخُيَلاء
كالظبى كالشمس المنيرة كالنقى — كالغصن يثنى معطفَيْه رُخاء[c]
يسعى براح كالشهاب براحة — كالبدر والوجه المنيرُ ذُكاء
ما لان نحو الوصل حتى طال منــــه الهجر واتّصلت به البَلْواء
خير المحبّة ما تأتّتْ عن قِلًى — تُدْرَى ببُوس الفاقة النعماء
ما زلتُ ارقى بالقريض جنونَه — حتى استكان وكان منه اباء
فظفرتُ منه بمدّة لو انها — دامتْ لَدامتْ لى بها السّرّاء
صفو تكدّر بالتحرّك لبينه — ما زلتُ لكن لا يُرَدّ قضاء
ان الفراق هو المنيّة انما — اهل النوى ماتوا وهم أَحْياء
لولا تذكّر لذّة طابت لنا — بذَرى الجزيرة حيث طاب هواء
وجرى النسيم على الخليج معطّرا — وتبدّدت فى الدوحة الانداء
ما كابدتْ نفسى اليمَ تفكّر — الوى به عن جفنى الاغْفاء
يا نهر حمص لا عدتْك مسرّة — ماء يسيل لديك ام صهباء
كل النفوس تهشّ فيك كانما — جمعتْ عليك شتاتَها الاهواء
ودّى اليك مع الزمان مجدّد — ما ان يحول تذكّر وعناء
ولوَ انّنى لم أُحْىِ ذكرًا للذى — اوليتَه ما كان فىّ حياء

---

a) La. O. تذكر. b) G. P. La. O. ما آ وذكرى, S. ما ردكرى. قد قل ان ما ردكرى. c) Le reste du poème manque dans La. et O.

ما كنتُ اطمع فى الحياة لو أنّنى　　ايقنتُ ألّا يُستردّ لقاء
غيرى اذا ما بانَ حانَ وانما　　ابقى حياتى حين بِنْتُ رجاء

وسياتى ان شاء الله تع لهذا النمط وغيره مزيد اثناء الكتاب، بحسب ما اقتضته المناسبة والله المرجوّ فى حسن المتاب، وهو سبحانه لا اله الا هو الموفّق للصواب ؛

تم الجزء الاول من المجلد الاول
بحمد الله تعالى وحسن عونه
والله ولى التوفيق ؛

MM. **W. J. A. Jonckbloet**, professeur, à *Groningue.*

T. W. J. Juynboll, professeur de langues orientales, á *Leyde.*

F. Klincksieck, libraire, à *Paris.*

A. Kuenen, professeur en théologie, à *Leyde.*

J. D. Macbride, professeur d'arabe, à *Oxford.*

Don **Manuel Malo de Molina**, à *Madrid.*

M. **A. L. Mehren**, professeur de langues orientales, à *Copenhague.*

S. E. le Ministre de l'intérieur du royaume des Pays-Bas, 20 exempl.

MM. **J. Müller**, libraire, à *Amsterdam*, 2 exempl.

D. Nutt, libraire, à *Londres*, 2 exempl.

O. Petri, libraire, à *Rotterdam.*

R. L. Playfair, Lieutenant, à *Aden* (Arabie).

Reay, professeur d'arabe, à *Oxford.*

J. T. Reinaud, membre de l'institut et professeur d'arabe, à *Paris.*

Repitsky, professeur, à *Pesth.*

J. J. Rochussen, ancien gouverneur des Indes orientales, à *la Haye.*

le baron **M. G. de Slane**, interprète général de l'armée d'Afrique, à *Alger.*

La Société asiatique, à *Bengale*, 2 exempl.

MM. **J. J. P. Valeton**, professeur de langues orientales, à *Groningue.*

M. de Vries, professeur, à *Leyde.*

le docteur **Woodford**, à *Edimbourg.*

F. Wüstenfeld, professeur de langues orientales, à *Goettingue.*

La souscription pour cette première partie est fermée, mais elle est encore ouverte pour les volumes suivants.

LISTE DES SOUSCRIPTEURS.

Die **Amelang**'sche Sortiments-Buchhandlung, à *Berlin.*

M. le docteur **Bandinel**, bibliothécaire en chef de l'université d'*Oxford.*

La Bibliothèque de l'Université, à *St. André*, 2 exempl.

» » » » » *Berlin.*

» » » » » *Copenhague.*

» » » » » *Edimbourg.*

» » » » » *Goettingue.*

» » » » » *Halle.*

» » » » » *Königsberg.*

» » » » » *Utrecht.*

M. le docteur **D. Burger Jr.**, à *Doesbourg.*

Don **Serafin E. Calderon**, à *Madrid.*

M. **A. Cherbonneau**, professeur d'arabe, à *Constantine.*

Die **Cröcker**'sche Buchhandlung, à *Iéna.*

MM. **W. Cureton**, chapelain de S. M. la reine d'Angleterre et chanoine de Westminster, à *Londres.*

F. Dieterici, professeur de langues orientales, à *Berlin.*

B. Duprat, libraire, à *Paris*, 2 exempl.

H. L. Fleischer, professeur de langues orientales, à *Leipzig.*

F. Fleischer, libraire, à *Leipzig.*

G. Frisch, libraire, à *Mannheim.*

P. ٤٩, l. 7. L. وادمع. — Lisez وَأَدْمَغُ ادمغ. Le mot «أَحْجَارِهَا، تَسَلَّطُ فُجَّارِهَا» est le superlatif; voyez al-Baiḍāwī, notes sur Sour. 21, vs. 18, 105, vs. 1. Fl.

P. ٥٠, not. *a*. L. تتعفرم لديه.

P. ٥١, not. *a*. L. والشاحر.

P. ٥٢, l. 25. Au lieu de مجاريها, G. et L. portent محاربها.

P. ٥٥, l. 11. L. La. O. يمنع; L. La. طرايق.

P. ٥٦, not. *b*. L. الاعزازى.

P. ٥٧, l. 16. L. بين الصوير.

P. ٥٩, not. *d*. L. وارن.

—— not. *e*. L. حبست.

P. ٦٢, l. 14. L. يملوا او يميلوا, O. يملوا اى ميل ☆

P. ٦٣, not. *a*. L. هالة.

P. ٦٦, l. 14. L. ومنّا به. — Il faut lire avec S. ومَسَامه (plur. de مَسْمٌ); la leçon de La. est une corruption de ومَتَايه (plur. de مَتْيهة; تاه = سمه). Au lieu de يدبّج il faut prononcer يدبّج. Fl.

P. ٦٧, l. 2. Lisez بُرَحائها avec L. La. et O.

P. ٦٨, l. 20. Au lieu de على G. et L. portent فى.

P. ٧١, l. 2. G. L. سقياه.

—— l. 4. L. هواك.

—— l. 5. L. تترا. — La leçon تَتْرَى est bonne; voyez le *Korān*, sour. 23, vs. 46. Fl.

P. ٧١, l. 15. G. L. اطلبها.

—— l. 19. قزع ne se trouve que dans La; O. porte فزع, S. نزع, L. نزع, G. تزع.

P. ٧١, not. *b*. L. وادنايه et وادنايه.

P. ٧٤, l. 11. Lisez يجل avec L.

P. ٧٥, not. *e*. L. والهدو.

P. ٧٦, l. 12. Lisez وحلّوا.

P. ٧٧, l. 10. Lisez avec G. et L. المنصف.

P. ٧٨, l. 12. L. ذوو الشوكة.

—— not. *a*. L. المرتقين.

P. ٨٠, l. 16. Au lieu de يرجو G. et L. portent حال.

P. ٨٠, l. 17. G. L. واسال من مبلغ.

P. ٨٤, l. dern. Lisez ومن جوف هذا البرّ. Fl.

P. ٩٠, l. 5. L. La. متفاجرة.

P. ١٠٠, l. 14. La leçon تجوّن est bonne; cette 5ᵉ forme dérive de جون *baie*, *golfe*.

P. ١٠٣, not. *d*. L. رباح.

P. ١٠٤, l. 21. Lisez مسافة.

P. ١٠٥, not. *c*. L. خصره.

P. ١١٠, not. *b*. L. والطل من نفثاتها.

—— not. *c*. L. الارزة.

P. ١١٤, not. *c*. La. O. ينعا.

P. ١٢٩, l. 13. La leçon des manuscrits, الخضارة, est bonne. C'est une forme plus récente pour الخُضْرة, et les deux mots خضر et نضر se trouvent fort souvent ensemble; voyez al-Ḥarīrī, p. ٤٠٧, éd. de Sacy; Ibn-Batouta: صحراء خضرة نضرة etc. Fl.

P. ١٣٠, l. avant-dern. وما ادراك est une façon de parler elliptique, empruntée au *Korān*. كَيْفَ دخلوها, ou وما أَدْرَاكَ ما دخولهم اياها. Voyez Dieterici, *Motenabbī und Saifaddaulah*, p. 147 et 148, dans la note. Fl.

ADDITIONS ET CORRECTIONS.

Comme je n'ai reçu le man. L. qu'au moment où l'Introduction et le Ier Livre étaient déjà imprimés, je donne ici les principales variantes que ce man. m'a fournies pour la première partie de mon travail. J'y ai ajouté quelques corrections qui, pour la plupart, m'ont été indiquées par M. Fleischer. Je distinguerai ces dernières des miennes par les lettres Fl.

W. WRIGHT.

P. ٣, l. 13. L. وِلبنيةٌ. — Peut-être faut-il lire وِلينةٌ; voyez al-Baiçāwī, note sur Sour. 59, vs. 5, et *Gulistān*, p. ٥, éd. Semelet: كذلك تَنْشا لِينةٌ هو عِرْقُها (*noble palmier*). Fl.

P. ۴, l. 13. G. L. للجمع.

—— l. 20. L. ابواب الفعل.

P. ٥, l. 16. L. S. O. در الصدف.

—— l. 21. L. كلما ارق.

P. ٦, not. *b*. L. العباس.

P. ٧, l. 9. G. L. S. O. تمحو.

—— not. *b*. L. ودووا.

P. ٩, l. 9. G. L. S. او رد.

P. ١٠, l. 14. Doit-on lire تغضف, au lieu de تقطف?

P. ١٠, l. 19. G. L. حبى.

P. ١١, l. 1. L. مميلة, G. غميلة, O. فميّله.

—— not. *e*. L. مُمْحِي.

P. ١٢, l. 10. L. La. O. ان.

—— l. 15. L. تضحك.

—— not. *b*. L. كغض.

P. ١٨, l. 5. Lisez حارث.

P. ١٩, l. 22. L. غزالى.

P. ٢٠, l. 12. L. ببان رامة.

P. ٢۴, not. *a*. L. متباك.

P. ٢٥, l. 3. Lisez جبالها, et voyez le *Korān*, sour. 11, vs. 44. Fl.

P. ٢٥, l. 16. Lisez avec L. بُتْرًا.

P. ٢٧, not. *b*. L. وانمحى.

P. ٢٨, not. *b*. L. الوشاحيين.

P. ٢٩, l. 14. G. L. الغروس.

P. ٣٠, not. *a*. L. صاعد النقاد.

P. ٣١, not. *b*. L. الازوار.

P. ٣٢, not. *b*. L. خجلا.

P. ٣٣, l. 21. L. La. قدير.

—— not. *b*. L. مسند.

P. ٣۴, l. 25. L. فموبد لموبد ومخلد لمخلد ۞

P. ٣٥, not. *a*. L. ينافح.

P. ٣٦, not. *b*. L. خصهم.

P. ٣٨, not. *a*. L. القريض تلقاه هزوا.

P. ۴٢, l. 6. L. نسيم فى رياضها.

—— not. *a*. L. الندى البليل.

P. ۴۴, l. 2. Au lieu de مِلاءةً G. et L. portent وِلاءةً.

P. ۴۴, l. 17. La. تكرره.

P. ۴٧, l. 3. L. S. La. O. الحيا.

—— not. *a*. L. فينجر بنا.

P. ۴٨, l. 4. بأداة الحصر *avec la particule restrictive*, c'est-à-dire, avec un mot tel que ليس الّا, فَقَطْ, انّما. Le sens est: *lui seul est un tel homme*. Fl.

P. ۴٩, not. *b*. L. الابهام.

Se vend :

à Paris, chez BENJAMIN DUPRAT.

» Londres, » WILLIAMS & NORGATE.

» Leipzig, » T. O. WEIGEL.

ANALECTES

SUR

L'HISTOIRE ET LA LITTÉRATURE

DES

ARABES D'ESPAGNE,

PAR

AL-MAKKARI.

PUBLIÉS PAR

MM. R. DOZY, G. DUGAT, L. KREHL ET W. WRIGHT.

TOME PREMIER.

PREMIÈRE PARTIE,

PUBLIÉE PAR

M. WILLIAM WRIGHT.

LEYDE,

E. J. BRILL,

IMPRIMEUR DE L'UNIVERSITÉ.

1855.